فاطمة خليل القبلي

رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي

جمع وتحقيق ودراسة

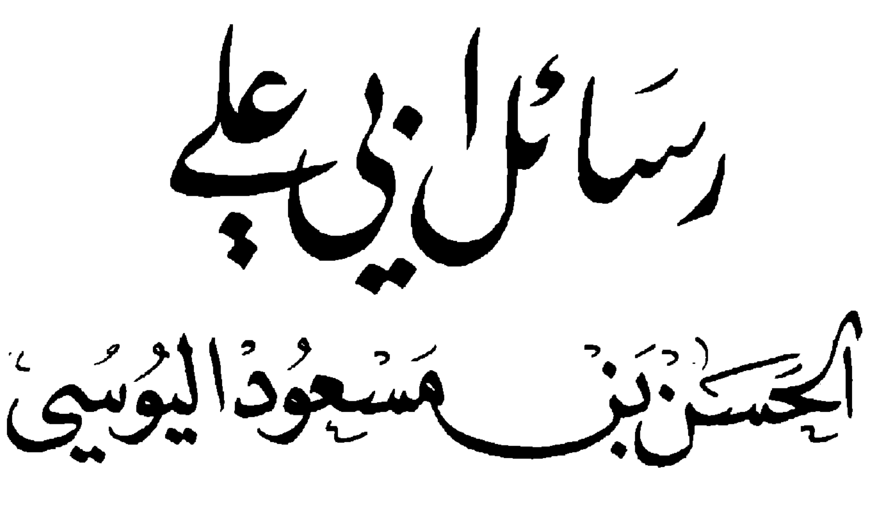


الجزء الأول



دار الثقافة

فاطمة خليل القبلي



جمع وتحقيق ودراسة

الجزء الأول



34·32 شارع فكتور هيكو
الهاتف 26·53·46 — 26-23-75
ص.ب. 4038 الدار البيضاء (المغرب)

نوقشت هذه الرسائل بمدرج كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس بتاريخ 29 ربيع الثاني عام 1378 موافق 8 أبريل 1978 أمام لجنة من الأساتذة وهم : الدكتور عباس الجراري مشرفاً والدكتور عبد السلام الهراس ، والدكتور محمد بنشريفة . وذلك لنيل دبلوم الدراسات العليا في الآداب . واستحقت ميزة حسن .

الطبعة الأولى 1401 — 1981

—

ضريح أبي علي الحسن اليوسي بصفرو

نماذج بشرية من قبيلة آيت يوسي

عن كتاب جاك بيرك

عن اليوسي

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله منزل الاحكام ومنور القلوب بالاسلام وجاعل
الوية الشريعة بايدي العلماء الاعلام الذين تجلى بهم دجنة
الجهل وحوالك الظلام والصلاة والسلام على سيدنا محمد
شمس الوجود وبدر التمام وعلى آله واصحابه ما هطل
مدرار وسجعت ورق الحمام ومن تبعهم باحسان الى يوم
القيام اما بعد فهذا ان شاء الله جمع ما تيسر
من نوازل الشيخ الامام ادام الله وجوده للاسلام ومن رسا
دله التي حكت عقود الجمان ومكاتباته التي تزري بسبائك
العقيان ليسهل تناوله على طالبيه وتخف مطالعته على را
غبيه ومن الله نسأل التوفيق وله الصنع الجميل وهو
حسبنا ونعم الوكيل وهذا اوان الشروع في المقصود ومن
الله التوفيق والتسديد

السؤال

سيدي اوضح الله بكم السبيل ونفع بكم الغليل جوابكم فيمن
لا يعرف من النحو الكثير ولا القليل ولا يميز بين الفاعل والمفعول
ولا بين العامل والمعمول هل له ان يحتج ببعض اي القرآن
العظيم وبعض احاديث النبي الكريم عليه افضل الصلاة وا
زكى التسليم ويأخذ منها ادلة الادلة القطعية على بعض
المسائل الفقهية مع انه لا ينطق بالنحو والتعبير

أهم مخطوطة لرسائل أبي علي اليوسي بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 302 وهي مجموع من خزانة الزاوية الناصرية بتمكروت انظر ص 16

فهرست دراسة رسائل أبي علي اليوسي



بين يدي الدراسة

أرجو من القارئ الكريم أن يطلع على رسائل اليوسي المحققة ابتداء من صفحة 125 قبل أن يقرأ هذا البحث وذلك ليتمكن من الحكم على الاستنتاجات التي وصلت إليها هذه الدراسة النقدية التحليلية

المحققة

تصدير

إن الشخصية المميزة لكل أمة . وخاصياتها القومية والفكرية . وتقاليدها الخلقية والاجتماعية . ليست إلا نتيجة البحث والبلورة للقيم والاتجاهات الفكرية لدى العديد من زعمائها وأعلامها . تسلك بعد ذلك في سلك الأمة الواحدة . بعد أن تسلك في سلك الشخصية الواحدة . أو العصر الواحد (1)

والشعوب تحاول أن ترى في تراثها زاداً يعينها على المستقبل . ويشحنها بشحنات من المجد والعزة تذلل أمامها مخاطر الطريق . وتمهد لها سبل البناء والتطور.

فما أجدر الأمة المغربية . وقد طالت بها فترة تلمس الطريق . واختيار الاتجاه . أن تبعث صفحات ماضيها وتراثها التي تحتوي موضوعيًّا على دلالات إيجابية بالنسبة لحياتنا اليوم كمغاربة . هذه الدلالات التي تلقي الأضواء على مشاكلنا الكبرى في الوقت الحاضر (2).

وأشهد أنني قبل اختياري للأدب المغربي كموضوع للدراسات المعمقة كنت أجهل — كبقية الطلبة المغاربة — الكثير عن هذا التراث الضائع المهمل الذي ما زال رهن المخطوطات . وحبيس مكتبات عامة . لم توضع له بعد حتى الفهارس . أو مكتبات خاصة تضن به على الدارسين . وتتعامل معه كأنه يجب أن يحنط وينظر إليه بإجلال وتعظيم . وتحذر كل الحذر أن يتجرأ عليه بالدراسة العلمية الفاحصة الناقدة.

---

(1) أنظر مقدمة عمارة في كتابه عن عبد الرحمان الكواكبي

(2) أنظر مقدمة كتاب « من وحي التراث » للدكتور عباس الجراري ص 3 وما بعدها

ومنذ ذلك الحين تعرفت على الكثير من هذا التراث . وأعجبت بالكثير من وجوهه . وتحمست له في فترات دراستي تحمساً كبيراً . وتألمت لما يواجه به من إعراض وإهمال من طرف المسؤولين على تربية الأجيال الجديدة . إذ وجدتُ فيه مصدراً لا ينفذ لنماذج من التقدم والبطولة والفداء يجب إحلالها مكانها الطبيعي في سلسلة الفكر العربي .

ولإحياء هذا التراث لابد من عمليتين متلازمتين :

أولها نشره بعد غربلته ودراسته دراسة علمية نقدية.

ثانيهما خلق الرغبة والإقبال على قراءة ما ينشر . وذلك بالتأكيد على وجوب الوصول إلى تحديد وتأكيد هويتنا . ومعرفة جذورنا الحضارية والفكرية.

فهي ليست اتجاهاً عكسياً إلى الوراء وإنما هي تزود للمستقبل . وهي ليست تقديساً وانغلاقاً على القديم وإنما هي استعانة بالأصالة التي تطبع هذا التراث لمواجهة التحديات . والتشوف إلى آفاق جديدة . ومستقبل نأمل أن يكون أفضل من الحاضر الذي نعيش فيه.

فإحياء التراث هو مزجه بالحياة الحاضرة . وتحويله إلى مجراها . فلا يطل عليه الإنسان كما يطل على متحف قديم للآثار المحفوظة . بل يتعامل معه ويدخله في معترك الحياة . وينغمس معه في تيار الشعور والعاطفة . وليس ذلك بعسير إذا حسنت المطالعة . وحسن الاختيار وحسن التنبيه.

ومن هنا كان اختياري للمفكر الحسن بن مسعود اليوسي كحياة خصبة . وبناء فكري متكامل . يمثل تعميقاً لمطامح الجماهير الشعبية المغربية في نضالها لتحقيق العدالة الإجتماعية . وصنع عالم أفضل أساسه تلك العقيدة السامية التي تقوم بالدرجة الأولى على التحرر المطلق من كل عبودية . هذا التحرر الذي هو الخطوة الأساسية لتحقيق مجتمع صالح . كريم . الكل فيه متساوون

وفي الوقت ذاته يمثل هذا الاختيار تقديم صفحة مشرقة من صفحات التراث وتقديم نموذج للمفكر الذي ارتبطت حياته بأفكاره . ولم يعرف ما يعاني الأديب العربي اليوم من انفصام يجعل غالباً حياة المثقف وأفكاره على طرفي

نقيض.

وكان أول لقاء لي مع الحسن اليوسي في كتابه الرائع « المحاضرات » (1) التي له صلة وثيقة بنفسه وعصره وحياته وتفكيره . كتبه في أخريات حياته يتأمل فيه الأحداث ويستخلص منها الاستنتاجات التي تتحكم في حياة الإنسانية. وأعجبت بالكتاب وبصاحبه . وعزمت على تحقيقه ونشره نشراً علمياً . ولكن أستاذي الدكتور عباس الجراري نبهني إلى أن الكتاب قد سبق طبعه طبعة حجرية عرِّفت به نوعا ما . وانتشر بين الأوساط الثقافية المغربية وغيرها نسبياً ولكن شدة إعجابي بشخصية اليوسي دفعتني إلى اقتراح جمع رسائله الكثيرة — التي كان عدد قليل منها معروفاً في أوساط الدارسين . ويعد مرجعا في تاريخ المغرب لتلك الفترة — رغم ما في ذلك من عناء نظراً لعدم توفر المادة الأولى وذلك بسبب تشتت الرسائل وتوزعها بين المكتبات العامة والخاصة . وصعوبة جمع نسخها والجهد الذي يتطابه التنقل الكثير . والبحث الطويل . والإتصال المستمر مع المهتمين بشؤون التراث المغربي المخطوط .

وشجعني أستاذي المشرف الدكتور الجراري على اقتحام هذه الصعوبات . والنهوض بعبء جمع شتات هذه الرسائل وتحقيقها وتقديمها في شكلها الفكري والأدبي الفريد كجانب يعين على فهم وتقييم شخصية اليوسي من جديد.

وإنني أقدم هذا الجهد كنقطة انطلاق فقط في هذا الميدان . فبقدر نجاح هذه الدراسة في تقديم اليوسي كبناء متكامل فكراً وحياة واعتقاداً . وكصاحب نظرة خاصة في مختلف مشاكل عصره السياسية والاجتماعية . يستحق أن تخصص له دراسات تفصيلية . بقدر النجاح في ذلك . يكون صدق إحساسي بالرضى والارتياح للجهد المبذول في هذه الصفحات.

---

(1) له نسخ كثيرة مخطوطة في المكتبة العامة بالرباط والمكتبة الملكية أيضا وفي المكتبات الخاصة . وقد طبع طبعة حجرية سنة 1317هـ . وللمستشرق الكبير جاك بيرك دراسة مركزة على كتاب « المحاضرات » وكاتبه تحت عنوان : « اليوسي . أو مشاكل الثقافة المغربية في القرن السابع عشر » مطبعة موطون لاهاي 1958م.

والحق أنني مدينة لأستاذي الكريم الدكتور عباس الجراري بالكثير من ملاحظاته القيمة التي أخذت بها في مواضع من هذا البحث . فقد بذل لي من الوقت والجهد في توجيهي وتتبع خطواتي ما لا يفي به شكرى وثنائي . ولا يفوتني أن أسجل ما لاقيته من أستاذنا الجليل المرحوم العابد الفاسي من مساعدة كريمة تلقائية مكنتني من الوصول إلى جمع هذا العدد المهم من الرسائل . بفضل ما أمدني به منها — اذ فتح أمامي أبواب خزانته الخاصة الزاخرة — وما أرشدني إلى مكان وجوده . والله أسأل أن يثيبه على ما قدمه لخدمة إحياء التراث.

كما أن من الواجب على الاعتراف بالمساعدة الكريمة التي قدمها إلي طائفة من الأساتذة الفضلاء وعلى رأسهم الأستاذ محمد المنوني والأستاذ محمد بن حماد الصقلي والأستاذ إبراهيم الكتاني . فلهؤلاء جميعا أزجى الشكر صادقا.

هذا . وليس من سبيل التزكية إذا أشرت إلى ما لاقيت من العناء والجهد المضني في جمع شتات هذه الرسائل وتحقيقها وتقديمها . بحيث لا أكون مغالية إذا قلت إن الجهد الذي يبذل في سبيل التأليف . أهون على المرء من الجهد الذي يقاسي في سبيل جمع وتحقيق النصوص القديمة . وما تقتضيه من صبر وتحمل وعناء خصوصاً إذا كان المتصدي لذلك يحاول في الوقت ذاته أن لا يخل بواجبات ومسؤليات أخرى هو يتحمل عبئها . طامحاً إلى إيتاء كل ذي حق حقه باذلا في سبيل ذلك من الطاقة والجهد . كل ما يستطيع وربما أكثر مما يستطيع .

على أنني لا أدعي أن الكمال الذي نشدته قد تحقق . وحسبي أني لم آل جهدا ولم أذخر وسعاً . وإن كان جهد المقل وغاية المستطيع . ورحم الله العماد الأصفهاني حين يقول « إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غُير هذا لكان أحسن . ولو زيد هذا لكان يُستحسن . ولو قدم هذا لكان أفضل . ولو ترك هذا لكان أجمل . وهذا من أعظم العبر . وهو دليل على استيلاء النقص على جميع البشر».

هذا وأسأل الله أن يرشدني إلى كل خير قَصْرَ عنه رأيي . وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي إنه سميع مجيب.

1 — تحديد مفهوم الرسالة

عندما عقدت العزم على اختيار رسائل اليوسي كموضوع لدبلوم السلك الثالث كان أول عمل اهتممت به . هو تحديد مفهوم الرسالة بدقة . لأن الأدب العربي يستعمل هذا اللفظ لدلالات مختلفة ورد منها في دائرة المعارف (1)ثلاث معاني الرسالة في الأصل الكلام الذي أرسل إلى الغير . وخصصت في اصطلاح العلماء بالكلام المشتمل على قواعد علمية . والفرق بينها وبين الكتاب على ما هو مشهور . إنما هو بحسب الكمال والنقص . والزيادة والنقصان . فالكتاب هو الكامل والرسالة غير الكامل فيه . والمعنى الثالث هو أن الرسالة تستعمل في الشرع بمعنى بعث الله تعالى إنسانا إلى الخلق بشريعة سواء أمر بتبليغها أو لا وتساويها النبوة.

والمعنى الأول الذي جاء في دائرة المعارف هو المقصود في الموضوع الذي بين أيدينا . ويشرح هذا المعنى صاحب لسان العرب (2) يقول والإرسال التوجيه . وقد أرسل إليه . والإسم الرّسالة والرَّسالة والرسول . والرّسيل . ويقال تراسل القوم بعضهم إلى بعض . وجاء في القاموس (3) زيادة إيضاح لهذا المعنى.... والإرسال التسليط والإطلاق . والإهمال . والتوجيه . والإسم الرِّسالة بالكسر والفتح.

فالمقصود إذن بالرسالة في هذا البحث الإسم من ارسل . أي الصحيفة التي

---

(1) دائرة المعارف بطرس البستاني ج 593/8
(2) لسان العرب لابن منظور ج 283/11
(3) القاموس المحيط للفيرزبادي ج 384/3

يكتب فيها الكلام المرسل وتجمع على رسائل ورسالات . ولأبي علي اليوسي من هذا النوع الكثير . هو ما حاولت جمعه وتحقيقه في هذا البحث.

وقد كان في نية الحسن بن مسعود اليوسي نفسه . أن يجمع هذه المراسلات . كما نبه على ذلك في خطبة كتابه « الفهرست » الذي حرره في أواخر أيامه . وعاجلته المنية قبل أن يتمه قال (1) « ورتبتها على مقدمة تشتمل على فوائد وخمسة فصول

الفصل الأول في ذكر أشياخي في التعلم مع الإلمام بشيء من الفوائد الواقعة معهم

الثاني في ذكر الأشياخ في الدين . ولو بطريق التبرك كذلك

الثالث في ذكر شيء مما ألهم الله تعالى في آية أو حديث أو شعر أو كلام

الرابع في ذكر شيء مما خاطبت أو خوطبت به من نثر أو نظم

الخامس في جمع الفوائد الملقوطة من أي نوع كان.

وهكذا يظهر جلياً من الفصل الرابع أن اليوسي كان مهتماً بما خاطب وما خوطب به بمعني مراسلاته وإخوانياته . وكان ينوي إثباتها في « فهرسته » ولعله كان محتفظاً بشيء غير قليل منها . لا أستبعد أن يكون هو الذي نقلت عنه الزاوية الناصرية بعض المراسلات التي انفردت بها في المخطوطة التي سوف أتحدث عنها . وذلك لاهتمامها بجمع كل ما كتب هذا المفكر الذي اعتبرته من أنبه أبنائها.

واعتمادا على هذا المفهوم إذن . فقد أقصيت بعض الأبحاث في المنطق . وفي الفقه . التي أطلق عليها بعض من رتب مؤلفات اليوسي (2) اسم « رسالة » وما هي في الأصل إلاّ تقاييد بمفهوم الرسالة الكلام المشتمل على شرح بعض المسائل أو القواعد العلمية بشيء من الإيجاز والتركيز.

---

(1) « الفهرست » لأبي علي اليوسي مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ک 1234 ص 104

(2) الأستاذ محمد حجي في كتابه « الزاوية الدلائية » ص 106 « رسالة في نعيم أهل الجنة . « رسالة في واجبات المكلف... الخ ..»

بقي نوع آخر لم يشمله البحث . وهو الرسائل الشعرية القصيرة . التي غالبا ما تكون إخوانية عادية . عبارة عن دعوات وتمنيات . كتلك (3) التي بعث بها إلى أبي العباس أحمد الدلائي (4) لما ثار على السلطان المولى اسماعيل واجتمع حوله البربر يقول في مطاعها

أبا العباس كنت المرتجى في تلافٍ في تجافٍ وارتجافِ (5)
وكنت أخال أن الود كأس شربناه على الإنصاف صاف (6)

وهذه الرسائل الشعرية القصيرة كثيرة جداً . وهي مبثوثة في ديوان اليوسي . ولم أدرجها في الرسائل لأنني قصدت جمع الرسائل النثرية بالخصوص لأهمية مواضيعها.

*

(3) القطعة من تسعة أبيات موجودة في ديوان اليوسي خ ع ر جـ 157 81 ظ 82 و. وفي البدور الضاوية ص 424. وفي المنزع اللطيف خ ع ر رقم جـ 595 ص 174

(4) هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج الدلائي (.../1091هـ) آخر أبطال الدلاء. ولاه جده محمد الحاج أمر فاس وهو لا يزال حدثا. رجع من أرض المنفى تلمسان ودخل المغرب أوائل عام 1088هـ وقصد الدلاء والتف حوله برابرة الأطلس المتوسط. انهزم أمام السلطان اسماعيل واختفى بعد هزيمته في الجبال إلى أن مات 1091 أنظر أخباره وترجمته في البدور ص 424.

(5) الأبيات من الوافر. التلافي المصيبة والهلاك. الارتجاف : الاضطراب والفتنة.

(6) الإنصاف العون والخدمة وطلب المعروف

2 — مراحل العمل

بعد استقرار الرأي على موضوع رسائل اليوسي . ومع الوقت وبدء ممارسة العمل . اتضح لي أن عملية البحث عن الرسائل وجمعها ليست كعملية البحث عن نسخ لمخطوط كتاب محدد . موجود . محصور المادة . لأن جمع الرسائل هو جمع المادة الأولية . وهذه العملية تأتي بالجديد في كل حين . لهذا أخذت مني الوقت الكثير . والانتظار الطويل . وتصابت الصبر الجميل . والمثابرة والتحمل . فقد كان علي أن أتصل كثيراً . وأبحث كثيراً . وأتنقل كثيرا . وغالبا ما كان المحصول لا يتكافأ والمجهود المبذول.

وبعض هذه الاتصالات اقتصرت على السؤال والحديث . وبعضها أتاح زيارتي لبعض المكتبات الخاصة . والخروج منها بمجموعة لا يستهان بها من الرسائل.

والنص الذي بين أيدينا اليوم . يكون مادة غزيرة قطعت مرحلة جمعها على الشكل التالي :

* مكتبات عامة بحثت فيها شخصياً قسم الوثائق التابع للخزانة العامة بالرباط . الخزانة الملكية بالرباط . خزانة القرويين بفاس.

* مكتبات خاصة اطلعت عليها شخصياً مكتبة الأستاذ المرحوم العابد الفاسي بفاس . مكتبة الأستاذ المحترم محمد حماد الصقلي بفاس مكتبة المحترم عبد الحي العمراوي بفاس . مكتبة الأستاذ الجليل محمد المنوني بالرباط . مكتبة المرحوم الفقيه التطواني بسلا

* فهارس لمكتبات تطوان ، ومكناس ، ومراكش ، وآيت عياش ، وتمكروت ، اطلعت عليها في حوزة الأستاذ محمد المنوني الذي كلف من طرف وزارة الثقافة بجرد وإحصاء مخطوطات هذه الخزانات.

* فهارس جائزة الحسن الثاني للمخطوطات أطلعني عليها الأستاذ المنوني أيضا.

* مخطوطات خاصة في ملك المحققة .

*

3 — وصف المخطوطات الهامة للرسائل

بعد حصر مصادر الرسائل في المكتبات العامة وبعض الخزانات الخاصة . وذلك فيما ينيف على الأربعين مخطوطاً . تمكنت من جمع اثنتين وستين رسالة . منها الطويلة (في حجم التُّوَيْلِف) «كجواب الكتاب » « والرسالة النصيحة » و « رسالة العكاكزة » ومنها المتوسطة «كرسالة إبطال التسلسل » و « رسالة نازلة العرائش » وغيرها . والقصيرة كالرسائل الفقهية غالباً.

والملاحظ أن أغلبية هذه الرسائل في نسخ عديدة والقليل منها الذي هو في نسخة فريدة.

وأكبر مجموعة لرسائل اليوسي هي في مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم قـ 302 . وهو مجموع من خزانة الزاوية الناصرية بتمكروت . وفي الصفحة الأولى منه طابعها مع رقم 2140. وهذا المجموع مرقم ويحتوي على

* « فتح المغيث في شرح اليواقيت » للدّادسي
* « المواهب الربانية على العقيدة النووية » لعلي الحريشي الفاسي
  مجموعة رسائل اليوسي بتقديم قصير يظهر أنه للناسخ
* قصيدة نونية لم ينسبها الناسخ
* حزب البحر لأبي الحسن الشاذلي
  البرهان القامع لمحمد بن أحمد الدادسي الصنهاجي

وفي آخر المجموع بخط ناسخ « البرهان القامع » (آخر مؤلف في المخصوط) وهو مختلف عن خص ناسخ الرسائل . كتب « انتهى ما وجد بخط بعض تلامذة المؤلف رضي الله عنه . ناقلا عن خط مؤلفها برد الله ضريحه ونفعنا به .

كتبته لشيخنا العلامة ، ذو العلوم الربانية ، أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن ناصر بن عمر رضي الله عنه وأرضاه . وكاتبه عبد الواحد بن محمد الكرزابي وفقه الله آمين أوائل صفر سبع وتسعين وألف » .

فإذا ما اعتبرنا هذا التاريخ ، كتاريخ لنسخ المجموع ، بما فيه الرسائل . تكون هذه الأخيرة قد جمعت في حياة اليوسي الذي توفي سنة 1102هـ .

والمقدمة التي مهد بها الناسخ للرسائل تظهر كذلك أنها جمعت في حياة المؤلف . تقول المقدمة :

« بسم الله الرحمان الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

الحمد لله مُنَزّل الأحكام ، ومنور القلوب بالإسلام ، وجاعل ألوية الشريعة بأكف العلماء الأعلام ، الذين تُجْلَى بهم دُجنةُ الجهل وحوالِك الظلام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد شمس الوجود وبدر الإتمام ، وعلى آله وصحبه ما هطل مدرار ، وسجعت وُرْق الحمام ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيام . أما بعد ، فهذا إن شاء الله ما تيسر من نوازل الشيخ الإمام ، أدام الله وجوده للإسلام ، ومن رسائله التي حكمت عقود الجُمان ، ومكاتباته التي تُزري بسبايك العقيان ، ليسهل تناوُله على طالبيه ، وتخف مطالعته على راغبيه . ومن الله نسأل التوفيق ، وله الصنع الجميل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . وهذا أوان الشروع في المقصود ، ومن الله التوفيق والتسديد » .

ولهذا الاعتبار رجحت أن تكون مجموعة رسائل مخصوطة تمكروت أقدم نسخة بين أيدينا لرسائل اليوسي . واعتمدت عليها كنسخة أم لكل الرسائل التي تضمَّنَتْها ومنها نقلت النص . إلا في حالة واحدة وهي الرسالة الصوفية الطويلة المعروفة بـ « الرسالة النصيحة » فهي في هذا المخطوط مبتورة الأخير لم يكمل الناسخ نقلها . وقد أشرت لذلك عند التقديم لها في محلها من رسائل التصوف . وأشرت إلى موضع البتر منها وأهميته.

وعدد صفحات المخطوط بأتمه ثلاثمائة وثمان وثمانون صفحة . تبدأ الرسائل فيه من صفحة 190 وتنتهي في صفحة 373.

ومقياسه هو 15×21 . ومتوسط عدد سطور الصفحة اثنان وعشرون سطرا . والرسائل نقلت بخط واحد . وهو خط مغربي تغلب عليه البداوة . وتتعذر قراءته في بعض الأحيان . والأخطاء فيه والإسقاطات قليلة نسبياً . وهوامش المخطوط خالية إلاّ من عبارات قليلة سقطت من متن الرسالة . فأضافها الناسخ بخطه ومداده على الهامش مع الإشارة إلى محلها.

ولا يستبعد كون هذه المخطوطة الناصرية هي أول ما جمع من رسائل أبي علي اليوسي لأن زاوية تمكروت التي اعتبرته تلميذها الفذ . اهتمت بجمع آثاره ومؤلفاته منذ بداية إنتاجه . وقد كتب له الشيخ محمد بن ناصر كتاباً عندما استقر اليوسي بفاس أيام الرشيد . يستحثه فيه على إرسال كتاب « زهر الأكم » يقول ابن ناصر في الرسالة (1) « وإن أتممت كتاب الأمثال الذي أنت في تأليفه منذ سنين . فابعث إلينا بنسخة . والسلام . وكتب لثلاث خلون من جمادي الأول عام ثمانين وألف . »

وناسخ هذه المجموعة غالبا ما يورد المرسل أو موضوع الرسالة قبل إثبات جواب اليوسي . وقد تمكنت من تصوير الجزء من المخطوطة من ص 190 إلى 373 أي الجزء الذي وردت فيه الرسائل . وفهرست رسائله كالتالي

---

(1) طلعة المشترى ص 261 طبعة حجرية

صفحة 341 جواب إلى الإخوان أهل جارت
الصفحة 348 : جواب « الرسالة النصيحة »
صفحة 369 جواب إلى أحمد بن ناجي في موضوع كتب التفاسير

أما المجموعة الثانية لرسائل اليوسي وهي أقل حجماً من الأولى ، **فهي في** مخطوط الخزانة العامة أيضاً رقم جـ 612. وهو مجموع من مكتبة التهامي الكَلاوي . وكل رسائل هذه المجموعة وعددها تسعة توافق رسائل مخطوط تمكَروت السابق إلا ثلاثة ، وهي في هذا المجموع تبدأ من الورقة الأولى للمخطوطة وتنتهي في ورقة 64 ومعها زيادة على الرسائل بعض التقاييد والمنظومات لليوسي أيضا وهي كالتالي

* الرسالة النصيحة في التصوف
* الرسالة إلى جماعة المريدين من قبيلة المزامز (أو رامز)
* بحث فيما يجب على المكلف من أصول الدين
* كتاب قواعد الإسلام من مضمون حديث النبي عليه السلام
* رسالة إلى جماعة الإخوان أهل جارت
* كتاب مفتاح الأصول
* رسالة في تفسير القرآن لغير المتقن لعلم النحو
* جواب في التربية الصوفية
* الرسالة إلى المقدمين الحاج علي وأبي القاسم بن معمر
* الدلالة الوافية في الرسالة الأسفية

وصية أبي علي اليوسي لأولاده

وفي آخر الوصية كتب الناسخ «كملت الوصية بحمد الله تبارك وتعالى عام 1286هـ». وكتب في ورقة 27 وعند انتهاء البحث فيما يجب على المكلف: « انتهى بحمد الله وحسن عونه ، وكان الفراغ منه يوم الخميس آخر ذي القعدة عام 1286 على يد كاتبه لصاحبه السيد حميدة بن يعثي العيساوي المجاطي يغفر الله على الجميع . عبد ربه محمد الطيب الحسني الادريسي. »

ومن ورقة 65 تبدأ مجموعة كبيرة من أجوبة محمد ابن ناصر ينتهي بها

المجموع عند ورقة 94.

وداخل الغلاف الجلدي للمخطوط ألصقت ورقة مخرومة قد أكلتها الأرضة نقلت فيها بعض الأشعار وبعض الأدعية. وفي الورقة الأولى في هامش « الرسالة النصيحة » كتب بخط مغربي بدوي مخالف لخط الناسخ « وفي هذا المجلد اثنا عشر تأليفا للشيخ أبي عبد الله محمد بن سيدنا الحسن بن مسعود اليوسي » (1)

وهو يعني بدون شك ما جاء في الجزء الأول من المجموع، الذي يتكون من رسائل ومنظومات وتقاييد اليوسي. والمعروف أن محمد بن الحسن اليوسي قد خلف أباه في المسائل المتعلقة بالزاوية والمريدين، هذه الزاوية التي كونها اليوسي « بخلفون ». وقد وقفت في مخطوطة بالخزانة العامة (2) على أجوبة لهذا الإبن يجيب بها محمد بن عبد الرحمان الصومعي، ومن ضمنها رسالة في موضوع معرفة الشهادتين أتى فيها بنفس الأفكار التي تناولها الحسن اليوسي في طرقه لنفس الموضوع في « المحاضرات »، وفي رسالة له أيضا في هذا الموضوع.

ولكن هذا لا يعني أن ينسب إليه ما عرف أنه لوالده، وأنا أتساءل عن معنى هذا الهامش وعن كاتبه. إذ أن جل الرسائل التي في هذا المجموع قد أثبت فيها أبو علي اليوسي إسمه إما في صدرها أو في آخرها. وهي كلها منسوبة إليه وباطراد في مخطوطات النسخ الأخرى. وأما المنظومات والتقاييد فهي منسوبة في مجاميع أخرى لأبي علي، فضلا عن أن المنظومات مثبتة في ديوانه.

لهذا أرى أن كاتب هذا الهامش ربما عنى أنها تآليف كانت في ملك أبي عبد الله محمد بن الحسن اليوسي. وقد وقفت في الخزانة العامة بالرباط على نسخة من كتاب « القانون » لأبي علي اليوسي، وعليها تحبيس بخط ابنه هذا للكتاب على الزاوية الناصرية بتمكروت.

---

(1) أبو عبد الله محمد بن الحسن اليوسي (... 1106هـ) من الفضلاء الفقهاء. مشهورا بالخير والصلاح أخذ عن والده أنظر ترجمته في الإعلام للمراكشي ج 5 10 سلوة الأنفاس ج 3 81 — 82 الدر المنضد الفاخر ورقة 221

(2) مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 3385 ص 261

فما لا شك فيه أن هذا الإبن هو أفقه أبناء اليوسي الثلاثة (3) وهو الذي تكلف بجمع تآليفه وشعره ومراسلاته ، إذ كان من والده بمنزلة الكاتب الخاص ، فهو الذي كتب « الرحلة » (4) من إملاء والده عندما اصطحبه إلى الحج.

وهذه المخطوطة جـ 612 بخط واحد من أولها إلى آخرها وهو خط مغربي بدوي رديئ جداً . أخطاؤه كثيرة فادحة ، وإسقاطاته كثيرة أيضاً ، ومما لا شك فيه أن الناسخ كان على جهل تام لما ينقل ، فالتحريفات لا تُعد ولا تحصى من ذلك مثلا الحديث المشهور: « إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متّبعا...الخ » كتبها: «... شحصا مطاعا وهو متبعا» ومن ذلك أيضا الإنكسار (بدل الإنكار)، الفتن والمنح (بدل المحن) حركات للسجد (... للجسد) ليشيبنا (بدل ليثيبنا) أصال (بدل إيصال وغيرها كثير جدا ، وهو يترك البياض في أماكن عدة كلما لم يصل إلى معرفة الكلمة

ومن حسن الحظ أن رسائل المجموع إلا اثنتين ، لها نسخ عديدة مكنتني من تصحيح المتن وتقويم المعنى.

ومقياس المخطوط هو 17×5 ، 22 ومتوسط سطور الصفحة 27 — 28 سطرا ومتوسط كلمات السطر 10 كلمات وهوامشه خالية من أي تعليق أو إضافة .

وفي غير هاتين المخطوطتين ، وقفت على الكثير من رسائل اليوسي متفرقة في مجاميع كثيرة في المكتبات العامة والخاصة ، أثبت أرقامها ووصفها ونسخها في المقدمة التي خصصتها لكل رسالة

أما مخطوطاتي الخاصة فهما اثنتان

الأولى مجموع يضم عدة رسائل وأجوبة لعبد القادر الفاسي ، والمسناوي

---

(3) هم أبو عبد الله محمد . ويعرف بمحمد الكبير ولد بالزاوية الدلائية . وقد سبقت ترجمته وشقيقه محمد العياشي وقد تأخرت وفاته إلى ما بعد 1119 الاعلام للمراكشي ج 1/10 وهو الذي تولى نقل جثمان والده وأخيه إلى الضريح الذي أحدثه بتمززيت . أنظر السلوى ج 3/81. كما كان له ولد ثالث اسمه عبد الكريم كان حيا سنة 1126هـ أنظر تقديم « شفاء السائل » لابن تاويت .

(4) « الرحلة » مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط رقم 2343

بن محمد بن أبي بكر وتسع رسائل لأبي علي اليوسي هي

وَصْلُ الشَّعَر ص 155

رسالة في التمثيل للعلم الشخصي «بِقَرْن» ص 157

* تعليق على قوله في الخلاصة «أو واقع موقع ما قد ذكر» (مبتور) ص 159

* رسالة حول شداد ابن عاد والخيل (مبتورة) ص 161

* جواب لإسماعيل في مسألة الأمة ص 161

* رسالة في قول البوصيري في بردته «إلا استلمت...» ص 165

* رسالة في الذكر والسماع ص 166

* رسالة العقيدة الصغرى ص 167

* جواب الفقيه العطار في موضوع التسلسل ص 168

والرسالتان الأولتان هما اللتان تنفرد بهما المخطوطة ، أما الباقية فتوجد لها نسخ متعددة في ق 302 مخطوطة تمكروت وفي غيرها وخطها مغربي متوسط وقياسها 5 ،21×15 ومتوسط عدد سطور الصفحة 26/25 سطرا.

الثانية وهي عبارة عن كناشة صغيرة ، يظهر أنها لأحد مقدمي ضريح المولى ادريس هو المحدث الفضيل الشبيهي الإدريسي ، نقل فيها رسالة لليوسي في موضوع الذكر والسماع في الصفحة رقم 10 وهذه الرسالة لها نسخ أخرى في مخطوطة تمكروت وغيرها كما نقل له بعض المنظومات في التوسل.

وقد نبهني أستاذي المشرف ورسالة الدبلوم في طور المراجعة إلى مخطوط قديم شارك به بعض الأفاضل من تطوان في جائزة الحسن الثاني للمخطوطات لسنة 1976 يضم بعض الرسائل الصوفية لليوسي . وقد أمكنني الاطلاع عليه في المعرض تحت رقم 6 ت ويحتوي على أربع رسائل للحسن اليوسي كلها سبق أن صورتها من مجاميع مختلفة من الخزانة العامة ، والخزانة الملكية بالرباط . وهذه الرسائل هي

الرسالة إلى جماعة الاخوان ص 7

الرسالة في دور الشيخ ص 9

الرسالة إلى جماعة قبيلة مزامزة ص 11

* الرسالة إلى المقدمين الحاج على وأبي القاسم ص 21

وقد تمكنت من مقارنتها بالنسخ التي في حوزتي

* **رسالة مشكوك في صحة نسبتها لليوسي :**

هذا وقد أدى التمرس بقراءة هذه الرسائل والإلمام بموضوعاتها ، وشرح غامضها بالرجوع للمظان المختلفة ، إلى التعود على أفكار وأساليب اليوسي مما جعلني أستبعد إدراج رسالة منسوبة إليه وقفت عليها في مخطوطة بقسم الوثائق التابع للخزانة العامة بالرباط في مجموع تحت رقم جـ 647 من ص 1 إلى 21 قال الناسخ « بسم الله الرحمان الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما رسالة سيدي الحسن اليوسي للسلطان سيدي مولاي إسماعيل نفع الله به المسلمين آمين ». وتبتدئ الرسالة بدون تصلية ولا مقدمة هكذا « فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته... »

أما الأسباب التي جعلتني أشك في نسبتها لليوسي وبالتالي عدم إدراجها ضمن مجموعة رسائله فهي

— رسائل اليوسي إلى السلطان إسماعيل غالبا ما يقدم لها بديباجة ، ثم هو مع إسماع السلطان ما يريد إسماعه ، لا يتخلى أبداً عن الدماثة والذوق ، ومراعاة أصول اللياقة ، والرسالة التي بين أيدينا بدون ديباجة تستعمل عبارة « واعلم ... » مكررة مما لا يناسب المقام .

— لا يتناول في رسائله إلى المولى اسماعيل شرح قواعد الدين كالصلاة والوضوء الخ...

— الأسلوب ليس أسلوب اليوسي ، فهو لا يستعمل الأسلوب الوعظي الزجري المنفر أبداً ، بل يخلل نصائحه بأمثلة وتفاريع تحليلية يناقش فيها كل فكرة يوردها ، ولا يستعمل هذا الاقتضاب الذي نجده في الرسالة

— اللهجة الأمرية الجافة المستعملة في الرسالة نحو : « حسِّن ظنك...

التمس الوسيلة... لا تتهمن أحداً... اجعل من شأنك... اطرد عنك سوء الظن... واعلم أنك... أشدد لسانك عن قول الكذب والزور...» هي غير لهجة اليوسي اللينة، المهذبة، النافذة بقوتها وعمقها وإقناعها.

— استعمال الرسالة لبعض الألفاظ الأندلسية مما لا نجد له أثراً في رسائله الأخرى مثلا: «....وظهر الخصب في كورك...» «واجعل في كل كورة من عملك أميناً يخبرك خبر عمالك»

— هذه الرسالة لا توجد إلا في نسخة فريدة في الخزانة العامة، ولا وجود لها في الخزانة الملكية التي اهتمت كثيراً بجمع رسائل اليوسي للمولى اسماعيل حتى لنجد رسالة «براءة اليوسي» و «جواب الكُتاب» فيها في مخطوطات متعددة. وكثيراً ما تكون في مخطوطات مستقلة دليلا على كثرة نقلها وتداولها.

— لم يورد كل من جاك بيرك ولا محمد حجى مؤلف «الزاوية الدلائية» هذه الرسالة في الجداول التي وضعوها لمؤلفات اليوسي.

وإنني سوف أُثبت هذه الرسالة مستقلة في ملحق بهذه الدراسة لكي يتمكن من يريد استعمال النظر من الاطلاع عليها.

ويظهر من كثرة النسخ التي وقفت عليها لرسائل اليوسي أن هذه الأخيرة كانت تلقي اهتماماً كبيراً في مختلف الأوساط، وفي مختلف العصور، لتنوع مواضعها، وتناولها لقضايا تهم مختلف المجتمعات. فاهتم الناس بنقلها وتداولها، لأن اليوسي لم يكاتب فقط مثقفي عصره، وإنما راسل جميع من سأله أو استفسره أو طلب رأيه، فسارت رسائله في كل بقعة من بقاع المغرب. وانتشرت عند الخاصة والعامة. فكل الرسائل الخارجة عن المخطوطتين الرئيسيتين، أو حتى التي تضمها أيضاً. مثبتة فرادي في الغالب في مجامع مختلفة، تخلو من كل توثيق كالتعليقات والتمليكات وتاريخ النسخ وإسم الناسخ.

4 — منهاج التحقيق

رتبت الرسائل على أنماط ثلاثة

الترتيب الأول

أفردت ملفّاً لكل مجموع صورته ، ووضعت له فهرستا خاصاً به مع إشارة لموضوع كل رسالة :

— ملف مجموع رسائل مخطوطة تمكَروت قـ 302 مع فهرست لرسائله ، وملحقه (الملحق : نسخ رسائله التي جمعتها فرادي من مخطوطات أخرى)

— ملف مجموع رسائل مخطوطة جـ 612 مع فهرسته وملحقه

— ملف رسائل مصورة من مخطوطات متعددة مستقلة عن قـ 302 و جـ 612 متعددة النسخ

— ملف رسائل مصورة من مخطوطات متعددة مستقلة عن قـ 302 و جـ 612 في نسخ فريدة

الترتيب الثاني الجذاذات

خصصت جذاذة لكل مجموع أخذت منه رسالة أو أكثر ، تصف المجموع ، وما جاء فيه ، وتصف هوامشه وغلافه وخطه الخ

الترتيب الثالث حسب الأغراض

وقد قسمتها إلى خمسة أقسام :

— رسائل في الشؤون العامة وأحوال المجتمع

— رسائل في التصوف
— رسائل في التوحيد
— رسائل في الفقه
— رسائل في مواضيع مختلفة
وهذا التقسيم هو الذي سرت عليه عند نقل المتن

أما عن المنهج الذي طبقته في تحقيق الرسائل فهو كالتالي :

اعتبرت كل رسالة مستقلة على حدة ، وسعيت للحصول على أكبر عدد من النسخ لها سواء بالتصوير أو بالنقل عن المخطوطات الأصلية ، ثم أحصيت هذه النسخ وحصرتها في مجموعات متشابهة

وصفت هذه النسخ ومجامعها ، وقارنت بينها مقارنة دقيقة ، متتبعة الفروق والإسقاطات والتحريفات ، مُحيلة في ذلك كله على الحاشية .

اعتمدت خصوصاً على مجموعة تمكروت في رسائلها كأصل ، أو على أوثق المخطوطات وأقلها أخطاء إذا كانت خارجة عنها وكل ذلك موضح في محله في المقدمة التي أفردتها لكل رسالة ، والتي تشير أيضا إلى المضمون بكيفية مختصرة ، وتنير الجوانب التي تعين على فهم النص.

نقلت المتن من النسخة التي رجحت كونها أصلا ، وأضفت الزيادات الموجودة في النسخ الأخرى مما يتطلبه المعنى والسياق بين مزدوجتين ، مشيرة لمصدر الزيادة في الحاشية . وفي حالات نادرة — أشرت إليها أيضاً في الهامش — سمحت لنفسي ببعض الزيادات الطفيفة ، إما كلمات بسيطة كالعاطف والجار ، أو كلمات سقطت من استشهاد لا يستقيم المعنى بدونها ، من ذلك ما صححت في رسالة « جواب الكُتاب » نقلا عن كتاب « التشوف » للتادلي ، إلا أنني في بعض المواطن التي تحتمل تقديرات كثيرة واحتمالات عدة ، نبهت للغموض في الحاشية وذكرت وجوه الترجيح فقط.

ولم أغفل أثناء ذلك على تصحيح جميع الأخطاء الإملائية خصوصاً واللغوية والنحوية التي وقع فيها النساخ ، ولم أر داعيًا للإشارة إليها في الحاشية

في معظم الأحيان ، واكتفيت برد الخطإ إلى الصواب.

ثم اتجهت بعد ذلك إلى عزو ما في النص لغير المؤلف من شاهد أو نص . شعراً كان أو نثراً ، ولم تكن الصعوبة التي لقيتها في تتبع ذلك في المظان لتثنيني عن بذل الجهد ، لأن البحث في حد ذاته كانت فيه المتعة والفائدة التي يعرفها من له الشغف بهذا النوع من الدراسات . ولكن الشيء الذي أوقف عملي في كثير من الأحيان هو التحريفات والأخطاء التي وقع فيها النساخ عند نقل الاستشهادات الشعرية وقد وجدت صعوبة كبيرة في تصحيح ألفاظها وتقويم أوزانها قبل الرجوع إلى المظان من دواوين الشعراء وكتب الأدب

أما فيما يخص التعريف بأعلام الأشخاص التي وردت في الرسائل فقد أخذت مني بعض الجهد نظراً لأن اليوسي كان غالباً ما يكتفي بذكر الكنية أو الإسم الشائع . أما الأعلام المغاربة فإنني تمكنت من التعريف بجلها إلا أن اليوسي كان يورد أحيانا أسماء لأعلام مغمورين من فقهاء جنوب المغرب ، لم أقف لهم على ذكر في كتب التراجم المغربية التي بين أيدينا ، ولا زلت جادة في البحث لإتمام ذلك بحول الله ، ورغم ندرة المراجع التي ترجمت لأعلام تلك المناطق

أما خدمة النص فهي تتعلق بتنظيم الهوامش والحواشي والتعليقات وقد راعيت فيها ما يأتي :

— قسمت الحواشي قسمين : قسم خاص بملاحظات المقارنة ، وهو الذي يأتي مباشرة بعد سطور المتن ، والقسم الثاني تحته بعد الفصل بينهما بخط مستقيم على عرض الصفحة . وخصصت القسم الثاني للهوامش والتعليقات من شرح مفردات ، وترجمة الأعلام ، وتخريج الآيات والأحاديث وغير ذلك . ورقمت ملاحظات المقارنة بالأرقام العربية تنتهي عند كل صفحة . ورقمت التعليقات بأرقام تنتهي عند نهاية كل رسالة.

— جردت الآيات القرآنية ، ورددتها لسورها وبينت رقمها ، وفي بعض الأحيان ذكرت بتمام الآية ليظهر الغرض من الاستشهاد بها

— خرجت الأحاديث النبوية والآثار وأرجعتها لمظانها المشار إليها في كل

تخريج واعتمدت خصوصاً على الصحيحين ، وعلى تخريج العراقي « لإحياء علوم الدين »

— ترجمت لكل الأعلام الواردين في النص باستثناء المشاهير الذين لا يحتاجون إلى تعريف

— وضحت مفهوم بعض المصطلحات ، وبعض التعابير العامية التي استعملها اليوسي في بعض خطاباته ، كما شرحت بعض المفردات الغامضة باتخاذ الثقافة المتوسطة كمقياس

— نسبت الأشعار إلى أصحابها في حدود ما مكنني البحث والاطلاع الشخصي ، لأن بعض الأشعار التي استشهد بها اليوسي هي من أشعار الفقهاء الذين لم يهتم بجمع أشعارهم في دواوين.

— وضحت معالم الرسائل باستعمال علامات التنقيط وتقسيمها لفقرات حسب المعنى ، إذ أن الناسخ غالباً ما ينقل الرسالة كلها كمقالة يمضي فيها من أول الشوط إلى نهايته دون أية علامة ، ودون توقف ، رغم اعتناء اليوسي بالتقسيمات والتحديدات والتبويب لأفكاره.

— وضعت فهارس للنص ، تعين على الوقوف على مواده ومحتوياته كفهارس الموضوعات ، وفهارس الاحاديث ، وفهارس الأعلام الخ

وأخيراً أرجو أن أكون قد أخرجت هذه الرسائل التي كانت مشتتة في غياهب المخطوطات المختلفة ، والتي تمثل صفحة ناصعة من الأدب الملتزم الحق ، في صورة أدنى إلى الكمال وأقرب إلى الإتقان ، وأسأل الله أن يجعله عملا نافعاً مقبولا

الفصل الأول

اليوسي

1 — البيئة السياسية والاجتماعية والفكرية بالمغرب في النصف الثاني من القرن الحادي عشر.

2 — بيئة اليوسي الخاصة نشأته، ثقافته، آثاره.

1 — البيئة السياسية والاجتماعية والفكرية بالمغرب في النصف الثاني من القرن الحادي عشر

عاصر أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي (1040هـ/1102هـ) فترة حاسمة من تاريخ المغرب، تلك التي تعرفها الشعوب عند تفكك وانقراض دولة، وإرهاصات قيام الأخرى، وما يصحب ذلك من تصارع القوى المختلفة المتواجهة في الميدان.

والواقع أن المغرب لم يعرف في تاريخه عصراً أكثر فوضى، وفتناً وضعفاً وتطاحناً على الرئاسة، من آخر عصر السعديين في النصف الأول من القرن الحادي عشر، وذلك بسبب تطلع كل أبناء المنصور الذهبي للمُلك وتقاتلهم عليه (1) مما أدى إلى الخراب وقيام الثوار في كل ناحية واستيلاء الأجانب من إسبان وبرتغال وإنكليز على مراسي المغرب، وطمعهم في داخله.

وبلغت هذه الحالة السيئة منتهاها حوالى سنة 1040هـ وهي سنة ازدياد أبي علي اليوسي حيث كادت تستقل كل جهة بملك. وكانت أهم القوى المتصارعة على الاستقلال بالسلطة يميزها الطابع الديني، وتدفعها في الظاهر قيم إسلامية:

وكان الدلائيون — وهم برابرة صنهاجيون يقطنون جبال الأطلس المتوسط بين خنيفرة وتادلا، أسس زاويتهم جدهم أبو بكر بن محمد الدلائي في القرن العاشر — (2) أقوى الثائرين شوكة، أعصوصبت جولهم قبائل البربر، واستبد رئيسهم محمد الحاج بنواحي المغرب الخصبة المتحضرة بأحواز تادلا ومكناس.

وكانت بينه وبين المجاهد أبي عبد الله العياشي الذي كانت له السلطة على

---

(1) مات أحمد المنصور سنة (1012هـ) وتقلص ملك السعديين حتى انتهى آخر الأمر إلى امارتين امارة فاس وإمارة مراكش وانتهى أمرهم بفاس سنة 1036هـ وسط حرب أهلية. وبمراكش سنة 1069هـ على يد قبائل العرب من الشبانات انظر البستان الظريف لأبي القاسم الزياني ص 7 مخطوطة الخزانة العامة والاستقصا ج 58/6 وتاريخ المغرب لهنري طيراس ج 209/2

(2) أنظر «نزهة الحادي» م خ ع ر الفصل المخصص للزاوية الدلائية ونشأتها من ورقة 163 إلى 171 أنظر أيضا «الزاوية الدلائية» لمحمد حجي.

بعض المناطق بالغرب وبعض الثغور خصوصا سلا . والجديدة . وتطوان . والعرائش وطنجة — صداقة ومودة وتعاون . ولكن سرعان ما تاق محمد الحاج إلى ضم هذا الجزء من الغرب إليه لتقوية نفوذه . فاستغل فرصة استنجاد سكان سلا من الأندلسيين به ضد العياشي . فزحف إليه بجيش جرار . وانتهت الحرب باستيلاء محمد الحاج على فاس وتامسنا وسلا وتطوان وسائر بلاد الغرب سنة 1051هـ (1)

أما في جنوب المغرب فقد أفلح شرفاء تافيلالت من تدعيم مكانتهم وتوسيع نفوذهم بعد أن تمكن محمد ابن الشريف من الانتصار على منافسه في الجنوب أبي حسون السملالي المعروف بأبي دميعة صاحب إمارة إيليغ . وأخرجه من درعة وسجلماسة . واضطره إلى القناعة بمسقط رأسه في السوس حيث توجد زاوية جده سيدي أحمد بن موسى . وأخرجه من درعة وأعمالها بعد حروب ضارية سنة 1050هـ . فبايع أهل الصحراء جميعاً محمد بن الشريف « واتسعت إيالته وتوفرت جموعه وعظمت جبايته وطار في بلاد المغرب صيته » (2)

وأسفرت الأحداث في هذه المرحلة عن وضع قوتين ثائرتين وجها لوجه قوة بربرية في الغرب يدعمها ماضي الزاوية الدلائية المجيد . العلمي والديني . وقوة في الجنوب تستمد معنوياتها من الانتساب لآل البيت . وحقها الطبيعي في الخلافة.

وأحس الرئيس محمد الحاج بأنه أكثر عدداً وأوفر قوة . كما فطن لشدة طموح محمد الشريف وتطلعه لما بيد الدلاء . فعبر إليه نهر ملوية . وكانت بينهما معركة القاعة (1056هـ) التي انهزم فيها محمد الشريف . وأدب الدلائي أهل تافيلالت خلال حرب دامية وطدت عزم محمد الشريف على القضاء على أهل

(1) نزهة الحادي ورقة 155 مخطوطة الخزانة العامة بالرباط
(2) أنظر الاستقصا ج 16/7

زاوية الدلاء في أول فرصة سانحة (1).

وخلال العشرين سنة التي استبد فيها محمد الحاج الدلائي بالغرب حاول شرفاء تافيلالت خاصة محمد الشريف . في حركات سريعة إضعاف جناحه بالنهب والإتلاف وحرق الزرع والاستفزاز . وتم له ما أراد عندما قامت ثورة الخضر غيلان الجرفطي في الشمال (1063هـ) . وانضمت إليه قبائل الهبط وأعراب الخلط وسائر قبائل الغرب التي ترغب في التخلص من الدلائيين (2)

وفي هذا الظرف بالذات ظهر على مسرح الأحداث المولى الرشيد بن الشريف . قام على أخيه ودعا لنفسه في شرق المغرب وجمع كلمة أعراب الشرق عليه . فنهض أخوه لقتاله فكانت معركة آنكَاد (1075هـ) تغلب فيها الرشيد . فدانت له القبائل . وأخذ في تمهيد وإخضاع أقاليم المغرب إقليماً إقليماً فأخذ تازة فسجلماسة . ثم حاصر فاساً وفتحها سنة 1076هـ . وأخضع الغرب الذي كان يستقل به آنذاك الخضر غيلان الثائر . ثم أخضع مكناسة وأحوازها . ومنها خرج لحرب أهل الدلاء في محرم سنة 1079هـ وكان النصر حليفه « ببطن الرمان » من فازاز ودخل المولى الرشيد الزاوية الدلائية .

وعن أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي . أحد علماء وأساتذة الزاوية . أخذ جميع مؤرخي المغرب تسجيل تلك اللحظة الرهيبة في تاريخ زاوية الدلاء (3). يقول اليفراني : « ولما دخل مولانا الرشيد الزاوية غير محاسنها . وفرق

(1) يقول محمد الشريف في رسالة لمحمد الحاج الدلائي بعد معركة « القاعة » مباشرة : وأما ما احتوى عليه بساط الغرب . ما بين بربر وعرب . فقد طمعنا من الله كونه في القبضة . عندما تمكن إليه النهضة . ان لم أكنه بالذات والديوان . فبالأبناء والإخوان . كعوائد الدول يشيد الأخير منها ما اسسه الأول . . » أنظر الاستقصا ج 7 18

(2) أنظر الاستقصا ج 7 27 أنظر الزاوية الدلائية لمحمد حجي ص 217 وما بعدها

(3) قال أبو علي اليوسي في كتابه « المحاضرات » « كان الرئيس أبو عبد الله محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر . قد ملك الغرب سنين عديدة . واتسع هو وأولاده واخوته وبنو عمه في الدنيا . فلما قام الشريف السلطان رشيد بن الشريف ولقي جيوشهم ببطن الرمان فهزمهم . وذلك أوائل محرم فاتح سنة 1079هـ . فدخلنا عليه وكان لم يحضر في المعركة لعجزه من كبر سنه . فإذا بالفل يدخلون . فدخل عليه أولاده واخوته وأظهروا حزنا شديدا . وضيقا عظيما . فلما رأى منهم ذلك قال لهم ما هذا ؟ ان قال لكم حسبكم فحسبكم . يريد الله تعالى » المحاضرات ص 86 — 87 الطبعة الحجرية .

جمعها . وطمس معالمها . وصارت حصيدا كأن لم تغن بالأمس.. » (1)

ثم أزعج الرشيد علماء الدلاء ومن بينهم أبي علي اليوسي لفاس للتدريس بها . ونفى محمد الحاج وعائلته القريبة إلى تلمسان (2). ودخل مراكش وقضى على عرب الشبانات سنة 1079هـ الذين استبدوا بالأمر بعد موت آخر السعديين بها . وتوجه إلى جنوب المغرب فأطاح بإمارة إيليغ ومهد السوس سنة 1081هـ (3)

غير أن المنية تباغث السلطان الرشيد سنة 1082هـ . ويخلفه أخوه المولى إسماعيل يبايعه أهل الحل والعقد من علماء فاس وأشرافها ومن ضمنهم أبي علي اليوسي . وكان على السلطان الجديد أن يصرف أكثر من عشرين سنة من ملكه الطويل في تهدئة أقاليم المغرب عموماً . وقبائل برابرة ملوية والأطلس المتوسط خصوصاً التي ظل وفاؤها لأصحاب الزاوية الدلائية

وتعاقبت على المسرح السياسي هزات عنيفة كان لها الأثر الكبير على الحياة العامة في البلاد . وكان لها الأثر البليغ على حياة أبي علي اليوسي سواء منها النفسية أو العلمية . ويصعب فهم إنتاج هذا الأديب وخصوصاً الرسائل إذا نحن لم نلم بهذه الأحداث :

— ففي سنة 1083هـ ينتفض أهل فاس . ويقتلون قائد الجيش . فيحاصرهم المولى إسماعيل أكثر من السنة إلى أن يخرجوا إليه تائبين مبايعين (4) وأثناء هذا الحصار يستأذن اليوسي السلطان في الخروج من فاس إلى مسقط رأسه ويستقر بخلفون (5)

— وفي سنة 1085 ثار على المولى إسماعيل ابن أخيه أحمد بن محرز الذي دخل مراكش واستولى عليها . والتقى به السلطان على وادي العبيد وهزمه شر

(1) نزهة الحادي ورقة 167 ظ.
(2) أنظر تفصيل ذلك في « الزاوية الدلائية » ص 235.
(3) الإستقصا ج 7/40 — 41
(4) أنظر الاستقصا ج 7 47 — 48.
(5) أنظر رسالة جواب الكتاب وهي أول الرسائل في الشؤون العامة في هذا البحث

هزيمة ثم حاصره بعد ذلك في مراكش في أوائل 1086 ــ وفي هذا الحين أمر السلطان أبا علي اليوسي بالرحيل من خلفون آخر سنة 1085

ــ وفي سنة 1087هـ يرجع أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج الدلائي من المنفى ويلتجئ إلى الجبال . ويجتمع حوله البرابرة الصنهاجيون في ثورة عارمة . مكتسحين المناطق المجاورة لهم من تادلة إلى سايس فيبعث لهم السلطان بحملات متعددة ما بين سنة 1091/1090هـ وسنة 1099هـ . وينتهي بالإنتصار عليهم والتغلب على جموعهم (1)

ــ وفي سنة 1091هـ يخرج السلطان لمحاربة بني يزناسن . دخل جبلهم وخرب قراهم وحرقها . وقتل رجالها وسبا أولادهم وبني القلاع وأنزل فيها الخيل والعبيد (2)

ــ وفي سنة 1094هـ حركة جبال فازاز وهم آيت يدراسن من برابرة صنهاجة . ضيق عليهم السلطان الخناق حتى نزلوا عن خيلهم وسلاحهم ودفع لهم عشرين ألفا من الغنم كلفهم بحفظها ورعايتها يدفعون كل عام صوفها وسمنها(3) .

ــ وفي سنة 1096هـ يخرج السلطان لغزو بلاد ملوية . جاعلا طريقه على مدينة صفرو . فتفر القبائل البربر إلى رؤوس جبال العياشي ومن بينهم آيت يوسي . ويقيم السلطان في طريقه القلاع حتى ينتهي إلى ملوية ، فيقيم على نهرها سنة بأكملها يشن أثناءها الغارات عليهم حتى قضى القضاء المبرم على مقاومتهم . ونزلوا له عن الخيل والسلاح (4) وفي هذه الأثناء أجبر السلطان أبا علي اليوسي بالإقامة بالزاوية الدلائية الخربة.

ــ 1099هـ حركة جبل فازاز مرة أخرى . أقام السلطان يحاربهم ما يناهز السنة . وبنى قلعة أدخسان حصنها بألف وخمسمائة جندي وأنزل بزاوية الدلاء مثلها (4)

---

(1) أنظر الاستقصا ج 53/7. تاريخ المغرب لهنري تيراس ج 2 262
(2) أنظر الاستقصا ج 62/7 البستان الظريف لأبي القاسم الزياني مخطوطة خ ع ر ص 7 وما بعدها
(3) أنظر الاستقصا ج 67/7
(4) أنظر المرجع السابق ص 68. البستان الظريف ص 9 وما بعدها

— 1104هـ الحركة الكبرى على برابرة فازاز بالمدافع والمهارز والمجانيق وآلات الحصار. وكانت مجزرة رهيبة «لم يبق بعدها من ينبض له عرق من البربر» (1)

وفي هذا الجو المضطرب، ساعدت الزوايا، وشيوع الطرقية، وانتشار الخرافات والإيمان بالصالحين وكراماتهم على ظهور طبقة إقطاعية عملت على تمزيق البلاد وإضعافها، واستغلال الطبقة الدنيا، وعرف المغرب في خضم تلك الحروب نهب الممتلكات، وحرق المزروعات وغير ذلك من ضروب الإتلاف، خلف هذا كله الغلاء الفاحش الذي عرفته المدن، ثم المجاعات المتتالية. وقد شكى سكان فاس في أواخر هذه الحقبة شدة وطأة الوظائف التي تضرب عليهم للسلطان. وما لبثت الأوبئة أن انتشرت، واجتاح الطاعون سنة 1099هـ شمال البلاد، ثم ظهر بفاس يزحف للداخل، وقطعت السبل ومات خلق كثير (2)

وآخر ما شهده أبو علي اليوسي من الأحداث الاجتماعية الخطيرة كانت جمع الحراطين من جميع مدن وقرى المغرب وتشكيل جيش البلاد منهم سمي «جيش البخاري». وبدأ ذلك سنة 1100هـ وأحدث ذلك قلاقل وأحداث اجتماعية ذهب ضحية لها بعض العلماء (3)

ولعل هذه الحالة السيئة التي كانت عليها البلاد هي التي فرضت تعدد المراكز الثقافية في البوادى. فالحركة الفكرية النشيطة التي عرفتها مدن فاس ومراكش في عهد ازدهار السعديين قد انتقلت في عصر الاضطراب والفتن إلى البوادي. وشدت الرحال خصوصاً للزاوية الناصرية بتمكَروت بدرعة، والزاوية الدلائية في قلب الأطلس المتوسط، وكانت طرق التدريس فيها قويمة صحيحة، تتصل توّاً بالمتون الكبرى، وتعطي الدارس الثقافة المتينة المتفتحة التي بدأت في ذلك الحين تفتقر إليها بعض مدارس فاس التي قنعت بحفظ الملخصات والشروح.

---

(1) أنظر ذلك مفصلا في البستان الظريف لأبي القاسم الزياني والاستقصا ج 68/7
(2) أنظر نشر المثاني مخطوطة خ ع ر ورقة 40 و وما بعدها
(3) أنظر الدر المنضد الفاخر للكلالي مخطوطة خ ع ر ص 173 تاريخ الدولة السعيدة للضعيف الرباطي مخطوطة خ ع ر رقم د 758 ورقة 45 و

وَتَنَقُّلُ أبي علي اليوسي في طلب العلم في أعوام الستين الذي تعرض له في « المحاضرات » يذكر فيه مراكز بدوية أخرى أغلبها في الجنوب كبلاد القبلة . وسجلماسة . والسوس . وهشتوكة ودكالة .

وقد عرفت هذه الحقبة رغم أحداثها وُجوهاً أثْرت الثقافة المغربية وصبغتها فكريا بالصبغة الدينية القائمة على الحركة الصوفية : كأبي عبد الله محمد بن ناصر وطلبة تمكروت . وعبد القادر الفاسي وفقهاء زاوية القلقليين بفاس . ومحمد أبي بكر الدلائي وعلماء الدلاء (1)

*

(1) أنظر التفاصيل عن علماء هذه المدارس الثلاث في : طلعة المشتري للناصري ص 133 طبعة حجرية الفهرست لليوسي مخطوطة خ ع ر رقم كـ 0301 ص 134 ـــ 164. البدور الضاوية للحوات مخطوطة خ ر 261 أوراق من 25 إلى 230

2 — بيئة اليوسي الخاصة : نشأته . ثقافته . آثاره

أما البيئة الخاصة التي عاش فيها أبو علي اليوسي فهو قد تحدث عنها بنفسه في كتابه « الفهرست » الذي بدأ في تأليفه في أواخر أيامه للترجمة لنفسه . وفي بداية كتاب « المحاضرات ».

قال يعرف نفسه (1) : « أنا الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن علي بن عمر (2) بن يوسف وهو أبو القبيلة بن داود بن يدراسن بن يَلَنْتَن (3) ، فهذا ما نعد من النسب إلى أن دخل بلد « فركلة » في قرية منه تسمى حارة الأقلال (4) وهي معروفة الآن . والكنية أبو علي وأبو المواهب وأبو السعود ، وأبو محمد... وأما اليوسي فأصله اليوسفي كما مر من أن يوسف هو أبو القبيلة ، ويسقطون الفاء في لغتهم » (5)

فقبيلة آيت يوسي هي فرع من آيت يدراسن وهي من القبائل البربرية الصنهاجية التي كانت تقيم فيما بين ملوية العليا ، وأطراف جبل العياشي من بلد فازاز ، أواخر القرن الحادي عشر الهجري (أواسط القرن السابع عشر الميلادي). يقول الأستاذ جاك بيرك في كتابه عن اليوسي : « ففي أواسط القرن السابع عشر نجد آيت ادراسن وهي مجموعة تحدها غربا آيت أومالو . وشرقا آيت يافلمان والتي تنتسب كلها إلى جبال الأطلس الشرقي وجبل العياشي » (6)

---

(1) « المحاضرات » ص 10 طبعة حجرية

(2) في « المحاضرات » المخطوط رقم جـ 32 خزانة العامة بالرباط زيادة « بن يحي

(3) في المرجع السابق « ينتو » . وفي نسخة أخرى للمحاضرات مخطوط د 2364 بن يشتن

(4) مخطوط جـ 32 « أقلال »

(5) في « فهرس الفهارس » للكتاني ج464/2 : « هو أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف بن داود بن يدراسن اليوسي البوحديوى من آيت بوحدو . هكذا لأبي التوفيق الدمنتي في فهرسته . ولغيره بن داود بن حدابن أويس المعروف باليوسي اليدراسي ... وكونه من آيت يوسي هو الذي صرح به المترجم نفسه في المحاضرات »

(6) « اليوسي » لجاك بيرك ص 7

ويغلب على الظن أنهم انتقلوا من الجنوب إلى موطنهم الشمالي الحالي بأمر من المولى اسماعيل الذي حارب هذه القبائل لمدة طويلة أثناء حركات كثيرة انتهت كما رأينا إلى تجريدها من السلاح وإقامة قلاع تابعة للسلطة المركزية . ونحن نعرف اليوم في الأطلس المتوسط آيت يوسي أمقلة وآيت يوسي انجيل وآيت يوسي كَيكَو وهي كلها تتوالى على طول الطريق من فاس إلى تافيلالت على طريق صفرو (7)

ــ والراجح أن أبا علي الحسن بن مسعود اليوسي ــ الذي هو شيخ الزاوية المعروفة اليوم « بزاوية سيدي لحسن اليوسي » والواقعة على بضعة أميال من صفرو ــ استقر هو وأسرته حديثاً في عصر المولى اسماعيل على ضفاف واد زغان ، بعد أن أمر المولى إسماعيل بإزعاجه من خلفون على وادي أم الربيع ، حيث اختار الاستقرار بعد خروجه من فاس أثناء حصارها.

فالرجل إذن سوسي صنهاجي تربط بينه وبين الدلائيين المجاطيين الذين استوطنوا هم كذلك ضفاف نهر ملوية العليا ، وشائج القرابة التي تلتقي في صنهاجة .»

هذا عن البيئة الخاصة من الناحية الطبيعية ، ولم يكن عديم الجدوى أن نضع الرجل في إطاره المحلي : بلاد قاسية ، أمن منعدم ، ثورات تتلوها حملات قمعية ، حركة مد وجزر للجماعات البشرية . هذا لأن أهم ما يميز شخصية هذا الأديب ، وهو مدين به لأصوله البدوية وإحساسه الحاد بتنوع واختلاف الإنسان والأرض ، بهذه الربوع المغربية ، وحتى نجاحه لم يفلح في جعله يتعود الحاضرة ، وفاس سوف تشعره دائما بذلك (8)

*

(7) المرجع السابق

(8) أنظر حديثه عن ذلك في « المحاضرات » ص 72 طبعة حجرية

نشأة اليوسي (1)

---

(1) المصادر التي ترجمت لأبي علي اليوسي عديدة وقد استفدت من أغلبها . وقد تحدث عن نفسه في كتبه ورسائله خصوصا منها « المحاضرات » مطبوعة طبعة حجرية بفاس ولها نسخ مخطوطة كثيرة في مختلف الخزانات . الفهرست » وهو في ترجمته خاصة لم يكلمه . مخطوطاته بالخزانة العامة والملكية بالرباط « الرحلة » مخطوط خ ع ر : 2343 . الرسالة الكبرى لاسماعيل . وهي ضمن هذه الرسائل . وصية اليوسي » وهي ضمن هذه الرسائل أيضا.

أما المصادر الأخرى لترجمته فهي :

1 — الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة : محمد المكي بن موسي الدرعي بن موسي الدرعي مخطوطة خ ع ر ک265 ص 53/35

2 — صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر مخطوط خ ع ر د 54 ص 239/233

3 — نزهة الحادي في أخبار القرن الحادي لليفرني مخطوط خ ع ر رقم د 1406 ص

4 — نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري مخطوطة خ ع ر ج 2 ورقة 26 ظ

5 — فهرست العميري مخطوط خ ع ر ک 1361 ص 138 — 188

6 — البدور الضاوية للحوات مخطوطة خ ع ر د 261 ص 224 الفصل الخاص لخروج أهل الزاوية الدلائية

7 — مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار لأحمد بن يعقوب الولالي مخطوطة خ ع ر ق 342 ص 35

8 — نزهة الناظر لأحمد بن عبد القادر التستاوتي مخطوطة خ ع ر ک 1669

9 — تحفة الاعلام للزياني مخطوط خ ع ر ک 224 ص 162

10 — البستان الظريف للزياني مخطوطة خ ع ر رقم د 1577 ص 40

11 — هداية الملك العلام لأحمد المشتوكي مخطوط خ ع ر جـ 190 ص 52

12 — المورد الهني لمحمد بن أحمد بن محمد الفاسي مخطوطة خ ع ر ک 1234 ص 231

13 — التقاط الدرر لمحمد بن الطيب القادري مخطوطة خ ع ر د 676 من ص 64 — 66

14 — سلوة الأنفاس محمد بن جعفر الكتاني ج 81/3 طبعة حجرية

15 — دوحة البستان ونزهة الاخوان في مناقب الشيخ علي بن سيدي عبد الرحمان مخطوطة خ ع ر د 390 ص 207

16 — رياض الورد إلى ما انتهى إليه هذا الجوهر الفرد أبو عبد الله الطالب بن حمدون بن الحاج مخطوط خ غ ر د 111 ص 22/21

17 — الجيش العرمرم الخماسي لأكنسوس مخطوطة خ ع ر د 965 ص 60

18 — الدر المنضد الفاخر محمد بن عبد القادر الكلالي مخطوطة خ ع ر د 1584 ورقة 216 ظ

19 — المنزع اللطيف في التلميح بمفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف مخطوطة خ ع ر جـ 595 ص 308

20 — الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام عباس بن إبراهيم المراكشي ج 2
21 — فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ج 2 464 طبعة حجرية
22 — طلعة المشتري في النسب الجعفري طبعة حجرية
23 — طبقات الحضيكي مخطوطة خ ع ر د 1124 ورقة 68 وما بعدها
24 — الاغتباط بتراجم أعلام الرباط محمد بوجندار مخطوطة خ ع ر د 1287 ص 14
25 — تاريخ الدولة السعيدة للضعيف الرباطي مخطوطة خ ع ر د 758 من ورقة 23 ظ إلى 25 ظ
26 — سوس العالمة للمختار السوسي ص 67
27 — الجبرتي ج 68/1
28 — اليواقيت الثمينة ج 133/1
29 — شجرة النور الزكية ص 328
30 — الأعلام للزركلي ج 237/2 .
31 — جاك بيرك : « اليوسي » أو مشاكل الثقافة المغربية في القرن السابع عشر موطون لاهاي 1958
32 — بروكلمان ج 455/2
33 — مؤرخو الشرفاء ليفي بروفنصال ص 269 — 272
34 — معجم المؤلفين لكحالة
35 — دليل مؤرخي المغرب لعبد السلام بن سودة
36 — النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 285/1
37 — الزاوية الدلائية لمحمد حجي ص 97 — 108
38 — ديوان اليوسي تحقيق الأستاذ عبد الحميد محمد المنيف

ولد أبو علي اليوسي حوالي سنة 1040هـ بمنطقة ملوية العليا من بلاد فازاز في عائلة متوسطة هي إلى الفقر أقرب ، متدينة . فأبوه « مع كونه أميًّا ، كان رجلا متديناً ، مخالطا لأهل الخير ، محبا للصالحين ، زواراً لهم ، وكان أُعطي الرؤيا الصالحة وأُعطي عبارتها » إلى أن يقول : « وكان لي أخوان أسن مني فماتا أميين رحمهما الله » (1)

وهذا الوسط سوف يسم اليوسي طول حياته ، وسوف يذكره ويحن له بعد فراقه له بوقت طويل . وليس هذا من قبيل الحنين العاطفي ، أو حنين له صلة برهافة إحساس الأديب ، بل هو يعتبر نفسه قطعة من الأرض التي غذته ، ومن هذا الوسط الذي احتضنه ، وهو يومن بأنه استقى من هذا كله جملة مؤهلاته . وهو يخص هذا الموضوع ببحث خاص في كتاب « المحاضرات » (2)

ويمكن أن نحصر حياة اليوسي بصفة عامة في ثلاث فقرات

أولا الصبا والتكوين والتنقل لطلب العلم حتى أعوام الستين

ثانيا الاستقرار بالزاوية الدلائية من أعوام الستين حتى تخريبها سنة 1079هـ

ثالثا ما بعد الزاوية الدلائية من 1079هـ إلى 1102هـ سنة وفاته

الفترة الأولى 1040هـ .1060هـ إذا كنا قد اعتبرنا الطابع المتميز الذي طبع اليوسي منذ ولادته ، والمتمثل في الإطار الطبيعي ، وتدين الأسرة ، فلابد أن نعتبر عاملين آخرين خارجيين كان لهما كبير التأثير على هذه الشخصية الغنية هما رحلاته المتعددة لطلب العلم قبل الزاوية الدلائية ورحلاته بعدها ، ثم ولاء قبيلته لمحمد بن أبي بكر الدلائي خصوصاً وللدلاء عموماً قال صاحب النزهة : « وكان لبرابرة ملوية فيه اعتقاد عظيم ، وخدمة تامة ، يتبركون بآثاره ولا يتجاوزون رأيه ، ويقفون عند حده ومقداره » (3). وهذا ما جعل اليوسي

---

(1) المحاضرات ص 29 طبعة حجرية

(2) المحاضرات ص 29 طبعة حجرية

(3) أنظر نزهة الحادي لمحمد الصغير اليفراني مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ص 278

يعامل بمثل ما عومل به الدلائيون عندما خرب زاويتهم المولى رشيد فوجههم جميعاً وفيهم اليوسي فقط دون غيره ممن كان مقيماً هناك إلى فاس وأجرى عليه ما أجرى عليهم من النشاط التعليمي بعيدين عن السياسة ، مرَاقَبِين عن كثب في حلهم وترحالهم.

وفي هذه الفترة الأولى من حياته تنقل كثيراً لينتهي به المطاف إلى زاوية له بها من الصِلات العِرقية والشعورية ما لم يتمكن من إخفائه ولا التغلب عليه في الفترة الأخيرة من عمره ، نشأ اليوسي نشأة دينية ، وبعث به والده إلى كتاب القرية لحفظ القرآن ، غير أن ما طبع عليه من خجل شديد لا يجعله يقبل إقبال الراغب.. حتى ماتت والدته فكان لهذا الحادث أثر بليغ على شعوره المرهف قال : « فتنكرت عَلَيَّ الأرض وأهلها... وكان ذلك سببا للفتح ، فألقى الله في قلبي قبول التعلم » (1) ودفعه هذا إلى الإلحاح على أبيه ليقربه إلى الأمصار ، وهو بعدُ صبي يافع.

فخرج إلى بلاد القبلة صحبة معلم الكُتاب ، وهناك يختم القرآن ، ويحضر بعض الدروس في مبادئ العربية ثم يعود معَ المعلم أبي اسحاق إلى آيت يوسي ، وتقوم بينهما صحبة فيمكنه من كتب في التصوف خصوصاً « المورد العذب » لابن الجوزي فيكون لها التأثير البالغ على روح الصبي الجياشة وعلى نفسه الصافية يقول في الفهرست : فانتقشت تلك المآثر في عقلي ووقعت حلاوتها في قلبي فكان ذلك سبباً وبذراً لما أنعم به الله تعالى عليَّ من الإيمان بالطريقة ومحبة أهلها » (2)

وفي هذا الصبا المبكر ، تمكن منه الميل إلى الصلاح والتصوف ، وتأثر بسيرة أويس القرني ، وإبراهيم بن أدهم ، ودفعه هذا إلى أن يخرج هذه المرة في رحلة لزيارة صلحاء « ميسور » ثم « تغاية » لزيارة القطب أبي يَعْزى ، وسوف نرى في جميع مؤلفاته وخصوصا منها « المحاضرات » كيف سيظل وفيًّا لهذه الزيارات طول

---

(1) الفهرست مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ك 1234 ص 129
(2) أنظر الفهرست ص 130

عمره مع ما يمكن أن يثيره هذا الصنيع من دهشة ، وهو يصدر عن فقيه سني في مكانة اليوسي .

والرحلة الثالثة في هذه الفترة وهي أكثر الرحلات طولا وإفادة علمياً ، هي التي قادته إلى نواح متعددة خلال سنوات ، ولم يستقر في موضع معين ، وعندما يحدد زمنها يذكر أعوام الستين . فهي كانت سنوات التكوين الممتلئة النشيطة وكانت في الجنوب عموماً ، وفي السوس الأقصى خصوصاً ، فنراه يتتلمذ للعلامة أبي بكر الحسن التطافي ، وأبي العباس أحمد الدراوي ، وأبي فارس عبد العزيز الفيلالي . ثم في مراكش تتلمذ لقاضي قضاتها أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني ، ثم في دكالة مع الفقيه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم وغيره . وعاد إلى السوس الأقصى مرة أخرى ليأخذ عن أبي فارس عبد العزيز الرسموكي ، وفي إمارة إيليغ السوسية يقيم مدة يعيِّنه أميرها أبو حسون السملالي أستاذا في تارودنت وهو لم يبلغ العشرين بعدُ ، فيقيم على ذلك حيناً ثم يغادرها إلى درعة حيث يلتقي بشيخ زاوية تمكروت أبي عبد الله محمد بن ناصر ، وهناك يتمكن من العلوم التي كان قد بدأها ، ويكتشف التصوف السُّني في شخص شيخ الزاوية . ويمكث هناك مدة كل أوقاتها مملوءة بالدرس والتحصيل الكثير كما ذكر في فهرسته . ولاشك أنه أيضاً فكر كثيراً وتأمل كثيراً وشرع في أرواء ظمإه القديم إلى التصوف ورجاله وتعميق ميولاته الروحية : فعن الشيخ بن ناصر في هذه الحقبة أخذ « إحياء علوم الدين » للغزالي « والشفا » للقاضي عياض « وطبقات » الشعراني الخ... وعنه أخذ عهد الشاذلية ، وانتفع به كما قال ظاهراً وباطناً ومن حلقة الشيخ اتجه اليوسي نحو الزاوية الدلائية.

الفترة الثانية : وصل اليوسي للزاوية الدلائية في أعوام الستين (1) ولم تكن ثقافته قد تبلورت بعد ، فانتسب للزاوية طالباً ثم أستاذاً خلال مدة ، وكان للزاوية : « صيت عظيم ، وكان بها معاناة العلوم والدؤوب على التدريس والإقراء ليلا ونهاراً حتى تخرج بها جماعة من صدور العلماء وأعيانهم » (2)

(1) المحاضرات ص 141 طبعة حجرية
(2) نزهة الحادي لليفراني ص 278

وعرف خلال العشرين سنة التي قضاها بالدلاء استقرارا لم يعرفه قبل . ولن يعرفه بعد ذلك . وفيها أخذ عن أحمد بن عمران الفاسي كما ذكر في «الفهرست» ومحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي وغيرهم . قال صاحب الصفوة : « فنشأ رحمه الله في العلم بحراً زاخر العباب . وشمساً منيرة في سائر الآفاق . وكان معظم قراءته بالزاوية . فيها أورى زنده واشتعلت جذوته . وظهر في مضمار الأذهان تبريزه » (1)

فالزاوية كانت فترة التبلور ثم الإشعاع . صاهر فيها الدلائيين . وعاش بينهم حياة ترف مادي وعلمي وأدبي . وفيها بدأ جل مؤلفاته غير « المحاضرات » « كزهر الأكم » . « والحاشية على الكبرى » وغيرها . يظهر ذلك من مكاتبات شيخه ابن ناصر له (2). وأحله محمد الحاج مكانة مرموقة . تليق بمستواه العلمي والأدبي . وصدق إيمانه وحبه للعلم والتعليم : قال في الصفوة : « وكان لرئيس أهل الدلاء الفقيه الفاضل أبي عبد الله محمد الحاج مزيد اعتناء به واحتفال . لما رأى له من البراعة في العلوم . والتمهر في الفنون . فكان عنده بالحظوة التامة » (3)

« غير أن الدهر أبو العجائب » كما يقول في مستهل كتابه « المحاضرات » فكانت خاتمة حياته المستقرة هزيمة الدلائيين ببطن الرمان من فازاز . حيث يعود الفل . ويدخل أبناء محمد الحاج عليه جزعين بمحضر اليوسي (4) ويخرب الرشيد الزاوية (1079هـ) وينفي أهلها إلى فاس ثم إلى تلمسان . ويزعج اليوسي إلى فاس للسكنى والتدريس بها وهو في الأربعين من عمره .

الفترة الثالثة من حياة اليوسي وهي الفترة الحاسمة التي تهمنا أكثر من غيرها لفهم جل الرسائل التي بين أيدينا . بل لفهم كل مؤلفات اليوسي التي كتبها أو أكملها في هذه الحقبة الشديدة الاضطراب من حياته .

---

(1) صفوة من انتشر ص 235

(2) أنظر طلعة المشترى ص 261.

(3) الصفوة ص 236

(4) أنظر المحاضرات ص 86

يدخل فاس فيكره بيئتها وأهلها (1) وينشأ بينه وبين علمائها خلاف يزيد من ألمه (2) ويخرج من فاس عند انتقاضها لبيعة المولى إسماعيل ليعود إلى الرحلة من جديد . ولكنها هذه المرة تتم في جو يختلف تمام الاختلاف عن جو الأولى . جو الكآبة والقهر . والضغط المعنوي والمتابعة السياسية.

استأذن اليوسي المولى إسماعيل في الخروج من فاس أثناء الحصار (1083هـ). ووجد في هذه القرصة مفرجاً كان ينتظره (3) . فيزور زوايا الشمال ، وثغر تطوان . ويفارقها مارًّا بجبل بني زروال ، وينزل في « الشِّعْب » الذي بنى فيه « دويرات » (4) مكتفياً بحياة البادية وتعليم الناس (5). وذلك بالزاوية التي أنشأها « بخلفون »

ولكنه يبقى على وفائه وحبه الكبير للدلائيين وحنينه إليهم . يقول في المحاضرات (6) وكنت لما نزلت بخلفون على أم الربيع ذكرت من كان معنا في الزاوية الدلائية ، من المعارف والأحباب . وكانوا يومئذ قد شرقوا لناحية تلمسان فقلت :

سلام على الأحباب غَيْرُ مُضَيَّعِ	لِذِي شَرَفٍ ذِكْراً وَلَا لِوَضِيع
سلامُ مُحِبٍّ لا يَزَالُ أَخَا هَوىً	إلى جِلَّةٍ قد شَرَّقُوا وَنُزُوعِ
ومن يسأل الركبانَ عني فإنني	حللت ببيتي حول أم ربيع
فألْفَيْتُهُ يحكي زَفِيري زفيره	بقلب كقلبي بالفراق صديع
ويسعدني في عبرتي غير أنه	يخالفني في مهبط وطلوع
فتجرى إلى مهب الجنوب دموعه	وتجرى إلى مهب الشمال دُمُوع

ولعل المولى إسماعيل رأى في انعزال اليوسي بعيدا عنه في البادية في مجتمع

---

(1) انظر المحاضرات ص 72
(2) أنظر تفاصيل ذلك في ترجمة اليوسي في نشر المثاني ج 2 ورقة 26 ظ
(3) أنظر رسالة جواب الكتاب
(4) نفس المرجع
(5) نفس المرجع
(6) المحاضرات ص 125

« خلفون » على وادي أم الربيع (نواحي خنيفرة حاليا) . ما يكون خطر الفتنة والثورة . لأن هذه القبائل ما زالت في باطنها على ولائها للدلائيين . وهاهو أبر وأوفى أبنائهم ينزل بينهم . ويعرف إقبالا جماهريًّا يخيف أولياء الأمر ويريبهم فيأمره السلطان بالرحيل من خلفون آخر سنة 1085هـ فيخرج في شدة عظيمة ، يشير إليها أحد أصدقائه من الأدباء أحمد بن عبد القادر التستاوتي (1)... « في آخر خمس وثمانين وألف بلغنا أن الشيخ أبا علي الحسن بن مسعود اليوسي أُمِرَ بالرحيل من خلفون فقلت :

يارب بالهادي وبالأصحاب	وسائر الأوتاد والأقطاب
وبكل عبد في البرية صالح	وبجملة الأملاك والكتاب
أمِّن بفضلك مهجة الحسن بن	مسعود من الأنكاد والأوصاب
واشمله باللطف العميم وكن له	وانصُره نصر مُهَيْمِنٍ وَهَّاب
وأدم بمنزله السرور فلا يرى	نكداً لجبار ولا مرتاب
أنت اللطيف القاهر الملك الذي	تعنوا الوجوه له بلا حجاب

وينزل بمراكش حيث يدَرِّس في جامع الشرفاء . ويظل حنينه دائما لمسقط رأسه « خلفون ». وفي سنة 1090هـ (2) يؤذن له بالرجوع . ويغادرها ليقيم في خلفون إقامة قصيرة . وَتَوَجُّسُ السلطان لا يتركه . وعينه لا تفتر عن مراقبته ، فيأمر هذه المرة بالاستقرار بمكناسة مقر الخلافة . ثم لا يلبث أن يأمره بعد خمسة أشهر من إقامته بمكناسة بالتوجه إلى مراكش من جديد تحت تأثير الحروب التي كان السلطان يشنها على برابرة بني يزناسن في تلك الفترة . وفي هذه المرة أيضا يتألم الأديب التستاوتي لما أصاب الشيخ : « وكتب إلى الشيخ أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي — رحمه الله — وقد أمره الخليفة بحلول مراكش (3)

سلام على خِلٍّ إذا ما أتى إلى	مكان ينادى بالرحيل فيرحل

---

(1) انظر نزهة الناظر لاحمد بن عبد القادر التستاوتي مخطوطة خ ع ر ك 1669 ص 125
(2) أنظر المحاضرات ص 48 طبعة حجرية
(3) نزهة الناظر ص 123 — 124

وليس له ذنب سوى أنه إذا تحدث عن فضل به الفضل يحمل
وما هو إلا كالشمس طوراً بعقرب وآونة تعلو وفي الكبش تنزل
إذا ما ثوت برجا سما بحلوها به واغتذَى بين المنازل يفضل
وليس بشيء ما ثوى الدر معدنا ويسمُو على الأحجار ساعة ينقل
تَسَلَّ فإن الشمس أختك رفعة ونوراً، وإن رَحَلْتَ فالشمس ترحل

ويخرج أوائل ربيع الأول سنة 1091 هـ إلى مراكش (1) ويقيم على مضض في شدة نفسية عظيمة مدة ثلاث سنين . في تضرع إلى الله أن يرد كل غريب إلى موطنه . ويصف ذلك في المحاضرات (2) قال : « ولما كنت بمراكش خرسها الله سنة 1093هـ وقد بقيت الأملاك في « خلفون ». والكتب وما معها في « مكناسة ». وبقيت العلائق في جبال « فازاز ». والقبيلة في ملوية قلت :

تشتت قلبي في البلاد فقسمة بمراكش منه على رجل طائر
وأخرى بخلفون وأخرى مقيمة بمكناسة الزيتون حول الدفاتر
وأخرى بفازاز وأخرى تجزأت بملوية الأنهار بين العشائر

إلى أن قال

« فيارب فاجمعها فإنك قادر عليها وما غير الإلاه بقادر
ويارب فاجعلها بأوطانها فما عبيدك للبيْن المشِتِّ بصابر
لك الفضل والإحسان بدءا وآخراً وإني لما أوليتني جد شاكر
فمنّ بإنعام وجد لي بحاجتي وما طلب الحاجات منك بضائر »

إلى آخر القصيدة ؛

وفي هذه الشدة يمتحن بمحنة أكبر وأعظم . يأتيه الأمر السلطاني الصارم (3) بالرحيل إلى الزاوية الدلائية الخربة للإقامة فيها . فيغادر مراكش .

---

(1) رحلة اليوسي ص 55
(2) المحاضرات ص 125 — 126
(3) أنظر ذلك مفصلا في رسالة جواب الكتاب

ويلتحق بخراب الزاوية بالأطلس المتوسط في عز الشتاء . فلا يجد داراً ولا جداراً وكان السلطان آنذاك في حركته المشهورة لجبال فازاز من آيت يدراسن وغيرهم من برابرة صنهاجة (1094هـ/1095هـ)

ويقيم اليوسي منفيًّا هناك مدة ثلاث سنين (1095هـ/1098هـ) . وأثناء ذلك يغزو السلطان بلاد ملوية وتفر قبائل البربر إلى رؤوس جبال العياشي ومن بينهم آيت يوسي (1096هـ) (1)

ورسالة جواب الكتاب الطويلة (1096هـ) يكتبها اليوسي من منفاه هذا إلى السلطان . ويبث فيها الكثير من آلامه وهمومه في هذه الفترة الكالحة من حياته . وفي هذا الطور بالذات يبدأ في تأليف كتاب « المحاضرات » . ولهذا لا يعزب عن القارئ المتمعن في تراث اليوسي ما بين « المحاضرات » ورسالة « جواب الكُتاب » من تشابه كبير . فالحالة النفسية للأديب واحدة والجو الشعوري واحد . بل إن الكثير من المواضيع قد طرقت بنفس الطريقة.

ويجيئه الإذن بالرحيل عن الزاوية عام 1098هـ ليعود المولى إسماعيل سنة 1099هـ إلى حرب برابرة جبال فازاز مرة أخرى . يقيم بها نحو السنة ، ويبني قلعة أدخسان ويحصنها بألف وخمسمائة جندي وينزل بزاوية الدلاء مثلها.

وبعد هذا يبدو اليوسي طليقاً . ولكننا نلاحظ أنه لا يعود أبداً إلى « خلفون » بل لا يستقر في مكان معين ، بعد تلك الحروب الضارية وما نتج عنها من تشتت قبائل البربر . فنجده ضمن من استدعاه المولى اسماعيل من فقهاء فاس لحضور ختم درس التفسير الذي ألقاه بحضرته قاضيه أبو عبد الله المجاصي (سنة 1098هـ) ثم ينزل شعاب حمود ويمكث سبعة أشهر ، ثم يتوجه إلى صفرو التي وصلها سنة 1099هـ (2) ومكث فيها ستة أشهر ، ثم ينزل بفاس ويبقى بها سبعة أشهر يقوم عقبها بزيارة للعرائش وبعض زوايا الشمال في رفقة يكون فيها تلميذه ابن زاكور ، فيقيم قليلا ثم يعود إلى فاس في أواخر ذي الحجة من السنة ليغادرها لثمان بقين من المحرم تمام المائة (3) وينزل بقرية تمزيزت ببلد

(1) أنظر الاستقصا ج 68/7
(2) رحلة اليوسي ص 58
(3) « الروض الأريض » لابن زاكور ص 198 — 201

أولاد عباد ولعل قبائل آيت يوسي أنزلت بها بعد هزيمتها ، وهنالك يخلف عياله في طريقه إلى الديار المقدسة ، مبعوثاً من طرف السلطان الذي كان آنذاك مقيماً بجبال فازاز في حربه مع برابرة صنهاجة من ملوية العليا.

ولا يمكن للدارس أن يدفع التساؤل الذي يلح عليه أمام هذه المصادفة وما يمكن أن يكمن وراءها . فماذا تعني هذه الالتفاتة المولوية . هل تعني إبعاد اليوسي في وقت بلغ فيه غليان البرابرة أوجه ؟ أم هي مجرد حدب ومحاولة محو الإساءة ظاهريًّا من طرف السلطان ؟ مما لاشك فيه أن الرسالة التي بعثها اليوسي للسلطان أثناء نفيه بالزاوية الدلائية قد تركت آثارها في نفس السلطان . فلهجة اليوسي كانت قاسية وعنيفة وصريحة إلى أقصى حدود الصراحة . زد على ذلك أن اليوسي كان يتمتع بسمعة ومكانة لدى الجماهير الشعبية لا يحظى بها أحَدٌ في عصره ، مما جعل صاحب « التقاط الدرر » يقول عنه : « ... ورُزِق الإقبال من الخلق ، فيجتمع عليه الجم الغفير حيث أقام ، حتى كان السلطان لا يتركه أن يقر به قرار بل يأمره بالرحيل في أقرب مدة من الموضع الذي استقر به إلى موضع آخر... »(1) .

ويعود من الحج في شوال 1102هـ إلى داره بتمززيت ثم لا تطول حياته بعد ذلك كثيرا ، ففي ليلة الإثنين 23 ذي الحجة 1102هـ توفي ودفن هناك ، غير بعيد عن قرية صفرو ، وينقل بعد عشرين سنة من مدفنه إلى موضع آخر حيث لا يزال مزارا لقبائل البربر التي تحيي ذكراه كل عام (2)

وتقول طرة بهامش « نشر المثاني » في ترجمة اليوسي : « ووثب اللصوص على صاحب الترجمة وقتلوه ، وترك المؤلف التنبيه على هذا الجهل من وثب عليه ، وقيل الذي قتله وليُّ القبيلة... » (3) وهذا احتمال يستحق الوقوف عنده لتمحيصه سيما وأن أعداء الرجل كثيرون.

---

(1) أنظر كتاب « التقاط الدرر . ومستفاد العبر من أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر » لمحمد بن الطيب القادري مخطوطة خ ع ر ص 123 وما بعدها

(2) طبقات الحضيكي مخطوطة خ ع ر ص 123 وما بعدها

(3) أنظر نشر المثاني مخطوطة خ ع ر ک 2253 ج 32/2 وشرح رائية اليوسي لابن سودة ص 32

* ثقافة اليوسي

ثقافة اليوسي الموسوعية تعكس ما كانت تلقنه الزوايا العديدة والرباطات البعيدة في مغرب آخر القرن الحادي عشر من ثقافة (1) هذه الزوايا التي قال عنها صاحب «النبوغ المغربي» «إنها حفظت تراث العلوم والآداب الذي كاد أن يضيع» (2) وقد كانت طريقة التدريس بهذه المراكز تعتمد على دراسة أمهات الكتب في كل فن، يأخذها الدارس بحثاً وتحليلا وتعليلا ومناقشة مع الطلبة.

وقد أعطي اليوسي فكراً تركيبياً، وقريحة وذكاء، جعله ينفذ إلى عمق ما يدرس ويستوعبه استيعاب الفاحص الناقد المتمكن. قال عن ثقافته في الفهرست : «وكانت قراءتي كلها فتحاً ربانيًّا، ورزقت ولله الحمد قريحة وقادة، وفطنة ذكية، فكنت بأدنى سماع، وأدني أخذ ينفعني الله» (3)

وإذا أردنا أن نعرف شيئاً عن هذه الأمهات التي أخذ منها اليوسي أول الأمر، فنحن نجد في فهرسته مجملا لذلك مع ذكر شيوخه في كل فن (4)، وسوف نقتصر على ذكر الفنون مع ذكر الأمهات التي أخذ منها :

التفسير : تلقاه أول الأمر في درعة عن شيخه ابن ناصر، ثم تبحر في ذلك في الدلاء، ونحن نعرف أن هذه الزاوية كانت تدرس «جامع البيان» لابن جرير الطبري، «والكشاف» الزمخشري وتفسير الرازي، وتفسير الثعالبي، وتفسير البيضاوي(5)، وذكر اليوسي في فهرسته تفسير الجلالين أيضاً(6)

---

(1) في معرفة ثقافة العصر والزاوية الدلائية بصفة خاصة يرجع للبدور الضاوية خصوصا الفصول المعقودة لابنائها من العلماء

(2) النبوغ المغربي لعبد الله كنون ص 274

(3) الفهرست ص 129 ـ 138

(4) نفس المرجع السابق

(5) أنظر الزاوية الدلائية لمحمد حجي ص 72 نقلا عن فهرست محمد بن أبي بكر الدلائي

(6) الجلالان المشتركان في تفسير القرآن الكريم هما جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمان السيوطي

الحديث صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وموطأ الإمام مالك ، وشفا القاضي عياض ، وكتب السنن وبعض كتب الأخبار والمسانيد

التوحيد والفقه والأصول : جمع الجوامع في الأصول لتاج الدين السبكي ، وسوف يدرسه اليوسي بدوره في الزاوية ويؤلف حاشية عليه.

مختصر خليل بن إسحاق المالكي ، العقيدة الكبرى للسنوسي وسنرى اهتمام اليوسي بها وتدريسه لها ، ثم تأليفه شرحا كبيرا عليها . العقيدة الصغرى للسنوسي ، المدخل لابن الحاج ، تنقيح القرافي في الأصول ، محصل المقاصد لأحمد بن زكري العبدري المالكي الفاسي.

التصوف رسالة القشيري ، وحكم ابن عطاء الله ، والإحياء للغزالي ، وطبقات الشعراني وغيرها.

اللغة وعلومها ألفية ابن مالك ، لامية الأفعال الخزرجية ، التسهيل لابن مالك ، الكافية والشافية لابن الحاجب ، والخلاصة .

البلاغة والأدب مقامات الحريري ، دواوين المعري والمتنبي وأبي تمام ، تلخيص المفتاح في البلاغة للخطيب القزويني

المنطق مختصر السنوسي في المنطق وغيره

الحساب كتاب القلصادي ، رسالة الأسطرلاب

ولا يخفى على أحد ما كان عليه اليوسي من تعطش للمعرفة . وحب للتحصيل ، فلقد توسع في هذه العلوم وبرز ، وتصرف واجتهد . وأصبح أستاذا فيها (1) وألف وكتب فيها ، وتفوق في الكثير منها حتى قال فيه صاحب نشر المثاني ... « وكان صاحب الترجمة آية في المعقول والمنقول ، وإليه المرجع فيهما . وآية في النبل والإدراك ... »(2)

---

(1) ذكر أحمد بن يعقوب الولالي انه كان يدرس مع زملائه الطلبة على الامام الحسن اليوسي في الزاوية الدلائية علوم البيان . والمنطق . والفقه . والأصلين . دون أن يذكر الكتب التي كانوا يدرسونها . أنظر مباحث الأنوار مخطوطة خ ع ر ورقة 7 وجه.

(2) نشر المثاني ورقة 29 وما بعدها.

وخاصية ثقافة اليوسي أنه جعلها مسايرة لحياته ، يعيشها ويتفاعل معها ، وينفذ إلى عمق المسائل المطروحة ، ويجعلها مطية لذكائه وفطنته وعمله ، قال اليفراني « ... حتى كان بعض أشياخنا يقول : هو المجدد على رأس هذه المائة لما اجتمع فيه من العلم والعمل ، بحيث صار إمام وقته ، وعابد زمانه ، ولذلك قال الإمام أبو سالم العياشي :

من فاته الحسن البصري يصحبه فليصحب الحسن اليوسي يكفيه(1)

ولا يفوتنا أن نسجل هنا موهبته الشعرية ، إذ كان اليوسي شاعراً مفلقاً حتى كان يقول : « لو شئت لا أتكلم إلا بالشعر لفعلت » وله ديوان شعر سوف نعرض له في آثاره.

آثاره

سوف أذكر هنا جميع إنتاجه إلا الرسائل التي أفردت لها جدوال خاصة في المقدمة وفي الفهارس .

وقد اهتم الأدباء والمترجمون والمستشرقون بإنتاج اليوسي الغزير في مختلف المواضيع والفنون ، وقد طبع منه القليل بفاس طبعة حجرية ، وهكذا نجد المؤرخ الأديب اليفراني (2) يعدد تآليفه المهمة في « صفوة من انتشر» (3) وذكرها أيضا ابن الطيب القادري (4) في « نشر المثاني » وزاد على ما ذكره الإفراني ، كما عدد آثاره أيضا صاحب « الدر المنضد الفاخر » (5) وهو الذي ذكر له مؤلف في الهيئة ، وأظن أن المستشرق جاك بيرك أخذ عنه ذلك عندما رتب جدولا لمؤلفات اليوسي في كتابه عنه ، وقد سبق جاك بيرك في هذا مستشرقون آخرون أمثال ر. باسي ، وليفي بروفنسال

---

(1) الصفوة ص 237
(2) أبو عبد الله محمد تاصغير اليفراني المراكشي (.../1140هـ) له مؤلفات أفادت التاريخ والأدب في المغرب .
(3) ص 238
(4) أبو عبد الله محمد بن الطيب عبد السلام القادري (1187/1124هـ) العلامة المؤرخ النسابة .
(5) محمد بن عبد القادر الكلالي مخطوطة خ ع ر د 1584 .

وقد أكمل جاك بيرك جدول آثار اليوسي في آخر كتابه عن اليوسي بما جاء في المقدمة التي وضعها محمد بن الحسين الصقلي للطبعة الفاسية لكتاب اليوسي « القانون » ومن مقدمة للعباس بن ابراهيم التعارجي ، ومن « نشر المثاني » كما قال (1)

وفي كتاب الزاوية الدلائية نقل الأستاذ محمد حجي جدول مؤلفات اليوسي نقلا عن كتاب جاك بيرك كما ذكر ، مع بعض الزيادات التي لم يذكر لأغلبها المحل الذي توجد فيه .

وسوف أحاول أن أعيد ترتيب مؤلفات اليوسي في ضوء ما وقفت عليه أنا شخصيا ، مع إضافة الأماكن التي توجد فيها بعض المؤلفات المذكورة قبل

في التفسير

فتح الملك الوهاب فيما استشكله بعض الأصحاب من السنة والكتاب أو الفتوحات السوسية المشتملة على الأنوار القدسية	لم يشر إليه أحد قبل يوجد بالخزانة العامة بالرباط في المخطوطة رقم جـ 618 ضمن مجموع من ص 1 إلى 129 والكتاب في تفسير آيات مختارة من كتاب الله تعالى في قالب فني طريف على هذا النمط « فان قلت لم قال تعالى ؟ » ويأتي بالآية .التي ستكون موضوع الشرح والتحليل ، ثم يبدأ عرضه بكلمة « قلت... »

(1) كتاب « اليوسي » ص 140

وينتهي الكتاب بقول الناسخ : « انتهت الفتوحات السوسية المشتملة على الأنوار القدسية المسماة بفتح الملك الوهاب فيما استشكله بعض الأصحاب من السنة والكتاب موافقة تمام قعدة الحرام عام 1317 هـ »

وبجانب هذا طرة كالتالي : « بلغت المقابلة بحمد الله هنا من نسخة كتبت من خط المؤلف رضي الله عنه » وفي أول الكتاب في الصفحة الأولى كتب بعد البسملة : « هذا كتاب فتح الملك الوهاب ... للإمام اليوسي رحمه الله »

التوحيـد :

حاشية على عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد أو ما يسمى بالحاشية على شرح كبرى السنوسي (يشرح فيها اليوسي شرح السنوسي لعقيدته الكبرى)

توجد منها نسختان في المكتبة العامة بالرباط

الأولى : مخطوطة كـ 2645 . الثانية رقم د 1771 في طرتها هوامش مهمة ، وفي المجموع معها عمدة أهل التوفيق للسنوسي . وثلاث نسخ بالخزانة الملكية بالرباط . وتوجد لها نسخة أخرى بدار الكتب الظاهرية بدمشق

مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص في تفسير كلمة لا إلاه إلا الله

توجد منه ثلاث نسخ بالمكتبة العامة بالرباط ك 2418 في كتاب مستقل. ك 35 مستقلة أيضا. ق 1013 في مجموع غير مرقم في بداية المجموع وفي آخره : ووافق الفراغ منه عام 1088 «من مكتبة تمكروت»

كتاب أخذ الجُنة عن أشكال نعيم أهل الجنة

أشار إليه بيرك ولم يثبت مصدره وهو بحث طريف لليوسي يقول في مقدمته : «... فقد خطر لي أشكال نعيم الجنان، وما وعد به المتفضل المنان، ثم خطر لي عنه جواب من نفحات الملك الوهاب، فسطرت الجميع خوف النسيان الخ ...»
توجد نسخة مخطوطة لهذا الكتاب في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 3373 ضمن مجموع من ص 414 إلى 428 وفي الخزانة الملكية تحت رقم 6602

الكوكب الساطع بشرح جمع الجوامع لتاج الدين السبكي

غير كامل. وقد اطلعت عليه في مجموع من خزانة الفاضل محمد حماد الصقلي الأستاذ بدار الحديث الحسنية فيه أيضا الرسالة المطولة للمولى إسماعيل

الفقه

تقييد يشرح قول خليل

« وخصصت نية الحالف »	نسختان في الخزانة العامة بالرباط ق 302 ضمن مجموع من ص 294 إلى 305 . د 2223 ضمن مجموع ص 149 وفي الخزانة الملكية نسختان : 6726 في كتيب مستقل غير مرقم 9226 في مجموع غير مرقم .
أرجوزة فقهية تشرح أركان الإسلام	مخطوطة خ ع ر رقم جـ 157
منظومة لليوسي في العبادات	مخطوطة خ ع ر رقم د 1164 ضمن مجموع ورقة 40 ظ
بحث فيما يجب على المكلف من أصول الدين وفروعه	مخطوطة الخزانة العامة بالرباط جـ 612 ضمن مجموع من ص 27/21
قواعد الإسلام عن مضمون حديث النبي عليه السلام	شرح وتبسيط لقواعد الإسلام مخطوطة خ ع ر جـ 612 ضمن مجموع من ص 27 ــ 42

الآداب واللغة وقواعدها

ديوان شعر أكمل جمعه ابن اليوسي بعد وفاة والده	في الخزانة العامة بالرباط : ثلاث نسخ جـ 157 كـ 491 جـ 32 وفي الخزانة الملكية نسخ عديدة منها رقم 312 . 2339 . 6549 الخ وطبع طبعة حجرية نفذت . وتوجد نسخ منه بباريس والجزائر
زهر الأكم في الأمثال والحكم	في الخزانة العامة بالرباط : نسخه كثيرة منها رقم قـ 388 . رقم جـ 178 جزءان

قال عنه أنه من خط المؤلف . جـ 596 جزءان جـ 844 جزءان . ك 1679 جزءان .
وفي الخزانة الملكية ثمان نسخ .
وتوجد منه نسختان في دار الكتب بالقاهرة تحت رقم 14097 ورقم 14842 (أدب) .

القانون في أحكام العلم والعالم والمتعلم :

في الخزانة العامة بالرباط ثلاث نسخ جـ 1304 د 2382 . د 2359 . وفي رقم ق 931 توجد الورقة الأولى من كتاب القانون عليها تحبيس الكتاب على مكتبة الزاوية الناصرية بخط ابن اليوسي ولا وجود للكتاب بداخله .
الخزانة الملكية بالرباط نسخة رقم 6643
وتوجد منه مخطوطة بدار الكتب الظاهرية بدمشق رقم 7934
وأخرى بالمكتبة الوطنية بباريس

المحاضرات

توجد له نسخ مخطوطة كثيرة في المكتبة العامة والمكتبة الملكية بالرباط وفي مكتبات خاصة . وفي مكتبات باريس والقاهرة وتونس وقد انتسخت هذه الأخيرة بعد وفاة اليوسي بقليل . وقد طبع الكتاب طبعة حجرية سنة 1317 هـ

الفهرست : لم يكمل اليوسي تأليفه

في الخزانة العامة بالرباط ثلاث نسخ رقم

د 1838 ضمن مجموع من ص 77 إلى 170 . رقم كـ 1301 ضمن مجموع ص 164/134 كـ 1234 ضمن مجموع من ص 103 — 147

وفي الخزانة الملكية نسختان تحت رقم 1138 ورقم 5470

الرحلة

في الخزانة الملكية نسخة مخطوطة تحت رقم 2343

الكناشة العلمية

في الخزانة الملكية نسخة مخطوطة تحت رقم 5995

وتشتمل على فوائد في التصوف والأدب والحديث والتفسير الخ ...

القصيدة الرائية في رثاء الزاوية الدلائية

في الخزانة العامة بالرباط مخطوطتان : كـ 248 مع شرح الدلائيين: محمد بن أحمد الشاذلي (1137 هـ) وهو الذي بدأ الشرح ولم يكمله ، ومحمد البكري ابن عمه الذي أكمله . د 2295 ضمن مجموع من ص 262

ومخطوطة في خزانة خاصة مع شرح محمد بن المهدي بن سودة

القصيدة الدالية في مدح الشيخ محمد بن ناصر (1)

طبعت مع شرحها في مصر عام 1291 هـ وعام 1329 هـ وتوجد منها نسخ خطية

---

(1) عارض بها دالية البوصيري في مدح الشيخين أبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي . أنظر «رياض الورد إلى ما انتهى إليه هذا الجوهر الفرد» لأبي عبد الله الطالب حمدون بن الحاج مخطوطة خ ع ر رقم د 111 ص 21

	عـديدة بالرباط والقرويين والقاهرة وباريس
نيل الأماني في شرح التهاني وهو شرح للدالية	طبع بالأسكندرية عام 1298هـ وبالقاهرة عـام 1329هـ وأعـيد طبعه سنة 1339هـ(1) وتوجد منها مخطوطة كثيرة في خزانات الرباط والقرويين والقاهرة وباريس والجزائر.
حاشية على تلخيص المفتاح للقزويني (لم يكمله)	لم يذكره صاحب «صفوة من انتشر» عندما ذكر مؤلفات اليوسي. وذكره محمد بن عبد القادر الكلالي في كتاب «الدر المنضد الفاخر فيما لأبناء مولانا علي الشريف من المحاسن والمفاخر» عندما ترجم لأبي علي اليوسي مخطوطة خ ع ر رقم د 1584 ورقة 218و. وهو الذي ذكر أن لليوسي تأليف في الهيئة وأظن أن جاك بيرك أخذ ذلك عنه، أو عن من نقل منه

التصـوف

شرح عقد جواهر المعاني في مناقب الغوث عبد القادر الجيلاني	ذكره بيرك نقلا عن مقدمة الصقلي لكتاب «القانون»

(1) معلومات من مراسلة الأستاذ الدكتور شكري فيصل اجاب بها عن استفساري عن وجود مؤلفات اليوسي بدار الكتب الظاهرية بدمشق.

أرجوزة في شأن حفظ القرآن

دوحة البستان للزيادي مخطوطة خ ع ر رقم د 390 ص 113

المنطـق

نفائس الدرر على شرح المختصر للسنوسي

في الخزانة العامة بالرباط نسخ كثيرة منها كـ 1751 في كتاب مستقل ، د 2289 ، 2249 ، د 2141 ، د 2225 ، د 2143 ضمن مجموع فيه مختصر السنوسي وشرح السنوسي عليه وحاشية اليوسي على هذا الشرح أي « نفائس الدرر »
وتوجد نسخة خطية بالمكتبة السليمانية بأسطانبول تحت رقم 2696 (1)

القول الفصل في القرن بين الخاصة والفصل ، أو الفرق ما بين الذاتي والعرضي

في الخزانة العامة نسخ كثيرة منها رقم د 1072 ضمن مجموع د 271 . د 2775 . د 2881
في الخزانة الملكية : نسخة تحت رقم 1314

النسبة الحُكْمِية بين الطرفين الموضوع والمحمول

في الخزانة العامة بالرباط نسخة تحت رقم د 1243 ضمن مجموع من ص 195/193
ومخطوطة خاصة في خزانة الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني وتوجد لهذا البحث نسخة مخطوطة بالمكتبة السليمانية باسطانبول تحت

(1) من جواب المكتبة على مراسلتي في شأن مؤلفات اليوسي بتاريخ 1974/9/26

	رقم 2649/2
أرجوزة في القضايا الموجبات التسع عشر (10 أبيات)	مخطوطة خاصة بخزانة الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني
شرح أم المنطق	ذكره صاحب المنح البادية مخطوطة خ ع ر ، ك 1249 وسماه مزامر المنطق
شرح السلم	ذكره هكذا الأستاذ عبد الله كنون في « النبوغ المغربي » ص 303 وذكره الأستاذ محمد حجي في « الزاوية الدلائية » قال : شرح السلم المرونق للأخضري دون إثبات مصدر غير « النبوغ المغربي »
شرح الطالع المشتري لم يكمل	جاء هكذا في جدول بيرك في عمود مواضيع مختلفة ص 140 وذكره الأستاذ حجي في الرسائل بعنوان : شرح الطالع المنتشر وأظن أن الكتاب نسب خطأ لليوسي ، وإنما هو كتاب « شرح الطالع المشرق في علم المنطق » لأبي زيد الفاسي . أنظر النبوغ المغربي ج 303/1
تذكرة الغافلين	ذكره البغدادي في « هداية العارفين » المجلد 1 ص 296
الدر المصون	المصدر السابق
المفاتيح في شرح المصابيح	مجلة تطوان العدد الثامن السنة الثالثة ص 97 — 177

تلك هي آثار اليوسي دون الرسائل ، حسب ما وقف عليه الدارسون قبلي لهذه الآثار ، وما أضفته لها مما وقفت عليه في طور البحث ، وهي تعكس فنون المعرفة التي كانت لليوسي فيها مشاركة .

ولاشك أن الملاحظة الأولى التي تتبادر إلى الذهن هي أن جل المؤلفات غير تام ، ولكن هذه الملاحظة تجد جوابها عند إلقاء نظرة على حياة اليوسي في الفترة التي أراد أن ينصرف فيها للتأليف . يقول : « .. وكيف لا يُعذر ذو بال منقسم ووبال متكَسِّم (1) ... وكيف يمكن لمثلي أن يجمع بين كلمتين ، فضلا عن فصلين ، ولكن لَمَّا لم يكن التجزع عند حلول الأقدار ، من شيم الأحرار ، قبضت على أحر من جمر ، وتجلدت على ما بي من ضر ، وثنيت الضلوع على أذاها ، وأغضيت الجفون على قذاها ... » (2)

وقد بلغ مجموع ما ورد في هذه المؤلفات حوالي ثمانية وثلاثين بين الكتاب والبحث والمنظومة الخ ، نبهت لمصادر جديدة لكثير مما ذكره جاك بيرك والأستاذ محمد حجي ، وذكرت فيه عددا مما لم يسبق أن ذكره من اهتم بحصر مؤلفات اليوسي .

وما أتمناه هو أن يجد تراث اليوسي طريقه إلى النور ، وأن يبذل التشجيع لمن يتصدى لتحقيق هذه الآثار ونشرها ، لإقامة كيان الفكر المغربي الأصيل . وتمكين النقاد من الإطلاع عليه وتقييمه .

---

(1) متكَسِّم : الكَسْمْ الكد على العيال ، وإيقاد الحرب ، والحشيش الكثير . وأرجع المعنى الأخير
(2) أنظر مقدمة كتابه « زهر الأكم » لم يكمله

الفصل الثاني

رسائل اليوسي

1) الخصائص الموضوعية للرسائل

1 — الشؤون العامة وأحوال المجتمع
2 — التصوف
3 — التوحيد
4 — الفقه

2) الخصائص الفنية للرسائل

1 — الرسالة في عصر اليوسي
2 — خصائص رسائل اليوسي الفنية
3 — الخاتمة

1 — الخصائص الموضوعية للرسائل

1 — في الشؤون العامة وأحوال المجتمع

إن طبيعة حياة اليوسي التي قضاها بين تثقيف وتربية ، ووعظ وارشاد ، وسفرات متعددة لمراكز العلم وللزوايا والمزارات . وقد ربطت بينه وبين مجتمعه بروابط متينة ، ولابد أن اليوسي يدين لهذا التعاقب المستمر بين التدريس في البوادي والحواضر بمعرفة حقة لبلاده .

فرحلات الكهل الاختيارية منها والاجبارية . قد أكملت رحلات الشاب الطويلة في طلب العلم ، وأضافت الكثير إلى تلك الثقافة الحية . حيث التجارب والمعلومات العملية تغني التأملات والمعلومات النظرية.

فنحن لا نعثر له على مجلس دون أن نجد له فيه مسألة تشغل بال الناس تطرح . دينية أو اجتماعية أو سياسية أو أدبية . فربطت هذه المجالس بينه وبين كثير من الناس على طريق المحبة والألفة ، أو على طريق الاستفادة والتربية.

إنَّ جرأة الأدب في العصر الذي نحن بصدده تثير العجب والاندهاش لصدورها وسط مجتمع يسوده العنف وتحت سلطة تتميز بالاستبداد . ولكن العجب والاندهاش يختفيان إذا ما اعتبرنا النموذج النظري للحكم في الإسلام ، والذي يكون الغاية للعلماء السلفيين . إذ هو السبيل الوحيد لصيانة العقيدة في نصاعتها وعمقها

وعندما نتعرض لمضمون الرسائل التي تناولت الحياة العامة وأحوال المجتمع ، فسوف نتناول هذا الموضوع من الجوانب الهامة التي طرقها اليوسي في هذه الرسائل الخمسة التي تكون هذه المجموعة وهي : « ندب الملوك للعدل ». « براءة اليوسي » « جواب الكتاب ». « نازلة العواتش ». « طائفة العكاكزة ». وهذه الجوانب هي :

— نظرية اليوسي في الحكم والسلطة القائمة
— العلماء ودورهم في الأمة
— مصالح الأمة المادية والمعنوية

وقبل دراسة هذه الجوانب ، ولإلقاء الضوء على تسلسلها ، أنبه إلى الترتيب الزمني لهذه الرسائل حسب ما وصلت إليه ، فرسالة « جواب الكتاب » أرخها اليوسي بأول ذي الحجة سنة 1096 عندما كان منفيًّا للزاوية الدلائية ، وهي الفترة التي تمتد من 1095هـ — 1098هـ . وأما « نازلة العرائش » و « طائفة العكاكزة » فنحن نعرف أنها كانت متقاربة الأولى في محرم 1101هـ والثانية قبيل ذي الحجة 1101هـ في أواخر حياة اليوسي . تبقى رسالتان : « براءة اليوسي » و « ندب الملوك للعدل » وهما الرسالتان اللتان خصصهما اليوسي للنصح والموعظة الخالصة للإمام ، ولا يفهم منها أن السلطان قد استدعى منه هذا النصح . « وبراءة اليوسي » عرفت تداولاً وشيوعاً بين الناس لم يسبق لها نظير (1) وأنا أرجح أن تكون هاتين الرسالتين قد بعث بهما اليوسي إلى السلطان في الفترة التي استقر فيها « بخلفون » بعد خروجه من فاس عند حصارها (1083هـ/1085هـ) قبل ظهور التوتر الذي ميز علاقته بالمولى إسماعيل . فلهجة اليوسي في « ندب الملوك للعدل » لا زالت لهجة من يطمئن إلى الذي يخاطبه ويوجه إليه النصح ، فالمولى إسماعيل لم يتول مقاليد الأمور إلا منذ فترة قصيرة ، واليوسي يأمل أن تكون سيرة هذا السلطان الهاشمي أقرب شبهاً بالخلفاء الراشدين يقول : « ولم يزل في كل دولة من الدول من يتطاول إلى نسمات أهل الخير ، ويزاحم أهلها ، وكل من فعل خصلة حميدة فهو محمود عليها ، ومنسوب عند الانتماء إليها ، ولو لم يكن إلا الإنصاف بسماع الحق . (2) وهو في « براءة اليوسي » يضع أصبعه على بعض مواطن الاختلال ، ويعددها ويحلل أسبابها ويعطي وجهة نظره لإصلاحها ، ولهجة اليوسي فيها أيضا مطمئنة جريئة نحو من كان يَرى فيه « التشوف إلى الموعظة والنصح ، والرغبة في استفتاح أبواب الربح والنجح » (3)

---

(1) لا يخلو كتاب من كتب العصر من إيرادها أو الإشارة إليها أو التكلم عن بعض ما جاء فيها يقول عنها صاحب « الدر المنضد الفاخر » : « وهي مشهورة عند الخاص والعام من أهل العصر » ص 217ظ.
وتعدد نسخ « براءة اليوسي » يدل على انتشارها واستنساخها من طرف الناس

(2) « ندب الملوك للعدل » أنظر ص 247 من هذا الكتاب

(3) أنظر رسالة « براءة اليوسي » ص 237 من هذا الكتاب

ولا أستبعد أن تكون هذه اللهجة الصريحة الجريئة التي استعملها اليوسي في هاتين الرسالتين ، وشيوع أمرهما ، وحديث الناس عنهما نظراً لالتفاف الجماعات حول اليوسي من فقهاء وطلبة ومريدين ، مما جعل السلطان يأخذ الأمر بالحزم ، ويتعجل بمبادرة ما قد ينجم من قلاقل عن هذا الرجل الذي رزق الإقبال من الخلق ، واختار الابتعاد عن السلطان إلى المناطق البربرية ، يضاف إلى ذلك ما عرف عنه دائماً من الوفاء للدلاء ومحبتهم ورثائهم بالقصائد التي سارت بها الركبان .

— نظرية اليوسي في الحكم والسلطة القائمة

انطلاقا من طبيعة الرجل ومن أصوله البربرية الصميمة ، ومن فكره الإسلامي ، يعتبر اليوسي أن الناس كلهم سواء في الحقوق وسواء في الواجبات ، وأن ولي الأمر هو كواحد من الناس ، لا يتميز عنهم إلا بما تحمل من المشاق والمتاعب في مصالحهم ، ابتلاء وامتحاناً من الخالق سبحانه ، كما كان حال الخلفاء الراشدين : « فليعلم سيدنا — نصره الله — أن الأرض وما فيها ملك لِلّه تعالى لا شريك له ، والناس كلهم عبيد له ، وسيدي واحد من العبيد ، وقد ملكه الله تعالى عبيده ابتلاءً وامتحاناً ، فإن قام عليهم بالعدل والرحمة ، والإنصاف والإصلاح ، فهو خليفة الله في أرضه ، وظل الله على عباده ، وله الدرجات العالية عند الله تعالى » (1)

هذا هو مفهوم الحكم الذي اقتنع به اليوسي وناضل من أجله ، ولذلك فهو يعتبر كل ما خرج عن نطاق هذا المفهوم لا يستجيب لروح المبادئ الإسلامية الحقة . « ... وإن قام بالجور والعنف ، والكبرياء والطغيان والفساد ، فهو متجاسر على مولاه ومتسلط ومتكبر في الأرض بغير الحق ، ومتعرض لعقوبة الله تعالى الشديدة وسخطه » (2)

وبالتالي فالناس لهم كامل الحرية في التدخل والتوجيه والنقد . كلما رأوا

(1) أنظر رسالة « براءة اليوسي »
(2) أنظر المرجع السابق

الاتجاه ينحرف عن الجادة ، ويبتعد عن مبادئه الأساسية ، ووفاء لهذا المبدأ سوف نجد اليوسي يرفض كل خضوع سياسي متواطئ . ففي شبابه لم يطل اتصاله بأمير « إليغ » الذي عهد إليه بالتدريس في معاهد تارودانت ولعل ما وجد عليه الأمور من فتنة وفساد ، وجور وعسف وسوء معاملة للناس (1) في تلك الفترة من تاريخ المغرب ، لم يجعله يرضى على ما يرى ، ثم هو قد سمع بالشيخ ابن ناصر وما هو عليه من علم وسلوك ، ربما يساعده على تعميق بعض المدارك الإسلامية التي تحتاج لفهمها واستيعابها إلى من عاش التجارب الكثيرة

وعندما حل بالدلاء وأصبح من أساتذتها اللامعين توثقت صلته بالأمير محمد الحاج الدلائي الذي كان هو الآخر من علماء الزاوية الدلائية ، والظاهر أن اليوسي كان ممن اصطفاهم محمد الحاج الدلائي وجعلهم من بطانته ، أو على الأقل من المقربين ، لأن ما ذكره عن سقوط الزاوية الدلائية يفيد أنه كان من جملة الخاصة ، ولا نجد بين أيدينا من الوثائق ما يبين لنا نوع هذه العلاقات التي ربطت بين الرجلين ، ولاشك أنها من نوع العلاقات التي ربطت اليوسي بكل أفراد الزاوية ، طابعها المحبة العميقة،والوفاء والتعلق الصادقان . ولم يحفظ عن اليوسي أنه أنكر شيئاً على محمد الحاج خلال حكمه لأكبر وأهم أجزاء المغرب خلال السنين . فهو لاشك قد اطمأن لهذا الأمير العالم ، الذي عرف بغيرته الدينية ، وحميته الإسلامية ، وهو الذي كان يزن أعماله بميزان الشرع ،

والدلاء على العموم لم يعرفوا التهافت على الحكم والتهالك عليه ، وحتى ذلك الذي بلغوه من السلطة الدنيوية لا يتناسب والمبادئ التي أرساها للزاوية مؤسسها أبو بكر المجاطي ثم بعده ابنه محمد بن أبي بكر ، إذ كان تحذيرهما شديداً من التطلع للحكم ، وأظن أنه لولا ظروف سقوط السعديين ، وانعدام الأمن وظهور الفتن ، واستنجاد القبائل والمدن بأهل الدلاء ، لما عرفوا هذا التاريخ السياسي الذي ظهر فيه جَلِياً ترددهم ، وضعف سطوتهم ، وقلة جرأتهم على الاستيلاء على الحكم بالعنف والقوة ، والسيطرة على جميع أجزاء المغرب الممزق

---

(1) أنظر ذلك مفصلا في الاستقصا ج 7،

وإذا كان الكثير من المحن والشدائد التي قاسي منها مغرب القرن الحادي عشر يمكن أن تفسر تفسيراً يرجع إلى صميم الطبيعة الديمقراطية الفوضوية للشعب المغربي . وللمتاعب الاقتصادية والاجتماعية في تلك الفترة . فإن هذا لا يجد تعليلا عند اليوسي إلا في عيوب الرئاسة . ولقد برز العلويون إلى الميدان على أساس الدفاع عن وحدة المغرب وعن استقلاله وحمايته من الاحتلال الأجنبي . ويظهر اليوسي مقتنعاً بهذا الواقع ظاهرياً . ولكن يبقى متوجساً . ونراه يعود في كتابه « المحاضرات » (1) إلى شروط الخلافة . وكيفية امتحان النفس للتأكد من ميولاتها عندما تسعى للرياسة . يالخص فيها نظرتهالسلفية إلى الحكم

ولقد قامت بين اليوسي وبين المولى الرشيد علاقة تتسم بالاحترام والولاء من طرف اليوسي . والإكرام والإجلال من طرف المولى الرشيد ، نقله هذا الأخير إلى فاس للتدريس فأقبل اليوسي عليه « بنية صالحة » (2) يقول في رسالة « جواب الكتاب » « ... ووجه ذلك أني كنت اذ ذاك في شباب وصحة . قوياً على التدريس ، وكنت في المدينة لا حرث ولا معاش ، فعلمت أن لي حقاً في بيت المال . بما يجري الله على يدي من النفع مع وجود الحاجة » (3)

وكان الرشيد مشتغلا بإعادة وحدة المغرب جل المدة القصيرة التي تحمل فيها مسؤلية البلاد . فلم تظهر بعدُ الخطوط الرئيسية التي توضح اتجاهه في الحكم ورعاية مصالح الأمة . وكان يحب العلماء ومجالسهم ويكرمهم ويعظمهم ، ويكرم اليوسي كواحد منهم ، له منزلة خاصة عنده . اقترح عليه القضاء والفتوى فرفض اليوسي ذلك ، فسكت عنه الرشيد ، ولم يظهر أي تجبر أو تعسف ، ولم يتخل اليوسي عن وفائه للزاوية الدلائية ، ورثاها بقصيدة سارت بها الركبان دون أن يلحقه الرشيد بسوء ، بل احترم فيه هذا الوفاء ، ولم يخالجه شك في حسن طوية العالم ، ولا يوقر في نفس الرشيد إمساك اليوسي عن مدحه . على الأقل لانقاذه البلاد من شرور الحرب الأهلية وإعادة توحيدها . فيظهر جلياً أن اليوسي

---

(1) ص 95 طبعة حجرية
(2) أنظر رسالة جواب الكتاب » ص 169
(3) أنظر رسالة « جواب الكتاب ص 210

والطبقة المتنورة من العلماء والفقهاء في عصر الرشيد كانوا على درجة من الحرية في اتخاذ مواقفهم.

وسوف نجد اليوسي دائما يرفض وبكل قوة كل خضوع سياسي يفقده حريته الشخصية ، واستقلاله الفكري ، فهو على كل حال لم يوفق كما وفق غيره من أدباء العصر ، بين استقلال العالم وانكبابه على مهمة نشر العلم ، والخضوع السياسي الذي ينسلب الفرد كل اختيار . وهو قد صرح بذلك في كل رسائله خصوصاً « جواب الكتاب »

وعندما اختفى الرشيد من المسرح السياسي ، رجع اليوسي لمسقط رأسه بالبادية مبتعداً بنفسه عن الفتن التي اندلعت آنذاك ، ولكنه لم يتخل عن الدور الذي يجب في نظره على علماء المسلمين أن يلعبوه في التوجيه والنصح للإمام ، والتشبع بروح المسؤولية القائمة على العقيدة الإسلامية.

وقد جرت العادة وتواترت أن يُستَغل الدين كأداة لإخضاع المجتمع ، ولمساندة النظام القائم كيفما كانت حقيقته ، وهذا هو المفهوم الذي شذ عنه اليوسي. ولم يستسغ السلطان الجديد هذا الشذوذ ، فأصبحت معاملته للرجل تتسم بالكثير من الريبة والشك ، سيما وأن القبائل البربرية التي ينتمي إليها اليوسي لم تلبث أن شقت عصا الطاعة هي الأخرى ، بعد مراكش وفاس والسوس

وتصدى العالم في رسالته التي عرفت بـ « براءة اليوسي » ليلفت نظر المولى إسماعيل إلى الأسباب الحقيقية لهذه الإنتفاضات ، وقبل ذلك في رسالة « ندب الملوك للعدل » دعاه إلى التشبه بالخلفاء الراشدين الذين كانوا يرغبون في النصح ويطلبونه ، وأن علماء زمانهم لما عرفوا منهم ذلك ، أخلصوا لهم التوجيه مشكورين ويزيد أنه لما انقلب الأمر ملكاً ، وصار البطش والخوف والغضب لغير الله ، انكمش العلماء وخافوا على أنفسهم ، ثم يختم رسالته بحمد الله على أنه هو في دولة سلطان هاشمي علوي فاطمي ، يستمع للحق ويطلبه ولا يأنف عنه ، ولا يستفزه كبرياء ولا أشر ولا بطر . وبعد هذا التمهيد في الرسالة الأولى « ندب الملوك للعدل » يتعرض لما يؤاخذ به حكومة المولى اسماعيل في جرأة وصراحة وشجاعة في الرسالة الثانية « براءة اليوسي » فيوضح المشاكل المزمنة التي

عانى منها المغرب طويلا وهي **الفوض في الشؤون المالية للدولة . الاختلال الإداري . انعدام وسائل الحماية والدفاع القائمة على التعبئة الشعبية العامة**

كل هذا ينجم عنه كثرة الفتن الدموية . والانتفاضات . وفقدان الجو الاقتصادي الصالح لتجمع الثروة وتفريقها تفريقاً عادلا . لإشاعة الرفاهية والتقدم الاجتماعي . في هذه الرسالة يحمل اليوسي للسلطان مسؤلية ظلم الجباة والولاة المتسلطين على الرعية « فأكلوا اللحم وشربوا الدم . وامتشوا العظم . وامتصوا المخ . ولم يتركوا للناس ديناً ولا دنيا » في أن عليه كفهم واستبدالهم ويحذره من أن الجور لا يثبت معه الملك . ولا يفوته في هذه الرسالة أيضاً الإشارة إلى أن على السلطان الوقوف عند حدود الله . إذا أراد لعماله أن يقفوا عندها . كما لوح لما يحل وما لا يحل للسلطان أخذه من بيت المال من خلال أمثلة من سيرة الخلفاء الراشدين . رغم أنه يعلم مدى خطورة الخوض في مثل هذه المواضيع مع سلطان تتقى بوادره وتخشى غائلته ومع ذلك تراه يقول « وأما التعرض لما يستحقه صاحب الأمر من بيوت المال . وما يكون له أن يأخذه من الناس . وما يكون له استحقاق المرتبة (1) من الأوصاف والشروط . والفرق بين الخلافة المعتبرة شرعاً والتغلب . فهذا أمر خطير متعذر . لا يستطاع ذكره . ولا الحوم بساحته . فقد ذهب الحديث عنه منذ الخلفاء الراشدين . فإنهم رضي الله عنهم قد قاموا في هذا الأمر لله تعالى . واتخذوه عبادة » (2)

ثم هو يؤاخذ السلطان مؤاخذة شديدة على سياسة تجريد القبائل من الخيل والسلاح خصوصاً في الثغور التي عليها أن تصد هجمات العدو الأجنبي المتربص بالشواطئ المغربية . وهو في هذه المؤاخذة لا يتراجع أمام مقارنة ما كانت عليه الأمور أيام الرشيد . وما آلت إليه في حكم المولى إسماعيل من تأخر وتخاذل يقول « وقد حضرت بمدينة تطاوين أيام مولانا الرشيد — رحمه الله تعالى —

---

(1) مرتبة صاحب الأمر الخليفة أو السلطان

(2) رسالة « براءة اليوسي »

إذا سمعوا الصريخ تهتز الأرض خيلا ورماة . وقد بلغني اليوم أنهم سمعوا صريخاً من جانب البحر ذات يوم فخرجوا يسعون على أرجلهم بأيديهم العصي والمقاليع . وهذا وهن في الدين وعذر على المسلمين . وإنما جاءهم الضعف من المغارم الثقيلة . وتكليفهم الحركات . وإعطائهم العدة كسائر الناس » (1)

ولا يخفى ما في هذه اللهجة من حِدَّةٍ . وَتَحَدٍّ للميول الاستبدادية التي عرف بها المولى إسماعيل . ولكن اليوسي يزيد فيلح على السلطان أن التوفيق في اتجاهاته لا يتأتى إلا بمبدإ الشورى الذي اعتبره الفقهاء من الأصول الشرعية . وجعلوه فرضاً على من ولي أمر المسلمين . بل إن منهم من اعتبر تركها من موجبات العزل (2) إذ أن الأمر بالشورى في الإسلام قرر كأصل عام لا يقبل التبديل . بمقتضى الكتاب . وترك للأمة الاسلامية أمر البحث عن وسائل التنظيم والتطبيق.

ولتحقيق الشورى الإسلامية يجب على المواطنين أن يهتموا بشؤون الأمة . ويسايروا تطورات الأحوال فيها . ويعبروا عن رأيهم في كل ما يعرض لهم من الشؤون . ولا يكتمون المشورة متى طلبت منهم . بل يجب إبداؤها خالصة لله ولرسوله ولعامة المسلمين . مجردة عن الأهواء الشخصية . واليوسي يرى أن أولى الناس بذلك العلماء . أي الطبقة المتنورة لأنهم « حملة الكتاب والسنة والأمناء عليهما » ولأنهم « في أيديهم أمر الشريعة ونهيها فيجب اتباعهم » (3)

ويلح اليوسي على ضرورة استشارة العلماء في رسالة « براءة اليوسي » فينصح السلطان قائلا : « فعلى سيدنا أن يقتدي بهؤلاء الفضلاء . ولا يقتدي بأهل الأهواء . ويسأل من معه من الفقهاء الكفاة كسيدي محمد بن الحسن (4) وسيدي أحمد بن سعيد (5) وغيرهما من العلماء العاملين الذين يتقون الله . ولا يخافون في الله لومة لائم . فما أمروه به مما ذكرناه ومما لم نذكره فعله . وما

(1) أنظر رسالة « براءة اليوسي »
(2) أنظر تفسير القرطبي ج 249/4
(3) أنظر رسالة « جواب الكتاب » ص 130
(4) أنظر الترجمة في حواشي المتن
(5) أنظر الترجمة في حواشي المتن

نهوه عنه انتهى » (1)

على أن اليوسي ولو أنه طرح مبدأ الشورى ونصح به سلطان المسلمين . لا يلبث أن يعترف أن واقع نظام الحكم في هذه العصور التي طغت عليها الشهوة . والغضب لغير الله والصولة على أعراض الناس ودمائهم وأموالهم بغير الحق . لا يمكن مَنْ تصدى للمشورة والنصح أن يأمن مغبة نصحه ومشورته « فانخنس العلماء وهربوا بأنفسهم » (2)

— العلماء ودورهم في الأمة

ينطلق اليوسي من الفكرة أن العلماء هم « أهل الحل والعقد » وأن « العلماء ورثة الأنبياء ». وجعلهم هم الذين تجب لهم الطاعة . إذ أن تأويل الآية « وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » (3) ذهب كثير من المفسرين . واليوسي يحدو حدوهم إلى أن أولي الأمر هم العلماء . لأن في أيديهم أمر الشريعة ونهيها وهم حملتها . وهم خصوصاً الأمناء عليها . لا تنعقد الخلافة شرعاً إلا ببيعتهم . وهم خواص الطبقة العليا في الأمة . الذين أمر الله نبيه بمشاورتهم في الأمر . والذين لهم شرعاً حق الاحتساب والسيطرة على الإمام والعمال لأنهم رؤساء الأمة ووكلاء العامة (4).

فإذا تقرر هذا . واليوسي يدعمه بالنصوص من الكتاب والسنة . تتبين المسؤولية الخطيرة التي يضعها اليوسي على عاتق العلماء . والدور الفعال والحيوي الذي يفرضه عليهم علمهم وتقواهم . فهم يقومون مقام مجلس النواب في الحكومات الديمقراطية . وإذا دققنا النظر في أطوار الحكم في البلاد الإسلامية من عهد الرسالة إلى الآن . نجد ترقيها وانحطاطها تابعين لقوة أو ضعف احتساب « أهل الحل والعقد » ولدرجة اشتراكهم في تدبير شؤون الأمة . ونجد الصلاح والفساد دائرين مع سنة الاستشارة أو الاستقلال في الرأي.

---

(1) أنظر رسالة « براءة اليوسي »
(2) « ندب الملوك للعدل »
(3) الآية 58 سورة النساء . مدنية
(4) أنظر رسالة « جواب الكتاب » الدر المنضد ورقة 218 و . المنزع اللطيف ص 83

ولكي يكون دورهم هذا فعالا وحقيقياً وذا جدوى . يضيف اليوسي أنهم إذا اعترف لهم بالعلم والصلاح وانقياد الناس لهم . لزم أن لا ينكر عليهم إلا من هو مثلهم . إذ أن الجمع بين الاعتراف لهم بالعلم والثقة . وثبوت حق الناس عليهم . ثم الإنكار عليهم فيما يقولون وما يفعلون جمع بين متنافيين.ولاشك أن اليوسي في هذه الملاحظة يلوح لموقف المولى إسماعيل منه في غالب شأنه معه.

وبعمق كبير يفسر اليوسي (1) كيف أن صحبة الملوك كثيراً ما تضر بالعالم ولا تنتفع بعمله الأمة . بل تنكره وتعتبره طالب دنيا . وغير مأمون . لأنه في مثل هذا الوضع . يتحبب ويتقرب . ويساعد ويساعف في كل قول وفعل . لأن الغالب على الأمراء ميلهم لمن يوافق أهواءهم من الذين يحرفون أحكام الشريعة ابتغاء مرضاتهم ذلك لأن استبداد الأمراء وكبرياءهم تمنعهم من الميل إلى العلماء العاملين . الذين لا يخلون من غلظة وثبات كلما انتهكت حرمات الدين الحنيف وبالتالي حقوق الجماعة.

ويجمل هنا أن نذكر شهادة المولى إسماعيل في علماء عصره . في مجلس ضمه مع بعض المقربين إليه قال : علماء الوقت على أربعة أقسام قسم لا يخاف إلا من الله ولا يخاف منا . وقسم يخاف من الله ومنا . وقسم يخاف منا ولا يخاف الله . وقسم لا يخاف من الله ولا منا . وَمَثَّلَ للقسم الأول باليوسي. (2).

ولا يفوت أديبنا أن يحذر من مدعي العلم والصلاح . أصحاب البهرج الزائف . وطلاب المناصب الذين يكتفون بِبُلْغَةٍ من العلم . ويشتغلون بالاحتراف للارتزاق . وهذا مما يفسد العلم . ويقلل أهله . ويجعل الجهال الطامعين يستأثرون بمزايا العلماء العاملين . ثم يسترون جبنهم بجعلهم التحدث في الأمور العامة والخوض فيها من الاشتغال بما لا يعني . بل ربما اعتبروه من الغيبة والسعي بالفساد.

---

(1) نفس المرجع ص 130

(2) أنظر التقاط الدرر ص 64

ثم هو يؤكد بالتالي على ضرورة رفع الجهل (1) واعتبره الجهاد الثاني بل أهم الجهادين ، وأن الجهل إذا تسلط «لم تبق عقيدة صحيحة ، ولا إيمان ولا عمل صالح ، وهذا هو الهلاك الأبدي» (2) وحث المسؤول عن الأمة على نشر التعليم ، وحدد له وسائل تحريكه وتشجيعه ، ومعايير مزاولته حتى يصبح في خدمة الفرد والمجتمع ، لا مطية للجاه والسمعة ، والحظوة والشهرة (3)

— الدفاع عن مصالح الأمة المادية والمعنوية

من غايات تحرير وجدان المسلم ، شعوره بالحرية والمساواة ، ومن فروع الحرية وتساوى الحقوق ، محاسبة الحكام باعتبار أنهم وكلاء ، وعدم الرهبة في المطالبة وبذل النصيحة.

واليوسي ينبه السلطان لحقوق الأمة التي ضاعت ، ويحذره الاغترار بالبطانة النفعية التي «تزين له الوقت ، فإن كثيراً من الدائرين به طلاب الدنيا ، ولا يتقون الله ، ولا يتحفظون من المداهنة والنفاق والكذب» (4)

ويركز مفكرنا دفاعه عن حقوق الأمة بالخصوص على الجباية ، وظلم الولاة والجهاد ، وإذا تمعنا في هذه الأمور الثلاثة نجدها من أهم الأعمدة التي برعايتها تقوم الأمم ، وبضياعها تضمحل وينحط أفرادها.

ففي سياسة المال يسير الإسلام على هدى نظريته العامة وهي تحقيق معنى العبودية لله وحده ، بأن يخضع تداول المال لشرع الله ، وهذا الشرع يحقق مصلحة الفرد ، ويحقق مصلحة الجماعة ، ويقف بين ذلك قِواماً لا يضر الفردَ ولا يضر الجماعة .

والجباية أو الزكاة أصلا هو ما يفرضه الإمام كحق للمال بحق التشريع ، بقدر معين معلوم له ضوابطه ، ينفق فيما حدده هذا التشريع من مصالح ، إذ

---

(1) أنظر «جواب الكتاب»
(2) نفس المرجع
(3) نفس المرجع
(4) «براءة اليوسي»

أن الإنفاق كذلك له ضوابط ، واليوسي يؤكد على هذه الصبغة عندما يقول « جمع المال في حق وتفريقه في حقه » وهو يعتبر هذا من حقوق الإمام وواجبه في آن واحد . وهذا يذكر بموقف عمر بن الخطاب عند استخلافه عندما ألح هو الآخر على هذه الناحية الأساسية في دور الحاكم عندما قال في خطبته الثانية « ... لكم عَلَيَّ ألاَّ أجتبي شيئاً من خراجكم ، ولا ما أفاء الله عليكم إلَّا من وجهه ، ولكم علي إذا وقع في يدي ألا يخرج منها إلا في حقه ... »

ويؤكد اليوسي في تحليله أن هذا المسلك هو السبيل القويم لتثبيت دعائم الحكم ، ومن تنكس عن هذا الطريق فإنما يورث أحقاد النفوس ، وتغير القلوب ، وهذا إنما يجر إلى فساد الرعية بأن تتهاون النفوس ، وتتهافت وتتضاءل قيمهم الذاتية في نظر أنفسهم ، فتهون عليهم كراماتهم أمام سطوة المال ، ويصبحون عبيداً لمتاع الدنيا التي فقدوها ، وفقدوا دينهم وكرامتهم معها.

نعم ، للحاكم في بعض الظروف أن يتجاوز المال المشروع إلى ضرائب أخرى يتحقق بها التعادل والتوازن ، وتزول بها الأحقاد والضغائن ، وترتفع بها عن الأمة مضار الترف ومضار الشظف ، ولكن بدون أن يُخِلّ بنص ولا بقاعدة أساسية ، فليس له أن يُحْفِيَ الناس فيأخذ كل مالهم ويدعهم فقراء ، أو يجعل موارد رزقهم كلها في يديه يستذل أعناقهم بها . إنما الحاكم في أمر الأموال بمثابة الوصي أو الوكيل يأخذ من هنا في حقه ويصرف هنا في حقه ، على مستحقه ، حسب الشرع وفي مصالح المسلمين العامة ، والمصالح المرسلة ، وليس له إلا ما لغيره من الأفراد الذين لهم الحق في بيت المال.

ولا يفوت اليوسي أن ينبه الإمام إلى ما للأموال من لصوق بالنفس ، فالذي يأخذها منها بالجور والظلم هو هدف للنقمة ، ويكاد صنيعه هذا يضرم الفتن ويشعل عليه نار الثورات.

ومن عدل واستقام في سياسة الأموال يكسب الثناء والمحبة . وهذا ما يجعل العامة تذعن وتسلس قيادها ، ثقة منها بعدل الإمام وإنصافه... وهذا الإمام العادل المنصف مسؤول عن وُلَاتِه أيضا ومحاسبتهم ، فعدلهم من عدله وجورهم من جوره.

وبعض التأمل في أحوال البلاد في تلك الفترة يؤكد ما انتصب اليوسي لفضحه من تعسف الولاة ومن تسخيرهم للرعية وضغطهم عليها وجعلها ترزح تحت وطأة الجبايات الفاحشة في محاولات لتثبيت الأمن . فالعدل والإنصاف اللذين أمر بهما الإسلام هي التي تدعو الرعية للطاعة إذا ما التزم الحكام التقيد بها قولا وعملا.

أما القضية الثالثة التي انتصب اليوسي للدفاع عنها فهي قضية الجهاد والمراد بالجهاد عند اليوسي ، مقاومة زحف العدو الرابض في مختلف الجهات بالمغرب خصوصا الثغور ،والمتربص للانقضاض في كل آونة عندما يستأنس الضعف والوهن . والكتب التي أرخت لبداية ملك المولى إسماعيل تذكر أن القبائل كانت تجرد من السلاح والخيل ، وقد أضر هذا الفعل كثيراً بالبلاد ، لأن هذا في نظر اليوسي أضعف حركة المقاومة والدفاع عن حوزة الوطن التي نظمها المواطنون فيما بينهم حقبة من الزمن منذ اختلال السلطة المركزية وقبل ذلك . وكانت هذه المقاومة منظمة خصوصا بين قبائل المناطق المتاخمة للشواطئ والحدود الشرقية المغربية .

والإسلام كما يقرر اليوسي جعل الجهاد فرض عين على من يلي العدو ، وإلا إذا حميت أطراف البلاد من طرف الدولة ، وسدت الثغور فيسقط فرض الجهاد ويبقى نافلة ، وليس ذلك شأن ما قام اليوسي يحذر منه . وهذا يظهر الغيرة التي لم تخل منها نفس المغربي واستماتته التي تدفعه إلى الدفاع عن حوزته حتى وإن كان بلا عدة .

وليس مجهولا ما قام به المجاهد العياشي قبل هذا بقليل في سبيل الدفاع عن تراب المغرب واستقلاله ، وما كان له من رصيد سياسي ينم عنه الاجلال والانصياع الذي كان يحظى به من طرف القبائل.

وما يذكره في رسالة « براءة اليوسي » يجسم ما كان يعانيه المغاربة من الضغط والانحباس يضطرهم عملياً إلى الانغمار في ثورات عنيفة ويائسة أو إلى الفرار إلى الجبال يقول اليوسي : « ولم تزل الجبال معاقل اللائذين بها من

القهر.. » (1) ولكن السلطان إسماعيل سرعان ما يتلافى هذا التقصير، ويتم في آخر حياة اليوسي استرداد العرائش والمهدية وغيرها من الثغور. عندما توفر جو من الاستقرار النسبي في البلاد، وتمكن السلطان من إخماد فتن القبائل المشاغبة التي كانت ثوراتها تقوم في أغلب الأحيان على الغزو الخاطف والتخريب والارتحال.

— محاربة البدعة والجهل وتشويه تعاليم الدين

سبق لليوسي أن أشار في الرسالة المطولة لإسماعيل إلى وجوب الاعتناء بالتعليم، ورفع الجهالة عن الناس. وخصوصا بالبادية يقول: « ... ولكن لا يختص ذلك بالحاضرة. فإن أهل البادية أحوج — فالأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله — فالاعتناء بهم أهم، وأن منهم من يكون التعليم في حقه كأنه تبليغ الدعوة من أهلها... » (2)

هكذا فهم اليوسي رسالة العالم، وهذا ما سعى إلى تحقيقه عندما خرج إلى البادية للاستقرار بها بعد حصار فاس، فهو على بينة بأحوال البادية عن معايشة من خلال أسفاره. وهو يدرك مدى انتشار البدعة والضلال والفساد نتيجة لهذا الجهل الفادح الذي جعل التعليم في حقهم بمثابة تبليغ دعوة الإسلام وقد حاول جهده المساهمة في رفع ذلك، فكان يعلم العلم. ويبسط قواعد الإسلام ويشرحها، ويفتي أينما حل وارتحل، خصوصا عند استقراره « بخلفون » بل ربما أطعم طلبته وكساهم مع الاشتغال بحرثه كبقية الناس والعيش كما يعيشون (3)

وفي رسالتي « طائفة العكاكزة » و « نازلة العرائش » بالخصوص نراه ينتصب لفضح هذا الجهل، ويشجب البدعة، ويدين كل الشبهات التي تمس بروح الدين وصفائه ولاشك أن مدعي التصوف الذين عرفهم المغرب في بعض مناطقه، هؤلاء الذين خلت قلوبهم من الدين كلية، يتحايلون على ضعفاء

---

(1) أنظر رسالة « جواب الكتاب »
(2) أنظر المرجع السابق
(3) أنظر رسالة « جواب الكتاب »

العقول للوصول إلى كسب الدنيا ، وقد وجدوا مرتعاً خصباً في البادية المغربية ، التي أصبح فيها لكل ناعق أتباع ، جلهم من المحتالين الجاهلين بتعاليم الدين ، فاختل الأمر واختلط على الناس التمييز واشتغلوا بالهراء والافتراء ، فكان من ذلك أن آمن الاتباع بالأشياخ المدعين ، وألهوهم حتى نسيت الشريعة وتنكر إلى شارعها عليه السلام : فهؤلاء أصحاب الحقيقة وأولائك أصحاب الشريعة ، وهناك الفرقة التي تؤمن « بأحمد المنزول » ترى فيه إلاها الخ . وانتهض اليوسي لمحاربة هذا الانحراف الخطير ، وهو الذي أخذ العلم على أنه رسالة وأمانة ، قوامها الجهاد المتصل من أجل الأخذ بالمفاهيم الأصيلة في الكتاب والسنة . ومن ثم كان حرباً على الشعوذة ، والعقلية الخرافية ، والاستغلال والارتزاق بالدين تمشيًّا مع فهمه الحي الواعي لحقيقة الإسلام ، ولتبعاته ومسؤلياته كعالم مسلم.

فكان اليوسي عالماً متميزاً عن أولئك الذين ركنوا إلى الدعة والاستسلام وابتعدوا عن المسؤولية في تحرير الفرد ، التي تضعها على عاتقهم رسالة العلم ، ورسالة الدين ، وانغمسوا في التملق والوضاعة والانخذال ، وكان اليوسي في هذا قد ربط نفسه بسكان البادية وجماهيرها وطلبتها فظل مركز إشعاع إسلامي طوال انقطاعه بالبادية ومرجع القبيلة والمنطقة.

2) التصــوف

التصوف خليق أن يصحب كل نزعة شريفة من النزعات الوجدانية . أساسها الصدق والإخلاص ، بحيث لا تملك النفس أن تنصرف عما آمنت به واطمأنت إليه والیوسي التلميذ الروحي للشيخ ابن ناصر كان متصوفا في حبه لآل زاوية الدلاء ، وعندما فجعه الدهر في هذا الحب . كشف له الولاء والوفاء عن معين الحب الكبير ، الذي بث جذوره فيه منذ سنين شيخ الزاوية الناصرية

فهو إذن عرف التصوف الموصول بالقلب والروح ، والمطبوع بالصدق والعمق ، ولم يعرف أبدا ذلك التصوف الموصول بالإشارات والرسوم والتقاليد . فتصوفه هو الصدق في العواطف الدينية . والتعمق فيها بقصد النفوذ للجوهر

والحق أن شخصية اليوسي الصوفية قد اشتركت في تكوينها عدة عوامل

أولا البيئة الخاصة (1) والتربية الدينية الأولى ، واتصال روحه بكتب القوم في سن مبكرة بواسطة معلم الكتاب القرآني « ... ومن أحسن ما استفدته على يده أنه كان عنده مجموع فيه « المورد العذب » للجوزي « وبحر الدموع » له وكنت آخذه وأنظر فيه فأطالع حكاية من فيه من الصالحين كأويس القرني ، وإبراهيم بن أدهم ، وسيدي ابراهيم الخواص وغيرهم نفعنا الله ببركتهم آمين ، فانتقشت تلك المآثر في عقلي ، ووقعت حلاوتها في قلبي فكان ذلك سبباً وبذراً لما أنعم به الله تعالى عليَّ من الإيمان بالطريقة ومحبة أهلها والتسليم لهم » (2).

ثانيا: بعد هذا التفتح المبكر على حياة الزهاد والصالحين يأتي مباشرة اتصاله بالطريقة الشاذلية بواسطة زاهد عابد هو محمد بن ناصر شيخ زاوية تمكَروت الذي يقول فيه اليوسي عندما يعدد شيوخه في فهرسته: « ومنهم أستاذنا

---

(1) أنظر « المحاضرات » ص 29 يقول « ... فاعلم أن أبي مع كونه رجلا أميا كان رجلا متدينا مخالطا لأهل الخير محبا للصالحين ... »

(2) أنظر « الفهرست » ص 130

الإمام وقدوتنا الهمام علم الأعلام ، وشيخ مشايخ الإسلام ، قدوة الطريقة ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، سيدي محمد بن ناصر الدرعي... سمعت مواعظه ووصاياه ، وأخذت عليه عهد الشاذلية تبركاً... وانتفعت به ظاهراً وباطناً». (1)

وتأثير ابن ناصر في حياة اليوسي تأثير بارز . تحدث عنه كلما سنحت له فرصة بذلك ، كما اتَّصل اليوسي بالطريقة الشاذلية (2) أيضا طيلة إقامته بالزاوية الدلائية التي عُرِفت أيضاً بانتمائها لهذه الطريقة الصوفية عن طريق الصوفيين الكبيرين الشيخ محمد الجزولي (3) والشيخ أحمد زروق . (4)

أما العامل الثالث فهو عامل نفسي محض يرجع إلى الإرهاف والحساسية في نفسية اليوسي ، فقد كان الشعور بمأساة الدلاء هو المحرك الأول الذي زعزع تلك العاطفة الصوفية الجياشة وأخرجها للوجود . ولم تضطرب النفس الإنسانية قط بالشعور الذي لا يطاق إلا التمست لها ملاذاً وهذا الملاذ بالنسبة لليوسي هو الحب الشريف.

والاتجاه الصوفي لليوسي كما يبدو من الرسائل ، يقوم على مبادئ سنية صافية لا تشوبها شائبة ، ويتلخص أولا في تصحيح العقيدة ، ونراه يلح على هذا المبدأ في مقدمة كل رسائله إلى المريدين ، ثم إقامة التكاليف الشرعية مع الاجتهاد في جعلها تتسم بالإخلاص والصدق والبعد عن الرياء ، ثم بعد هذا يأتي البحث عن المعرفة من خلال التربية ومختلف أنواع الرياضات ، والمجاهدات النفسية . وهذا كله مستق من الكتاب والسنة.

وقد لخص هو تعريف الطريق الصوفية فقال « ... العمل لله بما يرضى من حيث يرضى » وجعلها « ... هي ثمرة العلم ولبابه ، وأحد ركني الدين ، فإن

(1) أنظر « الفهرست » لليوسي ص

(1) أنظر « الفهرست » لليوسي ص

(2) طريقة تصوف تنتسب إلى نور الدين ابن الحسن الشاذلي (592هـ/655هـ) ومتصلة بالإمام أبي القاسم الجنيد (277هـ). منتشرة بالمغرب

(3) شيخ الطائفة الجزولية ومؤلف كتاب دلائل الخيرات . كان برباط آسفي أولا ثم انتقل إلى « أفوغال » حيث مات (870هـ) نقله السعديون إلى ضريحه الحالي بمراكش

(4) أنظر ترجمته في حواشي المتن .

الشريعة لها ظاهر وهو للفقهاء وباطن وهو للصوفية . وإنما يكمل الأمر بهما معاً ولهذا يقال من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق . ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق . ومن جمع بينهما فقد تحقق . فمن أنكر هذا ... فقد أنكسر الشريعة...»(1) .

فالتصوف عنده يتكون من عناصر ثلاثة : العقائد . والأحكام الشرعية . والآداب . وهو يوصي المريد السالك أن يقلد الفقهاء في الأحكام الشرعية والمتكلمين من أهل السنة في العقائد . وأن لا يقلد في الآداب وصلاح القلب إلا أرباب القلوب (2).

وأرباب القلوب . شيوخ الصوفية . هم أيضا في مفهوم اليوسي للتصوف . لا يخرجون عن أحوال سيد أرباب القلوب وقدوة العارفين محمد رسول الله ﷺ . ويظهر ذلك عندما يتحدث في فهرسته عن أشياخه في التعليم ويبين أقسام الشيخ في الدين فيقسمه إلى ثلاثة : شيخ تعليم . وشيخ تربية . وشيخ ترقية . وبعد تحديد مدلول كل منها قال « واعلم أن هذه الأحوال الثلاثة . مأخوذة من حال النبي ﷺ فهو أصلها لأنه ﷺ جمعها على أكمل وجه : **أما التعليم** فواضح وهو ظاهر الشريعة . وأصل البعثة . وأما **التربية** فقد كان ﷺ يربي أصحابه بالأذكار المختلفة والأدعية المختلفة والوصايا المختلفة كلا بما يصلح به . فيقول للواحد لا تغضب . ويقول لآخر أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله... وأما **الترقية** فواضحة أيضا فقد كان الرجل يكون فاجرا . وبنفس مشاهدة طلعته الكريمة يخشع ويطمئن بالإيمان ويتنور قلبه ... » (3)

وإني في هذه المقدمة الدراسية للرسائل . لا أدعي أنني سأحيط إحاطة تامة بتصوف اليوسي وخصائصه ومميزاته . فهذا يحتاج إلى دراسة مستفيضة مستقلة . فتصوف اليوسي في الرسائل هو لمحة فقط من تصوف متشعب الجذور . محلق في أجواء الفكر والروح . لابد للحكم عليه من دراسة علمية لمؤلفات اليوسي .

---

(1) أنظر رسالة « جواب الكتاب »
(2) أنظر الرسالة إلى « أهل كارت »
(3) أنظر فهرست اليوسي

خصوصاً : « مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص » ، وبعض فصول « المحاضرات » و « القانون » و « الحاشية على الكبرى » لتوضيح فلسفته الصوفية والكلامية التي تمثل مرحلة عامة من الفكر الإسلامي في المغرب

نعود إلى تصوف الرسائل فنلاحظ أن هذه الرسائل ، بحكم طابعها وأنها مرسلة إلى إخوة في الطريق ، وإلى مريدين مبتدئين ، أو «مقدمين » ، وبحكم تداولها ، فهي تنتقل بين أيدي الفقهاء ومتوسطي التعليم ، وتقرأ على العوام من المريدين ، وتُشرح لهم ، فهي إنما تعكس من تصوف اليوسي جانبه الأدبي والخلقي فهي تخاطب المريد ، وهدفها تصحيح عقيدته ، واستنهاضه للقيام بالتكاليف الشرعية ، ثم حثّه بوسائل الصوفية المعروفة على تجريد النفس من رذائلها ورعونتها ليكمل لها الصفاء ، وتتهيأ للسمو على ماديتها ، والرسائل كذلك لا تخلو من الكلام المستفيض عن المعاناة الروحية ، والمجاهدات النفسية التي يسلكها طلاب المعرفة . ولكن اليوسي لا يقدم لنا فيها تفسيره وتصوره للكون ، ومكانة الإنسان فيه ، ولعل هذا راجع كما قلت آنفا إلى طابع الرسالة

ورسائل اليوسي إلى أصدقائه وإخوانه ومريديه تختلف عن رسائل الشيوخ إلى أتباعهم ، والتي تتناول بالخصوص تلقين الأوراد وعددها ، والأحزاب وأوقاتها ، والاستغاثات ، إنما هو في هذه الرسائل يتعرض للمبادئ الأساسية للتصوف السني والتي منها : تصحيح العقيدة ، والتفقه في الدين ، وشرح طرق إصلاح القلوب ، وتحليل الآداب الصوفية

ويظهر من هذه الرسائل أيضا أنَّ اليوسي يخاطب فيئات مختلفة من المتصوفة يخاطب الأخ العالم الذي قطع بعض مراحل الطريق ، ويخاطب الأخ المريد المبتدئ ، ويخاطب جمهرة العوام من مريدين وغيرهم ممن يريد معرفة دينه والتفقه فيه . وهو يخاطب كل فئة بما يناسب أحوالها ، وما هي مستعدة لفهمه وهضمه وتطبيقه ، يخاطب الناس على قدر عقولهم ويأمر أصحابه بذلك ، وهذا ضروري للصوفية ، وهم لهذا أحوج من غيرهم ، لأنهم يعيشون في أودية من المعاني لا يفطن إليها إلا القليل . فاليوسي عندما يتكلم مع جمهور العوام ، فكأنما يخوض غمار التوعية الخلقية ، والتربية الأساسية الإسلامية : يعلم ويربي ،

ويوصي . ويعظ « عليكم بانتهاج السنة . والاستقامة والاحسان والسماحة والتشاور ». ويحذر « من حب الدنيا والشح (1)... » ثم هو يوضح المبادئ الأولى الإسلامية من علم التوحيد وعلم الفقه . وذلك في قالب مبسط وبدون الدخول في التعقيد . « وإنما لم نذكر لكم الأدلة في هذه الرسالة مخافة أن أهول بها على من لا يقدر عليها... » (2)

وهو في توعيته لهذه الطبقة من العوام المريدين لا ينسي أن ينبه إلى الآفات التي تسربت للتصوف في عصره فيقول « ولا تركنوا إلى البطالة والغرور . كما وقع لأكثر من يتسمى بالفقر في هذا الزمان..... فإنهم سمعوا بذكر النية والمحبة في طريق القوم . فاكتفوا بهذين الإسمين عن المجاهدة التي هي طريق القوم . ولم يعلموا أن النية سرها في العمل . فإذا لم يكن العمل فلا نية . والمحبة إنما امتدحت لاجتذابها المحب إلى اتباع المحبوب والتشبه به . والإنخراط في سلكه . فإذا لم يكن منه شيء من هذا . فمحبته ليس لها كبير فائدة . لأنها ناقصة . قد غلبت عليها محبات أخرى من الشهوات والكسل . فلم يبق لها حكم .. » (3)

وهناك فئة أخرى من العوام توجه لهم اليوسي بالنصح والتربية وهم المسؤولون على خلايا تربية المريدين . وهم ما يسمى « بالمقدمين » وقد خصهم برسالة بعث بها إلى اثنين منهم (4) تفضح الكثير مما يفعله هؤلاء المقدمين في عصره ممن كانوا يعتبرون أنفسهم بمنزلة الولي على بلد يأخذ جبايته ويجمعها إلى من ولاّه . وبيّن لهم اليوسي أن دورهم هو إرشاد الإخوان والسعي في مصالحهم وفي دينهم...«وإن عليه التواضع فلا يرَى لنفسه قيمة بل يرَى نفسه خديماً للفقراء. ويرى لهم الإحسان في قبوله . ويرى لله المنة في أن جعله أهلا لخدمتهم . وعليه أن ينصح بالرفق . ويُيَسر ولا يُعسر ويبشر ولا ينفر . ويصدع بالحق ولا يداهن... » (5)

---

(1) الرسالة إلى قبيلة المزامز

(2) الرسالة إلى أهل ثغر آسفي

(3) الرسالة إلى أهل ثغر آسفي

(4) الرسالة إلى المقدمين الحاج علي ومعمر

(5) جميع الاستشهادات من الرسالة النصيحة

أما النوع الثاني الذين خاطبهم اليوسي في الرسائل فهم المريدون المبتدئون. «والرسالة النصحية» في أغلبها اتجهت لهم خصوصاً وشرحت كيف أن العبد لا يخلو من أربعة أحوال دينا ودنيا فإنه إما **أن يكون في طاعة** أو **معصية** أو **يكون في نعمة** أو **بلية** ولله تعالى عليه الحق في كل منها ثم يمضي اليوسي في تحليل أحوال النفس وآدابها حسب هذه الأحوال الأربعة. في طرافة وابتكار. ويؤديه هذا التقسيم إلى طرق كل ما يتعلق بالأخلاق الصوفية ولكن بطريقته الخاصة فيتعرض لمفهوم الدنيا ولمقامات الشكر والصبر. والاحتساب.

ثم يصل للمعرفة فيقسمها هي الأخرى أربعة أقسام معرفة الله ومعرفة النفس. ومعرفة الدنيا ومعرفة الآخرة. ويعطي تحليلا مركزاً طريفاً لهذه المعارف لكي يصل إلى لباب التصوف فيقسم الخلق في الدنيا **ثلاث فرق**: **فرقة** همهم في الدنيا ولا أرب لهم في الآخرة. **وفرقة** همهم أيضا في الدنيا ولكن يريدون الآخرة بالأطماع والأماني. **وفرقة** همهم في الآخرة معرضون عن الدنيا فلا يتلبسون منها إلا بما لابد منه.

وهذه الفرقة الأخيرة هي التي يعنيها المتصوفة بالخاصة أو السالكين وقد قسمها اليوسي مرة أخرى إلى فرقتين «**قوم** سمعوا بالجنة وما أعد الله فيها من النعم فاشتاقوا إليها واجتهدوا في العبادة توصلا إليها وهؤلاء هم العباد في العرف. **وفرقة** سمعوا بذكر المولى سبحانه فهبت عليهم نسمات الحب ونفحات القرب فصاروا إليه طلباً له ولم يعرجوا على شيء دونه...» (1)

أما الفئة الأخيرة من الذين خاطبهم اليوسي في الرسائل فهم بعض الإخوان من السالكين الذين تناول معهم بعض الأحوال وبعض المقامات (2) والطريق السليم الى التمكين والوصول (3) بالانحياش إلى الله بالقلب والقالب. وترك العلائق والنوازع والشواغل وزم النفس عن مألوفاتها مع اشتغال القلب بالتفكر في عظمة الله وجلاله حتى تألف النفس التجرد والتفرد. كل ذلك مع الالتجاء

---

(1) الرسالة النصحة

(2) أنظر الرسالة في «التربية الصوفية

(3) أنظر الرسالة في موضوع الغيبة

إلى الله بصدق الافتقار والاضطرار . وتقديم التوكل على الله في الإعانة مع إسقاط الحول والقوة على النفس . وهو في الحديث مع هذه الفئة لا يلبث في آخر كلامه أن يتبرأ من الوصول لتلك المنازل . ويعتبر أن ذلك يعبر عنه من وصل إليه . ومن لم يصل يقول « وأنا والله قد عبرت عنه ولم أصل إليه ولولا إسعاف السائل . مع النظر الى كون الكلام وقع على طريق العلم وإبانة الأشياء . لا طريق المعرفة... » (1)

خاصيات تصوف اليوسي

— ويبدو لي من هذا التقسيم أن اليوسي في رسائله يقول بمفهومين للتصوف : مفهوم عملي يدعو إلى حياة سليمة وفق المبادئ والأخلاق والآداب الإسلامية السمحة . وهو الذي في متناول جميع من يتسامى إليه بتعاطي أسبابه.

ومفهوم للتصوف بالمعنى الاصطلاحي . للخاصة . وهذا الأخير يشترط له اليوسي الموهبة والاستعداد . فهو ليس بإمكان الجميع ولا هو في متناول كل من أراده . وإنما هو الذوق والفتح الإلهي... وهذه الفئة هي التي تأخذ نفسها بالمجاهدة وأنواع الرياضات للوصول لدرجات الكمال التي تؤهلها للمعرفة الإلهية . وتهيئها لمقام التجلي والمشاهدة... « فإن كانت همته إنما هي العبادة وطلب الجنة . فله فيما يسمع من كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ . وفتاوى أهل الدين ومواعيظهم الكفاية فيما يفعل ويترك... وإن نزعت به الهمة إلى معرفة الله والوصول إليه . فهو محتاج غالبا الى التربية على يد شيخ صالح . أو أخ ناصح... ولهم في التربية واستصلاح القلب طرق... » (2)

— وإن كانت هناك ميزة كبرى تطبع هذا الفكر الكبير . فهي النبذ التام للتعصب والتزمت . والنفوذ إلى جوهر الأشياء . والبعد عن الغلو والشطط

فهو ينكر التصوف الفلسفي الغالي الذي يجر إلى المزالق القول بوحدة الوجود . والحلول والاتحاد (3) ويرى التصوف هو الموهبة والذوق والفتح قبل

(1) المرجع السابق
(2) أنظر الرسالة النصيحة
(3) أنظر ذلك مفصلا في المحاضرات ص 94 طبعة حجرية.

أن يكون اختياراً وتسبُّباً . ولذلك لا نراه يلح على شيء بقدر ما يلح على الصدق والإخلاص في هذا المضمار . يقول : « ليس من شروط السالك أن يتجرد عن الدنيا رأساً . بل أن يوجه قلبه وقالبه إلى الله . يشتغل بما يرضي الله من حيث يرضى . أما التجرد والتسبب فمجالان من أقيم بواحد منهما وقام فيه بالحق الواجب . فلا بأس عليه... » (1)

ثم يؤكد على عدم الاختيار قائلا : « والواجب أن يشتغل بالخدمة والعبادة ويرجو فضل الله تعالى كيف شاء ولا يختار لنفسه حالة دون أخرى ... » (2) وفي هذا يظهر التأثير الكبير لمدرسة الغزالي التي نهل منها أول ما نهل تحت إشراف شيخه ابن ناصر الذي درس له « الإحياء » كما يظهر تأثير المدرسة الشاذلية وتلميذها « ابن عطاء الله » وأقطاب التصوف السني من أمثال الجنيد والبسطامي وزروق وغيرهم .

— فاليوسي يقبل عقليًا كل ما هو صادر عن صدق وحال خالصة لله . حتى الجذب . ولكن الصادق .. وحتى السماع . ولكن بضابط .. فهو يعتبر أن من المجذوبين من أوصله الله إلى حضرته عناية سابقة منه تعالى لهم . من غير سعي ولا طلب . ولا سلوك ولا تعب ولكن اليوسي ينبه قائلا : « وليس المجذوب الذي ذكرنا كل من ترونه قد ذهب عقله . فقد يذهب عن حمق أو مس جن ، أو وسواس أو نحو ذلك . ولا نصيب له في الطريق ، ولا كل من يتحرك لوارد حب أو خوف أو غير ذلك ولا يضبط نفسه.. » (3)

— أما رأيه في السماع فقد أبدى فيه توسعا يخرجه من دائرة الفقهاء المتشددين ولكنه توسع مشروط . وشروطه الأول : الصدق فاليوسي يقرر أن السماع « .. ليس من فروض الدين ولا من سننه ، وإنما رخصة لأهله عند توفر شرائطه ، بحسب الزمان والمكان والإخوان وبحسب المتعاطيه في نفسه..» (4) فهو

---

(1) أنظر الرسالة النصيحة
(2) أنظر الرسالة النصيحة
(3) الرسالة في السماع ص 428
(4) أنظر المرجع السابق

يعترف أن هناك من الخاصة أهل الذوق السالكين ـ المتخلصين من أسر أنفسهم ـ « والعارفين الكُمَّل » من يَسْتَرْوِحُونَ به من الأثقال ـ ولكن هناك من يتعاطاه من « غير أهله وهو الغالب ولا سيما في هذه الأزمنة نسأل الله العافية ـ فيقع كل ذلك إما عن وارد شيطاني ـ وإما اختياراً كذباً ودعوى ـ والأمر في ذلك مشتبه ... » (1)

وبحثه في هذا الموضوع تميز بالطرافة وعدم التزمت مع التشديد والإنكار على من « ... قصد في باطنه إلى التظاهر بالصلاح والأحوال الشريفة مع الخلو من ذلك ، أو استجلاب حظوظ الدنيا من مال وجاه وغيرها ، وإيهام العوام أن ذلك هو طريق الناس وشأن الصالحين... فكل ذلك حرام فاعله مخدوع ، تجب عليه التوبة من ذلك والإقلاع والإنابة.. » (2)

— والجو الاجتماعي الذي كان يعيشه اليوسي في عصره ، والذي تميز بفشو الادعاء في التصوف (3) والشعوذة ، وادعاء الكرامات وتفاحش عدد الزاويا من جهة ، وبتعالي النكير والإنكار من طرف الفقهاء وغير الفقهاء ـ المعتدلين منهم والغلاة ، جعل البلاد تعرف فترة اختلط فيها الحابل بالنابل ، وعمت فيها الفوضى وحصل الاضطراب في المفاهيم والمقاييس ـ لانتشار الأدعياء وأتباعهم وكثرة المنكرين وتعدد مشاربهم وأهوائهم ـ فحاول اليوسي في كثير من رسائله تقويم وتوضيح مفهوم « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » وتحديد شروطه « ... أما بحسب المنكِرِ فهو إن كان من العوام فحسبه الاشتغال بنفسه وتعلم دينه وترك الفضول .. وإن كان من العلماء فإن رأى منكرا مجمعا عليه فلينكر بمقتضى الشريعة ، وليضمر مع ذلك التفويض وحسن الظن .. وإضمار حسن الظن لا

---

(1) أنظر المرجع السابق

(2) أنظر المرجع السابق

(3) يرجع في ذلك إلى كتب العصر كـ « الفتح الوهبي في مناقب الشيخ أبي المواهب مولانا العربي » نزهة الأخوان في مناقب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان مخطوطة خ ع ر د 390 « الدر المنضد الفاخر » « المورد الهني بأخبار مولاي عبد السلام الشريف القادري الحسني » مخطوطة الخزانة العامة بالرباط كـ 1234

ينافي البغض في الله الذي هو الإيمان ، لأن محط البغض الفعل القبيح وهو المنكَر بعينه لا صاحبه ، بحسب ذاته .. » (1) ثم الأمر بالمعروف على طريق الإرشاد والنصح هو أمر لابد منه لأن الدين النصيحة ، ولكن ذلك مشروط بفقه الناصح ، والمعلم فيما ينصح فيه ويعلم ، وبقبول المنصوح واستماعه.

فالأمر ليس فوضى ، لأن عدم احترام هذه المقاييس ، لا يورث إلاّ « اللجاج والضجاج والفتن والمحن » . وما أقول إن هذا موقف نموذجي يحتذّى به ، وإنما يهم أن أنص على هذه « الفاعلية » في حياة رجل يزاوج بين الدنيا والدين فسلامة الدين أمانة في عنق العالم ، وكذلك أيضا سلامة الصلات بين الناس واستمرار الود والاحترام ، وما فضل الإنسان على غيره إذا انعدمت في مجتمعه محامد الرفق والعطف ، ومذاهب الضبط والكبح ، ومراجع الاحتكام إلى العقل والعدل .

— واليوسي يلح على احترام النسبة ومحبة المتسببين لله من أهل الطريق ، ولكنه ينبه لأمر آخر في غاية الأهمية ، وهو أن هذا التسليم ليس معناه الرضا عن بعض أحوالهم يقول « ... وقد يرون من يُقْتَدى به يسلم لأهل النسبة ، ولا ينكر عليهم فيظنون أنه راض لحالتهم فيقتدون بهم ، أو يعترضون عليه لأنه رضي بهم ، وذلك من جهلهم بهذه الحقائق ، وعدم تمييزهم بين مناط التسليم ومناط الرضى ، فإن التسليم إنما هو عدم القدح ، وذلك مطلوب منا حيث لم يظهر المنكر ، فإنا لم نُومَرْ أن ننقب عن قلوب الناس ، ولا أن نتتبع عوراتهم... ثم لا يكون ذلك منا تزكيتهم ولا رضى بحالهم... وإنما هو الستر. وهذا ما لم يظهر المنكر والابتداع ، ويتداعى الفساد ، ولا سيما في الداعية الذي يتبعه الناس... » (2)

ومن علامات الادعاء عند اليوسي بغض العلم . وبغض أهله وعدم التحفظ على الشعائر الدينية ، وادعاء الكرامات بغير نية ولا استقامة ، وقد رأينا رد فعل

(1) الرسالة النصيحة

(2) المرجع السابق

اليوسي... وموقفه تجاه « فرقة العكاكزة » التي أنكر مُدَّعُوها أصول الشريعة. وادعوا أنهم أصحاب حقيقة، واستحلوا من المناكر ما تعرض له اليوسي وفضحه، ورأينا غضبته الشديدة التي كان من نتائجها أن نهض السلطان لحسم الأمر ورد الأمور إلى نصابها. فهو خصم الإباحية، وخصم أعداء الشريعة اللدود يقول مستنهضاً لإسماعيل « وما زال الخلفاء الراشدون يحمون حمى الدين. ويغارون على بيضة الإسلام أن تكسر بنزعات المبطلين، وعلى نور الشريعة أن يغطى بتمويه البطالين، وعلى مشرب السنة أن يكدر بشفاه الكذابين.. ولما تأله الحلاج ووقع منه ما وقع من الألفاظ لم تعذره الشريعة المطهرة ووقعت فتاوى الفقهاء فيه، حتى أفتى في نفسه، فقتل مع اتساع مجال التأويل في أمره وتأصله في الطريقة ». (1)

— ومن خصائص تصوف اليوسي أيضاً التواضع وعدم الاستطالة، وذلك لإدْراكه العميق لحقيقة المعرفة الممتنعة. فنحن نلاحظ أنه غالباً ما يتبرأ من كونه من أرباب الطريق « وها أنذا أشهد الله وملائكته والمؤمنين من عباده. أني لا أجعل لنفسي مدخلا في هذه الطريقة الفاضلة المشار إليها في هذه الوصية اللهم إلا بمحبتها والإيمان بها..» (2)

— ويظهر لي أن اليوسي عرف وعاش ذلك التصوف الذي تحدثنا عنه آنفاً، التصوف العملي الذي يقوم على التطبيق الكلي للتجربة الإسلامية الصرفة. بأخلاقها وآدابها، والتي تقوم على النظرية المتعالية التي تقضي بأن الله منفصل عن العالم، وأن نسبة العالم إليه هي النسبة بين « كن. فيكون ». عرفه وطبقه بحرارة وشوق وإخلاص.. ولكنه أيضا أحب ذلك التصوف الآخر تصوف البحث عن المشاهدة.. والقرب الذي يعتبره موهبة وذوق، والذي يعرفه أصحاب الأحوال والمقامات.. ولكنه لم يقتحم هذا الميدان، ولم يُعْرَف عن اليوسي انقطاع عن الدنيا ولا خلوة، ولا اشتغال بالمجاهدات، ربما لانه هو

---

(1) أنظر رسالة « العكاكزة

(2) الرسالة النصيحة.

نفسه شرط لهذا التصوف صدق الحال ، وخلوص الدافع ، وأولا وأخيرا الاختيار الإلهي .. وهو ربما لم يجد في نفسه ذلك ، لنسمعه يجيب السلطان إسماعيل الذي اتهمه « بتنجيس العلم بتفقرت » (1) يقول « ...هذا ، ونحن لم نشتغل بهذا الفقر الموصوف أيضا ولا وصلنا إليه ولكنا نحبه ونحب أهله .. وإنما نحن مشتغلون بالتعليم جهدنا ، فالطلبة يتعلمون العلم ، ويتفقهون ، والعوام يتعلمون عقائدهم وفرائضهم وسننهم ، والتوبة وشروطها ، وأذكارا يعمرون بها أوقاتهم ، حيث لم يكن عندهم علم يعمرونها به .... » (2)

— وليس من المستبعد أن يكون اليوسي قد أبدى بعض التشوف إلى ذلك الطريق ، فنحن نجد في فهرسته كلاماً ربما يفهم منه ذلك يقول متحدثا عن شيخه ابن ناصر : « .. ثم ذكر ما أنعم الله به عليه من الأزواج والأولاد والأحوال المستقيمة في الدين والدنيا ثم بشرني فقال سيصلح الله لك ذلك كله أو سيعطيكه لأنه أصلحه لي ، أو لأنه أعطانيه ، فسرني ذلك وفهمت من التعليل اشارة إلى إرث معنوي **للحالة كلها** نسأل الله تعالى أن يحقق ذلك.. » (3).

نعم كان لليوسي زاوية وكان له مريدون ، ولكنه لم يثبت عنه أنه نسب فيها شيئاً لنفسه ، وإنما كان ينسب كل شيئ لأشياخه ، وذلك في حياة ابن ناصر الذي حثه على نشر الطريقة (4) وبعد وفاته أيضاً (5)

وقد ذكر أحد المتصوفة من أصدقاء اليوسي ، وأحد أتباع محمد بن ناصر المخلصين ، وهو أحمد بن عبد القادر التستاوتي ، أنه تكلم للشيخ عن اليوسي

---

(1) كلمة عامية بربرية تعني التصوف

(2) أنظر رسالة « جواب الكتاب » ص

(3) أنظر فهرست اليوسي ص 143/142

(4) أنظر الرسالة من ابن ناصر إلى اليوسي في طلعة المشتري « ... وإنما من أتاك صادقا بغية الدخول في زمرتنا فهو منا وإن لم يبلغنا خبره »

(5) وقفت على رسالة لأحمد ابن ناصر إلى أبناء زاوية تازة يقول فيها « وأولئك الذين يأتونكم ويزعمون أنهم نائبون عنا في تلقين الأوراد فليس لهم ذلك ولا كان لأحد من جانبنا إلا لسيدي الحسن وابنه سيدي محمد رحمهما الله » مخطوطة خ ع ر ك 1301 مجموع ص 211

فقال له الشيخ « قد قضيت حاجته هاهنا — وأشار إلى موضع هنالك — ونرجو من الله رجاء قوياً أن يكفيه ما يتقي ويحذر . فليصرف همته لما يقربه من الله من بث العلم ونفع العباد . فقلت له من أخذ عنه الورد يعتقد فيه المشيخة ، وهو يكره ذلك ، فقال لي لا يضره ذلك مع التبري ، وطريقتنا لا نسند الأمر فيها إلينا . وإنما نسنده إلى أشياخنا قبلنا ..» (1)

أما معاصروا اليوسي وتلامذته وإخوانه الذين راسلوه فقد اعتبر جلهم فيه المشيخة . فهذا تلميذه أحمد الهشتوكي الذي رافقه مدة طويلة يعتبره كذلك في قصيدة طويلة مؤثرة قالها عند نفي اليوسي وتشريده يقول في مطلعها (2)

فؤادي حريق والدموق سفوح بذكراك ياشيخ الشيوخ النصوح
وذكرى معاهد تقدم عهدها بأم الربيع ماهن رجيح

ومنهم من رأى غير ذلك كالرسالة التي بعثها له طالب يقول فيها « هممت بالانحياز إليك حتى سمعت أنك تجبر الناس . فنكصت على عقبي ، وأنك تأمرهم بالتوبة وشروطها وأنا لو قدرت على ذلك لوجدته في كتاب الله . وإنما أريد أن أجد نشاطاً ولذة بوجودك كما هو شأن أهل الهمم الذين يسوقون بالنظرة » (3) فيجيب اليوسي « إني لَسْتُ بشيخ تربية ، ولا صاحب همة وحال » (4)

وقد وضح اليوسي الأمر في كتاب « المحاضرات » قال « وذلك أنَّا بعد وفاة الاستاذ المحقق السني أبي عبد الله بن ناصر ، لم نزل نسعى في نفع الناس بتعليم ما يحتاجون من دينهم وما يحتاجون من أوراد النوافل والأذكار .. عاملين في ذلك على وجه المواخاة والمعاونة على البر والنصيحة . لا على وجه المشيخة . وعلى وجه التعليم والإرشاد . لا على وجه التربية » (5) وتعرض لهذا صاحب « نشر

---

(1) أنظر طلعة المشتري ص 295.
(2) قصيدة طويلة تفوق المائتي بيت في مجموع ق 676 خ ع ر
(3) من رسالة سائل اجاب عنها اليوسي بالرسالة حول دور الشيخ
(4) المرجع السابق
(5) المحاضرات ص 162.

المثاني » وبعد أن أشار إلى ما جاء في كتاب « المحاضرات » قال « ... وفيه تصريح بالرد على من نسب له التربية في الطريق ، اللهم إلا أن يحصل ذلك ضمناً بأمر وجداني ، وبقي مستوراً بالعلم .. » (1)

ولما تحدث صاحب « دوحة البستان » عن اليوسي قال عنه ما يلي « ... العلامة الصوفي الزاهد .. ولم يمت الشيخ الحسن بن مسعود حتى كانت الفقراء وجماهير الناس يتبعونه للانتفاع به كاتباع الغنم لقيمها ..» (2).

بل هناك من نسج لهذه القضية وقائع خيالية تعكس ما كان يسود العصر من خرافات كما جاء في كتاب « الفتح الوهبي » « .. أن الشيخ أبا علي كان قبل أن يستقيم حاله ، ويثبت في مقام الولاية مقامه وقدمه ، ينتقل من مكان إلى مكان ، والمكان الذي نزل به وأراد أن يستقر به من سائر الأوطان ، يمد له الشيخ رجله ويدفعه منه ، ولما رأى أبو علي ذلك اشتغل بالطواف بالمغرب على أبواب أهل الله الصالحين ، ولم يزل على ذلك حتى تلاقى مع بعض الصالحين فقال له : عليك بالشيخ الشرقي ، فإنه ما ركبت عروس من عرائس الصالحين إلا بحضوره ، ومن لم يحضر في أمره لم يستقم له شئ فأتي الشيخ أبو علي الشيخ مولانا محمد الشرقي بحسن نية وصدق طوية وتذلل وخشوع ، وأظهر له حال الافتقار ، فعند ذلك استقام حاله ، وأقبلت الخيرات عليه من جميع النواحي مهرولة ، وأقبل الناس إليه بالهدايا والفتوحات والمنح والعطايا . » (3) وهذه نظرة خرافية ومادية محضة للمشيخة ، أتيت بها فقط لإكمال فكرة معاصري اليوسي عن مشيخته . وإلا فاليوسي نفسه يعتبر أن عصره ، عصر الادعاء والخرافات ، قد خلا ممن يصلح للمشيخة ، ويستحق التصدي لإصلاح علل النفوس يقول « .. ونوصي أنفسنا وإخواننا في هذا الوقت الصعب الذي لم يظهر فيه الإخوان الناصحون ، فضلا عن شيوخ التربية أن نرجع إلى الله ونرد إليه أنفسنا ، بالافتقار والاضطرار ، ونحاكمها إليه ليحكم بيننا وبينها .. »(4)

---

(1) نشر المثاني المخطوط ج 2 ورقة 32 .
(2) دوحة البستان مخ خ ع ر د 390 ص 206 .
(3) « الفتح الوهبي » لمحمد العربي بن داود مخ خ ع ر ك 2312 ص 227
(4) الرسالة النصيحة

أما رأيه في دور الشيخ فهو يعتبره مرشداً مخلصاً للتعريف بالله ـ يرد إليه ويقطع عما سواه ـ ليس إلاّ « .. ولو قطعونا إلى أنفسهم بشيء زائد على مجرد التوسل بهم إليه كانوا أولى باسم الشيطان من اسم المشايخ »(1).

— ولقد كان نقد اليوسي ينصب غالباً على الادعاء ، وفساد العقيدة . ومن ذلك أولئك الذين يتتسبون للطريقة دون عمل « فيقول الجاهل ـ أنا دخلت في حزب الشيخ فلان وأسندت خشبتي وهو كذا وكذا وهذا غلط في الطريق فإن الشيخ ليست في يده جنة ولا نار ـ ولا دنيا ولا آخرة ، بل هو عبد مملوك كسائر العبيد ، وإنما في يده الدلالة على الله والإرشاد إليه .. » (2)

وكان أصحاب هذا الاعتقاد قد انتشروا انتشارا فاحشا في المغرب ، وكثر أتباع كل ناعق ، خصوصاً منهم الذين يطلبون الجاه والمال بادعاء التصوف والزهد من المبتدعين الذين لا يرجعون إلى أصل صحيح ، ولا ظاهر مستقيم وقد حذر اليوسي منهم قائلا « فصحبة هؤلاء وملاقاتهم سم قاتل . فإن الطباع تسرق الطباع ، ولا يغرنكم ما يظهر لهم من شبه الكرامات . كإخبار بغيب أو صدور كلمة توافقها القدرة ، فتصدق أو نحو ذلك ، فإن ذلك يقع من الصادق ومن الكاذب فلا دلالة فيه .. »(3)

— وقد نبه في كثير من رسائله على ما عرف في عصره من الإيمان بالصالحين وتقديسهم واللجوء إليهم ، وسؤالهم الحاجات ، والتوسل بهم ، فطرق الموضوع في عدة رسائل ، وأبدى موقفا من ذلك ، اتسم بالشجاعة إذا ما اعتبرنا هيمنة المشايخ والصالحين وكراماتهم على العقول وعلى العصر كله خاصته وعامته ، ولكنني مع ذلك أراه أبدى تجوزا لا يليق في نظري بهذا المفكر السني الكبير إلا إذا اعتبرنا بعض الرواسب المستمدة من بيئته وتربيته الأولى ـ وبعده عن التزمت يقول في هذا الموضوع في بعض رسائله .

---

(1) المرجع السابق .
(2) المرجع السابق
(3) المرجع السابق

« ... فإن كان يعتقد في الشيخ أنه هو الذي يعطي وينفع ، وقطع النظر عن الله تعالى ، فهو مشرك يجب عليه أن يسلم ، وإن كان لا يعتقد ذلك ولكن يعتقد أنه وسيلة إلى الله تعالى ، فالواجب عليه أن يقصد معاملة الله ويتوسل بالشيخ ويعتقد أنه عبد من عباد الله تعالى ، إن شاء قبل توسله . وإن شاء لم يقبله .. » (1)

وكانت الطرقية في عصر اليوسي ، الأرضية الخصبة للتدليس والاستغلال باسم الدين . واستنبات الأفكار الهدامة الخرافية وزرع المفاهيم التي تؤدي إلى تقديس الصالحين ، والإيمان بالكرامات ، وحشو الأدمغة بالترهات والخرافات . واليوسي أظهر في جميع رسائله ثورة عارمة على هذه الفئة وحذر منها يقول : « ...وكذا الفقير إذا أراد بتوبته وصحبة الصالحين الدار الآخرة ، فهجرته إلى الله ورسوله ، وهي مقبولة . وإن أراد حطام الدنيا ، كتربية الجاه عند الناس . أو اتخاذ زاوية ، أو استجلاب هدية ، أو تعزز بالطريق ، أو ظهور بكرامة ، أو كفاية معاش . أو نجاة من محن الدنيا أو تكاليفها أو نحو ذلك . فقد ضاع سعيه . فإن هذه كلها شهوة تعوق عن المراد ، وتنافي الإخلاص الذي هو المطلوب .. »(2) .

— ولا يزال اليوسي يلح على الإخلاص ويلح على الصدق . وهي من جملة الآداب التي تبين كيف يحرص الصوفية على صفاء النفس وخلوص النية . فوصل النفس بالله . واستحضار فقرها إليه ، ورهبتها منه ، ورغبتها فيه . وانتظارها لفضله في ثقة ويقين . كل أولئك من العوامل التي ألح عليها متصوفنا لصقل النفس وتطهير القلب وتربية الوجدان . وانتظار الخير كله من الله وتهيئة النفس لذلك باب أصيل في بناء الملكات الخلقية .

---

(1) انظر الرسالة إلى المقدمين ص : 397

(2) أنظر الرسالة النصيحة انظر ص 359

3) التوحيد

تناول أبو علي اليوسي في هذه المجموعة من الرسائل قضايا تتعلق بالعقيدة والتوحيد ، ناقشتها فرق المفكرين من أهل السنة ، والمتكلمين ، والدهريين ، والفلاسفة ، وقد تعرضت بالخصوص لبعض المسائل الأساسية كحدوث العالم أو قدمه ، وثبوت الصانع وعدمه ، والصفات ، والذات الإلهية أحسية هي أو معنوية ، وجواز الكفر على الأنبياء ، والحديث من القرآن والقديم منه ، وعلم النبي ﷺ ، وغير ذلك من المواضيع الحساسة التي تناولها مفكروا الإسلام وغيرهم ، وكثر فيها النزاع والنقاش .

واليوسي عالجها هو الآخر من وجهة نظر أهل السنة طبعاً ، ولكنه أضفى عليها من سعة أفقه ، وعمق تفكيره ، وتبحره في علم المنطق الشيء الكثير. ففي مسألة حدوث العالم أو قدمه ، وما تستلزمه من إبطال التسلسل أو إثباته ، تعرض لأقوال مختلف الفرق. الفرقة الأولى وهي فرقة أهل السنة قد رأوا أن العالم حادث ، وعلموا ضرورة أن الحادث لا يوجد من نفسه فافتقر إلى صانع ، فعقل مذهبهم في القول بالصانع ، وفرقة أخرى هم الدهرية وقد رأوا أن العالم قديم كما هو عليه ، ولم يثبتوا له صانعا ومعتقدهم مفهوم.. وأما الفلاسفة فقد رأوا أن العالم قديم ، ثم أثبتوا له صانعاً مع ذلك ، وهذا المذهب بوضعه متناقض ، وهو الذي تناوله اليوسي خصوصاً بالمناقشة..

واليوسي في هذا الجدال يعتقد بطبيعة الحال برأي أهل السنة ويأتي بآراء فقهائهم خصوصاً السعد (1) والغزالي. ولكنه في ذلك يصحح ويعدل ، ويقبل ويرفض ، ويقارن ويناقش أدلتهم وحججهم بمنهجية علمية رائعة ، وقد استشهد في إحدى رسائله بدليل للغزالي ، ثم ندد بهذا الدليل بعد ذلك وانتقده قائلا : « وإنما جلبناه تبييناً لمذهبه ، لا اعتماداً على دليله .. وقد أفرط فيما قدّر في المقدورات والمعلومات ، دفعا لعدم النهاية .. وقد اشرأبت النفس إلى أن تحمل عليه بالاعتراض سيل العرم.. ولكن ليس هذا المطلب من غرضنا الآن ، وكلامه لابد أن يُؤول ... » (2)

---

(1) أنظر ترجمته في حواشي المتن.
(2) الرسالة في إبطال التسلسل

وفي قضايا العقيدة خصوصاً يظهر تحرر فكر اليوسي من قيود التقليد التي كانت فاشية في عصره . وحرصه على تحصيل الإيمان والمعرفة عن طريق التحليل والتعليل . عاملا على الجد في ذلك . متسلحاً بفكر ثاقب . وعقيدة مشرقة صافية . فعند الخوض في الذات الإلهية أحسية هي أم معنوية . يشير إلى أن التوحيد الإجمالي يبعد عن الكلام في هذه المسائل الجزئية . ويطالب بالإيمان « بذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة عن الصفات » ولكنه مع ذلك يقتحم الموضوع رغم حرجه . بعمق وإدراك العالم المحيط بموضوعه إحاطة تامة (1) والسائلين له من فقهاء وطلبة . يعرفون هذه الخاصية فيمن لقّب بعدُ « بمجدد القرن » فنرى الفقيه أبا العباس أحمد العطار (2) في رسالته التي يسأل فيها عن إبطال التسلسل يقول « ونحن مع هذا كله معتقدون أن ما يعتمده الأئمة في التقارير من الأنحاء والأوضاع آت في نفس الأمر على أتم الوجوه وأكملها فنريد من سيدنا أيضا أن يظهر لنا سر ذلك ما يريح قلوبنا من الحيرة . لازلت توضح المحجة وترغم بالحجة أنوف أهل الزيغ والعناد... » (3)

ولكن مفكرنا مع ذلك يفرق بين فهم متوسطي الثقافة . وفهم الخواص . ويأخذ الحيطة من علماء عصره الذين يغلب عليهم التزمت والتقليد . فيحاول إيصال فكره على مهل . مرحلة مرحلة حفاظاً على ثقة الجميع . وسيراً مع حدود فهم الجميع ففي الرسالة في « جواز الكفر على الأنبياء » استدعى جوابه مقامين الأول حكم المسألة في نفسها أي حُكم الجواز . الثاني حكم ذاكرها . وهو في رسالته بدأ بالمقام الثاني . وهذا يمكن أن يفهم منه أنه انفعال من طرف الكاتب في هذا النقاش . وتحامله وتعصبه على من يقول بجواز كفر الأنبياء . ولكنني أظن أنه بدأ بذلك لأن هذا هو الذي يهم السائل معرفته . وأما المقام الأول وهو مجال التحليل والتصرف العقلي فتركه اليوسي لآخر الرسالة . بل بعد ختم رسالة السائل . وكأنه خاف عدم هضمه لما سوف يتعرض له في هذا المقام من تعليل . وتحليل علمي صرف . يدل على سعة علم اليوسي واجتهاده . وفكره العلمي الموضوعي الذي ناقش هذه المسألة الشائكة مناقشة منطقية ممتعة.

---

(1) أنظر ذلك في الرسالتين حول ذات الله احسية هي ام معنوية

(2) انظر ترجمته في حواشي المتن

(3) الرسالة من أبي العباس أحمد العطار في مسألة التسلسل مخطوط ق 312 ص 305

فهو يجوز ما لا يجوز التعرض له شرعاً . إذا أريد منه المذاكرة والبحث والمعرفة . دون تزمت . أو رَمْي منْ تَطَلَّعَ لهذا النقاش بالكفر والإلحاد من أول وهلة . وهو بهذا يظهر السيطرة الكبيرة على المادة ويطرحها بكيفية واضحة مشرقة . ويطل على الموضوع من أعلى ويختار له ما يناسبه . على الشكل الذي يستسيغه السائل وكأنه يتناول من بين يديه مادة طيعة سهلة

والطريف في مجموع مخطوط تمكَروت الذي أورد جل هذه الرسائل . أنه يثبت السؤال المطروح . ثم يورد أجوبة العلماء والفقهاء . الذين كتبوا في بطاقة السؤال قبل وصوله الى اليوسي . ثم يأتي في الأخير بجوابه . وهذا مفيد لإعطاء نظرة عن تفكير معاصري اليوسي من الفقهاء في هذه المسائل الاعتقادية فمثلا السائل عمن لا يعرف ما يجب في حق الله تعالى ولا يعرف معنى الشهادتين أجاب كلا منهم جواباً مختصراً يفهم منه التكفير في حقه . فحمل عليهم اليوسي وصحح الأوضاع وأرجعها لنصابها قائلا للسائل « ..فكل من اعتقد أن الله تعالى واحد في ملكه لا شريك له وأن محمدا رسول الله فهو معتقد لمعنى الشهادتين . سواء فهم ذلك من لفظ الشهادتين أو عرفه من خارج . فلا يجب على الناس فهم دلالة الشهادتين . وقد غلط في هذا جهال الطلبة والمتفقرة والمتفقهة . فيظنون أن كل من لم يحسن تفسير لا إلاه إلا الله . ولا أحاط بما فيها من نفي وإثبات . واستغراق واستثناء . فليس بمومن . وهذا غلط فاحش وجهل واضح فإن معرفة هذه المعاني علم آخر يختص بالعرب أهل اللسان . وبالعلماء له . ولم يكلف الله تعالى عباده به . فهم الأعجمي الذي لا يدري دلالة تلك الألفاظ أصلا . فالواجب فيه أن يترجم له مضمونها كما قلنا أولا . فإذا اعتقده كفاه » (1)

هذا هو اليوسي العالم السي المتفتح الذي يجب أن نتعرف على فكره الإسلامي بشكل أوسع بدراسة مؤلفاته الأخرى خصوصا شرحه على عقيدة أهل التوحيد للسنوسي أو ما يسمى « بالحاشية على الكبرى » الذي ناقش فيه القضايا الكبرى العقائدية كإثبات وجود الله . والعلية . والصفات . وهو فيه يناقش

(1) الرسالة في موضوع من لا يعرف الشهادتين

ويرد على آراء مختلف فرق المتكلمين والفلاسفة.

ولا يفوتني أن أسجل ما كان يلاقيه اليوسي من عداء واضطهاد . من علماء عصره المقلدين لأجل فكره الحر . وهو في خاتمة كتاب « الحاشية على الكبرى » يسجل حالة الفكر الحر في عصره . وما كان يصادفه من مناهضة . وما كان عليه علماء العصر من جمود وتقليد يقول : « ... مع تقاصر أبناء العصر عن استجلاء الخفيات . وتقاعد عزائمهم عن الترقي إلى المدائح العليا . وإخلادهم إلى حضيض الراحة والبطالة . وتعاطيهم كؤوس الغباوة والجهالة . وأمثالهم من يصمم على أقوال المتقدمين . من غير تمييز بين غث وسمين . وإن تَبَصرت فيما أَلِفْوه . أو أَبْدَيتَ وجهاً غير ما عرفوه . جاهروك بالنكير . أو حاصوا عنك حيصة الحمير . أفيبقى بعد ذلك محصول ... وهل هذا إلا ما يخمد القرائح . ويضيق الجوانح ... » (1)

---

(1) الحاشية على « كبرى السنوسي » مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم د 1771 ص 803.

4) الفقـه

عرف عن علماء المغرب شدة اعتنائهم بالفقه . وكان من أول نشأته بهذه المثابة . لأنه زبدة نظر طويل في الأدلة من القرآن والسنة . فكان عارفه يستدل بمعرفته اياه . على أنه متقن لتلك الأدلة التي لا يتقنها إلا المجتهدون الكبار في العصور الأولى . ثم لما صار علماً يؤخذ بعدما امتاز على حدة على القرآن والحديث . كانت له أيضاً هذه المثابة نفسها . لأنه قانون الأمة ومصدر تشريعها.

وإذا عرفنا أن أحكام الشريعة الأصلية . وخاصة القرآنية منها غير قابلة للتطور ولا للتطوير . فإننا مع ذلك نرى أن من مميزات الفقه الاسلامي مسايرته للظروف والأزمنة أي قبوله للتغيير بحسب ما يظهر . « وباب الاجتهاد التي فتحها الشارع للقادرين عليها من كل المسلمين في كل عصر . وفي كل مكان . هي الكفيلة بمسايرة الشريعة وسدها حاجة ما استجد من المسائل التي لا حصر لها ولا نهاية لوقوعها . والاجتهاد يرجع إلى استنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية . إما بفهم جديد لآية من كتاب الله . أو لحديث من أحاديث الرسول . أو انتباه لعلة يرجع إليها مناط الحكم ..» (1)

وهذا النوع من الاجتهاد هو خاصية فقيه المغرب الكبير اليوسي . فمن خلال رسائله ندرك أن الفقه الإسلامي من السعة والشمول ما يصلح لكل البشر . وأن فيه من التطور والمرونة ما يقوم بكل جيل وفي كل عصر . وندرك أنه مهما علم من فقه إمام في مسألة رأيا . فهناك آراء كثيرة غير الرأي الذي علمه . وبهذا تتجلى الميزة الكبرى لليوسي في ترك التعصب المجانف للعلم والعلماء لرأي بعينه أو لإمام مهما بلغت إمامته.

وإذا كان في كل عصر مجتهدون منتسبون . كأبي جعفر الطحاوي من المنتسبين إلى مذهب أبي حنيفة . وابن المواز والقرطبي والقاضي عبد الوهاب من المنتسبين

(1) أنظر كتاب دفاع عن الشريعة علال الفاسي ص 128

إلى مذهب الإمام مالك . وغيرهم . فهؤلاء وأمثالهم كانت لهم موافقات للمذاهب التي انتسبوا إليها كما كانت لهم مخالفات واختيارات خارجة عنها . فكذلك اليوسي كان من مجتهدي المذهب المالكي في درجة اللخمي (1) والباجي (1) والقرافي (1) وغيرهم ونجده كأهل هذه الطبقة من الفقهاء يتغلغلون في أدلة الأحكام . على اختلاف أنواعها ويؤيدون وينكرون في قوة حجة ومتانة رأي.

واليوسي حتى في استشهاده بالمذهب ، يأتي بمختلف الآراء فيه لمختلف شخصياته يحللها ويناقشها ثم بعد ذلك يأتي برأيه «إذا علم هذا فنقول ..» ثم يعطي تحليلا جديداً للنازلة على ضوء ظروفها وملابساتها الخاصة ، ويعطي رأيه معززا بالبراهين والحجج ، وآراء بعض السلف ، وهو بهذه الطريقة يستغلُّ استغلالا كليا مبدأ مناط الحكم .. فالتقليد الأعمى للمذهب والجمود عليه ، وعدم استعمال الرأي هي خاصيات عرف بها عصر اليوسي ومعاصروه ولكن فكره أبي إلا نبذ ذلك .

ففي جوابه للسلطان إسماعيل في مسألة الأمة التي واقعها وأراد معرفة الحكم إن أراد الانتقال إلى ابنتها ، ظهر جلياً فكر اليوسي الحر المستقل المستوعب ، الذي يحيط بالمسألة وبجوانبها . وإذا قورن جوابه بأجوبة مشاهير عصره الذين أفتوا في نفس القضية من أمثال عبد المالك التجمعتي ، والحسن المجاصي ، وأبي مدين السوسي ، ظهر الفارق الذي يفصل اليوسي عن معاصريه ، فكرا وعمقا وتحريا . فهم قصروا أجوبتهم على نقل «الموطأ» في حالة واحدة : وهي الوطء الذي لا ينشر الحرمة . وهم في ذلك ولا شك يبتغون مرضاة السلطان ، ولكن اجابة اليوسي الجامعة ، أوقعتهم في ورطة ، ذلك أن ما أحلوه للسلطان إنما هو ناتج عن الوطء الذي لا ينشر الحرمة وهو وطء الزنا الموجب للحد ! واليوسي في جوابه ناقش حلية وحرمة وطء الأمة قبل أن ينتقل بعد ذلك إلى حلية وطء ابنتها. بينما أفتى زملاؤه مباشرة في المسألة الثانية ، وهي موضوع السؤال المطروح ليس إلاّ

---

(1) أنظر ترجمة هؤلاء في حواشي المتن.

وأجوبة اليوسي في الموضوع الفقهي الواحد تختلف حسب ظروف وملابسات كل حالة على حدة ، وهو يعطي لذلك أهمية بالغة . فهي ليست فتاوى جافة . متزمتة وإنما هي بحوث ممتعة تحيط بالظروف السياسية والاجتماعية ، يبدى فيها آراءه ويجتهد ، وينظر إلى الأمر من جميع وجوهه ، ففي الرسالة حول « اقامة الجمعة بتمسنا » نجد لليوسي رأيا خاصا في الاستيطان ، إذا كان بقسر الوالي ، أو إذا جلبته منفعة له ، كقضاء حاجة ، أو استغلال مُقيمين ، ما صحبوه إلا لانتمائه السلطة ، فجوابه هو فتوى للسائل ، وهو في نفس الوقت توعية له وفتح لعينيه على الحقائق المحيطة به .

ويحتفظ اليوسي لفتاويه بميزة اليسر في الأحكام وخفة التكليف ، وعدم العسر والحرج ، والأخذ بسياسة الشارع في الرفق الذي يجلب الإنسان إلى الطاعة بصفة تلقائية ، فهو لا يطلب من سائله الاتباع للفتوى فحسب ، بل يساعده قبل ذلك على الاقتناع بها والاطمئنان إليها . فهي شريعته ، وهي في صالحه وصالح المجموع . فالرسالة في موضوع الإمام الذي صدرت منه أفعال قبيحة أفتى غيره من الفقهاء بانحطاطه عن رتبة العدالة ، وأمروا السائلين بإجبار من صلى خلفه على اعادة الصلاة !

وأخذ اليوسي الموضوع بحكمته المعهودة وبأناته ورصانته ، وعارض الأحكام المتزمتة المنفرة ، ووضح الحالات المحتملة لهذا الإمام ، ولم يفته النظر في أحوال المأمومين أيضاً وحيثياتهم ، ولا يسعه في الأخير إلا أن ينصح المفتين بالأخذ بالتفاصيل والاعتبارات في تنزيل الأحكام الشرعية .

والخاصية الأخرى التي تميز بها اليوسي في طرح القضايا ومعالجتها هي أنه يحمل السائل مسؤولية نفسه ، لأنه أدرى بدواخله ودوافعه ، فهو يوضح له جميع الحالات ، ويشرح جميع الاحتمالات ، ويترك له مهمة تصنيف نفسه والحكم عليها « ... واذا علم السائل حكم كل حالة ، فهو بصيرة على نفسه فيما أقدم عليه أولا... » (1) وهذا في جميع فتاويه ، حتى تلك التي تناولت

---

(1) الرسالة في موضوع الأمة

موضوع « وَصْلِ الشَّعَر » ، وهو موضوع خاص بزينة المرأة ، أبدى فيه اليوسي وجهة نظر واسعة متفهمة ، تنشد الصراحة والإخلاص في النوايا ، وتنفذ للجوهر وتبعد عن الجزئيات والهوامش

ويبقى اليوسي مع هذا سنيا . كأفضل ما يكون مُحبٌّ للسنة . بدون أن يجره ذلك إلى التقليد الأعمى والجمود . وجوابه في « مسألة مغنم عثمان » يظهر فيه حُبُّه واحترامه للصحابة والخلفاء الراشدين جميعهم ، وتحفظه في اتهامهم ، وتأدبه في تحليل بعض أفعالهم ، ولكنه مع ذلك يحتفظ باستقلال الرأي « ..ولا بد أن يعتقد أنه (عثمان) لم يتعمد فيها ، بل اجتهد في مصلحة ، وهو غير معصوم من الخطإ فلا إثم عليه ، **ولا يُتبع**... » فنظر الصحابة شيءٌ جدير بالاعتبار ، لكنه لا يقبل أن يكون له طابع الإلزام أو صفة القانون...

وحتى في الرسائل في الشؤون العامة وأحوال المجتمع تطفو غالباً للسطح شخصية الفقيه المجتهد المفتي ، ففي رسالة « نازلة العرائش » يناقش احتمالات تأويل التأمين ، والآي والأحاديث الواردة في ذلك ، مناقشة حية شيقة يضعها لبنة لبنة لبناء تحليله المحكم ، ثم يرد على كلام العلماء ممن أفتوا في النازلة ويفهم من صراحة اليوسي وصدعه بالحق أن نقض الأمان كان سببه الطمع في أموال النصارى « ... ونسأل الله أن يختار لمولانا أي الجانبين أعظم ، إما المال وإما شرف الذكر.. » ثم يدعو السلطان إسماعيل لإعلان الحقيقة لتبرئة الشريعة المحمدية ، ويظهر اليوسي هنا ميالا للاعتقاد أن الأمان أُعطي فعلا للنصارى ، وأنه لا يجوز الرجوع فيه أبداً مهما كانت الظروف حفاظاً على الروح السمحة للشريعة المحمدية... « فلا يزالوا يرهبونه ، ويخضعون له ويثقون بعهده ومواثيقه . وفي ذلك من الخيرات والمعالم ما لا يخفى .. »

وفي جوابه في « العكاكزة » حلل تحليلا منطقياً كل الأحوال المحتملة ، التي يمكن أن تكون عليها هذه الطائفة . والحكم الشرعي لكل حالة ، ثم عدد أفعالهم وأقام عليهم الحجة الواضحة المستقاة من أفواه الثقاة . وأوصى من ينتصب للتحقيق في شأنهم بالتحري والتثبت . ثم بعد هذا أبدى رأيه في المسألة واضحاً جلياً . وتصدى للرد على جميع الاعتراضات التي تقول بعكس ذلك

الرأي . وكعهدنا به أظهر اليوسي من سعة الاطلاع وقوة العارضة وبيان الحجة . ما يجبر السامع على الاقتناع الكلي بوجهة نظره بعد أن أتى على كل الاحتمالات وشرحها

ويبقى اليوسي بعد هذا كله متواضعاً . قابلاً للمراجعة والمؤاخذة . ولا يفُوتُهُ في كل مرة أن يُذَكِّر بأن ما جاء به هو ما حضره في الوقت « ... بلا كبير روية .. ولا مراجعة المظان . لخلو اليد في الوقت من الكتب . فمن طالع من السادات بعد . فأصاب علما آخر موافقاً أو مخالفا فليضفه إلى ما سطر إفادة ونصحاً . فإن الدين النصيحة . والمومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » (1)

(1) الجواب في موضوع الأمَة

2 — الخصائص الفنية للرسائل

1 — الرسالة في عصر اليوسي دورها . مكانتها

أشرت في مدخل هذه الرسالة إلى الحالة التي كان عليها المغرب خلال القرن الحادي عشر ، وخصوصاً النصف الثاني منه ، وذكرت ما عرفه المغرب من تمزيق وتقسيم بين مختلف الفئات المتطاحنة ، فعمت الأهوال ، وسدت المسالك ، وتتابعت الفتن . فكان الاتصال بين أجزاء المغرب متعذرا على الناس والسفر دونه الأهوال ، فكانت الرسالة التي يحملها العون المختص ، هي السبيل الوحيد الأكثر سرعة للاتصال ، فلا عجب إذا رأيناها في هذا الوقت قد عرفت ازدهاراً خاصاً . فكان لها الدور الحيوي الذي يميزها في هذه الحقبة إذ أصبحت

— وسيلة الاتصال والمخاطبة ، والتفاوض والشفاعات بين الفئات المتناحرة ، وقد أوردت المصادر التاريخية المغربية الكثير من هذا النمط (1)

— وسيلة العلماء لمخاطبة أولى الأمر في الشؤون العامة ذات الأهمية

— تمكن المهتمين بالعلم والمعرفة ممن لا يتمكن من التنقل لملاقاة علماء الزوايا والمدارس والرباطات من طرح مسائلهم وأسئلتهم ، ويبعث العالم بأجوبته مكتوبة إليهم

— من الوسائل المحببة للعلماء لتبادل الرأي عندما يثار النقاش حول مسألة علمية ، أو حادثة اجتماعية.

ولهذا يمكن أن تقسم الرسائل في هذا العصر إلى قسمين رئيسين : الرسائل الديوانية الرسمية والرسائل الإخوانية.

والرسائل الديوانية أو الرسمية هي التي تصدر على الديوان السلطاني ، وتتعلق بأمور الدولة ومراسمها وتنظيم شؤونها مع الدول الأخرى وهي من متعلقات ما

(1) أنظر كتب تاريخ المغرب كـ المنزع اللطيف ، والاستقصا خصوصا ، البدور الضاوية ، التي أوردت رسائل كثيرة جدا تبادلها محمد أبي بكر الدلائي مع أبي حسون بودميعة والمجاهد العياشي وشرفاء تافيلالت وغيرهم

يطلق عليه « ديوان المكاتبات » أو « ديوان الرسائل » أو « ديوان الإنشاء » ولهذا النوع من الرسائل كتابه المتخصصون . وله قواعده المقررة . وهو لا يعنينا في هذا البحث لأن مجاله تاريخي عام يخرج بنا عن نطاق الدراسة الميدانية التي نحن بصددها.

أما المكاتبات الإخوانية فهي التي تعنينا في هذه الدراسة . وقد عرفت رواجاً كبيراً في هذه الحقبة ونفقت سوقها . واكتست طابعاً مميزاً حيث أنها سجل حافل للأحداث السياسية . والاجتماعية والأدبية . إذ كان أصحابها من الأفراد الذين عاشوا الأحداث وتفاعلوا معها والمجال فيها أوسع للإفاضة في الإعراب عن العواطف الذاتية والآراء الخاصة.

وقد تناولت هذه الرسالة الإخوانية مواضيع مختلفة كالنصيحة والوعظ . والأسئلة والأجوبة العلمية . والاستعطاف . والاعتذار . والشفاعات . والشكوى والعتاب وغيرها من المواضيع التي تنتظم في هذا النوع من المكاتبات . وطابعها العام الملاطفة والخضوع للصديق والتقدير الكبير للعلماء . والتواضع من طرف هؤلاء العلماء.

وهذا نموذج للمراسلات الإخوانية لأديب معروف في هذا العصر هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي . إلى صديقه أبي علي اليوسي يتشوف إليه ويهنئه بالحج (1)

« الحمد لله وحده . وصلى الله على مولانا محمد وآله .

من العبد الفقير إلى الله تعالى أبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر كان الله له آمين . إلى الأخ في الله تعالى . العالم المحقق الموفق . العارف بالله وبأحكامه . سيدي جمال الدين أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي . أحسن الله عواقب أموره وجعل في تصاريف أقداره غاية سروره . سلام الله على سيدنا ورحمة الله وبركاته وعلى من بكم وإليكم أما بعد . فإني أحمد إليكم الله الذي لا إلاه إلا

(1) أنظر كتاب « الثغر الباسم في جملة كلام أبي سالم الباب الثاني في رسائله ومكاتباته مخ خ ع ر ك 308 127 أنظر ترجمته في حواشي المتن

هو الحي القيوم. وأنهي إلى كريم علمكم أنا بحمد الله تعالى على خير وعافية نتقلب في آلاء ربنا ظهرا لبطن من غير استحقاق منا. فله المنة والطول. ونحن على محبتكم ومودتكم نسأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه. ويحشرنا بها في زمرة المتحابين فيه في ظل عرشه. وقد كنا انتظرنا مروركم بنا أيام أوبتكم من وجهتكم المباركة تقبل الله منكم. لننعم برؤية من رأى. ونتنسم منكم روائح التعريف بأهل حضرة الله إذ لا نشك أنكم لا تنقلبون من حضرة أولئك المشايخ الا بملء الحقائب من تحف المواهب. ومن يحقق بحالة لم يخل حاضرود منبا. فليهنئك أبا على العزم الصادق الذي إذا توجه إلى فضيلة حاز منتهاها. والهمة التي لا ترضى من المراتب إلا بأعلاها تمر علينا بمنة ويسرة لاقتناص المحامد ونحن راقدون. وترجع بملء اليدين من الرغائب ونحن غافلون. والمواهب أقسام. والناس في أحوارها أقسام. وهنيئا لركب صاحبوك فأشرقت عليهم أنوار عرفانك. وحفهم أمداد أيقانك:

من فاته الحسن البصري يصحبه فليصحب الحسن اليوسي يكفيه

وقد ضاق بياض هذه البطاقة عن شرح ما يكنه القلب من الاشتياق. والتلهف على ما فات من التلاق. فلنطو البساط على ما فيه. وليضع المتلهف يده على فيه والسلام».

وهي كما نرى أخذ مبا مأخذا من اللطافة والرقة وسلك مسالك الإيجاز والاختصار والبساطة. والخلو من الصناعة اللفظية ولكن الطابع الغالب على المراسلات في هذا العصر من حيث المضمون هو أولا الطابع التعليمي أي الرسالة التي تعرض بالشرح والتحليل والبيان لما عرض عليها من المسائل والمشاكل. أو تتحدث عن قضية من القضايا العلمية التي تشغل بال الناس وتتخذ فقها أو أصولا أو كلاما أو منطقاً أو لغة الثاني: طابع النصيحة والوعظ والتوجيه والإرشاد والتربية

وهذه الرسائل كانت تتبادل غالبا بين الطلبة والعلماء. والمريدين وأصحاب الزوايا. وكنموذج للرسالة الإخوانية العلمية. هذه التي تناولت موضوعا

شائك . وأثارت ضجة وجدالا علميا . شارك فيه اليوسي بدورد (1) هذه الرسالة المعنونة « ملاك الطالب في جواب أستاذ حلب » . وهي لعالم معاصر لليوسي هو عبد المالك التجمعتي . بعث بها للأديب المتصوف أبي العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي (2) عندما أثير الجدال في مجلس البخاري بالجامع الكبير بفاس الجديد حول علم الغيب . هل يعلمه النبي ﷺ أم لا ؟ فذكر أبو عبد الله محمد الدلائي (3) أنه يعلمه وأُنكر عليه ذلك . وصار الأمر إلى أن قال بعضهم بكفره . فسأل الأمير محمد بن إسماعيل أستاذه عبد المالك التجمعتي . فأجابه أنه لم يمت ﷺ حتى أطلعه الله تعالى على الغيب . وشاع ذلك بفاس فمن جوز ومن مانع فكتب الأديب الحلبي للتجمعتي من جديد . فأجاب بهذا الجواب الذي نورد مقدمته كنموذج للرسالة العلمية (4)

« الحمد لله.

أعلا من امتص ضروع الأدب وحَلَب . وأحلا الناس شعراً ونثراً أستاذ حلب . أبقاه الله ومدائحه على المصطفى تُتْلا وتُقرا . ومنحه اللدنية تفُوت عدّاً وحصراً . سلام عليكم والرحمة والبركة أما بعد . فقد اتصل بنا مكتوبكم الأنور . ملتمسين الإفادة بحقيقة العلم النبوي . ومخبرين بأن ما أجبنا به حضرة النخبة العليا . وبهجة هذه الدنيا . الذكي النحرير . الناقد البصير . مولانا محمد بن مولانا إسماعيل أدام الله تأييده وتسديده . من أنه ﷺ لم يفارق الدنيا حتى علم كل شيء استقر به . وأنكره طلبة فاس وبالغوا في التشنيع بين عوام الناس فإنا لله وإنا إليه راجعون . على ضياع العلم . وفقدان أهله . هيهات ما هذا بعشك فادرجي ... »

---

(1) أجاب اليوسي في رسالة « ملاك الطلب » بالرسالة في علم النبي « المثبتة في رسائل التوحيد من هذا البحث

(2) أنظر ترجمته في حواشي المتن

(3) أنظر ترجمته في حواشي المتن

(4) رسالة « ملاك الطلب في جواب أستاذ حلب مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم حـ 115 ص 348 360

وقد أثارت هذه الرسالة الطويلة كما سبق أن قلت . ردود فعل كثيرة في عصرها وحتى في عصرنا هذا . إذ أنني وقفت على هوامش مهمة للمرحوم الحسن الثعالبي على هذه الرسالة مخطوطة (1) من مكتبته التي توجد بالخزانة العامة بالرباط . وهو ينتصر فيها للأفكار التي أجاب بها اليوسي على هذه الرسالة. وقد رد عبد المالك التجمعتي على نقد اليوسي له بجواب طويل جداً عنونه بعنوان غريب « الأطمار البوسية في خلع الأسطار اليوسية » يوجد أيضا في مخطوطة الحسن الثعالبي وعلق عليه هذا الأخير في حواشي مهمة منتصرا لليوسي معززاً أقواله بالحجة والبرهان.

أما الرسالة النصيحة التي تأخذ فكرتها وروحها من النظرية الإسلامية في « أن الدين النصيحة » فإنها قد عرفت إقبالا كبيراً . وتبادلها العلماء والطلبة والمتصوفة فيما بينهم . وبينهم وبين أولى الأمر والقواد . وبينهم وبين العامة .

وهي وإن كانت في الغالب لطيفة في مبانيها وتعابيرها . إلا أنها شديدة في معانيها . وفي ما ترمي إليه من الإصلاح والعودة إلى سنن السلف . وكانت تقبل غالباً ويشكر عليها . ويحدث أحياناً أن ترفض وتلفظ . ويأخذ المرسلة إليه نوع من العزة . وتنزيه النفس عن قبول النصح . ومن ذلك النوع هذه الرسائل التي أثبتها . والمتبادلة بين شيخ زاوية تمكروت بدرعة محمد بن ناصر وبين أحد القضاة الذين عرفتهم سجلماسة :

« من عبيد الله تعالى محمد بن ناصر كان الله له . إلى القاضي سيدي محمد بن الحسين. سلام عليك ورحمة الله وبركاته . فإني أحمد إليك الله الذي لا إلاه إلا هو أما بعد . فالمومن مرآة أخيه . والنصيحة من قواعد الإيمان . والعارف إذا قيل له اتق الله . وإنَّ وَجْهَ الرشد كذا . تأثر وازداد بصيرة وتواضعاً. ولم يكن ممن إذا قيل له اتق الله أخذته العزة.. ثم فالحذر وكل الحذر من العجلة في الحكم بثبوت تلك الترقية. فقد قيل إن شهودها لا يعرفون المفروض من المسنون. ولا تجوز شهادة العامة. ولا شهادة من يأكل أملاك الخراج ويأخذ المغارم الباطلة. وأما الرجل الذي طلبت أداء شهادته. فإنه

---

(1) أنظر المرجع السابق

رجل صالح . وخزانة لأسرار المسلمين . يَبُثّ الناس إليه أسرارهم . آمنين غائلته . فليس بصدد الادعاء والسلام » (1)

جواب القاضي

« إلى من ادَّعَى أنه يقول الحق . وهو إنما يقول الباطل ويرجم الغيب . ويقدم شهادة شاهد لم يُرد أداء شهادته فبطلت . وزكاه من غير تزكية ثابتة شرعاً . ويرمينا بالغيبة ولم يراع قوله عز وجل « ولا يغتب بعضكم بعضاً » ويزعم أني أحكم بما لا حقيقة له . فلينظر ما وسوس إليه الشيطان . والحاصل أيها الإنسان . أنت أكثرت علينا من التشويش . فَانْتَهِ عن غيك . وإما عرفت أمرك إلى السلطان نصره الله . واتهم نفسك . واعرف قدرك إن شئت السلامة . وإني اقتصرت والسلام » (2)

ولا يفوتني أن أشير إلى ملاحظة هامة وهي خوض الرسالة مجال الحياة الاجتماعية والحياة العامة في الأحوال اليومية كما في الأحوال الجليلة . بكل قوة وبكل شجاعة والرسائل التي أوردناها آنفا تمثل نموذجا من الكثير من هذا القبيل لا يزال في بطون المخطوطات

أما المكاتبات الإخوانية المنمقة في التهادي . والشكوى والعتاب . فهي وإن كانت قليلة نسبياً . فقد شاعت خصوصاً بين أبناء الدلاء . من أساتذة وتلامذة (3) ونأتي بهذا النموذج منها من مقدمة رسالة للطيب بن المسناوي إلى بعض الإخوان يشكره على سيف أهداه له يقول

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

قَدْ وهَبَتْ يدُ المجد . وغرة السعد . وطلعة المشترى . ومن سواد بائع الحمد

---

(1) أنظر طلعة المشتري ص 144 وأجوبة محمد بناصر مخ خ ع ر رقم جـ 612 ص 64 الى ص 94

(2) أنظر المرجع السابق

(3) أنظر « البدور الضاوية » مخطوطة الخزانة العامة بالرباط خصوصاً رسائل محمد المرابط والطيب المسناوي والمقري وغيرهم.

وهو مشتري . سيفا يحكي غديرا قد جمد . وأرقما يبيت سليمه في كمد . إن جرد تخاله برقاً . وإن سطا فجرحه لا يرقى . وإن اعتاق زان الحمائل . وجمل الحامل . وقالت السيوف جاء الحق وزهق الباطل . قد أحسنت بريقه صياقلة الهند . وطالما حمى به دمار زينب وهند

أبيض كالملح إذا اقتضيته لم يلق شيئا حده إلا فرا
الخ » (1)

وقد أبدى المهتمون بالمعرفة في هذا العصر اهتماما كبيرا بإتقان كتابة الرسائل . وأصبحت من الميزات الأدبية التي ترفع من شأن الأديب قال في كتاب « البدور الضاوية » في معرض ترجمة المسناوي « ويكفيك في الدلالة على بلاغته الرسالة التي أجاب بها عن قومه مولاي محمد بن الشيخ الأصغر بن زيدان... » (2) ثم قال « وكان له القدم الراسخ في إنشاء الرسائل... »

لهذا نجد كتاب الرسائل قد حرصوا على الاحتفاظ بنسخة منها قبل بعثها للمرسل إليه . ثم اعتني الطلبة والعلماء بتناقلها . كل لخزانته الخاصة . وتداولوها فيما بينهم فنحن نعثر على الكثير منها في كتب السير والتراجم والأخبار والتاريخ (3)

كانت الرسالة الأدبية إذن كفن . محببة لدى الأدباء المغاربة يقبلون عليها كوسيلة أدبية قريبة من الجمهور . يصلون بها إلى أكبر عدد ممكن منه . وكوسيلة فعالة أيضا للتأثير والانتشار . وكان الأديب المغربي في هذه الرسائل — بخلاف ما كانت عليه الحالة في الشرق في هذا العصر — يرسل نفسه على السجية . دون تعمل فني خاص إلا في النادر عندما تتناول موضوعاً إخوانياً صرفاً يصبح مجالا للتفنن في التعابير والأسجاع

---

(1) أنظر « البذور الضاوية » ص 256

(2) أنظر المرجع السابق

(3) .كالبدور الضاوية التي جمعت رسائل كثيرة لأصحاب الزاوية وأساتذتهم وتلامذتهم ومحبيهم . .وطلعة المشترى في النسب الجعفري التي جمعت مراسلات بن ناصر وطلبة زاوية تمكروت .والدرر المرصعة في أخبار أعيان درعة بالنسبة لأدباء هذا القطر والثغر الباسم بالنسبة لأبي سالم العياشي والزاوية العياشية ونزهة الناظر الذي جمع مراسلات احمد بن عبد القادر التستاوتي . وكتاب نشر المثاني وغير ذلك كثير جدا

أما الخاصيات الشكلية التي تتميز بها هذه الرسائل فإننا نجملها فيما يلي

— البساطة والخلو من الصناعة اللفظية والبعد من تكلف السجع أو البديع فهي أقرب إلى لغة المحادثة والتخاطب.

— البعد عن الإطناب والتبسط والاستصراد . فطول الرسالة أو قصرها هو بحسب الموضوع . وهو بالدرجة الأولى يعتبر درجة المخاطب في العلم والفهم

— قصر المقدمة والدخول توا إلى الموضوع . إلا في النادر . عند مخاطبة أولى الأمر حيث تكون الخطبة ضرورة من ضرورات المقام .

أما عن مكانتها العلمية فإن هذه الرسائل تنفرد بافادات تاريخية متنوعة . وربما تكون غير معروفة بالمرة . كما أنها تكشف عن وقائع اجتماعية . وأحداث مجهولة يجليها شاهد عيان . وأحيانا يقع العثور فيها على حقائق لم تكن ميسورة في حياة مرسلها.

هذا إلى أن العديد من الرسائل تستفاد منها الترجمة الذاتية لصاحبها كلا أو بعضاً . ولهذا فهي تعتبر مصادر تاريخية دفينة من الدرجة الأولى . ومصادر أدبية واجتماعية لا تقل أهمية عن المصادر الأخرى . وهي تعتبر من أوثقها لأنها غالبا ما تكون موقعة ومؤرخة ولا يمكن الشك في صحتها كمصدر موثوق به في هذه المجالات العلمية . لإثبات حقيقة أو دحض شُبهة

2 — الخصائص الفنية لرسائل اليوسي :

يقال « إن الأسلوب هو الرجل نفسه » . ولما كان الناس يختلفون كل منهم عن الآخر بحسب اتجاه الفكر والشعور . ومقام الفرد من المجتمع . إلى غير ذلك من العوامل . اختلفت تبعاً لهذا أساليبهم . وكلما استوحى الكاتب نفسه وصدر عنها كان أقرب إلى الصدق وأدنى إلى طبيعة الفن .

وأسلوب اليوسي في هذه الرسائل . هو خلاصة التجربة في التعبير التي مارسها في مؤلفاته ومصنفاته العلمية والأدبية التي أنتجها في مختلف العلوم . والذي نقله تلامذته عنه مما يجعله بحق زعيم مدرسة في الكتابة تتميز بالاهتمام

بالفكر والنقد والتحليل.

[وهو أسلوب نثري خال من التعقيد والمحسنات المتكلفة]، مما يظهر بحق أثر الزاوية الدلائية في الأدب المغربي، والتي كونت هذه المدرسة التي ينتمي اليها اليوسي في كتابته، هذه المدرسة التي أعطت للأدب المغربي ميزة أصبحت في عصر اليوسي تكاد تكون منعدمة، خصوصاً في المشرق في أسلوب الرسائل حيث الانحطاط الأدبي والتلاعب بالألفاظ، وإهمال الفكر إهمالا كاملا.

وإذا حصرنا الكلام في الرسائل متسائلين: هل كان اليوسي يسير في رسائله على النمط القديم أم هل جدد في شكل الرسالة؟ نجيب أن اليوسي تصرف بحرية في الهيكل العام للرسالة، فلم يلتزم بالشكل الذي حدد لها في كتب القدماء وإنما أخضعها لمتطلبات فكره:

فالمقدمة غالباً وفي جل الرسائل بسيطة قصيرة، يلخص فيها موضوع السؤال، باستثناء بعض الرسائل التي خصص لها ديباجة قصيرة بمفهومها الكلاسكي راعى فيها موافقة التحميدات والاستهلالات لغرض الرسالة، ولكن من غير إطناب ولا تكرار، يستعمل السجع فيها ولكنه لا يتقيد به دائما تقيد المتأنقين. وسجعاته في هذه الديباجة أكثرها قصير الفقرات حسن الازدواج. وقبل أن يبدأ الجواب يبدأ قبل كل شيء بتحديد معالم القضية المطروحة، وإبرازها في إطارها الخاص، منتشلا إياها من الإبهام والغموض والعموميات.

وفي هيكل الرسالة يتناول الموضوع المستوحى من علم الكلام أو المنطق أو الفقه أو الأدب أو غير ذلك من المسائل الاجتماعية أو السياسية، ويعالجه بطريقة جديدة غير ما تعودنا عليه في كتب الفقهاء والمتكلمين المتأدبين، ودون أن يستعمل مصطلحات المختصين إلا في النادر، يعالجه بطريقته الخاصة ويسلط عليه أضواء تحليله الشخصي، فيعدد الاحتمالات وينص على حكم كل احتمال ويقسم ويحدد، ويناقش ويحلل ثم يبدى رأيه الخاص مناقشاً كل الاعتراضات المحتملة معززاً آراءه بالحجج والبراهين. وهذه الطريقة تبرز طلاقة الرجل، وعمق ثقافته العلمية والأدبية كما أن لطريقته في التأليف قيمة كبرى في حسن الإقناع.

والرسائل مزيج بين العلم والفن ، أي العلم والأدب ، ومميزات الكتابة الأدبية والكتابة العلمية تتداخل ، وإن كانت العلمية تطغى في بعض الرسائل حيث العناية بالتقسيم والترتيب والتفريع والتحديد في ضبط رياضي متناهي الدقة لا تستطيع أن تلخصه ، ولا أن تحذف منه كلمة واحدة مع الحفاظ على استقامة المعنى .

وحيوية التحليل وعمقه تجعل القارئ يهتم من جانبين : متابعة سياق الفكر ومراقبته ، والتفكير معه في ذات الوقت

[واللغة التي يستعملها اليوسي عموما واضحة لا غموض فيها ولا غريب يحتاج إلى مراجعة لفهمه ، كما أن كلماته سهلة في النطق ، موسيقية الجرس في الأذن ، لا في ذاتها فحسب بل حتى في علاقتها ببعضها البعض ، وهي على وضوحها وسلاستها متينة لا إسفاف ولا هلهلة تنزل بها إلى أن تكون من المتداول العادي . هذه اللغة قصد إليها اليوسي قصدا لتكون الرسالة مفهومة لدَى المتوسطين في الثقافة اللغوية كما تكون مفهومة عند المتضلعين وذلك ناتج عن العفوية التي اقتضاها أسلوب الرسالة في التعبير بما هو حاضر من الشكل والمعنَى ، بل أننا نلاحظ أنه كثيرا ما يستعين بالكلمات والأمثال العامية لتقريب معانيه من مخاطبه وليبقَى قريباً منه .

ومن الوجهة اللغوية كذلك نجد أن الرسائل تزخر بهذه المصطلحات السياسية ، ومصطلحات علم الكلام ، والمنطق ، والتصوف ، والفقه . وهناك من أسماء الأماكن والقبائل ، والمدن المغربية مما يجعل للبيئة أثراً في الرسائل لا يخفي على أحد ، بالرغم من هذه اللغة والمصطلحات الأدبية والعلمية التي تشيع في الأدب العربي خاصة والثقافة العربية عامة . وكل هذه الألفاظ والمصطلحات تنم عن مشاركة الرجل وموسوعيته ، وأنه جمع في هذه الرسائل بعض معارفه المتصلة بالسياسة والتصوف وعلوم الإنسان كما تبرز معرفته بالبلاد التي اكتسبها من رحلاته في أول حياته وآخرها

شواهد الرسائل :[يحلي اليوسي رسائله كثيراً بالتضمين والاقتباس من القرآن الكريم ، والحديث الشريف والآثار] كما يورد الكثير أيضاً من شعر الشعراء ،

وحِكم الصوفية وأقوالهم ، مع الإشارات التاريخية الكثيرة لما يدور في عصره من الأحداث . وكلها أحسن اختيارها إحساناً ، في إيجازها ، وجمال معانيها ، والتحامها عضويا مع البناء العام للرسالة . ويلاحظ في شواهده أنه لا يلح في إسنادها ونسبتها سواء الأدبية منها أو الفقهية أو غيرها . ولا يفوتنا أن نلاحظ أن اليوسي قليل النقول إلا ما لابد منه.

ويؤخذ على اليوسي أنه قصر استشهاداته غالباً على الأدب العربي القديم . فكأنه لا يعرف شيئاً من أشعار معاصريه أو الأدباء المغاربة قبله . وهذا ينم في شخصية اليوسي الأدبية أنه متجه للشرق ، فلا أثر للحياة الأدبية المغربية اللهم إلا ما كان من بعض الأندلسيين ، وربما كان هذا بدافع رصانته الأدبية واتجاهه المدرسي ، ولو تعرض للشعراء والأدباء المغاربة وجعل شواهده من أشعارهم لساهم بحسن ذوقه وأسلوبه الناقد الشمولي في إرساء قواعد الأدب المغربي ، كما هو الشأن في اهتمامه بالمتصوفة المغاربة المعاصرين له والمتقدمين ، في نقل أقوالهم والاستشهاد بها واستخلاص النتائج منها وفي نقل صورة المجتمع والفكر.

أما عن اليوسي الشاعر ، فرغم قلة شعره في الرسائل الآ أننا لا يمكن أن ننسى أنه كان شاعرا مجيدا مكثرا له ديوان مهم يستحق الدراسة والبحث (1)

ونحن عند رجوعنا إلى هذا الديوان نتعرف على شاعرية غزيرة المادة . وقد نظم اليوسي في مختلف الأغراض المألوفة عند الشعراء القدامى ، ولكنه كان مكثراً في القصائد ذات الطابع الديني ، على شكل توسلات وابتهالات ومديح نبوي وتوجيه النصح إلى المسلمين . ويمكن أن ننعت هذا الشعر بأنه نابع من أعماق عالم متدين بعيد كل البعد عن مجالس اللهو والمجون.

ويلي شعر التوسل والمواعظ من حيث الأهمية قصائد ومقطوعات من النوع

---

(1) للديوان نسخ كثيرة مخطوطة في الخزانتين الملكية والعامة . أجودها مخطوطة الخزانة العامة جـ 32 وقد طبع طبعة حجرية مفقودة . وقد حققه الأستاذ عبد الحميد أحمد المنيف.

الذي يعرف اليوم بالإخوانيات . والظاهر أنها جاءت في مراسلات بين اليوسي وبين عناصر من الفقهاء والمتصوفة . فجاءت قصائده فيها على النمط التعليمي في أغلبها بحيث أنك لا تجد في كثير من هذه القصائد خفة الشعر ، ورونقه ، وجمال الصورة وبهائها ، بل قد كان فيها متوخياً الأسلوب الوعظي الذي تغلب عليه اللهجة الخطابية (1) دونما التزام لموضوع واحد أو تحليل لفكرة معينة ونماذج ذلك كثيرة في الديوان . كرسائله الشعرية لأحمد بن عبد القادر التستاوتي . ومحمد المرابط ، وأحمد العطار . ولأحمد الشفشاوني وغيرهم . يقول في رسالة لهذا الأخير :

ياحِبَّنا يا أبا العباس لا برحت	عين العناية من مولاك ترعاك
ولا برحت غيوث الفضل ساجمة	ممرعة كل حين روض مرعاك
ولا برحت على جد وفي جدد	من الإنـابـة والتقوى لمولاك
وكل من حل هذا القطر من رجل	وامرأة دان بالتقوى وآخاك (2)

والغالب على شعر اليوسي في هذا الفن من الرسائل الإخوانية ، الوضوح والسهولة التي تبلغ في بعض الأحيان درجة الإسفاف مع التضمين والاقتباس من القرآن والحديث ، جانحاً إلى المبالغة وإلى العناية بالبديع والبيان ، مع الإشارات التاريخية لما يدور في عصره من الاحداث وغيرها. (3)

ويتميز شعر اليوسي في جميع الأغراض من مدح وفخر ورثاء وغيرها بالاتجاه الأخلاقي ، كما يبرز اليوسي المتصوف في استقامته وتدينه.

---

(1) أنظر القصيدة في الرسالة إلى أبي العباس البوعمري ضمن رسائل التصوف
(2) أنظر الديوان ص 50
(3) أنظر قصائده الشعرية إلى أحمد بن عبد القادر التستاوتي في الديوان

3) الخاتمة

قد رأينا فيما أسلفناه من حديث أن اليوسي كان عالماً مشاركاً ، ضارباً في مختلف العلوم ، ولكنه تميز بتلك الخاصية التي انفرد بها بين معاصريه من العلماء وهي أنه يعتمد على طاقته العقلية ، وكفاءة ذكائه وشفافية إحساسه وفطنته ، أكثر مما يعتمد على المنقول والمحفوظ إلاّ عند الحاجة ، وبذلك لا يلجأ إلى مطالعة أو كبير عناء للإجابة عما يرد عليه من الأسئلة أو الرسائل ، فكان إذا ما ورد عليه شيئ من ذلك يمسك القلم ويتحدث (1).. يتحدث حديث الواثق من علمه ، المطمئن لمعرفته ، القوي في حجته ، في صراحة نادرة لا يبالي معها بمكروه ، ولا يخشى ما تجره من حملات ضده ، ومن عنف يلحقه ، ومن حرج يتحرج به موقف مخاطبيه ، وما فتواه التي أفتى بها في قضية الأمة التي استفتاه فيها المولى إسماعيل ، إلاّ آية من آيات صراحته وأمانته في علمه ، ومن أجل ذلك قالوا عنه « إنه أفنى نفسه في الذب عن الشريعة وحرر فصولها وأسس أصولها المنيعة » (2)

وفكر اليوسي كان في كل هذا فكراً خلّاقاً كما أشار هو لذلك في الفهرست (3) ينفذ إلى عمق المادة ، يستخلص اللباب ويغوص إلى الجوهر ، مما جعله يكون تحديا بالنسبة لثقافة العصر التي تعتمد كليًّا على الرواية والنقل (4) بالدرجة الأولى . فاليوسي لم تغلب عليه ثقافة الحفظ والاجترار والنقول ، ولكنه رجل الرأي والتحليل والمقارنات والاستنتاجات ، الرجل الذي تمكن من تجاوز المصادر والأمهات والوصول إلى المبادئ والكليات ، وبهذا كان اليوسي يمثل تيار التجديد بالقياس إلى مدرسة فاس التقليدية.

---

(1) أنظر « هداية الملك العلام » لأبي العباس أحمد المشتوكي ص 79

(2) ابن سودة شرح رائية اليوسي ص 2 .

(3) أنظر الفهرست ص 156 .

(4) أنظر جواب عالم معاصر له هو أبي مدين السوسي في مسألة العكاكزة مخ خ ع ر ك 1361 ص 188 — 196 لادراك الفرق الشاسع بين الثقافتين من خلال الموضوع الواحد .

وتفكيره مطبوع بالأناة والموضوعية لسببين :

الأول : . راجع إلى شخصية اليوسي صاحب السمت والجدية التي تتمكن من أن تضغط على عواطفه ، وتفسح المجال لعقله ، يقلب على جوانبه في أناة . وهذا ما تعكسه رسائله ، فهو الناقد الموضوعي ، والمحلل النفسي ينظر إلى القضية بعيدة عن ذاته.

الثاني : المعاناة وعمق التجربة ، والسن التي وصل إليها عندما أصبح يراسل ، أي الفترة الثالثة من عمره .

كما أن الرسائل كانت أيضا ترجمانا فياضاً لعواطف اليوسي وخلجاته النفسية فعاطفته فيها عاطفة دينية صوفية تستند على الإيمان العميق بالله ، والتسليم له ، والرضى بالقضاء ، وهي عاطفة قوية صادقة ، وفية لأهل الدلاء فلقد رثاهم ورثي ديارهم وبقيت تلك العاطفة نستشفها في كل ما يكتب حتى في الرسائل (1)

وهي مع ذلك عاطفة غير مندفعة ، تلتزم الحكمة والتبصر ، إلا إذا أثارها مثير ، مثلا حينما يطالب بالتدريس في فاس ، أو حينما يتبرأ منه « بالله وبشريعة الله » (2) أو يتهم باتهامات كثيرة تتعلق بالعلم والتصوف والتعليم ، والبربرية ، هنا يثور ويندفع ومع ذلك يبقى على أناته وتبصره وحذره في الوقت الذي يسمع مخاطبه ما لا يرضاه..

كما أنه احتفظ بصراحته البدوية البريئة التي لا تستنكف الاعتداد بالمزايا المكتسبة (3) من حين لحين عندما يلجئه الوسط الفاسي الجديد عليه إلى ذلك ، وما شعر به اليوسي فيه من حاجة إلى ما يشد عضده فيما لاح له من بوادر الصعوبات ، بما عرف في رجالها من شدة أمام الطارئ أمثال اليوسي الذي لم يحمل معه رصيدا من النسب الذي تفتخر به العائلات الفاسية آنذاك . كل

(1) أنظر رسالة « جواب الكتاب »
(2) المرجع السابق
(3) أعني بذلك علمه وفضله انظر آخر رسالة جواب الكتاب..

هذا هو الذي حدا باليوسي إلى إقامة الحجة على منافسيه بما له من رصيد آخر غير النسب . يزكيه ويشد عضده ..

والثابت أن علم اليوسي وذيوع صيته . قد أكسبه علاقات مستحكمة من الطلبة لا تنتهي بحلقات الدروس . بل تتجاوزها إلى الصحبة والاتصال المستمر مشافهة وكتابة .. مما فسح لمؤلفاته والأفكار المجال للذيوع والانتشار خصوصا ما جاء في رسائله في الشؤون العامة . وفي التربية والتصوف وفي الفقه فأخباره مع السلطان إسماعيل يعرفها الجميع في عصره . ورسائله إليه يتناقلها الطلبة والمثقفون يدل على ذلك كثرة من استشهد بها في كتب عصره . قال صاحب الدر المنضد عن رسالة « براءة اليوسي » « ... وهي رسالة مذكورة في النشر . ومشهورة عند الخاص والعام من أهل العصر . » (1)

ولقد تأثر به غير واحد من معاصريه والأدباء الذين أتوا بعده من أمثال « أبي حامد بردلة » في قضية جمع الحراطين والفقيه محمد جسوس في نفس القضية . وفي دفاع صاحب « المنزع اللطيف » عن السلطان المولى اسماعيل بسبب قتله للعالم محمد جسوس يقول : « ... ولو كان المولى إسماعيل ممن لا يقبل الحق ولا يتعظ لسماعه حتى يأمر بقتل الفقيه جسوس لأمر بذلك في حق أبي حامد المذكور... ومن اطلع على رسائل الإمام اليوسي للمترجَم . المطولة والمختصرة . وعلم مكانته لديه . وما كان يقابله به من التبجيل والإجلال . وقد مرت بك شذرات من ذلك . لم يبق له أدنى وهم في رضوخ صاحب الترجمة للتعاليم الشرعية .. » (2)

ولعل الأديب الذي تأثر باليوسي في هذا الميدان أكثر من غيره من الوجهة النظرية على الأقل (3) . فيما يبدو لي . هو المؤرخ الأديب أبو القاسم بن أحمد الزياني . فالذي يطلع على كتبه يلاحظ كثرة استشهاداته باليوسي والكلام عنه . بل وربما في بعض الاحيان ينسب اليه ما لم يقله . وذلك لأنه ربما وافق بعض

---

(1) صفحة 217

(2) .المنزع اللطيف ص 316

(3) أنظر تحفة الاعلام في شرح دول الإسلام مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ك 224 ص 162.

أفكاره كالأبيات التالية (1)

لا تقربن ملكا ولا تلوذ به   ولا تنال عنده عزًّا وتمكينا
يستخدمونك في لذات أنفسهم   فيذهب العمر لا دنيا ولا دينا

بل إنه يذكر (2) زياراته المتكررة لزاوية الحسن في محنته مع السلطان سليمان وكيف وقف عليه اليوسي في المنام.... !

أما الرسائل في التربية والتصوف فقد عرفت هي الأخرى انتشارا وذيوعا لا مثيل له . وقرئت ونقلت في مختلف جوانب المغرب . وكان ذلك سببا في توعية أهل البوادي والحواضر لأنواع الاستغلال التي كانو ضحية لها باسم الدين . ونبههم نسبيًا إلى حقيقة التصوف وصفاء أهدافه . وأمكن لفتاويه الفقهية أيضاً أن تنشر بعض الوعي لأنها كانت دائما تتخذ من الواقع المعاش منطلقا لكل فتوى ولكل جواب .

وخلاصة القول فإن اليوسي واجه واقعه بالتوجيه والتصحيح والنقد . وبالرفض عندما لا يتمكن من استعمالها . الرفض العملي الذي أفضي به إلى التشريد في آخر حياته . والرفض بالكلمة .. وكأنه يستهزئ بهؤلاء الذين يحيط بهم الفساد من كل جانب فلا يضايقهم ولا يتخدون منه موقفا معينا . ولا يريدون أن يعيشوا لقضية من القضايا في حياتهم .

فهؤلاء الذين لا ينتمون إلى قضايا مجتمعهم يرى فيهم اليوسي فقدانا للحس كالمجانين . أو ضعفه كالأطفال . وهؤلاء يسلم باطنهم من كل صراع...

أما الذين ينتصرون لقضية معينة . فإنهم مقضي عليهم بعذاب الباطن . ولا ينسى اليوسي هؤلاء المنتمين إلى شئ غير صحيح . ولا يقوم على أساس . ويتوهمون فيه الملاءمة . ويكرهون الملائم ويتوهمون أنه منافر . بتدخل عامل من العوامل وهؤلاء هم المنتمون المزيفون » (3)

---

(1) أنظر الترجمانة الكبرى مخ خ ع ر ك 3252
(2) المرجع السابق ص 324 .
(3) طرق اليوسي هذه النظرية بكيفية مفصلة في المحاضرات ص 121 الطبعة الحجرية

وكل مجتمع يعيش مرحلة تحول سياسي واجتماعي مثل عصر اليوسي ، فإنه سيعرف هذه النماذج الثلاثة : الذين يعملون من أجل مُثلهم فيتعذبون ، وهؤلاء الراضون بالسلامة ، وهؤلاء المنخرطون في صراع منحرف عن طبيعة الأمور.



الرسائل في الشؤون العامة وأحوال المجتمع

الرسالة الكبرى للمولى إسماعيل

نبدأ هذه الرسائل بما يُسمى «بالرسالة الكبرى لإسماعيل».وهي رسالة جوابية على خطاب السلطان المولى إسماعيل لأبي علي اليوسي. وتُعرف هذه الرسالة أيضاً باسم «جواب الكتاب» . وسميت «بالكبرى» مقابلة لها برسالة أخرى أقل طولا ، أرسلها الحسن اليوسي لنفس السلطان تسمى «بالرسالة الصغرى» أو «براءة اليوسي» وسوف تأتي.

وهذه الرسالة ، يُجيب فيها الحسن اليوسي على كتاب المولى إسماعيل الذي يَرميه فيه بالتَّهرب من التدريس في الحواضر ، وَتَضْيِيع العلم ، وادِّعاءِ التصوف ، والعصيان ، والعصبية ، وأشياءٍ أخرى يُجيب عليها اليوسي فقرة فقرة وبالتفصيل.

مخطوطات الرسالة :

توجد من هذه الرسالة فيما وقفت عليه حتى الآن سبعُ نسخ مخطوطة ، اِثنتان منها في الخزانة الملكية بالرباط ، وأربع بالخزانة العامة بالرباط ، ومخطوطة خاصة بمكتبة الأستاذ الفاضل محمد بن حماد الصقلي بفاس.

أما في مكتبات وخزانات المدن المغربية الأخرى كتطوان ، ومكناس ، وطنجة ، ومراكش ، فرغم توفرها على بعض مؤلفات الحسن اليوسي فإنني لم أقف فيها حتى الآن على الرسائل. وأما في خارج المغرب فتوجد لها نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، وهي مصورة عن مخطوطة الخزانة العامة د 1348 كما ذكر لي ذلك مدير المعهد الأستاذ قاسم الخطاط ، جواباً على مُراسلتي له في هذا الشأن . وهي كل ما يوجد في الخارج كنسخ لهذه الرسالة بعد أن كاتبت أهم الخزانات المهتمة بالدراسات العربية في العالم.

وهذه المخطوطات هي كالتالي

الأولى مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 2998 رمزها «خمف»

الثانية : مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 1558 رمزها «خم»
الثالثة : مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ج849 رمزها «جـ»
الرابعة : مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د1348 رمزها «د»
الخامسة : مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د3390 رمزها «د 2»
السادسة : مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د2753 رمزها «د 3»
السابعة : مخطوطة مكتبة الأستاذ محمد بن حماد الصقلي بفاس رمزها «ص»

وصف المخطوطات

أطلعت على هذه النسخ جميعِها ؛ وأمكن أن أُصورها كلَّها. ورتَّبْتُها في مجموعات أصفها فيما يلي :

المجموعة الأولى : وتضم «خمف» و «د 3» و «ص» . وتتميز نسخ هذه المجموعة بالأمانة والدِّقة نِسبيّاً ، وقلة الإسقاطات والتحريفات وقد لاحظت تشابها كبيرا بين «خمف» و «د 3» ، ففيها نفس الأخطاء وإن كانت نسبيّاً قليلة ، لذا فقد أَلْغَيْتُ «د3» عند نقل المقارنة.

— وصف مخطوطة «خمف» خط مغربي واضح ، ولكن بعض أطرافها قد أكلتها الأَرَضَةُ ، مِمَّا أحدث ثقوبا كثيرة في أطرافها العُلْيَا. والمخطوطة لا تضُمّ إلا الرسالة الجوابية لليوسي مستقلة في كتاب صغير غير مرقم (أرقام المتن وضعتها لنفسي) ، عليه طابع المكتبة الملكية ورقم المخطوطة. وفي آخر الرسالة تاريخ الجواب بكلام اليوسي. ولم يذكر تاريخ النسخ ، كما أغفل إسم الناسخ . فهي إذن خاليةٌ من كل تعليق أو تمليك.

وقد اعتمدت على هذه النسخة واعتبرتها أصلا ، لقلة أخطائها وإسقاطاتها ، ولاستيفائها للنص ، وباعتبارها أجود ما بيدي نظراً لعدم وقوفي على النسخة الأم.

— وصف مخطوطة «ص» : خط مغربي جميل ودقيق ، مخطوطة أنيقة يستعمل ناسخها الألوان. وهي إن كانت أجمل من «خمف» فهي أقل أمانة منها في النص ، ويظن مالكها الاستاذ الصقلي أنها النسخة الأصل . وأنا أستبعد ذلك نظراً لتنميقها أولا ، ولخُلوها من كل تمليكٍ ، ولكون اليوسي لا يمكن أن

يكتب على تلك الصفة من التأنق ، فقد أمكنني أن أطلع على تمليك بخطه على كتاب «الشفا» للقاضي عياض في حوزة الاستاذ المرحوم العابد الفاسي ، يؤكد ميله إلى البساطة في الكتابة ، بل أن خطه يتّسِم ببداوة تَنِمُّ عن أصول ثقافته . ولم يذكر الناسخ في آخرها إلا التاريخ الذي ذكره اليوسي بدون إشارة لاِسمه أو لتاريخ النسخ.

والرسالة في مجموع ، يضمها هي أولا ، ثم كتاب «الكوكب الساطع بشرح جمع الجوامع» للحسن اليوسي.

وصف مخطوطة «د 3» : خطها مغربي جميل ، وأظنها منقولة عن «خمف» . وهي في مجموع أوله :

الرسالة لإسماعيل من الصفحة 1 إلى 62
شرح لدالية اليوسي في مدح شيخه بناصر
منظومة في التوسل منسوبة لأبي علي اليوسي
جواب لعبد السلام الأزامي على كتاب للسلطان سليمان
تأليف لسيدي محمد بن علي الورزازي غير تام .

وفي آخر رسالة جواب الكتاب تاريخ الجواب بقول اليوسي . ثم زاد الناسخ بعده : «كان الله له آمين وسقى ثراه ، وتغمده برحماه ، بجاه خير الأنام وسائر الإسلام . فالله يفيض علينا من بركاته ما يكون وصلة للعلم والعمل به بجاه النبي الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المجموعة الثانية : تضم «جـ» و «د2» إحداهما نقلت عن الأخرى حرفياً ، فتحريفاتها واسقاطاتها وأخطاؤهما تتفق دائما وباطراد . أما خطها فلا بأس به خصوصا «جـ» لذلك اعتبرتها هي فقط عند نقل المقارنة ، وألغيت «د 2».

وصف مخطوطة «جـ» مجموع من مكتبة التهامي الكَلاوي يتضمن جواب اليوسي من صفحة 1 إلى 91 بخط مغربي واضح جميل ، وإسقاطات وتحريفات كثيرة . لم يذكر تاريخ النسخ ولا إسم الناسخ. ويضم المجموع

— «مسالك الهداية» لعبد الله العياشي

— «فهرست» محمد بن الحسن البناني
— «فهرست» محمد بن أحمد بن غازى
— «المذاهب القدسية» لمحمد بن الحاج العباس الفاسي
— «مناهل اللهفان» لعبد السلام بن الطيب القادري
— «الطرفة في اختصار التحفة» للعربي بن الطيب القادري

وصف مخطوطة « د 2 » : مجموع يضم «جواب الكتاب» من ص 258 إلى ص 354 وقبله كتاب لأحمد زورق بعنوان «إعانة المتوجه المسكين إلى طريق الفتح والتمكين» خط مغربي متوسط.

المجوعة الثالثة : تضم «خم» و «د» وتجتمع هاتان المخطوطتان في أشياء كثيرة. خطها ردئ جدّاً، الناسخان معا يتركان في أغلب الأحيان بياضاً عند عجزهما على قراءة الكلمة. إسقاطات طويلة وتحريفات متعددة.

وصف مخطوطة «خم» هي عبارة عن مجموع غير مرقم وجواب أبي على اليوسي في آخر المجموع كتب بعده بخط مخالف لخط الناسخ الذي نقل الرسالة «كمل والحمد لله في 2 جمادي الأولى 1310» ولم يذكر إسم الناسخ، كما أنه لم يُثبت التاريخ الذي ذكره اليوسي في آخر رسالته. ويشتمل المجموع على

— وصية للإمام أبي عبد الله محمد بنزكري الفاسي
— بحث في شرح معاني التصلية
— بحث لعلي بن يوسف البصري الشافعي
— كتاب «بشرى الكئيب بلقاء الحبيب» لجلال الدين السيوطي

وصف مخطوطة «د» مجموع يضم عدة مؤلفات، والرسالة الجوابية لليوسي من ص 20 إلى 66 وخطه ردئ جدّاً، وإسقاطاته كثيرة. ولم يثبت ناسخ الرسالة التاريخ الذي ذكره اليوسي في آخر رسالته، وذكر تاريخ الفراغ من النسخ في 23 شعبان 1329 على يد أحمد النَّميشي الحسني. ويشتمل المجموع على :

— رسالة لمحمد العربي بن السايح الشرقي لبعض أصدقائه
— تأليف للقرافي في النية
— شرح الأزهري لمقدمة ابن الجزري
— شرح لمحمد بناني على منظومة موانع الإعراب

وفي أول المجموع في الصفحة الأولى كتب : «صارت هذه الرسالة الجليلة المحتوية على النكث الرقيقة ، لكاتبه أحمد بن محمد التميشي من تركة مالكها أولا العالم العلامة مولانا علي بن أمير المؤمنين مولانا الحسن . ولا أدري لأي رسائل المجموع يشير كاتب هذه الطرة.

صعوبات المقارنة :

اعتمدت كما سبق أن ذكرت آنفاً على مخطوطة الخزانة الملكية التي رمزت إليها بـ — «خمف» واعتبرتها أصلا لعدم توفُّري على ما هو أوثق . لأن المتن فيها أكثر أمانة من غيرها وأضفت إليها الزيادات مما وجدته في بقية النسخ ويتطلبه سياق النص ، وهي زيادات قليلة وطفيفة وضعتها بين قوسين . وقد قارنت بين النسخ جميعِها وتشترك في الأخطاء الفادحة في نقل الشعر ، وقد وجدت صعوبة كبيرة في تصحيح ألفاظه وتقويم وزنه ، كما سمحت لنفسي بتصحيح الأخطاء الإملائية الكثيرة التي وقع فيها النساخ.

الرسالة الأولى

مَرْكَزُ المجدِ والسَّنَا . ومأْرِزُ[1] (1) الحَمْدِ والثَّنَا . وَيَنْبُوعُ المحَاسِنِ والمفاخر . ومجمع المَحَامِدِ[2] والمآثر . السلطان الأعظم . الأجل الأفخم . أبو الثنا . مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف . الغَنِيُّ بارتفاع قدره على التعريف(2) سلام على سيدنا ورحمة الله تعالى وبركاته . فإني أحمد إليه[3] الله الذي لا إلاه إلا هو . وأسأله أن يؤَيِّدَهُ[4] بأسباب التوفيق . ويُنيلَه مفاتح الخير في كل طريق . وأن يُصلحَ به البلاد والعباد . ويُلهمه الصواب والرشاد . والحكمة والسداد . ويَنْشُرَ(له ثناء)[5] جميلا في كل ناد . إنه الكريم الجواد.

هذا وقد وردت عَلَيَّ كُتُب (3) سيدنا الكريمة . ومراسمه الجليلة العظيمة . فإذا هُو قد أحسن فيها وأجاد . وأبدى وأعاد . وبلغ من كل فصل المرادَ وفوق المراد[6] ولا يُستغرب هذا وأبلغُ منه من الجانب الهاشمي الأبطحي

قومٌ لهم جُرثومةُ المَجْدِ[7] التي ... أعْيَتْ مَحَافِرُهَا على المِنْقَارِ(4)
أهلُ الفَصَاحَةِ وَالصَّبَاحَةِ في العِدَا ... أُسْدُ العَرِينِ وفي العشير[8] مَقَار(5)

---

1 — في الأصل «مأزر» التصحيح من خم . 2 — د أسقط «مجمع المحامد» وزاد «بل». 3 — جـ «إليك». 4 — «يؤيدك» «ينيلك» الخ في جـ. 5 — في الأصل «ثقب واسع» صححت من بقية النسخ . 6 — جـ أسقط «وفوق المراد». 7 — في الأصل «الحمد». صوابه من بقية النسخ . 8 جـ «العشار معار» د «العشار مقار» خم «العشير منار».

---

(1) — أرز يأرز تجمع وثبت. المأْرِز الملجأ (القاموس).

(2) أشار عبد الرحمان بن زيدان لهذه الديباجة في كتابه «المنزع اللطيف في التلميح بمفاخر مولاي اسماعيل الشريف. قال «وحلاه أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي بقوله : مركز المجد...» المنزع ص 14 مخطوطة خـ ع ر جـ 595.

(3) من المرجح أن تكون لهذا الكتاب نسخة في أرشيفيات المكتبة الملكية ولم أتمكن من البحث الجاد عليه نظرا للأعمال الجارية في المكتبة باستمرار.

(4) لم أقف بعد على قائل البيتين ويظهر أنهما في مدح بيت شريف يصفهم الشاعر بالمجد الأصيل الذي لا يمكن أن ينال منه نائل.

(5) ويصفهم بالفصاحة والصباحة والشجاعة وإكرام الضيف مقاري ج مِقرَاء هو مقرىً للضيف ومقراء للمبالغة

ثم إن سيدَنا استدعَى مِنّي الجواب . على فصول الكتاب . فكنت تَلكَّأْتُ عن ذلك لأمور :

أحدها الهيبة . فإن مقام السلطان أجل في النفوس . (من) أن يخاطب بكلام ، أو يراجع في مرام

تَتَلَجْلَجُ[1] اللُّسْنُ[2] (6) المصَاقِعُ(7)[3]
في الإيوان من رُعْب ومن إجلال[4] (8)

ثانيها التَّفَادِي[5] عَنْ عَادِيَّةِ القَول والبلاء الموكلين بالمنطق . ويقال من كثر كلامه كثُر سَقَطه . وما زالت كثرةُ الكلام مذمومة إذا لم تدْعُ إليها[6] دَاعِيةٌ . حتَّى أن عمر بن عبد العزيز عزل بعض قُضاته . فقال لم عزلتني ؟ فقال بلغني[7] أن كلامك مع الخصمين أكثر من كلام الخصمين ولأبي العتاهية : (9)

الصُّمت أجمـلُ[8] بـالفتى من منطِقٍ في غير حِينِهْ[9]
لا خير في حَشْوِ الكَلا م إذا اهْتَدَيتَ إلى عُيُونِهْ/ ص 2

---

1 — جـ « يلجلج ». 2 — د « الألسن ». 3 — « المصانع » في خم . جـ . ص . 4 — جـ « واجلال » باسقاط من . 5 — خم « التفاعم ». 6 — في الأصل « إليه » صححت من جـ . ص . 7 — خم أسقط « بلغني ». 8 — جـ « أحمد ». 9 — د « دينه ».

---

(6) اللُّسْنُ : من لسان التي تجمع على ألسنة . وَأَلْسُنْ . وَلِسانَاتْ . أو من أَلْسنٍ أي فصيح .
(7) المِصْقَعْ الفصيحْ . البليغ .
(8) إذا اعتبرت ما جاء في خم . جـ . ص يكون البيت على هذا الشكل في شطره الأول
يُلَجلج اللَّسِنْ المصانع في الإيوان من رعب ومن إجلال
ولم أقف بعد عليه لتحقيق روايته
التلجلج واللجلجة : التردد في الكلام . (تاج العروس)
(9) البيتان من قصيدة لأبي العتاهية مطلعها
المرْءُ مَحْوٌ من خديـنه فبما تكشَّف عن دفينه
أنظر الديوان ص 405 تحقيق الدكتور شكري فيصل . والبيت مقطع في جميع النسخ على هذا النحو :
لا خير في حشو الكلام إذا الـخ

ثالثها : ما يُخْشَى من اعتقاد سيدنا أنا نريد مراجعته أو مُحاجته أو مُنازعته. ومعاذ الله لا نريد ذلك ولا نشتغل به في شيء من الأشياء. بل نحن في محل التسليم والانقياد(10). فما أحب أن يقول فينا فلْيقل. وما أحب أن يفعلَ فينا فليفعل . ونحن سامعون مُطيعون لأمْره. ما لم يكُنْ إثْماً. فإن جاء أمره[1] على وفق الغرض حمدنا الله تعالى وجزينا سلطاننا خيراً. ودعونا له به. وإن جاء خلاف ذلك صبرنا بحكم الله[2] وعَذَرْنا السلطان . وعلمنا أنه لم يأمر حتى سبق القضاء والقدر . وأنا في ذلك كما قال أبو نواس(11)

فإن تُولّني[3] مِنْكَ الجميلَ فأَهْلُه ... وإلاَّ فَـإنِّي عَـاذِرٌ وَشَكُـورْ

وهذا هو حاصل الجواب. ونهاية الخطاب. وإن كثُر القَوْلُ.

ثم إني[4] رأيتُ أنَّ أمْرَ سيدنا — أيده الله — بالجواب. على فصول الكتاب. لا ينبغي أن يُهْمل . ولعلَّ فيه إن شاء اللهُ فوائدَ تُفَصَّلُ فتُحَصَّل.

وإن أمور العلم عند رُوَّاده. كما قال امرؤُ القيس عند وصف جواده :

يَجُـمُّ عَلَـى ٱلسَّـاقَيْـنِ بَعْدَ كَلاَلِهِ
جُمُومَ عُيُونِ ٱلْحِسْيِ بَعْدَ المَخِيضِ(12)

---

1 — جـ « وفقه ». 2 — جـ أسقط « بحكم الله » 3 — جـ « تولاني » ص « توليني ». 4 — د. خم اسقاط « أني »

---

(10) المؤلف يذكر التسليم والانقياد للسلطان في هذه المقدمة لكتابه. تابع في الرسالة كيف يظهر عكس ذلك تماما بعنف وجرأة في أغلب الأحيان. مؤيداً أقواله بالتعليل القوى. والحُجج الدَّامغة

(11) هذا آخر بيت من قصيدة لأبي نواس مطلعها :

أجـارةَ بـيـتـنـا أبوك غـيـورْ ... وَمَيْسُورُ مَا يُرْجَى لَدَيْكِ عَسِيرْ

يمدح بها الخصيب العجمي المذاري أمير مصر . انظر الديوان ج 1/ 226 تحقيق إيفالد فاكنر (النشرات الإسلامية القاهرة)

(12) بيت لامرئ القيس من قصيدة له ويقال انها لأبي داود الإيادي مطلعها

أَعِـنّي على بـرقٍ أراه ومـيـضِ ... يُضيءُ حبِيّاً في شماريخ بيضِ

قوله يجم على الساقين : أي اذا حرك بالساقين واستحث بهما كثر جريه. الجم : الكثير من كل شيْ وقوله بعد كلاله أي يكثر جريه بعد إعيائه فكيف به قبل ذلك. وقوله جموم عيون الحِسيِ إذا استخرج ماؤه والحِسْيُ : موضع قريب الماء يدرك باليد وكلما استخرج ماؤه جم. والمخيض أي يمخض ويستخرج ماؤه فضربه مثلا للفرس. انظر ديوان امرئ القيس تحقيق أبو الفضل ابراهيم

فحاولت الجواب ، من غير إطالة ولا إسهاب ، ولكن[1] على أن أسير في ذلك سيرة العلماء، في الشروح والحواشي ، على كلام مَنْ قبلهم من الأئمة — رضي الله عنهم — فإنهم يتكلمون بحثاً وفهْماً. على مُقتضى العبارة ، من غير أن يُنْتَسَبَ[2] في ذلك طعن ولا نقص للمتكلم. بل هُوَ بِمَعْزل عن ذلك . فالكلاَمُ إنما هو مع الكلام لا مع المتكلم. وما ذاك إلا لما كان يقوله إمامُنا مالك رضي الله عنه كثيراً عندما يتعرض لكلام الصحابة وغيرهم : كلُّ كلام منه مقبول ومردود ، إلا ما كان من كلام صاحب هذا القبر، يَعْني المصطفى ﷺ، يعني بأنه لا ينطق عن الهوى «إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى» (13) فلا عَيْبَ على العالم ولا غيره إذا بُحث في كلامه بحثاً عِلْمِيّاً. فأَنَا إِنْ شاء الله على هذا النمط أمشي مع الكلام مَنْسوباً مع ذلك لِلْكِتَابِ وعلى ألسنة الكُتَّابِ (14) والسلطان أيده الله بالحق[3] يبقى مَوْفُوراً، يتفرج بين كلامي وكلام الكُتَّابِ . وَيَنْصِب ميزان العدل. فأي الكلام رآه أصح وأعجب أخذه ، ورمى بالآخر. وأنا في ذلك لا عَلَيَّ مَلَسَى[4] لاَ عُهْدَةٌ (15)

ص 3 على أَنَّنِي رَاضٍ[5] بأن أحمِلَ الهوَى/ وَأَخْلُصَ منهُ لاَ عَلَيَّ وَلاَ لِيَا

وبالله تعالى التوفيق

أما قول الكُتَّاب إنما نريد أن تَقْبلَ مِنَّا الحق فأقول إنِّي أعتقد أني[6] إن لم أقبل الحق من عبد أو (أَمَة)[7] أو صبي أَوْ مَعْتُوهٍ، لاَ أَعُدُّ نفسي مؤمناً. فكيف لا أقبل الحق من سلطان المسلمين أصلحه الله وأصلح به. وقولُهُ لاَ نقول لك إلاّ حَقّاً. فأقول ومن هو أولى بهذا من السلطان، وقد جعله الله على رقاب عبيده، وأمة نبيه ، يسعى في صلاح أمورها بقوله وفعله، وبسط له في اللسان واليد، فحقيق ألا يقول إلاَّ حقّاً، ولا يسعى إلاَّ في الحق ولا شك أن السلطان

---

1 — جـ « لا على ». 2 — جـ « ينسب ». 3 — جـ أسقط « بالحق ». 4 — في الأصل « لمسي » صححت من ص ومن لفظ المثل عند الميداني . 5 — ص . جـ « أرضي ». 6 — جـ أسقط « أني ».
7 — زيادة من جـ. ص

---

(13) الآية 4 سورة النجم.
(14) يعني رسالة المولى اسماعيل والذين كلفوا بتحريرها
(15) يضرب لمن يخرج من الأمر سالما لا له ولا عليه. أنظر الميداني ج 238/2

أيده الله عارف بالحق. قادر على قول الحق. ولا بد أن يُعلَمَ أنَّ الحق بالشرع يعرف. لا بالعقل. وقد حَكَّم قوم العقولَ فضلُّوا وَأَضَلُّوا (16) نعوذ بالله ونعيذ به سيدنا من مذاهبهم.

فالحق عند أهل الحق. هو ما جعله الله حقاً. ويعرف ذلك بالكتاب والسّنة وإجْماع الأمة وقياس الأئمة. قال تعالى: «وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ» (17) وقال تعالى: «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» (18) وقال تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ» (19) وقال تعالى: «مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» (20) وقال تعالى: «وما آتاكُمْ الرَّسُولُ فخُذُوهُ. وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فانتَهُواْ.» (21) وقال تعالى: «لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» (22) وقال تعالى: ... وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُومِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ» (23) وقال تعالى: «فاعتبرُوا يَاأُولِي الأَبْصَارِ» (24) إلى غير ذلك من الآيِ. وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي. عَضُّوا عليها بالنواجد. وإياكم وَمُحدَثَاتِ الأمور. فإنَّ كلَّ مُحدثة بدعة. وكلَّ بدعة ضلالة. وكل ضلالة وصاحبها[1] في النار» (25) وقال ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتدَيْتُم اهْتديتم» (26).

وقال ﷺ: «إِنَّ هَذَا القرآن هو حَبْلُ الله المتينُ. وهو النورُ المبين. والشفاء النافع. عِصْمَةُ مَنْ[2] رَشَدَ[3] بِهِ. وَنجاةُ من تبعه. لا يَعْوَجُّ فيُقَوَّمُ. ولا يزيغ

---

1 — د أسقط «وصاحبها» 2 — د «لمن». 3 — جـ «اشتد».

---

(16) أظنه يعني «بالقوم» المعتزلة والجهمية والفلاسفة. فاليوسي رغم حملته العنيفة على الجلال السيوطي الذي حرم علم الكلام واعتبره: «فن خبيث مذموم يحرم الاشتغال به («أنظر ذلك مفصلا في كتاب اليوسي «الحاشية على كبرى السنوسي مخطوطة خ ع ر د 1771 ص 44 وما بعدها). أقول رغم هذا فاليوسي لم يصل به الأمر إلى إخضاع كل المسائل لمقياس العقل البشري وتحليله دون الاهتداء بالتوجيهات السماوية

(17) من الآية 105 من سورة الإسراء مكية

(18) من الآية 1 سورة البقرة مدنية

(19) من الآية 89 سورة النحل مكية

(20) من الآية 38 سورة الانعام مكية

(21) من الآية 7 سورة الحشر مدنية

(22) من الآية 44 سورة النحل مكية

(23) من الآية 115 سورة النساء مدنية

(24) من الآية 2 سورة الحشر مدنية

(25) جزء من حديث رواه أبو داود والترمذي عن أبي نجيح العرباض ابن سارية. وقالا حديث حسن أنظر شرح الأربعين حديثا النووية الحديث 28. مشكاة المصابيح الجزء 1 ص 58

(26) حديث رواه البيهقي من حديث ابن عباس: «أصحابي بمنزلة النجوم. فبأيهم اقْتَدَيْتُم اهتَدَيْتُمْ. واختلافُ أصحابي لكم رحمة» انظر فيض القدير ج 209/7

فيستَعْتبُ. ولا تنقضي عجائبُه. ولا يَخْلَقُ من كثرة التَّردادِ» الحديث(27) وفي حديث الأعور السلمي عن علي كرم الله وجهه قال «ذكر النبي ﷺ الفتنة. فقلنا يا رسول الله. ما المُخرجُ منها؟ قال: كتابُ الله عز وجل. فيه نبأُ ما قَبْلكُمْ وخبر ما بعدَكُم. وحكم ما بينكم. وهو الفصلُ ليس/بالهزل. من تركه من جبار[1] قَصمَهُ الله تعالى. وهو الصراط المستقيم. وهو الذي لاَ تُلَبّسْ (28) لَهْ الألسنُ. ولا تَزيغ به الأَهْوَاءُ. ولا يَخْلَقُ على كثرة التَّردَاد. ولا يشبع منه العلماء. ولا تنقضي عجائبه. وهو الذي لم تنته الجنُّ إذا سمعته فقالوا «إِنَّا سمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ» (29) من قال به صَدَقَ. ومن حكَمَ به عدلَ. ومن اعتصمَ به هُدِيَ إلى صِرَاطٍ مُستقيمٍ.»(30)[2]

ص 4

ثم إنَّ هذا مَأْخوذ من أيدي العلماء (31) فإنهم حملتُه. والأُمناءُ عليه. وغيرهم يقلدهم فيه. ولا يَحِلُّ لأحد غيرهم أن يخوض في شيْ منه. ما لم يأخذ عنهم قال تعالى: «فاسْأَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ» (32) وقال تعالى: «هَلْ يَسْتَوِي ٱلذِّينَ يَعْلَمُونَ وَٱلذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ» (33) وفي الحديث: «لِكُل شيْ قِوام، وقوام الدين الفقهُ. ولكل شيْ دعامة. ودعامة

---

1 — جـ «خيار». 2 — في الأصل زيادة «خذها» ولا أصل لها في النسخ الأخرى ولا في متن الحديث

---

(27) هذا الحديث أخرجه الترمذي وقال غريب وإسناده مجهول. انظر المغني بذيل الإحياء ج 1 ص 297

(28) في نص الحديث بالمشكاة «لا تلتبس به الألسنة»

(29) من الآيات 1 و 2 من سورة الجن مكية

(30) هذا الحديث بنصه أخرجه الترمذي والدارمي من رواية الحارث الأعور وقال وفي الحارث مقال أنظر مشكاة المصابيح ج 2 ص 661 — 662

(31) في هذا الفصل الذي يعقده اليوسي للتعلم والعلماء أورد الكثير مما ذكره الإمام أبو حامد محمد الغزالي في «إحياء علوم الدين» في باب فضيلة العلم. وهو الباب الأول في الكتاب أنظر من ص 11 — 19 طبعة الإحياء التي بهامشها «المغني عن حمل الأسفار»

(32) من الآية 43 سورة النحل مكية

(33) من الآية 9 سورة الزمر مكية

الدين الفقه» (34)

وفضل العلم وأهله شهير لا نطيل به. وفي الخبر المشهور: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» (35) وذلك أنه [1] في بني إسرائيل يكون النبي في قومه يوحى إليه، ويكون الملك على يديه ينفذ ما أمر به النبي، فإذا كان علماء هذه الأمة، كأنبياء بني اسرائيل، لزم أن يكون ملوكها كملوكهم [2] ينفذون ما يأمر به العلماء. ولهذا قال الإمام أبو الأسود الدُّؤَلي (36) ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك. وسئل ابن المبارك (37) عن الناس فقال هم العلماء، وعن الملوك فقال هم الزهاد. فالعالِم له أن ينكر على غيره بالحق والتحقيق، وليس لغيره أن ينكر عليه اللهم إلاّ (إذا كان) [3] عالماً مثله أو فوقه. فإذا كان العالم مسَلَّماً له في علمه، موثوقاً بإمامتِه، ثَبَت للناس حقٌّ عليه أن يعلمهم، ويرشدهم بحسب الإمكان، وإذا كانت [4] تُعَابُ أفعالُه، وتُعْتَرَضُ أقوالُه، فذلك حكم عليه بأنه لا علم عنده، ولا وثوق به وحده، وتسقط عنه حقوق الناس، فالجمع بين الاعتراف له بالعلم والثقة، وثبوتِ حق الناس عليه، والإنكار عليه فيما يقول أو يفعل جمع بين متنافِيَيْن. والله الموفق.

---

1 — في الأصل زيادة «كان» لا يقبلها السياق 2 — د «كملوك بني اسرائيل» 3 — زيادة من «د» 4 — جـ «كان».

---

(34) يشير إلى جزء من حديث «ما عُبِدَ الله تعالى بشيٍ أفضلَ من فقه في الدين. ولَفَقِيهٌ واحد أشد على الشيطان من ألف عابد. ولكل شيٍ عماد، وعماد هذا الدين الفقه...» رواه الطبراني «في الأوسط» وأبو بكر الآجرى في كتاب «فضل العلم» وأبو نعيم في «رياضة المتعلمين» من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف وعند الترمذي وابن ماجة من حديث ابن عباس بسند ضعيف. أنظر المغني بذيل الإحياء ج 1 ص 6

(35) لم أجد لهذا الحديث تخريجاً والمشهور في الموضوع حديث «العلماء ورثة الأنبياء» رواه أحمد وأبو داود. والترمذي. عن أبي الدرداء انظر المقاصد الحسنة ص 286

(36) هو ظالم ابن عمرو الدؤلي الكناني (1 ق هـ — 69 هـ) من التابعين الفقهاء. رسم أصول النحو له شعر جيد في ديوان مطبوع انظر الأعلام ج 3 ص 340

(37) عبد الله بن المبارك المروزي أبو عبد الرحمان (118 — 181هـ) الحافظ صاحب التصانيف الكثيرة انظر أخباره وترجمته في تذكرة الحفاظ ج 1 ص 253 الاعلام ج 4 ص 256

وأما قول الكتاب والله إلاَّ فجعنا.[1] الغرب (38) في مسألة العلم وخفنا عليه أن يندثر منه فأقول : جَزَى اللهُ سيدنا. ومصباح وَقْتِنَا خيراً. حيث خاف هذا. وإنه والله هو أشد المصائب وأفظعُها فأي خير في الحياة/(بعد)[2] ذهاب العلم وأهله؟ وفي الحديث الصحيح «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال. ولكن يقبضه بقبض أهله. حتى إذا لم يبق عالم. اتخذ الناس رؤساء جهالا فسُئلوا فأفْتَوْا بغير علمٍ. فضلُّوا وأضلوا» (39) وخطب يوماً زياد (40) على منبر الكوفة فقال إني بِتُّ ليلتي هذه مهتمّاً[3] بثلاث بذي العلم وبذي الشرف، وبذي السن، ولا والله لا أوتَى برجل ردّ على ذي علم ليضع بذلك علمه إلا عاقبته، ولا أوتى برجل ردّ على ذي شرف ليضع بذلك من شرفه إلا عاقبته، ولا أوتى بِرَجُلٍ ردّ على ذي شيبة ليضع بذلك منه إلا عاقبته، إنما الناس بعلمائهم وأعلامهم[4] وذوي أسنانهم. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لَمَوتُ ألف عابد قائم الليل والنهار، أهون من موت العاقل البصير بحلال الله وحرامه. وقال أبو عمر بن عبد البر (41) في كتاب «العلم» روى ابن عباس (42) أنه قال رُوِيَ أن شياطين قالوا لإبليس ياسيدنا مالنا نراك تفرح بموت العالم مالا تفرح بموت العابد؟ فقال انطلقوا. فانطلقوا إلى

ص 5

---

1 — جـ «والله فجعلنا». 2 — في الأصل «محو» التوضيح من بقية النسخ 3 — خم أسقط «مهتمّا». 4 — خم «أنسابهم».

---

(38) الغرب في اصطلاح ذلك العصر : ما وراء الأطلس المتوسط نحو الشمال

(39) حديث متفق عليه رواه البخاري في كتاب العلم عن عبد الله بن عمر أنظر إرشاد الساري ج 1 ص 196 ورواه مسلم عن عبد الله بن عمر أيضا. أنظر مشكاة المصابيح ج 1 ص 72

(40) يعني زياد بن أبيه (1هـ — 53هـ) من القادة الفاتحين الوّلاة من أهل الطائف ولاه معاوية البصرة والكوفة وسائر العراق. قال الشعبي : ما رأيت أحداً أخطب من زياد. أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام : ج 3 ص 92

(41) يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي المالكي أبو عمر (368 — 463هـ) من كبار حفاظ الحديث مؤرخ أديب بحاثة ولي قضاء لشبونة توفي بشاطبة. له مؤلفات كثيرة منها «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد كبير جدا طبعت منه أخيرا في المغرب أجزاء أنظر ترجمته في وفيات الأعيان وبغية الملتمس وآداب اللغة والاعلام ج 9 ص 316

(42) عبد الله بن عباس (3 ق هـ — 68 هـ) بن عبد المطلب حبر الأمة الصحابي الذي رويت عنه الأحاديث الكثيرة كانت مجالسه حافلة بالعلم من فقه وتأويل وشعر وغيره. كان آية في الحفظ

عبد قائم يصلي[1] فقال له إبليس هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة ؟ فقال : لا. فقال أترونه كفر في ساعة. ثم جاء إلى عالم في حلقته يضاحك أصحابه ويحدثهم. فقال إننا نريد أن نسألك فقال : سل. فقال أيقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة ؟[2] قال : نعم قال وكيف ؟. قال : يقول لذلك إذا أراده كن فيكون. قال إبليس أترون ؟ ذلك عبادته لا تعدو نفسه. وهذا يفسد عليَّ عالماً كثيراً (43) فشأن المؤمنين أن يحزَنوا لموت العلماء كثيراً كما فرح إبليس بها وأن يخافوا ذلك كما فعل السلطان أصلحه الله وأصلح به. ونوّر الوجود بنيته الصالحة. ومن لم يحزن لموت العلماء أو فرح بموتهم فهو من جملة[3] الشياطين. ولا شك أنه لا بد من موتهم غير أنه متى كان فيهم التوالد. لَم يَضُرَّ مَوْتُ من مات. لأنه يخلفه غيره من النَّشْأةِ (44) ومتى لم يحصل التوالد انقطعوا. كما هو (في)[4] التوالد الطيني. وإنما يحصل التوالد بالقراءة والدراسة وكثرة مجالس العلم (فلا يموت المعلم)[5] حتى يلد من يخلفه بأن ينشأ من المتعلمين بإذن الله تعالى عالم آخر أو أكثر وهكذا فيستمر هذا النوع.

ص 6 وحيث تفطَّنَ سيدنا لهذا المعنى واهتم به. فلا/بد أن نشرحه ونبين دعامته باختصار فنقول : إن طلب العلم (والاشتغال)[6] بالتعليم نوع من الجهاد. بل هو الجهاد الثاني. بل أهم الجهادين. (وذلك أن)[7] جهاد العدو ومطلوب للدفع عن بيضة الإسلام (45) والعلم مطلوب لدفع الجهل عنهم ثم إذا نظرنا وجدنا العدو لو تسلط على الأموال والرقاب. وهي أمور دُنْيَوِيّة لابد من فراقها أما بذلك أو بغيره. والموعد الآخرة. ولو تسلط الجهل عياذاً بالله لم تبق عقيدة صحيحة. ولا إيمان ولا عمل صالح. وهذا هو الهلاك الأبدي الذي يستمر إلى الآخرة.

---

1 — جـ زيادة « فقالوا له أنا نريد أن نسألك فانصرف » 2 — د « بيضاء ». 3 — د « بمنزلة ».
4 — زيادة من جـ. 5 — زيادة من جـ 6 — في الأصل « محو » أثبت ما في بقية النسخ.
7 — في الأصل « محو » أثبت ما في بقية النسخ.

---

(43) القصة التي وردت على لسان ابن عباس هي تمثيل للحديث : « ...ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد» وقد سبق تخريجه.

(44) النشأة : ما ارتفع أو ظهر من النبات ولم يغلظ بعد. وهنا الطلبة الأحداث

(45) بيضة الإسلام : ساحة الإسلام

فنعلم أن الجهاد في دفع الجهل وتحصيل الدين أصلاً وفرعاً، أهم وأوكد من الجهاد في دفع العدو. ثم (إنّ)[1] نبينا ﷺ حين بعثه الله بدأ بالثاني الذي قلنا إنه الأهم، فكان يجاهد في دفع الجهل بالتعليم بأقواله وأفعاله[2] وتقاريره[3]. ولم يشتغل بجهاد العدو. إلا بعد ذلك حين أُذِنَ (له)[4] ثم إن الله تعالى أباح لهم الغنائم، فكانوا يتقوّون (بها على)[5] الجهاد كله، وكانت تدفع لكل من حضر المعركة حكماً شرعياً، والاستقراء قَاضٍ بكون الناس في القتال ثلاثة شخص يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ومطلبه (رضاء)[6] الله تعالى ورحمته الباقية، لا تشوُّفَ له إلى المال ولا (إلى)[7] الدنيا أصْلاً، وهو خير الناس. وشخص يقاتل لذلك أيضاً مع التشوف، وهو في وسط الناس. وشخص يقاتل لطلب الدنيا إما (مع)[8] تَشَوُّفٍ إلى الآخرة أَو لا، وهو شر الناس ولكن ينفع الله به بالدفع عن غيره، كما قال ﷺ في مسألة قُزْمَان (46) «إِنَّ الله يؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر» (47)

وكلٌّ من الأَصناف يقبض المال في جهاده. **أما الأول** : فهو وإن لم يكن هو الباعثُ له لكنه يتقوّى به على شغله، والكل في ذات الله، ولا يُنقِصُه ذلك شيئاً عند الله، ولا حرج عليه أصلا. بل لو ترك نصيبه، وألجأته النفقة الواجبة على نفسه أو على عياله إلى أن يذهب ليحترف ويُعَطِّل الجهاد ربما حَرِجَ. **وكذا الثاني** وإن كان دون الأول. **وأما الثالث** فهو حظه من الله وأجره عُجلَ له.

---

1 — زيادة من جـ. 2 — د «في أقواله وفعله». 3 — في الأصل «تقاديره» الصواب من جـ و ص. 4 — في الأصل «الله» صححت من جـ 5 — محو في الأصل أثبت ما في بقية النسخ. 6 — زيادة من جـ 7 — في الأصل «للدنيا» الصواب من بقية النسخ. 8 — زيادة من جـ و ص.

---

(46) قُزمان : (بضم القاف) بن الحرث العبسي من المنافقين وهو المعني في الحديث الذي يلي.

(47) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان رواه أبو هريرة ونصه قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ خيناً (ويقال «خيبر») فقال لرجل ممن يدعي الإسلام هذا من أهل النار. فلما حضرنا القتال. قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة فقيل يارسول الله الرجل الذي قلت آنفا إنه من أهل النار. فإنه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال ﷺ إلى النار. فكاد بعض المسلمين أن يرتاب. فبيناهم على ذلك إذ قيل إنه لم يمت ولكن به جراح شديد. فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه. فأخبر النبي بذلك فقال الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله. ثم أمر بلالا فنادى في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة. وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر. انظر شرح النووي على صحيح مسلم بهامش إرشاد الساري ج 1 ص 458 كما أخرجه البخاري في كتاب الجهاد و السير و كتاب المغازي أنظر إرشاد الساري ج 7 ص 175

فإذا فُهم هذا في المجاهدينَ. وما يأخذون من الغنائم. فليفهم مثله في المجاهدين في العلم حرفا بحرف. فالمشتغلون بالعلم أيضا تعلماً وتعليماً محتاجون إلى مؤونة وكفاية يتقوَّوْن بها[1] على ما هم بصدده ولا بد أن/(يكونوا)[2] في هذا أيضا ثلاثة أصناف كما كانوا هنالك. وكما لانتقب عن قلوبهم. بل نعطيهم المال جميعاً وحسابهُم على الله[3] كذلك هنا. وكما أن الانتفاع هنالك يحصل بالجميع. من أخلص ومن لم يخلص. كذلك في الثاني. وكما أنه ينبغي أن يُنَفَّلَ هنالك أهل البلاء على حسب مراتبهم في الغنائم كذلك هنا ينبغي أن (ينفلوا)[4] بحسب مرتبة المعلم في العلم. وإحكام صنعة التدريس. ومرتبة المتعلم في الحذق. والنشاط. والملازمة. وكما أنه لولا الغنائم هنالك تارة. والأُعْطِيَاتُ أخرى تعطلت مراسم الجهاد. وتعطلت الثغور: أما في حق الصنفين الأخيرين فلأن المال باعث لهما. فإذا بطل الباعث وقع الفتور. اللهم إلا أن يَخْلُفَهُ باعثُ الإِكْرَاه. وهو لاَ يُجْدِي[5] كبير جدوى. وأما في الصنف الأول فلأن المال وإن لم يُقصد. لكنه هو القِوامُ. فهو كالشرط وبطلانه يوجب بطلان المشروط. اللهم إلاّ إن كان مكتفياً يجاهد بماله. وهو عزيز الوجود. كذلك (هنا)[6] (48) إن لم يكن المال تعطلت مراسم العلم غالباً. إلاّ أن يكون أيضاً إكراه. ولا تنتهض (معه)[7] همة المعلم. ولا يكون لصدره انشراح. ولا لقلبه إقبال. فلا يحصل للمتعلم انتفاع. بل يكون ضرباً في حديد بارد. أو يكون من له وَفْرٌ فيطلب العلم بماله. أو يعلمه بذلك وهو أيضاً عزيز الوجود. فإن أهل الدُّثُور (49) الناشئين في النعمة. لا يتفرغون غالباً لطلب العلم ولا يتحملون محنة[8] التغرُّب والترحُّل والتَّذلُّلِ للمشايخ.

إن الشَّبَاب والفَرَاغَ وَالْجِدَهْ (50) مفسَدةٌ لِلمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَهْ (51)

---

1 — خم إسقاط «بها» 2 — في الأصل محو في الأحرف الأولى الصواب من بقية النسخ 3 — في الأصل زيادة «ذلك» لا أثر لها في بقية النسخ. 4 — في الأصل «يفعل» صوابه من بقية النسخ. 5 — في الأصل «يجد» الصواب من بقية النسخ. 6 — الزيادة من جـ و ص. 7 — زيادة من جـ و ص. 8 — في الأصل وفي جـ «مهنة» الصواب من د و خم و ص

---

(48) يعني الاشتغال بالتعليم والتدريس

(49) الدَّثْر: المال الكثير ويجمع فيقال: دُثور

(50) الجدَة: مِنْ وُجِدَ بمعنى استغنى

(51) البيت للشاعر أبي العتاهية أنظر الديوان ص 496. ومعنى هذا البيت يقترب من المثل السائر: إن يكن العمل مجهدة فإن الفراغ مفسدة أنظر الميداني ج 1 ص 88

ولا بد في طلب العلم من مقاساة ذلك :

فمن لم يذق ذُلَّ التعلم ساعة[1]
تجرع كأسَ الجهل طُول حياته

(غيره)[2]

تَذَلَّلْ لِمَنْ تهوى لتكْسب عِزَّةً
فكم عِزَّةٍ قَدْ نالها المرء بالذل

(غيره)[2]

صَبَرْتُ على بعض الأذى خوف كلِّه ودافعتُ عن نفسي بنفسي فذلَّت
وجَرَّعْتُهَا المَكْرُوهَ حتَّى تدرَّبَتْ ولو لم أجرعها الأذى لاَشْمَأَزَّتِ
ألا ربّ عِزٍّ سَاق للنفس ذِلَّةً ويارب نفسٍ بالتَّذَلُّل عَزَّتِ

وذلك يشق على أهل الأقدار، وأهل الإيسار[3] وإنما يحظى به أولاد المساكين، وهم المتفعون (به)[4] في كثير، ولذلك يقال : لولا أولاد الفقراء لذهب العلم/وهم محتاجون إلى المؤونة، والعطاء نافع فيهم وفي غيرهم ص 8

وأَحْسَنُ مِنْ نَوْرٍ[5] تَفَتَّحَهُ الصَّبَا
بياضُ[6] العَطَايَا[7] في سَوَادِ المَآرِبِ(52)

والعطايا[8] تُطلق اللسان، وتَشْرح الجَنَان، وتُشَجِّع الجبان، وتنشّط الكسلان وتسُر الغضْبان، سَجِيَّةٌ مطبوعة في الإنسان على مرور الزمان. وقيل لجرير : لِمَ كانت أشعارك في بني أمية أحسنَ منها في بني العباس ؟ فقال : إنَّ اللُّهَى (53) تَفْتَحُ اللَّهَا (54) أي العطايا تفتح اللسان. وذكر المعتمد ابن عباد (55) يوماً قول أبي الطيب :

---

1 — في الأصل « ساعته » الصواب من بقية النسخ. 2 — زيادة من ص. 3 — ج. ص « اليسار » 4 — زيادة من د. 5 — في الأصل محو في بعض حروف الكلمة. 6 — في الأصل « في بياض ». 7 — في الأصل « العطاء » الصواب من ج و ص و د. 8 — في الأصل زيادة كلمة « هي » بعد « العطايا » التصحيح من سائر النسخ.

---

(52) النَّوْرُ : مصدر. الواحدة نَوْرَةٌ ج أنوارٌ : الزهرة. أو الأبيض منه وهو الراجح حسب معنى البيت.
(53) اللُّهَى : جمع لُهْوَة ولُهْوة : العطية من أفضل العطايا وأجزلها. ويقال أيضاً اللُّهية
(54) اللَّهَا : مفردها لَهَاةٌ : اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم
(55) محمد بن عباد بن اسماعيل 431 — 488 هـ المعتمد على الله صاحب اشبيلية وقرطبة وما حولها وأحد أفراد الدهر شجاعةً وحزماً وأدباً. أسره يوسف بن تاشفين سنة 484 ونفاه إلى أغمات وبقي فيها إلى أن مات.

إِذا ظَفِرَتْ مِنْكَ العُيُونُ بِنَظْرَةٍ
أَثَابَ بِهَا مُعْيِ (٥) المَطِيِّ وَرَازِمُهْ(56)

فجعل يردده استلذاذاً له واستحساناً، وبين يديه عبد الجليل بن وهبون (57) الشاعر، فانبعثت منه عِبْرَةٌ[1] (58) فأنشأ يقول ارتجالا

لَئِنْ جَادَ شِعْرُ بْنِ ٱلْحُسَيْنِ فَإِنَّمَا تُجِيدُ ٱلْعَطَايَا وَاللُّهَى يَفْتَحُ ٱللَّهَا
تَنَبَّأَ عُجْباً بِٱلْقَرِيظِ وَلَوْ دَرَى بِأَنَّكَ تَرْوِي شِعْرَهُ لَتَأَلَّهَا[2]

وقال بعض مشايخ الوعاظ ببغداد، انطلقت ألسنتُنا بالحكمة[3] وإذا كنا في غيرها لم نفعل، فقالت له عجوز : الطمع يحلُّ فَاكَ ، فهو أصل هذه المسألة. فمن وفقه الله من الملوك، ونبّهه إليها قولاً وفعلاً، فأنفق الأموال في نشر العلم، وأقام المرَتَّبَاتُ ، وأحسن[4] الجوائز، حَيِيَ العلمُ في زمانه، وأزهرت رياضه ، وتفجرت حياضه، وظهرت الفنون الغريبة ، والفهوم العجيبة. ثم إن سهّل بابه

---

1 — جـ و ص « عبرة ». خم د « غيرة ». 2 — هذا البيت الثاني ساقط من المتن مثبت في الهامش وفيه محو كثير صححته من جـ و ص. 3 — في الأصل « في الحكمة ». 4 — في الأصل « واحسان »

---

(56) من قصيدة للمتني في مدح سيف الدولة مطلعها :

وفاؤكما كالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُه بأَنْ تسْعدا وَٱلدَّمعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ

يقال أثاب فلان . رجع إليه جسمُه بعد الهزال وصَلُح بدنه. المُعي : الكَلِيل. المطيُّ : جمع مطية الدابة تركب. الرازم : الرازح الذي سقط من الإعياء.يقول في هذا البيت : إن الإبل الرازحة التي كلت وعجزت عن المشي (أو أصحاب هذه الإبل) إذا نظرت إلى المحبوبة عاشت أرواحها وعادت قونها وصلحت حالها. أنظر ديوان المتني شرح عبد الرحمان البرقوقي الجزء 4 ص 49

(57) عبد الجليل بن وهبون أبو محمد الملقب بالدمغة المرسي من فحول شعراء الأندلس ذكره ابن بسام في «الذخيرة» وأورد جملة من أشعاره وأخباره مع المعتمد. وذكر أنه جمع كتابا في أخباره وأشعاره سماه «كتاب الإكليل المشتمل على شعر عبد الجليل» . ذكر الضبي في البغية أنه توفي في حدود الثمانين وأربعمائة. أنظر ترجمته وأخباره أيضا في قلائد العُقْيان الجزء 1 ص 278 تكلة الصلة ص 568 فوات الوفيات ص 513 وقد ذكر قصته مع المعتمد هذه كما رواها اليوسي.

(58) العِثرة :قلادة تعجن بالمسك والأفاويه. ونسل الرجل ورهطه. والريقة العذبة. والقطعة من المسك الخالص وأظن أن هذا المعنى الأخير هو المراد في النص للدلالة على جودة الأبيات. ولكنني أرجح أن تكون «عبرة» أي دمعة كما جاء في جـ و ص

مع ذلك . وَوطَّن مجلسه، وعاشر بالمعروف. وأظهر الجميل تسارع إلى مجلسه أهل العلم. فأشرق مجلسه، وتنور محله وعظمت أُبّهتُه. ومن لم يفعل ذلك اندثر العلم في زمانه، فخلَتْ رسومُه. وهوتْ نجومُه. فأما الطلبة فلعدم وجود الكفاية ولا وجود المُعَلِم. وأما العلماء فكذلك. (فمنهم)[1] من يشتغل بأسباب معاشه ومعاش عياله ويرى أن ذلك أوجب عليه من التعليم الذي هو فرض كفاية. وهو حق. فمن أين يتفرغ للعلم أو يفهمه ؟ وفي مثل هذا قال عظيم من الفقهاء (59) لو كُلِّفْتُ شراء بصلة ما حفظت مسألة. وقال عظيم من الصوفية لو عُلتُ دجاجة خفت أن أكون جِلْوازاً على الجسر[2] والجِلْوَازُ الشرطي أو التُّورُورُ[3] وهو التابع له.

ص 9 ومنهم من يرى لذلك إدباراً في الزمان وأهله ويرى/أنهم لا يستحقون نفعاً، فيدخل بيته ويشتغل بالتَّقييد والتصنيف نفعاً لمن يأتي بعده. وفي مثل هذا قال بعضُ الأئمة :

إنْ لَزِمْنَا ٱلْمُلُوكَ تَاهُواْ عَلَيْنَا ... وَٱسْتَخَفُّوا جَهْلاً بِحَقِّ ٱلْجَلِيسِ
أَوْ لزمنا التُّجَّارَ عُدْنَا إلى البُؤْسِ ... وصرنَا إِلَى عَدِيدِ الفُلُوسِ
فلزمنا البُيوتَ نستَعْمِل الحِبْرَ ... وَنَمْلاَ بِهِ وُجُوهَ الطُّرُوسِ
فَقَنِعْنَا بِمَا رُزِقنَا فصِرْنَا ... أُمَرَاءَ على المُلُوكِ الرُّؤوسِ

وقد ذيلها آخر فقال

لو تُرِكْنَا وَذَاكَ كُنَّا ظَفِرْنَا ... بِأَمَانِينَا[4] بِعِلْقٍ نَفِيس
غير أن الزمان أعني بنيهِ ... حَسَدُونَا عَلَى حَيَاةِ النُّفوسِ

وهذا، أعني الاستغناء بالتصنيف عن التدريس. قد فعله جماعة من العلماء المعتبرين منهم الجلالُ السيوطي (60) فقد حكى أنه ما كان يدرس بل يُصنف.

---

1 — زيادة من ص. 2 — جـ اسقاط على « الجسر». 3 — جـ «التؤرون» ص « التورون»
4 — في الأصل « أمانتنا » صححت من خم. جـ

---

(59) ينسب هذا القول للإمام الشافعي

(60) عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي جلال الدين (849 — 911هـ) إمام حافظ مؤرخ أديب. لما بلغ الأربعين اعتزل الناس وخلا بنفسه له نحو 600 مصنف أنظر ترجمته وأخباره في الأعلام ج 4 ص 71

وقد نفعه الله بتصانيفه اليوم، ومنهم تاجُ الدين بهرام (61) آخراً، فإنه حين شرح مختصر شيخه رام من الطلبة أن يقرأ بالشروح بين يديه تَصْحِيحاً فنفروا عنه وقالوا لا نقرأ كتابك ولا كتاب شيخك، فتركهم واشتغل بتصنيف «الشامل» (62)

ثم إن الملوك لم يزالوا مختلفين فيما ذكرنا حسب اختلافهم في حب العلم وأهله، والرغبة فيه وفي سائر المصالح، وفي الجود وكرم الطبيعة واطمئنان النفس وغير ذلك. ولم يزل العلماء يتَرَحَّمُونَ على من أحيا اللهُ العلمَ على يديه أو غيره من المصالح، ويبالغون في الثناء عليه منذ الملوك الأمويين والعباسيين، ومن بعدهم من أرباب الدول، ولا سيما إن كانت سيرته في ذلك محمودة، كصلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله (63) وكذا ملوك المغرب من الأدارسة والمرابطين وبني عبد المومن (64) وقد كان شيخهم المهدي بن تومرت جاهد في نشر العلم، وبني عبد الحق (65) وقد كان فيهم أبو الحسن المريني ونظراؤه وكانت مدرسة الوادي، وهي اليوم خَرِبَةٌ يقال إن فيها (نحو)[1] سبْعِمائة أو سَبْعَةِ آلاَفِ أستاذ وكان لا يُعْطَى البيت فيها إلاَّ من يحفظ جميع

---

1 — زيادة من جـ

---

(61) بهرام بن عبد الله الدميري تاج الدين (734 — 805هـ) الإمام المالكي الحافظ تلميذ الشيخ خليل وغيره قاضي القضاة بمصر برع وأفتى ودرس. له مصنفات كثيرة «كالشامل» في الفقه وشرح المختصر وأصول ابن الحاجب الخ... أنظر ترجمته في نيل الإبتهاج لأبي العباس التنبكتي ص 83. وفي إنباء الغمر بأنباء العمر ج 2 ص 242 تحقيق د حسن حبشي

(62) هذه الحكاية مذكورة في كتاب «نيل الإبتهاج بتطريز الديباج» للتنبكتي على هذا الشكل بزيادة بعض التفاصيل ص 83

(63) صلاح الدين الأيوبي (532 — 589 هـ) دفع غارات الصلبيين في بلاد الشام وهاجم حصونهم وقلاعهم. دانت له البلاد. أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 9 ص 297

(64) بني عبد المومن هذا الإسم يطلق على دولة الموحدين أنظر الاستقصا ج 2 ص 99 لأنها قامت وانطلقت على يد أبي محمد عبد المومن بن علي الكومي (526 — 558هـ)

(65) بني عبد الحق : يعني بني مرين لأن عبد الحق بن محيو المريني هو مؤسس هذه الدولة (610 — ؟)

ص. 10 مختصر[1] الحاجبي (66) ولذلك لما جاء الشريف (67) وهو لم يحفظه ولم يجد بيتاً. قعد عند سارية واشتغل بشرح الجرومية حتى أكمله. فرفعه إليهم ليُعْطَى بَيْتاً.

ثم اندثر بعد أولئك العلمْ بفاس وغيرها. حتى جاء السلطان أحمد المنصور (68) فأحيا باعَه وعمَّر رِبَاعَهْ، وجمع الكتب وخالط العلماء. وجالسهم وأعطاهم وأرضاهم. وكذا الوليد (69) بعده ومحمد الشيخ (70) غير أنه في بلدهم فقط. ثم جاء المولى محمد بن الشريف (أخو سيدنا. فأحيا العلم في بلده. وأعطى الفقهاء وَأَكْرَمَهُم وخالطهم)[2] وَحَرَّرَ أهلَ البلاد للقراءة في القصبة (71). فأقام لهم بذلك التحرير (72) مقام العطاء. وتسارعواْ حتى أن الرجل المُسِنَّ من أهل سجلماسة يكتب الجرومية (73) في لوحة يقرأها. وكَثُرتْ المجالس، وكنا هنالك، حتى أنَّا أكثر الأيام لا نذُوق طعاماً إلا من

---

1 — في الأصل «الأمهات» صححت من جـ و ص. 2 — زيادة في جـ و ص.

---

(66) عثمان بن عمر المعروف بأبي الحاجب المصري ثم الدمشقي كان علماً من أعلام الدين ومن كبار فقهاء المالكية له تصانيف مشهورة منها مختصره الذي اعتنى العلماء بشرحه شرقا وغربا ومنها الكافية في النحو والشافية في التصريف الخ.. ولد سنة 570 وتوفي سنة 646 انظر شجرة النور ص 167

(67) لعله يعني المولى علي الشريف جد أشراف تافيلالت الذي رحل إلى فاس واستوطنها مدة طويلة أنظر الاستقصا ج 7 ص 7

(68) أحمد المنصور السعدي المعروف بالذهبي (... 1012 هـ) كان أديباً محبّاً للعلم والعلماء مغرماً باقتناء الكتب. اقرأ أخباره في نزهة الحادي من ورقة 100 الخزانة العامة بالرباط.

(69) الوليد بن زيدان... 1045 هـ من الملوك السعديين. كان مولعاً بالسماع محبّاً للعلم والعلماء

(70) محمد الشيخ بن زيدان... 1063/هـ كان هو الآخر من المحبين للعلم والعلماء ولكن الفتن في عصره لم تدع له الفرصة للتوسع في ذلك.

(71) القصبة القرية أو وسطها. وفي مدن المغرب القصبة هو الجزء القديم من المدينة. والأعظم اكتظاظا بالسكان من الطبقة المتوسطة.

(72) حَرَّره تحريراً في لغة علماء وطلبة ذلك العصر. وحتى وقت ليس ببعيد في المعاهد التقليدية،بمعنى منحه عطلة. ورخَص له بالتخلف عن الدراسة أو عن العمل

(73) الجرومية أو الأجرومية : كتاب صغير يشتمل على مبادئ النحو أقبل الناس عليه كثيراً ومؤلفه أبو عبد الله محمد الصنهاجي المعروف بابن جروم المتوفي عام 723هـ

الاسفرار (74) لانشغالنا بطلب العلم. وتقلبنا في المجالس طول النهار. فانتفع الناس. غير أن علوم الصحراء قاصرة. إنما هي ما قَرُب من فقهيات ونحويات. ولا يرتقون إلى ذروة العلم. ولا يخوضون في لُجج العلوم[1] العقلية والنقلية. ودائماً يُخيَّلُ لي أن ذلك باق في تلك البلاد من كلمة[2] أبي الفضل ابن النحوي (75) رضي الله عنه فإنه كان دخل سجلماسة فأخذ يقرأ أصول الدين وأصول الفقه. فرآه عبد الله بن بسام أحد أشياخ البلاد فقال ما يُقْرِئُ هذا الإنسان؟ فقالوا له الأصول. وكان أهل البلد إذ ذاك مقتصرين على علم الرأي فقال هذا يريد أن يُدخل علينا علوماً لا نعرفها. وأمر بإخراجه. فقام الشيخ أبو الفضل وقال لابن بسام: أَمَتَّ العلم أماتك الله هاهنا. وأشار إلى مكانه. فاتفق أن أعْلِم بن بسام بنكاح يحضر عَقْدَهُ في المسجد في صبيحة اليوم الثاني. فخرج إلى المسجد سحراً. فرت جماعة من ملوانة[3] (76) فقتلوه (77) فكان هذا العلم الخاص قد مات هنالك. وقد مررت بعد ذلك بسجلماسة فوجدت الأمر لم يبق على حاله. بل وقع الفتور. وذهبت تلك المجالس[4] إلاَّ قليلا ولم يبق إلا أصحاب المجلس على حالهم. وأصحاب مجلس السلطان منفعتهم في المجلس وليس بذلك ينتشر العلم وتحيا رسومه ويتخلدُ ذكره. وإنما يكون ذلك بأصحاب المجالس في المساجد والرباطات[5] وفيها ينتفع الخاص والعام. ويبقى ذكره على

---

1 — في الأصل «العلم» صححت من بقية النسخ. 2 — في الأصل «كلمته» التصحيح من بقية النسخ. 3 — خم «ملوانة». 4 — في الأصل «المحاسن» الصواب من جـ و خم.
5 — في الأصل «الرياضيات» الصواب من بقية النسخ.

---

(74) أسفر الصبح وسَفِر أضاء وأشرق. اسفرار

(75) أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي (... 513هـ) من قلعة بني حماد وأصله من توزر. من أهل العلم يميل إلى النظر والإجتهاد. ولما أفتى فقهاء أهل المغرب بإحراق كتب الغزالي وأمر السلطان بإحراقها انتصر لأبي حامد وكتب للسلطان في ذلك. أنظر أخباره في كتاب «التشوف إلى رجال التصوف» من ص 72—78 وفي نيل الابهاج ص 383

(76) ملوانة: قبيلة من صهاجة أنظر كتاب التشوف ص 76.

(77) حكاية أبي الفضل مع ابن بسام منقولة حرفياً من كتاب «التشوف إلى رجال التصوف» لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات ص 75 والقصة أيضا حكاها صاحب نيل الإبتهاج في ترجمة أبي الفضل النحوي ص 384

ص 11 سائر الأيّام/وفي الخبر «لن يَهْلَكَ العلمُ حتى يكون سِرّاً» (78). ثم جاء المولى رشيد بن الشريف، فأعلى مناره وأوضح نهاره، وأكرم العلماء إكراماً لم يُعْهَد، وأعطاهم ما لاَ يُعَدُّ، ولا سيما بمدينة فاس. فَضَحَ مَنْ قبله، وأتْعَبَ مَنْ بعدهُ. لو طالت مدتُه لجاءته علماء كُلِّ بلدة.

ثم قد انتهت النوبة اليومَ إلى سيدنا، ومصباح زماننا، وشمس غربنا. فأي شيء يمنعه وهمته (أعلى، وخزائنه أَمْلاَ، وقريحته أقوى، وبصيرته أضوى، من أن ينْهض)[1] إلى بناء هذه المكارم وتأسيس هذه الدعائم، وتجديد هذه المعالم، وإحياء هذه المراسم. فيملأ مساجد فاس ومكناسة وسلا وتطاوين، ومراكش وسجلماسة ودرعة بمجالس العلم، وفرسان البحث والفهم. وتلك الحَرْكَاتُ (79) والغيبات لا تمنع شيئا من هذا، فإن بيوت المال بالحواضر وافرةٌ، وأُمناءَهَا بأبوابها حاضرة، ولم يبق إلاَّ الأمر السلطاني بالإعطاء، فإذا الدنيا زاهرة وأهل العلم متظافرة وليس من دون أن تسقط الطير إلا نثر الحب :

تَسْقُطُ الطيرُ حيث يُلْتَقَطُ الحـ ـبُّ وَتُغْشَى منازلُ الكرماءِ(80)

ولعمري لو فعل ذلك بنية صالحة لكان المرجُو من الله تعالى ببركة العلم والدين، أن يَكْفِيَهُ جميعَ المُهمات، ويُغْنِيَهُ عن تلك الحركات، ويمهد له البلاد، ويجعل في يده زمام الأرض والعباد، فإنه المالك القادر سبحانه. وإن

---

1 — زيادة من ص و ج.

---

(78) جزء من كلام لعمر بن عبد العزيز أخرجه البخاري في كتاب العلم «باب كيف يقبض العلم» أنظر إرشاد الساري ج 195—196

(79) الحَرْكات مفرد حركة كلمة يطلقها المغاربة على الحملة التي يقوم بها الحاكم لقتال وتأديب الخارجين على طاعته والمعروف تاريخياً أن السلطان المولى إسماعيل قد صرف وقتا طويلا لإجبار قبائل المغرب كلها على الإذعان لسلطانه وتثبيت دعائم الأمن في البلاد

(80) البيت لبشار بن برد يمدح فيه عقبة بن سلم أنظر الديوان ج 1 ص 111 تحقيق ابن عاشور وذكره الجاحظ في كتاب الحيوان ج 5 ص 445 بهذه الرواية :

يسقط الطير حيث ينتثر الحـ ـب وتغشى منازل الكرماء

فات من ذلك شيءٌ لم يَهُل (81) أمرُه، فإن التطلعَ إلى المفقود يكدر المتعة بالموجود. وحينئذ يُلقي عَصَا ٱلتَّسْيَارِ. وتستقر به الدار، ويطمئن في مجلسه ومحل أنسه، وتحُفُّ به العلماء الأعلام، مقبلين من كل أفق بلا نداء ولا إعلام[1]
الجود يَهدِي المُعْتَفِينَ (82) وَبِشْرُه مِصْبَاحُهَا

أَلَا قُلْ لسَارِي اللَّيْلِ لاَ تَخْشَ ضِلَّةً[2]
سَعِيدُ بنُ سَلْمٍ[3] نُورُ[4] كل بلاد(83)
يقودُ إليه طاعةَ الناس فضلُه
وإن لم يقدها نايل[5] وعِقَابُ(84)

وإنه لو كان ذلك، لظهرت العلومُ في كل بلد من البلاد المغربية (فإنَّ)[6] في كلِّ موضع بحمد الله (مَنْ يكفيه)[7] مِنْ طلبة العلم، وإنَّمَا خَمَدُوا بعدم المحرك. وما مثالُ العلم في صدور الرجال إلا مِثْلُ الجمر يغطى عليه الرماد، فَأَدْنى نفخ يؤججها، أو ٱلنَّارِ في الحَجَر، فأدنى اقتداح يُخْرجها. وليس يُزِيلُ اِسمِ العلم عن العالم تقصيره في الجواب عن مسألة يسئل عنها/أو أكثر، بل ولا جهله بذلك رأساً. فما مثال العالم إلا كالتاجر في البَزِّ (85) أو العبيد أو الخيل أو نحو ذلك، فلا محالة قد تَطْلُب عنده حاجة موصوفة أو أكثر فلا تُوجَدُ عنده، ولا يخرجه ذلك عن سِماط(86) التجار. ص 12

---

1 — في الأصل «بالإنداء والاعلام» صوابه من جـ و ص. 2 — في الأصل وفي النسخ الأخرى «ظلمة» التصحيح من الكامل ج 7/3 وعيون الأخبار ج 32/2 والعقد ج 284/1. 3 — في الأصل «مسلم» صححت من النسخ الأخرى. 4 — في الأصل «لوز» التصحيح من جـ و ص. 5 — جـ «بابل» 6 — زيادة من جـ 7 — زيادة من جـ و ص.

---

(81) هال يهول الأمر فلانا افزعه وعظم عليه.
(82) المُعْتَفِي: كل طالب فضل أو معروف أو رزق
(83) ورد هذا البيت في العقد الفريد ج 284/1. «قال سعيدُ بن سَلْم مدحني أعرابي فأبلغ فقال
ألا قل لساري الليل لا تخش ضِلَّةً سعيدُ بن سلْم نور كل بلاد
لنا سيد أربى على كل سيد جوادٌ حثا في وجه كل جواد
(84) أظن أن هذا البيت لا علاقة له بالسابق. النائل ما ينال يقال أصبت نائلا أي معروفا ويمكن أن يكون شطر البيت الثاني كالتالي: وإن لم يقدها نائل بعقاد. والعقاد ج عقدة ما يستوثق به الرجل لنفسه.
(85) البز ج بزوز السلاح. الثياب من الكتان أو القطن.
(86) سماط القوم صفهم وهنا سماط التجار صنفهم.

وكان عبد الله بن عمر (87) يقول إذا سأله أهل العراق، وكانوا سَئالين : ياأهل العراق إنَّا لا نعرفُ ما تسألون عنه، ولأَنْ يعيشَ الرجلُ جاهلا، خيرٌ من أن يقول في هذا الأمر بغير علم. وسئل إمام الأئمة مالك (88) رضي الله عنه عن أربعينِ مسألة فأجاب عن أربعة منها. وقال في الباقي لا أدري. ولم يَصِحْ أهلُ زمانه أن العلم قد اندثر.

وجاءه رجل مرة من بعض الآفاق سائلا عن شيْء. فقال له لا أدري. فقال الرجل : إني أتيت من بلد بعيد فبأيٍّ شيْءٍ أرجع إلى أهلي ؟ فقال له إذا رجعت إليهم فقل لهم : إن مالكاً لم يعرفها، وقال ذلك مرة أخرى فقام إليه ابنه. وكان قد صنَّفَ شَيْئاً من العلم كيف تقول لا أدري ؟ كأنه يستحيي من قولها. فأقام حينئذ رضي الله عنه مُنادِياً يُعلم الناس أن لا يُتَّبَعَ اِبْنُهُ ولا يُعْمَل بكتبه. وكان رضي الله عنه يقول هو وغيره من العلماء جُنة (89) العالم لا أدرى، فمتى أخطأها أُصيبَتْ مَقَاتِلُه ونظم ذلك الشاعر فقال :

ومن كان[1] يَهْوَى أَنْ يُرَى مُتَصَدِّراً
وَيَكْرَهُ لاَ أَدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ[2] (90)

فإحاطة العلم بكل معلوم إنما هي لله وحده لا شريك له، والعباد يَغْتَرِفُونَ كُلٌّ بحسب ما قسم له، وقد قال الخَضِرُ لموسى عليه الصلاة والسلام «وما علمي وعلمك في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من البحر» (91).

---

1 — في الأصل « يكن » صوابه من خم جـ و ص. 2 — في الأصل « مقالته » الصواب من بقية النسخ.

---

(87) عبد الله بن عمر (10 ق هـ — 73 هـ) ابن الخطاب نشأ في الإسلام جريئاً جهيراً شارك في الغزوات له أحاديث كثيرة أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 246/4

(88) مالك بن أنس (93 هـ — 179 هـ) إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. إليه تنسب المالكية. له تصانيف كثيرة منها «الموطأ» أنظر ترجمته في الاعلام ج 128/6.

(89) الجُنَّة كل ما يُتستَّر ويُتَّقى به

(90) المَقْتَل ج مقاتل : العضو الذي إذا أصيب لا يكاد صاحبه يسلم. ومعنى البيت مأخوذ من المثل السائر : من ترك قول لا أدرى أصيبت مقاتله. أنظر الميداني ج 285/2.

(91) حديث طويل عن أبي بن كعب «قال رسول الله ﷺ قام موسى خطيباً في بني اسرائيل فسئل أي الناس أعلم إلى أن قال : «فجاء عصفور فوقع على طرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر فقال الخضر ياموسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في هذا البحر». أنظر الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ج 93/1 قال رواه البخاري وغيره.

وما ذكرنا من العطاء حق على كل إمام من بيت المال، وقد نص علماؤنا على أنه إن لم يكن بيتُ مال، يكن على جماعة المسلمين أن يجمعوا ما يُرَتِّبون به الجند للجهاد وحملةَ العلم. وقد أجاز هارون الرشيد الإمام مالك بثلاثة آلاف فقال له قائل : يا (أبا)[1] عبد الله ثلاثة آلاف ! كأنه يستكثرها. فقال : إذا كان مقدار ما لو كان إمامٌ عدلٌ. فأنصفُ أهل المرؤة أصابه شَبيهٌ لذلك، لم أر به بأساً(92) وأجاز زيادة[2] الله — عامل (93) من افريقية — الفقهاء فمنهم من قبل الجائزة ومنهم من ردّ. فاستنقص العامل كلَّ من قبلَ. فقيل ذلك لأَسَدٍ بْنِ الفرات (94) وكان مِمَّن قَبِلَ فقال : لا عليه. إنما أوصلَنا إلى بعض حقنا والله حسيبُه فيما هو يمسكُه (عَنَّا)[3]

ووفدت أعيان العرب ذات مرة على هشام بن عبد الملك، وكانوا قد أَسْنَتُوا[4] (95) فجلس لهم وفيهم صبي يقال له دِرْوَاسْ بن حبيب. في رأسه دؤابة وعليه بردة يمانية، فأنكر هشام حضوره وقال للحاجب : ما يشاء أحدٌ أن يدخل علينا إلاّ دخل حتى الصبيان. فقال الصبي : يا أمير المؤمنين إن دخولي لم يُنْقِصْكَ ولكن شرفني. وإن هؤلاء قدِمُوا لأمر فهابُوك دُونه، وإنَّ الكلام نَشْرٌ. والسكوت طَيٌّ لا يعرف إلاّ بنشره. فأعجَب هشاماً كلامُه وقال له : أنْشُرْ لا أُمَّ لَكَ ! فقال يا أمير المؤمنين أصابتنا سنُون ثلاث. فسنةٌ أَذهبت الشحم، وسنَةَ أكلتِ اللحْمَ وسنة أَنْقَتِ[5] (96) العظْمَ، وفي أيديكم فُضُول أَموال، فإن كانت لله فَفَرِّقوها على عباده، وإن كانت لهم فعلامَ تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت

---

1 — زيادة من جـ. 2 — «زيادة الله عادل». 3 — محو في الأصل أثبت ما في بقية النسخ
4 — ص. خم : استسَنُّوا. 5 — في الأصل «ألقت» التصحيح من بقية النسخ

---

(92) جملة لا تخلو من بعض الإبهام فيما يبدو لي.

(93) زيادة الله بن أبي العباس التميمي عامل افريقية ؟ آخر أمراء الدولة الاغلبية بتونس أنظر ترجمته في الأعلام ج 94/3

(94) أسد بن الفرات (142 هـ 9 213هـ) مولى بني سليم قاضي القيروان وأحد القادة الفاتحين أصله من خرسان نشأ بالقيروان ثم بتونس ورحل إلى المشرق وهو أول من فتح صقيلية توفي من جراحات أصابته في حصار سرقوسة وهو مصنف «الأسدية» في فقه المالكية. أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 1 291

(95) أَسْنَتَ القَوْمُ : أَصابهم الجدْبُ وَالْقَحْطُ

(96) نقى يَنْقِي نَقْياً العظْم استخرج نِقْيَهُ. النَّقْيُ ج أَنْقَاء مخ العظم

لكم فتصدَّقوا بها عليهم، فإن الله يُجزِي المُتصدقين. ولا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنين. فقال هشام: ما ترك لنا / الغلام في واحدة من الثلاث عُذْراً. وأمر بمائة ألف تُفرق في البادية، وأمر للغلام وحده بمائة ألف. فقال الغلام أرْدُدْها في جائزة العرب فمالي بها حاجةٌ في خاصَّة نفسي، دون عامَّة المسلمين. فكان في هذا أَبْلَغَ.

ص 13

وعندما يُوَفَّقُ سيدُنا لهذا الأمر فيفعله، لم يبق له حُزْن على العلم ولا أسف. بل تمتلئ مسامعه بطيبات الشكر والحمد وتخلد مآثره في ديوان المجد. وَوَالله إني لو لم أُرِدْ الخير له ولعقبه لم أَفُهْ بهذا الكلام، ولا نَبَّهْتُ على هذا المرام. فإن هذه والله هي مفاتح الفلاح والنجاح، وبها يُرجى بقاء العز والملك في الأعقاب، كابراً[1] عن كابر لا بمجرد دعواتٍ مُلفَّقةٍ تَجْري بها الأَلْسُنُ على أَعْوَادِ المنابر، والله الموفق.

وأما قول الكتاب ومن قديم الزمان لا تُعْرَفُ العلماءُ إلا مع الملوك الخ...

فأقول: لا شك أنه لم تخل مملكة بحمد الله من علماء ينفع الله بهم من هداه لطاعته، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ حيث قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم» (97) قال الأئمة وهم أهل العلم، لأن أول الحديث وهو قوله ﷺ «من يُرِدِ اللهُ به خَيْراً يُفقهه في الدين» (97) دال على ذلك.

---

1 — في الأصل «كابر» صححت من بقية النسخ.

---

(97) يشير إلى الحديث الذي رواه البخاري عن معاوية «من يرد الله به خيرا يفقه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي. ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله. لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» إرشاد الساري ج 170/1. ورواه مسلم أيضا عن معاوية بلفظ آخر: «من يرد الله به خيرا يفقه في الدين. ولا يزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة» شرح النووي بهامش الإرشاد ج 124/8. ولعل اليوسي يقصد رواية البخاري وهناك روايات كثيرة أخرى لنفس الحديث.

وقال ﷺ «يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عُدُولُه يَنْفُون[1] عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» (98). أما صحبة الملوك، وملازمة أبوابهم ومجالسهم، وطعامهم، فليس في العلماء على العموم ولا اللزوم، بل لم يزالوا تختلف أحوالهم في ذلك، فنهم من يسارع إلى أبواب الملوك وهم الأقل ومنهم من يتجافى عن ذلك وهم الأكثر. فأما المنقبض فقد يكون انقباضه لشغل له في حاله بينه وبين الله تعالى أو شغل آخر في معاش أو في علم، أو لكونه نفور الطبع عن تلك الأبواب، أو لكونه لا يصلح لها أو لكونه لم يجد إليها سبيلا أو نحو ذلك. وأما المصاحب فقد يكون لإِلْجَاء الوقت له،* أو لطلب التوسع في الدنيا، أو طلب الجاه، أو لمجرد التتع في الوقت، مأكلاً وملبساً ومنظراً أو حديثاً، أو يتمكن من الظفر بخصم[2] كأهل الأهواء الذين صاحبوا الملوك وداخلوهم ليتمكنوا من امتحان خصومهم أهل السنة. ولم تزل الملوك على هذا يَصْحَبُهُم هذا ويتخلف عنهم هذا من قديم الزمان، وفيما شاهده سيدنا كفاية. فقد كان أخوه مولانا محمد بن الشريف قد صاحبه مَنْ صَاحَبَه من الأشراف ومن أهل تجمعت (99) ومن أولاد القاضي (100) وقد تخلف عنه أكثر منهم وأفقه وأدين منهم الإمام العالم شيخ الجماعة ومجيزها الولي الصالح مولاي عبد الهادي بن علي بن عبد الله بن علي بن طاهر (101) وأخوه مولاي محمد بن علي[3] (102) وسيدي مبارك الغرفي (103) ومولاي عبد الرحمان بن يوسف

ص 14

1. — في الأصل محو التصحيح من النسخ الأخرى. 2 — في الأصل محو التصحيح من النسخ الأخرى. 3 — في الأصل «مولاي محمد ومولاي بن علي» صححت من ج و ص.

---

(98) حديث أخرجه البيهقي عن إبراهيم بن عبد الرحمان العذري أنظر مشكاة المصابيح ج 82/1

(99) «تجمعت» من مدن تافيلالت في جنوب المغرب.

(100) يفهم مما جاء في الاستقصا ج 26/6 أن أولاد القاضي هم أصحاب زاوية القاضي بسلجماسة وإليهم ينتمي أبو العباس أحمد بن عبد الله المعروف بأبي محلي

(101) أبو محمد عبد الهادي بن الامام مولانا عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي كان من أهل العلم والدين أخذ عن أبيه وعن سيدي العربي الفاسي وهو مؤلف «فلك السعادة في فضل الجهاد والشهادة» توفي بالحرم الشريف عام 1056هـ أنظر الصفوة ص 152 — 153 م خ ع بالرباط رقم د 54. وأرجح أنه هو المعني في كلام اليوسي رغم اختلاف اسم الأب. لأنه هو الذي عاصر محمد الشريف.

(102) مولاي محمد المدعو بن علي بن مولاي عبد الله بن علي بن طاهر السجلماسي الحسني كان محدثا مشاركا في عدة فنون أخذ عن عبد القادر الفاسي توفي بالطاعون سنة 1089 هـ أنظر نشر المثاني ج 2 ورقة 15 ظ الصفوة ص 231

(103) يظهر أنه عالم فقيه معاصر لاشياخ اليوسي لم أعثر له على ترجمة.

(104) وسيدي محمد بن أحمد السوسي (105) وسيدي أحمد الدراوي (106) وسيدي القاسم بن المسكاني (107) وسيدي أبو القاسم الرجاني (108) وغيرهم ممن يكثر عده، وجلهم أشياخنا رحمة الله عليهم، فمن هؤلاء من يزوره في الأعياد. ومنهم من (لا) [1]يبرح مكانه.

وكذا مولانا الرشيد قد جمع العلماء. وأتوه من الآفاق بلا جمع، وقد تخلف غيرهم من أهل مملكته في كل مدينة وكل قبيلة، وهذا كله أمر واضح.

والذي يجب إعلام السلطان به نُصحاً لينصح به نفسه وغيره من المومنين. أن أكثر انتفاع الطلبة وأهل المسائل من العامة والخاصة إنما هو من المنقبض الجالس في داره أو في بيت من بيوت الله. فحيث ما جاء متعلمٌ أو سائلٌ وجده، ويصل إليه المسكين والعجوز ويباحث الطلبة حتى يقف على التحقيق، ولا يرهبونه/ولا يستنكرونه[2]ولا يتهمونه، والمخالط بخلاف هذا كله. فإن أكثر أوقاته تذهب في الطلوع والهبوط، ثم إذا خرج في أبهته (وزيّه)[3]لم يقدر المسكين أن يصل إليه، ويستنكره[4]الطالب فيقول هذا طالب دنيا لا ينفعني الله بعلمه، فيطلب غيره إلى غير ذلك. وإن الدين والأمانة غالبا في المنقبض دون المخالط، فإنه غالبا غير مأمون. ولا شك أنه يجوز أن يَكُونَ في صحبة الملوك من هو صحيحُ الدين، قائلٌ بالحق، وَاقِفٌ عنده ينفع الله به وبتنبيهه، ولكنه أعزُّ من الكبريت الأحمر[5](109) والغالب عليهم رقة الديانة وطلب المرضاة[6]

ص 15

1 — زيادة من خم. جـ. ص 2 — في الأصل محو صححت من بقية النسخ. 3 — في الأصل محو صححت من بقية النسخ. 4 — في الأصل محو صححت من بقية النسخ. 5 — محو في بعض الحروف التصحيح من بقية النسخ. 6 — في الأصل «المراضاة» صوابه من بقية النسخ.

(104) يظهر أنه عالم فقيه معاصر لاشياخ اليوسي لم أعثر له على ترجمة

(105) ذكره اليوسي في «فهرسته» ص 141 ممن اخذ عنهم علوم القرآن.

(106) ذكره اليوسي في «فهرسته» ص 133 قال الاستاذ الصالح أبو العباس أحمد الدراوي قرأت عليه ختمة من القرآن وكان إمام الفريضة في جامع القصبة السجلماسة. م خ ع بالرباط ك 1239

(107) عالم معاصر لأشياخ اليوسي لم أعثر له على ترجمة

(108) عالم معاصر لاشياخ اليوسي لم أعثر له على ترجمة.

(109) أعز من الكبريت الأحمر مثل يطلق على الشئ النادر ويقال : هو الذهب الأحمر. ويقال : بل هو لا يوجد إلا أن يذكر. الميداني ج 505/1

في كل شيء. ومنهم[1] من يسكت كما وقع للأحنف بن قيس (110) مع معاوية رضي الله عنهما. فإن معاوية لما عهد إلى ابنه يزيد. دخلت العرب فشقَّقوا الكلام (111) وجعلوا يُثْنونَ على يزيد، وعلى نظر أبيه فيه. ويُطْرُونَ. والأحنف ساكت لا يتكلم. فقال له معاوية مالك لا تتكلم يا أبا بحر؟ فقال الأحنف: أخاف اللهَ إن كَذبْتُ. وأخافُكم إن صدقْتُ. فقال له معاوية جزاك الله عن الطاعة خيراً يا أبا بحر وأمر له بألوف. فمثل هذا سالم. ولكنه غيرُ نافع. بل ربما ضَرَّ. وهو أن يوهم السلطان أو غيْرَه أنه ما سكت إلا لكون الأمر الواقع حقاً. وأما كل من يتحبب. ويتقرب ويساعد ويساعف. في كل قول وفعل. فلا يومن (عليه)[2] فإنما الغالب عليه الحرصُ على الدنيا. واسترضاء القلوب لأجلها. لا يُومنُ عليه أن يُحَسِّنَ القبيح. ويقبح الحسن لأجل المرضاة[3] وربما أفتى بقول شاذّ لا يجوز العمل به طلباً لذلك. وكل ذلك فساد ومضرة على السلطان وغيره.

ولم يزل أهل العقول من الملوك يعرفون ذلك. فيتَحَرَّزُون (112) منه إذ العاقل لا يُخادِعُ نفسه ولا يخدَعُ. وكان يقال في عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أعقل من أن يُخْدَع (وأتقى من أن يَخْدعَ)[4] وكذلك كلُّ إمام ينبغي أن يكون كذلك فلا يرضى على من يخدعه. ويسخطُ على من ينصحه. وقد تقدم رجل لمعاوية في المجلس المذكور آنفا فقال له اعلم ياأمير المؤمنين أنك لو لم تُقدِّم هذا — يعني يزيد — على المسلمين. لكنت قد ضيعت حقوقهم. فلما خرج الأحنف لقيه الرجل فقال: يا أبا بحر إنَّ أبغض الخلق إلينا هذا — يعني معاوية — . وابنه — يعني يزيد —. ولكنهم استوثقوا من هذه الأموال. فلا نستنزلها/إلا بما ترى فقال الأحنف: اسكت أيها الرجل «فإن ذا الوجهين لا ص 16

---

1 — في الأصل «وأمثالهم» صححت من جـ. 2 — زيادة من جـ و ص. 3 — في الأصل «المرادات». 4 — جـ زيادة «وأتقى» الزيادة كلها من ص.

---

(110) الأحنف بن قيس (3هـ — 72هـ) التَّميمي أبو بحر أحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين. خطبه وكلماته متفرقة في كتب التاريخ والأدب والبلدان أنظر الاعلام ج 262/1

(111) شقَّق الكلام أخرجه أحسن مخرج

(112) تحرَّز واحترز منه توقاه

يكُون عند الله وجيها» (113) فهذا الصنفُ يَسْخَرُون من الملك وهو يرضى عنهم ويُرضيهم. وقد شهد النبي ﷺ على هؤلاء بما قلنا. وحذّر منهم. وليس بعد شهادة رسول الله ﷺ شهادة. ولا بعد قوله قول. في الحديث : «العلماء أمناءُ الرسول مَا لَمْ يُخَالِطُوا الملوك. فإذا خالطوهم فاتّهموهم على دينكم» (114) أو كما قال ﷺ. ويقال : خير الملوك الزوارون للعلماء. وشر العلماء الزوارون للملوك. وليس في شيْ من هذا منقصة للملوك بل لهؤلاء المتطورين[1] (115) وذلك أنَّ الملوك اقتحموا لجَوْر الدنيا وتحملوا سياسة الناس واسْتِصْلاَحَهُم. وبصلاحهم يصلح دينهم. وَقَوّاهم الله تعالى على ذلك. فأعطاهم بَيَاناً وعقولا في ذلك. ولذلك يقال : عقول الملوك ملوك العقول. فلهم بذلك الخصلة الجسيمة. والمَأْثُرَةُ الكريمة. وإن أقاموا ميزان العدل[2] في ذلك فمنزلتهم عند الله عظيمة.

وأما العالم فماله ولهذه المداخل، والتّرقي إلى هذه المنازل : ليس بعُشك فادْرُجِي (116)

وإنما شأنه أن يقعد في بيته، ويُدَوِّرَ عليه كُتُبَ العلم فينظر في هذا وفي هذا،

---

1 — جـ «المتصورين» د «المنظورين». 2 — د «العقل»

---

(113) هذا حديث متداول وقد أورده أبو طالب المكي في قوت القلوب ج 278/2 بهذا اللفظ ولكني لم أقف له على تخريج. والحديث الصحيح في هذا المعنى هو عن أبي هريرة : «قال النبي ﷺ تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين. الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» والحديث أخرجه البخاري. أنظر إرشاد الساري ج 44/9 وأخرجه مسلم . شرح النووي على حاشية إرشاد الساري ج 10 ص 35 .

(114) الحديث «العلماء أمناء الرسول على عباد الله تعالى. ما لم يخالطوا السلاطين فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسول فاحذروهم واعتزلوهم» حديث أنس أخرجه العقيلي في الضعفاء وذكره ابن الجوزي في الموضوعات. أنظر المغني بذيل الاحياء ج 68/1

(115) كذا في الأصل

(116) من الأمثال السائرة يضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره ويتدخل في الأمر الذي لا حق له فيه. أنظر الميداني ج 130/2

وله في ذلك أنس ومشرب لا يعرفه غيره. وهي الجلساء المشار إليها بقول بعضهم : (117)

لَنَا جُلَسَاءُ لاَ يُمَلُّ حَدِيثُهم أَلِبَّاءُ مَأمونون غَيْباً وَشُهَّدَا
يُفِيدُونَنَا مِنْ علمهم علمَ مَنْ مَضَى وعقلاً وتأْديباً ورأياً مُسَدَّدَا
فَلاَ فتنةٌ تُخْشَى وَلاَ سُوءُ عِشْرَةٍ ولاَ تَتَّقِي منهم لساناً ولا يداً
فإن قلت أحياءٌ. فَلَسْتَ بكاذب وإن قلت أمواتٌ فَلَسْتَ مُفَنَّدَا

حتى يجمع منها ما يحتاج إليه المسلمون فيُفيدهم. ولو احتاج السلطان إلى ما عنده وجده صحيحاً. فإذا خرج العالم عن حاله. ودخل مداخل السلطان فهو مَليمٌ (118) إلا أن يكون له عذر. فللنَّاس أعذار. فإذا علم السلطان هذا كله فلا ينبغي له أن يُلزم العلماء كلَّهم ملازمة مجلسه دائماً. فإنه يتعطل بذلك غالباً النفع العام للمسلمين. وإحياء رسوم العلم الذي هو بصدده. ولكن يتركهم على سجاياهم فمن جلس منهم لِنفع العباد لاَ غَيْرُ. فَلْيَحْمَدِ السلطانُ اللهَ على تأييده[1] ويَعْلَمَ أنه هو رِدْءُ (119)/الإسلام ويستوهب منه الدعاء. فإن درجته عند الله عاليةٌ. وفي الخبر[2] «إن معلم الخير يستغفر له كلُّ شيءٍ حتى الحيتان في البحر» (120) ومن جاء إلى السلطان منهم فَلْيُحْسن عِشْرَتَهُ ولا سيما إن كان سالمَ الناحية. والحقّ يظهر من مَعنىً ومنْ كَلِمٍ.

17 ب

1 — في الأصل «عليه» صححت من ج. 2 — في الأصل محو في بعض الحروف التصحيح من بقية النسخ

(117) تنسب هذه الأبيات لأبي الحسن اللخمي الفقيه المالكي المعروف (...478هـ) قيرواني الأصل نزل صفاقس وتوفي بها. له تصانيف كثيرة وقد وقفت على هذه الأبيات منسوبة في مخطوطة ق 950 في معرض شرح الخزرجية ص 106

(118) من لام يلوم لَوْماً كدّره بالكلام لإتيانه ما ليس جائزاً فهو لائم وذاك مَليمٌ وَمَلُومٌ

(119) الرِّدْءُ الناصر والعون

(120) هو حديث طويل رواه الامام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي الدّرداء : «من سلك طريقا يطلب فيه علما. سلك الله به طريقا إلى الجنة. وإن الملائكة لتضع أجنحتها رِضىً لطالب العلم. وإنه يستغفر للعالم من في السماوات وفي الأرض حتى الحِيتَانُ في الماء. وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء هم ورثة الأنبياء لم يرثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» مسند ابن حنبل ج 320/4 وأخرجه أبو داود في كتاب العلم والترمذي في كتاب العلم أيضا ورواه البزار من حديث عائشة مختصرا : معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر. وهذا اللفظ هو الذي استعمله اليوسي. أنظر الترغيب والترهيب ج 65/1

وللعِلْمِ حَقٌّ يُؤَدَّى. وقد ركب زيد بن ثابت (121). فأخذ ابن عباس بركابه فقال له: خَلِّ عنك يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس: هكذا أُمِرْنَا[1] أن نفعلَ بعلمائنا. فَقَبَّلَ زيدٌ رأسهُ وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيِّنا. ثم لا ينبغي للسلطان أن يصحب كُلَّ واحد وهذه نصيحة أخرى لسلطاننا لا نبخل عليه بها. والحديثُ شُجُونٌ (122). بل من يَصْلُح[2] للصحبة وهم أهل الأدب والفهم والظرف الفصاح الأَلْسُن. الصِّبَاح الوجوه. فيكون للسلطان[3] بذلك متعة شاملة[4] لقلبه بالعِبَر. ولأُذنه بالخبر. ولعَيْنِه بالنَّظَر. ولا ينبغي أن يُهْمَل حُسْنُ الخِلْقَةِ. وحسن الاسم. فإنه[5] معتبر شرعاً وطبعاً. وقد اتفق (123) الحكماء في الفِرَاسَةِ الحِكَمِيَّةِ على أن خلقة الإنسان تدل على الخُلُقِ المُودَعِ فيه من خير أَوْ شرّ وكان ﷺ، يقول لعماله «إذا أَبْرَدْتُمْ إِلَيَّ بَرِيداً[6] فابْرِدُوه حسن الوجه، حسن الإسم» (124) وبدّل ﷺ أسماء رجال وبقاع لذلك. وكان يتفاءل ﷺ بحسن الإسم فقال يوم الحدَيْبِيَّة حين قالوا هذا سهيل بن عمر: سَهُلَ عَليكم من أَمْرِكُمْ. وأراد عمر رضي الله عنه أن يستعمل رجلا فسأل عن إسمه فقيل له خبأة بْنُ كِنَازٍ[7] فقال هو

---

1 — خم «أمرت» د إسقاط «هكذا أمرنا — رأسه وقال». 2 — خم «يصحب». 3 — د أسقط «للسلطان» 4 — جـ «شافية». 5 — جـ زيادة «مهم». 6 — في الأصل «بريد أبردوه» والتصحيح من جـ. 7 — خم اسقاط «فقيل له خبأة بن كناز».

---

(121) زيد بن ثابت (11ق هـ — 45هـ) الأنصاري الخَزْرَجي صحابي من كتاب الوحي كان رأس أئمة المدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض. أحد اللذين جمعوا القرآن وهو الذي كتب المصحف لأبي بكر م لعثمان أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 95/3.

(122) الحديث شجون: أي ذو طرق الواحد شَجْنٌ يضرب هذا المثل في الحديث يَتذكَّر به غيْرُهُ. انظر الميداني ج 206/2

(123) تعرض اليوسي لنفس هذه الأفكار في موضوع العلاقة بين الخِلقة والخُلق بكيفية أكثر تفصيلا في كتابه «المحاضرات» ص 82 وما بعدها طبعة فاس الحجرية

(124) حديث أخرجه البزار في مسنده عن بريدة ابن الحصيب الأسلمي قال الهيثمي وطرق البزار كلها ضعيفة ورواه الطبراني عن أبي هريرة وفيه لفظ «إذا بعثتم» وضعفه الجمهور فيض القدير ج 237/1

يَخْبَأ وأبوه يَكْنِزُ لا حاجة لي به «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه» (125) وفي رواية : «إذا طلبتم الحاجةَ فاطلُبوها عند حسان الوجوه» وفي رواية «اطلب الخير إلى حسان الوجوه» قال رجل لابن[1] عائشة (126) يا أبا عبد الرحمان إنما يعني من الوجوه الحسنة التي تَحِلُّ فقال ابن عائشة : اسكت لا علم لك بكلام العرب ، هذا من الوجوه التي يدل عليها الخير ثم أنشد

ص 18

وَجْهُك الوَجْهُ لو يُسَالُ[2] به المُزْنُ
مِنَ الحُسْنِ وَٱلْجَمَالِ اسْتهَلاَ(127)/

وأنشد أيضا

(وُجُوهٌ لَوْ أَنَّ ٱلْمُدْلِجينَ اعْتَشَوْا بِهَا
صَدَعْنَ ٱلدُّجَا حَتَّى تَرَى اللّيْلَ يَنْجَلِي)[3](128)

وأنشد أيضا

---

1 — جـ اسقاط الجملة « يا أبا عبد الرحمان — ابن عائشة ». 2 — جـ ص « الذي لو يسأل » في الأصل « لو يسل » 3 — محو كثير في هذا البيت في الأصل. خم أسقط البيت أثبت ما في بقية النسخ.

---

(125) حديث رواه ابن حبان والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وله طرق كلها ضعيفة أنظر المغني بذيل الإحياء ج 105/4

(126) عبد الرحمان ابن عبد الله التيمي المعروف بابن عائشة (... — 227هـ) شاعر متأدب من أهل البصرة .قصد بغداد ومدح أمراءها أنظر الاعلام ج 88/4

(127) جاء هذا البيت في « المقاصد الحسنة » بهذه الرواية :

وجهك الوجه لو سألت به المز ن من الحسن والجمال اسهلا

ص81. اسهل المطر اشتد انصبابه مع صوت

(128) هذا البيت من قول مزاحم العقيلي

يـزين سـنا الماوي كـل عشـية على غـفلات الـزين والـتجـمـل
وجوه لو أنَّ المدلجين اعتشوا بها صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي

أنظر كتاب الحيوان للجاحظ ج 91/3 تحقيق عبد السلام هارون. المُدْلِجُونَ : السَّائِرُونَ بِاللَّيْلِ اعتشى النار رآها ليلا فقصدها. صدعه كفه وصرفه

دَل عَلى مـــعـــروفـــه وجـــهُـــه
بُورِكَ هَــذا هَـادِيـاً[1] مِنْ دَلِـيـلٍ(129)

وأخذه بعض الشعراء فقال :

يَــدُلُّ على مَــعْــروفِــهِ حُسْنُ وجــهــه
وَمَا زَالَ حُسْنُ الوَجْهِ أَهْدَى[2] الشَّوَاهِدِ(130)

وللإمام الشافعي(131) رضي الله عنه اعتناء عظيم بهذا الباب . ويقال إنه صنَّف فيه وكان يقول : ليس سُرورٌ يعدل صحبة الإخوان . ولا غمٌّ يعدل فراقهم . ويقول احْذَرُوا الأَعْوَرَ وَٱلأَحْوَلَ وَٱلأَعرج . والأجدبَ والأشقَر والكَوْسجَ(132) . وكلُّ من به عاهةٌ في بدنه فإن فيه التواءً[3] ومعاشرته عسيرة . وجرت له في ذلك قصتان :

إحداهما أنه بعث صاحباً له ليشتري[4] له من السوق نوعاً من العنب معرُوفاً عندهم ، فلما جاء به . وضعه بين يديه فقال له : عند من وجدته ؟ فقال له عند فلان ، وإذا (هو)[5] متصف بشيء من الصفات المكروهة . فقال له الإمام : رد عليه عنبه فقال له صاحبه : يا أبا عبد الله إن لم تأكل العنب يأكله الناس (فقال)[6] لا أريد أن يتمَّ التعامل بيني وبينه (133). فالإمام رضي الله عنه كره معاملته ولا يظن أن به شحّاً على الثمن . كيف وهو الذي أُعطى عشرة الآف دينار فطرحها . فكل من دخل عليه أعطاه . فما قام حتى فَنِيَتْ.

---

1 — في الأصل « حادثا » التصحيح من جـ و ص. 2 — جـ . د « إحدى ». 3 — في الأصل محو في بعض الحروف التصحيح من جـ. بياض مكان « التواء » في خم ود . 4 — في الأصل محو في حروف الكلمة التصحيح من بقية النسخ. 5 — زيادة من جـ. 6 — زيادة من « جـ » و « د ».

---

(129) أورده السخاوي في المقاصد الحسنة بهذه الرواية ولم ينسبه هو الآخر ص 81
(130) أورده السخاوي أيضا في المقاصد الحسنة ص 81 والشطر الثاني من البيت بهذه الرواية
وما زال حسن الوجه إحدى الشواهد
(131) محمد بن ادريس الشافعي (150هـ — 204هـ)أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ولد بغزة في فلسطين زار مكة وبغداد وقصد مصر سنة 199 فتوفي بها وقبره معروف له تصانيف كثيرة أنظر الاعلام ج 249/6
(132) الكَوسجُ : الذي لحيته على ذِقنه لا على العارضين. الناقص الأسنان
(133) روى اليوسي نفس القصة في كتاب المحاضرات اقرأ ص 82 وما بعدها الطبعة الحجرية.

ثانيتها[1] أنه جاء في سفر قر ببلد. فخرج إليه رجل موصوف بالصفة المكروهة فعرض عليه المبيتَ عِنْده فكرهَ ذلك. فألح عليه الرجل حتى أدخله داره[2]. فلم يترك من الإكرام شيئاً إلاَّ صنعه مع غاية التأدب[3] والاحتفاء. والطلاقة[4] فلما رأى الإمام ذلك ساءه وقال في نفسه : هذا رجل على هذه الصفة المكروهة[5] وهذا الخير يخرج منه ؟ كيف يكون هذا ؟ فهذا يَنقضُ علينا القاعدة المقررة وبات من ذلك في غم عظيم. فلما أصبح وتهيأ للرحيل. جلس الرجل بين يديه وأخرج بطاقة فيها مكتوب كل ما أكل وانتفع (به)[6] في ليلته. مقوَّماً بقيمة مُضعَّفة وقال له أَعْطِني مَالي. وإذا هو رجل مخادع يتَّجر/بالضيافة[7] فيُغَرِّمُ الناس أكثر مما أكلوا فعند ذلك (سُرِي)عن[8] الإمام. وعلمَ أَنَّ الضَّابطَ لم ينْخَرم (134) ووزن له ماله عن طيب نفس وارتحل. ص 19

أما قول الكتاب : أين تجد السبيل في التباعد والتجافي عن حواضر[9] المسلمين إلى قوله : وأي عذر لك في التباعد عن حاضرتنا. وقوله تسكن الزاوية (135) التي هي دار الفسق فأقول : أما الزاوية فإني لم أُردْ سُكناها. ولم يكن لي فيها وَلِيٌ ولاَ قَرِيبٌ ولا حميمٌ ولا قبيلة. ولا كان في عمارتها نفعٌ لي. ولا في خلائها مضرةٌ. ولا طلبتها من السلطان قطُّ. ولا تَشَوَّفْتُ إليها. ولا خَطَرَتْ لي ببال. بل السلطان أصلحه الله هو ذَكَرَهَا لي في تكموست (136) فذكرت له أن يكون فيها خديم وما ذاك إلاَّ لأخرج أنا عن ذلك. ثم كتب لي إلى مراكش يأمرني أن أكتب إلى كل من يليق أن يسكن فيها ليجدها عامرةً. فأجبته بأنه لا مقالَ لِي ولاَ عَمَلَ لي في ذلك. بل عِمَارتُهَا بأمر السلطان على يد خديمه. وهو المُتَوَلِّي لإِدْخال الناس وإنزالهم والحكم فيهم. وأنا لا ناقة لي ولا جمل. وإنّما أنا واحد من السكان. وإن سكنت فإنما أسكن

---

1 — في الأصل « ثانيها » التصحيح من د. 2 — د « إلى داره ». 3 — خم « التأديب ». 4 — جـ « الطلق » د « اللطافة ». 5 — د « الكريهة ». 6 — زيادة من د و خم. 7 — في الأصل محو التصحيح من سائر النسخ. 8 — في الأصل « سرى » لا تقرأ. الصواب من جـ./خم أسقطت الكلمة. 9 — د « حاضر ».

---

(134) خرمه ثلمه وثقبه خرماً

(135) يعني الزاوية البكرية الدلائية كما يظهر ذلك جليا في رد اليوسي

(136) هل يعني تاسماكت بالأطلس المتوسط قرب الزاوية الدلائية ؟ أنظر الاستقصا ج 8 ص 200

مساعفة للسلطان، وإلا فلا شهوة لي فيها ولا في غيرها من الأمصار. فأجابني السلطان أيده الله بقوله لي: ما قلت إلاَّ الحقَّ والتَّحقيقَ. ثم سكتت عن ذلك حتى رجع سيدُنا إلى دار مُلكه وَمَقَرِّ سَلْطَنَتِهِ فلم يُفَاجئني إلا كتابُه لي يأمرني بالرحيل إلى الزاوية عَزْماً عَزْماً ولا بُدَّ.

فلم يمكني إلا الرحيل، ولقد ارتحلت في ذِروة البرد، [1] ولم أقدر على التراخي ولا الأعْذار، لِئَلاَّ يُظَن بي التعاصي[2]. ثم جئت الزاوية ولم أجد فيها داراً ولا جِداراً، فكنت فيها بين الشِّيحِ [3] والرِّيحِ إلى الآن، حتى أنه لو تأملني من هو جاهل بحال السلطان، لظن أنه إنما كلفني بها امتحاناً لي وتعذيباً، وحاشاهُ أن يُريد امتحانَ طلبة العلم بعدما عُرِف منه من محبة العلم وأهله، والشفقة على المسلمين. فكيف يُنسبُ لي بعد هذا أني أريد الزاوية معاذ الله! نعم، إذا بدا للسُّلطان فَلْيقلْ لي كُنَّا أمرناك بِسُكْنَى الزاوية، وقد بدا لنا أنها لا تصلح، فارْحلْ عنها. وحينئذ أرحل من ليلتي وأنا على السمع والطاعة، ولا أسأله في ذلك إلاَّ الدَّواب لتي يعطيني في كل رحيل، فإني/[4] لا غِنىً لي عنها. ص 20

وأما سُكنى[5] الحاضرة فإني لم أذكر للسلطان أني استثقلته[6] ولا تَشَكَّيْتُ به عليه، ولا ذكرت ذلك لمن يذكره، بل أنا على السمع والطاعة في كل شيْ والله المستعان. نعم أنا أستثقل ذلك ولكن لا بُغْضاً للسلطان، ولا عدمَ اهتمام بالعلم وانتفاع المسلمين معاذ الله!، أما بغض السلطان فإنما هو عند الخوارج الذين يَمْرُقونَ من الدِّينِ مروق السهم من الرمية (137) نعوذ بالله منهم وَمِنْ مَذَاهِبِهِم وَمَذْهَبِ كل من يتشبه بهم. ولو قلت إنَّ عندي من محبة السلطان في قلبي أقوى

---

1 — في الأصل «برد البرد» صححت من جـ و خم. 2 — خم بياض مكان «التعاصي». 3 — في الأصل «الصبيح» صححت من ص. جـ «الثلج». 4 — في الأصل «فإنها» الصواب من بقية النسخ 5 — في الأصل محو في بعض الحروف صححت من بقية النسخ. 6 — في الأصل محو في بعض الحروف صححت من بقية النسخ.

---

(137) هذه إشارة إلى الحديث النبوي في شأن ذي الخويصرة التميمي عند توزيع غنائم حنين عندما قال للرسول ﷺ لم أرك عدلت. فرد عليه الرسول: ويحك! إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟ فقال عمر يا رسول الله ألاَّ أقتله؟ فقال: لا. دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية. ينظر في النصل فلا يوجد شيْ. ثم في القدح فلا يوجد شيْ. ثم في الفوق فلا يوجد شيْ. سبق الفرث والدم. سيرة ابن هشام ج 4 ص 144 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

مما يكون عند كثير ممن يتملقون بين يديه، ويدَّعون المحبة والحفاوة و «يقولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ» (138) لم أكذِب. وسأُبيِّن ذلك آخر الكلام إن شاء الله.

وأما عدم الاهتمام بالعلم ونفع المسلمين فصفة المنافقين نَعُوذ بالله منها. وفي الحديث الكريم : «من لم يهتم بالمسلمين فليس منهم.» (139).

وأما عذري في اسْتِثْقالِ الحاضرة فَوُجُوهٌ كثيرة أقتصر على بعضها :

منها الطبع[1] فإني لم أولد فيها. بل في الفجاج الواسعة بين الشيح والريح[2]، والجنوب والشمال. فَأَيُّ عَجَبٍ إِذَا حَنَنْتُ إِلَى مَسْقِطِ رأسي، ومحلِّ أبناء جنسي، وفي الحديث الكريم : «حب الوطن من الإيمان» (140). وقال الحكماء : الكريم يَحِنُّ إِلَى وَطنه كما يحن النَّجيب إلى عِطْنِهِ. وفي النقل أيضاً الكريم يحن إلى جنابه كما يحن الأَسَدُ إلى غابه، وفيه أيضا : مَيْلُك إلى مهدك من كَرَيمِ مَحْتِدِك. وقال أبو عمر بن عبد البر : قيل لبعض الحكماء بأي شيْ تعرفُ وَفَاءَ الرجل، وَذِمَامَ عهده دون تجربة واختبار، (قال)[3] : بحنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وتلَهُّفه على ما مضى من زمانه. وقال الأصمعى (141) إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل وذمام عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه. وقال الأعرابي (142)

---

1 — جـ اسقاط « منها الطبع ». 2 — في الأصل « الحرمل » صححت من جـ. 3 — زيادة من خم يتطلبها السياق. خم « قيل ».

---

(138) تضمين لجزء من الآية 11 سورة الفتح

(139) حديث أخرجه الحاكم من رواية حذيفة. والطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر. وكلاهما ضعيف أنظر المغني بذيل الإحياء ج 208/2.

(140) أورده السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص 183 وقال لم أقف عليه. ومعناه صحيح في «المجالسة» للينوري أحمد بن مروان من طريق الاصمعي

(141) الأصمعي عبد المالك بن قريب (122هـ — 216هـ) راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان مولده ووفاته بالبصرة تصانيفه كثيرة وهو صاحب كتاب «الأصمعيات» جمع فيه القصائد التي تَفَرَّدَ بروايتها. الأعلام ج 307/4

(142) وقفت على هذه الأبيات في شرح أحمد الشريشي لمقامات الحريري قال ص 196 ومِمَّا ينتظم بهذا الموضع من ذكر الأوطان والتشوق إليها قول رفاعة بن عاصم الفقعسي. وأنشدها البكري لامرأة من طيّ.

أَحَبُّ بلاد الله ما بين مَنْعِجٍ[1]
إِلَيَّ وَسَلْمَى[2]أنْ يَصُوبَ سحابُها(143)
بلادٌ بها عَـدَّ[3]الشبابُ تَمَائِمِي
وأَوَّلُ أرض مسَّ جِـلْدِي تُرابها

وقال آخر (144)

ص 21 ذكرت بلادي[4]فاستهلت مدامعي لشوقي إلى عهد الصبا المُتَقَادم/
(حَنَنْتُ إلى أرض بها اخْضَرَّ شاربي وقُطِّعَ عني فيه[5]عِقْدُ التَّمَائِم)[6]

وقال ابن مَيَّادة[7] (145)

ألا ليت شعري هل أَبِيتَنَّ ليلةً
بحِرَّةِ ليلي حيثُ رَبَّتَنِي[8](146)أَهْلِي
بلادٌ بها نيطت عليَّ تَمَائِمِي
وقُطِّعْنَ عنِّي حِينَ أَدْرَكَني عقلي

وقال أبو هلال العسكري : (147)

---

1 — د خم جـ «منجع». 2 — جـ «وسلمي». 3 — في الأصل «عن» الصواب من جـ. خم. 4 — د «أرضي». 5 — في الأصل «قبل» صححت من الأبيات عند الشريشي. 6 — في الأصل البيت فيه محو كثير أثبت ما في جـ و ص/د وخم أسقطت البيت. 7 — خم «ابن نباتة» جـ «ابن لباد». 8 — ص د «ربني» خم «ربنني» الأصل «ربني» التصحيح من طبقات الشعراء ص 106.

---

(143) مَنْعِجٌ بالعين المكسورة اسم موضع القاموس ج 210/1

(144) لم ينسب الشريشي في شرح مقامات الحريري هو الآخر هذه الأبيات واكتفى بقوله قال الأعرابي. ص 176

(145) هو الشاعر الرماح بن أبرد. وميادة أمه توفي سنة 149 هـ عاش في عصر بني أمية وأدرك بني العباس. شاعر مجيد. اقرأ أخباره في طبقات الشعراء لابن المعتز. ص 106 وقد أورد الأبيات المذكورة في النص

(146) رَبَّتَني الربيت الربية

(147) أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (.../395هـ) عالم بالأدب واللغة له شعر جيد. وله كتب كثيرة في اللغة من كتبه «كتاب الصناعتين» و «شرح الحماسة» الخ انظر الاعلام ج 211/2

إِذَا أَنَا لاَ أشتاقُ أَرْض عَشِيرَتِي فليس مكاني في النُّهَى بِمَكِينِ
من العقل أن أشتاق أوَّل منزل غُنِيتُ بِحِفْظٍ في ذُرَاهُ و[1]لِينِ
وَرَوْضٍ رَعَاهُ بِالْأَصَايِلِ ناظِرِي وغُصْنٍ ثَنَاهُ بِالْغَدَاةِ يَمِينِي
وإِنِّي لاَ أَنْسَى العهودَ التِي بها[2] إِذَا النَّوَى دُونَ الخَلِيطِ وَدُونِي[3]
إِذَا أَنَا لَمْ أَرْعَ العُهُودَ عَلَى النَّوَى فَلَسْتُ بِمَأْمُونٍ وَلاَ بِأَمِينِ

وسمع أبو دلف العجلي (148) قول القائل : (149)

لاَ يَمْنَعَنَّكَ[4] خَفْضَ العيش في دَعَةٍ نزوعُ نَفْسٍ إلى أهلٍ[5] وَأَوْطَان
تَلْقَى بكل بلاد إِنْ حَلَلْتَ بها أَهْلاً بأهل وجيرانا[6] بجيران

فقال : هذا الأَمُّ[7] بَيْتٍ قالته العرب. وإنما قال ذُلك لما فيه من قساوة القلب. وغِلَظِ الطبع. وقلة الوفاء وَرَعْيِ الذِّمَام والعهد. وقال ﷺ في امرأة دخلت عليه[8] فَهَش إليها[9] «(إِنَّها)[10] كانَتْ تَأْتِينَا أيام خديجة. وإنَّ حُسْنَ العهد من الإيمان» (150) وهذا أمر مجبول عليه طبع الآدمي فلا نقصان به على الإنسان وإن بلغ ما عسَى أن يبلغ من الكمال والصفاء. وقال[11] عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مدح السيد بلال : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني

---

1 — في الأصل «من لين» صححت من ص وخم. 2 — في الأصل «التي إذا» صححت من ص. 3 — في الأصل «وما دوني» صححت من ص. 4 — جـ خم د «يمنعك» 5 — في الأصل «نفسي إلى أهلي» التصحيح من شرح الشريشي للمقامات. 6 — في الأصل «جيران». 7 — في الأصل «الذم» التصحيح من ص و جـ 8 — في الأصل «إليه». 9 — خم. جـ. ص اسقاط «هش إليها» د بياض مكان الكلمة. 10 — زيادة من النسخ الأخرى. 11 — في الأصل «أسند» التصحيح من سائر النسخ.

---

(148) أبو دلف القاسم بن عيسى (.../226هـ) من بني عجل. أمير الكَرْخ. أخبار أدبه وشجاعته كثيرة كان من العمال والقواد في عهد الرشيد والمامون. وللشعراء فيه أماديح أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 13/6

(149) هو ابراهيم بن العباس الصولي كما ذكر شارح مقامات الحريري. وعنه صححت الشطر الثاني من البيت الأول. أنظر شرح مقامات الحريري ص 103.

(150) جزء من الحديث عن عائشة قالت «جاءت عجوز إلى النبي ﷺ فقال كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف أنتم بعدنا ؟ قالت بخير بأبي أنت وأمي يارسول الله. فلما خرجت قلت : يارسول الله تُقبل على هذه العجوز هذا الإقبال فقال : ياعائشة. إنها كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان» أخرجه الحاكم والبيهقي من حديث عائشة أنظر إرشاد الساري ج 21/9.

بلالا رضي الله عنهما. فناهيك بهذا الذي اعترف له بالسيادة. يَعْني في الإيمان والدين، عُمَرُ الذي هو محدث هذه الأمة، ونزل القرآن على وَفْقِ لسانه. وحين حُمَّ بلال رضي الله عنه. كان إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته وينشد : (151)

ص 22

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً
بِوَادٍ (152) وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ(153)
وَهَلْ أَرِدَنْ يوماً مِيَاهَ مِجَنَّةٍ[1](154)
وهل يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ[2]وَطَفِيلُ(155)

ثم يقول : لعن الله شيبة بن ربيعة (156). وعتبة بن ربيعة (156) وأبا جهل بن هشام (156) كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوَبْل والوَخَم (157). فهذا ذِكْرُ الوطن، وذكر مياه البادية البعيدة على الوخم، وفي رفع الصوت ما هو إلف للنفوس وتنجلى به الغُمة. وفي قوله ﷺ (لورقة «أوَ

1 — في الأصل محو في بعض حروف الكلمة التصحيح من جـ و د. خم «الجميل». 2 — في الأصل «نسامة» التصحيح من ص و جـ و «كتاب السيرة».

(151) وردت هذه الأبيات في سيرة ابن هشام في فصل ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة قالت عائشة : وكان بلال إذا تركته الحمى. اضطجع -بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال (الأبيات) سيرة ابن هشام ج 221/2 وأورد الأبيات أيضاً صاحب العقد الفريد ج 282/5 برواية عائشة أيضاً :

(152) في السيرة : بفخ. أو فج. بالخاء والجيم: موضع بمكة. وفي العقد بواد ج 282/5

(153) الإذْخِرُ نباتٌ يشبه الأَسَلَ وهو نبات دقيق الأغصان طويلها الواحدة أسَلَة. يُستعمل لصنع الحصر والسلال وغيرها والإذْخر طيب الرائحة. الجليل الثُّمَامُ. وَاحِدَتُه ثُمَامَةٌ نَبْتٌ ضعيفٌ لا يطول وأهل الحجاز يسمون الثمام : الجليل

(154) موضع على أميال من مكة وفي العقد : جبل لبني الدِّئل خاصة بتُهامة بجنب طُفَيلٍ

(155) شامة وطفيلٌ جبلان قرب مكة معجم البلدان

(156) من زعماء قريش وساداتها في الجاهلية الذين حاربوا دعوة الرسول ﷺ واضطروه للهجرة قتلوا جميعهم في وقعة بدر. السنة 2هـ.

(157) الوَبْل المطر الشديد. الوَخَمْ تعفن الهواء المُوَرِّثُ للأمراض الوبائية

مُخْرِجيهم» (158) إشارة إلى هذا المعنى. وقد دخل (159) رجل على النبي ﷺ[1] في المدينة ومعه بعض أهله فأخبر أنه جاء من مكة وقال «تركتها حين تَفَتَّحَ الجَلِيلُ[2] وكذا وكذا، يُعَدِّدُ أَعْشَابَهَا. فاغرورقت عيونهم بالبكاء. فقال ﷺ لاَ تُشَوِّقنا يا فلان» (159) وقال ﷺ «اللهم حبب إلينا المدينة، كحبنا مكة أو أشد» (160) ووقع في بعض الكتب أنه ﷺ ليلة الإسراء لمّا زُجَّ بِهِ فِي النُّور، وفارقه جبريل أسمعه الله حينئذ كلام أبي بكر لِيَأْنَسَ (بِهِ)[3] طَبْعُه إِذْ هو أَلِيفُه[4] فيتَقَوَّى على ما يلاقي من الأمور العظام.

ومنها فساد طبع العِيَالِ والأولاد والأصحاب، ونخشى ذلك نحن أيضا في أنفسنا من جهات **إحداها** تَعَلُّمُ الشهوات والاتساع فيها. وإِنْ كُنَّا بالبادية لا نعرفها. ووجدنا آباءنا يعيشون بما وجدوا قانعين[5] به، يَلْبَسُونَ الصوف الخشين، ويأكلون البُرَّ تَارة، والشَّعِير أخرى، والدُّخن (161) أخرى، والتَّمْرَ أخرى، والبلوط وحَبَّ العَرْعَار أخرى، حامدينَ شاكِرين. ما رأوا قَطُّ لُبَابَ البُرِّ. ولا

---

1 — زيادة من جـ و د و ص 2 — في الأصل «أجليل» صوابه من بقية النسخ 3 — زيادة من جـ و ص. 4 — في الأصل «أهله» التصحيح من جـ و ص. خم بياض مكان الكلمة 5 — د «وما يعيش به» بدل «قانعين به».

---

(158) جزء من حديث بدء الوحي أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها وهو حديث طويل. أخرجه البخاري في خطبة الكتاب والتفسير والإيمان والترمذي والنسائي في التفسير. أنظر إرشاد الساري ج 61/1 وما بعدها وبهامشه في ج 38/2 من شرح النووي على صحيح مسلم.

(159) في حاشية سيرة ابن هشام «قال السهيلي جاء في حديث أُصيل الغفار ويقال فيه البذلي أنه قدم من مكة فسألته عائشة كيف تركت مكة ياأصيل؟ الحديث. ويروى أنه ﷺ قال له «دَعِ القُلُوبَ تَقِرُّ» السيرة ج 222/2.

(160) الحديث أخرجه مسلم عن عائشة قالت «قدمنا المدينة وهي وَبِيئَة فاشتكى أبو بكر واشتكى بلال فلما رأى النبي شكوى أصحابه قال «اللهم ...» الحديث. وزاد «وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها وحول حماها إلى الجحفة. أنظر هامش إرشاد الساري ج 86/6. كما أخرجه البخاري في الحج عن عائشة أيضا ج 229/6 و ج 342/3.

(161) الدُّخْنُ الواحدة دُخْنَةٌ. نبات من فصيلة النَّجِيلِيَّات. حَبُّه صغير أملس. يقدم طعاماً للطيور والدجاج

إبزاراً ولا عطراً، ولا كَتَّاناً، ولاَ مَلْفاً (162). حتى درجوا سالمين غيرَ تابعين ولا متبوعين/وكنا نتمني أحوالهم لَوْلاَ مَا امْتَنَّ الله علينا به من حفظ كتابه، والتفقُّهِ في دينه، نسأل الله تعالى أَنْ يَزِيدَنَا بذلك إِقْبَالاً عَلَيْهِ. وَإِدْبَاراً عن زهرة الدنيا حتى نلقاه آمين. ص 23

فلما دخلنا الحاضرة ظهرت الشَّهوات، ونظر النساء إلى النساء، والصبيان إلى الصبيان، والرجال إلى الرجال، فطلبواْ الاتساع كما اتَّسَعُوا، وابْتُلِينَا كَمَا ابْتُلُوا. **ثانيها** الوقاحةُ في ذلك وقلةُ الحياء، فقد كُنّا في البادية تستحي المَرْأَةُ أَن تطلبُ اللحْمَ، فكيف بما وراءه، ولكن تَتَشَوَّفُ إِلَى المواسم، أو ضَيْفٍ نزل فيُذْبحُ له، أو يُشْتَرَى له، أو إنفاق يأتي به الله من غير استدعاء. فوجدنا المرأة في الحاضرة تُرَاعي الباب وتقول للرجل انْفق، وارجع للسوق. ولا تسمع إلاَّ سوق سوق اللحم، سوق الحوت، سوق الزعفران وهكذا. وإن لم يكن ذلك وقع التداعي وجاء رجل القاضي (163) وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كنا معشر قريش نغلب النساء، فأَتَيْنَا قَوْماً تَغلبهم نِسَاؤُهم، فأخذ نساؤنا يتعلمن[2] من نسائهم...(164) **ثالثها** أن يتعلم الصبيان اللُّؤْمَ والبخل وقلة السماحة، كما هو دأْبُ أهل الحاضرة. وما فسدت طبائع العرب إلاَّ في الحواضر. فأين كرماءُ غَطَفَانَ، وأين كرماء بني نبهان[3] الذين ينحرون الكَرَايِمَ غِبْطَةً، ولا يَقْرُونَ إلاَّ لَحْماً غَرِيضاً. ولقد حَدَّثَ[4] بَعضُ صعاليك العرب فقال نزلت على رجل من طَيٍّ، فنحَرَ لي، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا نَحَرَ أَيْضاً فقلتُ لَهُ : اللَّحْمُ عندَك كثيرٌ فقال لاَ أُحِبُّ أن يأكل ضَيفي إلاَّ لحماً غَرِيضاً أيْ طَرِيّاً، فلما أمسى نَحَرَ، وكذلك كل غداة وعَشِيٍّ.

---

1 — د «سق» بدون إشباع. 2 — في الأصل «يتعلمون» التصحيح من جـ وخم و ص.
3 — خم «نعمان» 4 — في الأصل «تحدثت» أثبت ما في جـ و ص لموافقته للسياق.

---

(162) المَلْفْ نسيج صوفي فاخر معروف في المغرب
(163) يعني أن النزاع يبلغ القاضي فيبعث عونه للبحث
(164) جزء من حديث طويل رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس في كتاب النكاح «باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها». أنظر إرشاد الساري ج 92/8 ولفظ البخاري في الجزء المذكور من الحديث في النص كالتالي «وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار اذا قوم تغلبهم نساؤهم. فطفق نساؤنا يأخذن عن أدب نساء الأنصار.»

فبعد أيام خرجتُ فتركت إبِلَهُ حَتى أَصْحَرَتْ[1] فَطَرَدْتُهَا (165) واستقبلت بها الفَجَّ. فبلغ الغَوْثُ إليه. فتَبِعَني فإذا هو قد أدركني فلما رآني قبض[2] قوسه وقال : انْجُ بنفسك لا أُمَّ لك ! فقلت أَرِني آيةً. قال انظُر إلى ذلك الوَزَغِ على الصخرة، أضعُها في ذَنَبِه، فرماه فما أخطأ ذنبه. وزاد أخرى، فلما رأيت ذلك استَأْسَرْتُ[3] (166) فساق الإبل وأنا معه، فسار ساعة، فالتفت إِلَيَّ فقال ما أرى بينَنَا وبينك عداوة، وما أَرَى حَمَلَكَ على ما فَعَلْتَ إلاَّ الحاجَةَ فقلت[4] هو ذاك. فقال اعْزِلْ منها خَمْسَمائة (فقلت)[5] إِذاً لاَ تَبْرحْ حتَّى تسمع ثنائي عليك. قال فأثنيت عليه بكلمات/فاستحيا وأعرض بوجهه وقال : سُقها كلَّها.

ص 24

فأين طبع هؤلاء في أعقابهم اليَوْمَ[6] وهم في حَلَب، وَأَنْطَاكِيَّة، ودمشق، والمدائن (167) ومصر، وغيرها وهم لا يبيضون (168) بقطرة[7] وذلك مما اكْتسبوه من البلد. وأيُّ ضَرُورَة أعظم من هذه الضرورة. وقد قال ﷺ : « أي داء أدوى من البُخل» (169).

ومنها مقاساة أهلها والتعرض لإذايتهم وفتنتهم، ولا سيما أبناء الجنس. ولقد طلبني السلطان مولاي الرشيد بالرحيل إلى فاس وقال تُصيبُ الظلَّ والماء البارد، وتأكلُ الخالص، وينتفع بك المسلمون. ولم أكن قط رأيت فاساً[8] قبلَ

---

1 — جـ « سرحت » بدل « أصحرت ». 2 — في الأصل « أقبض » الصواب من سائر النسخ.
3 — خم « استترت » د « استاتر ». 4 — في الأصل « فجلت » التصحيح من بقية النسخ.
5 — زيادة من جـ و ص. 6 — في الأصل محو في بعض الحروف التصحيح من سائر النسخ.
7 — في الأصل « ولا يبصرن بنظرة » أثبت ما في جـ لموافقته للسياق. د ولا تتصدى بفطرة. خم بياض مكان الكلمة ص « يبصون ». 8 — د اسقاط كلمة « فاساً ».

---

(165) أصحر خرج إلى الصحراء. طرد الإبل ضمها من نواحيها وساقها
(166) استأسر أسلم نفسه أسيراً
(167) المدائن مدينة كسرى قرب بغداد ولعله هنا يعني العراق
(168) باض السحاب قطر
(169) جزء من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد من حديث جابر بن عبد الله أنظر نفثات صدر المكمد وقرة عين المسعد لشرح ثلاثيات الإمام أحمد ج 228/1 وذكره شارح إرشاد الساري في أمثلة عن جوامع كلم للرسول ﷺ ج 300/10

ذلك، ولا كان لي علم بحالِهِ ولا حال أهله. فقلت هذا والله خير. وقبلت قول السلطان. وارتحلت بنية صالحة، على أنِّي أُعَلِّمُ من جاءني. وإن كان هناك من هو أَسَنُّ مني كسيدي عبد القادر (170) لَقِيتُه وتبركت به، فبتّ خارج فاس نحو ليلتين. والطلبة يترددون إِلَيَّ، فلم أدخل المدينة، حتى لم تبق لي نية من كثرة القيل والقال ثم بدأنا القراءة فاصطفقت[1] (171) علينا الطلبةُ أهلُ البلاد والغرباء وكان المجلس حافلا[2] وذلك في غيبة السلطان إلى السوس. فتحرك الحسد والوسواس، وكثُر القيل والقال وجعل كل من يُحِبُّني يحذرني من الناس. ومنْ أَكْلِ طعامهم فما يمكنني أن أشرب ماءً. ولا آكل طعاماً من يد أحد ولا أجلس على سليخة[3] (172) الكرسي حتى يقلبها أصحابي ولا تفريط. فصرنا في فتنة وبلاء، ثم لم ألبث قليلا حتى مَرِضْتُ، فبقيت حتي نقهت، واسترحت. فذهبت للقراءة، فلم يكن إلاَّ أن طلعت على الكرسي أصابني ذلك فنزلت. وجئت الدار فرقدت أيضا حتى تَعِبْت، فرجعت فكان الأمر كالأول[4] فعند ذلك قام إِلَيَّ أصحابي وقالوا هذا أمر واضح بيِّن، هذا عمل (173) (عُمل)[5] لك على مجلس القراءة لئلا تشتغل به، فإنك شتت[6] عن الناس تلاميذتهم، وأخليت مجالسهم (174) وجعلوا يكتبون لي معاذات لم تزل اليوم عليَّ. فمن ثم أمكنني باذن الله أن أحضر الميعاد. ثم لمَّا رجع السلطان من السوس، وخرجت العطايا (للفقهاء)[7] ولطلبة العلم، وكانت عطايا الطلبة

---

1 — د «فاطفقت» جـ خم «فاصفقت». 2 — خم «حاملا». 3 — د اسقاط «سليخة»
4 — خم اسقاط «كالأول». 5 — زيادة من سائر النسخ. 6 — جـ «ميلت» د «سلبت».
7 — زيادة من جـ و ص.

---

(170) يعني الشيخ عبد القادر بن علي الفاسي (1007هـ — 1091هـ) الفقيه الصوفي نشأ بالقصر الكبير رحل إلى فاس للقراءة بالمدرسة المصباحية ثم تصدر لبث العلم ونشره فشاع في المغرب خبره. ولأهل فاس فيه اعتقاد عظيم ومحبة صادقة. كان زاهداً في الدنيا لا يتقوت إلا من النساخة. أنظر ترجمته وأخباره في أزهار البستان ص 138 الصفوة 217 التقاط الدرر ص 52 نشر المثاني ج 1 ورقة 146 وجه

(171) اصفق القوم واصطفقوا اضطربوا لكثرة وفودهم وجماعاتهم

(172) سليخة الكرسي أظنه يعني ما يوضع على الكرسي من جلد منسلخ عن ضأن أو غيره في القاموس السَّلخ اسم ما سلخ عن الشاة.

(173) يعني به السحر أو نحو ذلك

(174) أنظر الإشارة لهذا الموضوع في المحاضرات ص 72 طبعة حجرية

تنفذ(175) إلى القضاة، يتولون قسمتها عليهم. فعند ذلك جعل الطلبة يتسللون من مجلسي ويذهبون إلى حيث كانت العطايا حتّى لم يبق في مجلسي بحمد الله إلاّ من همته العلم لا الدنيا. وأكثرهم/من الغرباء وقليل من أهل البلد. وأكثر أهل البلد إنما هِمَّتُهُم في جائزة يَقْتَنِصُونَهَا، أَوْ مِحْرَابٍ، أَوْ كُرْسِيٍّ أَوْ شَهَادَةٍ يَتَوَلَّوْنَهَا. 25

ثم لمَّا رآني الناس أَطْلُعُ إلى السلطان لبعض الأَحْيَانِ. جعلوا يَتَعَلَّقُونَ بي طلباً للشفاعة، ويُثْقِلُونَ عَلَيَّ، وأنا ما أُحِبُّ أن أفتح ذلك الباب على نفسي، لأنه يتركني بلا شُغْل ولأنّي لا أقدر على ذلك، ولا أصْلُح له، فإنه محتاج إلى مزيد حداقة وإبانة، وحسن تأن[1] وتدرب، وأنا بعيد عن هذا كله، إنما أنا رجل بَدَوِيٌّ. فصار هذا أيضا فتنة عليَّ وشغلا. ثم إنَّ تلك العطايا كانت تتأخر إلى الشهر والشهرين، وكثير من الأحيان[2] لا تصل إلينا العطية[3] حتى نكون. قد أخذنا من السوق أشياء بالدَّين، مع أني كنت من أكثرهم عطاء، ولكن لم يكن ذلك إلاَّ كماء فاس، يدخل ويخرج، حتى أنَّا خرجنا من فاس ولم يتبعنا درهم واحد من ذلك. ولما مات السلطان انقطع ذلك فصرنا في فتنة مع العيال. فقلت لأصحابنا إن هذه الحاضرة ليست لنا بدار مقام، فإنا لسنا من أهلها لا دار بحمص ولا مال[4] (176) وقد تعرضنا فيها لما رأيتم من البلاء والفتن من كل ناحية حتى لو حققنا النظر لم يجز لنا أن نبقى فيها مع هذا. قال تعالى: «وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» (177).

وإن أهل الحاضرة لم يشتغلوا بالعلم وإنما اشتغلواْ بالحظوظ الدنيوية[5] وهؤلاء الغرباء الطالبون للعلم، [6] البادية أرفق بهم، لأنهم يقرأون فيها بلا بضاعة[7] وينجون مع ذلك من الكُلْفة. ومن أن تسترق طباعُهم طباعَ هؤلاء

---

1 — في الأصل «تأت». صححت من جـ بما هو أنسب. 2 — د «العطايا» بدل «الأحيان». 3 — د اسقاط «العطية». 4 — د و جـ اسقاط الجملة «لا دار بحمص ولا مال». 5 — جـ اسقاط «الدنيوية». 6 — خم زيادة «أهل». 7 — خم «طاعة».

---

(175) **أنفذ** أرسل.

(176) ربما كان هذا من الأمثال. ولم أعثر عليه

(177) من الآية 195 سورة البقرة مدنية

المتلاعبين، فكان خروجنا إلى البادية راجحاً أو واجباً، والعلم صنعتنا، فنحن أعرف بما يصلحها[1] وأهل مكة أَعْرَفُ بشعابها. غير أنا عرض لنا قلب سيدنا، وخفْت أن أتحرك أو أطلب ذلك حين خروج آيت عياش (178) وأخونا سيدي عثمان (179) وبنو يزناسن، فيقول كنتم مع حبيبي [2](180) واليومَ تهربون كلكم عني، فصَبَرْتُ وَفَوَّضْتُ الأمر إلى الله تعالى، حتى جاء الله بالسبب وهو خلاف أهل فاس (181) فخرجت بإذن من سيدنا ونزلت بالشِّعْب الذي كنت فيه وبنيت دُويرات بغير مؤونة، واتَّسعت وجعلت لنفسي موضعاً وباباً لا أَرَى فيه قط امرأة من غير عيالي، وبنيت بيتاً ملتصقا بالمسجد/فإن رأيت خُلْطَةً لا **ص 26** تعجبني، نقرت لهم فأقاموا الصلاة، وصليت معهم، وأنا أسمع قراءة الإمام، وأبقى على ذلك إن شئت الشهر والشهرين لا أرى أحداً ولا يراني، أَنْظُر في كتبي

---

1 — جـ «يصلحنا» 2 — د «معي حسبي».

---

(178) من المعلوم أن إخلاء زاوية آيت عياش قد تم على يد الرشيد سنة 1082هـ. ونقلوا إلى فاس حيث اشتغلوا هم كذلك بالتدريس كعلماء زاوية الدلاء وتفاصيل ذلك مذكورة في كتاب «الإحياء والإنتعاش في تراجم سادات آيت عياش» تأليف أبي محمد عبد الله بن عمر العياشي. ويذكر المؤلف أن إسماعيل قد أمرهم بالرجوع إلى زاويتهم وذلك أواخر المحرم فاتح عام 1083هـ انظر مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم د 1433 ص 15 وأظن أن هذا هو ما يعنيه اليوسي بخروجهم من فاس وعودتهم إلى زاويتهم. والعلاقات الودية بين اليوسي وبين الزاوية العياشية معروفة خصوصا مع أبي سالم العياشي.

(179) أبو سعيد عثمان بن علي اليوسي (...1084هـ) من أكبر تلامذة الزاوية العياشية ابن عم الحسن بن مسعود اليوسي. حكي عنه في محاضراته أنه مدحه بأبيات يقول فيها:

نفسي عشيةَ قيل مَرَّ أبو علي مثل الرِّيَاحِ إذَا تَمُرُّ بِأَثْأَبِ

أخذ العلم عن أهل الزاوية العياشية. وهو تلميذ صاحب الرحلة عبد الله بن محمد أعياش له معه مراسلات تحدث عنها في الرحلة. أنظر أخباره في نشر المثاني ج 13/2 — 15 (المطبوع)

(180) أظن أن إسماعيل كان يسمي أخاه الرشيد بهذا الإسم

(181) يعني انتقاض أهل فاس بيعة إسماعيل ونصرتهم لابن أخيه أحمد بن محرز سنة 1083هـ وفي هذه الفتنة قتلوا قائد الجيش زيدان بن عبيد العمري. وقامت حرب أهلية هلك فيها خلق كثير انتهت بعد حصار إسماعيل لهم. وإذعانهم في رجب 1084هـ أنظر الاستقصا ج 47/7 وما بعدها.

حتى تُقام الصلاة ولا يضيع على شيء من أوقاتي. وساقيتان تجريان[1] في وسط الدار. والخُضْرَةُ في وسط الدار وعلى بابها. والحطَب في باب الدار. والمؤونات مكفية. وما لم يوجد يُستغنى عنه. إذ لاَ جارَ[2] يَفْتِنُ ولا سوق يقطعُ العُذْرَ. وجاءت طلبة فكنا ندرس العلم لله لا يتشوف منا أحد لمرتب[3] ولا يرائي أحدٌ أحداً. ولا نسمع قال فلان ولا قرأ فلان فاسترحنا وحمدنا الله تعالى ووجدنا صلاح ديننا وراحة قلوبنا وأبداننا

فهذا سبب استثقالنا للنزول إلى الحاضرة ومن جرب أو ذاق مرارتها ثم وجد الراحة منها. كيف يُحبُّ الرجوع إليها. هذا لا يفعله العاقل بنفسه[4] ولا يلومه إلاّ من لا يعرف حاله لعلَّ لنا عذراً وأنت تلوم (182).

هذا مع أن سيدنا أيده الله مطلع على أكثر أمور لم تخف عليه. وهذا كله إنما شرحناه جبراً لقلب السلطان نصره الله على الحق. فيعلم أنه إنما لم نُبادر لإصلاحِ قلبه ومرضاته[5] لتعذر الأمر علينا شرعاً وطبعاً. ولو أمكننا ذلك لبادرنا إليه. فإن تغيُّر قلبه أَمْرٌ عَظِيمٌ علينا. وإن كان يَحْلُم (183) وَيَصْبِر لكنه سلطان المسلمين وسلالة سيد المرسلين. فوددنا أن لو أمكننا أن نخدمه بأشفار عيننا. وأما لو نظرنا للشريعة المحمدية فلا نحتاج إلى شيء من هذا. ولا حجة علينا ولا حق. فإنه لا يجب علينا أن نرتحل إلى المَدَايِنِ لِيَتَعَلَّمَ[6] أَهْلُها عِلْمَنَا في بيته يُوتَى الحَكَمُ (184) ولم يوجب الشرع قط على بدوي أن يتحضر. كما لم يوجب على

1 — في الأصل « تجرى » التصحيح من بقية النسخ. 2 — في الأصل « ر أخبار » الصواب من جـ و ص . خم « لا أخبار . د « لا خبر ». 3 — خم « لرتب » د « للدق » 4 — جـ اسقاط « بنفسه ».
5 — في الأصل « مراضاته » الصواب من سائر النسخ . 6 — في الأصل « لتعلم » الصواب من خم . جـ « يتعلم ».

(182) هذا مثل سائر يضرب لمن يلوم من له عذر ولا يعلمه اللائم. وهو شطر من بيت كالتالي
تَأَنَّ ولا تعجل بلومك صاحباً — لعل له عذراً وأنت تلوم
أنظر الميداني ج 141/2

(183) حَلُم يَحلُم حِلماً صفح وكان ذا حِلْم. والحِلْم ضد الطيش

(184) هذا مما زعمته العرب على ألسن البهائم. أنظر القصة في مجمع الأمثال للميداني ج 19/2. وفي النص يعني اليوسي أن من أراد العلم فليرحل إليه ويأتي العلماء في أماكنهم

حضري أن يَتَبَدَّى. نعم. كان في صدر الإسلام أمر الهجرة حيث كانت العرب على كفرها. فكان من أسلم يفرّ بدينه من الفتنة. فلما فتحت مكة وأسلمت العرب انقطع ذلك الأمر فقال ﷺ «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّة» (185) وقال لأعرابي «اعمل من وراء البحار فإن الله لم يترك من عملك شيئاً» (186) وبقي الأمر على ذلك. فإن من احتاج إلى العلم رحل إليه وطلبه (قال ﷺ «اطلبوا العلم ولو في الصين» (187) وهو خطاب للمتعلمين ولم يخاطب المعلمين أن يتحركوا لِيُؤْخَذَ عنهم)[1] وقال ﷺ «سيضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم» الحديث (188)

ص 27 وقد سافر أهل الأندلس من حاضرتهم[2] إلى الحجاز/حتى أخذوا العلم عن الإمام مالك. وكذا أهل مصر وغيرهم. وطلب العلم إذا لم تكن معه قريحةٌ وقادةٌ لا يُنْتِجُ وصاحب القريحة لا تتركه قريحته أن ينتظر من يأتيه. فمن كان بالقيسارية مُكِبّاً على فلوسه. حتى إذا سمع بعالم دخل المسجد أرخى غَلَقَ (189) الحانوت وجاء يستمعُ، وقلبُه باقٍ في الحانوت يَحْسِبُ. فمتى يحصل له العلم هيهات هيهات ! إنما يرجو العلم من انْبَعَثَتْ جمرة في قلبه تُذَكِّرُهُ ضياع أيامه

---

1 — زيادة من جميع النسخ لا توجد في الأصل. 2 — في الأصل محو في بعض الحروف التصحيح من النسخ الأخرى.

---

(185) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري عن ابن عباس في «كتاب الحج» يوم فتح مكة «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية. وإذا استنفرتم فانفروا...» ارشاد الساري ج 308/3. وذكره أيضا في كتاب الجهاد ج 33/5.

(186) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري. أنظر شرح النووي على صحيح مسلم بهامش الإرشاد ج 61/8

(187) حديث أخرجه ابن عدي والبيهقي في المدخل والشعب من حديث أنس وقال البيهقي متن مشهور وأسانيده ضعيفة. أنظر المغني بذيل الاحياء ج 9/1

(188) هو حديث «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أَعْلَم من عالم المدينة» رواه الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة وقال حديث حسن. أنظر مشكاة المصابيح ج 82/1

(189) غَلَقٌ ج أَغلاق ما يغلق به الباب

وتنسيه جميع أولاده وأمواله، ويقول كما قال الإمام ابن القاسم (190) حين تهيأ للرحيل إلى مالك رضي الله عنهما

أَقُولُ لَهَا وَالعِيسُ تَسْرَحُ[1] لِلنَّوَى أَعِدِّي لِفَقْدِي ما استطعت من الصبر
أَلَيْسَ من الحرمان أن لَيَالِياً[2] تَمُرُّ بلا نفع وتُحسَبُ مِنْ عُمْرِ

فبالرحلة يُعرف من فيه أَهْلِيَّةٌ للعلم فَيَلْزَم حقه. فإن العلم ما ينبغي أن يُبذل لكل أحد وإنما يبذل لأهله، وفي الخبر: لا تُوتُوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم» (191) وفي الحديث أيضا عن الأعمش قال «قال رسول ﷺ: آفة العلم النسيانُ، وإضاعتُه[3] أن يُحَدَّثَ به غَيْرُ أهله» (192) ويروى عن عيسى عليه السلام قال لا تمنعوا العلمَ أهلَه فتأْثَمُوا، ولا تضعُوهُ عند غير أهله فتجْهَلُوا، وكن طبيباً رفيقاً يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع. وقال عكرمة: (193) إن لهذا العلم ثمنا قيل وما ثمنه؟ قال: أن تضعه عند من يحفظه ولا يُضَيِّعَه. وروى أيضا عن عيسى عليه السلام قال: لا تطرح اللؤلؤ إلى الخنزير، فإن الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئاً ولا تعط الحكمة من لا يريدها. فإن الحكمة خيرٌ من اللؤلؤ ومن لا يريدها أشر من الخنزير.

---

1 — د خم «تسرج». 2 — في الأصل «ليالي» الصواب من ص. 3 — د «أضاعه»

---

(190) **هو عبد الرحمان بن القاسم أبو عبد الله العتقي المصري (132هـ — 191هـ) يعرف بابن القاسم. فقيه جمع بين الزهد والعلم وتفقه بالإمام مالك ونظرائه مولده ووفاته بمصر له «المدونة» مطبوعة ستة عشر جزءا وهي من أجل كتب المالكية رواها عن الإمام مالك. أنظر الاعلام ج 97/4.**

(191) **لم أقف لهذا الحديث على تخريج في كتب الحديث التي بين يدي. ذكره العقد الفريد قال: «وقال عليه الصلاة والسلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم» أنظر العقد ج 254/2.**

(192) **قال الخطيب التبريزي صاحب «مشكاة المصابيح» رواه الادرمي مرسلا وعلق ناصر الألباني محقق الكتاب بل هو معضل فإن الأعمش لم يسمع من أحد من الصحابة حتى ولا من أنس. وإنما رآه فقط. أنظر مشكاة المصابيح ج 88/1**

(193) **عكرمة بن عمار (...159هـ) الحنفي العجلي اليمامي أبو عمار شيخ اليمامة في عصره من رجال الحديث أصله من البصرة حدث بها وبمكة وتوفي ببغداد بعد قدومه إليها. أنظر تهذيب التهذيب ج 263/7 حلية الأولياء ج 326/3 الاعلام ج 44/5**

والأخبار والآثار في هذا كثيرة. وقال بعضهم (194)

أَأَنْثُرُ دُرّاً[1] بين سائمة الغَنَم أم أنظِمُه نَظْماً لمُهْمَلَةِ النَّعَمْ

فإن يَشْفِنِي الرحمان مِنْ طُولِ مَا لَدَيْ وصادفتُ أهلاً لِلعلوم ولِلحِكَمْ

بَثَثْتُ مفيداً واستفدتُ مَوَدَّةً وإلاَّ فَمخْزُون لَدَيَّ وَمُكْتَتَمْ

فمَن منح الجُهَّالَ علماً أضاعهُ ومن منع المُسْتَوْجِبِين فَقَدْ ظَلَمْ

وفي «صفوة الصفوة» (195) قال كميل بن زياد (196) «أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي/فأخرجني إلى ناحية الجبال. فلما أصحرنا[2] جلس ثم تنفس ثم قال يا كميل بن زياد، إن القلوب أوعية فخيرها أوْعَاهَا. فاحفظ ما أقول لك الناس ثلاثة عالم رباني. ومتعلم على سبيل النجاة. وَهَمَجٌ رَعَاعٌ، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح. لم يستضيئوا بنور العلم. ولم يلجأوا إلى ركن وثيق. العلم خير من المال، العلم يحرسك وانت تحرس المال. العلم يزكو على العمل. والمال تنقصه النفقة. العلم حاكم والمال محكوم عليه. وصنيعة المال تزول بزواله، ومحبة العلم دِينٌ يُدَانُ بها[3] تكسبه الطاعة في حياته. وجميل الأُحْدُوثة بعد مماته، مات خزان المال وهم أحياء. والعلماء باقون ما بقي الدّهر. أعيانهم[4] (197) مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة، إن هاهنا —

(ص 28)

1 — جـ «علما» بدل «ذرا» خم بياض مكان الكلمة 2 — خم جـ «ضجرنا». د «سحرنا».
3 — ص «العالم دين يدان بها» جـ «العلم دين يدان الله تعالى به». 4 — جـ «أشخاصهم».

(194) أورد الغزالي هذه الأبيات في كتاب «الإحياء» بالرواية التالية دون أن ينسبها

أأنثر درا بين سارحة النعم فأصبح مخزونا براعية الغنم

لأنهم أمسوا بجهل لقدره فلا أنا أضحي أن أطوقه البهم

فإن لطف الله اللطيف بلطفه وصادفت أهلا للعلوم وللحكم

نثرت مفيداً واستفدت مودة وإلا فمخزون لدي ومكتتم

فمن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الإحياء ج 58/1

(195) «صفوة الصفوة» مختصر «حلية الأولياء» لأبي الفرج عبد الرحمان بن علي المعروف بابن الجوزي المتوفي سنة 597 هـ

(196) كميل بن زياد (12هـ — 82هـ) تابعي ثقة من أصحاب علي بن أبي طالب كان شريفاً مطاعاً في قومه شهد «صفين» مع علي وسكن الكوفة وروى الحديث. قتله الحجاج صبراً. أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 93/6

(197) أعيانهم أجسامهم أجسادهم

وأومأ إلى صدره — علماً لو أصبت له حَمَلَةً، بل قد أصبت له لَقِناً[1] غير مأمون عليه، يستعمل الدين للدنيا. يَسْتَظْهِرُ (198) بنعم الله تعالى على عباده، ويَحْجبُهُ على كتابه، أو معانداً لأهل الحق ولا بصيرةَ له في إحيائه[2] يقتدح الشك[3] في قلبه بأول عارضٍ من شُبْهَةٍ[4] لاَذَا وَلاَذَا مُنْهَدِمٌ يُسْلِسُ القياد للشهوات. أو مُغْرَى بجَمع المال والادِّخارِ أقربُ شَبَهاً بهم الأَنعام السائمة.

كذلك يموت العلم بموت حامله، اللهم بَلَى !. لن تَخْلُوَ الأَرضُ من قائم لله تعالى بحُجَّة، لكيلا تبطُلَ حجج الله وبيِّناتُه، أولئك هم الأقلون عدداً الأعظمون عند الله قدراً، بهم يحفظ الله حججه حتى يؤدوها إلى نُظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم[5] هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فاستلانوا ما استوعر المُتْرَفُون، وأنسو بما استوحش منه الجاهلون، طلبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى آه ! آه ! شوقاً إلى رؤيتهم. واستغفر الله العظيم لي ولك، إذا شئت فقم[6] انتهى

فانظر إلى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه كيف أفصح بأنه لم يجد من هو أهل للتعليم مع كثرة من حوله من الصحابة والتابعين، لا من جمود وعدم فهم، فإنه يقول قد وجد اللَّقن[7] الذي يحفظ ويفهم، ويحفظ العلم، ولكنه غير مأمون لاتِّباعه الدنيا. فيتخذ العلم آلة لاستجلابها عند أربابها، وهذا في زمنه الفاضل، فكيف يكون في حال زماننا/. وأنت تراه مع ذلك معترفاً بموت علمه، ومع ذلك لم يتحرك إلى أمصار المسلمين ليلقي من يَصْلُح للعلم فَيُفْشِي علمَه ولا يُضَيِّعُه. وماذاك إلا لكونه لا يلزمه أن يطلب من يأخذ علمه، بل وليس ذلك من الأدب.

ص 29

واعلم أن آداب العلم وذكر من يصلح أن يُعَلَّم ومن لا، (كل)[8] ذلك مشروح في كتب الأئمة، ومبسوط لو اشتغلنا به طال. وقد ذكر الشيخ العارف

1 — في الأصل «أخا» صححت من ص بما يناسب السياق. 2 — جـ «اجباته». 3 — في الأصل «الشدة» صوابه من جـ 4 — في الأصل «شبه» صوابه من جـ و خم. 5 — من هنا يبدأ اسقاط كبير في د من آخر ص 28 حتى ص 30. 6 — جـ و ص إسقاط «إذ شئت فقم» 7 — خم «الفتي» جـ أسقط الكلمة. 8 — زيادة من جـ و ص

(198) استظهر عليه علاه. غلبه

أبو عبد الله محمد بن عباد (199) في «شرح الحكم» (200) (شيئا)[1] من ذلك وما ينشأ عن ذلك من المفاسد والآفات. ثم قال «فعلى المُعلم النَّاصحِ نَفْسه. السَّالم في عقله وحديثه[2]، العاملِ على تصحيح أعماله وهِمَمِه، المشفقِ على دينه الذي (هو)[3] مَنُوط بلحمه ودمه، أن يتأمل هذه المفاسد، ويَقِيس بها ما توهمه من المصالح الناشئة عن تعليمه بزعمه، ويدقق النظر في ذلك كما يدققُه في أكثر المسائل التي لا يحتاج إليها. ولا يُقْدِمُ على التعليم في هذه الأزمنة ذوات العلل المزمنة حتى يقطع بوجوب ذلك عليه، من غير تردد ولا تجويز وقوع خطإ في نظره ولا سبيل له إلى هذا، ولا يسعه خلاف ذلك إذا كان منصفاً.

قال بعضهم رأيت سفيان الثورى (201) حزيناً فسألته عن ذلك (فقال)[4] وهو بَرِمٌ مُغَيَّر[5] ما صرنا إلاَّ متجراً لابناء الدنيا قُلْتُ وكيف ذلك؟ قال يلزمنا أحدهم حتى إذا عُرف بنا وحمل عنا[6]، جُعل عاملاً أو حاجبا أو قهرمانا أو جابياً فيقول حدثنا سفيان الثوري. وعليه أن يحرص على مخالفة نفسه فيما تدعوه إليه من التعليم لأن كل ما تستحليه النفس ويوافق غرضها مصحوب

---

1 — زيادة من جـ و ص. 2 — خم «وحدسة». 3 — زيادة من جـ و ص 4 — زيادة من جـ و ص. 5 — ص. جـ «يدم» وأسقطت «مغير». خم أسقط «برم» بياض بين «مغير» و «معاصرنا». 6 — في الأصل «عنه». صوابه من جـ و خم.

---

(199) هو محمد بن ابراهيم بن عبد الله الحميري الرندي أبو عبد الله المعروف بابن عباد (733—792هـ) متصوف باحث من أهل رندة بالأندلس تنقل بين فاس وتلمسان ومراكش وسلا وطنجة. واستقر خطيبا للقرويين بفاس وتوفي بها له كتب منها «غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية» المشار إليه في النص مطبوع وله «الرسائل الكبرى» مطبوع واليوسي يشير إليها في تعليقه بعد الاستشهاد أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 190/6

(200) «الحكم العطائية» الكتاب في التصوف لتاج الدين أحمد ابن عطاء الله الأسكندري.

(201) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (97هـ—161هـ) أبو عبد الله كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ولد ونشأ في الكوفة. راوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم فأبي وخرج من الكوفة سنة 144هـ فسكن مكة والمدينة وانتقل إلى البصرة وبها مات مستخفيا له كتب كثيرة منها «الجامع الكبير» والجامع الصغير» كلاهما في الحديث. ولابن الجوزي كتاب في مناقبه أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 158/3

بالآفات والعلل التي تقدح في الإخلاص انتهى الغرض منه (202)

وقد رأيتَ كلامه مصرحاً بأن العالم لا يقدم على التعليم حتى يتحقق وجوب التعليم عليه لأنه متى لم يجب دخلته الآفات المفسدة. فضل سعيه، وأنه لا سبيل إلى تحقق الوجوب، فلم يبق إلا الترك والفرار من [1] أكيس، وقد أكثر من هذا في رسائله (203) وإنما قال ذلك لما رأى في زمانه، وزماننا مثله أو أشر منه، وهذا لا يوجب انقطاع العلم. فإن حكمة الله جارية، وعادته مطردة أن يحفظ رسوم العلم ويؤيد الدين إمَّا بصالح أو بفاجر (204) لا يبالي بنفسه ولا يبكي على حلول رمسه، فالعاقل البصير يبدأ بنفسه فينظر لها فيما يزلفها عند ربه أولا ثم في مصالح/المسلمين ثانيا. وأحمق الحمقى من ضيع نفسه وتطاول بجور الناس، فيتعاطى العلم رياء وسمعة واستجلاباً للدنيا، ويضعه حيث لا ينبغي ويكتفي بما يحسبه من أنه أحيا العلم وأحيا الدين. نعم ربما أحيا غيره وقتل نفسه بسهام العلل والرعونات. فهذا يكون من الذين ورد أنهم يدخل الناس بعلمهم وأدبهم الجنة، وهم يدخلون النار نعوذ بالله من هذه الطرقات. وإنما قررنا هذا ليعلم أن التعليم [2] ليس مطلوباً على كل حال بل له شروط أشرنا إلى بعضها وما بقي أكثر. فمن نظر إلى صاحب علم فرآه قد اقتصر على قدر قليل من التعليم، أو ترك التَّعليمَ (رأسا) [3] أو نزل حيث لا يمكنه التعليم فلا يجوز أن يُتسارع إليه بالطعن، وينسب إليه أنه ضيع العلم حتى يبحث عن حاله، هل توجه إليه الطلب بالتعليم [4] أولا، فإن توجه إليه ووجد الإمكان، ومن هو أهل للأخذ وتركه، فحينئذ يستحق الإنكار.

ص 30

وهيهات متى يتحقق ذلك !، وهبه اطلع على حالته من خارج فمتى يطلع على قلبه، والفرض أنه متى آنس من قلبه رياء وشهوة فالمطلوب منه الترك لأن التعليم ليس فرض عين كالصلاة حتى يفعل على كل حال. بل هو كفاية فمن لم

---

1 — بياض في الأصل وفي خم و ص . أما جـ فأسقط من « من » ولم يترك بياضا « والفرار أكيس ».
2 — هنا ينتهي اسقاط نسخة د الذي بدأ من آخر صفحة 28. 3 — زيادة من ج و ص.
4 — في الأصل « العلم » التصحيح من ص.

---

(202) انتهى استشهاده بابن عباد
(203) رسائل ابن عباد المعروفة «بالرسائل الكبرى» في التوحيد والتصوف ومتشابه الآيات.
(204) إشارة إلى الحديث النبوي «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» وقد سبق تخريجه

يجد فيه إخلاصاً فليتركه، وغيره يقوم به، ويشتغل بعبادة أخرى يجد فيها ذلك. وقد كان بعض السلف من العلماء[1] ترك الحديث وكان يقول إني أشتهي أن أحدث، ولو انقطعت عني شهوة الحديث لحدثت[2] فالعالم إذن لو ترك التعليم أصلا، كانت له جهات يخرج فيها، ولا ينسب إليه لوم ولا تضييع. كأن يكون لم يجد متعلماً صادقاً عاقلا، وذلك يدركه العالم ذوقاً، حتى أنه إذا خاطب لبيباً حاضر القلب فكأنه وضع يده في الزبد عند أكله، وإذا خاطب غبياً أو مشغولا عنه، فكأنه ضرب بمعوله على الصخر، فرجع إلى رأسه. وكأن يكون لم يجد من نفسه إخلاصاً، والفرض أنه لم يتعين عليه، أو لم يجد امكاناً أو مكاناً أو زماناً أو يكون مشغول القلب بكفاية أو خوف على نفس أو مال أو عرض أو نحو ذلك ويرى الاشتغال بالتصنيف أَعْوَدَ على الناس[3]، وأثبت وأبقى من قلقلة المجالس بلا تحصيل، ولا سيما طلبة المغرب (205). فإنهم لا همة لهم في التقييد. فينثر الشيخ في المجلس الفرائد والنُّكَت (206) وتذهب ضائعة لا يقيدها أحد. ولو اشتغل/بالتصنيف لقيد ذلك لمن يجده. ص 31

أو يرى أن التعليم كفاية، والغير قد قام به في غير بلاده. فيشتغل هو بخويصة نفسه وفي الحديث «إذا رأيت شُحاً مطاعاً، وهوىً مُتعباً، وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك» (207) أو يرى هواناً على نفسه أو على علمه فينقبض حفظا[4] لمرتبة العلم

يقولون لي فيك انقباض وإنما
رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما(208)

---

1 — في الأصل «سلف العلماء». 2 — في الأصل «فحدثت» صوابه من جميع النسخ.
3 — خم «النفس» بدل «الناس» 4 — «حرصا».

---

(205) الغرب والمغرب في اصطلاح ذلك الوقت هو ما وراء الأطلس المتوسط شرقا وشمالا
(206) النكتة ج نكت ونكات هنا تعني المسألة الدقيقة أخرجت بدقة نظر وإمعان فكر
(207) حديث أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه. وابن ماجة أنظر المغني بحاشية الاحياء ج 377/369/3
(208) هذه الأبيات للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني. أنظر يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج 23/4. وقد تصرف فيها اليوسي تقديماً وتأخيراً ونقصاً في الأبيات.

إذا قيل هذا مورد قلت قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أبْتَذِل في خدمة العلم مهجتي ... لأَخْدِمَ من لاقيت لكن لأُخدما
أأغرسه عزاً (209) وأجنيه ذلة ... إذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعُظما(210)
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا ... محياه بالأطماع حتى تجهّما

أو يرى أنه قد بلغ سن العبادة وهي أربعون، فيشتغل بنفسه ويكتفي بما مضي منه من نفع العباد أيام الشباب، وكان يقال: العلم إلى أربعين ثم العبادة. وفي هذه قال حجة الإسلام الغزالي (211) رضي الله عنه وقد طرح التعليم وسلك محجة السلوك فلقيه بعض أصحابه ويقال هو الإمام ابن العربي (212) فأنشأ يقول (213)

تركتُ هوى سعدى وليلى بمعزل ... وصرت إلى تصحيح أو منزل
فنادتني الأطلال أهلا ومرحبا ... ألا أيها الساري رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا رقيقاً فلم أجد ... لِغَزْلِيَ نسَّاجاً فكسرت مغزل

فما في الكتاب من أنيَ ضيعت العلم بسكنى البادية، أو أن الناس قد ضاع حقهم قد تبين جوابه بكل مامرَّ، فلو كنت حضرياً عن أبي وجدي، ثم خرجت

(209) جاء شطر البيت في «يتيمة الدهر» بهذه الرواية
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة
(210) لم يثبت صاحب اليتيمة هذا البيت
(211) الإمام أبو حامد محمد الغزالي الفقيه الشافعي المتكلم الصوفي الشهير (450هـ — 505هـ) آثر التجربة الصوفية بعد أن وجد فيها الحقيقة الكبرى. من أشهر تصانيفه: إحياء علوم الدين. تهافت الفلاسفة الخ أنظر ترجمته في الوفيات ج 586/1 وطبقات السبكي ج 101/4 شذرات الذهب ج 60/4 الاعلام ج 247/7.
(212) أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري المعروف بأبي بكر بن العربي (468هـ — 543هـ) ولد باشبيلية ورحل إلى المشرق. بلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. مات بقرب فاس ودفن بها. له مصنفات كثيرة أنظر الاعلام 106/7.
(213) وقفت على هذه الأبيات في نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض لشهاب الدين الخفاجي ج 538/4 بهذه الرواية وأنشد الغزالي يقول

تركت هوى ليلى ولبنى بمعزل ... وصرت إلى مصحوب أول منزل
ونادتني الأكوان حتى أجبتها ... ألا أيها الساري رويدك فانزل
فعرفت في دار الندى بعزيمة ... قلوب ذوي التعريف عنها بمعزل
غزلت لهم غزلا رقيقاً فلم أجد ... لغزلي نساجا فكسرت مغزل

إلى البادية لم يكن عليَّ حَرَج، فكيف والبادية أصلي ومنشإي، فمتى يجب عليَّ دخول الحاضرة، وإلقاءُ نفسي وعيالي في الحرج والضيق والفتن التي تقدم شرحها، لأن يجلس إلَيَّ طلاب المناصب والمراتب. هذا ما لا يجب ولا يندب وربما لا يباح أصلا.

هذا ولو تركت العلم أصلا فكيف — والحمد لله — ما تركته ولا خلوت عنه قط حتى في الطريق، وكما أن أهل الحاضرة محتاجون فأهل القرى، وأهل البادية محتاجون أكثر وكلهم عباد الله المومنون، والبلاد/بلاد الله والعباد عباد الله. وأمة النبي ﷺ في الأمصار وفي القرى وفي العمود[1] والقرى وسط بين الأمصار والعمود وخير الأمور أوسطها. وقد ابتلى[2] أهل العمود بالجفاء والغلظة، وأهل الأمصار بالخديعة والملق، وفاز أهل الأمصار بالظرف والأدب، وفاز أهل العمود بالعز والكرم. وقال الاعرابي (214)

ص 32

فمن تكن الحِضارَةُ (215) أعجبته
فـأيَّ رجـالِ بـاديـة تـرانـا

وقال ابن الرومي (216)

هذا أبو الصقر فرداً في مَحَاسِنِهِ   من نَسْلِ شَيْبَانَ بين الطَّلْحِ[3] والسَّلَمِ

---

1 — في الأصل محو في آخر كلمة «العمود» التصحيح من جميع النسخ 2 — في الأصل محو في أول حروف «ابتلى» التصحيح من سائر النسخ. 3 — في الأصل وفي جميع النسخ «الضال» التصحيح من ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري.

---

(214) ورد هذا البيت في الكامل ج 61/1 منسوبا للقطامي كما ورد في شرح مقامات الحريري ج 206/2 منسوبا أيضا للقطامي وهو لقب غلب على الشاعر واسمه عمير ابن شبيم شاعر اسلامي. مقل كان نصرانيا. حسن التشبيب.

(215) الحِضارة ضد البداوة والمراد أهل الحضر. يقول من أعجبه أهل الحاضرة في حاضرتهم فإنَّا أحق بالإعجاب منهم نحن رجال البدو. يريد أن كل ما أعجبك عن رجال الحضر فهو أكثر بيننا منهم وإن كنا أهل بادية

(216) جاء في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ص 42 «واعترض ابن الرومي كلام الخنساء في أخيها صخر (كأنه علم في رأسه نار):

هذا أبو الصقر فردا في محاسنه   من نسل شيبان بين الطلح والسَّلَمِ
كأنه الشمس في البرج المنيف به   على البرية لا نار على علم

والطلح والسلم من أشجار البادية لها شوك ترعاها الإبل

أي فهو عزيز . وفي الحديث « رأى النبي ﷺ أداة الحرث فقال ما دخل هذا بيت قوم إلا دخله الذل[1] »(217) وقال أبو العلاء المعري في بَنِي مَطَرٍ[2] (218)

المُوقِدُون بنجد نار بادية
لا يَحْضِرُونَ وفقد العز في الحضر (219)

غير أن هذا في البادية البعيدة، وأما هذا الغرب فقريب بعضه من بعض، أما القرى ففي حكم الحاضرة. أما البادية فسميت بذلك لبدو ما فيها أي ظهوره للعين إذ لا جدار فيها ولا باب ولا سقف. والقرية بخلاف ذلك وفيها جل ما في الحاضرة من المصالح، وفازت بخفة المؤونة وقلة الشغَب[3]، وفي الحديث «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن» (220)

وفيه أيضا: « أفضل الناس رجلان: رجل آخذ بعنان فرسه كلما سمع هيعة

---

1 — في الأصل « الربا » صوابه من جـ و ص . 2 — جـ . « مضر » « يطرف » وفي الأصل « بني مطرف » التصحيح من شروح سقط الزند . 3 — في الأصل الشعب صححت من د . في جـ الشعف

---

(217) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي أمامة الباهلي «قال ورأى سكة وشيئا من آلة الحرث فقال سمعت النبي ﷺ يقول لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الذل» أنظر إرشاد الساري ج 171/4 . 172

(218) قصيدة أبي العلا التي منها البيت هي في مدح بني مطر بن زيد بطنٍ من مازن ومطلعها :
ياساهر البرق أيقظ راقد السَّمُرِ — لعلَّ بالجزْعِ أعْوَانٌ على السهر
وإن بخلت عن الأحياء كلهم — فاسق المواطن حيّاً من بني مَطَر
شروح « سقط الزند » تحقيق الأساتذة مصطفى السقاط وعبد السلام هارون ص 114

(219) وصفهم بأنهم يألفون البدو ويكرهون الحضر. والنجد أصله العلو والارتفاع. والنجد من بلاد العرب يُسمى نجدا لارتفاعه عن انخفاض تهامة. المرجع المشار إليه اعلاه ص 142

(220) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب (من الدين الفرار من الفتن) عن أبي سعيد الخدري ولفظه في البخاري : «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال (رؤوسها) ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن» إرشاد الساري ج 106/1 كما أخرجه أبو داود والنسائي وهناك رواية فيها : «يأتي على الناس زمان» بدل «يوشك أن». أنظر المغني بهامش الاحياء ج 232/2

طار إليها، ورجل في غنيمة في شعبة...» الحديث (221). وفي الحديث الآخر: « ورجل معتزل في شعب يعبد الله ويدع الناس من شره » (222) وكلها عامة يندرج فيها العامي والعالم. ويختلف الناس في هذا بحسب الأحْوال والأزمنة والنيات؛ وأما ما ورد في السنة من الحضّ على لزوم الجماعة، والوعيد على مفارقتها (223) فصحيح، ويتصور في شيئين **أحدهما** لزوم الطاعة وترك الخلاف ومنازعة الأمر أهله، وهذا عام عند جمهور أهل السنة لكل أحد وفي كل زمان. وهو يرجع إلى الاعتقاد وما يستتبع من الاعتراف والتسليم. وأداء الحقوق. لا إلى المعاشرة والمساكنة. فلو أن رجلا مسلما كان في جزيرة من البحر، وهو يدين بما يدين به المسلمون ويعترف بما يعترفون به، ويوافق على ما عليه/يتفقون[1]، لكان داخلاً جماعة المسلمين، ولو أن رجلاً في المصر، بين ظهرانيهم، وهو لا يعترف ولا يوافق كفعل القُعَّد من الخوارج، لكان خارجاً عن الجماعة، داخلاً في الوعيد.

ص 33

---

1 — في الأصل محو في بعض حروف الكلمة تصحيحه من سائر النسخ.

---

(221) يقصد الحديث: « من خير معاش الناس لهم. رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله. يطير على متنه. كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت مضانه. ورجل في غنيمة في رأس شعفه من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويوتي الزكاة ويعبد ربه حتّى يأتيه اليقين. ليس من الناس إلا في خير». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة واللفظ لمسلم أنظر شرح النووي بهامش الإرشاد ج 91/90/8.

(222) يقصد به الحديث «قال رجل أي الناس أفضل يا رسول الله؟ قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله. قال ثم من؟ قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره» أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري. شرح النووى على صحيح مسلم بهامش الإرشاد ج 89/8 كما أخرجه البخاري أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري أنظر إرشاد الساري ج 283/9. الشِّعْبُ: الطريق في الجبل ومسيل الماء

(223) في الحث على لزوم الجماعة أحاديث كثيرة منها الذي رُوي عن عبد الله بن مسعود: «لا يحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني. والنفس بالنفس. والتارك لدينه المفارق للجماعة» رواه البخاري في الديات ومسلم في الحدود ومن حديث ابن عباس: «من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر. فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً إلاّ مات ميتة جاهلية» أنظر إرشاد الساري ج 230/10 وشرح النووى على صحيح مسلم في حاشية الإرشاد ج 47/8 ولعل الحديث هو الذي يشير إليه كلام اليوسي

الثاني المعاشرة والصحبة قصداً للتعاون على الخير علماً وعملاً وجهاداً، وهذا مخصوص بخصوص، فقد كان ذلك في الصدر الأول، حيث أن الدين والهدى والخير في الجمهور، يتعاونون كما أمرهم الله تعالى ويتناصحون، ويتناصفون ويتعلم الجاهل من العالم، والجافي من الأحب، ويتعظ المتهاون بالمجتهد، والراغب بالزاهد إلى غير ذلك، فكانت العزلة إذْ ذاك مرغوباً عنها. ولذلك روى أن قوماً خرجوا إلى الجَبَّانَةِ[1] (224) فبنوا بناء وجعلوا يتعبدون هنالك، فخرج إليهم ابن مسعود رضي الله عنه فلامهم وقال[2] ارجعوا، فعلّموا من هو دونكم، وتعلموا ممن هو فوقكم، وامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، ولم يزايلهم حتى هدموا ما بنوا ودخلوا.

فلما فسد الأمر وغلبت الشهوة، واتُّخذ الهوى إلاهاً، وظهر المراء والجدال، ووقع التقاطع والتدابر، والتحاسد والتباغض، حلت العزلة وربما وجبت، وصارت الجماعة المطلوب لزومها إنما هو من بقي على الهدى الأول لأنه الذي في لزومه المنافع والمصالح ولو كان قليلا أو لم يكن إلا واحداً وقد سئل ابن المبارك (225) عن الجماعة المأمور بلزومها فقال أبو بكر وعمر فقيل له : مات أبو بكر وعمر، فقال فلان وفلان قال : مات فلان وفلان فقال أبو حمزة السُّكَّري (226) جماعة. وروى عن (سفيان بن)[3] سعيد الثوري رضي الله عنه قال في تفسير الجماعة لو أن فقيها على رأس جبل لكان هو الجماعة. فإذا فهم هذا، وعلم أن المراد الدّين، وانتهاج سني السنة، فأينما وجد الإنسان ذلك

---

1 — في الأصل «الحيانة» صححت من ص. د 2 — في الأصل «فقال» اثبت ما في سائر النسخ الأخرى. 3 — في الأصل «انتاج» صوابه من جـ و خم.

---

(224) الجَبَّانَةُ ما استوى من الأرض في ارتفاع ولا شجر فيه. المقبرة. الصحراء. ج جبابين

(225) هو عبد الله بن المبارك الحنضلي المروزي (118هـ — 181هـ) أبو عبد الرحمان الحافظ المجاهد التاجر صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار حاجاً ومجاهداً وتاجراً. جمع الحديث والفقه والعربية كان من سكان خراسان ومات بهيت على الفرات منصرفا من غزو الروم له كتاب في الجهاد وهو أول من صنف فيه أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 256/4

(226) أبو حمزة السكري (... — 167هـ) هو محمد بن ميمون المروزي. شيخ خراسان في عصره وأحد ثقاة المحدثين كان نبيلا سمحاً حلو الكلام ولذلك لقب بالسكري. أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 343/7

فليغتنمه، ومن وجد عنده ذلك فليلزمه[1] ومن كفاه الله في نفسه بل حصل عنده من العلم ما يكتفي به فليعبد الله حيث أمكنه من بر أو بحر كما قال ﷺ للأعرابي «اعمل من وراء البحار فإن الله لن يترك من عملك (شيئا)[2]» (227) وكان أبو عبد الله الهواري[3] التونسي (228) من أكابر العلماء ومن أكابر الصالحين، فترك الحاضرة وسكن البادية فقال له بعض المشايخ لم سكنت البادية وتركت الحاضرة؟ فقال ما أسكنني البادية إلاّ هذه اللّقمة. أريد أن أنظر إليها من وقت دخولها إلى وقت/خروجها، وأكون على علم بأمر معيشتي[4]. فكان يبذر البذر ويلازمه إلى وقت حصاده، وكان الإمام أبو الحسن ابن الصائغ (229) يحكى عن (شيخه)[5] أبي بكر بن ورق[6] (230) (أنه أقام مدة لم يأو إلى» [7] عمران، قال وما كنا نقرأ عليه إلا في بطون الأودية وشعاب الجبال رضي الله عنهما.

ص 34

وهذا كله بيان للحقّ وأن التعليم ليس بلازم للعالم على الإطلاق ولا أن يقتحم عليه تغرباً عن وطنه، ولا اقتحاماً لمشقة نفسه، أو عياله، وإن كان بعض ما قررناه مما يستغرب اتباعاً للعادة الجارية والإلف المألوف، فإن العادة جرت باحتفال أهل الحاضرة للتعلم والتعليم، ونصب المجالس لذلك فمن رأى ذلك من العامة أو قاصري الأفهام من غيرهم لم يشك أن في ذلك هو الدّين القويم وأنه حياة العلم، ووضوح السنة، واستقرار الفقه. وأهل البصيرة يعلمون أن ذلك بهرج زائف، وعمل في غيرِ مَعمل، وضلال في صورة هدى، وذلك لفساد

---

1 — خم «فليراجعه» د «فليلتزمه». 2 — زيادة من جـ 3 — في الأصل «المولدي» صوابه من جميع النسخ. 4 — في الأصل محو في «أمر معيشتي» اثبت ما في سائر النسخ 5 — في الأصل محو في الكلمة صححت من بقية النسخ. 6 — جـ «زورق» ص «ورزق». 7 — محو في الأصل أثبت ما في النسخ الأخرى.

---

(227) سبق تخريج هذا الحديث

(228) هل هو محمد بن عمر الهواري أبو عبد الله (751هـ—843) ؟ متصوف فقيه مالكي عالي الشهرة في المغرب له أخبار كثيرة. ولد في مغراوة وتعلم ببجاية وأقام بفاس ورحل إلى المشرق رحلة واسعة. كان زاهدا متقشفا متباعدا عن الملوك والأمراء له تآليف كثيرة منها «كتاب التسهيل» «والتبيان» وغيرها أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 205/7

(229) لم أقف له على ترجمة

(230) لم أقف له على ترجمة

النيات وكثرة الآفات. (فَقلَّ الفلاح وعز)[1] النجاح، فما أكثر الركب وما أقل الحاج

تُـعَيرنـا أنَّـا قـلـيـل عـديـدُنـا
فقلت لها إن الكرام قليل (231)

وفي هذا المعنى يقال إن الناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلاّ العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلاّ المخلصون، والمخلصون قليل أي فهم قليل من قليل. والمشتغلون أكثرهم لا يحصل على طائل، إما لجمود، وإما لعدم تفرغ، فإن العلم كما قيل إن أعطيته كلك أعطاك بعضه، وإن أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً. وأما الانخرام قبل الوصول، وأما الانقطاع كرهاً أو اختياراً أو جهلاً، وذلك أن نعجل الاستقبال ويظن أنه قد وصل. وقديماً كان يقال العلم ثلاث درجات من بلغ الأولى ظن أنه من العلماء بجهله، ومن بلغ الثانية علم أنه مقصر، وذلك لإشرافه على بحار العلم المتلاطمة الأمواج، ومهامهه[2] الواسعة[3] الفجاج، وأما الثالثة فلا سبيل إليها.

والمحصل قد ينتفع بما حصل. وقد لا فالعالم المنتفع به قليل من قليل. وقد أثنى رجل على الأعمش (232) رضي الله عنه بنشر العلم وقال له إنك أحييت العلم بكثرة من أخذه عنك فقال الأعمش هم ثلاثة أصناف : صنف يموتون قبل الإدراك فيذهب علمهم، وصنف يصحبون الملوك فيذهب علمهم. وصنف ينسون/ما علموا فيذهب علمهم. وهذه الثلاث التي ذكر الأعمش هي أيضا كثيرة.

ص 35

1 — محو في الأصل صوابه من جميع النسخ. 2 — في الأصل «مهامه» صوابه من ص.
3 — في الأصل «واسعة» صوابه من جـ و ص.

(231) البيت للشاعر السموأل من قصيدة مطلعها
إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
أنظر ديوان الحماسة شرح العلامة التبريزي ص 28 الطبعة الأزهرية

(232) هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء أبو محمد الملقب بالأعمش (61هـ—148هـ) تابعي مشهور أصله من بلاد الري ومنشأه ووفاته في الكوفة كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض يَروي نحو 1300 حديث وكان يقال : لم يُر السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش مع حاجته وفقره أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 198/3

فلو نظر المجتهد في ذلك لأفتى بالمنع والكراهة لأنه إما يسعى لغرض ممنوع فيمتنع، أو عبث وعمل في غير معمل فيكره، أو يمتنع أيضا. وشرهم من يحضر لطلب المراء أو لتعلُّمِه، أو للتجسس على من يقول أو يفعل قصداً للإفساد. وفي هذا النوع قال الإمام بن عباد : فعلى المسكين المدرس أن يفعل ما فعل أبو سفيان في غزوة الأحزاب حيث أراد أن يتكلم فخاف من يسترق السمع فقال : ليسأل كل منكم جليسه، قال : ومن حداقة هذا الصنف، وكمال خداعه أن يفعل ما فعل حذيفة بن اليمان (233)، اذ بادر فسأل جليسه قبل أن يسأله فلم ينفع التحذر. انتهى بمعناه. غير أن حكمة الله تعالى جارية باستمرار هذا الأمر، أما على وفق الحكم التكليفي، أو الحكم التصريفي، والحكمة في ذلك بقاء[1] الرسم[2] ووجود الواحد من مائة أو من ألف (يحصل العلم)[3] وينفع الله به فذلك الواحد هو الضالة المنشودة في تلك المجامع، وإليها يساق الحديث عند السامع، ويقال عند ذلك ما قالت صاحبة المرقعات فإن بنتا لبعض الملوك كانت في عُلية (234) تكون لها، وكانت ألقيت عليها محبة الفقراء أصحاب المرقعات تتشوَّف[4] (235) من (لِيَدِهَا)[5] فكلما بصرت بواحد منهم أمرت به أن يكرم، وأن تأخذ مرقعته على وجه التبرك، فإذا أوتيت بمرقعته أمرت أن تطرح في بيت بأسفل ذلك المنزه، فلما كثرت المرقعات خرج منها قُمَّل كثير، وطلع مع الحيطان حتى ظهر للناس، ووصل الأمر إلى الملك أبيها فغضب، وأمر بالمرقعات تحرق، فكلما قذفت واحدة منها في النار احترقت إلاّ واحدة بقيت لم تؤثر فيها النار (شيئاً)[6] فعجب الملك لها، وعلم أن لها ولصاحبها شأناً. فلما رأت البنت ذلك قالت : يا أبت، لولا تحمل هذه المحترقات لما ظفرنا بهذه التي لم تحترق.

---

1 — خم اسقاط «بقاء». 2 — جـ «الأمر». 3 — في الأصل محو اثبت ما في سائر النسخ.
4 — في الأصل «بياض» بعد : «تتشوف من» خم «تشرف من مكان» جـ «تشوف من يهواها» د سقط الجملة 5 — زيادة من ص. 6 — زيادة من جـ و ص.

---

(233) حذيفة بن حسل بن جابر العبسي أبو عبد الله (...36هـ) صحابي من الولاة الشجعان الفاتحين. كان صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين لم يعلمهم أحدٌ غيره أنظر ترجمته وأخباره في الأعلام ج 180/2

(234) العُلِيَّة والعِلِيَّة ج علالي بيت منفصل عن الأرض ببيت

(235) شَوَف من السطح نظر وأشرف. شوف إلى الشئ تطلع إليه.

غير أن هذا الواحد الذي يظفر به من طلبة العلم ليس مخصوصاً بأن لا يوجد إلاّ[1] في الحاضرة بل هو بحسب مشيئة الله تعالى واختياره المطلق، يفعل ما يشاء حيث شاء. فكما يخرج أي بقل وأي ماءٍ عذب حيث شاء. وأي معدن حيث شاء، كذلك له أن يخرج العلم والدين حيث شاء، فهو سبحانه الذي أنزل النبؤة في ديار ثمود، وفي مدين وفي أحقاف[2] (236) الرمل، وأنزل أشرفها في/البلدة العطشى حسّاً ومعنى (237) بواد غير ذي زرع. فكذلك لم يزل سبحانه يخرج أئمة العلم من القرى الشاذة، والأمكنة المجهولة حيث تستنير بهم. وتشرف ويحدث لها مجد لم يكن كما قيل :

ص 36

وما عرف الأرجاءَ إلاّ رجالُها وإلاَّ فلا فضل لترب على ترب

وتعداد ذلك يطول

هذا، وإلاّ فالتعليم متى أمكن بنية صالحة، مع وجود أهله لا ننكر فضله، فهو من أفضل العبادات، وأرفع القربات، ولا يزهد فيه حينئذ إلا من تركه لأمر أرفع منه في خاصة نفسه كمسألة الإمام الغزالي. ويقال إن الشيخ الإمام أبا محمد عبد العزيز التونسي (238) دفين أغمات[3] درس الفقه في بلدة تونس فلما رأى أصحابه يتولون الخطط والعمالات تركه وقال : صرنا في تعليمنا إياهم كبائع السلاح من اللصوص، وكان ورعاً هارباً من الدنيا وأهلها. وفي رواية أخرى عنه : أن المصامدة أخذوا عنه الفقه ورجعوا إلى بلدهم، فسادوا في قومهم، وصاروا قضاة وشهوداً وخطباء. ثم إن الشيخ عبد العزيز سار في سياحة إلى بلاد الغرب فكان (239) كلما مر بقوم تلقوه، فوجد تلامذته (قد نالوا الخطط والمراتب بما تعلموه منه فقطع تدريس الفقه وأمر تلامذته)[4] بالنظر في

1 — جـ اسقاط « إلاّ ». 2 ـــ جـ « أحقاب » 3 — في الأصل « غمات » صوابه من جـ.
4 — زيادة من ص مثبتة في « كتاب التشوف » ينقل عنه اليوسي هذا الاستشهاد ويتطلبها السياق. ولا شك أن الناسخ أسقط الجملة عند النقل من « تلامذته » إلى « تلامذته ».

(236) الاحقاف ما أعوج من الرمل واستطال

(237) أي مكة المكرمة

(238) الشيخ عبد العزيز التونسي (...هـ 486هـ) أخذ الفقه عن أبي عمران الفاسي وأبي اسحاق التونسي استقر أخيرا بأغمات وبها مات أنظر ترجمته وأخباره في كتاب «التشوف إلى رجال التصوف» للتادلي ص 68 ومن ترجمته في هذا الكتاب نقل اليوسي استشهاده في النص

(239) من هنا يبدأ اليوسي في النقل حرفيا عن كتاب التشوف ص 70

«رعاية» (240) المحاسبي[1] (241) وغيرها من كتب التصوف. ثم إنه وقع على بعض تلامذته وقد وقع في مسألة الربا جهلا فقال سبحان الله قطعت الفقه لئلا تنال به الدنيا. فضاعت معرفة الحلال والحرام. فرجع إلى تدريس الفقه والله أعلم. ويترشح هذا الوجه بأن يقال طلب العلم مظنة الخير. فكما أن النطق بالشهادتين فعل مظنته الأَمْن[2] حتى وجب به احترام صاحبه نفساً ومالا (242) إلا بحقه مع تيقن (أن)[3] من ينطق منافقاً كذلك طالب العلم يُحسن به الظن ويُسعف بمطلوبه. فيتأكد التعليم على الاجمال من غير تفصيل ولا توقف على الاحتِرَاز[4] ما لم يظهر أمر يتعين تجنبه. وبهذا جرى العمل في الاعصار على الدوام والاستمرار. أو بأن يقال إن إسداء العلم (يكون)[5] كإسداء المعروف. وقد قال قوم في المعروف أنه يتحرى به أهله. وإلا لا ينفع به كما قيل

إن الصنيعة لا تكون صنيعة
حتى يصاب (بها)[6] طريق المصنع (243)

وقال آخر

ومن يجعل المعروف في غير أهله
يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر (244) / ص 37

---

1 — د «الحسابي» 2 — في النسخ جـ خم د «الإيمان». 3 — زيادة من جـ و ص
4 — في الأصل «الاحترام» صوابه من جـ و ص. 5 — زيادة من جـ 6 — زيادة من جميع النسخ.

---

(240) هو كتاب «الرعاية لحقوق الله عز وجل» للصوفي الكبير الحارث المحاسبي.

(241) الحارث بن أسد المحاسبي (...هـ 243هـ) أبو عبد الله كان عالما بالأصول والمعاملات واعظا مبكيا وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم ولد ونشأ بالبصرة ومات ببغداد أنظر الاعلام ج 153/2

(242) اشارة الى الحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلاه إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم» حديث متفق عليه من رواية أبي هريرة أنظر الاحياء ج 25/1

(243) نسب هذا البيت لحسان بن ثابت في شرح مقامات الحريري للشريشي ج 289/1.

(244) هذا البيت يضرب مثلا في التنكر للمعروف. وقصة البيت كما يرويها شارح مقامات الحريري كالتالي: «أثار فتيان في صيد لهم ضبعة وتلقب بأم عامر. فلجأت إلى بيت رجل فخرج إليهم بالسيف مسلولا فقالوا له لم تمنعنا من صيدنا؟ فقال: انها استجارت بي. فخلوا بينها وبينه فجعل يسقيها حتى سمنت وحسنت حالها. فبينما هو ذات يوم متجرد عدت عليه فشقت بطنه وشربت دمه فقال ابن عم له:

ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر

الخ الأبيات. أنظر مقامات الحريري ج 289/1

وقال آخرون بل يصطنع المعروف على العموم لا ورَأَوْا في هذا حديثاً وهو قوله ﷺ : «عش ما شئت، (فإنك ميت)[1] وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مُجْزىً به، واصنع المعروف إلى من هو أهله، وإلى من ليس أهله، فإن أصبت أهله فهو أهله، وإن لم تصب أهله فأنت من أهله» (245) وقال شاعر في هذا المعنى :

بثّ الصنائع لا تحفل بموقعها   فيمن نأى أودنا ما كنت مقتدرا
فالغيث ليس يبالي حيثما انسكبت   منه الغمائمُ ترباً كان أو حجرَا

وإلحاق العلم بالمال في هذا ليس على السوية، فإن العلم أشرف خطراً وأعظم قدراً[2] فيكون هذا مع انبهام الأمر على المعلم فيظن الخير كما في الوجه الأول. أما حيث علم أو ظن عدم الأهلية فلا، وبذلك يوافق ما مر من الشروط. وتختلف الأنظار بحسب الالتفات إلى الأصل[3] وإلى ما جرت به العادة الفاشية. وقد يقال : العلم أعز جناباً من أن يصل إلى غير أهله. وقيل للإمام الجنيد (246) إلى متى تنادي على الله بين يدي الناس (فقال)[4] ما فعلت ولكن أنادي على الناس بين يدي الله تعالى. «والأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى» (247)

---

1 — زيادة من متن الحديث. 2 — في الأصل «حظرا» صوابه من جـ خم و ص. د أسقط «أعظم قدرا» 3 — في الأصل «الأهل» صوابه من بقية النسخ. 4 — زيادة من جـ و ص

---

(245) في هذا الاستشهاد عرض اليوسي لحديثين اثنين: الأول «إن روح القدس نفث في روعي: أحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به» أخرجه الشيرازي في الألقاب من حديث سهل بن سعد. وأخرجه الطبراني في الأصغر والأوسط من حديث علي أنظر المغني بذيل الإحياء ج 367/4. الثاني: «اصنع المعروف إلى أهله فإن لم تصب اهله فانت أهله» ذكره الدارقطني في العلل وهو ضعيف أنظر المغنى بذيل الاحياء ج 196/2

(246) الجنيد بن محمد الجنيد البغدادي الخزاز أبو القاسم (...هـ — 297هـ) شيخ مذهب التصوف. إمام زمانه. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. هو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد. من كلامه: «طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة. من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه في الدين لا يقتدى به». أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 137/2

(247) تضمين لحديث طويل مشهور: «إنما الأعمال بالنيات. وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته...» حديث متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم من رواية عمر بن الخطاب أنظر إرشاد الساري ج 150/1 وشرح النووي على صحيح مسلم بهامش الإرشاد ج 111/8 كما أخرجه غيرهما

وقول الكتاب : أما علمت أن ملوك الموحدين وبني مرين كانوا ينقلون العلماء الخ. فأقول : نعم، قد كان من يفعل ذلك ولكن نجل سلطاننا وهو قريشي هاشمي، علوي فاطمي، أن تنحط همته حتى يقتدى بملوك البربر من الموحدين وبني مرين. ولا يقتدى بأسلافه القريشيين المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، الذين هم أهل الخلافة حقاً، ولهم شهد المصطفى ﷺ بصحة القدوة ووجوب الاتباع، فقال : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» (248) وقد فتحت البلدان في زمنهم : الشام ومصر وافريقية واليمن والعراق. وأسلم من أسلم من أهلها وهم في غاية الجهل والخلو من العلم والمدينة المشرفة مشحونة بالعلماء المهاجرين والأنصار، فهل ثبت عند سيدنا أن الخلفاء كانوا ينقلون أولئك العلماء من بلد إلى بلد ليفشوا العلم ؟ فهلا نقلوا عليّا/ وأُبياً **38** (249) ومعاذاً (250) وأبا هريرة، وسلمان (251) وزيد بن ثابت (252) وجابر بن عبد الله (253) وغيرهم من أهل العلم إلى الآفاق ليعلموا من هو أحوج إلى العلم من عامتنا اليوم، فهل نحن (و) [1]أولئك الملوك أحرص منهم على الخير، أو أشد اهتماماً بأمور الدين وأمور المسلمين ؟ كلا والله ! لا نبلغ غبار نعالهم، فهم أحرص وأعرف وأتقى لله. فلذلك لم يتسلطوا على أحد فيلزموه ما لا يَلْزَمُه والله المستعان

---

1 — زيادة الواو من ص و خم د «هؤلاء».

---

(248) سبق تخريج الحديث

(249) هو أبي بن كعب (... 21هـ) من بني النجار من الخزرج صحابي أنصاري كان قبل الاسلام حبرا من أحبار اليهود مطلعا على الكتب القديمة يكتب ويقرأ ولما أسلم كان من كتاب الوحي شهد الغزوات كلها مع النبي ﷺ وكان يفتي على عهده. أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 78/1

(250) هو معاذ بن جبل (20ق هـ — 18هـ) الأوسي الأنصاري صحابي جليل. كان أعلم الأمة بالحلال والحرام وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ بعثة الرسول قاضيا ومرشدا لأهل اليمن. أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 166/8

(251) سلمان الفارسي (... 36هـ) أصله من مجوس أصبهان كان صحيح الرأي عالما بالشرائع نصب أميرا عن المدائن فأقام فيها إلى أن توفي. وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به ينسج الخوص ويأكل الشعير أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 169/3.

(252) سبقت ترجمته. أنظر ص 157 تعليق رقم 121

(253) جابر بن عبد الله الخزرجي (16 ق هـ — 78هـ) صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ كانت له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم روى له البخاري ومسلم أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 922

وأما فعل أولئك الملوك بالعلماء فيكون[1] على ثلاثة أحوال **الأول** : أن ينشُر الملك الحبَّ، ويظهر الجميل والخير، فتأتيه العلماء وهذا لا عجب فيه فالنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها ، ولم يزل العلماء يرغبون فيمن تظاهر بالإحسان وتصدى للإعانة على الخير لأنهم يستعينون به على ما هم بصدده. وقد قيل إن الإمام حجة الاسلام الغزالي رضي الله عنه سافر إلى بلاد المغرب للقاء عبد المومن بن علي (254) أول ملوك الموحدين إذ بلغه أنه كان ينوه به وذلك من جهة شيخه ابن تومرت لأنه تلميذ الغزالي، فلما بلغ الاسكندرية أو طرابلس بلغه موته فرجع إلى بلاده.

الثاني أن يبعث إلى العلماء بوجه الخير والمحبة لا الإكراه. والعلماء في هذا تختلف أحوالهم فنهم من يسعف ويأتي[2] ومنهم من يمتنع، ثم الممتنعون منهم من لا[3] يعتذر ولا يبالي، كابن عباس (255) رضي الله عنه، فإنه استعمله علي كرم الله وجهه على البصرة فلما اجتمع في بيت مالها من المال قدر نافع أخذه جميعاً وجاء إلى مكة، فاشترى جواري واستوطنها. فكتب إليه عليٌّ في ذلك فلم يلتفت إليه، ووقع بينهما كلام[4] الإمساك عنه أولى. وكسفيان الثوري (256) فإنه لما ولى هارون الرشيد الخلافة، وجاءته الوفود، فتح بيوت الأموال، وجعل يعطى تشوفاً إلى سفيان، وكان صديقاً له قبل ذلك في صحبة العلم، فلما لم يقدم عليه كتب إليه مع عباد الطالقاني[5] فلما دخل عليه عباد وجده مع أصحابه في المسجد، فلما رآه سفيان قام إلى الصلاة فانتظره حتى فرغ فدفع إليه الكتاب فلم يمسه وقال لبعض أصحابه اقرأه فإذا فيه إِنَّا اِنتظَرنا قدومك علينا، ونحن على المحبة والعهد الذي بيننا إلى آخر كلامه، فقال سفيان لصاحبه اكتب على ظهره فقالوا ياأستاذ/(تكتب) [6] له في قرطاس نقي فقال[7] على ظهر قرطاسه فإن ص 39

---

1 — جـ اسقاط «فيكون» 2 — في الأصل «سيأتي» صوابه من ص و جـ. 3 — جـ اسقاط «لا». 4 — خم أسقط «كلام». 5 — جـ «الطلياني» 6 — في الأصل محو صححت من بقية النسخ. 7 — في الأصل محو صححت من بقية النسخ.

---

(254) هذا خطأ من اليوسي. إنما تجهز أبو حامد الغزالي لمقابلة يوسف بن تاشفين (410هـ/500) لما سمع عنه من ميله إلى أهل العلم. أنظر الاستقصا الذي أورد قول ابن خلكان في هذا الصدد ج 58/2. فالغزالي توفي سنة 505 هـ بينما بويع عبد المومن بن علي سنة 526.

(255) سبقت ترجمته أنظر ص 137 رقم 42

(256) سبقت ترجمته انظر 177 ورقم (201).

كان اكتسبه من حلال فسيكون، وإن كان اكتسبه من حرام لم يبق عندنا ولم يفسد علينا ديننا فكتب إلى هارون المغرور، الذي سُلب حلاوة القرآن. واستمر على هذا الأسلوب إلى أن قال له إنك فتحت بيت مال المسلمين وجعلت تفرقه في شهواتك، فهل أذن لك المجاهدون ؟ وهل أذن لك اليتامى والأرامل ؟ إلى غير ذلك مما ذكره. ثم قال له : أما المحبة فقد قطعناها فلا عهد بيننا ولا محبة، ولا تكتب لنا بعدها فإنك إن فعلت لانقرأ كتابك، ولا نجيبك ودفعه لعباد. فلما رأى عباد تلك الحالة[1] خرج إلى السوق ونزع ثيابه ولبس دونها، ووكل بالبرذون (257) من يبلغه لذار الخلافة وتاب إلى الله تعالى وجاء بالكتاب إلى الرشيد[2] فلما رآه الرشيد فطن به فصاح وقال أفلح الرسول وخاب المرسل وناوله الكتاب فقرأه وبكى حتى رحموه. فقال له الجلساء قد تجرأ عليك سفيان، فأرسل من يأت به إليك فقال اسكتوا المغرور من غررتموه (258) ولم يزل كتاب سفيان عند هارون يخرجه الحين بعد الحين فيقرأه . ومنهم من يعتذر، وقد أرسل المعتمد بن عباد (259) إلى أبي العرب[3] الصقلي (260) يستوفده عليه، وبعث مع الرسول مائة دينار ليتجهز بها في الطريق، فامتنع أبو العرب[3] وكتب مع الرسول

لاَ تَعْجَبَنَّ لرأسي كيف شاب أسىً	واعجب لأسود عيني كيف لم يشب
البحر للروم لا تجري السَّفينُ به	إلاَّ على غَرَرٍ (261) والبر للعرب

---

1 — جـ اسقط « رأى عباد تلك الحالة ». 2 — محو في الأصل صححت من بقية النسخ.
3 — في الأصل وفي كل النسخ « أبو العربي » التصحيح من كتب التراجم.

---

(257) البِرْذونْ دابة الحمل الثقيلة. التركي من الخيل. وخلافها العراب

(258) «المغرور من غررتموه» هذا من كلام لعمر بن الخطاب عند احتضاره مخاطبا ابن عباس. أورد ذلك البخاري في صحيحه في حديث طويل أنظر ارشاد الساري ج 104/6 باب مناقب عمر.

(259) سبقت ترجمته أنظر ص 141 رقم 55

(260) أبو العرب مصعب بن محمد بن أبي الفرات القرشي العبدري الصقلي (423هـ-508هـ) شاعر عالم بالأدب من أهل صقلية. كان المعتمد بن عباد يعرف قدره ويبالغ في إكرامه له ديوان شعر. أنظر أخباره مع المعتمد في الذخيرة. وأنظر ترجمته في الاعلام ج 151/8.

(261) الغرر: التعريض للهلاك

وأرسل بمثل ذلك إلى الامام الحُصْرى[1] (262) بالقيروان. فامتنع أيضا وكتب مع الرسول

أمرتني بركوب البحر أقطعه غيرى لك الخير فاخصصه بذا الداء
ما أنت نوح فتُنجيني سفينته ولا المسيح أَنَا أَمشي على الماء

الثالث أن يُلزمهم ذلك إكراهاً وضغطاً وهذا لا يقتدى به لأنه ظالم محارب لله ولرسوله. وفي الخبر: يقول الله تعالى «من آذى لي وليّاً فقد آذنته بالمحاربة» (263) وقال الإمام الشافعي (264) إن لم يكن العلماء العاملون أولياء الله. فليس لله ولي (265) وتحدث بعض أصحاب الشيخ أبي العباس السبتي (266) قال: بتنا معه ليلة في الفندق فارتفعت أصواتنا/بالمذاكرة فسمعنا الحراس، فجاءوا إلى باب الفندق وقالوا للقيم: ما هذه البدعة؟ ما هذه الأصوات؟ ألم يعلموا أن من رفع صوته بالليل يقتل وجلس اثنان منهم (على الباب). [2]ليحملونا إذا أصبحنا فنقتل، فأعلمنا بذلك قيم الفندق، فدخلنا من

ص 40

1 — جـ «المهدي». 2 — محو في بعض الحروف في الأصل التصحيح من بقية النسخ.

(262) هو ابو الحسن علي بن عبد الغني المعروف بالحُصْري القيرواني (...488هـ)العالم الإمام في القراءات السبع الثقة شاعر مشهور له القصيدة الي مطلعها ياليل الصّب متى غده — كان ضريرا من أهل القيروان انتقل إلى الأندلس ومات بطنجة اتصل ببعض الملوك ومدح المعتمد بن عباد بقصائد وألف له كتاب «المستحسن من الأشعار» أنظر شجرة النور الزكية ص 118 الأعلام ج 5 114.

(263) جزء من حديث رواه البخاري. وفي رواية «من عادى» وفي أخرَى «من أهان» ورواية «من آذَى» رواية مسلم عن أبي هريرة وعن أنس شرح الأربعين حديثا النووية ص 218 — 240

(264) سبقت ترجمته أنظر ص 159 رقم 131

(265) الولي ماخوذ من الولْي بسكون اللام وهو القرب والدنو مما يليك. لأنه والى الله بالطاعة والتقوى. وضابط الولي: المحافِظ على فعل الطاعات واجتناب المنهيات

(266) احمد بن جعفر الخزرجي السبتي ابو العباس (524 هـ — 601هـ) مولده بسبتة نزل مراكش وبها مات احد متصوفة المغرب أخذ عن الشيخ أبي عبد الله الفخار. تقوم طريقته على الصدقة. وان «الوجود ينفعل بالجود». اقرا الترجمة الطويلة التي جمعها له ابراهيم المراكشي في كتاب «الإعلام بمن حل بمراكش واغمات من الأعلام» ص 239 وما بعدها اخذها عن كتب كثيرة منها كتاب التشوف للتادلي ونفح الطيب للمقري وغيرها والقصة المذكورة في النص أشار إليها صاحب الإعلام ص 244

ذلك غم عظيم. والشيخ أبو العباس يضحك ويمازح. ولا يبالي حتى كان وقت السحر فخلا بنفسه ساعة ثم جاء فقال : لا خوف عليكم قد استوهبتكم من الله تعالى والجالسان على الباب لكمْ يقتلان غداً. قال فقلت له أنت ترى المجازاة في الأفعال على الخير والشر. فكيف يقتل هاذان. ولم يعملا عملا يستوجبان به القتل. وجزاؤهما أن يروعا كما روعونا. فقال أبو العباس : العلماء ورثة الأنبياء وترويعهم عظيم لا يقابله منهم إلا القتل.

قال فلم أزل أنازعه في هذا كله إلى أن قال فيضرب إذاً كل واحد منهما مائة سوط عقوبة. فاجتاز بالليل عبد الله الخزان (267) وكان صاحب الوقت بالجامع الأعظم فوجد حانوته مفتوحة ورأى الحارسين على قرب منه فلم يشك في أنهما فتحاه. فحملا إلى رَحْبَةِ[1] (268) القصر قبل طلوع الفجر فقال لنا أبو العباس احضروا على ضربهما مائة سوط.

وقول الكتاب كان العلماء الأعلام مع أهل الزندقة الذين يجبروهم أن يقولوا بخلق القرآن الخ **فأقول** : الذي كان يجبر على القول بخلق القرآن (269) هو المامون العباسي ومن تبعه من إخوته (270) وليسوا زنادقة. بل

---

1 — خم بياض الكلمة د « خصوصه » ص « جرجوة ».

---

(267) لم أقف له على ترجمة.

(268) في الأصل « جرجة » وأظن أن الكلمة حرفت عند النسخ عن « رحبة » كما أثبت ذلك صاحب الإعلام ج 244/1.

(269) نظرية خلق القرآن ونفي الصفات عن الله تعالى تأثر فيها المعتزلة ومن شايعهم بالجعد بن درهم. وجهم بن صفوان وقد اعتبرهم ابن تيمية من المتأثرين بالصابئة والمسيحية وقد تصدّى لهم علماء السنة وكان اثبتهم شهيد محنة خلق القرآن الامام احمد بن حنبل (164هـ 241هـ) فهو يقول: القرآن غير مخلوق. ومن الخطإ تأويل الآية: «إنا جعلناه قرآنا عربيا» بان المجعول هو المخلوق وينتهي ابن حنبل إلى القول بان الله تعالى إذا قال «جعل» فإنها تاتي على معنين: معنى خلق: «الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور» ومعنى فعل: «رب اجعل هذا البلد امنا» يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة. يقول ابن حنبل: فلمّا قال الله تعالى: «إنا جعلناه قرآنا عربيا» جعله جعلا على معنى فعله فعلا من افعال الله تعالى. انظر كتاب «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام» ج 1 278 — 287 ضحى الإسلام ص 299 الطبعة السابعة

(270) يعني المعتصم والواثق

المامون له مشاركة ظاهرة في العلوم، وهو الذي استخرج العلوم الفلسفية من أيدي العجم إلى هذه الأمة، وقاضيه أحمد بن أبي دُواد[1] (271) — أبعده الله — هو القائم بالفتنة بخلق القرآن وليس معهم في صحبتهم بل تسلطوا على الإمام أحمد (بن حنبل)[2] (272) فامتحنوه وامتحنوا غيره ممن أراد الله رفع درجته، وفي آخر الأمر بعث إلى الإمام أحمد ومن معه من الأئمة الأعلام فأتي بهم من بغداد في الحديد. فلما كانوا في بعض الطريق بلغهم موته فرجعوا إلى بلدهم

وعلماء السوء — نعوذ بالله منهم — هم المؤجّجون لنار الفتنة[3] كم من حِمىً سَعَوْا في هتكه، وكم من دم دلوا على سفكه، دخل سيف الدين[4] الآمدي (273) مصر وطبّق أرضها علوماً فحسدوه، ونسبوا إليه رأى أهل الأهواء وكتبوا في ذلك وثيقة وجعلوا يتعاطونها فيوقعون شهاداتهم حتى انتهت/إلى بعض من وفقه الله وعصمه فكتب تحت شهاداتهم ب 41

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه   فالقوم أعداء له وخصوم

ثم استمر عليه ذلك الحسد حتى خرج من مصر إلى الشام. ودخل أبو الفضل ابن النحوي (274) مدينة فاس حين أخرجوه من سجلماسة، فتسلط عليه

---

1 — في الأصل وفي النسخ الأخرى « داوود » التصحيح من كتب التاريخ . 2 — زيادة من جـ و د و ص 3 — جـ خم د « الفتن ». 4 — جـ « لدولة » بدل « الدين ».

---

(271) احمد بن ابي دُواد (160هـ/240هـ) احد القضاة المشهورين من المعتزلة ورأس فتنة القول بخلق القرآن قال أبو العيناء: ما رأيت رئيسا قط أفصح ولا أنطق من أبي دؤاد وفيه يقول المامون: إذا استجلس الناس فاضلا فُلْتل أحمد. قال الذهبي كان جهميا بغيضا حمل الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن ولولا ذلك لاجتمعت الألسنة عليه. أنظر الاعلام ج/120

(272) احمد بن محمد بن حنبل (164هـ — 241هـ) إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة أصله من مرو سافر كثيرا وصنف كتبا كثيرة سجنه المعتصم لامتناعه عن القول بخلق القرآن وتوفي في خلافة المتوكل أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 192/1

(273) علي بن محمد بن سالم التغلبي ابو الحسن سيف الدين الآمدي (551هـ/631) اصولي باحث تعلم في بغداد والشام وانتقل إلى القاهرة فدرس فيها واشتهر. وحسده بعض الفقهاء فتعصبوا عليه ونسبوه إلى فساد العقيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة فخرج مستخفيا إلى حماة ومنها إلى دمشق فتوفي بها له مصنفات كثيرة أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 5/153

(274) سبقت ترجمته أنظر ص 146 رقم 75

القاضي بن دبوس (275) بالإذاية. فلما طال الأمر على ابن النحوي. عزم على الخروج من فاس، فبات تلك الليلة التي يخرج في صبيحتها. ويقال أنه قطعها بسجدة واحدة قال في آخرها اللهم عليك ياابن دبوس. فأصبح القاضي ميتاً. وأصبح الشيخ أبو الفضل خارجاً، وخرج الطلبة يشيعونه وفيهم ابن القاضي. ولا علم له بموت أبيه فقال له الشيخ ارجع لتحضر جنازة أبيك. ووشَوْا بالشيخ أبي الحكم ابن برجان (276) أحد كبراء الصوفية فبعثوا[1] إلى السلطان بمراكش، فبعث إليه فجيئ به من العدوة وقد نسبوا إليه مقالات، فأجاب عن ذلك كله، فأطلقه السلطان فقال والله لا عشت ولا عاش من أشخصني فمات رحمه الله فطرح في المزبلة ودخل رجل على الشيخ سيدي علي بن حرازم[2] (277) وكان إذ ذاك بمراكش فأخبره بموته وإنه لم يدفن، فدعا بعض أصحابه فقال: أَتَشْتَرِي نفسك وتفعل ما آمرك فقال: نعم، قال فاخرج وسر في أزقة مراكش وأنت تقول يقول لكم ابنُ حرزهم من لم يحضر جنازة الولي الزاهد العارف أبي الحكم بن برجان فعليه لعنة الله، فلما سمع الناس بادروا إليه من كل ناحية ودفنوه وبلغ ذلك السلطان فقال: من علم أنه ولي ولم يحضر

---

1 — في الأصل «فبعث» صوابه من خم ص 2 — خم جـ «حرزم» ص «حرزهم».

---

(275) هل هو عبد الحق بن عبد الله بن أحمد بن دبوس؟ من بيت بني دبوس بفاس بيتهم بيت علم وثروة. إليهم تنسب عقبة ابن دبوس وكان عظيم القدر والجلالة في العلم توفي بفاس سنة 557هـ أنظر جذوة الإقتباس ص 274.

(276) عبد السلام بن عبد الرحمان ابن برجان أبو الحكم: (...536هـ) متصوف من مشاهير الصالحين. عاش باشبيلية له كتاب في تفسير القرآن أكثر كلامه فيه على طريق الصوفية ولم يكمله توفي بمراكش وروى صاحب التشوف القصة المذكورة في النص وحكاها عنه صاحب الاستقصا ج 76/2 — 77. انظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 129/4.

(277) علي بن اسماعيل بن حِرزهم ولد ونشا بفاس وكان فيها من كبار الفقهاء. سالكا سبيل اهل التصوف رحل إلى مراكش ودرس العلم بها وكثر اتباعه وتلاميذه. اخذ عنه ابو مدين الغوث الشهير باحواز تلمسان وابو يعزى.كانت وفاته سنة 559 او 560. ترجمته واسعة وممن ترجم له: التادلي في «التشوف». وسلوة الأنفاس ج 71/3 — 76

جنازته فعليه لعنة الله. وسعوا بالشيخ أبي العبس بن العريف (278) أيضا إلى علي بن يوسف (279) فأمر بإشخاصه إلى حضرة مراكش. فلما بلغها توفي بها وندم السلطان على[1] ما كان منه إليه. وفي رواية أن القاضي بن الأسود (280) هو الذي وفد على السلطان فسعى[2] بابن العريف عنده وخوفه منه لما رأى من ظهوره وإقبال الناس عليه. فكتب إلى عامل ألْمرية بإشخاصه إلى مراكش. فأمر به العامل. فأدخل إلى القارب ليخرج به إلى البحر إلى سبتة. فأشار القاضي على العامل بتكبيله. فأمر إليه من يقيده. فأدركه رسول العامل وهو في البحر لم يخرج منه بعد وكبله. وذهب راجعاً إلى ألْمرية في البحر فقال الشيخ روّعنا روّعه الله. فلقيه العدو في البحر فحملوه/أسيراً. فلما وصل الشيخ إلى سبتة لقيه رسول السلطان بالأمان. وأن تحل قيوده ويسرح. فقال الشيخ : كنت أريد أن لا يعرفني السلطان. وقد عرفني الآن فلا بد من رؤيته. فوصل إلى مراكش. فأقبل عليه السلطان وأكرمه وأمر أن يعرض عليه حوائجه. فقال الشيخ : ليس لي حاجة إلا أن أرحل وأذهب حيث شئت. فأذن له في ذلك. فلما رأى القاضي ما حصل له من الإكرام. سأل عن أحب الطعام إليه. فقيل له الباذنجان. فصنعه وسمه واحتال عليه حتى أكله ومات رحمه الله. فلما علم السلطان ما كان من ابن الأسود في جانب الشيخ ابن العريف قال لأعذبنه ولأسمه كما فعل بابن العريف. فبعثه إلى السوس الأقصى وأمر أن يسقى السم هنالك ففعل به ذلك ومات هنالك. ولما ظهر شيخ الجماعة أبو الحسن الشاذلي (281) رضي الله عنه بتونس وأقبل الخلق عليه. وتصدر لتربية المريدين سعى به القاضي ابن البراء[3] إلى سلطانها وقال له : إن رجلا من شاذلة سراق الحمير. قد اشتغل

ص 42

1 – في الأصل «إلى» صوابه من جميع النسخ. 2 – د : زيادة «له». 3 – د «أبو البراء».

(278) هو احمد بن محمد الصنهاجي الاندلسي المعروف ببن العريف (481هـ — 536هـ) فاضل شهير بالصلاح له شعر ومشاركة في العلوم. توفي بمراكش. انظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 1 208

(279) علي بن يوسف بن تاشفين من امراء الدولة المرابطية (477هـ — 539هـ)

(280) لم اقف له على ترجمة

(281) علي بن عبد الله الشاذلي ابو الحسن (591هـ — 656هـ) راس الطائفة الشاذلية من المتصوفة ولد بغمارة وتفقه وتصوف بتونس وسكن شاذلة. رحل إلى بلاد المشرق وسكن الاسكندرية توفي ضريرا بالصحراء عند عودته من الحج انظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 5 120

بالبدعة. وأفسد عليك العامة. فبعث السلطان إليه. وأجلس له العلماء فناظروه ووجدوه متمكناً في العلم. فلما رأى السلطان ذلك خلّى سبيله. فلما خرج رجع إليه القاضي وقال له الآن إذا لم تنفذ الأمر يفسد الناس كلهم فيتبعونه. ويتركونك. فأمر السلطان به فسجن. فأرسل الشيخ إلى الفقراء أصحابه وقال لهم لا تجزعوا فإنّا نخرج إن شاء الله ولا بأس علينا. وسقط ابن السلطان في تلك الليلة، وقدم أخ للسلطان لم يحضر وكان من المُعتَقِدين للشيخ. فلام أخاه[1] وقال له أتعمد إلى ولي من أولياء الله فتسجنه، فلما رأى السلطان ذلك أطلقه. وبقي أياماً بتونس، فأثر عليه القاضي. فلما رأى الشيخ ذالك خرج من تونس اتقاء للفتنة، وتوجه إلى الديار المصرية، فلما رأى القاضي أنه قد نجا من السلطان الذي بتونس كتب فيه رسما إلى مصر يقول إن رجلا بدعيّاً قد أفسد بلادنا، وقد جاء إلى بلادك ليفسدها فاحذره، أو نحو هذا الكلام. وسبقت الوثيقة إلى سلطان مصر. فلما كان الشيخ ببعض الطريق، تعلق به أعراب من أعراب مصر يشفع لهم في كلفة لهم[2] عند السلطان، فلما دخل مصر ذهب إلى السلطان فذكر أمر الأعراب فقال له السلطان: أنت تشفع في الناس، ومن يشفع فيك أنت؟ هذه وثيقة قاضي تونس/فيك. فحينئذ تحرك الشيخ رضي الله عنه فقال للسلطان أنا وأنت والقاضي في قبضة الله تعالى. فقام منصرفاً فرام السلطان أن يتحرك فلم يستطع، فجعل يتوب ويستغفر، واسترد الشيخ واسترضاه وقضى حوائجه، ولم يدعُ الشيخُ على ابن البراء حتى بلغ عرفة في حجته، فقال لأصحابه: الآن أذن لي في الدعاء على القاضي فدعا عليه بطول العمر، وأن يبتلى بخدمة الظلمة وبالفتنة.[3] فبقي ابن البراء على ذلك (حتى)[4] مات عليه، نعوذ بالله من قضاة السوء، وإنما ذكرنا هذه القصص ليعلم أن الأفاضل من أهل العلم ومن أهل الطريق يبتلون بشياطين الإنس عند أولى الأمر: «والعاقبة للمتقين» (282) فلا يغترر صاحب الأمر بمن ينتصح له بالوقيعة في الناس، فإنه هو

ص 43

---

1 — خم «أخاك» 2 — ص. جـ «عليهم». 3 — في الأصل «والفتنة» التصحيح من جـ و ص
4 — زيادة من جميع النسخ.

---

(282) تمام الآية «تلك الدار نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا. والعاقبة للمتقين» الآية 83 من سورة القصص مكية

المؤذى له على التحقيق، والغاش كما قال النابغة:

لئن كنت قد بُلِّغْت عني خيانة
لَمُبْلِغُكَ[1] الواشي أغش وأكذب (283)

وقال الآخر:

لَعَمْرُكَ ما سبَّ الأميرَ عدوُّه ولكنما سبَّ الأميرَ المبلِّغُ(284)

وذلك من وجهين: أحدهما: أنه يغير قلبه، ويكدر عليه العيش وأي فائدة للمُلك إذا لم يتنعم صاحبه ظاهراً وباطناً، فمن توالى عليه السُّعاة، لا يزال في نكد وضيق. الثاني: أنه يوقعه في أمور يندم عليها عاجلا وآجلا. (ويفسد قلوب الرعية، وقد أكثر الناس من ذم السُّعاة والتحذير منهم)[2]وفي ذمهم قال الأحنف بن قيس (285): مابالك بقوم الصدق محمود إلا منهم[3] (286). وقال بعض القدماء: لو فتش عن السُّعاة لم يوجدوا إلا لغير رَشَد. وقال الآخر:

فلا تُفْشِ سرك إلا إليك فإن لكل نصيح نصيحا
وإني رأيت غَوَاشَّ الرجال لا يتركون أديماً صحيحا

وقال غيره:

فلا تَعْدِلْ إلى الواشين سمعاً فإن كلام أكثرهم كلام

---

1 — جـ «لمبلك» 2 — زيادة من جـ و ص. 3 — خم بياض مكان: «الصدق — منهم».

---

(283) هذا البيت جاء في ديوان النابغة بهذه الرواية:
لئن كنت قد بلغت عني رسالة لمبلغك الواشي اغش واكذب
انظر ديوان النابغة تحقيق شكري فيصل ص 77.
الواشي النمام الذي يشي إليه بالكذب كما يوشى الوشي

(284) ذكر شارح مقامات الحريري هذا البيت بهذه الرواية دون ان ينسبه هو الآخر أنظر شرح الشريشي ص 221

(285) الأحنف بن قيس التميمي (ق هـ — 72هـ) سيد تميم وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان. الفاتحين. يضرب به المثل في الحلم. ولد بالبصرة وأدرك النبي ﷺ ولم يره ووفد على عمر حين آلت إليه الخلافة. شهد الفتوح في خراسان واعتزل الفتنة يوم الجمل. أخباره كثيرة جدا وخطبه وكلماته متفرقة في كتب التاريخ والأدب والبلدان حرية بالجمع انظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 1 262

(286) لعل كلام الأحنف اشارة إلى الحديث النبوي في الغيبة.

وان الوُدَّ عـنـدهـم نفـاق إذا طَوَعْتَهم والحمد ذَامُ
وللأقوال إن سمعت سـهـام تقصر عن مواقعها السهام
فما نَصَحُوا لمجدك بل مرادا لما قد ساءني قعدوا وقاموا
فليتك تسمع القولين حتى تبين لي[1] من الحق الخصام

وقال الآخر:

لا تسمعن من الحسود نميمة فكلامه ضرب من الهذيان
إن كان قد أوحي إليك تخرصاً[2] فالناس قد كذبوا علىٰ الرحمان/ 44
سل غيره عني لتعلم إفكه واسخط عليه فبالمحال رمان
لا يثبت الحق المبين لحاكم في الشرع حتى ينطق الخصمان

وليس بعد تحذير الله تعالى تحذير، قال تعالى: «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» (287). وكل من اغتاب الناس فهو فاسق، والفاسق لا تقبل شهادته ولذلك لما قال معاوية للأحنف في أمر بلغه عنه فأنكر الأحنف قال معاوية: الثقة بلغني عنك. قال الأحنف: الثقة لا يبلغ. ورفعت بطاقة إلى أمير المؤمنين السفاح (288) في بعض عماله فكتب عليها: هذه نصيحة لم يرد بها ما عند الله، ونحن لا نقبل من آثرنا على الله[3] ورميت أخرى في طريق الصاحب (289) فيها أن رجلاً هلك وترك أموالا جليلة، ولم يترك إلا ولداً لا تصلح له تلك الأموال، فوقع الصاحب عليها وقال: الهالك رحمه الله، والولد أصلحه الله والمال ثمرة الله والساعي لعنه الله.

---

1 — د «فيهما» 2 — ص. د. جـ. «تخرصا» خم «تخزما» 3 — في الأصل «آثارنا على الله» صوابه من خم جـ ص. د «أشارنا».

---

(287) الآية 6 من سورة الحجرات، مدنية

(288) عبد الله بن محمد أبو العباس السفاح (104هـ — 136هـ) أول خلفاء الدولة العباسية واحد الدهاة من ملوك العرب. شديد العقوبة عظيم الانتقام ويوصف أيضا بالجود والفصاحة والعلم والأدب أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 257/4

(289) هل إسماعيل بن عباد (322هـ — 385هـ) الصاحب، وزير مؤيد الدولة البويهي وأخيه فخر الدولة. وزير غلب عليه الأدب كان من نوادر الدهر علما وفضلا وتدبيرا وجودة رأي. وله مصنفات كثيرة أنظر ترجمته ومصدرها في الأعلام ج 312/1

ولما ولي عبد العزيز بن عبد الملك دمشق وكان لبيباً مع حَدَاثَةِ سنه، قال أهل دمشق هذا غلام لا معرفة له بالأمور، ويستمع منا فقام إليه رجل فقال: أصلح الله الأمير، عندي نصيحة فقال له: ليت شعري ما هذه النصيحة التي بدأتني بها من غير يد سبقت مني إليك؟ قال: جار لي عاص وكذا وكذا. فقال: ما اتقيت الله، ولا أكرمت أميرك، ولاحفظت جارك. إن شئت نظرنا فيما تقول، فإن كنت صادقاً لم ينفعك ذلك عندنا. وإن كنت كاذباً عاقبناك وإن شئت أقلناك. قال: أقلني. قال: اذهب حيث شئت لاصحبك الله. ثم نهاهم عن السعاية، وذمها غاية وقال: فلا يأتيني أحد منكم بسعاية على أحد بشئ .فإن الصادق فيها فاسق و الكاذب بهات . وَمنْ أحسن ما فعل بهذا الجنس الخبيث ما روى أن أمير المؤمنين أحمد القادر بالله (290) كان يمشي ليلة في أسواق بغداد، إذ سمع شخصاً يقول لآخر: قد طالت علينا دولة هذا المشؤوم، وليس لأحد عنده[1] رزق، فأمر به فأخذ، فلما حضر بين يديه سأله عن صنعته فقال: إنه من السعاة الذين يستعين بهم أرباب الأمر في تعرف أحوال الناس، وأنه منذ ولي أمير المؤمنين أقصانا، واستغنى عنا، فتعطلت معيشتنا. فقال: أتعرف من في بغداد من السعاة؟ قال: نعم. فأمر بكتب أسمائهم وأجرى عليهم رزقاً معلوماً ونفاهم/إلى الثغور يكونون هناك عيوناً على الكفار. ثم التفت إلى من حوله فقال: اعلموا أن هؤلاء ركَّب الله فيهم شراً، وملأ صدورهم حقداً على العالم، ولا بد له من إفراغ ذلك الشر، والأَوْلَى أن يكون ذلك في الأعداء، ولا ننغص بهم على المسلمين. وقد اتفق مثل هذا للأمير الناصر (291) رحمه الله أنه جاء إنسان إلى

ص 45

1 — في الأصل «عنه» صوابه من جميع النسخ.

(290) احمد بن اسحاق بن المقتدر القادر بالله الخليفة العباسي (336هـ — 422هـ) كان محبوبا مطاعا جدد ناموس الخلافة كما يقول ابن الأثير من الخلفاء الائمة الزهاد العلماء. كان كثيرا ما يلبس لباس العامة ويخرج متجولا في بغداد متفقدا امور اهلها. انظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 1: 91

(291) محمد قلاوون بن عبد الله الصالحي ابو الفتح الملك الناصر (684هـ — 741هـ) من كبار ملوك الدولة القلاوونية ولي سلطنة مصر والشام له تاريخ حافل بجلائل الأعمال اوردها المقريزي في مجلد ضخم انظر السلوك للمقريزي: القسمان الأول والثاني من الجزء الثاني وفيهما استيفاء سيرته وتاريخ الدولة في أيامه. انظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 5 232

وزيره فاستأذن إليه في إبلاغ قوم ذكرهم بالقبيح إلى السلطان فبلّغ الوزير الأمر. فقال له السلطان: عَلَيَّ بالرجل. فأدخله إليه فقال: هل تعرف بالقاهرة من هو أعرف بشيء من هذه الأحوال؟ قال نعم: جماعة وعدَّهم. فقال السلطان للوزير: احتفل بهذا الرجل حتى يحضر كل من ذكره فعرفني بهم. فلما اجتمعوا قال له: اخرج في هذه الساعة وجهز الجميع إلى قصي[1] (292) ولا تدع أحداً منهم بالقاهرة. فإن هؤلاء مناحيس[2] فنفاهم أجمعين.

ووقع ذو الرئاستين (293) في رقعة ساع: نحن نرى قبول السعاية شرا منها ولأن السعاية دلالة. والقبول اجازة. فاتقوا الساعي. فإنه إن كان في سعاية صادقا كان في صدقه آثماً، إذ لم يحفظ الحرمة، ولم يستر العورة، وقال رجل للمهدي (294) عندي إليك نصيحة يا أمير المؤمنين، قال المهدي لمن هي؟ ألنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك؟ قال: لك يا أمير المؤمنين. قال المهدي: ليس الساعي بأعظم عورة ولا أقبح حالا من قابل سعايته، ولا تخلو من أن تكون حاسد نعمة[3] فلا نشفي[4] غيظك، أو عدوا فلا نعاقب لك عدوك. ثم أقبل على الناس فقال: لا ينصح لنا ناصح إلا بما فيه رضا الله، وللمسلمين فيه صلاح. فإنما لنا الأبدان، وليس لنا القلوب. ومن استتر لم نكشفه، ومن ندم قبلنا توبته ومن أخطأ أقلنا[5] عثرته، إني رأيت التأديب بالصفح أبلغ منه بالعقوبة. والسلامة مع العفو أكثر منها مع المعالجة، والقلوب لا تبقى لوال[6] لا ينعطف إذا استعطف ولا يعفو إذا قَدَرَ ولا يغفر إذا ظفِر، ولا يرحم إذا استُرحم.

---

1 — د. «أقصي». 2 — ص د جـ «منافس». 3 — في الأصل «نعمته» صوابه من جميع النسخ. 4 — في الأصل «يشتفي» صوابه من خم ص. 5 — في الأصل «قبلنا» التصحيح من خم جـ. ص. 6 — في الأصل «لا تبغي لو أن لا ينعطف» صوابه من ص جـ د

---

(292) لعله يقصد إلى ناحية بعيدة.

(293) ذو الرئاستين: هل يعني ذا الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب الفقيه الشاعر المؤرخ (713 — 776هـ)؟ الذي تولى شؤون الدولة في دولة بني الأحمر بغرناطة.

(294) محمد بن عبد الله المنصور العباسي أبو عبد الله المهدي بالله (127هـ — 169هـ) من خلفاء الدولة العباسية كان محمود العهد والسيرة محبا للرعية. أنظر ترجمته ومصادره في الأعلام ج 91/7.

وهذا الباب لا يسلم فيه إلاّ رجلان: رجل متين الدّين كريم السجية، واسع الصدر لا يُقَعْقعُ له بالشِّنَانِ[1] (295) كما قال المعتمد بن عباد يخاطب الذين وشوا إليه بابن زيدون:

كذبت مُناكُم صَرِّحُوا أو جَمْجِمُوا (296)
الدّين أمتنُ والسجية أكرَمُ
أأردتم تَضيِيقَ صدرٍ لم يضق
والسُّمْرُ[2] (297) في ثُغَرِ الصدور تُحَطَّمُ/ ص 46
وزحفتم[3] بِمِحالكم (298) لمجرب ما زال يثْبُتُ للمِحال[4] فَيَهْزِمُ
أنّى رجوتُم[5] غذر من جرّبتم منه الوفاء وَجُورَ من لا يظلم
أنا(ذلكم)[6] لا البغي يُثمر غرسُه عندي ولا مَبْنَى[7] الصنيعةِ يُهْدَمُ

ورجل حازم يقطع مواد ذلك. إما بنفي الجنس عن البلد أو بإظهار عقوبة تردعهم. وقد كان ﷺ وشرّف وكرّم، مع كرم خلقه وكمال عصمته، يحتاط عن ذلك فيقول لأصحابه «لا يبلغني أحد منكم عن أحد شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سالم القلب والخاطر» (299) أو كما قال ﷺ.

---

1 — في الأصل «الشنآن» التصحيح من ص و د. جـ «الشاد». 2 — د «والشر». 3 — في الأصل «ورجفتم» التصحيح من ص د خم. 4 — خم «للمال» ص «للمجال». 5 — في الأصل «رجوت» التصحيح من ص. 6 — في الأصل محو أثبت ما في سائر النسخ. 7 — في الأصل «مني» صححت من ص.

---

(295) يقعقع له بالشنان: يضرب لمن لا يتضع لحوادث الدهر ولا يروعه ما لاَ حقيقة له. القاموس ج 72/3

(296) جمجم الكلام: لم يبينه. جمجم شيئا في صدره أي أخفاه ولم يبده.

(297) السمر: الرماح. الثغر ج ثغرة

(298) المحالُ والمحْلُ: المكر والكيد. رومُ الأمر بالحيل. محل به محلا ومحالا: كاده بسعاية الى السلطان

(299) الحديث: «لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا. فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر.» أخرجه أبو داود والترمذي من حديث ابن مسعود وقال غريب من هذا الوجه. انظر المغني بذيل الإحياء ج 2 378

وقول الكتاب : **نحن مسلمون موحدون أقول**: أما هذا فازلنا بحمد الله تعالى عليه، ونقول أن من يطلب الدنيا وينقص فيها أسلم وأسهل مما لو ابتلى الناس بمن يزاحمهم في دينهم ليتركوه أو يبدلوه ولله الحمد والمنة على هذا.

وقول الكتاب: أوما يكفيك ملاّح (300) تعيش به، أو قبيلة تقبض زكاتها أقول: أما الملاح فمن لي به ومن يتركه (لي)[1] ولم أسلم من ألسنة المتعرضين للجزية وأنا في قعر عريشي أستف الرماد، فكيف لو رأوا في يدي[2] ما يطلبون. وأما القبيلة فلا تليق بي فإن المراد أن أتفرغ للعلم، فإن اشتغلت بالخروج إلى القبائل ضاع العلم وجاءت الفتنة تترا (301)، وإن اتخذت أعواناً يكفوني مؤونة ذلك لم يقم ما يحصلون بواجب حقهم، فماذا يحصل لي أنا، وهبني حصلت لي معهم صحيفات من الزرع فأين كيت وكيت؟

وأما قول الكتاب: وهل يستفتونك وأنت في البادية، فأقول: نعم أما أهل البادية فلا يطلبون غيري. وأما أهل الحاضرة فعندهم من يكفيهم، ومن احتاج إلَيَّ فليأتني[3]، وقد قررنا أن الشرع لم يكلف صاحب العلم أن يدخل إلى الحاضرة بل يبقى حيث أمكنه، والله تعالى قد ألزم العامة أن يسألوا مطلقاً فقال: «فاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (302)، فإذا لم يسألوني فالحجة عليهم لا علي. وقوله : **فما يستفتيك أحد وأنت بها**: هذا حكم على الغيب لا يكون إلا بعد النظر ومعرفة أن الأمر كذلك، وهو بحمد الله ليس كذلك. فإن أهل البادية (يستفتون)[4] وأهل الحاضرة أيضاً: ما يوم حليمة بسر (303)

---

1 ـ زيادة من د. 2 ـ في الأصل «أيدي» التصحيح من جـ و د. 3 ـ في الأصل «فليأتنا» صوابه من جـ و خم و ص. 4 ـ زيادة من جـ و ص

---

(300) الملاح: مكان خاص بسكني اليهود، وتؤخذ منهم جزية خاصة تقبضها الدولة

(301) تترا: تاتي بكيفية متواترة.

(302) سبق تخريج الآية.

(303) يضرب مثلا في كل امر متعالم مشهور انظر قصة حليمة في مجمع الأمثال للميداني ج 2

وقول الكتاب: **بوجوه شتى الخ** ... هذه أمور مقدرة في العقل. والأمر في الخارج ليس كذلك. ولو كانت العامة يتبصرون فيمن يستفتون. لكان الناس بخير. ولكنهم الهَمَجُ الرَّعَاعُ لكل/ناعق أتباع [1] يشارطون (304) شابّاً صغيراً من الأفارد[2] (305) لا يحسن الوضوء. فيتخذونه إماماً راتباً (306). ويتداعَوْن إليه في الخصومات. ويستفتونه في النوازل التي تحار فيها العلماء. وذلك تارة قلة مبالاة بأمر الدين. وتارة اعتقاداً أن كل من يقرأ يعرف كل ما يحتاجون. ثم يستحيي أن يقول لا أدري فيفتي أو يحكم بغير علم. فَيَضِلُّ ويُضِلّ نعوذ بالله من الفتن. وهذه حالة أكثر (أهل العمود)[3] فأمثال هؤلاء كيف يتوقفون عليَّ؟ ويقولون لو كان عالماً لكان في الحاضرة وهم يعرفونني ويعرفون حلق المتعلمين والمستفتين[4] حولي من شُبَّ إلى دُبَّ (307)

ص 47

ويرحم الله أمير المؤمنين عليا — كرم الله وجهه — فإنه لما رجع من صفين ووقع التحكيم قال لبعض خواصه: ما يقول الناس؟ قال: يقولون عليّ شجاع ولكن لا معرفة له بالحرب فقال: لله دَرّهم! ومن هو أعرف بها مني؟ فقد خَبِبْتُ[5] (308) فيها وأنا ابن عشرين سنة. ولكن لا رأى لمن لا يطاع. فأنا بحمد الله كان كل هؤلاء وغيرهم يسألونني وأنا ابن عشرين سنة. أفبعد ما لاح

---

1 — د «يتبعون كل ناعق اتباعا» بدل «لكل ناعق اتباع». 2 — في الأصل محو في حرف الفاء فقط تصحيحها من ص «الأفارد». جـ «الأمراد» خم د «الأفراد». 3 — في الأصل «العموم» جـ و ص «أهل العمود» وهي الأنسب 4 — جـ «المستبقين». 5 — خم «خبرت» د «خبتت».

---

(304) المشارطة في البادية المغربية هي ان القبيلة تتكلف بالفقيه ماكلا ومسكنا وتتفق معه على مرتب سنوي يدفع له نقدا او قمحا. ويسمى هؤلاء «الفقهاء» المعلمون «المشارطية» مفرده «المشارطي». وعمله يتلخص فيما يلي: تعلم الصغار المبادئ الأولى للقراءة والكتابة والقرآن. إمامة مسجد القرية وتوضيح الفرائض للعامة والسائلين

(305) الأفارد: ج إفريد لفظ يطلق على الطالب المغربي قديما.

(306) راتب هنا بمعنى دائم عيش راتب: دائم ثابت

(307) اي من شبابي إلى ان دببت على العصا وهو مثل يطلق بمعنى منذ زمن بعيد وحتى الآن

(308) خببت: خب البحر هاج واضطرب. والخبب ايضا ضرب من العدو. وهنا خببت في الحرب اي خضت غمارها وصلت وجلت فيها

الشيب في عارضي ينفون العلم عني بكوني لم أكن في الحاضرة؟ ولقد كنا نضحك أيام كنا بفاس مما يبلغنا عنهم، وذلك أنهم بحمد الله - والتحدث بالنعم شكر، رأوا ما بهر عقولهم علماً وفهماً وفصاحة. فكانوا يقولون: نرى الرجل بربرياً. ثم إذا تكلم (تكلم)[1] بلسان أهل الحاضرة. وكان يبلغنا عن بعض الحمق منهم (أنهم)[2] يقولون ما فاته شيء إلا أنه لم يقرأ بفاس. وهذا كلام جاهل لا يعرف حكمة الله ومشيئته الباهرة. وأنه يخص من شاء بما شاء. ويودع ما شاء أي موضع شاء: «لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ» (309) وما أشبه نزغة (310) هؤلاء (بنزغة)[3] اليهود حيث أنكروا نبوّة نبينا ﷺ، إذ لم يكن من الشام أو من بني اسرائيل. واعلم أني شبهت النزغة بالنزغة لاشتراكهما في الجهل وتحجير رحمة الله الواسعة، فلا يذهب وهمك إلى أني أريد محاكاة نفسي بجانب النبوة، ومثل هذا ما ذكر الشيخ أبو العباس المرسي (311) رضي الله عنه من تشبيه المنكرين لأولياء زمنهم مع تصديقهم بمن مضى، باليهود في إنكار نبوّة نبينا ﷺ. لكونه في زمنهم، وقد صدقوا بمن مضى من الأنبياء. وهو تشبيه صحيح ولا يلزم فيه تشبيه الولي بالنبي. ولا تقل أيضاً لم تشبه المسلمين باليهود؟ لأنا نقول لا عجب فيه. فإن للمسلمين أشباهاً باليهود وبالنصارى والمجوس وبالشياطين كما لهم/أشباه بالملائكة. وقد رأيت في كلام الشيخ تشبيههم باليهود وقال في محل آخر: من

ص 48

1 — زيادة من جميع النسخ. 2 — زيادة من جـ و ص. 3 — زيادة من جـ و ص.

(309) الآية 23 من سورة الأنبياء.

(310) النّزغة ما توسوس به النفس مما يؤدى إلى الفساد والمعاصي

(311) أحمد بن عمر المرسي ابو العباس (616هـ — 686هـ) فقيه متصوف مشهور اصله من الاندلس من مرسية رحل إلى المشرق في سن العشرين أقام بتونس مدة وبها اتصل بأستاذه أبي الحسن الشاذلي ولزمه ورحل معه إلى مصر استقر بالأسكندرية. تبحر في العلوم الدينية وبلغ درجة كبيرة في التصوف أنظر نفح الطيب ج 2: 643 الاعلام ج 1: 179

رأيته من فقراء هذا الزمان، مشتغلا بالسماع (312)، آكلا لأموال الظلمة ففيه نزغة يهودية. فإن الله تعالى يقول في اليهود: «سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ» (313).

وقول الكتاب: أو يقولوا ليس علم الحسن لله وإنما يَخْتِلُ (314) به الدنيا أقول: هذه حجة مقلوبة[1]، فإن الذي يتقرب من أبواب الملوك. بل ومن الحواضر كلها التي هي محل المرتبات هو الذي يمكن أن يقال فيه أنه يطلب الدنيا. فإن تلك الجهة منها يكون للعلم نَفَقٌ[2](315)، ويكون له ثمن وأما البادية فلا. ويقل أن يوجد في تلك الجهة علم يتعاطى لله تعالى. ورب عالم في القرى يعلم ويفتي لله تعالى ويطعم طلبته وربما كساهم، ولا يترقب على ذلك جزاء ولا شكورا إلا من الله تعالى، ويحرث حرثه كما يحرث الناس ويعيش كما يعيشون فهذه التجارة الرابحة.

وقول الكتاب: لا سلامة من الخلق أقول: هذا هو الحق، فالواجب على الإنسان أن يكبّ على ما فيه صلاح دينه ودنياه، ويلغي النظر عن الخلق فإن رضاهم غاية لا تدرك، وطالب ما لا يدرك لا عقل له[3]والسلامة من جانبه

---

1 — خم «مقبولة». 2 — د «نفاق» جـ «سبق» خم «نني». 3 — في الأصل «لأنه» تصحيحه من جميع النسخ.

---

(312) السماع عند الصوفية من المسائل التي تحرك النفس ومن الدواعي إلى رقتها وتهذيبها. ومضمونه الأقوال الشعرية المتضمنة لذكر الهوى وأوصاف المحبين ومواجدهم وأحوالهم التي بلغ بهم إليها الكلف. والمنشدون لهذه الأشعار ربما استعانوا في بعض الاحيان بالآلة الموسيقية لتلطيف الأسرار وتهذيب النفوس. ومن آدابه أن تكون أقواله مما لا تنكره الحشمة ولا يمنع منه الدين. وآلته مما لا تناله خسة العادة. وفي جواز السماع اختلاف بين العلماء والمتصوفة. والمحبذون للسماع يستندون للآيات: «فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله. وأولئك هم أولوا الالباب» وقوله عز وجل: «وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق» عن عوارف المعارف ص 173 وما بعدها. وسوف يتحدث اليوسي باسهاب في الرسالة الغيائية وهي رسالة في التصوف عن هذا الموضوع ويدلى فيه برأيه الخاص.

(313) من الآية 44 سورة المائدة

(314) ختل يخْتِلُ خدع وهنا يطلب الدنيا ويتستر بالعلم فهو يخادع الناس بادعاء العلم

(315) نفق نفاد ورواج.

متعذرة. ويكفي في ذلك قصة لقمان (316) الذي شهد الله له بالحكمة (317) وذلك أنه أراد أن يُري إبناً له هذه المسألة. فأخرجه إلى السوق ومعهما حمار. فجعلا يسوقانه فقال الناس: إثنان يمشيان. والحمار يمشي بظهره. فقال له: اركب. فقالوا: شيخ يمشي على رجله وابنه راكب. فقال له: انزل وركب هو. فقالوا: رجل راكب وابنه صغير يتبعه. فقال له اركب معي. فقالوا: اثنان على حمار هذا جور. وإنما فعل ذلك ليري ابنه أن السلامة منهم لا تكون[1]. فيقصد الإنسان إلى ما هو اللائق بفعله. وأنا[2] كذلك إنما أفعل ما أمكنني في الوقت ولا أبالي فإني إن كنت في القرى[3] فلا أخلو ممن يقول لو كان في المدينة لكان له وكان، ولو دخلت المدينة فسكنت في حجر كحجر الضبّ فإذا دخلت تدافعت أنا والنساء الأجنبيات بالأكتاف. وإن دعاني من يسأل عن مسألة أو يُشَقِّقْ لوحاً (318) جلست معه في الطريق فقيل: «بَالَكُم بالكم» (319) فحينئذ أهرب أتطلب مسجداً، وعسى أن يكون الوقت ضحوة فتجدها كلها مغلقة (320) فإما سافرنا إلى خارج البلدة، وإما دفعته عني بلا قضاء حاجة. فلا بد أن يقال/ما أحوجه إلى هذا الضيق وإن جاءني ضيف دفعته وقلت: لا مثوى. وإن تحرجت من ذلك أفتاني من تمكن في البخل قبلي وقال: ليس على الفقيه من ضيافة، وحينئذ أحطُّ عن ظهري ثقل ما تحمله الكرام، وأنخرط في سلك

ص 49

1 — خم « تمكن ». 2 — في الأصل « فأنا » صوابه من جـ ص 3 — في الأصل « قرى » صوابه من جـ و ص.

(316) لقمان بن باعوراء. عاش إلى مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى قال ابن عباس: لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن راعيا اسود رزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته وحكاها في القرآن وهي من.

(317) قوله تعالى «ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله...» الآيات من 12 إلى 19 من سورة لقمان. اخباره وحكمه متفرقة في الكتب. انظر تفسير القرطبي ج 14: 59 ثمار القلوب ص 97 دائرة المعارف ج 8: 370

(318) أي طلب منه أن يشرح له

(319) صيغة التحذير من «البال» في جمع المخاطب اي «انتباهكم» يرددها في ازقة فاس الضيقة الحمالون الذين ينقلون السلع على ظهور الدواب

(320) تغلق المساجد ابوابها في المغرب بعد صلاة الصبح عند الإنتهاء من قراءة الحزب ولا تفتح إلا بعد الضحى.

اللئام نعوذ بالله من الانحطاط. ولقد كنت باسطت (321) رجلا من أهل الحاضرة رأيت له فهماً فقلت: ما الذي أوجب تقصيركم في الضيافة فقال: لو لم يكن إلاّ تعذر منزل الضيف لكان كافياً. فقلت: والكريم يعطي المال إذا تعذر الإنزال. فلو كان لكم كرم لظهر في السوق بإعطاء الفلوس فقال: لمَّا كانَ الضَّيْقُ نُسي الضيف فاستمر الحال حتى عم البخل في الطعام وغيره. فقلت له صدقت. فهذا من أعظم عيوب الحاضرة. وأما السلطان فلا سلامة له أيضاً. فإن كلفني الحاضرة وأنزلني إليها قصداً قال الناس: قد ظلمه وتعدى عليه. وهيهات كان العلماء يحترمون ويكرمون واليوم يظلمون. وإن تركني فربما قال قائل: لو كان عنده من الإحسان والعطايا ما عند من قبله لاجتمع العلماء عليه. فالذي يخرجه من القول أن يبسط الخير. وحينئذ تأتيه العلماء طوعاً ومن تخلف منهم فلا عيب به.

وقول الكتاب: أو ما تعرف إلا أن تتورع وتقول لا آكل لحرام إلى قوله وأي فرق بين ما نعطيه وما يعطيه أخونا الرشيد أقول: ما ذكرت لأحد قط أني أتورع ولا أني لا آكل الحرام، فإن نقله أحد عني. فليخرج قدامي. وإن كان ظنّاً فالله تعالى يقول: «إِنَّ بَعْضَ الظَّنِ إِثْمٌ» (322). والفرق بين ما يعطى اليوم وبين ما يعطيه مولانا الرشيد أن ذاك موجود وهذا غير موجود لا فرق بينهما غير ذلك. وإلا. فمتى أعطانا السلطان اليوم عطاء فرددناه عليه وقلنا لا نأكل الحرام؟

نعم. كنت في الأول مُتَشَوِّفاً. واليوم لا أتشوف. ووجه ذلك أني كنت إذ ذاك في شباب وصحة. قَوِيّاً على التدريس. وكنت في المدينة لا حرث لي ولا معاش. فعلمت أن لي حقاً في بيت المال بما يجرى الله على يدي[1] من النفع مع وجود الحاجة. واليوم قد جاء الضعف. وتوالي الأمراض. وخفت الحاجة حين نكون في البادية فإنّا نكتفي بالميسور. فغيرى اليوم ممن هو بالحاضرة أولى وأشد حاجة بالعطاء.

---

1 — خم «يده»

---

(321) مازحت

(322) من الآية 12 سورة الحجرات مدنية

ص 50 **وأما قول الكتاب: أي موضع/تقطع السبل وتنهب فيه القوافل إلا تلك المواطن (323) الخ...** أقول: أما رعية السلطان فليس فيها من يرفع يده إلى رأسه لا من أهل البلاد ولا من أهل ملوية. وأما قطع الطريق. فإنما كان في آيت عطا (324) وذلك ديدانهم [1] من قديم الزمان: شِنْشِنَةٌ أعْرِفها من أَخْزَمٍ [2] (325) وما تركوا ذلك قط. ولا دخلوا في الطاعة دخول غيرهم. وإنما يخادعون [3] (326) تارة على التمر. وتارة على الزرع. وسراياهم سارية (في كل أرض) [4] من هاهنا إلى درعة لا في هذه الأرض وحدها. وما تحركوا هنا حتى قضوا الغرض في الصحراء فقتلوا الفقراء «أولاد من لايخاف» (327) خارج النخل. واستباحوا تلك البلد كلها كما بلغكم. فلا يسافر أحد إلا على خطر وكم أغنام نهبت لأهل الرتب (328) وغيرهم وكم قافلة وكم جريح وكم قتيل. وأما هذه البلاد (329) فلم يتحركوا (330) فيها إلا نحو ثلاث مرات أو أربع في ناحية هذه القبيلات الضعاف [5] الذين لم يعرفوا قط بمنعة [6] ولا نجدة. أيام

---

1 — خم «دأبهم». 2 — في الأصل «أخدم» التصحيح من بقية النسخ. 3 — في الأصل «يخذعون» صوابه من جـ و ص. 4 — زيادة من جـ و ص. 5 — جـ «الأضعاف». 6 — في الأصل «منعه» زيادة الباء في جـ خم د ص.

---

(323) يفهم من جواب اليوسي ان الكلام ربما عني به قبائل البربر خصوصا منها قبائل ملوية من ايت يوسي وايت شغروشن وايت علاهم وايت حيون التي غزاها إسماعيل زمن تحرير هذه الرسالة سنة ست وتسعين والف انظر الاستقصا ج 7 ص 68

(324) ايت عطا من برابرة الصحراء. عرفت بالعدوان والغلبة والخروج عن الطاعة انظر الاستقصا ج 7 60 ج 9 67

(325) شنشنة اعرفها من اخزم: الشنشنة الطبيعة والعادة. اخزم بن ابي اخزم الطائي انظر خبره في مجمع الامثال ج 1 375

(326) خادعه الحق به امكروه من حيث لا يعلم

(327) اولاد من لايخاف اصحاب زاوية من زوايا الصحراء

(328) اهل الرتب الذي يجمعون ضريبة الترتيب المضروبة على الفلاحين.

(329) اظنه يعني مواطن القبائل البربرية المجاورة للزاوية الدلائية حيث يوجد حين تحرير هذه الرسالة

(330) اظن الضمير يعود على ايت عطا.

كانت لهم العدة والخيل. فكيف اليوم وهم عزل محاويج لا طاقة لهم على دفاع ولا امتناع. وليس هؤلاء المحاربون كالسباع. فإن السبع يختل الماشية في الغابة معها صبية[1]. فإذا صاحت الصبية هرب. ولا ترى قط سباعاً تتقدم إلى الأحياء لتأكل أموالها وتفترس رجالها. وأما هؤلاء فيتقدمون بالعساكر. ويتنزلون للطعن[2] والضرب. ولو كانوا يتحركون نهاراً لأمكنت الناس مدافعتهم ولكن يكمنون[3] في قنة الجبل حيث لا يعثر عليهم راع ولا صياد. فإذا أليلوا نزلوا. فلو تقدموا إلى دوار أو أكثر لامتحقوهم نهباً[4] وقتلاً. فإن الدوار تكون فيه أربعون رجلا بين قوي وضعيف وشيخ هرم بلا سلاح. وهؤلاء يأتون بالستين والسبعين وأكثر وأقل. كلهم رماة يقفزون في الهواء ويتضاعفون بالرعب. فهذه القبائل تبقى في حيرة عظيمة إنْ هَرِبُوا وَجَلَوْا عن بلادهم. ضاعوا وضاعت المطالب السلطانية. ثم لا يُترَكون لذلك. وإن بقوا فإن عقدوا مع هؤلاء الظُّلام هدنة إلى أمد ما. أنكر الخدام ذلك وسعوا به إلى السلطان وأنهم اتفقوا مع البغاة فيأمر بعقوبتهم. وإن بقوا بلا شيء أهلكهم اللصوص. فينهبون كل ليلة دواراً. فلا بد للسلطان أن ينظر في أمرهم كيف يصلح. فإنهم رعيته. وهذا الكلام لا مدخل لنا فيه وإنما ذكرناه حيث ذكر في الكتاب تبصرة ونصحاً للسلطان/ونصحاً للرعية والله المستعان. ‏51 ب

وأما قول الكتاب: صدق الصادق المصدوق إلى قوله في البربر لا يجاوز إيمانهم تراقيهم فأقول: هذا بعض معنى الحديث الذي في الصحيح: «وأنه يأتي

---

1 — د «ظبية». 2 — في الأصل «الطعن» صوابه من د. جـ. ص 3 — خم «يكونون».
4 — خم «نسبا».

في آخر الزمان قوم حدثان الأسنان سفهاء الأحلام» (331) الخ قد اتفق السلف والخلف فيما علمنا أن الحديث خرج في الخوارج ولم يعرف[1] منهم إلا الذين خرجوا عن علي كرم الله وجهه يوم التحكيم وصار منهم الشُّراةُ[2] والصفرية وسائر النحل[3] واستمرت[4] شوكتهم إلى أن انحسمت في خلافة عبد الملك بن مروان على يد المهلب بن أبي صفرة (332) وأولئك كلهم عرب وليس فيهم بربري واحد. ولا يجوز التحدث عن النبي ﷺ بغير سند معتبر.

وقول الكتاب: **فأراك رجلا بربرياً فأقول**: نعم هو ذاك في الظاهر. والأصل يعلمه الله. فإن اتقيت الله تعالى لم يحططني نسب. فإن نسب الإنسان طينه وحسبه دينه «أنتم بنو آدم وآدم من تراب» (333) «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (334)

---

1 — في الأصل «يعلم» صوابه من جميع النسخ. 2 — جـ «التراث والصفية» خم «الشداة والصفوية» د أسقط الجملة. 3 — في الأصل العمل صححت بما يناسب السياق. ص «العقد». 4 — خم «واشتهرت».

---

(331) هذا الحديث اخرجه البخاري عن علي بن ابي طالب في «علامات النبوة» «وفضائل القرآن» مع اختلاف في الزيادة والنقص في المتن والسند ونصه التام الذي في علامات النبوة: قال علي رضي الله عنه إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخر من السماء احب إلي من ان اكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة سمعت رسول ﷺ يقول: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثان الاسنان سفهاء الاحلام. يقولون من خير البرية يمرقون من الإسلام كما مرق السهم من الرمية. لا يجاوز إيمانهم حناجرهم. فاينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم اجر لمن قتلهم يوم القيامة. انظر إرشاد الساري ج 6 59 — 60 ثم ج 7/486

(332) المهلب بن ابي صفرة ظالم بن سراق ابو سعيد (7هـ — 83هـ) نشا بالبصرة قدم المدينة في ايام عمر ولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير ثم انتدب لقتال الازارقة. فاقام يحاربهم تسعة عشر عاما واخيرا تم له الظفر بهم ثم ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان. انظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 8/260

(333) من خطبته ﷺ يوم فتح مكة «...يامعشر قريش إن الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم خلق من تراب. ثم تلا الآية: ياأيها الناس انا خلقناكم. انظر اعجاز القرآن للباقلاني ص 132 تحقيق احمد صقر.

(334) من الآية 13 سورة الحجرات مدنية

إلى عرق الثَّرى وشَجَتْ عروقي　　وهذا الموت يسلبني ثيابي(335)

وإن أريد الغدر والوفاء. والخبث والصفاء. فالناس فيه معادن، وقد يوجد فيه من الوفاء عند العجم ما لا يوجد عند العرب اليوم، والتجربة قاضية بذلك

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا(336)

فبالله، لو لم تكن الاعراب الغربية[1] (337) ساكنة في مجال الخيل والبحر من ورائها هل تذعن ذلك الإذعان وقد عرفت حميتها[2] ولا سيما عند استخفاف[3] الدول فكم من عصا شقوا، وكم من ذي أمر اغتالوا. وأما البربر فإنما يغترون[4] أحيانا بالجبال المنيعة، كما يغتر أعراب الصحراء بالمهامه:

فالعُرْبُ منه مع الكُدْرِيِّ طائرة　　والروم طائرة منه مع الحَجَلِ(338)

---

1 — في الأصل «العربية» التصحيح من جـ و ص. 2 — جـ ص «حيلتها». 3 — جـ خـم «استحقاق». 4 — د جـ «يعتزون».

---

(335) البيت للشاعر امرئ القيس من قصيدة له مطلعها:

اراك موضعين لامر غيب　　ونسحر بالطعام وبالشراب

ورواية البيت الذي في النص جاءت في الديوان كما يلي:

إلى عرق الثرى وشجت عروقي　　وهذا الموت يسلبني شبابي

عرق الثرى: آدم اصل البشر. وشجت عروقي: اي اشتبكت واتصلت. انظر ديوان امرئ القيس تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ص 97 — 98.

(336) البيت ينسب لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب كان شاعرا مجيدا. والبيت من قصيدة له قالها في الحسن بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس. انظر الاغاني ج 11 72. ثمار القلوب ص 261. كتاب الحيوان ج 3 488 ويقول فيه وهو قريب من قول الروح ابو همام:

وعين السخط تبصر كل عيب　　وعين اخي الرضا عن ذاك تعمى

(337) الاعراب الغربية: التي تسكن غرب المغرب في السهول

(338) البيت لابي الطيب المتنبي من قصيدة له في مدح سيف الدولة مطلعها:

أجاب دمعي وما الداعي سوَى طلل　　دعاه فلباه قبل الركب والإبل

الكُدري　ضرب من القطا وهو طير السهل. الحجل　طائر في حجم الحمام وهو يعيش في الجبال.

فالعرب بلادها المفاوز والصحاري. والروم بلادها الجبال. يقول: العرب تفر من بطش سيف الدولة مع القطا في الفلوات. والروم تفر منه مع الحجل في جبالها. انظر ديوان المتنبي تحقيق عبد الرحمان البرقوقي ج 3 198 — 207.

ولم تزل الجبال معاقل اللآئذين بها من القهر. قال الأعرابي (339)

أَعْرُوا عن الناقة الحمراء رحلكم
والجمل الأصهب المصنوع فاصطنعوا[1]

وقال النابغة: (340)

وحلَّتْ بيوتي في يَفَاعٍ[2] مُمَنَّع   تخال به راعي الحمولة طائرا

إلى أن قال:

حِذَاراً على أن لا تُنَال مقادتي   ولا نِسوتي حتى يمتن حرائرا

وقال امرؤ القيس:

كأني إذا نزلتُ على «المُعَلَّى»   نزلت على البواذخ من شَمَام (341)
فما مَلكُ العراق على المعلى   بمقتدر ولا ملك الشآم(342)
أقَرَّ حَشَى امرِئ القيس بن حجر   بنو تيمٍ[3] مصابيح الظلام(343)

52

---

1 — في الأصل «للصنوع» «فاصطعنوا» صححت من النسخ الأخرى. 2 — في الأصل «يماع» صوابه من خم جـ ص 3 — د «بنو تميم».

---

(339) وقفت على هذه الأبيات في «امالي» القالي ص 7 على هذا النحو
حلوا عن الناقة الحمراء ارحلكم   والبازل الاصهب المعقول فاصطنعوا
ونسبه إلى رجل من تيم كان اسيرا فكتب به إلى قومه

(340) من قصيدة للنابغة مطلعها:
كتمت ليلا بالحمومين ساهرا   وهمين هما مستكنا وظاهرا
اليفاع: مرتفع مشرف يحسب الذي به يرعى الإبل طائرا لارتفاعه. المقادة: الغلبة: انظر الديوان ص 133 تحقيق الدكتور شكري فيصل.

(341) هذا مطلع قصيدة لامرئ القيس في مدح المعلَى أحد بني تَمِم وكان أجاره والمنذر بن ماء السماء يطلبه فمنعه ووفى له (ديوان امرئ القيس ص 140) البواذخ ج باذخ وهو الشامخ العالي يقول نزولي على المعلَى لامتناعي به وتحصني كنزولي على أعلى الجبال.

(342) قوله ملك العراق يعني النعمان بن المنذر. وأباه المنذر بن ماء السماء وملك الشام هو الحارث بن أبي شمر وهو من ملوك غسان.

(343) يعني أنه أمن فيهم واطمأنت نفسه. ولم تضطرب أحشاؤه فزعاً بنو تيم هم رهط المعلى قوله مصابيح الظلام مدحا لهم لشهرتهم وكرمهم وفضلهم

وقال ابن الزبير الأسدي: (344)

تخَيَّر فإما أن تزور ابن ضابئٍ(345) عُميراً[1] وإما أن تزور المُهَلَّبا(346)
هما خطتا خسف نجاؤك منهما ركوبك حَوليّاً من الثلج أصهبا

وقال أيضا:

أبتْ أجني[2]أن تُسلِمَ العُدْمَ جَارها فمن شاء فلينهض لها من مقاتل

وأول ناكث في هذه الأمة العرب، فإنهم بفور ما سمعوا بوفاة النبي ﷺ ارتدوا ومنعوا الزكاة، وهذا مع النبي ﷺ ووجود خليفته الذي لم تطلع الشمس ولا غربت بعد الأنبياء على مثله، فكيف بغيره. ولا أقول هذا اهتضاماً للعرب وتفضيلا لغيرهم كلا، بل الناس كلهم في هذا المعنى أبناء طبع واحد مَجْبُولُون على التأدي بمن يتحكم عليهم أو يقهرهم [3] أو يطلب منهم دنياهم، وقد قال الله تعالى في حقِ نبيه الذي هو رحمة للعالمين، القائم بالعدل والهدى والدّين: «وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ، إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ» (347). فكل من يسأل الناس أموالهم بالقهر لابد أن يبغضوه[4]وإن كان بغير قهر فلا بد مع التكرار أن يملوه كما قال زهير:

---

1 — في الأصل «عيرا» صوابه من جـ د ص خم «عسيرا» 2 — كذا في الأصل. د «أجلي» جـ «أجيئ». 3 — في الأصل «يغيرهم» التصحيح من جـ و ص 4 — خم «ينقضوه».

---

(344) عبد الله بن الزبير بن الأشم الأسدي (... — 75هـ) من شعراء الدولة الاموية ومن المتعصبين لها انظر أخباره في الأغاني ج 14/245 تحقيق احسان عباس اثبت القطعة الي من أبيات النص ومطلعها:

أقول لابـراهم لما لـقـيـتـه ارى الأمر امسى واهيا متشعبا

(345) عمير بن ضابئ من أهل الكوفة رفس عثمان وهو مقتول لأنه سجن والده ضابئ حتى مات. فقتله الحجاج انظر الاغاني 14/244.

(346) المهلب بن ابي صفرة كان على قتال الخوارج وقد سبقت ترجمته. الخسف: الذل. الحولي: ما اتى عليه حول.

(347) الآيتان 37 — 38 سورة محمد مدنية

ومن لم يزل يستحمل الناس نفسه
ولا يغنيها يوما من الدهر يُسْأَمِ (348)

وقال غيره:

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا
إذا قيل هاتوا أن يَمَلُّوا ويَمْنعوا (349)

والملوك لا ينبغي أن يهملوا هذا الأمر. بل ينبغي أن يكونوا أعرف الناس به. فيعذرون الناس ويكتفون منهم بالطاعة الظاهرة كما تقدم في كلام المهدي. ولا يكلفونهم المحبة والإذعان الباطني. فإن هذا أمر ليس في طوقهم. والله تعالى الذي هو ملك الملوك وله تحق الطاعة والعبادة. وهو العالم بذات الصدور. لم يكلفنا ما لا نطيق. قال الله تعالى: «لا يكلف الله نَفساً إلا وُسْعها»(350) ولم يكلفنا أن نفعل طاعة بطريق المحبة. فلا يلزمنا أن نصلي ولا أن نصوم أو نحج محبة، بل من فعل ذلك مع المحبة كان من المقربين. ومن جاهد نفسه وراغمها خوفاً من الله تعالى، فالله تعالى يُثِيبُه ويدخله جنته رحمة منه. مع اطلاعه على ما في قلبه وأنه لم يعبد إلا خوفاً من النار وطمعاً في الجنة. فكيف يمكن للعبد أن يكلف عبداً مثله ما لا يطيق من المحبة[1] حتَّى إنه يظل الغواة المتحذلقون[2] 53 بين/يدي الملوك نهارهم يقولون: فلان يحبك يامولاي وفلان

---

1 — خم «المحنة» د «الجنة». 2 — خم «المتخذون» جـ أسقط الكلمة. د «المتخذ».

---

(348) في الديوان
ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه ولم يغنها يوما من الناس يسام
وعلق الشارح وروى الاصمعي: ولم يغنها يوما من الدهر يسام
وهناك رواية اخرى:
ومن لا يزل يسترحل الناس نفسه ولم يعفها يوما من الذل يندم
شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ص 32 تحقيق الإمام ابو العباس احمد بن يحيى الشيباني
(349) هذا البيت انشده ثعلب في «أماليه» عن ابن الاعرابي ولم ينسبه لأحد وقبله:
ابا مالك لا تسال الناس والتمس بكفيك فضل الله والله واسع
تاج العروس الجزء 191/7 مادة «وشك»
(350) الآية 285 سورة البقرة مدنية.

يبغض[1] وذَوُوا فلان لولا السيف لم يخدموا. وذووا فلان لولا مايطمعون من كذا لم يخدموا. وذووا فلان هم المحبون المخلصون. يحبونك يامولاي طوعاً. فهذه كلها زخارف من القول يضحك منها العقل. وعقلاء الملوك لا يلتفتون لمثل هذا لمعرفتهم بالحقائق التي قررناها. فالناس إنما يخدمون الملوك خوفاً أو طمعاً. وذلك الخوف يغني عن المحبة. بل سوطه[2] أقوى. ولذلك لما سجن الحجاج القبَعْثَرَى (351) وكان من البلغاء. قال الحجاجْ ذات يوم. اليوم يكذب القبعثريَّ. عليَّ به فأُخْرِجَ من السجن فإذا هو صالح الجسم[3] فقال له قد سمنت ياقبعثري. فقال: القيد والرتعة (352) ومن يكن ضيف الأمير يسمن. ثم قال له أتحبني ياقبعثري وقدر الحجاج في فكره أنه يقول: نعم خوفاً فيكذب فقال القبعثري أو فرق خير من حب (353) يريد إني لا يخلو حالي من أن أحبك أو أفرق أي أخاف منك والخوف خير من حبي. وأتى بأو الإبهامية (354) فصدق. اذ لا يخلو عن واحد من الأمرين. والسلطان كذلك الفَرَقُ منه خير من حبه. ولذلك قيل في المثل: رهبوت خير من رحموت (355) فلو سمع السلطان

---

1 — في الأصل « بغيض » صوابه من جـ و ص خم « يبغضك » د « ينقض ». 2 — خم « شرطه ».
3 — جـ اسقاط الجملة: « قال الحجاج — صالح الجسم ».

---

(351) لم أقف له على ترجمة

(352) المثل: القيد والرتعة قاله عمر بن الصعق وكانت قبيلة من همدان اسرته فلما وصل إلى قومه قالوا اي عمروخرجت من عندنا نحيفا وانت اليوم بادن فقال القيد والرتعة اي الحصب ولا يعدم شيئا يريده (القاموس)

(353) يقال في المثل فرق خير من حب اي ان يهاب خير من ان يحب الميداني ج 1 300

(354) «أو» يكون في أغلب استعمالاته عاطفا فيعطف المفردات والحمل ولهذا الحرف معان واردة قياسية تحددها السياق وحده: فمن معانيه :—

— الإباحة والتخيير تابع هذه الدراسة او تلك

— الشك : قضيت هنا ساعة أو ساعتين

— الإبهام من المتكلم إلى المخاطب شرط أن يكون قبله جملة خبرية وهو ما أشار إليه اليوسي في النص.

ومن معانيه التفصيل بعد الإجمال والإضراب ومعنى الواو.

(355) أي لأن ترهب خير من أن ترحم الميداني ج 300/1.

أحداً يتكلم بما يقتضي بغضاً أو تبرماً بالدولة أو يفعل ذلك. ورفع إليه ذلك. فلا ينبغي أن يعاقبه لأنه يعلم أن الناس كلهم أو جلهم كذلك. نعم من أعلى ذلك أفشاه في الناس فهو يستحق. والناس متحببون[1] ومضطرون للحب رغبة ورهبة. فلا يدل قربهم ولا خدمتهم. ولا تأدبهم. ولا تملقهم على المحبة المطلوبة كما لا يدل البعد والتجافي على البغض المحذور. فالناس أبناء حاجاتهم. فلا فرق بين متقرب لطلب حاجته ومتباعد لعدم طلبها. بل ولا من أَحَبَّ لِأَجل الحاجة. ومن لم يحب لعدمها والله الموفق.

ومن أراد محبة الناس فليزرعها فيهم «بالعدل والإحسان» (356) كما قال الله تعالى. وقد «جلبت القلوب على حب من أحسن إليها» الحديث (357).

وأما قول الكتاب: وعرض عليك القضاء فأبيت وهربت لتدريس العلم فاشترط عليك بفاس فأقول: ليس كذلك وقع. والخائضون في القيل[2] والقال يكذبون. وما ينبغي التكلم ولا سيما في مجالس أولى الأمر إلَّا بعد التثبت وفي الحديث: «حسب الرجل من الكذب أن يحدث بكل ما سمع» (358) أو كما قال ﷺ. وإنما صورة القضية أنه وقع تشاجر بين القاضي والمفتي بين يديه فعزلهما معاً وأنا غائب عن ذلك المجلس. فلما وقع/ذلك تكلم في شأني وسأل الحاضرين هل أقبل الفتوى والقضاء فقال الحاضرون كسيدي عبد المالك (359). أما القضاء فلا يقبله بوجه ولا بحال. وأما الفتوى فليس فيها

54

1 — في الأصل «يتحببون» صوابه من جميع النسخ 2 — في الأصل «القول» صوابه من جـ و ص.

(356) تضمين لجزء من الآية الكريمة 90 سورة النحل

(357) سبق تخريج هذا الحديث

(358) الحديث: كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع رواه مسلم من حديث ابي هريرة. انظر مشكاة المصابيح ج 1 : 55.

(359) هو عبد المالك التجمعي ابو مروان (-1118هـ) كان إماما محدثا خطيبا ولي قضاء سجلماسة كانت له وجاهة عند السلطان. وكانت له منازعات علمية مع اليوسي خصوصا في موضوع العلم النبوي انظر اخباره في الدر المنضد الفاخر مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم د 1584 ونشر المثاني ج 2 وفهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 184.

مضرة. إنما فيها زيادة علم. فلما حضرت من الغد. خاطبني بكلام لطيف وقال يافلان هل تقوم لنا بهذه الفتوى؟ فاعتذرت له بنوازل قد ألقت برأسي[1] تمنعني من كثرة السهر والمطالعة. فأمسك ولم يزد. ولم أهرب له للتدريس. ولا شرطه عليَّ في فاس ولا غيرها. ولا أسمعني كلمة موحشة. على أنه لو شرط التدريس بفاس لم يلزم. فإن كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل. شرط الله أحسن وأوثق. وما يُذْكَرُ عن بعض الفقهاء من أن جميع فروض الكفاية تتعين بتعيّن الإمام. لا يصح التعلق به في هذا المحل لوجهين: **أحدهما** أن ذلك مشروط بالصلاحية والإمكان كما هو شأن سائر التكاليف. والإمكان في مسألتنا أن يكون المدرس مكفي[2] المؤونات من بيت المال مسكناً ومأكلاً ومشرباً وملبساً وغير ذلك في نفسه. وفيمن تعلق به ليتأتى تفرغه للنظر والإملاء. وهذا كان منه شيءٌ في حياة السلطان المذكور. فلما مات انقطع البتة. **الثاني**: أن يُنْظَرَ أي شيءٌ هنا هو فرض الكفاية. فإن القيام بالعلم الذي هو المطلوب في الجملة. إما أن يكون بمجرد الإخبار بالأحكام الشرعية وهو الفتوى. فقد قام به المنصوب للفتوى. وأما أن يكون بالإخبار بذلك على وجه الإلزام. وهو القضاء. فقد قام به القضاة. وتبقى صورتان الأولى: تعلم العلم وتجديده ليتصل سنده ولا ينقطع. الثانية: تقرير قواعده ومسائله والتخلص من إشكال المُشْكِل من ذلك على قدر الطاقة. وكلتاهما تحصل بالتدريس المعهود بالسؤال والجواب. والتصنيف. فلا يتعين التدريس للفرضية الكفائية اذ هو واحد من أشياء لا بعينه. فتعينه بالشرطية شرط باطل.

وقد علم من أحوال الأئمة كما ذكرنا في غير هذا المحل أن منهم من كان دأبه الاشتغال بالتصنيف دون التدريس. وعلم في عصر الصحابة إنه لم يكن هذا التدريس المعهود ولا التأليف. وإنما هو السؤال والجواب. والخطبة والموعظة ونحو ذلك من ضروب لإرشاد. ثم مع هذا كله التقييد بالمحل المخصوص ليس داخلا في مفهوم الفرض الكفائي قطعاً. فإن المراد هنا أن كل قطر يشق الوصول منه إلى غيره/كقطر الغرب مثلا. لابد أن يكون فيه من يقوم بهذا الشأن. وليكن

ص 55

---

1 — د «القيت». 2 — في الأصل «يكفي».

في أي موضع كان. إما في مصر أو قرية أو بادية عمود. أو جزيرة في البحر فمن أراده ركب إليه. ومن أراد أن يعين ذلك بفاس أو في موضع آخر مثلا فقد أخطأ. وإن شَرَطَهُ فشرطه باطل. ولاسيما في مسألتنا[1] (فانه)[2] لا يشتغل بها إلا خصوص الناس. وفيها تضرب أكباد الإبل. أما المنتصب لفتوى العامة في الأحكام الشرعية. فالأفضل له أن يكون بين ظهرانيهم بحيث يصل إليه المسكين والضعيف. والشيخ الهرم والعجوز. وهو من باب الرفق والإحسان بالناس. وهو محبوب شرعاً مع الإمكان. وكذا العالم على الجملة ينبغي له ذلك مع الإمكان[3] وإن لم يجب. ولكن لا يختص ذلك بالحاضرة. فإن أهل البادية أحوج. فـ : «الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرا ونفَاقا. وأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُود مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رسُولِهِ» (360) فالاعتناء بهم أهم. وإن منهم من يكون التعليم في حقه كأنه تبليغ الدعوة من أهلها. فيعظم أجر القائم به. وبالجملة فالحاضرة لا تتعين للاستقرار لا في صاحب الفتاوى. ولا صاحب التدريس. **أما الأول** فَلِتَعَلُّقِ عامة الناس به لا أهل الحاضرة فقط. **وأما الثاني**: فكذلك وإن روعي أن المشتغلين به في الحاضرة بحسب العادة أكثر فلا يضر. لأن شأن العلم الرحلة. فقل أن يظفر به من لم يرحل إليه . والله المستعان. وأما وجوب التعليم على العالم على ما ذكره الشيخ أبو حامد في «الإحياء» من أنه يجب على العالم أن يعلم من حوله ثم ينتقل إلى من ورائهم وهكذا حتى لا يبقى على وجه الأرض جاهل بدينه. فهذا أمر متعذر متعطل كما تعطلت أمور دينية لتعذر أسبابها. وما أظن أن أحداً قط اشتغل به ولقد ذاكرت به بعض أشياخنا رحمهم الله. فجنح إلى الاعتذار بتعذر ذلك من عدم الاستطاعة حتى في القوت[4] فإن العالم محتاج إلى كفاية تكون معه. وإلا تعلق بالناس فوضع في كلفة أو شبهة وأنا أقول: إنه متعذر من كل جهة. فإنه لو اشتغل به أحد اليوم لاتهمه أهل الرياسة بطلب الدنيا وطلب الظهور فيها. فرموه بكل عظيمة.

---

(360) الآية 98 سورة التوبة مدنية

وقد رأينا اليوم صاحب العلم يبتلى منهم (بالإذاية)[1] وهو جالس بيته على مجرد حضور من يسأله أو يشاوره في دينه. فكيف لو خرج إلى الناس وجعل يستقرئ القرى والقبائل. ولابد إذ ذاك من أن يعظم ويجزى ويبجل/ويكرم 56 ب وذلك مطلوب شرعاً. فإن من علمك من القرآن حرفاً فهو مولاك. والمولى مخدوم. ولأن المكافأة لازمة فقد قال ﷺ: «من أسدى إليكم معروفا فكافئوه» (361) وأي معروف أعظم من فائدة دينية يعرف بها ربه أو يقرب بها من الجنة أو يبعد بها من النار. فلو خدمه[2] عمر الدنيا ما أدى شيئا من حقه. فإذا أكرم واتبع فكيف يكون حاله مع أبناء الدنيا الغيارين عليها أشد من غيرة النساء على الرجال. والرجال على النساء. الظانين بكل واحد ما في قلوبهم من حب الدنيا والكدح لها. نعم قد يكون بعض ذلك أحياناً بمعونة أهل الأمر المنتبهين[3] إلى الخير أو غيرهم من أهل الدّين كعبد الله بن مسعود (362) حين بعثه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنها لأهل العراق. وكلسان الأمة القاضي أبي بكر

---

1 — زيادة من جـ. 2 — في الأصل «خدم» صوابه من جـ و ص. 3 — د «المنتصبين».

---

(361) جزء من حديث اخرجه البيهي عن ابن عمر: «من استعاذكم بالله فاعيذوه. ومن سالكم بالله فاعطوه ومن اسدى اليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له» انظر انغي بذيل الاحياء ج 1 223

(362) عبد الله بن مسعود ابو عبد الرحمان الهذلي (32هـ) صحابي من اكابرهم فضلا وعقلا وقربا من رسول الله ﷺ من اهل مكة ومن السابقين للإسلام كان خادم رسول الله وصاحب سره ورفيقه في حله وترحاله وغزواته ولي بعد وفاة النبي ﷺ مال بيت الكوفة. انظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 4 280.

الباقلاني (363) حين بعثه صاحب وقته (364) إلى الروم ليناظرهم. وكالفقيه عبد الله بن ياسين (365) حين بعثه شيخه واجاج ابن زلو (366) عن إشارة شيخه أبي عمران الفاسي (367) إلى أعراب الصحراء فعلمهم ونفعهم الله به. فخرجوا من الجهل المفرط وضياع الدين. فصاروا متعبدين مجتهدين مرابطين مجاهدين. حماة الإسلام وأهله. وهذا أيضاً كما تراه غير مختص بالحواضر بل هو في البوادي أوكد وأفيد. وأما الحواضر فهي غالباً مكتفية بمن فيها من طلبة العلم ولا تخلو غالبا عن ذلك والله المستعان.

وقول الكتاب: **نحن بالله وشريعة الله معك (368) اقول**: أنا الذي أقول هذا وأطلبه لو أجده. وأما السلطان اليوم ففي يده الشريعة وغيرها فما شاء فعل فيّ وفي غيري شرعاً كان أو غيره. إن سبق به القضاء وأما أنا فلو وجدت شريعة

---

(363) القاضي ابو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (338هـ/403هـ) من كبار علماء الكلام على مذهب أهل السنة. انتهت إليه رئاسة المالكيين بالعراق. كان جيد الاستنباط. سريع الجواب. صنف كتبا كثيرة منها «اعجاز القرآن» مطبوع «والإنصاف» مطبوع وغيرها. أنظر أخباره في تاريخ بغداد ج 379/5. وفي وفيات الأعيان ج 481/1. وشجرة النور الزكية ص 92 الأعلام ج 46/7.

(364) وجهه عضد الدولة العباسي سفيرا عنه إلى ملك الروم فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. أنظر مقدمة كتاب «اعجاز القرآن» للباقلاني تحقيق أحمد صقر سلسلة ذخائر العرب طبعة دار المعارف.

(365) عبد الله بن ياسين الجزولي (...هـ/451هـ) من حذاق طلبة واجاج بمدينة نفيس ومن أهل الدين والورع والسياسة مشاركا في العلوم خرج مع يحي بن ابراهيم الكدالي إلى قبائل كدالة ولمتونة بالصحراء فشرع يعلمهم ويقيم بهم رسم الدين حتى ظهر واسس دولة المرابطين. أنظر الاستقصا ج 7/2 — 19

(366) واجاج بن زلو اللمطي (388 هـ؟) من اهل السوس الأقصى رجل إلى القيروان وأخذ عن ابي عمران الفاسي ثم عاد إلى السوس بمدينة نفيس وبنى بها دارا سماها دار المرابطين لطلبة العلم وقراء القرآن وكان المصامدة يزورنه ويتبركون بدعائه وهو أستاذ عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين الاستقصا ج 7/2

(367) موسى بن عيسى بن ابي حجاج الغفجومي ابو عمران الفاسي (367هـ — 430هـ) شيخ المالكية بالقيروان نسبه إلى غفجوم فخذ من زناتة. وأصله من فاس. زار الأندلس والمشرق وصنف «التعاليق على المدونة» ولم يكمله و «الفهرست» أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 278/8.

(368) تركيب ماخوذ من العربية الدارجة المغربية ويقال عند الخصام إذا أراد أحد الخصمين ان يبرئ مذمته. (حقه وحرمته)

الله لم احتج إلى شيْ من هذا الكلام. فوالله ما أعلم حداً[1] أتيته ثابتاً عند السلطان. فيطالبي بإقامتِهِ عليَّ. ولا جناية على أحد في مال ولا نفس. ولا أَنا عبد آبق ولَارام ؟ ولا فارس هربت براتب السلطان ولا عامل يُبْقِي على حساب الجباية. في أي شيْ يطالبي السلطان بشريعة الله ؟ أما كون علمي حجة لي أو على عند الله تعالى. فالأمر إلى الله تعالى. والتعليم اشتغلت به جهد طاقتي ولو لم اشتغل به لم أقبض به لأنه كفاية لا فرض عين. فأي شيْ ثبت عليَّ شرعاً يامعشر المسلمين حتى أطالب فيه! وقد اعترفت على نفسي بطاعة السلطان. وجعلت يدي مع أيدي المسلمين. لم أنازع/ولم أُخالف ولم أحارب. ولم أخالط. 57

وهذا القدر هو المطلوب من الطاعة. أما ما خرج عن ذلك كخروج أحد من داره أو بلده أو لزومه[2] بلداً أو لزومه جهة. أو انتقاله من موضع إلى موضع. فلا مدخل له في الطاعة. لأن السلطان خليفة الله في الأرض. فليس له أن يكلف العباد إلاّ بما كلفهم الله تعالى إما وجوباً بأن يقول صلّوْا. زكّوْا. حجّوْا جاهدوا. وأما ندباً: بأن يقول تصدقوا. تَنَفَّلوا. الأول على سبيل الإلزام فمن لم يفعله عاقبه أو قتله[3] عنه[4]. والثاني على سبيل الترغيب. ومن لم يفعل فلا عقاب عليه. وما خرج عن هذا فإن كان منهياً عنه شرعاً فليس له أن يأمره به. وإن كان مباحاً فله أن يطلبه خيرية. فإن لم يفعل فلا عقوبة عليه فلو قال لأحد طلق زوجتك. أو بع جاريتك. أواعتق عبدك. أو تصدق بثلث مالك على فلان. أو اخرج من دارك أو اخرج من بلدك وارحل إلى بلد كذا. أو اسكن في موضع كذا. لم يلزمه من ذلك لأن الشرع لم يكلفه به. ومن كلفه به فهو معتد وليس بخليفة الله بل هو تابع لشهواته مخالف للشريعة فإن لم يفعل ذلك فليس للسلطان أن يعاقبه. ولا أن يقول له: قد عصيتني وأين طاعة أولى الأمر. فإن المعصية لا تكون إلا حيث تجب الطاعة وهذا الوجه لا تجب فيه الطاعة فلا معصية. وقوله تعالى: «وأَطِيعُوا الرسولَ وأولي الأمرِ مِنْكُم» (369) اختلف فيه

1 — في الأصل «أحدا» صوابه من ص. 2 — جـ «نزوله». 3 — في الأصل «فعله» صححت من جـ 4 — في الأصل «منه» صححت من ص.

(369) من الآية 58 سورة النساء مدنية

المفسرون فذهب كثير إلى أن أولي الأمر هم العلماء لأن في أيديهم أمر الشريعة ونهيها. فيجب اتّباعهم وهذا كما في الآية الأخرى «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ»(370) وقيل لهم أمراء السرايا عند النبي ﷺ، وقيل هم السلاطين وهذا القول منسوب إلى علي كرم الله وجهه قال: إن هذه الآية مقيدة بالتي قبلها وهو قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» (371). فأولوا الأمر تجب طاعتهم أي إذا حكموا بالعدل وذلك أن يأمروا بما أمر الله به وينهوا عما نهى الله عنه كما قلنا أولا. وهذا أمر واضح. ولكن يقع فيه للملوك ولكثير من الناس الغلط وذلك مما يسمعون من/الفقهاء في المسألة. فإن السلطان **58** لو أمر أحداً مثلا أن يحضر عنده أو يخرج من بلده (أو يبيع داره أو نحو ذلك)[1] مما تقدم. فإن ذلك المأمور إن صح[2] في اعتقاده أنه إن لم يفعل ذلك توجهت إليه الإذاية[3] في نفسه أو ماله أو حريمه أو ما يتعلق به فإنه يجب عليه أن يفعل ذلك دفعاً للظلم عن نفسه ومن معه. وتقية. ولا يجوز له أن يعرض نفسه للهلاك اللهم إلا أن يكون من المتجردين عن الأسباب المتوكلين على الله تعالى فلا يجب عليه وأمره إلى الله تعالى. فإذا فرض من أهل الاسباب وقلنا إنه يجب عليه الامتثال تقية فربما يخاطبه الفقهاء فيقولون: يجب عليك امتثال أمر السلطان أو تجب عليك طاعته أو يخاصمونه فيقولون: لم لا تمتثل أمر السلطان فيسمع السلطان ذلك فيغلط[4] ويظن أنهم إنما قالوا ذلك لكون (الحق ثابتاً)[5] على هذا الشخص للسلطان في امتثال أمره. وإن للسُّلطانِ عليه حجة شرعاً. وليس ذلك كذلك. فإن هذا الشخص إنما وجب عليه ذلك بينه وبين الله تعالى على سبيل الحفظ لنفسه ودفع الأذى عنها. كما لو لقي سَبْعاً وجب عليه أن يحتال حتى يخرج من هلاكه ولا حق للسبع. وكذا السلطان هاهنا لا حق له ولا حجة له بل الحجة عليه. فإذا فهم هذا فهمت مسألتي. فإنها داخلة في

---

1 — محو في الأصل اثبت التصحيح من جميع النسخ. 2 — في الأصل «لم يصح» صوابه من ج و ص. 3 — محو في الأصل في بعض حروف «الاذاية» صححت من بقية النسخ. 4 — خم «فليغلط» 5 — محو في الأصل اثبت ما في سائر النسخ.

---

(370) من الآية 82 سورة النساء مدنية

(371) من الآية 57 سورة النساء مدنية

الأمثلة. وعلم إذا أنّي (أنا)[1] الذي يحِقّ لي أن أطالب بالشريعة لو كنت أجدها وهذا الذي ذكرنا إنما هو ما يحق شرعاً حين يسأل عن الشرع. وأما السمع والطاعة للأمراء كيف ما كانوا فطلوبة من الناس شرعاً (372) فمن كان عدلا فحق له ذلك. ومن لم يكن له ذلك. فطاباً للمصلحة. وحفظاً للنظام ودفعاً للفتنة. وارتكاباً لأخف الضررين. فيجب السمع والطاعة ولو تأمر عبد حبشي (373) كما في الحديث.

وأما قول الكتاب: وإن قلت بأن هذا حرام رأساً. وإن القبائل لا يجب عليها أن تعطي شيئاً أصلا فبيِّن لنا ذلك الخ... فأقول: لا شك أنه يجب على أهل العلم أن يتكلموا على الحق ويبينوا الحلال والحرام ولكن فيما يظن قبوله. ولا يخشى عليه فتنة. أما مالا يقبل. وتقع الفتنة به فساقط عنهم. وقد كان يحى بن يحى الليثي (374) سأل الإمام مالكاً رضي الله عنهما عن الفتن التي تقع في الأندلس/فلم يجبه فقال أنا رسولٌ منْ ورائي[2] فقال: دع عنك هذا وإني لك من الناصحين. فهذا الإمام أمسك عما نخشى فيه الفتنة وهو بالحجاز. في حرم (المدينة . فكيف بمن كان بين ذراعي)[3] وجبهة الأسد. فنقول: إن الكلام في

ص 59

1 — زيادة من جميع النسخ.
2 — خم «مرسول». 3 — محو في الأصل اثبت ما في سائر النسخ.

(372) إشارة الى الحديث الذي ورد في شرح الاربعين حديثا النووية سال مسلم بن يزيد الجعفي رسول الله (ص) فقال يا نبي الله ارايت إن قامت علينا امراء يسالوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا ؟ فاعرض عنه . ثم ساله فقال « اسمعوا وأطيعوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم » انظر الأربعين حديثا النووية ص 234

(373) الحديث «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» أخرجه البخاري من حديث أنس كما رواه ابو داود والترمذي عن العرباض انظر إرشاد الساري ج 10 219

(374) يحي بن يحي بن عيسى الليثي (152هـ 234هـ) عالم الاندلس في عصره بربري الأصل من قبيلة مصمودة من طنجة. قرا بقرطبة ورحل إلى المشرق سمع الموطا من الإمام مالك انظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 9 223

مسألة الكتاب لا تكون لنا ولا لأحد غيرنا. وقد انقضى الكلام عنها[1] منذ ذهب الخلفاء الراشدون. وذلك أن الله بعث نبيه ﷺ بالهدى والدين. فتوفاه[2] إلى كرامته وترك أصحابه على المحجة البيضاء علماً وحلماً[3]. أتقياء أصفياء. لا يزيغون عن الحق. ولايبغون به بدلاً. متواضعين متناصحين. أذلة على المومنين. أعزة على الكافرين «أشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحمَاءُ بيْنهُم» (375) كما وصفهم الله تعالى يعتدلون في الحق. شريفهم ومشروفهم. أميرهم ومأمورهم. من قال الحق سمعوا منه رجلا أو امرأة (حرّاً أو عبداً)[4] ومن أخطأ الحق ردوه إليه كبيراً أو صغيراً. فكان الخليفة منهم يشاور العلماء. ويصدر عن رأيهم ويقف عند حد الشرع الثابت. ومن خاطبه بالحق قبل منه بلا أنفة ولا إذاية. فكان علماء الصحابة يتكلمون بالحق ويجاهرون[5] به الخلفاء ولا يخشون منهم إلا المجازاة بخير. فلما انقضت الخلافة. وجاء الملك وتبدلت السيرة المحمدية كسروية وقيصرية. وقامت الشهوة مقام الحق. والجبروت مكان التواضع. أمسك العلماء وهربوا. وطلبوا نجاة أنفسهم والكلام في هذا يطول ولا حاجة إليه. فمن أراد اليوم من الملوك أن ينصح لنفسه فليفعل ما فعله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. فإنه لم يأت حتى كانت ملكاً وجبروتاً فجاهد في الله حق جهاده حتى ردها إلى السيرة الأولى. فكان أول ما فرغ من دفن صاحبه سليمان بن عبد الملك (376) وكان استخلفه. سمع للأرض رجفة[6] فقال ما هذا؟

---

1 — خم «عنا». 2 — في الأصل «متوفية» صوابه من جـ و ص خم. 3 — في الأصل «علماء» «حلماء» صوابه من ج و ص. 4 — زيادة من ص جـ خم 5 — د «يجاهدون».
6 — في الأصل «وجبة» التصحيح من خم د

---

(375) من الآية 29 سورة الفتح

(376) سليمان بن عبد الملك (54هـ 99هـ) خليفة اموي احسن إلى الناس كان عاقلا طموحا إلى الفتح في عهده فتحت جرجان وطبرستان انظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 3: 192

قالوا: هذه مراكب الملك[1] لتركب قال: اصرفوها عني فإنما أنا واحدٌ من المسلمين (وهلم بغلتي. فركب عليها وسار. فإذا بصاحب الشرطة يسعى بين يديه. فقال له تَنَحَّ عنِّي فإنما أنا واحد من المسلمين.)[2] فلما دخل صعد المنبر. واجتمع الناس فقال: إن سليمان قد قلدني هذا الأمر. ولا حاجة لي به. وقد جعلتكم مني في حل فانظروا لأنفسكم من ترضون. فصاح الناس صيحة واحدة: «رضينا بك رضينا بك» فلما هدأت الأصوات خطب وبين للناس معالم الدين ثم قال بالأخيرة[3]: أطيعوني ما أطعت الله. فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم. ثم نزل فذهب ليدخل/الدار فقال له ابنه عبد الملك رضي الله عنه وكان شديداً في الدين[4]: يا أبت ما تريد أن تفعل؟ قال: يابني (أريد)[5] القيلولة فإني قد سَهِدْتُ[6] في هذا الأمر وتعبت قال يا أبت وأين حقوق الناس بالباب؟ قال يابني إلى الظهر قال: ومن لك بأن تعيش إلى الظهر؟ فأخذه وقبل ما بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج مني من يعينني على ديني[7] وانطلق ولم يَقِل. ونادى: من كان له حق فليأتنا. فكان يرد على الناس ضياعهم وأملاكهم التي أخذها الملوك قبله. وينصف المظلوم من الظالم. ويتَّبع الحق ولا يَزِلُّ عنه. ولا يخشى أحد بين يديه طغياناً ولا حيفاً، على سيرة أهل العدل. ففاز برضا الله ورضا الناس. وقد اتفق العلماء على حسن سيرته. وأخذوا بأقواله وأفعاله. وسئل الإمام مالك هل يقاتل دون الإمام إن قام عليه آخر فقال: إن كان كعمر بن عبد العزيز فنعم. وإلا فدعوه ينتقم الله من الظالم بالظالم حتى ينتقم من الجميع.

60

فمن أراد أن يسلك هذه المحجة فليؤسس بنيانه على الشرع من أول. فإذا عُرِف منه الجد في ذلك وجب نصحه. ومن لم يبلغ هذا المبلغ من نفسه فلا أقل أن يتشبه بالملوك الأولين. قرباء العهد بالدين. فإنهم كانوا يستبصرون في كثير من الأمور. ويسمعون الحق ويجنحون إلى الإنصاف. فهذا أبو جعفر

1 — جـ «الملوك». 2 — زيادة من ج و ص. 3 — ص «بالآخرة». 4 — جـ ص «وكان له مكانة في الدين» خم «فقيها في الدين». 5 — محو في الأصل أثبت ما في النسخ. 6 — ص د «سهرت». 7 — أسقط «ديني».

المنصور (377). وهو معروف بالغلظة وسفك الدماء. يُسعى عنده بشيخ أظنه من أهل الشام. وأنه عنده ذخائر بني أمية فأتي به. فلما دخل إليه وجلس قال له: أيها الشيخ. قد عرفنا ما عندك من أموال بني أمية فقال له الشيخ: يا أمير المؤمنين أنت وارث بني أمية؟ قال: لا قال: فأنت وصيهم على أموالهم. قال: لا قال: فما سؤالك عما بيدي من أموالهم؟ فتوقف أبو جعفر وتحير ساعة ثم قال: هي أموال المسلمين وأنا وكيلهم. فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين. إن لبني أمية أموالا غير أموال المسلمين. فمن يشهد بأن الذي عندى من أموال المسلمين. لا (من)[1]أموالهم. فقال أبو جعفر: صدق الشيخ. يا ربيع[2]إن لبني أمية أموالا ثم قال أطلقوه. فأطلق فقال له: اطلب حاجتك. فقال: حاجتي أن أرد إلى أهلي قال نعم. وأن يجمع بيني وبين خصمي أي الذي سعى بي. فقال هلم خصمه. فأتي به فإذا هو عبده فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين هذا مملوكي سرق مِن مالي أربعة آلاف دينار. فخاف أن أعاقبه فجاء ليسعى بي. لأشتغل عنه فهدد العبد فاعترف/فقال الشيخ: اِشهد يا أمير المؤمنين أني أعتقه. ووهبت له ذلك المال وأزيده مثله. ووالله يا أمير المؤمنين ما عندي قِيراطٌ من أموال بني أمية. فقال له أبو جعفر: فهلا قلت ذلك أولا. قال (قد علمت أني لا ينجيني إلا صميم الحق)[3]فكان أبو جعفر يتعجب منه. فانظر إلى أبي جعفر كيف سمع هذه المحاجة[4]وكيف رأى الرجل قد أعتق العبد وأعطاه ثمانية آلاف. وذاك (دليل الثروة)[5]العظيمة فلم يحركه في أن يحتال عليه في استنزال المال منه. فهذه حالة الملوك أرباب الهمم. وفي الخبر: «أول هذا الأمر نبؤة ثم خلافة. ثم ملك.

61 ب

---

1 — زيادة في ص. 2 — في الأصل «رفيع» صوابه من جميع النسخ. 3 — محو في الأصل أثبت ما في سائر النسخ 4 — في الأصل «الحاجة» صوابه من جـ و ص. 5 — محو في الأصل أثبت ما في بقية النسخ

---

(377) عبد الله بن محمد أبو جعفر المنصور العباسي (95هـ/158هـ) ثاني خلفاء بني العباس. وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب. كان عارفا بالفقه والأدب. مقدما في الفلسفة والفلك. محبا للعلماء ولي الخلافة سنة 136 بعد وفاة أخيه السفاح. أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 4 259

ثم عتو وفساد في الأرض» (378) فمن لم يوفق أن يكون من الخلفاء فليكن من الملوك. ولا يكون من أهل العتو والفساد. ثم من وفقه الله للحق فذلك. ومن ابتلى بالشهوة فليعترف بها:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر
ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهر
وبح باسم من تهوى ودعني من الكنا
ولا خير في اللذات من دونها ستر (379)

غيره

إن تكن ناسكا فكن كأويس(380) أو تكن فاتكاً فكن كابن هاني

والصدق فضيلة. فمن أتى الخطيئة معترفاً فهي خطيئة واحدة. ومن أتاها موهماً أنها حسنة فهما خطيئتان إحداهما وهي جعل ما ليس بشرع شرعاً، قريبة من الكفر عياذاً بالله، ولم يزل أهل الفضل والعدل يعترفون على أنفسهم بالتقصير ويشفقون على أنفسهم. كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول: لولا علي لهلك عمر، وقال يوم احتضر لو أن لي طِلَاع(381) الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه وأنشأ يقول

وأوعدني كعب ثلاثا أعدها ولاشك أن القول ما قاله كعب
وما بي حذار الموت إني لميت ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

وجاء رجل إلى عمر بن عبد العزيز فقال: رأيت كأن القيامة قد قامت وذكر أبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً، وأنهم نجوا قال: ثم دعى علي ومعاوية فإذا بعلي

---

(378) لم أقف على هذا الخبر في كتب الحديث التي بين يدي

(379) الأبيات مشهورة لأبي نواس

(380) أويس يعني: أويس القرني (... 37هـ) أحد النساك العباد المقدمين من سادات التابعين أصله من اليمن يسكن القفار والرمل أدرك حياة النبي ﷺ ولم يره فوفد على عمر بن الخطاب ثم سكن الكوفة شهد وقعة صفين مع علي ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 375/1.

(381) طلاع الأرض مِلْؤهَا

يقول: قضِي ورب الكعبة! وإذا بمعاوية بعده يقول غفر لي ورب الكعبة! ثم نصب الصراط فوضع يزيد رجله فهوى في النار ثم وضع عبد الملك فهوى في النار. ثم وضع الوليد فهوى في النار. وهكذا إلى أن قال: ثم وضع سليمان فلم يبق إلا هو. فصاح وسقط وجعل يتمرغ ويضرب رجليه والرجل يصيح ويقول: والله لقد رأيتك نجوت يا أمير المؤمنين/(فكيف)[1] ينبغي لأمثالنا أن نرضى عن أنفسنا ونثبت لها فضلاً وندعي أن لا نقول إلا (الحق ولا نأمر إلا)[2] بما فيه الصلاح والسداد. ونحن غرقى في بحار التخليط. نسأل الله أن يعفو عنا آمين. 62

وأما قول الكتاب: وأردت أن تدنس العلم وتنجسه بتفقرت (382) الخ

فأقول: لا بد أن يبحث عن معنى «تفقرت» المذكورة لتعرف. فإن الحكم على الشيء فرع تصوره. فإن أريد بها أحوال الجهال من المتبدعين المدعين بغير علم ولا دين فلا شك أنها نجاسة وقذارة ونحن لا نريدها بل نعوذ بالله منها ومن أهلها. وإن ادعاها أحد علينا لابد أن ينص لنا على عين ما ارتكبناه من ذلك لنعرفه فنتوب إلى الله منه إن وفقنا. وإلا فلا يجوز أن يظن بالمسلم السوء وينسب إلى ارتكاب ما لم يرتكب. وإنْ أريد بها العمل لله بما يرضى من حيث يرضى. والسلوك على المنهج المرضي[3] عند أرباب الطريق أو المعرفة أو المشاهدة فلا شك[4] أنها بهذا المعنى ليست بنجاسة. ولا تنجس العلم بل هي ثمرة العلم ولبابه. وهي أحد ركني الدين. فإن الشريعة لها ظاهر وهو للفقهاء[5] وباطن وهو للصوفية[6] وإنما يكمل الأمر بهما معاً ولهذا يقال: من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق. ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق. ومن جمع بينهما فقد تحقق. فمن أنكر هذا وجعله نجاسة أو جعل صاحبه داخلا في حزب الشياطين فقد أنكر الشريعة.

---

1 — محو في الأصل اثبت ما في باقي النسخ. 2 — محو في الأصل أثبت ما في باقي النسخ.
3 — في الأصل «الرضي» صوابه من جـ و ص. د «الأرضي» 4 — في الأصل «يشك» جـ «فلا شك» صححت من جـ. 5 — في الأصل «الفقهاء» صوابه من جـ و ض. 6 — في الأصل «الصوفية» صححت من جـ و ص.

---

(382) الكلمة مشتقة من «فقير» وهو الإسم الذي يطلق على المتصوف في عموم المغرب. «وتفقرت لفظة بربرية للدلالة على اتباع الطريق الصوفية

هذا ونحن لم نشتغل بهذا الفقر الموصوف أيضاً ولا وصلنا إليه ولكنا نحبه ونحب أهله، ونرجو الله تعالى أن يمن به علينا إنه الكريم المنان، وأن يحشرنا في زمرة أهله فضلاً منه وإحساناً فإنه قد قال على لسان نبيه ﷺ: «المرء مع من أحب» (383) وإنما نحن مشتغلون بالتعليم جهدنا، فالطلبة يتعلمون العلم فيتفقهون. والعوام يتعلمون عقائدهم وفرائضهم وسننهم، والتوبة وشروطها وأذكاراً يعمرون بها أوقاتهم حيث لم يكن عندهم علم يعمرونها به. فإن كان هذا القدر بدعة أو تنجيساً للعلم أو دخولاً في حزب الشيطان، فنحن عليه، نسأل الله تعالى أن يعيننا عليه، (ويجعله له)[1] ويديمه علينا حتى يتوفانا عليه آمين.

هذا ما احتيج إليه من الكلام، على مقتضى الكلام، ولو ترك القطا لنام (384). وإنما تعرضت لذلك مساعفة للسلطان في قوله/: **إن كان عندك ما تقول فقله وأجبنا عن هذا حرفاً حرفاً** فتكلمت على ما (لابد)[2] منه وتركت من الكلام أكثره، لعدم الحاجة إليه أو لتعذر ذكره وعندي والحمد لله ما أقول، فأي شيء يعوزني لو أردت القول اللسان عربي، والمعقول والمنقول تحت جنبي، واستغفر الله من هذا وأعترف على نفسي أني أضعف الناس وأجهل الناس. وأني منقاد إلى السلطان سميع مطيع. وتجنبي للسلطان ليس بغضاً فيه، بل لافتراق الدار فأنا في بلد وهو في آخر، ولأني لا أقوى على تلك الأبواب، ولايألفها طبعي ولا أصلح لها ولا تصلح لي ولها قوم غيري:

ص 63

وللحقائق أقوام لها خلقوا وللحروب لدى الهيجاء فرسان

1 — محو في الأصل أثبت ما في سائر النسخ. 2 — محو في الأصل أثبت ما في سائر النسخ.

(383) أخرجه البخاري في مناقب عمر عن أنس رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال متي الساعة ؟ قال وماذا أعددت لها ؟ قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسول الله ﷺ فقال أنت مع من أحببت...» أنظر إرشاد الساري ج 103/6

(384) مثل يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته. أنظر مجمع الأمثال للميداني ج 162/2

وإلا فأنا أحب السلطان من ثلاثة أوجه: الأول: النسب فإنا أُمِرْنَا بحب أهل البيت النبوي. الثاني: الوجاهة فإنه كبير المسلمين، وقد أمرنا أن ننزل الناس منازلهم فنعظم من عظَّمَهُ الله تعالى. الثالث: فَإِنَّهُ قد وقرنا واحترم عيالنا، وكان يحملنا إذا رحلنا، والإحسان يشكر والصنائع تذكر، والمحبة بالوجهين الأولين لا تتبدل لأنها من حقيقة الإيمان. نسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت. وبالوجه الثالث: هي أيضا ثابتة لأنها عن شيء وقع، (لكن)[3] يمكن فسادها بمساءة أعظم، نسأل الله العافية. وفي هذا يقول الحكماء فلان يربي الصنيع أي أنه إذا فعل صنيعاً من الخير زاد فيه، ولم يتبعه بإذاية تفسده، وبعد هذه الأوجه الثلاثة، فالأفعال والمعاملة تزيد حباً أو تنقصه، ولما كانت البواعث النفسانية في كثير من الخلق أقوى، كانت المحبة الدنيوية أظهر آثاراً وأكثر ثماراً، والناقد بصير وإلى الله المصير. وكتب أول ذي الحجة الحرام من سنة ستة وتسعين وألف الحسن بن مسعود كان الله له آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

---

3 — زيادة من جـ و ص

الرسالـة الثانيــة

رسالة «براءة اليوسي»

هذه الرسالة المشهورة تحت إسم «براءة اليوسي» تعرف أيضاً «بالرسالة الصغرى». مقابلة لها «بالرسالة الكبرى» أو «جواب الكتاب» التي سبق ورودها في هذه المجموعة الخاصة بالشؤون العامة وأحوال المجتمع وهي أقل طولاً من سابقتها. وقد تناولت بالمناقشة: الجباية. الجهاد. العدل. يصف اليوسي الحالة التي هي عليها هذه الأمور الثلاثة من الاختلال والفساد. ويعطي وجهة نظره لإصلاحها. ولهجته فيها لا تخلو من الجرأة والقوة التي عرفناها في «جواب الكتاب».

مخطوطات الرسالة:

وقفت لهذه الرسالة على تسع نسخ مخطوطة واحدة منها مبثورة:

الأولى ضمن مخطوط «الجيش العرموم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي الشريف السجلماسي» لمحمد بن أحمد أكنسوس (.../1294هـ) مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 965 د. ورسالة اليوسي فيها من ورقة 60 ظ إلى 63و. ورمزها «د

الثانية ضمن مخطوط «نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني» لمحمد بن الطيب القادري المتوفى سنة 1187هـ. مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك 2253. والرسالة فيها من ورقة 28 و إلى ورقة 29 ظ الجزء الثاني. ورمزها «ك»

الثالثة مخطوطة مستقلة للرسالة بالمكتبة الملكية تحت رقم 7150 في ثلاثة أوراق ورمزها «خـ»

الرابعة مخطوطة مستقلة للرسالة بالمكتبة الملكية تحت رقم 7154 في ستة أوراق رمزها «ز»

الخامسة مخطوطة مستقلة بالمكتبة الملكية تحت رقم 5356 في ثلاثة أوراق رمزها «أ»

السادسة مخطوطة مستقلة بالمكتبة الملكية تحت رقم 9249 في سبعة أوراق رمزها «ن»

السابعة مجموع فيها رسائل لليوسي بالمكتبة الملكية تحت رقم 7704 من ص 23 — 27 رمزها «ة»

الثامنة من مجموع في خزانة الاستاذ المرحوم الفاسي بفاس من ص 12 — 15 رمزها «ف»

التاسعة مجموع الخزانة العامة بالرباط فيه الرسالة مبتورة وهو تحت رقم د 163 لم أخذ بها في المقارنة واستأنست بها أحيانا فقط.
كما توجد لهذه الرسالة نسخة مطبوعة ضمن كتاب «الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى» لأحمد الناصري الجزء السابع ص 82 — 86 طبعة دار الكتاب 1956

وصف المخطوطات:

أمكنني الاطلاع على هذه المخطوطات وتصويرها، ثم قارنت بينها. ويمكن حصرها في مجموعتين:

المجموعة الأولى مجموعة الخزانة العامة «د». «ك»
المجموعة الثانية مجموعة الخزانة الملكية «خ». «ز». «أ». «ن». «ة»

أما مخطوطة «فـ» فالراجح أنها نقلت عن أصل كثير الأخطاء والإسقاطات ثم

صححت من نسخة من الخزانة العامة بالرباط. فالتشطيبات والكتابات فوق السطور وفي الهامش كثيرة جداً. ولم أعتبر عند المقارنة إلا التصحيحات في الجمل والكلمات المصححة. وقد قال صاحبها في آخر الرسالة : «انتهى بحمد الله وحسن عونه، وبلغت المقابلة من خطه بواسطة ثقة عالم ضابط».

* **وصف المجموعة الأولى مجموعة الخزانة العامة «د» و «ك»**

الكتابان اللذان أوردا الرسالة يُعدان من المراجع الأساسية في التاريخ والسياسة والاجتماع والتعريف بأعلام مغرب القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجري. وقد طبع «الجيش العرمرم» طبعة حجرية بفاس سنة 1336هـ. كما طبع جزء من «نشر المثاني» طبعة حجرية أيضاً سنة 1310هـ. وقد اعتمدت في المقارنة على مخطوطات هذه الكتب. والخط فيها لا بأس به. ونص الرسالة فيهما أكثر أمانة منه في غيرهما. ولم يذكر المؤلفان الأصل الذي نقل عنه كل منهما. ورغم أن «نشر المثاني» أقرب إلى عصر اليوسي زمنياً، إلا أنني اعتمدت في المقارنة على نص «الجيش العرمرم» لجودته وأمانته وقلة إسقاطاته. وعنه نقلت المتن مع إثبات الزيادات من النسخ الأخرى في حالة وجودها.

* **وصف المجموعة الثانية: مجموعة الخزانة الملكية «خ». «ز». «أ». «ن». «ة»**

تتفق في كثير من الاسقاطات والتحريفات وكأنها منقولة عن أصل واحد. ومخطوطة «ة» أكلتها الأرضة في أماكن كثيرة وفيها محو في الصفحة الأولى. وتنفرد بين جميع المخطوطات بذكر اسم الناسخ. جاء في الصفحة الأخيرة: «ونقلها كما وجد عبد الله سبحانه محمد بن ابراهيم التدررتي كان الله له آمين».

الرسالة الثانية

ورقة 60 ظ الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

قُطب المجد ومركزه. ومحاز الفخار ومأرزه[1] وأساس الشرف الباذخ ومنبعه. ومناط الفضل الشامخ ومجمعه. السلطان الأعظم. الأجل الأفخم، مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف. لا زالت أعلامه منصورة[2] وأيامه على العز واليمن مقصورة، سلام على سيدنا ورحمة الله تعالى وبركاته.

هذا، ولا زائد عندنا سوى المحبة لسيدنا وغاية التعظيم والإجلال. والدّعاء لسيدنا بصالح الأحوال. وذاك بعض ما أوجبته يده المنبسطة علينا بالبرّ والإحسان، والتفضل والامتنان، والتوقير والاحترام، والإنعام والإكرام، مع ماله علينا من الحقوق التي أوجبتها منزلته السلطانية، ومثابته (1) العلوية الفاطمية، فكتبنا هذه البطاقة وهي في الوقت منتهى الطاقة. وكنا كثيراً ما نرى من سيدنا التشوف إلى الموعظة والنصح. والرغبة في استفتاح أبواب الربح والنجح، فأردنا أن نرسم لسيدنا[3] بعض ما إن وُفِّق للنهوض إليه، رجونا له[3] ربح الدنيا والآخرة، والارتقاء إلى الدرجات الفاخرة. ورجونا وإن لم نكن أهلاً لأن نعِظ، أن يكون سيدنا أهلا لأن يتَّعظ، وأن يحتميَ من جميع المذَامِّ ويحتفظ.

فيعلم سيدنا — نصره الله — أن الأرض وما فيها ملك لله تعالى لا شريك له، والناس كلهم عبيد له سبحانه وإماء له، وسيدي واحد من العبيد وقد ملَّكه الله تعالى عبيده ابتلاءً وامتحاناً، فإن قام عليهم بالعدل والرحمة والإنصاف

ورقة 61 و والإصلاح[5] فهو خليفة الله في أرضه (2)، وظل الله على/عباده، وله الدرجات العالية عند الله تعالى. وإن قام بالجور والعنف والكبرياء،[6] والطغيان

---

1 — ك «فخار الفخار ومتزره» خ. ر «حائز الفخر ومحرزه». 2 — ك «منشورة». 3 — في الأصل «نرسل» اثبت ما في بقية النسخ لموافقته للسياق. 4 — في الأصل «إليه» صححت من سائر النسخ. 5 — خ. ز. أ. ن. «والصلاح». 6 — زيادة في الأصل لا وجود لها في النسخ الأخرى

---

(1) المثابة : مجتمع القوم بعد تفرقهم

(2) إشارة إلى الحديث النبوي «السلطان ظل الله في الأرض. يأوي إليه كل مظلوم من عباده» أخرجه البزار بسند من حديث ابن عمر. أنظر المغني بذيل الإحياء ج 99/4

والفساد. فهو متجاسر على مولاه في مملكته. ومتسلّط ومتكبّر في الأرض بغير الحق. ومتعرِّض لعقوبة الله تعالى الشديدة وسخطه. ولا يخفي على سيدنا حال من تسلط على رعيته يروم تملكهم بغير إذنه. كيف يفعل به يوم يتمكّن منه. ثم نقول : إن على السلطان حقوقاً كثيرة لاتفي بها البطاقة. ولنقتصر منها على ثلاثة هي أمهاتها

الأول [1]جمع المال من حقّ وتفريقه في حقّ[2]

الثاني إقامة الجهاد لإعلاء كلمة الله. وفي معناه تعمير الثغور بما تحتاج إليه من عدد وعدة.

الثالث الانتصاف من الظالم للمظلوم. وفي معناه كف (كل)[3]يد عادية عليهم منهم ومن غيرهم.

وهذه الثلاثة كلها قد اختلت في دولة سيدنا. فوجب علينا تنبيهه لئلا يعتذر بعدم الاطلاع أو بالغفلة. فإن تنبه وفعل فقد فاز. وفي ذلك صلاح الوقت وصلاح أهله وسبوغ النعمة وشمول الرحمة. وإلا فقد أدينا الذي علينا.

أما الأمر الأول فليعلم سيدنا أن المال الذي يُجْبَى من الرعية قد أعده الله للمصالح التي ينتظم بها الدين وتصلح الدنيا من أهل البيت والعلماء. والقضاة والأئمة. والمجاهدين والأَجناد. والمساجد والقناطر. وغير ذلك من المصالح. ومثال هؤلاء كأيتام لهم ديون. قد عجزوا عن قبضها إلا بوكيل. ومثال الرعية مثال المديان (3) والسلطان هو الوكيل. فإن استوفي الوكيل الدَّيْن بلا زيادة ولا نقصان. وأدَّاه إلى اليتامى بحسب ما يجب لكلٍّ. فقد برئ من اللوم. ولم تبق عليه تِباعة (4) للمديان ولا لليتيم. وحصل له أجران أجر القبض وأجر الدفع. وإن هو زاد على الدَّين بغير رضا المديان فهو ظالم للمديان[1] (وإن

---

1 — أ. خ. ز. ف. ن. «الأمر الأول». 2 — في جميع النسخ «بحق». 3 — زيادة من ك. ف .ة. أما أ. خ. ن. اسقطت الجملة

---

(3) المديان رجل مديان يقرض كثيرا ويستقرض كثيرا. (القاموس)

(4) تِباعة ج تِباعات. وتبعة ج تبعات ما يرتب على الفعل من الخير أو من الشر. إلا ان استعماله في الشر أكثر. لهذا الفعل تبعة أي لحوق شر وضرر.

نقص بغير موجب فهو ظالم لليتيم)[2] وكذا إن استوفى الديون وأمسكها ولم يدفعها لأربابها فهو ظالم (لهم)[3]. فلينظر سيدنا. فإن جباة مملكته قد جرّوا ذيول الظلم على الرعية. فأكلوا اللحم وشربوا الدم. وامتشوا[4] (5) العظم. وامتصوا المخ. ولم يتركوا للناس دينا ولا دُنيا أما الدنيا فقد أخذوها. وأما الدّين فقد فتنوهم[5] عنه وهذا شيء شهدناه لا شيء ظنناه. ثم إن أرباب الحقوق قد ضاعوا ولم تصِلْ إليهم حقوقهم. فعلى السلطان أن يتفقد الجباة. ويكف أيديهم عن الظلم. ولا يغتر (بكلام)[6] من يزين له الوقت. فإن كثيراً من الدائرين به طلاب الدنيا. لا يتقون الله تعالى. ولا يتحفظون من المداهنة والنفاق والكذب. وفي أفضل منهم قال جد أمير المؤمنين مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (المغرور من غررتُموه (6) وأن يتفقد المظالم)[7] ويبسط الفضل على خواص الناس من أهل (العلم)[8] والدين والخير ليكتسب محبتهم وثناءهم ونصرهم كما قيل

أفادتكم النعماء مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

وقد جُبِلت النفوس على حب من أحسن إليها (7). ولا يهملهم فيتمنوا غيره. ويتطلبوا دولة أخرى كما قيل

إذا لم يكن للمرء في دولة اَمْرِئٍ   نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير أنه   يريد سواها فهو يَهْوَى انتقالها[9]

---

1 — في الأصل « لليتم » التصحيح من جميع النسخ . 2 — زيادة من جميع النسخ . 3 — زيادة من جميع النسخ . 4 — ق. « امتشطوا ». 5 — أ. بياض مكان « فتنوهم ». 6 — في الأصل « بكل » التصحيح من سائر النسخ . 7 — زيادة من ق. ك. أ. ز. ن. 8 — في الأصل « الفضل » صححت بما في جميع النسخ 9 — في الأصل « زوالها » صححت بما في بقية النسخ

---

(5) امتش العظم مصه ممضوغا
(6) المغرور من غررتموه. أوردها البخاري في مناقب عمر بن الخطاب منسوبة إليه عند احتضاره وبين يديه عبد الله بن عباس انظر إرشاد الساري على صحيح البخاري ج 6:105
(7) تضمين لحديث نبوي «جبلت النفوس على حب من أحسن إليها .» سبق تخريجه في رسالة جواب الكتاب

وليعلم سيدنا أن السلطان إذا أخذ أموال الرعية[1] العامة ونشرها في الخاصة وشيد بها المصالح. فالعامة يُذْعِنُونَ (له)[2] ويعلمون أنه سلطان. وتطيب قلوبهم بما يرون من إنفاق أموالهم في مصالحهم[3]. وإلا فالعكس. وأيضا السلطان متعرض للسهام الراشقة من دعوات المظلومين من الرعية. فإذا أحسن إلى الخاصة دعوا له بالخير والسلامة والبقاء. فيقابل دعاء بدعاء والله الموفق.

وأما الأمر الثاني فقد ضاع أيضاً وذاك أنه لم يتأت في الوقت إلا عمارة الثغور، وسيدنا قد غفل عنها. فقد ضعفت اليوم غاية. وقد حضرت بمدينة تطاوين أيام مولانا الرشيد رحمه الله تعالى. إذا سمعوا الصريخ (8) تهتز الأرض خيلاً ورماة. وقد بلغني اليوم أنهم/سمعوا صريخاً من جانب البحر ذات يوم. **ورقة 62 و** فخرجوا يسعون على أرجلهم، بأيديهم العِصِيُّ والمقاليع. وهذا وهن في الدين وعذر (9) على المسلمين، وإنما جاءهم الضعف من المغارم الثقيلة، وتكليفهم الحركات، وإعطائهم العدة كسائر الناس. فعلى سيدنا أن يتفقد السواحل كلها من القَلَّعِيَّة[4] (10) إلى ماسة (11) ويحرضهم على الجهاد والحراسة بعد أن يحسن إليهم ويعفيهم مما يكلف به غيرهم، ويترك لهم خيلهم (ورجالهم)[5] وعدتهم ويزيدهم ما يحتاجون إليه. فهم حماة بيضة الإسلام[6] ويتحرى فيمن يوليه تلك النواحي أن يكون أشد الناس رغبة في الجهاد، ونجدة في المضايق، وغيرة على الإسلام وأهله. ولا يولي فيها من همته ملء بطنه والاتكاء على أريكته والله الموفق.

---

1 — جميع النسخ الأخرى أسقطت «الرعية». 2 — زيادة من النسخ الأخرى. 3 — أ. خ. ن «المصالح». 4 — في الأصل «قليعة» صححت من أ. ك. ة. خ. ز. 5 — زيادة من جميع النسخ. 6 — أ. خ. ن. «حمية لبيضة الاسلام».

---

(8) الصريخ المغيث والمستغيث (ضد) وكذلك الصارخ

(9) عذر تقصير

(10) القلَعِية ثغر من ثغور شمال المغرب حرفت عن بعض الكتاب الى قليعة بتقديم الياء على العين. تنطق بالقاف المعقودة و تشديد اللام مفتوحة وهي شبه جزيرة تقع على مقربة من مليلية تمتد زهاء أربعين كيلومترا غربي المدينة المحتلة والغالب أنها مرسى غساسة الشهيرة في التاريخ القديم (البحث العلمي عدد 24 — 1975)

(11) ماسة ثغر من ثغور جنوب المغرب بالسوس (جنوب أكادير)

أما الأمر الثالث فقد اختل أيضاً لأن المنتصبين للانتصاف بين الناس هم العمال في البلدان وخدامهم. وهم المشتغلون بظلم الناس فكيف يُزيلُ الظلم من يفعله. ومن ذهب يشتكي سبقوه إلى الباب فزادوا عليه[1] فلا يقدر أحد أن يشتكي. فليتق الله سيدنا وليتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب. وليجتهد في العدل فإنه قِوام الملك وصلاح الدين والدنيا. قال الله تعالى «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالاحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى. وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ. يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون» (12) وقال تعالى «وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ. إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» (13). ثم ذكر تعالى المنصورين[2] وشروط النصر فقال «الذين إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ» (14) فضَمِن تعالى للملوك النصر. وشرط عليهم هذه الأمور الأربعة. فمتى اختَلَّ عليهم أمر الرعية. أو تسلط عليهم من يفسد عليهم (أمر)[3] الدولة. فليعلموا أن ذلك من إخْلاَلِهِمْ بهذه الأمور. فكان عليهم الرجوع إلى الله تعالى وتفقُّدِ ما أُمرهم به. ورعاية ما استرعاهم. وقد اتفقت حكماء العرب والعجم على أن الجور /لا يثبت معه الملك ولا يستقيم. وأن العدلِ يستقيم معه الملك ولو مع الكفر. وقد عاش الملوك من الكفرة المئين من السنين في الملك المنتظِم. والكلمة المسموعة. والراحة من كل منغص. لما كانوا (يتحفظون)[4] عليه من العدل في الرعية استصلاحاً لدنياهم. فكيف لمن يرجو إصلاح الدنيا والدين[5] قال بعض الحكماء المُلك بناء والجند أساسه. وإذا ضعف الأساس سقط البناء[6] فلا سلطان إلاّ بجند. ولا جند إلاّ بمال. ولا مال إلاّ بجباية. ولا جباية إلاّ بعمارة. ولا عمارة إلاّ بالعدل. فالعدل أساس الجميع. وصنع أرسطوطاليس الحكيم للأسكندر الشكل المستند عنه وكتب

ورقة 62 ظ

---

1 — خ. إسقاط «فزادوا عليه». 2 — خ. ز. ن. إسقاط «ثم ذكر تعالى المنصورين»
3 زيادة من أ. خ. ف. 4 — زيادة في أ. ف. خ ز 5 — ك. ة. زيادة «والآخرة»
6 — اسقاط «البناء»

---

(12) من الآية 90 سورة النحل مكية
(13) من الآية 40 سورة الحج مدنية
(14) من الآية 41 سورة الحج مدنية

عليه العالم بستان سياجه الدولة. الدولة السلطان تعضده السنة. السنة سياسة يسوسها الملك. الملك راع يعضده الجيش. الجيش أعوان يكفلهم المال. المال رزق تجمعه الرعية. الرعية عبيد يقودهم العدل. العدل مألوف وبه صلاح العالم. العالم بستان. انتهى[1] وقال ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (15) وقال ﷺ «إن رجالا يخوضون في مال الله بغير حق لهم النار يوم القيامة» (16) أو كما قال. وقال ﷺ « ما من وال يلي ولاية إلا جاء يوم القيامة ويداه مغلولتان. فإما عدل يفكه وإما جور يوبقه» (17) وعن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه قال رأيت عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[2] على قتب (18) يعدو به بعيره[3] بالأبطح (19). فقلت يا أمير المؤمنين أين تسير؟ فقال بعير شرد من إبل الصدقة أطلبه. فقلت : [4]أذللت الخلفاء من بعدك. فقال لا تلمني[5] فَوَالذِي بعث محمداً بالحق. لو أن عَناقا (20) ضلت[6] بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة. لأنه لا حرمة لوال ضيع المسلمين. ولا لفاسق روع المومنين. وقد رأى رضي الله عنه شيخاً يهودياً. يسأل على الأبواب فقال ما أنصفناك. أخذنا منك الجزية ما دمت شاباً ثم ضيعناك/اليوم. وأمر أن يُجْرَى عليه قوته من بيت المال. 63 ظ

1 — أ. خ. ز. ن اسقاط : « وصنع أرسطوطاليس — صلاح العالم. العالم بستان هـ » 2 — زيادة في جميع النسخ. 3 — أ. خ. ز. ن. « تعدوابه » وأسقطت « بعيره ». 4 — أ. ز. زيادة « مهلا عليك » خ « ميلا عليك ». 5 — أ. خ. ز. أسقطت « لا تلمني ». 6 — في الأصل « ضات » صححت بما في سائر النسخ.

(15) من حديث طويل أخرجه البخاري من رواية عبد الله بن عمر. كما اخرجه مسلم ايضا من حديث عبد الله بن عمر. انظر إرشاد الساري ج 89/8. وشرح النووي على صحيح مسلم بهامش الإرشاد ج 19/8

(16) أخرجه البخاري من رواية خولة الأنصارية أنظر بلوغ المرام ص 303

(17) اخرجه أحمد من حديث عبادة بن الصامت كما أخرجه البزار والطبراني في الأوسط في حديث ابي هريرة أنظر المغني بحاشية الإحياء ج 324/3.

(18) قتب وقِتب ج أقتاب الرحل التي توضع فوق الإبل

(19) الأبطح هو ما اتصل ببطون الأودية. وقيل الأبطح مسيل واسع فيه حصى صغار.

(20) العناق الأنثى من أولاد المعز قبل استكمالها السنة.

وليعلم سيدنا أن أول العدل أن يعدل في نفسه. فلا يأخذ لنفسه من المال إلا بحق. ويسأل العلماء عما يأخذ وما يعطي. وما يأتي وما يذر[1] وقد كان في بني إسرائيل يكون الأمير على يد نبي. فالنبي يأمر. والأمير ينفذ لا غير. ولما كانت هذه الأمة المشرفة. انقطعت النبوة بنبينا خاتم النبيئين ﷺ وعلى إخوانه النبيئين. فلم يبق إلا العلماء يقتدى بهم[2] قال ﷺ «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» (21). فكان حقاً على خلفاء هذه الأمة أن يتبعوا العلماء ويتصرفوا على أيديهم أخذاً وعطاءً.

وقد توفي ﷺ. واستخلف أبو بكر رضي الله عنه. وكان قبل ذلك يبيع ويشتري في السوق لعياله. فلما بويع أخذ متاعه[3] الذي للتجارة وذهب إلى السوق على عادته حتى رده علماء الصحابة وقالوا (له)[4] إنك في شغل بأمر الخلافة عن السوق. وفرضوا له ما يكفيه مع عياله. وجعلوا المال على يد أمين[5] فكان هو وغيره فيه سواء يأخذ منه بما اقتضته الشريعة لنفسه ولغيره. وهكذا سيرة الخلفاء الراشدين من بعده. فعلى سيدنا أن يقتدى بهؤلاء الفضلاء. ولا يقتدى بأهل الأهواء. ويسأل من معه من الفقهاء الثقات كسيدي محمد بن الحسن (22) وسيدي أحمد بن سعيد (23) وغيرهما من العلماء العاملين الذين

---

1 — بقية النسخ أسقطت «ما يأتي وما يذر» 2 — خ أسقطت الجملة «فلم يبق ... بهم» 3 — في الأصل «ماله» صححت ما في سائر النسخ. 4 — زيادة من أ. خـ. ن. ك. ف 5 — ك. «أمير».

---

(21) قال الدميري والزركشي حديث لا أصل له. وزاد بعضهم ولا يعرف في كتاب معتبر. ولأبي نعيم في «فضل العالم» بسند ضعيف عن أبي عباس رفعه «أقرب الناس درجة من النبوة أهل العلم والجهاد». والمشهور في الموضوع : «العلماء ورثة الأنبياء» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وآخرون عن أبي الدرداء انظر المقاصد الحسنة ص 286

(22) يعني محمد بن الحسن المجاصي (.../1103هـ) قاضي الحضرة الرشيدية الإسماعيلية بفاس. كان من أهل التثبت والتحري في قضاياه. أخذ عن سيدي عبد القادر الفاسي. كان مجلسه حفيلا بمسجد القرويين انظر ترجمته وأخباره في نشر المثاني ج 2 ورقة 33 ظ. أزهار البستان ص 183. التقاط الدرر ص 66

(23) أبو العباس أحمد بن سعيد المكيلدي. شيخ الجماعة في إقراء «المختصر» له مشاركة في علوم كثيرة. ولي قضاء فاس الجديد أزيد من أربعين سنة. وولي قضاء مكناس بعد عزل القاضي أبي مدين عنها. له مصنفات منها «اختصار المعيار» في مجلد ضخم. وشرح المختصر الخليلي سماه «أم الحواشي» وقد جاء في نشر المثاني أن اليوسي أخذ عنه بعض فنون العلم توفي سنة 1094هـ. انظر ترجمته وأخباره في نشر المثاني ج 2 ص 4 وجه وظهر. صفوة من انتشر ص 217. سلوة الأنفاس ج 206/3.

يتقون الله. ولا يخافون في الله لومة لائم. فما أمروه به مما ذكرناه ومما لم نذكره فعله. وما نهوه عنه انتهى. هذه طريق النجاة إن شاء الله تعالى. نسأل الله أن يرزق سيدنا توفيقا وتسديداً. وإرشادا وتأييداً. وأن يُصلح بوجوده البلاد والعباد. وأن يُحسم بسيفه أهل الزيغ والفساد[1] والحمد لله رب العالمين (وكتب الفقير الذليل الحسن بن مسعود اليوسي تاب الله عليه)[2]

1 — أ. خ. ن. ف. «وأن يقع به أهل الكفر والفساد». 2 — زيادة من خ. ن.

رسالة ندب الملوك للعدل

أفكار هذه الرسالة تدور حول مفهوم الخلافة في الإسلام. يطرح اليوسي أولا المفهوم ويعطي الأمثلة عن أحوال الخلفاء الراشدين وأحوال الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز. ثم يناقش ما صارت إليه الأمور عندما انعدم هذا المفهوم للخلافة.

ولم أقف لهذه الرسالة إلا على نسخة واحدة هي التي بين أيدينا وتوجد ضمن مجموع مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 364.

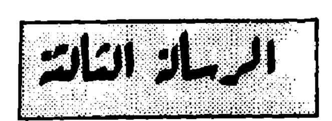
وصف المخطوطة :

خط مغربي رديئ جداً. أخطاء كثيرة وتصحيفات وإسقاطات تدل على جهل الناسخ بما ينقل. ونظراً لعدم تمكني من نسخ أخرى أو على الأقل نسخة ثانية فإني لم أتمكن من تصحيح كثير من الأخطاء. ورغم كثرة هذه التصحيفات والتحريفات، فإن الشك لا يمكن أن يتسرب إلى نسبة الرسالة إلى اليوسي وذلك نظراً لاعتبارات كثيرة منها أن أفكار اليوسي معروفة في هذا الموضوع في « جواب الكتاب » و « براءة اليوسي ». وهي التي ركز عليها في هذه الرسالة أيضاً.

ويحتوي المجموع الذي أورد رسالة ندب الملوك إلى العدل على التآليف التالية

1 — تأليف مولانا سليمان بن محمد العلوي في الغناء : 1 — 38

والمجموع كله بخط ناسخ واحد يستعمل الألوان في كتابة العناوين والتصليات الخ ... وقد كتب في نهاية رسالة « ندب الملوك إلى العدل » لليوسي من خط خط من نقل من خطه بلفظه . والصلاة والسلام على سيد الأنبياء المرسلين . والحمد لله رب العالمين .



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

(وللعلامة اليوسي في ندب الملوك إلى العدل والوقوف مع السنة والشرع . رحمة الله تعالى ورضي الله عنه ونفعنا به)[1]

أما بعد فإن الله تعالى قد شرع دينه . وبعث نبيه المصطفى ﷺ ليبين للناس ما نزل إليهم من ربهم . فكانت الحجة علينا من كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ . وكان ﷺ هو القدوة في أقواله وفي أفعاله وتقاريره وكانت القدوة بعده من شهد الله له ورسوله ﷺ قال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه . وما نهاكم عنه فانتهوا » (1) وقال تعالى : « واتَّبِعْ سبيلَ مَنْ أَنَاب إِلَيَّ » (2) وقال تعالى « وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُومِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً » (3) إلى غير ذلك من الآيات . وقال ﷺ : « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر » (4) وهما حبل الله المَمْدود . من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى . وقال ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي . عضوا عليها بالنواجد . وإياكم ومحدثات الأمور . فإن كل محدثة بدعة/وكل بدعة ضلالة . والضلالة وصاحبها في النار » (5) وفي الحديث **222** الآخر : « يارسول الله إنّا كنا في جاهلية وشر . فجاء الله بهذا الخير . فهل بعد

---

1 — مقدمة من قول الناسخ .

---

(1) من الآية 7 سورة الحشر . مدنية

(2) من الآية 14 سورة لقمان . مكية

(3) تمام الآية « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نولِّهِ ما تولى ونصلِهِ جهنم وساءت مصيرا » سورة النساء الآية 115

(4) في شرح الأربعين النووية . وفي معرض شرح الحديث الثامن والعشرين ص 235 قال الشارح « قال ﷺ اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر » ولم يخرجه ولم أقف أنا على هذا الحديث في الكتب التي بين يدي

(5) تم تخريج هذا الحديث في الرسالة « جواب الكتاب »

هذا الخير من شر قال: نعم.. إلى أن قال قوم يَهْتَدُون بغير هَدْيِي[1] تعرف منهم وتنكر» (6) يعني جمهور الملوك (7)

وقال ﷺ «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة. ثم تصير ملكا عضوضاً»[2] (8) وفي الخبر الآخر: «أول هذا الأمر نبوة ثم خلافة ثم ملك ثم هتك وفساد في الأرض» (9) إلى غير ذلك مما لا نطيل به فكان ﷺ أقام الأمور على ساقها وأعطى كل ذي حق حقه وتصرف في هذا المال بما أمر الله به. يأخذه بحقه ويصرفه في مستحقه. فلما توفاه الله إلى رضوانه. قام بالأمر خليفته أبو بكر الصديق الذي ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيئين والمرسلين على أفضل منه رضي الله عنه. وبعد البيعة له أخذ قماشه الذي يحترف به لأهله وخرج إلى السوق وأراد أن يصنع كما كان يصنع من الأكل من كسب يده. ولم يلتفت إلى مال الله لأنه علم أنه لجماعة المسلمين وليس أحق به منهم. فلما رأى الصحابة ذلك منعوه وردوه عن السوق وقالوا والله إنك في شغل بأمور الناس عما تريد وعوضوا له من المال كفايته مع الاقتصاد من غير سرف ولا تقتير. فلما توفي خلفه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فمشى بسيرته في الاقتصاد حتى كان يرقع ثوبه برقع. وقال للصحابة إن رأيتم فينا شيئا فقولوه. وكان يقول

---

1 — في الأصل هدى التصحيح من متن الحديث كما ورد في الصحيحين 2 — في الأصل «عضودا» صححت من متن الحديث. (ملك عضوض) فيه عسف وظلم.

---

(6) جزء من حديث طويل رواه البخاري عن حقيقة بن ايمان يقول «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير. وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير. فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت وهل بعد هذا الشر من خير قال نعم وفيه دخن (كدر) قلت وما دخنهُ؟ قال قَوْمٌ يَهْدُون بغير هديي تعرف منهم وتنكر...» الحديث وهو طويل أخرجه البخاري في باب علامات النبوة وأخرجه مسلم في المغازي والترمذي في الفتن أنظر إرشاد الساري ج 55/6 — 56 وشرح النووي على صحيح مسلم ج 44/8 — 45

(7) تفسير اليوسي: «يعني جمهور الملوك» تعليقا على الحديث هو من شرح القاضي عياض أنظر إرشاد الساري ج 183/10 وما بعدها قال القاضي عياض المراد بالذين تعرف منهم وتنكر الأمراء.

(8) أورده شارح الأربعين النووية في معرض شرح الحديث الثامن والعشرين ص 235 قال ﷺ الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا. ملك عضوض: فيه عسف وظلم

(9) لم أقف على تخريج هذا الحديث.

رحم الله امرأ أهدى إلينا من عيوبنا (10) فقيل له لو رأينا فيك شيئاً لقومناك بسيوفنا . ومرة قدم بلال رضي الله عنه فقال ذلك . فقال بلغني أن لك ثوبين ثوب بالليل وثوب بالنهار . وأكل على مائدتك لونان فقال هل غير هذين ؟ فقال أما هذان فقد كفيتهما يعني لا أفعلها بعد . ثم صار عثمان رضي الله عنه بنحو ذلك إلى أن غلبت عليه نخبة رهطه ورفقائه . قدمهم لبعض الأمور فوقع الإنكار عليه وبيان ذلك يطول . ثم ولي علي كرم الله وجهه فصار بذلك . وكان يلبس القميص . ويجعل طرفه على العضد ثم يقول الحمد لله الذي (جعل)[1] هذا من رياشي ويقول يا صفراء . ويابيضاء غري غيري ولا تغربني (11) في كثير كلام من هذا المعنى . فلما ذهب الأئمة المقتدى بهم دخل الناس هذا الأمر بالعنف والشهوة وانقطعت الخلافة/وجاء الملك العضوض كما أخبر به ﷺ وذهبت السيرة المحمدية إلا قليلا وجاءت الكسروية والقيصرية (12) . وتصرفوا في هذا المال بالشهوة وعاملهم الناس بالرغبة والرهبة . وصدق فيهم قوله ﷺ « إذا بلغوا بنو أبي العاص ثلاثون رجلا اتخذوا عباد الله خَوَلاً (13) ومال الله دُوَلاً » (14) وذكر هذا الحديث لمروان ابن الحكم بن أبي العاصي فقال أنا والله أبو عشرة . وأخو عشرة . وعم عشرة . وقال ﷺ « إن رجالا يتخوضون (15) في مال الله بغير حق ، لهم النار يوم القيامة . وصاروا يغضبون غضب الملوك ويرضون رضى الملوك » (16) كما في الحديث أي الملوك الماضين من فارس والروم . بالشهوة والجبروت . فإن الخلفاء الراشدين كان غضبهم ورضاهم لله في الحق . كما كانت شيمة نبيهم ﷺ وسيرته . وانقطع حينئذ الاقتداء بأولئك الملوك . حيث لم يكونوا على قدم

ص 223

---

1 — زيادة يتطلبها السياق وأظنها من اسقاط الناسخ.

---

(10) ذكره صاحب كتاب مجمع الامثال رحم الله من اهدى إلي عيوبي ونسب قوله لعمر بن عبد العزيز. انظر مجمع الأمثال للميداني ج 1:326

(11) رواه الإمام احمد في مناقب علي من حديث علي بن ربيعة. انظر قصة ذلك في كتاب المقاصد الحسنة ص 475.

(12) أي أن خصائص حكم كسرى ملك الفرس وقيصر ملك الروم. دخلت الخلافة الإسلامية

(13) خولا العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية

(14) دُولا ما يتداول فيكون مرة لهذا ومرة لذاك. والحديث لم اقف له على تخريج

(15) يتصرفون بالباطل

(16) حديث اخرجه البخاري عن رواية خولة الأنصارية. انظر بلوغ المرام ص 303

(17) النبي ﷺ . كما كان عليه الخلفاء . بل متصرفين بأهوائهم « وأبغض إلَاهٍ (18) عبد في الأرض ... » الحديث المروي (19) . قال تعالى « أفرأيت من اتخذ إلَاهَهُ هواه وأضله الله على علم » (20) ولم يبق إلا الاقتداء بالنبي ﷺ ومن كان على قدمه من الخلفاء . وكذلك جميع أصحابه ﷺ لقوله ﷺ « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهْتَدَيْتُم » (21) وكذا التابعون لهم بإحسان . وأهل العلم والدين وهلم جرّا ولم يزل ملوك بني أمية على ذلك إلى أن أحيا الله الأرض بعد موتها . وأنارها بعد ظلمتها بالإمام العادل أبي حفص عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقد —والله— وجد الدولة فرثاً (22) ودماً فقلبها بإذن الله وتوفيقه لبناً خالصاً سائغاً للشاربين وكان من شأنه أن سليمان استخلفه . فلما مات سليمان وفرغ من دفنه سمع للأرض ضجة فقال ما هذا؟ قالوا هذه مراكب الخلافة . فقال اصرفوها عني وآتوني ببغلتي . فركب وصار . فإذا بصاحب الشرطة يسعَى بين يديه على عادة الملوك قبله فقال تنح عني . إنما أنا واحد من المسلمين . فلما انتهَى إلى الجامع رقِي المنبر فقال : معشر المسلمين . إن سليمان بن عبد الملك قد قلدني هذا الأمر . ولا أرب لي فيه فقد خلعته من عنقي وجعلته إليكم . وجعلتكم من أمري في حل/فانظروا لأنفسكم من ترضون . فصاح الناس صيحة واحدة : رضينا بك رضينا بك فلما هدأت الأصوات خطبهم وبين أسماء[1] الدين ثم قال في آخر كلامه : أطيعوني ما أطعت الله . فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم . ثم نزل فذهب يدخل الدار . فقام إليه ابنه عبد الملك بن عمر وكان هو أيضاً من الصالحين فقال له ما تريد يا أبت ؟ فقال يابني إني قد سهرت في هذا الأمر وتعبت . فأريد قيلولة أستجم بها نفسي . فقال له : يا أبت وأين حقوق الناس بالباب ؟ فقال : يابني إلى الظهر. فقال له : ياأبت ومن لك أن تعيش إلى الظهر؟ فأخذه وقبله ما بين عينيه

ص 224

1 — كذا في الأصل.

(17) قدم السابقة في العمل. الطريق

(18) في الأصل « إلى الله » التصحيح من نص الحديث

(19) هذه إشارة إلى الحديث « أبغض إلاهٍ عبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى » أخرجه الطبراني من حديث أبي أسامة باسناد ضعيف أنظر المغنى بذيل الاحياء ج 34/1

(20) الآية 22 من سورة الجاثية مكية

(21) سبق تخريج الحديث في أوائل رسالة جواب الكتاب أنظر ص 134 رقم /26/

(22) الفرث السِّرْجِينُ ما دام في الكرش

وقال الحمد لله الذي خلق مني منْ يعينني على ديني . وخرج إلى الناس . ولم يَقِلْ . ونادى من كانت له مظلمة عند بني مروان (23) أو غيرهم فليأتنا . فأتاه الناس فجعل يرد عليهم ما غصب منهم من ديار وضياع . وجدار وعبيد وغير ذلك من الدول قبله حتى لم يترك مظلمة إلا وأزالها . ولا حقاً إلا أداه ـــ رضي الله عنه ـــ مع السكينة وخفض الجناح وسلامة النفس . وأمن الغائلة (24) والشفقة والرحمة على عهد السلف الصالحين . وكان أنكر عليه بنو مروان ما فعل بأموالهم فكتب إليه عمر بن الوليد[1] وهو يومئذ أسنهم كتابا يعاتبه ويقول له إنك قطعت أرحام أهلك ، ودفعت ضياعهم ، وأتلفت أموالهم ، فقمت بهذا الأمر لتصلح فأفسدت ، ورمت التقرب إلى الله تعالى فبعدت ، فياليتك لم تل هذا الأمر ، فأجابه عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه بكتاب مقزع (25) يقول فيه : طال ما تِهتُم في الضلال وعتوتم في الفساد ، فسقكم اعوجاجكم . إلى أن قال له من آخر كلامه أبيعك وأقسم ثمنك على المسلمين فإن أباك الوليد قد اشترى أمك من بيت مال المسلمين فاستولدك ، وهم أحق . من كلام اخترناه . وكان رحمه الله عازماً على هذا الذي ذكر أن يفعله غير أنه أخره تدريجاً لِتَمَهُّدِ الأمر . وخاف أن يفعل ذلك فتنفر الناس وربما اختل النظام . وكان ابنه عبد الملك استعجله في ذلك حتى قال له يا أبت وددت أني وإياك في طنجير يحمى علينا في ذات الله . فقال له أبوه مهلاً يابني ! مهلا ! فإن الله تعالى قد ذم الخمر مرتين وحرمها في الثالث . وذلك تدريجاً للعباد كما درجهم في التنزيل حيث أخر الخمر . والفواحش . والقتال/على الدّين . ونحو ذلك ، فكأن عبد الملك رضي الله عنه طارت به قوة الإرادة وعنوان الديانة فقال ما قال . وأبوه رضي الله عنه كان أفقه بالدين ، وأعرق في العلم . وأفقه في مواد الشرع ، وأعرف بمصالح العباد . ثم اختار قبل أن يكون ما عسى أن

ص .225

1 ـــ في الأصل زيادة أبي . «أبي الوليد» وهذا سهو من الناسخ وسيظهر ذلك في السياق .

(23) بنو مروان الأمويون من عقب عبد المالك بن مروان (65هـ ـــ86هـ) الذي يعتبر بحق المؤسس الثاني للدولة الأموية . لأنه انتشلها من الفتنة والفوضى . أنظر تاريخ الإسلام ج 292/1 تأليف الدكتور حسن ابراهيم حسن

(24) أمِن غائلتَهُ لم يخش شره

(25) مقزع أَقْزَعَ له في المنطق . تعدى في القول .

يكون .

ثم جاءه الشعراء على عادتهم في تهنئة الملك فامتنع منهم وقال مالي وللشعراء ؟ حتى أثبتوا له أن النبي ﷺ قد سمع الشعر وأثاب عليه . فأذن لجرير بن الخطفا وطرد الآخرين . ثم قال له اتق الله يا جرير . ولا تقل إلا حقاً فأنشده شعره . فلما فرغ قال له رضي الله عنه إني قد وليت هذا الأمر وليس عندي إلا ثلثمائة مائة لأم عبد الله . ومائة لعبد الله ومائة لك يا جرير . ولم يمس بيت المال . وإنما أعطى من خالص ماله فخرج جرير فتلقاه الشعراء . وقالوا له ما وراءك يا أبا حزرة ؟ فقال ما يسرني وإني عنه لراض . فقال رأيت رقي الشيطان لا تستفزه (26) البيت . وسمع مسلمة ابن عبد الملك بكاء في داره رضي الله عنه فدخل إلى أخته فاطمة بنت عبدالملك زوجة أمير المؤمنين فقال لها ما شأنكم ؟ فقالت دخل علينا فقال إنه نزل بي من هذا الأمر ما يشغلني عنكم . فمن أرادته منكن أن تبقى وتحتسب وتعبد الله تعالى وتصبر فلتفعل وكان رضي الله عنه يقول إن اشتغلت بهن في النهار ضيعت الناس . وإن اشتغلت بهن في الليل ضيعت نفسي . وكان لفاطمة ثوب منسوج بالذهب أتت به من دار أبيها . فلما ولي قال لها رديه إلى بيت مال المسلمين . ويقال إنهم دخلوا عليه في مرضه وهو على حصير . وثيابه وسخة . فأرسلوا إلى فاطمة يقولون لها لم تتركين أمير المؤمنين في هذه الحالة ؟ فقالت إنه والله ما بيده مال . وبيت المال مائتان . ولما حضرته الوفاة لأمه الناس وقالوا له إنك تركت أولادك فقراء محاويج فقال سبحان الله . إني لم أمنعهم حقا كان لهم . ولست بالذي أعطيهم ما ليس لهم ثم دعا بهم فاجتمعوا بين يديه ونظر إليهم فبكى . ثم وعظهم وبصرهم ودعا لهم . فيقال إنه لم يفتقر ولد لعمر بن عبد العزيز ببركة دعوته وصدقه مع الله تعالى . وقد ذهب أولاد الملوك قبله وبعده شذر مذر . والأمر لله الواحد/القهار .. وأخباره رضي الله عنه أكبر من هذا وأكثر . فمن كان ذا بصر في أمره وطلب النجاة لنفسه . فقد رأى فريقين : فريق أهل الحق وفريق أهل الهوى . فلينظر أيهما يتبع . والحق أحق أن يُتَّبع . وقد جاء رجل

ص 226

---

(26) لم اقف على هذا البيت لا في ديوان جرير ولا في كتب الادب التي اطلعت عليها

إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . فقال له رأيت القيامة قد قامت وإذا بالصراط قد نصب فجاء أبو بكر فعبر . ثم عمر كذلك . ثم عثمان . ثم جيء بعلي ومعاوية فأدخلا للحكومة بينهما . فخرج علي وهو يقول قسم لي ورب الكعبة ! ثم خرج معاوية وهو يقول غفر لي ورب الكعبة ! ثم جاء عبد الملك فوضع رجله فسقط في النار . وجاء الوليد فسقط . وجاء سليمان فسقط . فلما لم يبق إلا أمير المؤمنين جعل يبكي ويصيح ويشهق حتى كاد يموت . والرجل يقول والله يا أمير المؤمنين لقد رأيتك نجوت فمن تخيل هذا الموقف وتذكر قوله ﷺ « ما من وال يلي ولاية إلا جاء يوم القيامة ويداه مغلولة إلى عنقه . فمن عدل يفكه ومن جار يوبقه » (27) . استعد لأمر . وارتكب الجد . وأمَّا جعفر (28) فهو رجل من الملوك يعمه ما يعمهم . ولم يأت حتى كان المال قبله دُوَلاً . وعباد الله عبيد خَوَلاً . وليس من الخلفاء المقتدى بهم . مع أن كلامه غير خارج عن الصواب . فإن قوله لابنه تركت لك ما فيه كفاية الجند . وكفاية الذرية صحيح . وليس فيه ما يقتضي أنه يأخذ ذلك كما أحب لمجرد الشهوة . بل إخاله[1] إن كان من أهل الهدى . على ما علم من هذا الأمر . من الأخذ بالعلم والتقوى . كفعل السلف الصالحين . وإن كان من أهل الهوى والشهوة . فلا سؤال عنه . ولا استدلال به وليس التحفظ مخصوصاً بما يصرفه في البيوت . بل في الجند أيضاً . فلا بد من العلم والتقوى في الجميع . حتى لا يمنع الحق . ولا يفسد المال في غير حق . وأما التعرض لما يستحقه صاحب الأمر من بيوت المال . وما يكون له أن يأخذه من الناس وما يكون به استحقاق المرتبة من الأوصاف والشروط . والفرق بين الخلافة المعتبرة شرعاً . والتغلب ونحو ذلك . فهذا أمر متعذر لا يستطاع ذكره ولا الحوم بساحته وقد ذهب الحديث عنه منذ الخلفاء/الراشدين . فإنهم رضي الله عنهم كانوا قد قاموا في هذا ص 227

1 — في الأصل « أحاله » وأظنه خطأ من الناسخ . صححت بما يناسب السياق

(27) حديث اخرجه احمد من رواية عبادة ابن الصامت رواه البزار وابو يعلى والطبراني في الأوسط من حديث ابي هريرة . انظر المغني بحاشية الاحياء ج 3 324 . فيض القدير ج 1 469

(28) لعله يعني ابا جعفر المنصور . وإنما اسقط الناسخ « ابو » وهو ثاني الخلفاء العباسيين بعد ابي العباس المنصور . والدليل على ذلك ان اليوسي يوقف عنده الاستشهاد . ويؤكد انه ليس خليفة حتى يستشهد به اي ان الدولة العباسية لا صلة لها بالخلفاء على نحو ما كانت الاموية بواسطة عمر بن عبد العزيز

الأمر لله تعالى واتخذوه عبادة . ولو وجدوا من يحمله عنهم لم يكرهوا وكانوا مستقيمين على الصراط المستقيم لا تُتَّقي بوادرُهم . ولا تُخْشَى غائلتُهم . ولا يأنفوا من الحق أن يسمعوه ، بل يطلبونه ويحبون من ينصحهم وينصفون من أنفسهم ، فكان علماء زمانهم قد علموا ذلك منهم وتحققوه ، فكانوا ينصحونهم بكل جليلة ودقيقة لا يتوقعون منهم إلا المجازاة بالخير آمنين مطمئنين . فلما انقلبت الدولة مُلكاً من عهد الأمويين[1] كما ذكرنا . وحدثت الشهوة المتبعة والغضب لغير الله ، والصولة على أعراض الناس ودمائهم وأموالهم بغير حق . انخنس (29) العلماء وهربوا بأنفسهم طلباً للنجاة . وعلموا أن النصح لا ينفع ، وعملوا بقوله ﷺ « إذا رأيت شُحّاً مُطاعاً وهوىً متبعاً ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخويصة نفسك » (30) وتفرغوا للاستعداد لمعاهدهم ، وتركوا الخلق في بلواهم والله تعالى أعلم بمصالحهم ، ومراده ما هم عليه . وهذه سيرة السلف رضي الله عنهم ، فكان الملوك إذ ذاك يغلبونه ويأتونه وكان العلم أعز شيئ ، والعلماء أعز الناس . كما قال أبو الأسود الدؤلي (31) رضي الله عنه : لا شيئ في الدنيا أعز من العلم . الأمراء حكام على الناس . والعلماء حكام على الأمراء . ثم دارت جولة الدنيا عليهم ، وداخلهم الطمع ، فَطَلَبوا التقرب إلى الملك ، واشتغلوا بالمداراة بل بالمداهنة معهم . والتحبب إليهم بكل مِحالٍ (32) ، فعاقبهم الله تعالى بزهدهم فيهم ، والتعزز عليهم ، فهان العلم وهان أهله كما قال القائل (33)

يقولون لي فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أأغرسه عِزّاً وأجنيه ذِلة ... إذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما

---

1 — في الأصل « الأمرين » صححت بما يناسب.

---

(29) انخنس عنه تأخر وانقبض وتخلف .
(30) حديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة . أُنظر المغني بذيل الاحياء ج 377/369/3
(31) سبقت ترجمته في رسالة جواب الكتاب أنظر ص 136 رقم /36/ .
(32) المحال رَوْمُ الأمر بالحيل والمكر .
(33) الأبيات للقاضي الجرجاني وقد سبق التعليق عليها في رسالة جواب الكتاب .

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظَّموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه[1] فهانوا[2] ودنسوا ... محياه بالأطماع حتَّى تجهما

وهذا كلام على الغالب . وإلاّ ففي كل زمان والحمد لله سادة وفي كل قطر قادة . ثم إن الله تعالى لم يُخْل بفضله وإحسانه وطوله (34) وامتنانه . كل ما أظهر للوجود/من حكمة وفائدة . ومنة وعائدة . فقد جعل تعالى في الملوك على ما هم عليه مصالح العباد جمة . طوقهم بها كل منة ونعمة . وذلك كتأمين السبل وحسم الفتنة . وحماية البيضة وإعزاز الملة . وإظهار أئمة الإسلام وغير ذلك . ولذلك ورد في الخبر : « السلطان ظل الله في الأرض » (35) و « السلطان الجائر خير من الفتنة » (36) وقال ابن المبارك (37) رضي الله عنه

ب 228

لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

وليسوا على وصف واحد ولا في درجة واحدة . بل هم متفاوتون في الفضل . متفاضلون في النبل . فمن كان منهم أقرب شبهاً بالخلفاء الراشدين في مراعاة العدل والفضل . وحسن الخلق والسيرة . وكثرة السعي في مصالح الرعية . وتوقي مضارهم . كان أفضل وأكمل . ولم يزل في كل دولة من الدول من يتطاول إلى نسمات أهل الخير . ويزاحم أهلها . وكل من فعل خصلة حميدة فهو محمود عليها . ومنسوب عند الانتماء إليها ولو لم يكن إلا الإنصاف بسماع الحق . وقد حمدنا الله تعالى إذ كنا في دولة سلطان هاشمي علوي فاطمي . يستمع الحق ويطلبه ولا يأنف عنه . ولا يستفزه كبرياء ولا أشر ولا

---

1 — في الأصل « أهانوا » صححت من « يتيمة الدهر » . 2 — في الأصل « فهان » التصحيح من نفس المرجع

---

(34) الطول الفضل والقدرة .
(35) حديث أخرجه البزار بسند ضعيف من حديث ابن عمر . أنظر المغني ج 99/4 وأخرجه الطبراني والبيهقي أيضا وذكره الذهبي في الضعفاء . أنظر فيض القدير ج 142/4
(36) ورد هذا الحديث بهذا اللفظ « الإمارة الفاجرة خير من اهرج » رواه الطبراني في الكبير أنظر المغني بذيل الإحياء ج 99/4 .
(37) سبقت ترجمته في الرسالة الأولى « جواب الكتاب » انظر ص 136 رقم /37/

بطر (38) . فهذا من فضل الله علينا ومنته لدينا . نسأله سبحانه أن يديم علينا نعمته . وأن يديم على سلطاننا أيامه الصالحة . ويديم عليه غوادي فضله وروائحه . وأن يكمل عليه نعمة الاستماع . بنعمة العزم على الخير . ونعمة العزم بنعمة العمل . ونعمة العمل بنعمة الإخلاص والقبول . حتى يبرز في الدارين بأسنى المراتب . وأشرف المناقب وأن يصلح به البلاد والعباد . ويحسم به كل فتنة وفساد . إنه على ذلك قدير . وبالإجابة جدير . وكتب عبد الله الحسن بن مسعود كان الله له آمين .

(من خط خط من نقل بلفظه والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين .)[1]

---

1 — زيادة من قول الناسخ

---

(38) الأشر : البطر : المرح والخيلاء والتكبّر على الحق . والطغيان بالنعمة وكراهية الشيْ من غير ان يستحق الكراهية .

جواب اليوسي في موضوع فتح العرائش

هذه الرسالة بعثها أبو علي اليوسي إلى السلطان المولى إسماعيل ، ردّاً على استفتائه لعدد من علماء عصره ، في موضوع صحة الأمان الذي أعطى لنصارى ثغر العرائش عند فتحها (1) وقد نقل الناسخ أيضاً مقدمة للجواب ، وجدها في الأصل الذي نقل منه ، كما ذكر ذلك في آخر الجواب تقول هذه المقدمة

« ومما كتب به شيخنا العلامة القدوة أبو المعالي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي قدس الله سره جواباً على نازلة نصارى فتح العرائش ، أدامها الله للإسلام وحاطها ، على ما تضمنه كتاب مولانا أمير المؤمنين ، المبعوث إليهم ، أنهم لما انقطع رجاؤهم من البر والبحر ، بعثوا راهباً منهم مع نصراني آخر ، وطلبوا من أمير المؤمنين أن يجعل لهم أجلاً من مدة شهر مُهادنة ، فقال لهم أمير المؤمنين فيما كتب لهم فيه انزلوا واستسلموا للأسر ، ونعطيكم أمان رقابكم ، ونعطي السراح لمائة تختارونها منكم تذهب لذلك البر. فلما بلغهم ذلك ماجوا ، وجلُّهم ما صدق ، حتى هرب منهم نحو الخمسة في البحر. فقتل المسلمون بعض هؤلاء الهاربين وأسروا بعضهم ، وما نجى منهم أحد. هذه صورة القضية .»

---

(1) تم هذا الفتح في الثامن عشر من المحرم سنة إحدى ومائة والف . وكان الإسبان قد استولوا على هذا الثغر سنة 1019هـ بعدما وعدوا الملك السعدى الشيخ المامون بنصرته على أخيه زيدان في الفتنة التي قامت بينهما حول الخلافة أنظر الاستقصا ج 6ص 20 وما بعدها

وتحدث في مسألة هذا الأمان الذي أعطى للنصارى صاحب « النزهة » فقال (2) «فتحها المسلمون بعد معاناة شديدة . وذلك أنهم حفروا المينات تحت خندق سورها الموالي للمرسى . وملأوها بارودا . ثم أوقدوها بالنار . فنفطت وسقط جانب من السور . فاقتحم المسلمون منه . وتسلقوا إلى ما كان من النصارى على الأسوار . فوقعت ملحمة عظيمة . وفر باقيهم إلى حصن « القبيبات » الذي بناه المنصور السعدي . واعتصموا به يوماً وليلة . فخامر قلوبهم الجزع وطلبوا الأمان . فأمنهم القائد أبو العباس (أحمد بن حدو البطوئي) على حكم السلطان . فنزلوا عليه . فأخذوا أسارى بأجمعهم ولم يعتق منهم إلا أميرهم وحده .»

ومن الذين أجابوا في مسألة الأمان الذي أعطى لنصارى العرائش . قاضي مكناسة في ذلك الوقت أبو عبد الله محمد بومدين (3) قال أبو القاسم العميري (4) في فهرسته عند التعرض لفتح العرائش :

« وكان النصارى الصبانيون تملكوه على يد محمد الشيخ بن مولاي أحمد . افتكّ به بنيه الذين كان تركهم رهناً ، فيمَا صَيَّرُوه عليه وعلى حاشيته في ضيافته عندهم ما يزيد على العام لقضية مشهورة . وحادثة غير مشكورة . ثم إن الله تعالى امتن — ولله الحمد — بفتحها على يد مولاي اسماعيل رحمه الله ..... إذ فتحت عليهم عنوة . وَعْدِموا في الرد عنده منهم الحول والقوة . وما شاع من التأمين لفئة من عتاتهم وقائدهم إلى ربقة أسرهم وشكاتهم . فقد حال القدر بينهم وبين تمامه ..... وهذا القاضي أبو عبد الله سيدي محمد بومدين تكلم في نازلتهم وأبان حكم حادثتهم ».

---

(2) انظر « نزهة الحادي » لليفراني ورقة 182 ظ . 183 مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم د 1406.

(3) أبو عبد الله محمد بومدين السوسي (.../1120هـ) إمام في المعقول . برع في الفتيا واشتهر فيها كان قاضيا بمكناسة الزيتون . له شرح على سلم الأخضري . من تلامذة اليوسي . أنظر ترجمته في نشر المثاني ج 64/2 و.

(4) أبو القاسم العُميري (.../1131هـ) من الفقهاء المتأدبين . أنظر ترجمته في فهرسته . مخطوطة الخزانة العامة بالرباط كـ 1361.

ثم أورد العميري جواباً طويلا للقاضي المذكور (5) وهو الجواب الوحيد الذي وقفتْ عليه حتَى الآن في هذه المسألة رغم أن اليوسي يذكر في مقدمة جوابه أنه « نظر في أجوبة الفقهاء أصلحهم الله وسدد رأيهم . وأدام وجودهم للإسلام »

مخطوطات الرسالة :

جواب اليوسي في نازلة العرائش يوجد مع جوابه في طائفة « العكاكزة » في نسخة فريدة في مجموع الخزانة العامة بالرباط مخطوطة رقم ك 1224 من ص 188 إلى ص 194 ولم أقف رغم البحث والتنقيب على نسخة أخرى من هذا الجواب .

وسوف أتعرض لوصف المخطوطة في جواب « طائفة العكاكزة »

واعتمدت على هذه النسخة الفريدة واعتبرتها أصلا رغم خلوها من كل تعليق أو تمليك . اللهم إلا ما كتبه ناسخها في آخر الجواب . قال « انتهى جواب العلامة اليوسي رحمه الله . وترجمة الجواب التي صدرنا بها جوابه . كذا وجدتها في المنتسخ منه صدره أيضاً . فكتبتها كذلك . اللهم ياذا الفضل العظيم عُمَّني بفضلك ورحمتك في الدنيا والآخرة بجاه رسولك سيدنا محمد ﷺ واختم لي بالحسنى وَبَوِّئْني المقر الأَسْنى . مع الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصدقين والشهداء والصالحين بفضلك وكرمك ياأرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين » .

---

(5) أنظر الفهرست للعمري ص 881

الرسالة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

أما بعد . فإنا قد نظرنا في مسألة نصارى العرائش أدامها الله تعالى للإسلام . ونظرنا في أجوبة الفقهاء (6) أصلحهم الله وسدد رأيهم وأدام وجودهم للإسلام . على حسب ما التمس سيدنا الأصعد . الرفيع الأمجد . أدام دولته منصورة الأعلام . مشرقة الليالي والأيام . مصونة بالحفظ والتأييد . والرشد والتسديد . نظراً بحسب ما تيسر من حالي في الوقت وإلى الله تعالى المشتكَى . ولم تمكن مراجعة الأصول لتعذرها عليَّ في الوقت . ومع ذلك لا حاجة إليها . فإن المسألة واضحة . في الفقه شهيرة . فغاية الأمر أن ينظر في ثبوت الأمان وعدمه . فإن صح — على ما وقع في الجوابين (6) وما سمعنا من ألفاظ حملته — أنهم لم يقبلوا الأمان بحسب ما ظهر من أفعالهم . وأنهم حين ورد عليهم كتاب أمير المؤمنين نصره الله . اشمأزوا وحاصوا (7) وماج بعضهم في بعض حتى ألقى البعض منهم نفسه في اليم . وأن ذلك كله ونحوه كان منهم كراهية للغلبة ولو على التأمين . فلا أمان لهؤلاء بل هم ملك للمسلمين . فإن اعترفوا بذلك أو ظهر ظهوراً بيناً لا يدفع فلا مقال لهم . وإن زعموا أنه لتأمين المتوسط استندوا لا لتأمين الإمام . فإن كان يومئذ خائفاً منهم فللإمام النظر فيهم . وإن ادعوا من ذلك شيئا آخر واحتيج إلى الترافع فلا مندوحة عنه وعرفاء الجند المظفر الأعز . بصراء بذلك لا تخفى عليهم أفعالهم . ولا مظاهر نياتهم .

وكذا لو عزموا بعد علمهم بالتأمين . على الفتك بالمسلمين أو بعضهم . مع

---

(6) لم اقف على أجوبة كل العلماء المعاصرين لليوسي في هذه المسألة . ما وجدته هو جواب أبي عبد الله بومدين قاضي مكناسة في ذلك الوقت أنظر فهرست العميري مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم ك 1361 ص 188

(7) حَاصَ يحيص عَدَلَ وحاد عن الشي

ممالاة (8) الآخرين . أو تكثيرهم السوداء من غير إنكار . فهذا أيضاً يوجب عليهم انتقاض العهد على تقرير ثبوته والله الموفق .

وإن ثبت الأمان بموجبه فلا محيد عن العمل به والغدر.....[1] وحديث التأمين والوفاء به/محكم لا ينسخ . وثابت لا يفسخ . ولو كان من أدنى الناس . كما قال ﷺ في « المسلمين يسعى بذمتهم أدناهم » (9) فكيف من أميرهم .

ص 189

وقد اتفق الأئمة الأربعة على صحة تأمين كل مسلم مميز . لكافر واحد أو جماعة من كل عدد محصور قال في « القوانين » فتدخل في ذلك المرأة عند الأربعة والعبد عند الثلاثة يعني مالكاً والشافعي وأبا حنيفة . والصبي الذي يعقل الأمان في المذهب . يعني مذهب مالك .

وأما الإمام فله التأمين مطلقاً وسواء في ذلك كله كانت مصلحته أو لا . إنما يشترط أن لا يكون ضرر . وليس الضرر مجرد ما يقع اسمه كفَوَاتِ نفس أو مال . فإن التأمين قلما يخلو من ذلك . وإنما الضرر ما يسرى إلى الناس . كتأمين جاسوس أو طليعة كما مثّلوا . وليس في الواقعة بحمد الله إن قُدر ثبوت الأمان والقيام به ضرر على المسلمين . فبعد أن أظفرهم الله بحصن عظيم كانوا يتمنون أن لو هرب عنه العدو وأَعْرَوْهُ (10) فتملكناه . ثم مكنه الله بما فيه من الأموال . وجماعة وافرة من العدو . فأي شيئ بعد ذلك إنْ مَنَّ مولانا أيده الله على نفر منهم فذهبوا . فهذا كله فيض من فضل الله . وكان الذاهب منهم بصفة نبدها أعزه الله في بحر الروم[2] . وهبهم مُعينين عند أهلهم السفلة أمثالهم . أو لهم أموال في بلادهم . فأي شيئ في ذلك وكل يوم في بلاد الله مثل ذلك أو أكثر . شرقاً وغرباً . وذلك كله تافه في جنب أموال أمير المؤمنين . وعظمة

---

1 — كلمة غير مفهومة في الأصل . 2 — كذا في الأصل .

---

(8) من : مالأَ يُمالي : مُمالأَةً على الأمر : ساعد وعاون عليه

(9) من حديث طويل رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن علي بن أبي طالب . أنظر إرشاد الساري ج 238/5 وشرح النووي على صحيح مسلم بهامش الإرشاد ج 79/6 كما أخرجه أيضا أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم . أنظر بلوغ المرام ص 273

(10) أعرى الرجل من الثوب نزعه عنه . أعرى الحصن تركه.

ملكه . ووفور ذخائره . وعار الغدر لا يقوم به ذلك . فكيف نرضى أن تمسح الروم عوارضها ضحكاً منَّا . وأنَّا غدرنا . فلم نقم شرعنا ولا فعلنا فعل الكرام .

وقد وقع في كلام الإمام اللخمي (11) رحمه الله أن الأسير إذا ائتمن مكرهاً لا يجوز له الهرب خلاف ما هو مشهور المذهب . قال لأن ذلك يدخل ضرراً على المسلمين . والتضيق على ما بأيدي العدو من الأسارى . ويرون أن المسلمين لا يوفون بعهد . فهذا فِرَارٌ واحد قد يعتذر له بالفاقة . وغيرها . فكيف بمن غدر في مستقر بلده . وفي محل اختياره . فأي عذر له ؟ فلينقلبن به النهار ليلا . ولتجرين به الفتنة رِجْلاً وخيلاً

وأما توهم أن هذا تأمين بعد الإشراف على الفتح فغير سديد . فإن الإشراف على الفتح ظاهر فيما إذا تسنى . وليس دونه عائق معتبر . والفتح في مسألتنا دونه ما يشيب الرؤوس/ويتلف المئين من النفوس . فالافتداء عن ذلك بزمرة من العدو ليس بضرر بل هو من المصالح التي تُعتبر . 190

وأما تحسين ذلك (12) بالنظر في أفعال الآباء وأفعال الجنس (13) من غير مشاركة في الفعل بوجه من الوجوه فلا يستقيم . كيف والقوم أهل حرب وعداوة متصدون لكل شر وفتك وغدر . ومكر وإضرار . منذ خوطبوا بالإسلام . ولم يُسلموا . وهلم جرًّا ؟. ولم ينقطع هذا الحكم عنهم — أعني التأمين — قط ولا رُوعي فيه ما عسى أن يجره الأجداد على الأولاد . إذ كل نفس إنما تكلف بما جنت فعلا . أو إعانة بوجه . كما قال تعالى : « وَلاَ تَزِرْ

---

(11) علي بن محمد الربعي أبو الحسن المعروف باللخمي (.../478هـ) فقيه مالكي له معرفة بالأدب والحديث . قيرواني الأصل نزل سفاقس وتوفي بها . صنف كتبا كثيرة أحسنها تعليق كبير في فقه المالكية سماه « التبصرة » أورد فيه آراء خرج بها عن المذهب . أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 148/5.

(12) تحسين انتقاض الأمان

(13) يعني النصارى عموما .

وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى » (14) . وقد فتحت الشام والعراق ومصر والمغرب في زمان الخلفاء الراشدين . وكم من مدينة فيه أو حصن أو قلعة نكثوا أيمانهم بعد الفتح . وربما سفكوا الدماء . واستباحوا الأموال وهذا أعظم الغدر . ثم حكم التأمين جار . ما قط انقطع .

وما ذكره شيخ شيوخنا العلامة سيدي العربي الفاسي (15) إن كان في الأرض تكون بالأصل للمسلمين وتملكها العدو . فواضح أن للمسلمين أن يتملكوها بما أمكنهم . كما في صورة العرائش . فلنا أن نحتال في تملكها بما أمكننا من الوجوه ولو غدراً . لأنها للمسلمين بالأصالة . ولا حق فيها للمشركين . فتملكها من يد المشركين لا حرج فيه بأي وجه . وقد قال ﷺ للمرأة التي جاءت بناقته وكانت من الإبل التي أخذتها غطفان وقالت إني نَذَرْتُ إن هي بلغتني أن أنحرها « بِئْس مَا جَزَيْتِهَا إِذْ بَلَّغَتْكِ » . ثم قال ﷺ « إنما هي ناقة من إبلي » (16) أو فيمن فعل بنا أمراً فإنا نفعله به . ولابد من مراعاة قوانين الشرع وهذا معلوم . وليس هذه من مسألتنا في وِرْدٍ ولا صدَر (17)

---

(14) الآية 15 من سورة الاسراء . مكية

(15) أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي (988هـ/1052هـ) متصوف من أهل فاس توفي بتطوان . خرج من فاس فاراً من فتنة العرائش . له مؤلفات « مرآة المحاسن » في مناقب والده و « المراصد » وغيرها . أنظر ترجمته وأخباره في شجرة النور ص 302 الصفوة ص 87 نشر المثاني ج 93/1 وجه. التقاط الدرر ص 23 أزهار البستان ص 138

(16) هذه الحادثة وقعت في غزوة ذي قرد . حين أغارت خيل بن غطفان على لقاح (الإبل الحوامل ذات اللبن) لرسول الله ﷺ بالغابة وفيها رجل من بني غفار وامرأة له . فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح فأدركهم بعض فرسان المسلمين واستنقذوا بعض اللقاح . ثم أقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل رسول الله ﷺ وقالت : يارسول الله إني نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها فتبسم الرسول وقال « بئس ما جزيتها إن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحريها . إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين إنما هي ناقة من إبلي . فارجعي إلى أهلك على بركة الله » والحديث عن أبي الزبير المكي . أنظر سيرة ابن هشام ج 327/3

(17) ليس هذا من الشيء في وِرْدٍ ولا صدرٍ أي ليس منه في شيء

فإن هؤلاء ما فعلوا بنا شيئاً . وإن فعلوا شيئاً فقد درأ عنهم التأمين . وبلدنا أخذناه . وإن كان كلامه (18) في غير ذلك فلا علينا منه . وإن كان فيما يتمسك به المتمسك من عدم الوفاء . أو من إصابة البرئ بفعل الجاني . فلا يلتفت إليه . فالشريعة قد تقرِّرْه ففيها الكفاية والمقنع . وما هو أحق أن يتبع . والحق أبلج والباطل لجلج (19)

فما بقي اليوم من محل لاستظهار أو استحسان . بعد وضوح الشريعة وتقرر المذهب . وقد التزم المجتهدون في المذهب قبل اليوم بزمان . ألا يفتواْ إلا بمشهوره . فكيف بالمقلد اليوم . فأي حاجة إلى اصطياد ما لاَنَ من المذهب والتجرؤ بأن ذلك فيه كفاية ؟

واختصار القول في ذلك أن الله تعالى أنشب بيننا وبين أعدائه[1] من الكتابيين وغيرهم الحرب لإعلاء كلمة الله . وأباح لنا في ذلك أنفسهم وأموالهم . ثم من أسلم أمن . ومن أمناه بوجه من وجوهه الثلاثة (20)/ فهو آمن أيضاً في الدنيا كما أمن بالإسلام مطلقاً . قال ﷺ في الإسلام « أمرت أن أقاتل الناس حتَّى يقولوا لا إلاه إلا الله فإذا قالوها عَصَمُوا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »(21) وقال تعالى: « فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلهم »(22) الآية وقال تعالى: في التأمين: « حتَّى يَعْطُوا الجِزْيَةَ »(23) وقال تعالى: « إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ

ص 191

1 — في الأصل زيادة « أهل » قبل من « الكتابين » وأظنه سهو من الناسخ

(18) كلام العربي الفاسي.

(19) مثال يعني أن الحق واضح والباطل ملتبس . قال المبرد قوله لجلج أي يردد فيه صاحبه ولا يصيب منه مخرجاً . أنظر مجمع الأمثال ج 216/1

(20) الوجوه الثلاثة هي : الجزية . عقد المهادنة . مطلق التأمين.

(21) حديث صحيح رواه الشيخان وأصحاب السنن . أنظر مشكاة المصابيح ج 11/1

(22) من الآية 5 سورة التوبة . مدنية

(23) تمام الآية « قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر . ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله . ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتَّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » الآية 29 سورة التوبة مدنية .

يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً . وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ . إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِين .» (24) وغير ذلك من الآي والأحاديث التي لا تُستَقْصى . وهذا واضح في نفسه مشهور . وإنما جئنا به توطئة . فنقول إن ثبوت التأمين في محله بوجه من وجوهه معلوم . وكل آية أو حديث يفهم الإغراء بالكفار نفساً ومالاً . فهو من أصل الإباحة . ومرد المحاربة . وهو مرتقب فيه التخصيص زماناً أو مكاناً أو شخصاً بالأمان . لأن التأمين . كالتخصيص كما وقع في القرآن التعبير بأسلوب ذلك قال تعالى «حَتَّى يَعْطُوا الجِزْيَةَ» وقال تعالى «إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ» الآية وغير ذلك من الآي والأحاديث

ثم إن لكل وجه من وجود التأمين . أعني الجزية . وعقد المهادنة . ومطلق التأمين أحكاماً . فضَرْبُ بعضها ببعض على الإطلاق . ونقل نصوص بعضها في بعض تخليط . ولا يخلو من غلط

أما مطلق التأمين الذي نحن فيه فقد سمعت أنه مما اتفقت عليه المذاهب الأربعة . فلم يبق فيه لذي بحث ولا ذي قياس . ولا اجتهاد على الإطلاق م. يفعل . اللهم إلا أن يحقق المناط ، وينظر أهو واقع أم لا كما قلنا . نعم . ذكر الفقهاء في مباحث المال أنه لو كان لشخص على شخص مال ، ثم ظفر الغريم بمال المديان فهل له الأخذ منه ؟ فقالوا إن كان غير مؤَمَّن عليه ، وأمن فتنة على نفسه ، فليأخذ ، وإن كان مؤمَّناً عليه فلا يأخذ لقوله ﷺ «أَدِّ الأمانة إلى من أئتمنك ، ولا تخن من خانك» (25) وقال آخرون : له أن يأخذ لقوله تعالى : «فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ» (26) وغيرها من الآي . ويكون الحديث واقعة عين وهو بعيد ، ويمكن الجمع بأن يأخذ من غير خيانة

---

(24) الآية 4 سورة التوبة مدنية

(25) حديث رواه الترمذي وأبو داود وحسنه . وصححه الحاكم واستنكره أبو حاتم الرازي وأخرجه جماعة من الحفاظ عن أبي هريرة أنظر بلوغ المرام ص 40

(26) تمام الآية : «الشهر الحرام بالشهر الحرام . والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم . واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين» الآية 194 سورة البقرة مدنية

بل بحكم الشرع . أو ما ينزل منزلته عند عدمه . وهذا كله ليس صورة النازلة ولا دليلها . فإدخاله فيها تهويل فقط ومُسَبِّبٌ فيه ظرف من الغدر . وقد أذن الفريق الثاني بالأخذ لكن هذا في المال ونحن في الرقاب . وهذا في المجازات لعين الفاعل ونحن فيما لا شيء . وأين هذا من هذا ؟ . وأما جعل الضمائر في نحو قوله تعالى : « فَاعْتَدُوا عليه (27) « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا »/ (28) ونحوها . ص 192
للأمم والأصناف . لا خصوص الأشخاص المباشرة الجناية . فإن كان في الأحكام العامة بالأصالة فصحيح . ولسنا منها . وإن كان على الإطلاق فضلال مبين . وتقرير ذلك أنه متى أريد ما أُذِنَ به على العموم . كقتال الكفار . واستباحة أموالها وأنفسها . سواء منهم من جنى عليك ومن لم يجن عليك . ونحوه من قتال المحاربين . فهذا في نفسه صحيح . ولكن لسنا منه . لأن قتال هؤلاء ومجازاتهم بالإذاية . ليس بخصوص كونه جانياً . بل لكونه محاداً لله تعالى ورسوله . فنحن نقصده بالإهلاك (سواء) [1]جنى علينا أو لم يجن . وبحثنا الآن إنما هو فيمن اعتصم بالأمان . وهو خارج عن الآي على ما مر من ذكر التخصيص . ومتى أريد إطلاق الإذن فيمن جنى ومن لم يجن . ولا مالاً جانيًا . ولا ظاهَرَ بوجه من الوجوه فهذا غير صحيح بالإجماع ولو كان من جنسه أو صنفه.

وقوله ﷺ : « لَأُمَثِّلَنَّ بسبعين منهم » (29) المشهور إنما وقعت في شأن حمزة رضي الله عنه حين بقر المشركون بطنه . وذلك يوم أحد قال ﷺ :

---

1 — زيادة يتطلبها المعنى ولا وجود لها في النص . مكانها بياض

---

(27) سبق تخريج الآية

(28) تمام الآية : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به . ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » الآية 126 سورة النحل . مدنية

(29) جاء هذا الحديث في مقتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وتمثيل كفار قريش بجثته . أنظر القصة مفصلة في سيرة ابن هشام ج 1 47

« واللهِ لإن أظفرني الله بهم لَأُمَثِّلَنَّ بسبعين منهم » (30) فنزلت : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فعاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ » الآية . فكفر ﷺ عن يمينه وترك المثلة . وَلَعَمْري لو فعل ذلك يومئذ لوجد عند الظفر بهم أكبر من سبعين ما بين قريش وأشياعها كلها تحارب للكفر . وتحرص على الإذاية بكل ما أمكن ، وتظاهر على ذلك . ولكن الله تعالى من رحمته أَبَى المثلة . وبالجملة ، فهو ﷺ إنما قصد التمثيل بالكفار ضرورة أن معه بالمدينة قوماً من قومه لا يخشون من ذلك نحلة (31)[1] والكفار يومئذ أهل حرب يحق فيهم كل إذاية ونكال . فالهم بالتمثيل بهم ليس همّاً بغير الفاعل المستحق ، فلا يَبْقَى للاحتجاج وجه . والحاصل أن الجنسية الطينية الإنسانية لا تعتبر في هذه المباحث . وإنما العبرة بالجنسية الفعلية الاختيارية ، التي هي مناط التكليف . وعلى ذلك يحمل هذا الحديث فمن حاول الاحتجاج به فلا يلتفت (إلا)[2] إلى الفاعل ومن ظاهَرَهُ لا غير . ولا شك أن الفاعل هاهنا ، ومن ظاهره أهل حرب ، هم بصدد كلما يفعل بهم من الإذاية كما قررنا . وذلك بحكم الأصالة . ولا يقاس عليهم غيرهم . وهذا له أمر واضح في الشرع ، ومن العجب العجيب أن لو دخل رجل من بني تميم إلى السوق فوقعت بينه وبين رجل فتنة فقتله وهرب ، فأراد الحاكم مثلا أن يقتل رجلا من بني تميم أو أكثر ، لكونهم من نسب/هذا القاتل ، أو أخذ مالا فأراد هذا الحاكم أن يأخذ من أموالهم مثله أو أكثر . وهُم في ذلك لم يمالئوا ولم يظاهروا ، بل ولم يعلموا أصلا . أفيكون هذا في دين المسلمين؟ أم يوجد له مصداق في الكتاب أو السنة؟ كَلاَّ وَاللَّه ! بل ذلك من أحكام الجهل واتطاغوت . ومنه المسمى عنْدَ العامة الإكفاف أضلهم الله وأضل سعيهم وَسَعْيَ من يدلهم وكان ذلك من أفعال الجاهلية وبها يتداعون . وفي الحديث : « من

ص 193

1 — بياض في المتن بعد « نحلة » 2 — زيادة يتطلبها المعنى ولا وجود لها في النص

(30) جاء في السيرة قول رسول الله ﷺ لولا أن تحزن صفية وتكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير . ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلنَّ بثلاثين رجلا منهم ج 3/47

(31) النحلة : ما كُفِّر به

تعزى بعزاء الجاهلية فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أبيه ولا تُكْنُوا »(32)

وقطعت الشريعة المطهرة ذلك القصاص ولذلك قال تعالى « وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ » (33) . وقال تعالى : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسْرِف في القتل » (34) أي لا يقتل غير قاتله أو أكثر أو غير ذلك من وجوه التعدي . أفنشتغل نحن اليوم بالإكفاف ونترك الشريعة المطهرة ؟ معاذ الله ، بعد تقرر الشريعة ، وإن العقوبة إنما هي على الجاني ، إن شخصاً فشخص ، وإن جماعة فجماعة . على أنه ﷺ لو فعل شيئاً من غير ذلك ، ربما فعل ما يكون من خواصه ، والشريعة اليوم تقررت ، وأن العقاب على الجاني لا غير فأي حجة تبقى هذا وفي غيره ، فضلا عن أن تكون في غاية الظهور والجلاء ، ومن قرر الآية على الاطلاق فمعناها عنده أن من فعل بك فعل سوء فافعل به مثله ولا تزد عليه . وهذا كله من نمط واحد لا عبرة به ، فإن هَذَا القدر لاَ يُدْخِلُ الأبناء في جناية الآباء . وعجباً عندنا اليهود تحت الذمة ما كنا نمنعهم أن يعتَدُّوا[1] بوقائع أسلافهم في أيام خيبر ونحوها ، وما وقع هنالك من المبارزات والمدافعات . ولا نَعُدُّهم بذلك ناقضين للعهد ، فهؤلاء ، أي شيء في ذكرهم ما وقع على وجه التبجح بالأحساب ، إذا لم يفعلوا ولا أعانوا فاعلا ؟ كيف ولو لقينا أسلافهم المذكورين وأعطيناهم أماناً لوجب الوفاء به ، ما لم

---

1 — في الأصل « نبتدوا » صححت بما يناسب.

---

(32) الحديث: « إذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فَأَعِضُوهُ بهن أبيه ولا تُكْنُوا » رواه أحمد بن حنبل والترمذي عن أبي بن كعب . ورواه أيضا الطبراني والنسائي وابن حبان . ومعنى الحديث : إذا رأيتهم من ينتسب بنسب للجاهلية بإحياء سنن أهلها وعاداتهم واتباع سبيلهم . فأعضوه : أي قولوا له أعضض . الهن : ذكر الرجل أي قولوا له : اعضض بهن أبيك أي بذكره . وصرحوا بلفظ الذكر أي من واجهكم بالمنكر فاذكروا له قبائح آبائه صريحاً لا كناية ليرتدع به عن التعرض للأعراض وخص الأب لأن هتك عورته أقبح أنظر فيض القدير لشرح الجامع الصغير ج 357/1

(33) تمام الآية « ولكم في القصاص حياة يأولى الألباب لعلكم تتقون » الآية 178 سورة البقرة

(34) من الآية 33 سورة الإسراء مكية

يفسد بموجب؟ والغيرة الإسلامية حاملة على تقوى الله . وحفظ حدوده . لا خصوص إهلاك كافر ولو بغير حق . وقول عمر رضي الله عنه : أنا أؤمنك بعد قتل البراء . هو كلام قبل وقوع التأمين لا بعده كما في مسألتنا .

وإن أريد بذكر هذا الكلام أنه لا يصح هذا التأمين بل يفسخ . فلا يسلم . إذ ابتداء التأمين جائز اذ لا مفسدة فيه . وهبهم قتلواْ كما قُتِلُوا لاَ بِدَعَ فيه . وهو شأن الحروب . والمصلحة لا تراعى كما مر . على أنها لو رُوعِيَتْ لوجدت من أوجه **الأول** : أنه تمام الفتح . **الثاني** أنه حقن للدماء ولو بقي الشيْ بحاله ص 194 لبقي المسلمون منتصبين للرصاص حتى يموت فيهم المئون/بحكم العادة . فالمائة فداء لهم . **الثالث** : أن فيه تنبيهاً على الحصون الباقية أن يتأهبوا للمخرج . وإلهاماً لعرفائها أن يشتروا أنفسهم قبل أن « لاَتَ حِينَ مَنَاصٍ » (35)

والوفاء بذلك هو ختام المصالح بما فيه من التأليف وإثبات الوثاقة . فلو وقع التوثق بالأمان . فإما أن يجتهدواْ في المدافعة حتى يمس المسلمين من ذلك قرح عظيم . وإما أن يفرُّوا لأول غمزة . فلا يحصل للمسلمين منهم طائل . ونسأل الله أن يختار لمولان أي الجانبين أعظم : إما المال .وإما شرف الذكر . وليعلم سيدنا أيده الله أن هذه المسألة لا تنفصل بمجرد الفتاوى . وإن كانت مائة فتوى بل لابد مع ذلك من حَكَم يفصل . وذلك شأن كل أمر تداعاه إثنان . ثم ينبغي هنا بعد الحكم إن كان الظهور للمسلمين أن يشاد بذكره ....[1] قلوب الناس وألسنتهم مما يضمرون . ويتمضغون من عدم الوفاء مؤمنهم وكافرهم . وإن كان الحكم للكفرة أن يعلموا أيضاً به . ليعلموا أنهم ما خرجوا إلا بالشرع لا بمكر منهم ولا خديعة ولا اغترار منَّا فيشهدوا بمتانة الشريعة المحمدية على شارعها أفضل الصلاة والسلام ويشهدواْ لسلطانها المديد المنصور . بوقوفه عليها . فلا يزالواْ يرهبونه ويخضعون له . ويثقون بعهوده ومواثيقه . وفي ذلك من الخيرات

---

1 — كلمة غير مفهومة في الأصل

---

(35) تضمين لآية كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص الآية 3 سورة «ص» مكية

والمصالح ما لا يَخْفَى . نسأل الله تعالى أن يجعل العزة والمجد وسائر الرغائب والخيرات منثالة على مولانا انثيال الغيث على الروض ، والخشية والإيمان والطهارة منسجمة على قلبه انسجام الفيض السلسال على الحوض . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

الرسالة في طائفة العكاكزة

يقول أحمد بن محمد التملي الشهير بالهشتوكي مؤلف «هداية الملك العلام»(1) ورقة 43: «..... تكلم فيها (طائفة العكاكزة) العلماء خلافة السلطان الرشيد سنة 1080هـ. واختلفوا فيهم، فمنهم من يقول هم زنادقة. ومنهم من يقول هم مرتدون يُستتابون. وآل أمرهم في ذلك الزمان إلى الاستتابة. فتابوا ظاهراً بعد أن أُوتِيَ بأكابرهم المجرمين إلى الحضرة البيضاء وسجنوا بها شهوراً، ثم أطلقوا بعد التوبة.»

ويظهر أن هذه الفرقة المبتدِعَة التي استحلت المحارم واقتحمت المناكر قد شغلت الناس هذه المدة من الزمن. وكاتبوا في شأنها أولى الأمر والعلماء والفقهاء ليبثوا في حالتها المنكرة. وقد عرفوا في نواح من المغرب منها بالخصوص (2):

— تادلا بني عمير، وبني سرو، والبضاضوة. ويسمون أنفسهم في هذه الناحية «بالشراقة»

— جبل فازاز في قبائل زمور ويسمون أنفسهم «بأعكازين» «والعكاكزة»

---

(1) أحمد بن محمد التملي الهشتوكي (1057هـ-1127هـ) تلميذ اليوسي. من الأدباء المغاربة. أنظر ترجمته في طبقات الحضيكي. والدرر المرصعة. وكتابه «هداية الملك العلام إلي بيت الله الحرام» غير مطبوع مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم ق 190

(2) أنظر نشر المثاني المخطوط ج 2 ورقة 33ظ وما بعدها. هداية الملك العلام ورقة 43 وما بعدها

وهو الاسم المشهور وقد ذكره صاحب نشر المثاني بالكاف المعقودة (3)

- بزعير في بعض قبائل الكَوْدة قرب سيدي أبي يعزى
- قرب تلمسان في بعض قبائل بني إزناسن
- بصحارى سجلماسة في بعض قبائل الغنانمة وتوات وما قرب إليهما

ومن الفقهاء الذيت أفتوا فيهم إلى جانب أبي علي اليوسي، قاضي سجلماسة عبد المالك التجمعتي (4) وقاضي مكناسة آنذاك محمد بن الحسن المجاصي (5) وبعد أخد آراء الفقهاء فيهم غزاهم المولى إسماعيل وقتل منهم نحو الثلاثة والستين رجلا وذلك في أوائل ذي الحجة 1101هـ (6)

مخطوطات الرسالة:

لهذا الجواب نسخة مخطوطة واحدة كاملة في مجموع الخزانة العامة بالرباط كـ 1224 من المكتبة الكتانية. ونقل أبو العباس أحمد الهشتوكي جزءاً قصيراً منه في «هداية الملك العلام» وترك أوراقاً بعده لا شك أنها كانت لنقل النص فيما بعد، ولكنه لم يفعل، بينما أورد جواب التجمعتي في النازلة. وقد استأنستُ بالجزء الذي أثبته من رسالة اليوسي

وصف المخطوطة:

يوجد الجواب في مخطوطة الخزانة العامة بالرباط كـ 1234 وهي عبارة عن مجموع يضم أيضا جواب اليوسي في نازلة العرائش.

---

(3) أنظر نشر المثاني ج 2 ورقة 33 ظ

(4) سبقت ترجمة عبد المالك التجمعي في رسالة «جواب الكتاب». أنظر فتواه في مسألة العكاكزة في كتاب «هداية الملك العلام» ورقة 37 ظ وما بعدها

(5) سبقت ترجمة الحسن المجاصي في رسالة «براءة اليوسي». أنظر جوابه في مسألة العكاكزة في كتاب «نوازل محمد بن الحسن المجاصي» ص 89 طبعة حجرية بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم 17751

(6) أنظر «نشر المثاني» «وهداية الملك» المشار إليهما أعلاه.

وقد كتب في الصفحة الأولى للمخطوطة اشتمل هذا المجموع على

— تعاليق المراقبة العليا في القضاء والفتيا للعلامة قاضي الجماعة البناهي
— وتويلفين للعلامة الشيخ سيدي الحسن اليوسي
— ومستودع العلامة. ومستبدع العلامة. لابن الأحمر
— وأعتاب الكتاب للقضاعي بن الأبار

والجواب في العكاكزة يوجد في صفحة 167 إلى صفحة 187 وخطه مغربي جميل يستعمل الألوان. وهو نفس الخط الذي نُقلت به أيضاً «رسالة نازلة العرائش» والأخطاء قليلة نسبيّاً وقد كتب في آخر الجواب: «انتهى ما وجد من هذا الجواب بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل ويمنه. وصلى الله على سيدنا محمد نبينا ورسوله وعبده. على يد كاتبه لنفسه ولمن شاء الله من بعده عبيد ربه أبي بكر بن العربي...[1] لا زال فضل المولى عليه يجري بمنه آمين. عشية يوم الاثنين سادس ربيع الثاني عام 1327هـ رزقنا الله خيره وخير ما بعده. ووقانا شره وشر ما بعده. ياثقتي ياعلي. اختم بخيرٍ عملي».

---

1 — محو في الأصل

الرسالة الخامسة

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فإن الطائفة الضالة المتلقبة في غربنا هذا بالعكازين وبالشراقة (7) قد ظهر خُبثهم وعُوَارُهم (8). واستطار في الأرض عيبهم وشنارُهُم (9) وشاع ضلالهم في العام والخاص (وبلغت جرأتهم)[1] على الله الداني والقاص، شيوعاً بلغ في الجملة مبلغ التواتر، وارتفع فيه عند كل منصف التخالف والتشاجر. فتعين على ولي الأمر وهو سيدنا السلطان، السعيدة أعلامه، الحميدة أيامه، أعلى الله كلمته لإعلاء الدين، وعزز نصره لإخماد المجرمين المعتدين، وأَبقَى وافر فضله منهلا للشارعين (10)، ووارف ظله معقلا للضارعين. أن ينتهض انتهاضاً تاماً في إطفاء الشر الفظيع، وتغيير هذا المنكر الشنيع. قال تعالى: «الذينَ إنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ» الآية (11). وقال ﷺ: «لَتَأْمُرُنَّ بالمعروف، وتنهونَّ (عن المنكر)[2] أو ليعُمَّنكم الله ببلاء من عنده» (12). غير أن هؤلاء الضالين لاختلاطهم بالمسلمين. وانغماسهم في غمار المومنين. لابد أن يُبَالَغَ

---

1 — في الأصل كلمة لا تقرأ صححت من الجزء من هذه الرسالة الذي أثبته الهشتوكي في «هداية الملك العلام» ورقة 43. 2 — زيادة مما أثبته الهشتوكي، المرجع المشار إليه اعلاه. ومن متن الحديث أيضا

---

(7) من كان بتادلا منهم يسمون «بالشراقة» ويسمون المسلمين «بالخزائلة» وأما من كان منهم بجبل فازاز فيسمون أنفسهم «بالعكاكزة» والمسلمون «بأزمين» أنظر «هداية الملك العلام» ص 43

(8) العوار: الضلال.

(9) الشنار: العار والعيب

(10) شرع يشرغ شرْعا وشرُوعا في الماء دخل فيه أو شرب بكفيه منه. شرع الوارد تناول الماء بفيه

(11) الآية 39 سورة الحج مدنية

(12) الحديث: «لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم.» أخرجه البزار من حديث عمر بن الخطاب والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة كلاهما ضعيف وللترمذي من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال: «أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعون فلا يستجيب لكم» قال هذا حديث حسن. أنظر المغني بذيل «الإحياء» ج 2 308

فيهم بالفحص والاستخلاص ويُتوقّى فيهم بتنقية الخَبَث من الخَلاص (13). حذار أن يؤخذ برئ بفاجر، أو يقتل مسلم بكافر فيوجه إليهم سيدنا أهل البصيرة والفطانة، والمعرفة والديانة، أو يلزم في كل صقع من الأصقاع المغربية من فيه من الحكام، المتقلدين استيفاء الحقوق وتنفيذ الأحكام، أن يستخلصوا هؤلاء المردة الفجرة من خَلَل القبائل، وتضاعيف المحلة والمنازل، ويأخذ كل من يؤم بهذه النحلة، وينسب إلى هذه الفعلة، فرادى وجماعات.

حتى إذا اعتقلوا وسجنوا طلبت الشهادة على كل قوم من عدول جيرانهم، الذين لا تخفى عليهم ظواهرهم وسرايرهم، ولا تغيب عنهم كبائرهم وصغائرهم.

ص 168 وبالجملة فيبعث في جمعهم/أقوى الناس ذكاء وفطانة، وأوثقهم أمانة وعفة وديانة، فإذا جمعوا ، بأن يؤخذ كل من منهم أقيمت البينة(14) عليهم من الجيران ، وسائر من عنده علم بهم من المسلمين، وفصلت الشهادة فيهم، فمن أثبتت البينة عليه الكفر ، إما بنسبة الألوهية لغير الله تعالى، أو النبوَّة اليوم والشريعة لغير نبينا محمد ﷺ، أو بجحد شيء مما علم من الدّين ضرورة، كجحد وجوب الصلاة، وصيام رمضان، أو حرمة الفواحش مثلا ونحو ذلك، أو باستهزاء بالشريعة أو غير ذلك مما يكفر به.

فإن كان ذلك على وجه الزندقة بأن يشهدوا بأنه كان قبل أن يُقبض يخفي الكفر ويظهر الإيمان، فحكمه أن يقتل ولا تقبل توبته.

وإن كان على وجه الردة بأن يشهد بأنه كان مسلماً ثم كفر جهاراً، فحكمه أن يستتاب ثلاثاً فإن تاب، وإلا قتل.

ومن أثبتت عليه البينة المعصية فقط، بأن يشهدوا أنه كان يدين بدين الإسلام في اعتقاده ، إلا أنه تغلبه شهوته وهواه فيواقع المعاصي، فهذا يؤدب

(13) الخلاص والخلاص بفتح الخاء وكسرها: ماانتفي عنه الغش من الذهب أو الفضة أو الزبد أو غيره
(14) الدليل والحجة الشرعية

على معصية الله تعالى بنظر الحاكم. ويقتل على ترك الصلاة ونحوها مما يقتل تاركه حداً أو كفراً على الخلاف فيه. بشرط ذلك كله المعروف في الفقه. وهذا كله بحسب تقدير الاحتمالات التي يمكن أن تقع. وقد بقي احتمال رابع (15). وهو أن يشهدوا أنه كان على دين اليهودية أو النصرانية أو المجوسية أو نحو ذلك خلفاً عن سلف من غير تقرر إسلام له قط. وهذا حكمه حكم الحَرْبِيِّينَ في ضرب الجزية عليه أو القتل أو غير ذلك مما عرف.

وبقي خامس وهو أن يشهدوا أنه كان مجاهراً بكفره بين العام والخاص غير أنه لم يرتد بنفسه، إذ لم يتقرر له إسلام قط. بل ورث ذلك عن آبائه. فإن كانوا هم المرتدين، أو ورثوا ذلك إلى ما لا يعلم، فهذا لا توجد فيه حقيقة الزندقة لعدم الإسرار. فالحكم عليه بالزندقة نظراً إلى كونه لم يتقرر له إسلام، ونظرا إلى كون أولاد المرتد لا يُلحقون بأبيهم لا وجه له بعد تسليم كونه مجاهراً.

ص 169 ثم نفي الردة رأساً، مع الحكم بأنه على دين لا يقر عليه كالمتدافع (16). كما أن الحكم باستبقائهم ولو بالجزية بعد الحكم بالرِّدَّة متدافع. وكذا إثبات الردة أو حكمها نظرا إلى جهاره، مع الاعتراف بأنه لا ردة له هو عن الإسلام، وأنه لا يلحق بأبيه في الردة لا وجه له. وكذا اختيار حكم الردة بعد نفي الحقيقي ترجيح من غير مرجح والتعليل بالاحتياط سيأتي بيان اختلاله.

والتفريق بين من ارتد إلى دين أهل الكتاب ونحوهم وبين من ارتد إلى دين آخر في أن الأول إذا بلغ ولده على الدين الذي ارتد إليه أبوه يترك، بخلاف الثاني، لا يعلم له وجه يحققه ولا نص يصدقه. نعم، وقع لبعض الفقهاء التنظير (17) في الكتابي، اذا ارتد إلى غير شريعته هل يترك عليها أم لا؟ والظاهر أن

---

(15) الاحتمالات الثلاثة هي كما تقدمت الزندقة. الردة. مواقعة المعاصي

(16) يقال تدفع السيل وتدافع دفع بعضه بعضا كاندفع وهو مجاز. وكذلك قولهم: قول متدافع أي يدفعه غيره مما هو أقوى منه

(17) تنظره تأمله وتأني عليه

المجاهر بكفره على التحقيق ليس بزنديق. فلم يبق إلا أن يقال: إنه مرتد بناء على أن الدوام كالإبتداء أو التبعية لأبيه أو يقال: إنه يقر على ما هو عليه من الكفر. **أما الوجه الأول** (18): فأول احتماليه لا يستقيم، وإلاّ لزم وقوع الردة. فلا يلحق به في الردة إذا كان صغيراً، إذ تبعية الولد لأبيه إنما تكون في دين يقر عليه، فإن قتل الوالد على الكفر بقي الولد مسلماً. فإن أظهر خلاف الإسلام أجبر على الإسلام فإن غفل حتى يبلغ ففي إجباره على الإسلام خلاف إذا ولد قبل الردة، ثم في كونها بالسيف أو بالسوط خلاف، وإن ولد بعدها أُجْبِر وإن بلغ، وقيل إن بلغ تُرِك، ولا يكون كمن ارتد، قال في التوضيح (19): وذكر في البيان عن ابن القاسم (20) انه لا يجبر بالقتل مطلقاً سواء ولد قبل الردة أو بعدها. وعن ابن كنانة (21) إنه إن لم يرجع الذي ولد بعد الردة يقتل. **وأما الوجه الثاني**: (22) فيمكن تقويته بأن يقال إن الفقهاء عَرَّفُوا الردة بأنها كفر المسلم من غير أن يشترطوا كون ذلك الكفر تهوداً أو تنصراً ولا غيرهما. ثم ذكروا الخلاف في ولد المرتد: فمن يقول يترك إذا بلغ: يلزمه أن هذا بلغ على هذا الكفر الذي ارتد إليه أبوه فيُتْرَكُ. وقد بقي احتمال سادس: وهو أن يشهدوا أنه معهم، إلا أنه لم يَظهر من أقواله ولا من أفعاله شيئ صريح في الدلالة على الكفر ولا عدمه في الظاهر، غير تكثيره لسوادهم في الجملة، وقد تُشاهد له مَعَاصٍ يشتغل بها بحيث عُلِم فسقه/إلا أنه لا يدري أفاسق قط أم كافر فهذا يُحْصَر عنه، فإن وجد له بعد اختبار ما به يقتضي أنه كان يعرف كفرهم ونحلتهم الفاسدة، وأنه كان يرتضيها ويشايعهم عليها فهذا يكفي في كفره، وإن لم يعمل

ص 170

(18) مرتد بناء على الدوام.
(19) هل هو كتاب «التوضيح» للشيخ خليل في شرح مختصر ابن الحاجب؟
(20) عبد الرحمان ابن القاسم بن عبد الله سبقت ترجمته انظر ص 174 رقم 190
(21) عثمان بن عيسى ابن كنانة يكنى أبا عمرو كان من فقهاء المدينة أخذ عن مالك وغلبه الرأي كانت له منزلة خاصة عند مالك توفي سنة 186هـ بمكة. أنظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك للقاضي عياض تحقيق ابن تاويت الطنجي ج 21/3
(22) أنه يقر على ما هو عليه من الكفر

عملهم، ومن كثر سواد قوم مثل هذا فهو منهم وإن عرف أنه إنما كان يشايعهم لِأغراض دنيوية أو أسباب اتفقت، أو جُهِل أمره رأساً فليترك، ويُنْهَى عن صحبة أمثال أولئك، ولا بأس أن يُزْجَر ويؤدب على تكثيره لسوادهم بحسب اجتهاد الحاكم.

وهذا كله بيان للنازلة من غير التفات إلى ما وقع في نفس الأمر، بل إلى ما يُقَدَّر وقوعه. فإن ذكر العلم وبيان الأحكام لا يتوقف على وجود المحل، بل تقدير وجوده فيقع الجواب بحسب السؤال المقدر، ولو لم يكن الأمر كذلك لما دُوِّنَ من الأحكام الشرعية والنوازل الفقهية إلا ما وقع، كيف وقد وقع السؤال في هذه تحقيقاً لا تقديراً؟

وأما ما وقع بحسب الخارج، فالمتقرر عندنا أنهم كفار، مع تجويز أن يكون فيهم جاهل بطريقتهم، ومنتهك على وجه المعصية مع التدين بدين الإسلام. والظاهر مع ذلك أنهم يستخْفُون من الناس إلا عند الأمن، فهم زنادقة، مع تجويز أن يوجد بعضٌ فيجهر: إما لقوة شكيمته، أو لنقصان ميزه، أو للأنفة من إخمال دينه، أو لمحبة أن يموت عليه.

أما الكفر فيدل عليه أمور بحسب ما انتهى إلينا من أخبارهم، فمن تلك الأخبار ما بلغ مبلغ التواتر، ومنها آحاد. إلا أنها متضافرة يصدق بعضها بعضاً. ومنها ما يدل ظاهراً، وقد علم أن الظوّاهر إذا كثرت في الشيء أفادت القطع به. وقد بلغتنا أخبار المجوس والنصارى والفلاسفة وغيرهم، مع تباعد دارها وتقادمَ عهدها، ولم نشك فيها. فكيف بهؤلاء الذين هم كاليد للفم؟ وهم بمرأى ومسمع. فَمِنْ ذلك ما ثبت أنهم لا يزالون عند جدالهم للمسلمين يقولون: ديننا كذا ودينكم كذا، وهذا تصريح بأنهم اتخذوا لأنفسهم ديناً آخر غير دين الإسلام وقد قال تعالى: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ» (23) وقد تظاهروا بهذا حتى سموا أنفسهم أسماء وَسَمَّوْا

ص 171

(23) الآية 84 سورة آل عمران مدنية

المسلمين بأسماء أخرى ليتميز كل فريق بلقبه فكان منهم من كان بقبائل البربر «كزمور» (24) يسمون أنفسهم «أعكازين» ويسمون المسلمين «أَرْمِينْ»، ومن كان بقبائل العرب كأهل تادلا (25) يسمون «الشراقة» ويسمون المسلمين «الخرائلة» ومن هذا المعنى قولهم للمسلمين إنهم «أصحاب محمد» ونحن «أصحاب أحمد»«وأصحاب المنزول» (26) وهذا تصريح بدينين وشِرْعَتَيْنِ وقد قتل خالد رضي الله عنه مالك بن نويرة على مجرد قوله: نبيكم. وكيف لو أثبت لنفسه نبياً آخر؟ وهذا بحسب استدلال خالد على ما فهم، وإن كان يقبل كلام الآخر وجهاً من التأويل. أما كلام هؤلاء المثبتين نبيّاً آخر فلا يحتمل التأويل.

وقريب من هذا ما حدثني به بعض أصحابنا أنهم[1] جادلوا كهفا من كهوف «شراقة» بني عمير فقال لهم الشراقي: نحن أصحاب الحقيقة وأنتم أهل الشريعة فقال له أصحابنا: أما الشريعة فقد ظهرت وبانت وأما حقيقتكم التي تدعون فإن كانت حقاً فأخرجوها لتظهر للناس. فقال الشراقي: الحقيقة حرة ولا تخرج للسوق، والشريعة خادم فقال أصحابنا فتحيرنا من بشيع كلامه ولم نجد ما نقول له غير أنا قلنا: إن الرجل يخرج للسوق فيشتري اللحم الحلال الزكي فيرفعه على عاتقه عياناً لا يستحي من الناس، ولو أخذ لحم ميتة لدسه تحت إبطه لا يراه أحد. فحقيقتكم هذه جيفة ولذلك تدسونها وتخفونها. قلت: فكلام هذا الكافر الفاجر مع ما فيه من الاستهزاء بالشريعة وهو كفر وحده كما في العقائد وغيرها. فيه التصريح بتغاير الدينين، وبأنه تبرأ من الشريعة والتزم ما زعمه حقيقة. وإن

---

1 — في المتن «أنه» صححت بما يناسب.

---

(24) زمور من قبائل المتوسط
(25) تادلا في سفوح الجنوب الغربي للأطلس المتوسط
(26) يقول عبد المالك التجمعي في جوابه في مسألة «العكاكزة» «... م لا يدري ما يريد القوم بأحمد المنزول فإن كان الملياني شيخ الطريقة وأستاذها فحاشاه وحاشاه فلقد كان جبلا من جبال الدين وإن كان غيره فهو عنقاء مغرب لا وجود له من حيث الوصف على فرض وجوده من حيث الشخص » «هداية الملك العلام» ورقة 38

لم تكن له حقيقة. وهذه هي الزندقة بعينها. وقد قال أئمتنا: من تحقق ولم يتشرع فقد تزندق. ومن ذلك ما شاع عنهم من القول في «المنزول» فتارة يسندون إليه الأمور يرون أنه هو الإلاه، وتارة يسندون إليه الأحكام يرون أنه هو الشارع، وكلاهما كفر صراح. **أما الأول** فشرك، قال تعالى: «أَإِلَاهٌ مَعَ اللهِ. تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ/(27) **وأما الثاني** فإلحاد وكفر براح (28). والاتفاق على أن من اعتقد لأحد شِرْكة مع النبي ﷺ في نبوءته إلينا، أو أثبتها لأحد بعده، أنه كافر مكذب.

ص 172

ومن ذلك ما ارتكبوه من رفض المأمورات، كالصلاة والصيام والضحية ونحوها، واقتحام المنهيات: كالزنى، وأكل الميتة، وقتل المسلمين، ونهب أموالهم ونحو ذلك. وهذه الأمور في ظاهرها يجوز أن تقع معصية مع الإيمان، وبهذا الوجه اغتر من أحجم على تكفيرهم: إما جهلاً منه بحالهم، وإما جبناً وخَواراً. لكن قد تقرر عند المشافهين لهم، السامعين لأقوالهم، الشاهدين لأفعالهم وأحوالهم، أنهم يأتونها مستحلين غير مكثرتين. أما أكل الميتة وحده ففيه حالية على الاستحلال، وذلك أنه قد استقر المسلمون قديماً وحديثاً، فما يوجد منهم من يأكلها بغلبة شهوة وداعي الهوى، مقتحماً فيها المعصية كما يدعو الهوى إلى الزنى وشرب الخمر، كلاّ بل جبلت قلوب المومنين والحمد لله على استقذار الجيفة والنفرة عنها، بحيث لا يجدون من أنفسهم إقداماً عليها إلا عند الضرورة الغالبة على الطبع. ومنهم من لا يأكلها حتى يموت.

وهؤلاء الظلمة يستلذونها ويتخيرونها كما يفعل النصارى الفرنج. وقد ثبت عند النقلة أنهم يستحلونها، يصرحون باستباحتها، ويقولون هي ذبيحة الله.

(27) تمام الآية «أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر. ومن يرسل الرياح نشْراً بين يدَيْ رحمته أإلاه مع الله. تعالى الله عما يشركون» الآية 65 سورة النحل

(28) جاء بالكُفر براحا أي جهارا

وذبيحة الله خير من ذبيحة الآدمي. وربما يبيت عندهم المسلم فلا يذبحون له ويقولون: خذ شأنك واذبح لنفسك. لإحساسهم أن ذبائحهم غير ذبائحنا. وناهيك بهذا كفر. وقد حكى النقلة عن عكازة زمور انهم يأكلون الخنزير أيضاً.

وأما سفكهم لدماء من ظفروا به من المسلمين غيلة أو جهاراً في زمن الفتنة. فأمر شهير وهو نتيجة ما يضمرون من تغاير الدينين، والكفر الموجب للبغضاء وفي الحديث: «من حمل علينا السلاح فليس منا» (29) وأما اجتماعهم رجالاً ونساءً وما يقع بينهم في ذلك من الفحشاء والمنكر فأمر شهير أيضاً لا يُنكر، وهو بظاهره أيضا معصية، وفيه يغتر الجاهل. وربما زاد المنكرُ للاحتجاج عليهم فقال: ص 173 إنه يقع الاجتماع المذكور عند المسلمين أيضا، كما يقع في أعراس العوام/وهيهات فانا لم نستدل بمطلق الاجتماع، ولا مطلق الزنى، بل باجتماع يعرف بأنهم يستحلون ذلك ولا يبالون به، بخلاف المسلمين. يعرف ذلك من ثَافَنَهُمْ (30) وجاورهم. وقد انتهى إلينا بعض من ذلك كقولهم: المرأة كالسجادة، صل واعط أخاك يصلي. وهذا استحلال وتقرير لأمر معروف لا ينكر، وفعلهم على الاتفاق والدوام من غير نكير بينهم، ولا استخفاء بعضهم من بعض يدل على ذلك، إذ لا تقع المعصية في المسلمين على هذا الوجه، ولا يسمع بجماعة وافرة من المومنين، يجتمعون على المنكر على الدّوام بلا نكير. بل لابد أن يقع اختلاف بينهم، فينتهك هذا وينكر هذا، أو ينتهكون في زمان وينهون[1] في آخر، وقد بلغنا من أحوالهم في ذلك وأقوالهم أشياء أخر تدل على الاستحلال للكفر. ويُسْتَحْيا من ذكرها في المجامع، وقد اضطررنا إلى الإستدلال. فلابد من الإلمام

---

1 — في الأصل «وينهئون» صححت بما يناسب.

---

(29) حديث رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر. وسلمة وأبو موسى الأشعري

(30) ثافنهم جالسهم ولزمهم حتى يعرف دخيلهم

بشيء منها: فمن ذلك ما ثبت عند جميع المداخلين لهم، أن شيطانهم الكبير، وهو شيخ التربية عندهم (31) ويسمونه القطب، إذا أراد رياضة المريد، وإماتة نفسه، وأن يبلغ به مقام الفناء يأمره أن يأتي زوجته، فيأتي المريد وزوجته إلى محضر القطب، والفقراء فيصطح (32) المريد في الأرض وتنبطح زوجته عليه، ويأتي القطب فوقها منبطحاً على الزوجة فيجامعها حتي إذا قضى منها وطره، جاء الفقراء واحدا بعد واحد بحسب مراتبهم من الشيخ حتى يقضوا أوطارهم من زوجة ذلك المريد جميعاً، فإذا فعل به ذلك وبزوجته قالوا: قد بلغ وقد ماتت نفسه، قلت: وقد مات قلبه وصغرت همته وخرجت غيرة الإيمان منه ومن شيخه، وأتباعهم الكافرين الفاحشين الفاسقين. لعنهم الله ولعن من لا يلعنهم. فهذه المعصية الفاحشة عندهم لم يقتصروا على مجرد استحلالها، لأنهم يتقربون بها، ويقطع بها المريد مفاوز السلوك عندهم، فهي إذاً من أعظم القربات. وأي كفر يزيد على هذا؟ ونحو هذا ما حدثني به بعض الأصحاب أنهم تجسسوا عليهم يوماً في مجمعهم فلما اشتغلوا بقبائحهم، وجاءت النساء تختلف على شيخهم المتولى كبرهم جاءت امرأة/قد أصابها مرض غيَّر جسمها، فلما اضطجعت إليه وجسها فلم تعجبه قال لها: قومي فقد رضي عنك سيدي أحمد، يطيب قلبها بذلك لئلا تحزن، ولتعلم أنها قد ضربت مع صواحبها في الخير بنصيب، وإن لم يقع الفعل في ذلك الوقت. ومعلوم أنه لم يقل لها ذلك إلا لكونها تعتقد أنها تنال بذلك الفعل خير أو درجة عند سيدها أحمد، وهذا أقوى من الاستحلال، وفي ذلك أن سيدهم أحمد هو الذي يطلب رضاه، ويحذر سخطه، وذلك كناية عن كونه إلاهاً، تعالى الله عن ضلالهم عُلُوّاً كبيراً.

ص 174

(31) عندما تعرض صاحب «نشر المثاني» لحوادث عام 1102هـ ذكر غزو السلطان إسماعيل للعكاكزة وقال: «...الطائفة المبتدعة المعروفة بالعكاكزة المجتمعين عن قبائل تادلا ونواحيها ورئيسهم الداعي إلى بدعهم الذي اجتمعوا عليه يعرف بالحطاب ...» أنظر ج 2 ورقة 33 ظ

(32) من الكلمة العامية يَصطح ويصَطَّحْ أن يُلقَى على الأرض. والمِصْطح ما سُوّي من الأرض

وقد تحدث من خالطهم أن قطبهم الملعون، إذا دخل الخلوة يريد أن يتقطب يمكث فيها أربعين يوماً وهو ينقرها بالأبوال النجسة. ويشتغل بالعزائم (33) التي تناسب هذا من نسبة التأثير لغير الله تعالى، وذكر الويل، واللعن، ونحو ذلك مما يستجلب الشيطان، فإذا كملت الثلاثون يوماً وردت عليه الشياطين. فإذا كملت أربعون يوماً عقدوا معه عقدهم على النصرة والخدمة. حتى لو أراد مَثَلاً انتقاماً مِمَّن يُشَاقُّهُم، سلَّطهم عليه أو على ولده، أو على ماله، ولو أراد خيراً بعثهم إليه فأخبروه، فتظاهر بذلك كله ونحوه على الأتباع، كرامة ومنقبة يعدونها له. وكيف ترى في مذهب بُنِيَ أساسُه على هذه القاذورات، ويَنْصَبُّ مقياسه على هذه التُّرهات؟ ولعل كثيراً من أديان الكفرة المشهورة، أقل منه في القذارة ارتباطاً، وأقوى في مجوزات العقول استمساكاً. وأما ترك الصلاة والصوم، وإن شاركهم فُسَّاقُ المسلمين في شيء منه، فهم قد اختصُّوا بالمداومة على ذلك مع الاتفاق والاجتماع وعدم الاستحياء والانكسار، بخلاف المسلمين، فما منهم أحد يترك الصلاة إلا كان في الغالب معتقداً أنه قصر في دينه، وأسرف على نفسه، وودّ أن لو كان ممّن يُصَلِّي. وأمَّا فما يَكَادُ أحد من المسلمين يترك صومه ولله الحمد. وأما هؤلاء الفجار فما يوجد لهم مع ترك هذه الواجبات شيئ من الإنكسار، بل العتو والمرح والاستكبار، يعرف ذلك من شافههم ويشهد به.

ص 175 ولو لم يكن إلا هذا الوجه مع ضميمة قرائن الأحوال/والأفعال. يعرف استحلالهم لذلك، وكيف وهم يصرحون بأنه لا شيئ عليهم من هذه العبادات أو أنها مرفوعة عنهم كما اشتهر ذلك عن أوائلهم، وتارة بأنهم لا يفعلون شيئاً من ذلك إلا أن يشاءوا، إشارة إلى أنهم غير مكلفين به، وهذا كفر صراح. وقد استدل الناس على الكفر بأقل من هذا لما بويع أمير المومنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وأقبل الشعراء يُهَنِّئونَه بالخلافة على العادة، دخل حاجبه فقال له: الشعراء بالباب فلان وفلان فقال عمر رضي الله عنه أليس فلان هو الذي

(33) العزائم مفردها عزيمة الرقية

قال (34)

فلست بصائمٍ رمضان عمرى ... ولست بآكِلٍ لحم الأضاحي
ولست بقائمٍ كالعير أدعو ... قبيل الصبح «حي على الفلاح!»
ولكني سأشربها شمولا ... وأسجد قبل منبلج الصباح

فقال نعم. فقال عمر أَعْزُبْ (35) به عني. لا دخل عليَّ أبداً وهو كافر، وليس في الأبيات إلا نفي الفعل، ولكن ظهر من القرائن وفحوى الكلام عند ذكر العمر، وذم من فعل شيئاً من ذلِك، ونحو ذلك ما أوجب الحكم عليه بالكفر. ولعل المكفر في هذه يكفر بترك الصلاة وحدها، كما ذهب إليه جمع من أئمة الدين، ولعله لعدم صراحة الكفر في كلامه لم يقم الحكم عليه، مع أن ترك أكل الضحية فيه ما يكفي وحده في الدلالة على الكفر، وإن لم تكن صريحة، لأنها شعيرة من شعائر الإسلام. وليس في ترك لحوم الضحايا شهوة تَنْزِعُ (36) النفس، وتَسْتَهْوي العقل، حتى يقال إن تاركها مغلوب بهواه مع وجود الإيمان: كالزاني والشارب، إنما الشهوة في أكلها مع لوازم ذلك من الفرح والسرور واللباس والأنس، فإذا تركت كان تركها نفرة عن الدين واستعصاء عن الإسلام وكراهية اشتهار الشريعة الحنفية وعلو كلمة الله. وناهيك بهذا كفراً! وهذا كله واقع على هؤلاء الظالمين المبحوث في أمرهم، على ما نقل من «أشرقات التّل» أنهم لا يذبحونها. ومن ذلك ما استُقْرِئَ من حال هؤلاء الظلمة أنهم لا يتعلمون الدين من الفقهاء، ولا يغْشَون مجالس علماء الملة ولا يسألون عن الأحكام الشرعية، بل ولا يرفعون عقودهم للمسلمين، وذلك كله دليل على أن لهم في زعمهم شرعة اكتفوا بها. ومنهم من لا يرى تزويج نسائه من المسلمين.

---

(34) الأبيات لشاعر البلاط الأموي الأخطل (640هـ/710هـ)
(35) عزب يعزب عزوبا بعُد وغاب وخفي
(36) تنزِغ تُفسِدُ وتعطِّل

ص 176 «كالبضاضوة» من أعراب تادلا/وأما سبهم للنبي ﷺ وتبريهم منه. والتصريح ببغضه، وتفضيل المنزول عليه، فأمر شهير أيضاً لا يَخْفَى.

وقد ذكرنا فيما مر أنهم يقولون للمسلمين: أنتم أصحاب محمد ونحن أصحاب المنزول، حتى أن الوِلدان عند الدفاع يختلفون كذلك، فإذا قال وِلدان المسلمين يا آل محمد قال ولدانهم يا آل المنزول. وإذا غشيهم أحد ممن لا يعرفونه يسألون ويقولون أحمدي أم محمدى؟ وحدثني ثقة أن بعض الطلبة مرّ بحي من أحيائهم وفعل شيئاً أنكروه منه قال: فجئت إلى رجل من ذلك الحي بعد ذهاب ذلك الطالب فقلت له هلا شرطتهم (37) من يعلم صبيانكم؟ فقال بعد فلان — يعنى الطالب الذاهب — أبغضنا القرآن وأبغضنا محمدا. وهذا إخبار بمعتقده الأصيل، وليس بغضه مقيداً بذلك الزمان القليل، بل هو راسخ، وإنما وجد ذلك السبب حجة يدلى بها وإلا فأي مومن قط أبغض القرآن أو أبغض النبي ﷺ لإساءة طالب، غاية ما يبلغ الأمر بالجاهل الجافي من المومنين أن يبغض جنس الطلبة لما يرى من بعضهم، أما أن يبغض النبي ﷺ فلا، ولكن «الأرنب حمق وزادها الصيادون» (38) وحدثني ثقة أنه اجتمع قوم من المسلمين بقوم منهم، فجعل فتىً من هؤلاء وفتىً من هؤلاء يتشاجران ويتفاخران يقول المسلم: محمد هو الشأن ﷺ ويقول العكازي: أحمد هو الشأن. قال صاحبنا فقمت إلى العكازي فقلت له: ما هذا الذي تقول بالعين؟ فقال وأي شئ أقول؟ هو يمدح شيخه وأنا أمدح شيخي.

وأخبرني نقلة أيضاً من قبائل «زمور» أنهم كانوا يُجَاوِرُونَهُمْ أحياناً في المنزل، فربما اجتمعوا في المجالس فيقول العكازي لآخر قصداً للاستهزاء بالمسلمين ونبيهم ﷺ صل على هذه الكدية وصل على محمد نبي فلان، يعني السامعين

(37) سبق شرح الكلمة في رسالة «جواب الكتاب»
(38) مثل من الأمثلة العامية ومعناه واضح

من المسلمين. وهذه تسوية بين الصلاة عليه ﷺ وبين الصلاة على كدية من الكدا بل قدم الكدية في كلامه لمزيد اعتناء بها، وأضاف النبي ﷺ إلى غيره متبرّأً منه.

وأخبرني ثقة أيضاً عنهم أنه تشاجر فريقان في أمر فقال فحرجت إليهم أحفظهم (39) ، فتقدم العكازي إلي يخاصم ويحلف، وقبض بيدي وقال : «وحق سيدي المسعود ، وأما سيدنا محمد ﷺ فقد ذهب به الريح/ما كان الأمر إلاّ كذا» قال فقبضت عليه وصحت باللمسلمين إليه ! قال فقام الناس وقالوا آنت وحدك رأيت هذا، قد رأى الناس كلهم هذا وسمعه الملوك وأرباب الدولة فلم يغيروه فكيف بك أنت؟ قال : فأطلقته وتركته.

ص 177

وكان دوار منهم نصفه مسلمون ونصفه من العكازين فوقع النهب على النصف المسلمين ونجا الآخرون، فقالوا للمسلمين ألم يتبين لكم أن شيخنا خير من شيخكم أو أن المتزول خير من محمد. فانظروا يا معشر المسلمين هل يُلام من مات من هذا أسفا؟ وهل التعامى عن هذا شأن المومنين سلفا أو خلفاً؟ نبي شرف الله قدره، ورفع ذكره وأوجب طاعته وألزم حرمته يسب ويسفه بألسنة أغمار (40)...[1] سفهاء فاسقين، ثم لا ننتهض لديننا ولا ننتصر لشرعنا ولا نحفظ حرمة نبينا ولا نحمى حماه ونحن أشد ما كنا وأقواه وأكثره وأنماه. وهؤلاء السفهاء بين أيدينا أضعف من قرملة (41) وأذل من وتد (42) بقاع ، إنَّا لعبيد سوء إذا لم ننتصر ، وجهلة غافلون إن لم ننتبه ونذكر.

أما حكم الساب فعلوم شرعاً إن كان مسلما قتل اتفاقاً ولم يستتب على

---

1 — بياض في الأصل

---

(39) أحْفَظَهُ أغضبه بالكلام

(40) أغمار مفردها الغمر الجاهل.

(41) القرْمل : شجر ضعيف لا شوك له

(42) أذل من وتد مثل يعني أنه أذل من الوتد الذي يدق أبدا

المشهور، وإن كان كافرا قتل أيضاً إلاّ أن يسب بما كفر به وعاهدناه عليه، أو يسلم فيسقط عنه، وقيل لا يسقط.

إذا تمهد هذا فنقول لمن ينازعنا في هؤلاء الفجار: إن كانوا مسلمين عندك وقد وقع منهم السب وجب قتلهم اتفاقاً. وإن كانوا كفاراً فلا شك أنا لم نعاهدهم على شيء قط مما يقع به السب بل ولا في الكفر حتى نتركهم عليه، فوجب قتلهم أيضاً، فهم على كل حال يقتلون، وحكم الاستتابة معلوم. ومن تأمل أدنى تأمل، علم أن كل ما ذكرناه عنهم من الحكايات في الاستهزاء والسب ونحوها، ليس من السب الذي يقع من المؤمن، بل هو كفر صراح، لأنه شقاق وتبرؤ من النبي ﷺ، وإثبات لغيره، ولا خلاف في كونه كفراً، ولذا ذكرناها في مساق الاستدلال على الكفر.

وأما كون هؤلاء الفجار يستخفون فأمر واضح يشهد به من عرفهم، وعلامة ذلك إنكارهم لما هم عليه عند الخوف، لأن المنفية عند الخوف هي عين الزندقة كما قال ابن شاس(43) وقد ثبت أنهم عند الخوف، واجتماعهم بالمسلمين يصلون. ويشهد من شافههم أنهم بغير/طهارة، وجرب ذلك منهم ص 178 وثبت أنهم في رمضان كثيراً ما يوقدون النيران عند الفجر لإيهام أنهم يتسحرون، وهم يأكلون عند طلوع الفجر. وذلك عين الزندقة.

وأما ظهور أمرهم للعام والخاص فمن كثرتهم، وكثرة اختلاطهم بالمسلمين، وكثرة تجاورهم لمن لا يبالون باطلاعه على خبائثهم من المسلمين، ولا سيما رَعَاع المسلمين وضعفتهم مع تقادم الزمان وانتشارهم في البلدان وكثرة الجاهل منهم. والأحمق يبث أسراره ولا يدري ما يلزمه عن ذلك. وليس من شرط الزنديق أن لا يطلع عليه أبداً وإلا لم يشرع قتله إذا ظهر عليه، وإنما وَصْفُه أن يستتر عن المسلمين ويظهر لهم خلاف ما يضمر خوفاً وإشفاقاً على نفسه أن يقتل. فإذا أمن

(43) عبد الله بن محمد بن نجم بن شاس (...616هـ) جلال الدين أبو محمد الجذامي المصري. شيخ المالكية في عصره بمصر. مات مجاهدا في حصار الافرنج لدمياط من كتبه «الجواهر الثمينة في فقه المالكية» أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 269/4

اتسع المجال، وجاز ارتفاع الأسرار لارتفاع الحكم عند ارتفاع علته. وهؤلاء الفجار قد أَمِنُوْ في أكثر الأوقات : **أما من جهة العامة** فلما غلب على العوام (من)[1] التهاون بأمر الدين، وعدم التسارع إلى إنكار المُنكَر، مع كثرة المناكر في هذه الأزمنة المتأخرة، حتى صار المنكَر في نفوس العامة ليس بمنكَر لإلفه وكثرة مشاهديه والله المستعان. وقد عَلِم الفجار أن المسلمين وإن لم يخلوا ممن يغضب لله تعالى ويغار على دينه، إذا قام لا ينصر وإذا استصرخ لا يصرخ (44) فلا يهتمون لوجود مثل هذا في المسلمين، لأن وجوده حيث لا مساعد له كالعدم. **وأما من جهة الخاصة** فللتهاون الغالب أيضاً في آخر الزمان، مع اشتغال بالتأويلات البعيدة، والاستعادات الضعيفة فهذا يقول : أين البينة ولم يشتغل بإثباتها، مع تعين كون ذلك مصلحة عظيمة، ودرء المفسدة الجسيمة، ولا سيما عند وجودها. وهذا يقول كيف يقام عليهم الحكم وهم كثير؟ وكيف يفني بالسيف أمة من الأمم؟ ولم يدر أن الأحكام توجهت إلى الناس كافة، والحدود قد شرعت عند ثبوت موجبها، كان الثبوت على واحد أو على كثير.

وقد ارتدت قبائل العرب ومنعوا الزكاة فقام إليها الصديق رضي الله عنه فتعرض لقتالها[2] كلها في الجملة حتى أنفذ الله حكمه وأعلى كلمته وأمضى سنته، وقد كانت هذه القبائل أولا انتشر فيها الإسلام، بل كانت أسلمت كلها في الجملة، وأدت/الزكاة بفتح مكة. فلم يخف أبو بكر رضي الله عنه ولا الصحابة المجمعون على قوله، أن يكون في تضاعيف هذه الاحياء واحد أو جماعة من المسلمين ممن ثبتوا على إيمانهم، ولم تكن عندهم زكاة يمنعونها، ولو كانت لأدوها، فيكون هذا المومن في معرض أن تصادفه رؤوس الأسنة عند الصدمة الأولى، والسهام العوائر، فتذهب نفسه في صحيفة من قتله، وذلك لما علم الصحابة رضي الله عنهم، أن من خالف هؤلاء المرتدين ممن ثبت على الحق،

ص 179

---

1 — زيادة يتطلبها السياق. 2 — في الأصل « لقتالى ».

---

(44) صرخ يصرخ القوم : أغاثهم وأعانهم

لابد أن يخالفهم أيضاً بأقواله وأفعاله فاما أن يقوم فيهم خطيباً أو منازعاً ، فيظهر فيجتنب ، واما أن يخرج عنهم مهاجراً فينجو ، وإما أن يفعل ما يحق له عند القدرة ولا يبالي ، فلا تبقى عليه ملامة ؛ ويباينهم كما فعل عدي بن حاتم رضي الله عنه إذ أتى بزكاته . على أن يرتكب أقوى المصلحتين ، ويدرأ أعظم المفسدتين ، مع تحقق المسلم حتى ينتهي اعتبار ذلك إلى رحى...[1] من المسلمين كما عرف في جهاد العدو فكيف إذا توهم (45) فقط . وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا سمعوا الأذان كفوا ، وإذا لم يسمعوا أغاروا ولم يمنعهم تجويز أن يكون في الحي ضيف من المومنين دخل بأمان فيقتل بغتة. ولو عمدنا إلى مدينة من مدائن الروم أو غيرهم ،وأمكننا الإغارة عليها وأخذها فلتة ، لم نتوقف عنها ولم نَألُ جهداً في الرمى من السهام والطعن بالرماح ، مع تجويز أن يكون فيهم أسارى من المسلمين نائمون أو يقظى غافلون ، أو بكم لا يتكلمون، فتصادفهم الرماح والسهام ، ولكننا نراعى الغالب والظاهر. وكذا نقول في شأن هؤلاء الفجار .

فإن قيل هؤلاء بين المسلمين بخلاف ما ذكرت من الصور ، فالجواب أن الكلام إنما هو بعد عزلهم بشهادات السماع ، وترك كل من هو مؤمن بهذا الضلال فلا يبقى فيهم بعد ذلك من احتمال وجود المومن إلا مثلما ذكرنا من الصور أو أضعف. على أنه لا يتصور أن يكون مومن صادق يمازحهم ويصادقهم ويشايعهم على طول الزمان في فواحشهم الفظيعة، وقاذوراتهم البشيعة، بل لابد أن يبعد عنهم وإنْ نظمته وإياهم أسباب اتفقت، ومقادير جرت. فلابد أن يخالفهم يوما ما ، حتى يظهر خلافه للجيران ؛ فيشهدوا له إذا دعيت الأشهاد ، كما يشهدون عليهم . وعلى تقدير أن لا يستطيع خلافاً في زمان الفتنة/ولا فراقاً ، فقد استطاعه زمان الخلافة واجتماع الكلمة ، وقيام الحكم على الضعيف

ص 180

---

1 — بياض في الأصل

---

(45) توهم وجود مسلمين مومنين وسط الفجار

والقوى ، كيومنا هذا ولله الحمد. ولا سيما عند النداء عليهم أن ينتصفوا منهم ويوضع الحكم فيهم ، فهل يلتزم بهم أحد؟ وهو يعلم أنه قد أشفى (46) على عذاب الدنيا وبعده عذاب الآخرة ، بل في مثل ذلك يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه (47) فكيف من عدوه في الدين وشانئه ؟ أم يحسب المُسْتَغْرِب أن هذه الفتاوى وقعت بأن يؤخذ الناس على الضُّغطة (48) هُمَّلاَ (49) أو يدعو دعوة الجفلا (50) كلا، بعد استبصار واحتياط ، فيجمع الناس أولا على مقتضي التهمة القوية بشهادة السماع على الأفراد والجماعات ، والأحياء والمسائر، ثم تطلب عليهم البينة العادلة القاطعة للشبهة والريب. فمن وجدت عليه أقيم عليه الحكم الشرعي قليلا أو كثيراً، ومن لم توجد عليه، أو وقع في أمره شك ، وارتاب ترك. فإن الأصل في كل من دخل في سواد المسلمين أن يظنوا به الإسلام ، ولا علينا من أمره إن كان في نفس الأمر كافراً، إذ لا ضرر على الحاكم في حق ضاع بلا بينة كما قال شهاب الدين القرافي (51).

على أن الكفر والإسلام ونحو ذلك، من جملة ما يثبت بشهادة السماع ، بخلاف موجب الحد على المسلم ، كالزنى والشرب ، فلم يصح الاستدلال على ذلك بهذا ، غير أن الاحتياط في مثل هذه المسألة لا بأس به، بل هو متعين للاختلاط[1] قبل العزل، ولغلبة الجهل على شهود السماع ، وقلة معرفتهم ما يكفروا به غالباً. فربما شنعوا معصية واعتقدوها كفراً، وأشاعوها على فاعلها ثم

---

1 — في الأصل «الاختلاط» وأظن أن السياق يتطلب ما أثبته.

---

(46) أشفى أشرف وقارب.
(47) تضمين لآيتين 34 و 35 من سورة «عبس»
(48) الضغطة القهر والضيق يقال أخذت فلانا ضُغْطَةً أي ضيقت عليه لِتُكرِهَهُ على الشيْ وتُلْجئه إليه
(49) هَمَلاً المتروك ليلاً ونهاراً يرعى بلا راع
(50) الجفلا أي تدعو الناس إلى طعامك دعوة عامة من غير اختصاص
(51) أحمد بن ادريس (.../684هـ) من علماء المالكية . مصري المولد والمنشأ والوفاة. له مصنفات جليلة في الفقه. أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 1: 90

أسقطوا ذلك الفعل أو نسوه، وجعلوا يقولون كافر، كافر، فيقع الغلط. فلابد من تنصيص ما وقع به التكفير من الأقوال والأفعال، مع تبين ما شوهد من قرائن الأحوال جهد الاستطاعة. ولابد من تفصيل الشهادة في ذلك كما قرر في باب الردة، وهذا هو التوسط والاحتياط هذا العارض. وليس من الاحتياط أن تُثبت الزندقة مثلا على أحد كما يجب فترك[1] قتله أو تَسْتَتِيبَه عملا بقول من يستتيبه من غيرنا كالشافعي وأبي حنيفة فإن هذا الاحتياط ما كلفنا الله به قط، بل حرمه الله علينا، وأوجب علينا اتباع مذهبنا إن لم يمنعه مانع، ولا مانع. قال الله تعالى «ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم» (52) وعلم كل مجتهد إنما هو ما أداه إليه اجتهاده، وذلك هو حكم الله في حقه وليس له أن يتبع مجتهدا آخر بعدما وقع على الحكم. وإمامنا مالك وأتباعه، قد اجتهدوا فأداهم اجتهادهم إلى قتله وعدم قبول توبته. ووجه ذلك ظاهر إذ لا تعرف توبته، فلم يكن لإمامنا أن يخرج على مقتضى اجتهاده، أو نص استند إليه. ونحن مقلدوه. فليس لنا أن نخرج عن مذهبه خصوصاً في الفتاوى المتعدية إلى غيرنا، والأحكام العامة، وإذا لم تجز الفتوى بغير المشهور والراجح من المذهب، فكيف بخارج عن المذهب؟ والاعتذار في الخروج بالاحتياط والخوف لا حاصل له، إذ لا يتصور هذا، إلا إذا كنا نقتل بالظن والتهمة. أما إذا كان بالبينة العادلة على الشخص أو الجماعة، فأي شيء نخاف؟ وتوقع الغلط أو الكذب من العدول قد ألغاه الشرع وإلا لم يستوف بشهاداتهم في نفس ولا طرف، ولا عرض ولا مال، والثاني باطل، فالمقدم مثله.

نعم، من يحكم بالاحتياط في هذه المسألة إذا أشكل الأمر في بعض الصور، بعد ثبوت الكفر أو زندقة أو ردة، فيمكن أن يقال الصيرورة للردة

---

1 — في الأصل «فترك» صححت بما يتطلبه من السياق.

---

(52) "تمام الآية ولا تقفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا الآية 36 سورة الإسراء. مكية.

والاستتابة أحوط ، ولكن لا يصار إليها على العموم ، أو بلا موجب ظاهر ، بل حتى تُفصَّل الشهادات ، وتُستَقْصى البينات ، فيظهر موجب التوقف أو الإقدام ، والحكم به على الجملة قصور لا احتياط. وبِسبب أمنِ هؤلاء الفجار من عادية المسلمين ، لتهاون الناس بالدين كما قررناه ، ظهرت منهم الأقوال والأفعال وقرائن الاحوال ، وبذلك انتهى إلينا من عملهم ما انتهى . ومن ذلك الباب تقع الشهادة عليهم إذا احتيج إليها.

وكل ما ذكرناه من الإمارات الدالة على كفر هؤلاء الفسقة أو زندقتهم ، إنما هو بحسب ما انتهى إلينا ، مع بعدنا عنهم وعدم اجتماعنا يوماً من الدهر بواحد منهم ولله الحمد. ولعل ما خفي علينا أكثر. والمعول عليه بعد ذلك في تنفيذ الحكم عليهم ، إنما هو البينة العادلة القائمة على كل نفس بما كسبت ، وكيف كسبت . فإن أثبتت مثل ما بلغنا أو أشد فذاك . وإن أثبتت شيئاً آخر يناقضه ، ويدل على الإسلام أو ضرب آخر من الكفر ، فلابد أن يقع النظر فيه/ويقع ص 182 الترجيح بعد توبته ، إذ لم يتعلق الغرض بكفرهم ، بل بتنفيذ الأحكام الشرعية وإجرائها مجراها . وَوددْنا أن لو كان الناس كلهم مسلمين متقين : « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ...» (53).

على أنه إذا قامت البينة العادلة على شيخ هؤلاء الماردين ومقدمهم ، أو اعتقد أنه منهم فهو مثله . لأنها نحلة تقررت فكل من كثر سواد أهلها فهو منهم. ولا حاجة حينئذ إلى الفحص عن كل فرد من أفراد تلك العصابة كما لا يفحص عن أفراد اليهود والنصارى ، هل حققوا ملتهم التي كفروا بها إذ يكفي التشيع والتلبس ولذلك نقتل من تزيا بزي اليهود أو النصارى الخاص بهم ومثل هذا ما ورد في دين الاسلام من قوله ﷺ : « من صلى إلى قبلتنا وذبح ذبيحتنا ... » الحديث (54) ومثل ذلك في كل أمة ونحلة.

---

(53) من الآية 118 سورة هود. مكية.

(54) الحديث أخرجه البخاري والنسائي عن أنس بن مالك ولفظه في البخاري : « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله . فلا تخفروا الله في ذمته » أنظر إرشاد الساري ج 1: 410

وقد شاع عند العام والخاص أن لهم كتاباً يعرف « بابن رباش » (55) فيه ما زعموا من المناجاة الواقعة « للمنزول ». وكانت لهم مشايخ وأئمة في ضلالتهم وكان القبض على هؤلاء الرؤساء الظالين المضلين، وعلى ذلك الكتاب أول شيئ يتأكد وينبغي الاعتناء به . وبهذا يبطل استبعاد وجود البينة عليهم.

وأما القول بأنهم (لا)[1] يعلمون، فقد تبين — بعد بيان كفرهم وجحدهم للأحكام الشرعية وهي العلم المطلوب تعليمه — اختلاله . وكيف يقع التعليم في الجهل المركب ؟ أم كيف يتصور الجهل بالأشياء المعلومة من الدين ضرورة جهلاً بسيطاً يقبل التعليم ؟ نعم إن وُجد فيهم بعد الفحص والنظر فرد على هذه الصيفة فلابد أن يُعلَّم ، كما أنه لابد أن تُعَلَّمَ دَرَارِيهِم إذ لا سبيل إلى قتلها.

وأما القول بأنه تقتل كثيرة أو متى وجدت هكذا أو متى قتل أحد على الزندقة ؟ فأقول : صدرت عن غير تأمل ، وقد تقدم جواب ذلك وأن الأحكام شرعت ولم تقيد بزمان ولا بعدد. ونحن نعمل بمقتضاها في وقتنا ، ولا علينا بمن تقدم قبلنا ومن يأتي بعدنا.

وكون الزنديق لم نر من قتله قط ، لا يرفع حكمه متى وُجِد ، كما لم نر من رجم أحداً قط ، ولا من لاَعن ، ولم يرتفع بذلك حكم الرجم واللعن ، وكذا القول بأن الزندقة/لا يوجد لصاحبها فئة ولا جماعة ظاهرة ، لأنا نقول : إن أريد بالجماعة الظاهرة المعلنة بكفرها فلم ندَّعها نحن اليوم، إذ لا زندقة مع هذه الصفة. وإن أريد الجماعة المستخفية وأنها لا توجد وإنما يوجد أفراد متفرقون فلا يسلم. ولو سلم فيما مضى من الزمان الأول، فلا وجه للحكم بذلك فيما بعده

ص 183

---

1 — كلمة لا وجود لها في الأصل يتطلبها السياق

---

(55) ذكر المشتوكي في كتاب « هداية الملك العلام » ورقة 37 في موضوع العكاكزة : « وقد أخبرني شيخنا المسن أبو الحسن سيدي علي ابرت الدادسي النجار. الفشتالي الدار بأنه رأى عندهم كتاباً اسمه «ابن رباش» مكتوباً بالذهب وأخبرني بعض المتفقهة ممن يخالط من يخالطهم أن لهم كتابا آخر يسمى « ابن نحاس »

كزماننا هذا الذي هو محل النزاع لأنه ممكن . ووقوعه إلى الله تعالى لا إلينا. كيف وقد وجد في الصدر الأول والوحي ينزل عصابات وجماعات من المنافقين مجتمعين ومتفرقين وكان ابن أبي كهفاً للمنافقين ، وفلان وفلان ولم يقتلوا اذ ذاك للدليل الخاص . ومن جوز وجود الفئة المرتدة المعلنة بكفرها بين ظهراني المسلمين ، وبريق السيوف في أيدي المسلمين يغشى نواظرهم ؛ كيف لا يُجَوِّز فئة مسرة بكفرها خائفة حذرة ، إن هذا لشيء عجيب !

وأما القول بأن التعرض لهم غير لازم ، والبحث عنهم فضول فغير مقبول **أما بالنظر إلى الفتوى** فلأنها على حسب السؤال الواقع ، ولا بأس على من اطلع على حكم الله في نازلة ، أن يفتي فيها إذا سئل عنها ، ويتعين إذا توقف الحكم عليه وحده أو مع غيره . **وأما بحسب الحكم والتنفيذ** فإنا نقول إن كان من باب التداعي فلا شك أن المسألة الحق فيها لله تعالى لا لآدمي ، فكل من نبه عليها محتسباً لله تعالى ، فكلامه مسموع . كمن يرى فساداً في حُبس ، وانهداماً في مسجد مثلا أو رجلا يريد أن يشرب الخمر أو نحو ذلك مما يستدام تحريمه ، ولو كانت عنده شهادة في ذلك وجب عليه أن يبادر في رفعها قبل الطلب ، ويجب على من انتهى إليه الأمر من خليفة أو نائبه ، القاضي والوالي أن يقوم بذلك . وقد قام السائل بهذا الأمر محتسباً لله تعالى ، وها هو يستغيث ويستصرخ فتعينت إجابته قولاً وفعلاً على مقتضى الحكم الشرعي ، إفتاءً وتنفيذاً . **وإن كان من باب تغيير المنكر** فكذلك ، وليس من باب التجسس المنهي عنه لأن ذلك في الشيء الخفي عنا ولا دليل عليه ، فيطلب بحسب الحدس والظن ، كالاطلاع على رجل غافل في داره لينظر هل يشرب الخمر مثلا ، فهذا وإن كان فيه المصلحة أحيانا لكنها ألغيت رحمة من الله تعالى لعباده وإبقاء عليهم ./وقد اعتبر أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه تلك المصلحة باجتهاده مبالغة في نفي الفساد

ص 184

وتصفيته للبلاد والعباد، حذراً من نحو قوله ﷺ: «نعم إذا كثر الخبث» (56) حتى ذكَّره الرجل بآية «ولا تجسسوا» (57) وآية الاستئذان (58) فرجع، وكانَ وقَّافاً عند كتاب الله تعالى، لأن النظر والقياس في مقابلة النص متروك. أما ما نحن فيه فأمر شهير بلا نكير، طالما قام به المحتسبون فلم يُنْصَفوا. وطالما اجتهد في إطفاء شره المومنون الغضاب لدين الله تعالى فلم يُعانُوا ولم يُسعفوا، وذلك عند فساد الزمان وثوران الفتن، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، واشتغال العاقل الفد بخويصة نفسه. (59)

أما اليوم. والحمد لله، فقد رجع السيل إلى القرار، واستغنى الساري عن الكوكب بالنهار، وأصبح الملك ثابت الأساس، وأمسى الملبِّس مرتدياً لباس الإفلاس، وليس من المنكر المفروغ منه، بل من المنكر المستدام، ولا من القاصر على فاعله، بل من المتعدى الذي يسري سريان النار في الفحم وقد ثبت ارتداد من لا تحجزه رصانة التقوى، ولجام التوفيق إلى دينهم، استحلاءً لتلك الفواحش واستئناساً بتلك البطالة. وهذا من أعظم المصائب. وربما يبسطونَ ألسنتهم بالاستهزاء والجدال مع ضعاف القلوب من المسلمين فيفتنونهم

---

(56) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري عن زينب بنت جحش في «كتاب الفتن» قالت «استيقظ النبي ﷺ محمراً وجهه يقول لا إلاه إلا الله. ويل للعرب من شر قد اقترب. فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه تسعين أو مائة (بأن جعل طرف أصبعه السبابة اليمي في أصلها. وضمها ضماً محكماً بحيث انطوت عقدتاها حى صارت كالحية المطوية) قالت زينب فقلت: يارسول الله أنهلكُ وفينا الصالحون؟. قال نعم إذا كثر الخبث». أنظر ارشاد الساري ج 171/10. كما أخرجه ابن النعيم وأخرجه النسائي وابن ماجة. نفس المرجع.

(57) من الآية 12 سورة الحجرات.

(58) تمام آيات الاستئذان «يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حى تستأذنوا وتسلموا على أهلها. ذلك خير لكم لعلكم تذكرون. فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حى يؤذن لكم. وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم. ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون» الآيات 27 — 28 — 29 سورة النور. مدنية.

(59) تضمين للحديث الشريف الذي سبق تخريجه في رسالة «جواب الكتاب» إذا رأيت شحا مطاعا. وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك»

بذلك ، كما تقدم شيء من ذلك في كلامهم في جانب النبوّة. ومن ذلك المعنى ما حدثني به عدل مرضي من أصحابنا أنه جاء ذات يوم جماعة من الطلبة قال: فلما انتهوا إليَّ قالوا : جئناك في مشكلة عظيمة تحيرنا منها قال قلت لهم ما ذاك ؟ قالوا : اجتمع العكازون فدعونا فقالوا : نبيكم محمد قلنا نعم قالوا : به تقع شهادتكم عندما تموتون. قلنا نعم. قالوا فبأي شيء تشهَّد هو عند الموت ؟ إن آمن بنفسه فقد زكى نفسه، وان آمن بغيره فأين غيره ؟ وإلى مثل هذا أشار الإمام أبو حامد الغزالي فقال في «كتاب التفرقة» (60) ما نصه : «وأما أن يظهر له ضرر فيقع في محل الاجتهاد والنظر ، فيحتمل أن يكفر وأن لا يكفر. ومن جنس ذلك ما يدعى بعض من يدعى التصوف أنه من بلغ حالة بينه وبين الله تعالى أسقطت عنه الصلاة، وحلّ له شرب المسكر ، والمعاصي وأكل مال السلطان ، فهذا مما لا شك في قتله . وإن كان في الحكم بخلوده/ في النار نظر . ص 185
وقتل مثل هذا أفضل من قتل مائة كافر ، إذ ضرره في الدين أعظم ، وينفتح به باب من الإباحة لا يسد . وضرر هذا فوق ضرَرِ من يقول بالإباحة مطلقاً في أنه يمتنع عن الإصغاء إليه لظهور كفره ، أما هذا فهدم الشرع من الشرع ، ويزعم أنه لم يرتكب فيه إلا تخصيص عموم ، إذ خصص عموم التكليفات بمن ليس في درجته في الدين. ويتداعى هذا إلى[1] أن يدعى كل فاسق مثل حاله، وينحل به عصام الدين» انتهى الغرض منه. وهو نص في نازلتنا ، لأن قتل المستبيح إجماع . فلا يتأتى لمتسارع إلى البحث بلا تأمل أن يقول : القائل (61) شافعي على عدم القتل . وأيضاً فإن المذكور في كلام القائل إنما هو القتل وهو حكم مجمل يصدق بدون الاستتابة ومعها ، وجئنا به نحن استدلالاً على مجرد التعرض للمستبيح ، وأنه لا يترك ، وأن ضرره عظيم.

---

1 — في الأصل «إلا» أظنه سهو من الناسخ.

---

(60) هو كتاب «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» مطبوع
(61) القائل يعني الغزالي

ويبقى النظر فيما وراء ذلك من الأحكام كالاستتابة ونحوها ، وليست من غرضنا الآن. وقد استفدنا أن هذه الفئة الخبيثة إن تَحَلَّوْا بهذه الحلية (62) فهم يقتلون ، وأن قتلهم أفضل من قتل أهل الحرب ، لأن أهل الحرب يتوقى منهم بالأولية ذهاب حظوظ دنيوية من نفس أو مال ، وهي عرض زائل ، لا قدر له بالنسبة إلى ما يذهب بفتنة هؤلاء من الدّين ، الذي هو رأس مال المؤمن . وللحماية والذبّ عن الدّين أهم بكثير من الدَّبّ عن المال . ولأن أهل الحرب بخروجهم عنا وبعدهم عن أوطاننا ، صار ضررهم نادراً ، والحذر منه سهلاً . أما هؤلاء فهم الداء الداخل ، والمرض المتفشي في المفاصل ، وضررهم مترادف على الأبد والحذر منه مستبعد ، وهو يكون من جهات فيحيرون الجاهل بأقوالهم وأفعالهم ، ويستهوون الضعيف التقوى بفواحشهم ، ويوقعون التقي في رؤية مناكرهم ، وسماع أخبارهم ، وهم في هذا الصقع القذا في زلال الدّين (63) والشبة السوداء في أديم المسلمين. إلا أنهم إن كانوا من أهل الإباحة الخاصة ، بأن يدَّعُوا أن ما أبيح لهم إنما هو لما وصلوا إليه من الدرجات ، ولا يباح لغيرهم فهم المذكورون في كلام الغزالي المنصوص آنفا وقد رأيت ما قال إن قتل الواحد منهم أفضل من قتل مائة كافر. وإن كانوا من أهل الإباحة العامة وهم الزنادقة المطلقون ، وهم الذين لا يرون التكاليف على الإطلاق ويستبيحون المحرمات بلا تقييد/بشرط ولا شخص مع تسترهم بظاهر الإسلام ، فلا شك أن كفر هؤلاء أبين من كفر الأولين، وإن كان الأولون كفاراً أيضاً ، إذ لا يرتفع التكليف عن أحد ما دام في هذه الدار عاقلا قادرا ولو بلغ ما بلغ . وقد تقرر هذا في علم الكلام ولا وجه للتوقف فيه ولا النظر.

ص 186

والحالة الثانية أعني الإباحة العامة، هي الظاهرة على هؤلاء المبحوث عنهم

(62) الحلّيَة هنا : ما يرى من ظاهر الإنسان وهيئته . ويتكلم في السياق عن الاستباحة في التكاليف الدينية

(63) القذا في زلال الدّين : الكدر في صفاء الدّين

لأنه قد ثبت بما قررنا أنهم لا يقولون بالشريعة حتى يخصصوها ، بل هم منسلخون عنها كرة ، وقد رأيت في كلام الغزالي أن ضرر الأولين أشد من ضرر هؤلاء ، وعلته ما ذكر من خفاء كفر الأولين فيغتر الجاهل بكلامهم ، وظهور كفر هؤلاء فلا يغتر بهم. وقد ارتفعت هذه العلة عندنا اليوم ، فيرتفع معلولها لأن كفر هؤلاء أيضاً خفيا بمقتضى الشريعة المطهرة : «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ» (64)

عسى أن يظهر رداء الدّين عن خبثهم، وتنظف لهجة السنة عن رفثهم ، وما زال الخلفاء الراشدون والملوك الهازمون يحمون حما الدّين ، ويغارون على بيضة الإسلام أن تكسر بنزعات المبطلين ، وعلى نور الشريعة ، أن يغطى بتموية البطالين ، وعلى مشرب السُّنة أن يكدر بشفاه الكذّابين. (و)[1]قد نجم (65) طليحة في خلافة أبي بكر وادَّعى ، فجهز إليه أبو بكر خالداً رضي الله عنهما فاستمكن منه حتى رجع وأناب إلى الله تعالى . وخرج مسيلمة في قومه بني حنيفة فصار إليهم علي (كرم الله)[2]وجهه واستأصلهم وهكذا من بعدهم . ولما ظهر جهم بن صفوان (66) مقدم الطائفة الجهمية (67) بأوهامه الفاسدة وتُرّهاته الباطلة ، كتب أمير ذلك الوقت إلى سلم بن أحور أنه قد نجم قبلك رجل يقال له جهم ، فإن ظفرت به اضرب عنقه ، فقتله سلم بعدما قال له سمعت منك كلاماً آليت ألا أتمكن منك إلاّ قتلتك وقال له سلم أيضاً لو كنت في بطني لشققته حتى أخرجك فأقتلك في قصة مشهورة . وظفر بقوم من الزنادقة

---

1 — زيادة يتطلبها السياق 2 — زيادة أسقطها الناسخ

---

(64) الآية 42 سورة الانفال. مدنية

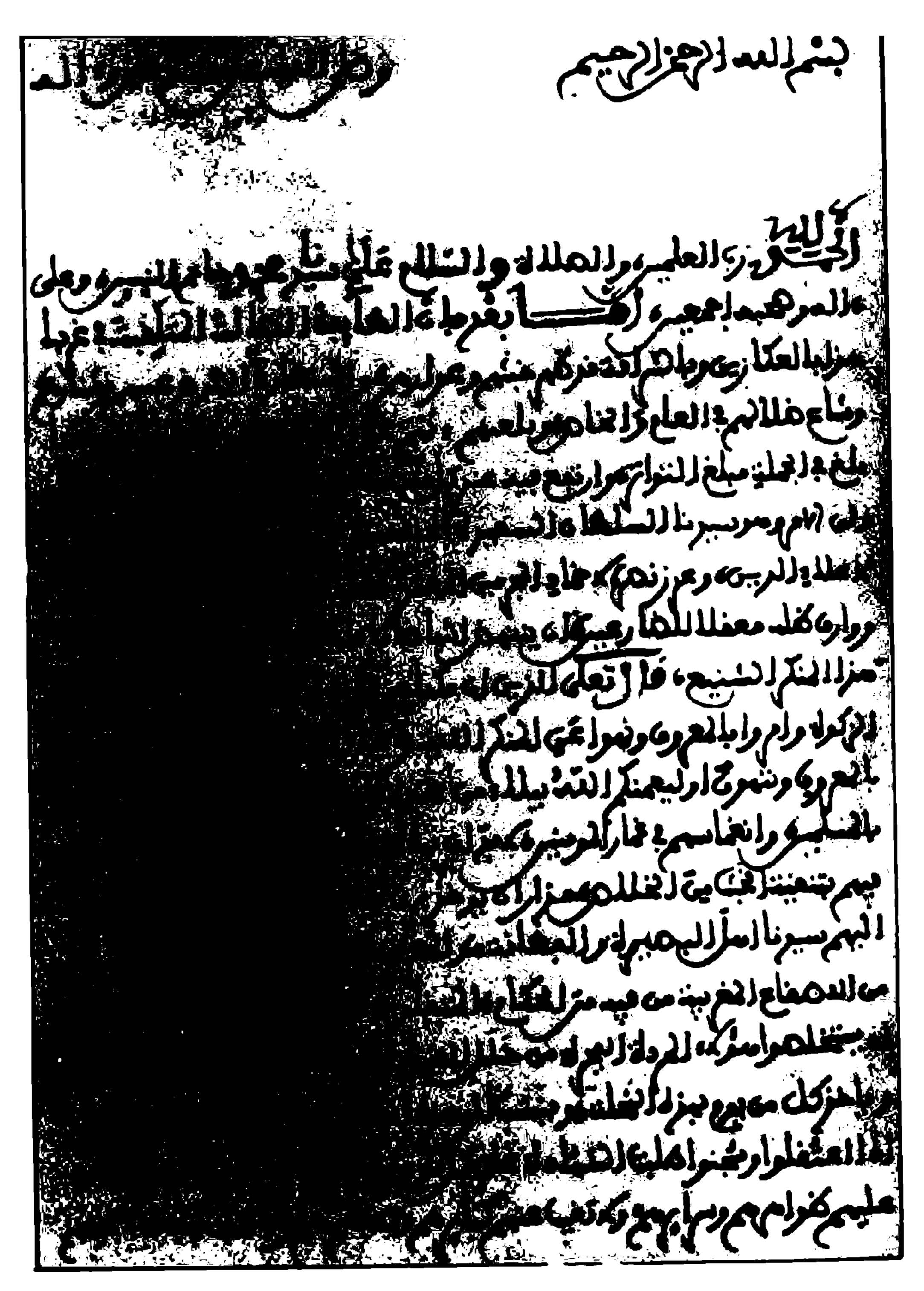
(65) نجم ينجم ظهر وطلع يقال نجم في بني فلان شاعر أو فارس إذا نبغ

(66) جهم بن صفوان السمرقندي (... ,128هـ) رأس الجهمية قال الذهبي الضال المبدع. هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شراً عظيماً. كان في عسكر الحارث بن سريج الخارج على أمراء خراسان قبض عليه نصر بن سيار.

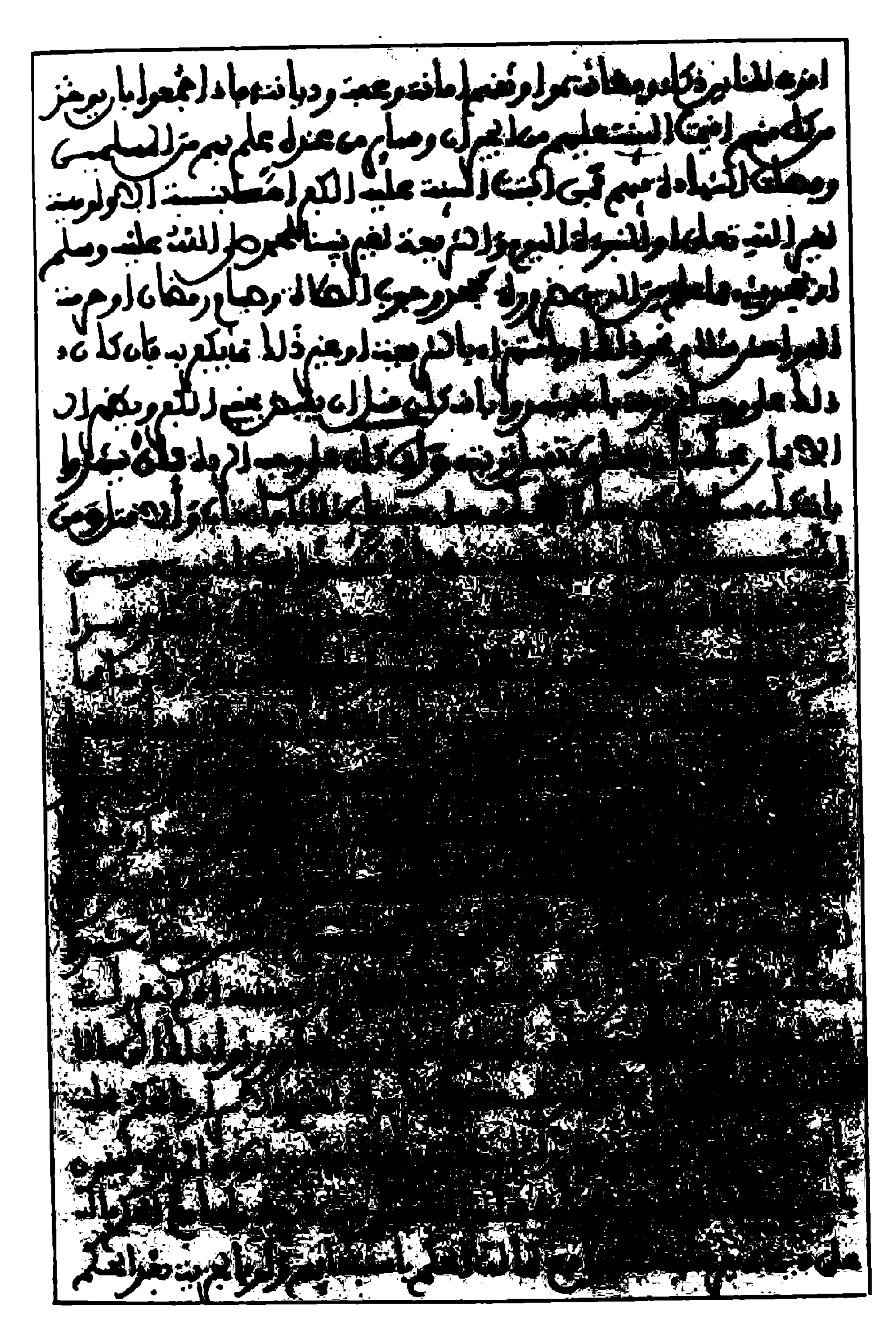
(67) من عقائد الجهمية أن الجنة والنار تفنيان وأن الإيمان هو المعرفة فقط دون سائر الطاعات . وإنه لا فعل لأحد على الحقيقة إلا لله والإنسان مجبر على أفعاله الخ

المنوية فرفعوا إلى بغداد ، واستدل عليهم بأمارة ، وهو أن أخرج لهم الصنم المعبود عند المنوية فلما رأوه لم يتمالكوا أن يسجدوا له فقتلهم إلا رجلا كان دخيلا وليس منهم فقال أيها الأمير اعطِني مالي لأسلم عليه فأطلق الرجل. ولما تألّه الحلاج ووقع منه ما وقع من الألفاظ لم تعذره الشريعة/المطهرة ، ووقعت فتاوى الفقهاء فيه حتى أفتي في نفسه فقتل ، مع اتساع مجال التأويل في أمره ، وتأصله في الطريقة.

ص 187


بسم الله الرحمن الرحيم

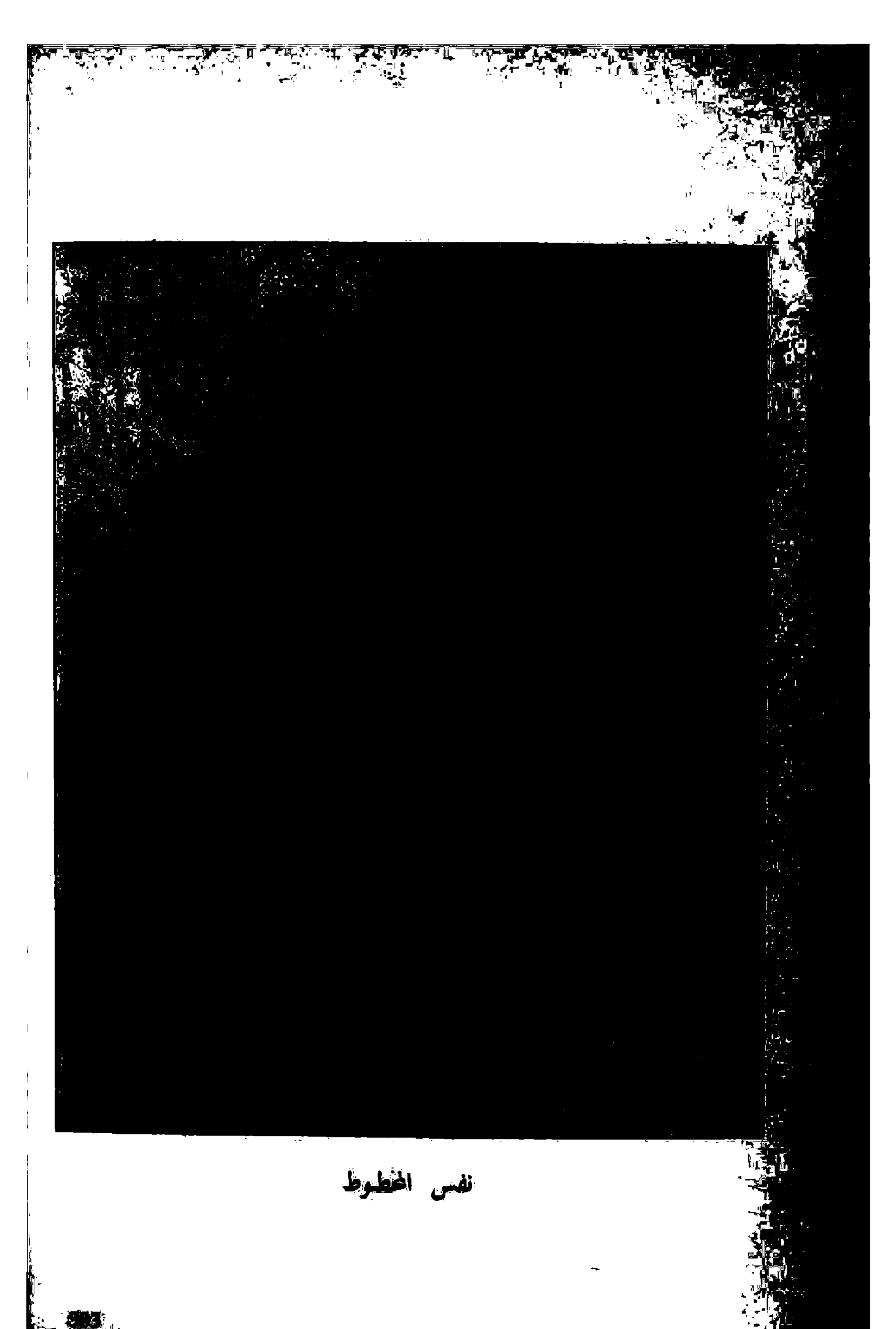
مخطوط الرسالة في طائفة العكاكزة من المكتبة الكتانية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك 1224



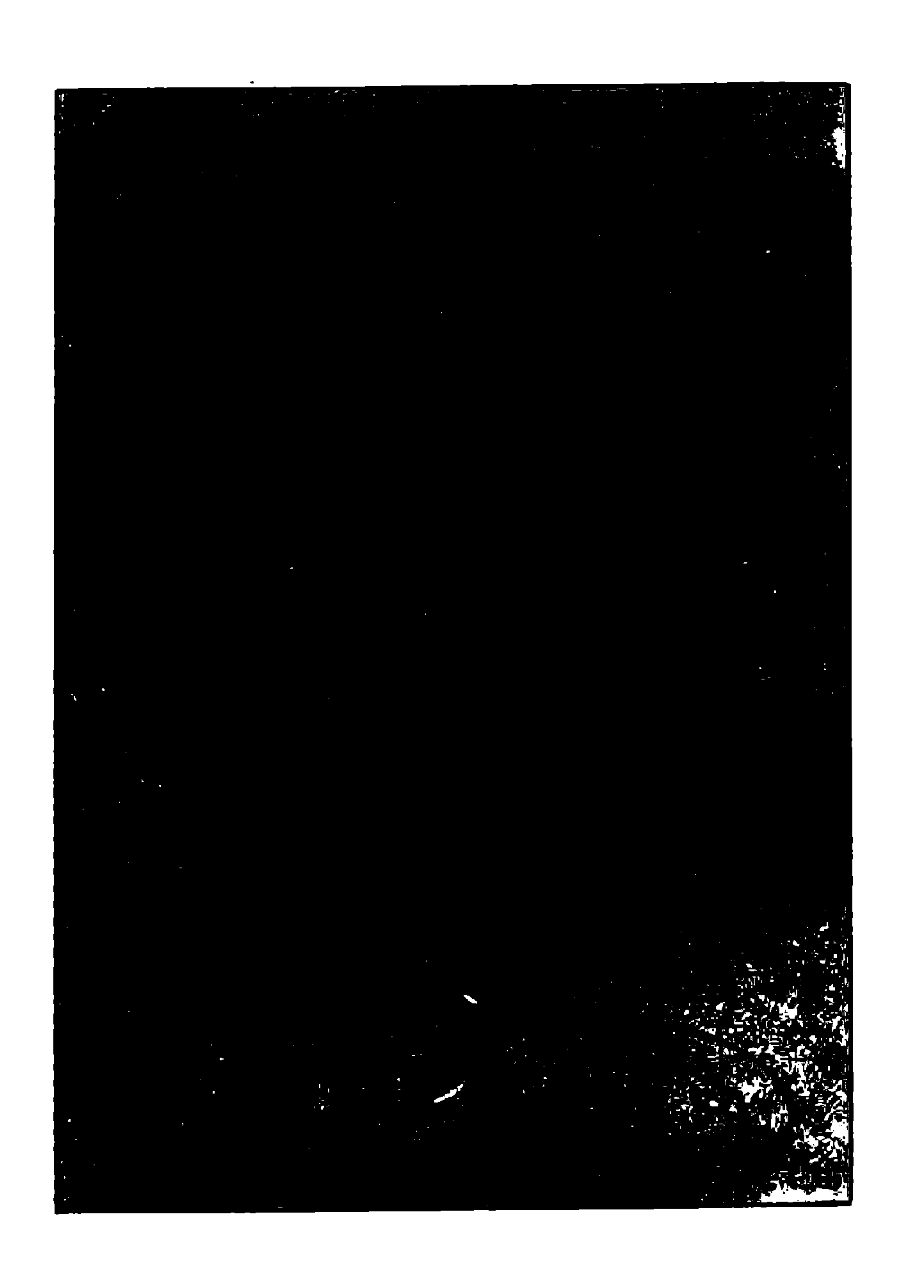
نفس المخطوط



مخطوط الرسالة في نازلة العرائش من المكتبة الكتانية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم كـ 1224



نفس المخطوط



صدر عن :



* روضة التعريف بالحب الشريف — تحقيق الاستاذ محمد الكتاني
* محمد اقبال مفكرا اسلاميا — للاستاذ محمد الكتاني
* المحدث الحافظ ابوشعيب الدكالي — للاستاذ عبد الله الجراري
* فى نطاق التفكير الاسلامي — للاستاذ محمد الحمداوى
* الخوارج فى بلاد المغرب — للدكتور محمود اسماعيل عبد الرازق
* الحضارة المغربية عبر التاريخ — للاستاذ الحسن السايح
* تاملات فى الادب المعاصر — للدكتور ابراهيم السولامي
* دفنا الماضي — للاستاذ عبد الكريم غلاب
* الثقافة والفكر فى مواجهة التحدى — للاستاذ عبد الكريم غلاب
* الاصول : دراسة ايبتسيمولوجية لاصول الفكر اللغوى العربى — للدكتور تمام حسان
* مناهج البحث فى اللغة — للدكتور تمام حسان
* اللغة العربية مبنأها ومعناها — للدكتور تمام حسان
* اللغة العربية بين المعيارية والوصفية — للدكتور تمام حسان
* المدخل لدراسة التاريخ والادب العربيين — للدكتور نجيب البهيتي
* احاديث عن الادب المغربى الحديث — للاستاذ عبد الله كنون
* رسائل ابن علي الحسن اليوسى — تحقيق الاستاذة فاطمة خليل
* وقعة وادى المخازن فى تاريخ المغرب — للدكتور ابراهيم شحاته حسن
* مع الرسول فى رمضان — للاستاذ عطية محمد سالم
* فضائل القرآن — للدكتور فاروق حمادة
* فقه المناسك على مذهب الامام مالك — للاستاذ قدور الورطاسي
* كتاب السياسة أو الاشارة فى تدبير الامارة — تحقيق الدكتور سامي النشار

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

فاطمة خليل القبلي

رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي

جمع وتحقيق ودراسة



الجزء الثاني



فاطمة خليل القبلي

رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي

جمع وتحقيق ودراسة

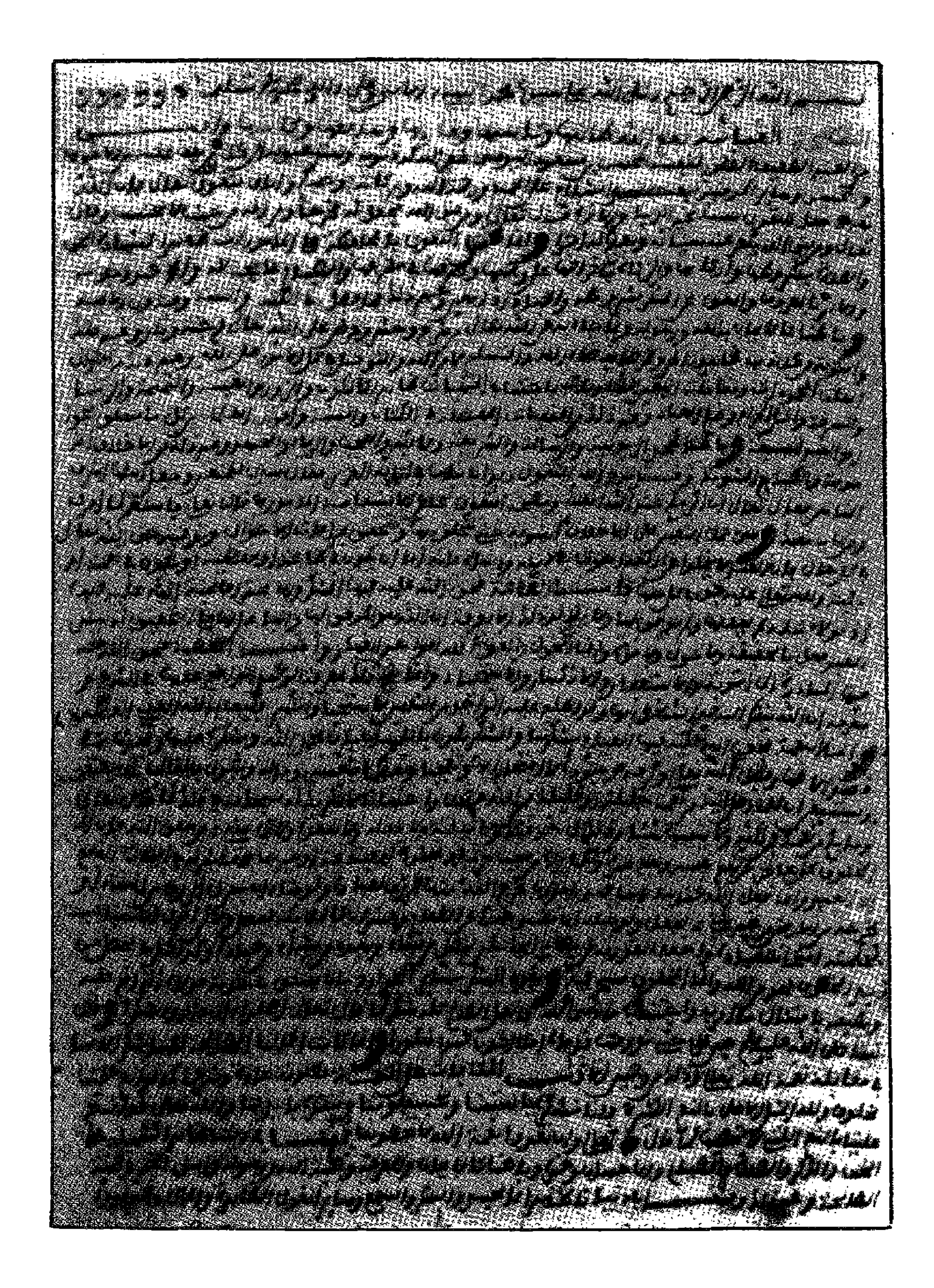
الجزء الثاني



34-32 شارع فكتور هيكو
الهاتف 46-53-26 — 75-23-26
ص.ب. 4038 الدار البيضاء (المغرب)

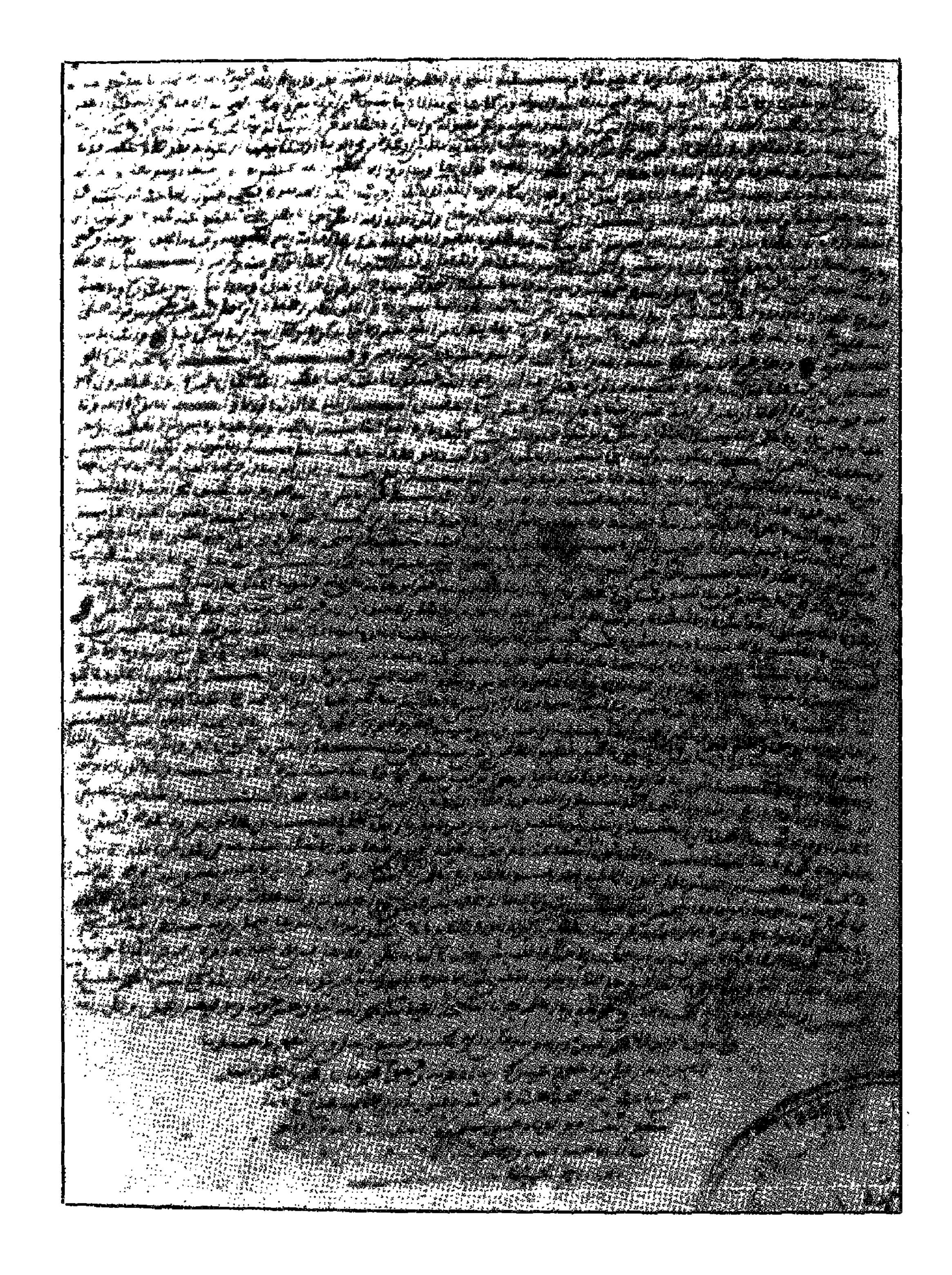

بسم الله الرحمن الرحيم

الرسائل في التصوف



مخطوط رسالة النصيحة الغيائية

مخطوط رسالة النصيحة الغياثية



آخر صفحة من مخطوط الرسالة الغياثية

مخطوط وصية اليوسي

مخطوط وصية اليوسي

مخطوط وصية اليوسي

رسالة النصيحة الغياثية.

عنوان هذه الرسالة أخذته عن المخطوطة المعتمدة التي تفضل الأستاذ الجليل السيد محمد المنوني وسمح لي بالاطلاع عليها في مكتبته الخاصة ثم أذن لي بتصويرها لمقارنتها بنسخ المخطوطات الأخرى التي في حوزتي.

وتتعرض هذه الرسالة إلى ماهية التصوف ورتب المتصوفة وخصائصهم وللتربية وآداب المريد وغير ذلك مما يتعلق بالتصوف السني الإسلامي . وتعكس بوضوح شخصية أبي علي اليوسي الصوفية . كما تعتبر الرسالة وبالخصوص ، نقداً لاذعاً للشعوذة والادعاء والاتجار بالتصوف الذي كان شائعاً في عهد اليوسي.

مخطوطات الرسالة

لهذه الرسالة حسب ما لدي حتى الآن سبع نسخ مخطوطة اثنتان منها مبتورة . وهذا العدد يدل على أن الرسالة كانت متداولة بين العامة في جميع أنحاء المغرب.

— **الأولى** : ضمن مجموع في حوزة الأستاذ السيد المنوني . غير مرقم رمزت اليها بحرف « م »

— **الثانية** ضمن مجموع الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 1816 من ص : 432 — 475 رمزت إليها بحرف « د ».

— **الثالثة** ضمن مجموع الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 8936 في مجموع غير مرقم رمزت إليها بحرفي « خم »

ـــ **الرابعة** مخطوطة مكتبة الكلاوي الموجودة بالخزانة العامة تحت رقم جـ612 وهي ضمن مجموع من ورقة 1 ـــ 15 رمزت إليها بحرف « جـ »

ـــ **الخامسة** مخطوطة مكتبة عبد الحي الكتاني مجموع بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم كـ 1138 وهي ضمن مجموع من ص 1 إلى 30 رمزت إليها بحرف « ك »

ـــ **السادسة** النسخة المبتورة في مخطوطة مكتبة زاوية تمَكْروت الموجودة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 ضمن مجموع من ص 349 ـــ 368 . ينقصها جزء مهم ، تقريباً النصف الأخير. وقد استأنستُ بها لوضوح خطه وهي تنتهي عند قوله : « فإن هذا القدر يكفيه اتفاقاً . على أنا نقول إن صَعُب عليه هذا الدليل الجملي أيضاً فليحتفظ بالعقائد مجردة. »

ـــ **السابعة** نسخة أخرى مبتورة في ملك الفقيه محمد التطواني الذي مكنني منها وسمح لي بتصويرها مشكورا . وهي مبتورة النصف الأول تبتدئ عند قوله : « الفرقة الثالثة قوم همتهم في الآخرة . » استأنست بها أيضاً لوضوح خطها .

ويمكن تقسيم هذه المخطوطات إلى مجموعتين بإهمال المبتورتين . المجموعة الأولى تحتوي على م و د . والمجموعة الثانية تضم جـ . كـ . خم.

وصف المجموعة الأولى

تحتوي كما ذكرت سابقا على « م » و « د » وهما كاملتان ، وإسقاطاتهما قليلة جدا . وخط « م » مغربي دقيق متزاحم يقرأ بصعوبة كبيرة ويحتاج إلى مران للتعود عليه وهي التي اعتمدت عليها كأصل لصحتها وسلامتها بالمقارنة بالنسخ الست الأخرى ، وهي وحدها التي تحمل تعليقاً وهو كالتالي : « نجزت النصيحة الغياثية بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل ، وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وجميع الرسل ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، على يد أحوج عبيد ربه لمغفرته وعفوه محمد فال بن محمد بن النجار التندغي ، ثاني عشر ذي الحجة بحضرة مراكش نفعنا الله برجالها عام 1222هـ.

أما « د » فهي أيضا جيدة ، خطها مغربي لا بأس به واضح ، أخطاء قليلة ، لا تحمل تعليقا ولا تمليكاً إلا ما كان في الصفحة الأولى من المجموع كله جاء فيها : « الحمد لله ، ملك لله بيد عبد ربه وأسير ذنبه عبد الهادي بن أحمد الصقلي جعله الله من أهل الشهود والتجلي. »

وصف المجموعة الثانية

وتضم « جـ » « ك » « خم » . أما ك فالخط جميل ولكن الاسقاطات والتحريفات كثيرة . وأما جـ وخم فالخط رديئ والأخطاء كثيرة تدل على جهل الناسخين .

ومجموع « جـ » يحتوي على رسائل اليوسي وأجوبة ابن ناصر . ومجموع خم يضم كتاب « مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص » لأبي علي اليوسي أيضا

أمّا « ك » فيضم رسالة أخرى لليوسي في التصوف أرسلها للحاج علي وسيدي القاسم وسوف تأتي ، ثم :

— كتاب الفتح لسيدي محمد الطالب
— فتوح الغيب لمولاي عبد القادر الجيلاني
— وكتاب في الوعظ غير منسوب

الرسالة السادسة

النصيحة الغياثية :[1]

من العبد الضعيف الظلّوم لنفسه الحسن بن مسعود اليوسي [2] غفر الله له ذنوبه وستر عيوبه ، إلى كل[3] من يقف عليه من الإخوان والمحبين وسائر المومنين . بعد[4] السلام على الجميع ورحمة الله وبركاته . أوصيكم[5] وإيّاي بتقوى الله تعالى . فإن الله تعالى جعل التقوى سبباً لخير الدنيا والآخرة . قال تعالى « وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ (1) . وقال تعالى : « وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً » (2) . وإنما تحصل التقوى بالمحافظة على المامورات **ظاهراً**: كشهادة الحق (3) ، والصلاة بشروطها وأركانها . والزكاة بإخراجها على وجهها وصرفها في مصارفها[6] والصيّام بما يجب له . والحج عند وجوبه . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطه ، والجهاد إذا تعين[7] ، وغير ذلك مما فصّل الله في الكتاب والسنة ، وفتاوى الأئمّة . **وباطناً**: كالإيمان بالله ورسوله وبما جاء به عن الله تعالى من نشر[8] وحشر ، وعرض على الله تعالى ، وجنّة ونار وغير ذلك ؛ والتوبة من كل ذنب ظاهر وباطن ، والرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله والتوكل في كل الأمور على الله ، وغير ذلك من أحوال القلب المحمودات ، ومقامات اليقين

---

1 — انفردت نسخة « م » المعتمدة بهذا العنوان . وفي باقي النسخ تبدأ الرسالة بالبسملة فقط وبعض الاختلافات في ألفاظ التصلية . 2 — « خم » . « جـ » إسقاط اليوسي . 3 — « جـ » كافة بدل « كل » 4 — د « سلام الله على الجميع » 5 — خم « أصيكم » 6 — في الأصل « مصرفها » أثبت ما في سائر النسخ 7 — د زيادة : « وتعلم كل ما وجب وتعين إذا تعين 8 — في الأصل « شرع » صححت من د.

---

(1) الآيتان 2 و 3 من سورة الطلاق. مدنية.
(2) الآية 5 من صورة الطلاق. مدنية
(3) شهادة الحق يعني بها شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله

المطلوبات ، باجتناب المنهيات: **ظاهراً**: كالكذب والزور والغيبة والنميمة والزنا ، والسرقة وأكل الحرام وظُلم العباد وغير ذلك من المنهيات المفصلة[1] في الكتاب والسنة وأقوال العلماء في كل ما يتعلق بجوارح العبد السبعة. **وباطناً** كجحد الربوبية و[2] الرسالة والشريعة ، وكالكبر والعُجب والرياء والحسد وغير ذلك من الأخلاق المذمومة والطبائع المشؤومة.

وقد مدح الله التقوى ، وبدأ بأهلها في كتابه العزيز: قال « هُدًى لِلْمُتَّقِينَ » (4) وجعل أهلها أشرف الناس فقال تعالى: « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ . » (5)

وبصحة التقوى تحصُل الاستقامة المأمور بها قال تعالى: « فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ » (6) وهي[3] حمل النفس على الأخلاق النبوية حتى تتخلق بها. وتتحقق بمراعاة الأحوال وَتَوْفِيَةِ حق الله تعالى في كل حال ، فإن العبد لا يخلو من أربعة أحوال في دينه ودنياه: فإنه إما أن يكون في طاعة أو معصية ، أو يكون في نعمة أو بلية. ولله تعالى عليه حق في كل منها[4]

فأما الطاعة: فحق الله عليه فيها ، الشكر والاعتراف بمنة الله عليه فيها[5] ، إذ لولا فضله لم يفعلها ولم يوفق لها ، ولا يصح له ذلك إلا بمعرفة أن الله هو الموفق لها والفاعل لها على التحقيق ، إذ ليس للعبد[6] فعل بالحقيقة ، ولا حول ولا قوة (له)[7] ، وإنما الحول والقوة لله الواحد القهار.

---

1 — خم « المفصلات » 2 — ك. د. « أو » 3 — خم جـ د: اسقاط: « وهي حمل النفس — تتخلق بها » 4 — جـ: « منهما » 5 — جـ. خم. ك. د. أسقطت « فيها » 6 — ك. « في العبد ». 7 — زيادة من جـ. و ك. و د.

---

(4) تمام الآية « ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه. هدىً للمتقين » الآية 1 سورة البقرة مدنية
(5) الآية 13 سورة الحجرات
(6) تمام الآية « فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ومَنْ تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » الآية 12 من سورة هود. مكية

وأما المعصية: فحق الله عليه فيها المبادرة إلى التوبة والاستغفار . والانكسار والاستحياء . وإنما يصح له ذلك بمعرفة الوعيد الواقع عليها في الشرع . ومعرفة أن الله ينظر إليه حين اشتغل بها . ولو اطلع عليه الواحد من الناس لاستحيي وانكسر . فكيف بالله العلي العظيم (ولابد من مراعاة تصحيح الطاعة وتصحيح التوبة بشروط ذلك المعلومة (7) في الشرع فمن لم يراع ذلك لم يؤد حق الله تعالى في ذلك)[1] .

وأما النعمة: فحق الله عليه فيها القيام بشكرها . والشكر يكون باللسان . بأن يحمد الله ويشكره عليها ويحدث بها قصداً لإظهار فضل الله تعالى وكرمه وجوده . لا افتخاراً بها وتعجباً وتعظماً بنفسه وماله ويكون (الشكر)[2] بالقلب[3] بأن يعتقد ويستيقن أن كلما وصل إليه من نعمة جليلة أو قليلة فمن الله فضلاً وإحساناً لا شريك له — سبحانه — في ذلك كما قال تعالى : « وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ ٱللهِ » (8) ولا ينسب شيئاً من ذلك إلى خدمته ولا حيلته[4] ولا عقله ولا سعده . ولا إلى شيء من خلق الله . فإن المخلوق كله عاجز عن نفع نفسه ونفع غيره. وكلما يراه من سبب حرث أو تجارة أو صناعة أو غيرها[5] لا تأثير له في إيصال النفع إلى العبد وإنما فعل الله[6] عندها لا بها : فهي أبواب يخرج الله الرزق منها لعباده . ولو شاء ان[7] ينزل الرزق من السماء أو يخرجه من الأرض من غير شيء لفعل . ولو شاء أن يغني عبدهً عن الطعام والشراب كالملائكة لفعل . ولكن أجرى الأسباب بحكمته امتحاناً لعباده . وإخفاءً لقدرته عن بصائر الجاهلين . ليضل من يشاء ويهدي من يشاء[8] من عباده[9] وكذا كل ما يحصل من يد المخلوق ، فهو من الله تعالى . وإنما المخلوق مُسخَّرٌ فيه ولابد

---

1 — زيادة من جميع النسخ. 2 — زيادة من كـ. 3 — في الأصل « بالقالب » صوابه من جميع النسخ. 4 — خم « حيلة ». 5 — في الأصل « غيرهما » صوابه من جميع النسخ. 6 — خم « عقل عندها ». 7 — خم أسقط « أن » 8 — خم أسقط « يهدي من يشاء ». 9 — كـ أسقط « من عباده ».

---

(7) سوف يتعرض اليوسي للتوبة وشروطها في هذه الرسالة

(8) تمام الآية « وما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فمِنَ اللهِ ثُمَّ إذا مسَّكُمْ الضُّرّ فإليْهِ تجأرُون » الآية 53 سورة النحل

من شكر الوسائط بالدعاء لهم[1] والمكافأة على قدر ما وصل إليه على أيديهم ويكون الشكر أيضاً بسائر الجوارح . بأن يسعى في خدمة مولاه الذي أنعم عليه ويُطيعَه[2] بامتثال ما أمر به . واجتناب ما نهى عنه . فالعمل الصالح كله شكر كما قال تعالى : « اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً (9) » وقال نبينا ﷺ حين قام حتى تورمت[3] قدماه : « أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً » (10) . وإنما كانت أعمالنا الصالحة[4] كلها شكراً[5] . لأنها في مقابلة نعمة الله تعالى وذلك من وجهين :

الأول : أن المكافأة على النعمة مطلوبة عادةً وشرعاً (11) . كما لو أنعم علينا[6] مخلوق — ولله المثل الأعلى — بالنعم الكثيرة . فإنا نشكره بألسنتنا . ونحبه بقلوبنا . وننصُرُهُ بأيدينا والله تعالى قد أنعم علينا بالنعم التي لا نحصيها كما قال تعالى : « وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا » (12) . **فمنها في ديننا**[7] ظاهراً كشهادة الحق . والذكر والصلاة والصيام والإحسان وغيره . وباطناً كالإيمان والمعرفة ومحبة الله ورسوله . وأهل الخير والنية الصالحة وغير ذلك . **ومنها في دنيانا** ظاهرا كالجسد والبصر والسمع وسائر القوى الظاهرة والمال[8] والولد/والزوجات[9] والعشائر والأعوان والإخوان وغير ذلك . وباطناً كالعقل والفهم والشجاعة والسماحة . والقوى المعنوية كلها[10] و غير ذلك . **ومنها في آخرتنا** كدخول الجنة الذي نرجوه . والنظر إلى وجهه الكريم . والنجاة

ص 2

1 — ك أسقط « بالدعاء لهم ». 2 — جـ « ويعطيه ». 3 — « ورمت » في بقية النسخ. 4 — د « الصالحات ». 5 — جـ « سكر ». 6 — جـ « عليها ». 7 — خم « في دين ». 8 — خم أسقط « والمال » 9 — خم « والزوجة ».

(9) الآية 13 من سورة سبأ . مكية.

(10) حديث أخرجه البخاري في صحيحه في باب « قيام النبي » عن المغيرة ابن شعبة. أنظر ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج 314/2 و ج 270/9 في باب « الصبر على محارم الله ». كما أخرجه مسلم في آخر « كتاب الصلاة » والترمذي في الصلاة وكذا النسائي وابن ماجة.

(11) اشارة إلى الحديث الذي خرج في رسالة «جواب الكتاب» « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه... »

(12) الآية 36 من سورة ابراهيم

من النار . وفي كل نوع من الأنواع ما لا يحصيه العقل . فواجب[1] علينا حينئذ أن نشكر الله تعالى عَلَى هذه النعم الكثيرة بألْسِنَتِنَا . فنحمده ونشكره . ونذكره ونوحده ونمجده ، ونتكلم بكل ما يحب منا ونسكت عن كل ما يكره منا شرعاً ، ونشكره بقلوبنا فنحبه ونأنس به ونفرده بالألوهية والولاء والعظمة والإنعام والإحسان ، والخلق والإيجاد والإمداد . ونحب كلما يحبُه[2] من أنبيائه ورسله وملائكته والمومنين من عباده ، ونبغض كل من يبغض من أعدائه الكافرين ، ونحب كلما[3] يحب من الإيمان والطاعة ونكره كلما يكره من الكفر والمعصية .

وكذا نضمر في قلوبنا كلما هو وصف محمود عنده كالزهد في العرض الفاني . والتوكل عليه . والإنابة إليه . والمراقبة له والتسليم والتفويض له . والرضا بقضائه . والصبر لأحكامه.

ونتطهر من كل ما هو وصف مذموم عنده . كحب الدنيا . والحرص[4] والطمع . والهلع[5] والجزع ، والحسد والرياء والسمعة . وغير ذلك . ونتحلَّى بما شرع لنا التخلق به من أوصافه الحميدة[6] كالعلم والجود . والإحسان والفضل ، والعفو والحلم . وننتفي عن[7] أضدادها . ونتبرأ مما لا ينبغي لنا من أوصافه العظيمة كالألوهية . والكبرياء والعظمة ، ونتصف بأضدادها من العبودية والذلة والمسكنة ونشكره بسائر جوارحنا فنعمل بطاعته قولاً وفعلا ونكف عن معصيته . فإذا فعلنا ذلك كله فقد أدينا شيئاً من شكر نعمته . بحسب ما جعل لنا تعالى في الظاهر وإلا فالتحقيق أنَّا[8] لم نؤد شيئاً . ولم نصنع شيئاً لأن كلما ذكرنا من ألسنتنا وقلوبنا وسائر جوارحنا مملوكة له تعالى ومتحركة ومتصفة بما تتصف به بحوله تعالى وقدرته ليْس لَنَا في شيْ من ذلك حَوْلٌ ولا قوة ولا أمر[9] ولا فعل . فتبارك الله رب العالمين . فكل شيْ منه وإليه : « تَعَالَى ٱللَّهُ

---

1 — د « فوجب » 2 — جـ « نحبه » 3 — خم « كل من » 4 — ك زيادة « عليها ».
5 — جـ « والجمع والمطلع » بدل الطمع والهلع ». 6 — د « المجيدة » 7 — خم « من ».
8 — ك « إذا ». 9 — خم « أمور ».

عَمَّا يُشْرِكُونَ » (13) . فهو سبحانه يخلق الخير وينسبه[1] إلينا لِيُثِيبَنَا به[2] . ويمدحنا عليه . فما أكرمه سبحانه وأغزر إحسانه ! وأكثر امتنانه.

واعلموا أنه لا يمكن أن يكون الأمر إلا كذلك . وذلك أن المكافأة بالحقيقة لا تتصور إلا بين فاعلين ومالكين . وقد علم أنه ليس في الوجود فاعل ولا مالك إلا واحد وهو الله تعالى . وغَيْرُهُ مملوك ومفعول . فالعبد وكل ما في يده مخلوق لله تعالى ومملوك له فلا شيء له يكافئ به . ثم الله تعالى هو الغني الحميد وهو القاهر فوق عباده (14). فلا يحتاج إلى منفعة يستحصلها[3] ولا يصح أن تَلْحَقه مضرة حتى يستدفعها . فكل ما يفعله بعبده فضل وعدل . فمن فضله أن يخلق الطاعة على يده وينسبها إليه فيسميه شاكرا و [4] فاعلاً للخير ومطيعاً وعابداً . ومن فضله تعالى أن يرزقه التيسير فيها ويجعل له اكتساباً لها وإرادة حتى يظن من لم يفتح الله بصيرته (أنه هو الفاعل حقيقة . ومن فتح الله بصيرته)[5] علم أن الله هو الفاعل الخالق . والعبد مكتسب غير خالق.

الوجه الثاني أن يعلم العبد أنه لم يخلق في هذه الدنيا للتنعم[12] فإن الدنيا ليست دار تنعم[6] فالجنة هي دار النعيم . وإنما الدنيا دار ابتلاء وعمل . فالعبد إنما خلق فيها للخدمة والتكليف . بعبادة الله تعالى ليظهر عليه موجب سعادته بالانقياد والطاعة . فيصير إلى دار السعداء وهي الجنة أو يظهر عليه موجب الشقاوة بالفساد (والعناد)[7] والعصيان فيصير إلى دار الأشقياء وهي النار نعوذ

---

1 — في الأصل « يتسب » صوابه من بقية النسخ. 2 — في الأصل « إليه » صححت من د. 3 — جـ « يستحضلها » 4 — في الأصل « أو » صوابه من جميع النسخ. 5 — زيادة من جميع النسخ. اسقاط في الأصل « م » 6 — د « للتنعيم » 7 — زيادة من جميع النسخ

---

(13) الآية 190 من سورة الأعراف.

(14) تضمين للآية « وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير » الآية 19 سورة الأنعام. أو الآية « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » سورة الأنعام الآية 62

بالله وبوجهه الكريم . ولكن مِنْ فَضْلِ الله تعالى خَلَقَهُ وخلق له ما يستعين به على الخدمة والطاعة وهو جميع ما أنعم به عليه . فكل ما أنعم الله به على العبد . فإنما أعطاه إياه ليستعين به في عبادته . فإن استعمله في ذلك فقد شكر نعمته . ولذلك نقول (الشكر)[1] وهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من سمع وبصر وغيرها لما خلق له . وإيضاح ذلك أن العبد خلقه ربه لطاعته وهي منتظمة من معرفة الله تعالى . ومعرفة رسوله . ومعرفة شرعه . والاشتغال بما وقع به التكليف . فخلق الله العقل[2] الذي تكون به المعرفة . فمن استعمل العقل في معرفة الله تعالى ورسوله . ومعرفة الشرع . والنظر في مصالح دينه ودنياه التي يستعين بها[3] على دينه فقد شكر نعمة العقل[4] .وخلق له الجسد الذي تكون به الخدمة . فمن استخدم جسده في طاعة الله تعالى وفيما يستعين به عليها من ضرورة[5] معاشه . فقد شكر نعمة الجسد . وخلق له السمع والبصر وسائر الآلات . والقوى والمال والبنين والزوجات والإخوان للاستعانة . فمن استعمل شيئا منها فيما خلق له استعانة على طاعة ربه فقد شكر نعمته.

فالأشياء مخلوقة للعبد . والعبد مخلوق لحضرة ربه . فإن قام بما خلق له من حضرة مولاه . بالعكوف على طاعته ولزوم ذكره والقيام بين يديه . والإعراض عما سواه كان لله وكان الله له فأصبح من الفائزين . ومن أعرض عن ذكر ربه نشب في شبكة الدنيا وفتنتها[6] وَاستَحْوَذَ عليه الشيطان فأصبح من الخاسرين.

وأما البليّة أي المصيبة في بدنه أو ماله أو من يليه . فحق الله فيها الصبر والاحتساب وللمومن[7] في ذلك ثلاثة أحوال : **الأولى** : أن يتألم قلبه من المصيبة[8] ويضيق صدره غير أنه يرضَى بقضاء الله تعالى/ ولا يتسخط لا بقلبه ولا بلسانه كما قال ﷺ « إن[9] العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما

ص 3

1 — زيادة من جميع النسخ اسقاط في الأصل . 2 — ك « العبد ». 3 — ج « به » 4 — ج اسقاط « شكر نعمة العقل ». 5 — د « ضرورات » 6 — ج اسقاط « وفتنتها ». 7 — ج « وللمومنين ». 8 — في الأصل « المصائب » صوابه من سائر النسخ . 9 — في الأصل « بل » صوابه من جميع النسخ.

يرضي ربنا » (15). **الثانية** : أن يتسع صدره فلا يتألم أصلا ويفوض الأمر إلى الله تعالى . ويعلم أنه يفعلُ ما يشاء ويحكم ما يريد. **الثالثة** : أن يجد السرور في قلبه والانبساط كما يجده عند حصول الفائدة.

أما الحالة الأولى : فتحصل للعبد بالنظر إلى العقيدة[1] . وأن الله تعالى هو الفاعل المختار لامَرَدَّ لقضائه[2] ولا منازع له في حكمه . وأننا وجميع ما بأيدينا ملك لله تعالى . وله أن يتصرف في ملكه بما يشاء . ومن نازع أو تسخط فهو الظالم ولذلك مدح الله الذين « إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » (16) فَقَالَ : « أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ . وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (16). مع النَّظر إلى ما ورد من ثواب الصبر قال تعالى : « إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » (17) وغير ذلك.

وأما الحالة الثانية فإنما تحصل للإنسان بأن لا يكون للدنيا في قلبه قدر . فلا يبالي ما نقص منها ولا ما زاد . إما لزهده فيها . وإما لارتفاع همته وشفوف نظره . كأهل الأقدار وأهل التجارب . وقد يكون ذلك في بعض الأشياء دون بعض . وكونه في كل الأغراض عزيز الوجود . لأن الطبع البشري لا يزول . ولابد (له)[3] من تألم ما عند بعض ما (لا)[4] يلائمه.

---

1 — خم « العاقبة ». 2 — خم « لاإراد ». 3 — زيادة من جـ وخم و د . 4 — زيادة من جميع النسخ.

---

(15) حديث أخرجه البخاري عن أنس بن مالك قال : « دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين وكان ظئرا (زوج المرضعة) لابراهيم فأخذ رسول الله ﷺ ابراهيم فقبله وشمه ثم دخلنا عليه بعد ذلك وابراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال له عبد الرحمان بن عوف : وأنت يارسول الله ؟ فقال : يابن عوف . إنها رحمة . ثم أتبعها بأخرى فقال ﷺ : إن العين تدمع . والقلب يحزن . ولا نقول إلا ما يرضي ربَّنا . وإنا بفراقك ياإبراهيم لمحزونون » انظر ارشاد الساري في شرح البخاري ج 415/414/2.

(16) الآية 155 من سورة البقرة والآية 156 من نفس السورة

(17) من الآية 10 سورة الزمر

أما الحالة الثالثة : فتحصل بِغَلَبَةِ النظر إلى فائدة المصيبة وهي رِضَى الله على عبده ومحبته له والثواب الجزيل في الآخرة . والخلف في الدنيا قال تعالى : « الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِين » (18) وقال ﷺ : « أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ[1] . فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حسبِ دِينِهِ . فَمَا يَبْرَحُ البَلاَءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » (19). وفي الحديث أيضا : « إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً ٱبْتَلاَهُ لِيَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ » (20). وفي الحديث أيضا : «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا . وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَهُ[2] عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (21)

وعنه ﷺ « إِنَّ عِظَمَ[3] الجزاء مع عِظَمِ البَلاءِ . وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحبَّ قَوْما ابْتَلاَهُمْ فَمن رَضِيَ فله الرِّضَا . ومن سخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ » (22) وعنه ﷺ :

---

1 — خم « الأمثال فالأمثال ». 2 — في الأصل « أمكسه » صوابه من جميع النسخ. 3 — في الأصل « أعظم » صوابه في سائر النسخ.

---

(18) الآيات 1 و 2 سورة العنكبوت

(19) حديث أخرجه البخاري في «كتاب المرض والطب» أنظر إرشاد الساري ج 343/8 كما أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة عن سعد بن أبي وقاص

(20) حديث أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس أنظر المغني بذيل الاحياء ج 314/1. وسنده ضعيف.

(21) ورد الشطر الأول من هذا الحديث بهذا اللفظ : « إذا أرادَ الله بعبد خيراً عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا » أخرجه أحمد والطبراني في اسناد صحيح من رواية الحسن البصري عن عمار ابن ياسر. أنظر المغني بذيل الاحياء ج 132/4

(22) الجزء الأول من الحديث أخرجه الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني وهناك أحادث كثيرة في هذا المعنى ولم ترد بالجمع أنظر المغني بهامش الاحياء/282.
والجزء الأخير من الحديث « فَمَنْ رَضِيَ ...الخ » جزء من حديث آخر قدسي : « قال تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضي فله الرضا الخ » أنظر المغني بهامش الاحياء ج 296/4 طبعة مصر. محمد على صبيح

« مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُصِب منه » (23) وفي حديث آخر[1] « مَا من مصيبة تُصيب المسلم إلا يُكَفِّرُ الله بها عنه ، حتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا » (24) وفي حديث آخر « مَا يُصِيبُ المُؤمِنَ نَصَبٌ وَلاَ وَصبٌ ، وَلاَ هَمٌّ وَلاَ حَزَنٌ وَلاَ أذىً وَلا غَمٌّ حتَّى الشَّوكة يشاكها إلاّ كفّر الله بها خطاياه » (25). وعنه أيضا ﷺ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذىً إلاّ حَاتَ اللهُ عنه خطاياه ، كما تحات[2] ورق الشجرة » (26)إلى غير ذَلِك ممّا ورد في الكتاب والسنة وهو كثير.

فإذا علم الإنسان أن المصائب يكون[3] بها تكفير الذنوب ودخول الجنة ، صارت عِنْدَهُ المصائب نِعَماً فوجب الفرح والسرور بها[4] ، ووجب حمد الله تعالى وشكره عند وقوعها ، وإنّما هي بمنزلة الدواء المرّ ، والكيّ والفصد مثلا تتألم به النفس ، ومن نظر إلى عاقبة الشفاء وصحة البدن فرح به وشكر الله عليه والله الموفق.

واعلموا أن من أعظم منن الله تعالى على عبده معرفة ربه ، ومعرفة نفسه ، ومعرفة الدنيا ، ومعرفة الآخرة فمن عرف الله آمن به وأطاعه ، ولم يزل راجيّاً له خائفا منه فلا يَقْنَطُ من رحمة ربه ولا يأْمَنُ مَكْرَهُ ، وتوكل عليه في كل شيء ، واكتفى به عن كل شيء.

---

1 — ج أسقطت الحديث : « ما مِن مصيبة .... » 2 — ك خم « تحت ». 3 — ج أسقط « يكون ». 4 — د « عليها ».

---

(23) أخرجه البخاري في « كتاب المرض والطب » والنسائي في الطب من حديث أبي هريرة أنظر إرشاد الساري ج 342/8 و ج 131/4

(24) حديث أخرجه مسلم والبخاري من حديث عائشة أنظر إرشاد الساري ج 340/8

(25) أخرجه البخاري في «المرض والطب» ومسلم في «الأدب» والترمذي في الجنائز من حديث أبي هريرة وفي لفظ البخاري : « ما يصيب المسلم... » أنظر إرشاد الساري ج 340/8 — 341

(26) حديث متفق عليه رواه البخاري في كتاب «المرض والطب» ومسلم في «الطب» واللفظ للبخاري من حديث عبد الله ابن مسعود قال : « أتيت النبي ﷺ في مرضه وهو يوعك وَعَكاً شديدا وقلت إنك لتوعك وعكا شديدا قال أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم . قلت : ذلك أن لك أجرين قال : أجل ذلك كذلك . ما من مسلم يصيبه أذًى شوكة فما فوقها... الحديث » انظر إرشاد الساري لشرح البخاري ج 343/8 — 350 .

ومن عرف نفسه لم يَثِقْ بها ولم يستحسن قطُّ حالَتها ، ولم يتابعها على هواها
وسمعت الأستاذ أبا عبد الله بن ناصر (27) رحمه الله ورضي عنه يقول
حاكيا[1] عن أستاذه أبي محمد عبد الله بن حسين الرَّقِّي (28) رضي الله عنه :
يامعشر المريدين إذا طالبت أحداً منكم نفسه الماء فَلْيمطُلها[2] سَاعَةً لاَ لِأَنَّ فِي
شُرْبِ الماء بأسا (بل)[3] لئلا يُعَوِّد النفس المسارعة إلى هواها.

ومعرفة الله المذكورة هي معرفة جلاله وجماله ، وقهره وقدرته واختياره ،
وأنه الفاعل لما يشاء يُعْطِي ويمنع ، ويصل ويقطع ، وَيَهْدِي ويضل ، ويُعِزّ
ويُذل ، ويقرب ويبعد ، ويُشقي ويُسعِد ، فبمعرفة ذلك ، واتصاف[4] القلب
به حالا (29) يحصل ما ذكر من الرجاء ، والتخوف والأنس والهيبة وغير
ذلك.

ومعرفة النفس هي معرفة أنها خسيسة ساقطة على[5] الشهوات العاجلة ،
أمارة بالسّوء ، جاهلة بالعواقب ، لا تجري إلاّ فيما يعود على صاحبها بالضرر الاّ
من عصمه الله من شرها ، وقليل ماهم[6].

ومن عرف الدنيا وأنها ملعونة ، ملعون ما فيها إلاّ ذكر الله وما والاه ، وأنها
لا قدر لها عند الله كما قال ﷺ : « لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ

---

1 — خم « حكيا ». 2 — ك « فليخلطها ». 3 — زيادة في جميع النسخ اسقاط في الأصل م .
4 — ك « اتصال » 5 — في الأصل « عن » صوابه من بقية النسخ. 6 — ج « ما هي ».

---

(27) محمد بن ناصر أبو عبد الله الدرعي 1011 هـ — 1085 هـ من صلحاء المالكية في المغرب كانت له زاوية لنشر العلم وأتباع كثيرون وهو الممدوح بالقصيدة الدالية لليوسي . له فتاوى في الفقه . وفهرست لشيوخه . وكتاب الأجوبة الناصرية . ترجم له التاصري في كتاب « طلعة المشتري في النسب الجعفري » (طبع على الحجر) أنظر ترجمته في التقاط الدرر/46 والصفوة/173 شجرة النور 313 الدرر المرصعة

(28) عبد الله بن الحسين الرَّقِّي ثم الدَّرعي 1045 هـ شيخ محمد بن ناصر وأحد الأفراد السالكين للسنة في أقوالهم وأفعالهم أنظر الصفوة ص 85 — 87

(29) الحال صوفياً هي المعاني التي ترد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب . والحال مقدمة المقام الذي هو أثبت

مَا سَقَى الكَافِرَ مِنهَا جُرْعَة مَاءٍ » (30) وأنها مع ذلك سريعة الزّوال . وشيكة[1] الانتقال . وإنما هي متجر ربح أو خُسر . لم يركن إليها ولم يعبأ بها . ولم يكن همه فيها الاّ الاشتغال بالرِّبح وهو العمل الصالح المؤدي بفضل الله إلى الجنة ، دون الخسر وهو العمل السوء المؤدي إلى النّار.

ومن عرف الآخرة وأنها دار القرار اشتغل بها . ومن عرف الجنة وما فيها من النعيم المقيم[2] طلبها وسعى لها سعيها . ومن عرف النّار وما فيها من العذاب الأليم هرب منها بالبعد عن أسبابها . نسأل الله لنا ولكم التوفيق فإنه لا توفيق/إلاّ بالله . « وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ » (31) فكل شيءٍ بقضاء وقدر . «وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ » (32) فقد سبق في مشيئة الله وعلمه أن جعل النار محلا لظهور عدله وبطشه الشديد . وانتقامه العتيد ، وجعل الجنة محلا لظهور فضله وإحسانه وجوده وامتنانه . وجعل حضرته العلية[3] الظاهرة[4] المقدسة محلا لظهور مواهبه العظام ومننه[5] الجسام . والأنس العظيم والنعيم الذي يُحتقر دونه نعيم.

ص 4

فخلق الخلق في الدنيا ليستعدوا بمقتضَى حكمته للمصير إلى إحدى الثلاث . فانقسموا بسابق مشيئته ثلاث فرق :

الفرقة الأولى : قوم[6] همتهم[7] في الدنيا ولا أرب لهم في الآخرة أصلا ويدركون نعيمها بزعمهم وظنهم بلا إيمان[8] ولا شرع أصلاً مع وجود الدعوى

---

1 — ك « وشبكة ». 2 — ك أسقط « المقيم ». 3 — خم « العالمية ». 4 — ك. خم « الطاهرة ». 5 — خم « منانة » 6 — خم أسقط « قوم ». 7 — في الأصل « هم » صححت من جـ و د و ك. 8 — في الأصل « بالإيمان » ضححت من د و جـ ومن نسخة « ق » التي استأنست بها.

---

(30) ورد هذا الحديث بألفاظ كثيرة ولفظ اليوسي فيه من رواية لأبي النعيم في الحلية . رواه الترمذي في الزهد بهذا اللفظ أيضاً . والضياء المقدسي في المختارة عن سهل ابن سعد. وقال الترمذي صحيح غريب . أورده الذهبي في الضعفاء ورواه بن ماجة أيضا. أنظر فيض القدير ج 5

(31) تمام الاية : « ومَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً » الآية 30 من سورة الإنسان . مدنية.

(32) تضمين لحديث « اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ » رواه أحمد والطبراني والحاكم بلفظ : « كل امرئ مهيأ لما خلق له » عن أبي الدرداء بسند حسن. أنظر المغني بذيل الاحياء ج 4/89

إليهم وهؤلاء هم الكفار ، ومأواهم النار خالدين فيها أبداً ، ولاحظّ لهم في الآخرة عند الله تعالى كما قال عز وجل : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ . وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا . وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ » (33)

الثانية [1] قوم همتهم أيضاً في الدنيا ولكن يريدون الآخرة بالأطماع والأماني بلا عمل ، أو عمل قليل ، مع وجود الإيمان بها ، وبالعمل الصالح المؤدى إليها وهؤلاء عامة [2] المومنين أهل الغفلة وحب الدنيا أمثالنا وهؤلاء في مشيئة الله . يغفر لمن يشاء منهم ويعذب من يشاء ، ثمّ يصير آخراً إلى الجنة بفضل الله (34) وشفاعة الشفعاء إن مات على الإيمان ، وقد يعاقب المُصر على المعاصي بالموت على الكفر فلا تنفعه شفاعة الشافعين نسأل الله العافية بمنه.

الفرقة الثالثة : قوم همتهم في الآخرة مُعرضون عن الدنيا . لا يتلبسون منها إلاّ بما لابدّ منه مما يستعينون به على العبادة و [3] ولا يشغلهم عن الله . وهؤلاء خواص الخلق والمختارون من عباده ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممّن يحبهم ويلتحق بهم [4] في الدنيا والآخرة . ثم اقتسم هؤلاء فرقتين **أوّلا** : الأولى قوم واجههم الحق سبحانه بمعرفته وأَوْصَلَهُم [5] إلى حضرته عناية سابقة منه تعالى لهم من غير سعي ولا طلب ، ولا سلوك ولا تعب . وهؤلاء هم المجذوبون وهم المرادون . فمن هؤلاء من يبقيه الله في حضرته غائباً عن شاهده ، فلا يبقى عليه تكليف ولا عبادة لذهاب عقله بما ملأه الله به من الحقيقة . ومنهم من يرده بعد الوصول إلى شاهده ليقوم بحق التعبد ورسم الشريعة ، والأوّل في هذين لا

---

1 — خم « الفرقة الثانية ». 2 — خم. جـ. ك. د. « عوام ». 3 — في الأصل « أو » صوابه من بقية النسخ. 4 — جـ « بها ». 5 — في الأصل « وواصلهم » التصحيح من كل النسخ.

---

(33) الآية 20 من سورة الشوري

(34) هذه إشارة إلى الحديث النبوي الذي رواه البخاري عن أنس قال : « يخرج من النار من قال لاإله إلا الله وفي قلبه شعيرة من خير.. الخ » أخرجه أيضا مسلم والترمذي

يُقتدى به بخلاف الثاني بعد رجوعه. **الثانية** قوم واجههم الحق سبحانه بالنية الصالحة والعزيمة[1] الناهضة[2] ، والهمة العالية ، والزهد في الفاني والرغبة في الباقي فاجتذبهم[3] إلى طاعته وشغلهم بخدمته . وأمدّهم بتوفيقه[4] ونظمهم في سلك أهل[5] الطريق (35) وهؤلاء هم السالكون المريدون.

ثم انقسموا في الجملة إلى فرقتين أيضا الأولى قوم سمعوا بالجنّة وما أعد الله فيها من النعيم ، فاشتاقوا إليها . واجتهدوا في العبادة توصلا إليها . وهؤلاء هم العُبَّادُ في العرف . وقد يكون العابد[6] يولع[7] بتكثير الحسنات وتتبع فضائل الأعمال ويختص باسم الناسك. الثانية فرقة[8] سمعوا بذكر الحق سبحانه فهبت عليهم منه نسمات[9] الحب ونغمات القرب ، فطاروا[10] إليه طلباً له ، ولم يعرّجوا على شيءْ دونه ، وإنما مقصدهم إن كان لهم مقصد الوصول والقرب والمعرفة والمشاهدة ، وهؤلاء هم المريدون في المشهور ، فإن المريد عندهم من لا تبقى له إرادة كما قال قائلهم :

تَكُونُ مُرِيداً ثُمَّ فِيكَ إِرَادَةٌ إِذَا لَمْ تُرِدْ شَيْئاً فَأَنْتَ مُرِيدُ

ويحكى عن أبي يزيد (36) أنه قيل له : ما تريد؟ فقال : أريد أن لا أريد . أي أريد أن تنقطع إرادتي حتّى لا يبقى لي مراد . نعم ، ولهم إرادة

---

1 — د « المعرفة ». 2 —. خم « النهيضة ». 3 — في الأصل « فاجتهد بهم » تصحيح من بقية النسخ. 4 — د. جـ خم « بالتوفيق ». 5 — خم أسقط « أهل » 6 — جـ « العارف ». 7 — خم « مولعاً ». 8 — جـ « قوم ». 9 — جـ « نفحات ». 10 — في الأصل « فصاروا » صوابه من بقية النسخ.

---

(35) الهدف البعيد للتصوف الإسلامي هو هذا الكمال الروحي. وهو ثمرة طريق شاق من الرياضة والمجاهدة والمراقبة للنفس . والسالك لهذا الطريق يعتبر من « أهل الطريق » ويسمى سالكاً ومريداً .

(36) يعني المتصوف الكبير طيفور بن عيسى البسطامي 188هـ — 261هـ . زاهد مشهور نسبه إلى بسطام بلدة بين خرسان والعراق أصله منها ووفاته بها وقد أفردت ترجمته بتصانيف حافلة . ومن المستشرقين من يرى أنه كان يقول بوحدة الوجود ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية . أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام للزركلي ج 339/3 .

هي [1]أجلّ الإرادات ومراد هو أجل مراد . وإنما يطلبون أن لا يكون لهم مراد سواه ، كما يحكى عن بعضهم أنه وقع له بعد الموت خطاب من الحق تعالى فقال له ما تريد؟ فقال له سيدي أنت مرادي[2] فقال له أنت عبدي وهذا هو الشرف الباذخ.

وليس المجذوب الذي ذكرنا هو[3] كل من ترونه قد ذهب عقله ، فقد يكون ذلك من حمق ، أو مَسٍّ جِنٍّ ، أو وسواس أو نحو ذلك ، ولا نصيب له (في الطريق)[4] ولا كلّ من[5] يتحرك لوارد حب أو خوف أو غير ذلك ، ولا يضبط نفسه ، وإن كان الوارد ربّانيًا كما جرى عُرْفُ العامة بإطلاق هذا الإسم عليه ، فإن المجذوب هو الذي قطع المنازل ، واستحصل[6] المقامَات (37) وحصل (له) [7] الوصول[8] (38) فهو من أولياء الله.

وإنما اختلف أهل الطريق في التفضيل بينه وبين السّالك (المتربّى إذا وصل ، وكذا ليس السالك)[9] أيضا كلّ من يمسك السّبحة في يده ويتزيّى بزيّ القوم مع إكبابه على الدنيا وحرصه عليها جمْعاً واستكثاراً مثلنا . بل السالك المكب على دينه ، المجتهد في طاعة ربه ، إما بالماء والسجادة . وإما بالصيام ، وإما بإطعام الطعام ، وإما بتلاوة القرآن ، وإما بالتعلم وإما

---

1 — خم أسقط «هي». 2 — جـ «مراد». 3 — خم أسقط «هو» 4 — زيادة في سائر النسخ إسقاط في الأصل. 5 — جـ «مما». 6 — جـ «وستحصل». 7 — زيادة في سائر النسخ. 8 — د «الوصل» بدل الوصول. 9 — إسقاط في الأصل أثبت ما في سائر النسخ.

---

(37) المقامات عند الصوفية هي منازل متدرجة يصل بها المريد إلى تصفية القلب والروح وهي ناتجة عن أحوال تنبعث من باطن العبد داعية لصفة نفسية معينة. لهذا كثر الاشتباه بين الحال والمقام. فالأحوال مواهب ترقي إلى المقامات التي يمتزج فيها الكسب بالموهبة.
والحال سمي حالا لتحوله . والمقام مقاماً لثبوته واستقراره والأحوال لا تكون كذلك إلاّ إذا دامت . وإلا فهي طوالع وبوادر . وهي مقدمات الأحوال وليست بأحوال . ولا تعرف فضيلة إلاّ فيها حال ومقام : التوبة . الزهد . التوكل الخ أنظر عوارف المعارف للسهروردي من ص 469 — 473

(38) الوصول أو مقام المعرفة : هو غاية الغايات من رحلة مجاهدة النفس وتصفيتها وصقلها بالرياضات والمجاهدات. وهو لا يحصل إلاّ إذا امتلأ القلب تماما بنور الله.

بالتعليم[1] وإما بجهاد العدو، وإما بالإحسان إلى عباد الله، وإما بالرياضة وتصفية القلب والاشتغال بتطهيره ثم بتنويره ثم بتعميره إلى غير ذلك من الطرق الموصلة وهي كثيرة ولله درّ القائل :

لَيسَ التَّصَوُّفُ لَبسَ الصُّوفِ تَرْقَعُهُ ... وَلاَ بُكَاؤُكَ إِنْ غَنَّى المُغَنُّونَا
وَلاَ قِيَامٌ وَلاَ رَقْصٌ وَلاَ طَرَبٌ ... وَلاَ تَغَاشٍ كَأَنْ قَدْ صِرْتَ مَجْنُونَا
بَلِ التَّصَوُّفُ أَنْ تَصْفُو بِلاَ كَدَرٍ ... وَتَتْبَعَ الحَقَّ وَالْقُرْآنَ وَالدِّينَ
وَأَنْ تُرَى خَاشِعاً للهِ مُكْتَئِباً ... عَلَى ذُنُوبِكَ طُولَ الدَّهْرِ مَحْزُونَا

وليس من شرط السَّالك أن يتجرد عن أسباب (39) الدنيا (رأسا بل)[2] أن يوّجه قلبه وقالبه إلى الله، ويشتغل بما يُرْضي الله من حيث يرضَى، أمّا التجرد والتسبب فحالان من أقيم في واحد منهما، وقام فيه بالحق الواجب فلا بأس عليه.

ومعنى الإقامة في التجرد، أن يجد المريد[3] قلبه متفرغاً[4] لعبادة الله منشرح الصدر بخلو اليد عن الدنيا وأسبابها، مطمئن القلب بضمان الله، واثقاً[5] بقسمته، صابراً على ما أريد به من الأحوال (40) مغتنماً للأوقات وعمارتها[6] بنوافل القربات.

وتعني الإقامة في الأسباب أن يجدها متيسرة عليه طبعاً وشرعاً، ويجد قلبه متمكناً معها من العبادة غير مشغول بها عن طاعة الله، مستعملاً لفوائد المال من الإنفاق في الواجب والمعروف والإحسان عن[7] سخاوة نفس وانشراح صدر. وقد ينتقل أحدهما إلى الآخر عند انتقال حاله بحق وتحقيق. وقد يدخل على كل منهما[8] تلبيس ابليس لعنه الله ليكدّر عليه وقته ويكرهه فيما رضي له

---

1 — خم إسقاط و «أما بالتعلم». 2 — اسقاط في الأصل زيادة في سائر النسخ. 3 — خم إسقاط «المريد». 4 — خم «مفرغا». 5 — خم «راضيا» 6 — خم «وعمرتها». 7 — خم «على». 8 — جـ أسقط «منهما».

---

(39) ما يتوصل به إلى المعاش الدنيوي من تجارة واحتراف وغيره.
(40) اليوسي يعرف الحال والمقام أنظر التعليق رقم 37 في الصفحة السابقة.

مولاه ، فقد يأتي المُتَجَرِّدَ على الوصف السّابق وهو منشرح الصدر ، منور[1] الوقت فيقول له أما ترى أهل الأسباب كيف ينفقون النفقات ، وكيف يستغنون ويتفضلون على الناس ، وأنت لا أجر استحصلت في الناس ، ولانفسك نزهت عن منتهم ، فأي شيْ عبادتك ؟ وقد ذهب بها المنفقون[2] عليك إلى غير هذا من الوسواس الذي يعرضه اللعين في قالب النّصح ، ولم يدر أن لحظة واحدة من مجالسة ملك[3] الملوك على وصف المراقبة أو المشاهدة أو المناجاة أو التَّمَلِّي أو غير ذلك من الأحوال الشريفة لا يقوم بها ملء الأرض ذهباً لو أنفقه[4] في سبيل الله.

ومن أُعْطِيَ مجالسة الملك فتركها ورضي بصحبة العملة والأُجراء ، استحساناً لما يقبضون من الأجرة على عملهم ، كان خسيس الهمة مخذولا بل خاسرا[5] محروماً.

ويأتي المتسبب وهو متمكن في حاله[6] منشرح الصدر لعبادة ربه وقد كف نفسه عن التشوف لما في أيدي الناس ، مجتهد فيما هو بصدد من الإحسان ، وما يثقل له به الميزان فيقول له : أنت على هذه الحالة من التّلطخ بأسبابك[7] والمعاشرة للعوام ، لا يستقيم لك[8] التوجه إلى الله ، ولا يثبت لك قدم في الطريق ، ولا نصيب لكَ[9] مع أهله. بل أولياء الله هم المتجردون[10] لعبادته لا يشغلهم عنها شاغل إلى غير هذا من الوسواس. فما يزال به حتى يترك الأسباب على غير سابق يقين ، ولا قدم توكيل ولا ارتياض بالتجرد ، فإذا علم اللّعين أنه قد انقطعت عنه فوائد السبب كرّ عليه ، وضيَّق صدره من أمر المعاش[11] ، فإمّا كرّه له التجرد ، والتفرغ إلى عبادة الله ، والاشتغال بالطريق ، وردّه على وجهه للإكباب على الدنيا والحرص عليها ، فالتحق بأبنائها ، وإما فتح له باب الطّمع وقال له أنت اليوم من أهل الطريق

---

1 — ك « بنور القلب ». 2 — جـ « المنافقون ». 3 — في الأصل « مالك » صححت من جـ و د.
4 — خم « أنفقته ». 5 — جـ « حاسر ». 6 — د « حالة » 7 — جـ « المخالطة ». 8 — زيادة « إلى » في الأصل والمعنى يتطلب حذفها كما في بقية النسخ. 9 — جـ. ك. د أسقطت « لك ».
10 — جـ « المجردون ». 11 — ك « المعاشرة ».

المتجردين وسبيلك سَبيل أهلِ الله[1] وهم يعيشون بالفتوح (41). فلا يزال به حتى يتشوف لما في أيدي الناس . وربّما خرج لسؤالهم . وربما تصنّع لهم ليعاملوه[2] . فيهلك مع الهالكين . نسأل الله النجاة برحمته[3].

فالواجب على العبد أن يلزم ما أقيم فيه . فالخير فيما اختار الله (له)[4]. ولا شك أن في التجرد التفرغ والنزاهة عن الأكدار . والبعد عن الأضداد (42) والأغيار . لمن أقيم فيه . وفي التسبب انحطاط النفس وتيسر الخمول (43) والقوت الحلال لمن أقيم فيه.

واعلموا أن الجذب المذكور . والتجرد الموصوف موهبة من الله تعالى ليس فيه اختيار ولا اكتساب للعبد . فأدب العبد الواجب عليه أن يشتغل بالسلوك المأمور به[5] . ولا يتركه وينتظر الجذب فإنه إن سبق له من الله ذلك فهو واصل إليه . إما ابتداء أو في أثناء السلوك . فيستغني عمّا وراءه (والواجب أن يشتغل بالخدمة والعبادة ويرجو فضل الله تعالى كيف شاء . ولا يختار لنفسه حالة دون أخرى)[6] والواجب أيضاً أن ينظر في قلبه وحاله فإن وجد حالة التجرد كما وصفناها فليتفرغ للعبادة وليحمد الله على ما وهبه . وإن لم يجد فليشتغل بسبب شرعي لا يضيع عليه دينه ولا يفسد عليه حاله . فإن تعذر عليه[7] تناول آخر وهكذا . فإن تعذرت الأسباب كلها شرعاً أو طبعاً . فلينظر لحاله . فإن وجد التجرد كما وصف فليتجرد . ويعلم أن تعسير الأسباب . إذن من الله في تركها

---

1 — خم « أهل الطريق ». 2 — جـ « ياملوه ». 3 — جـ « بالخير ». 4 — زيادة من د .
5 — جـ « بها » 6 — زيادة من جميع النسخ إلا . د . إسقاط في الأصل. 7 — ك أسقط « عليه ».

---

(41) الفتوح ما يقدمه الزائر للشيخ من صدقة أو هدية
(42) الضد هنا بمعني النظير أي الناس
(43) يعني خمول الذكر ضد الشهرة

وان لم يجد ذلك في نفسه فليتوقف حتى يختار الله له . وليرجع مع نفسه فلعلّ التعسير لذنب أصابه . أو لعله امتحان من الله . ليصبر على الضرورة فيلتحق بالخاصة وهذا كله في الطريق.

وأمّا بعد الوصول وحصول المعرفة فهو حينئذ أعرف بأمره وأقدر على سياسة نفسه . واعلموا أن صحة التوكل على الله تعالى لا تختص بحالة التجرد . بل يكون مع التسبّب أيضا فكما أن المتجرد[1] يتوكل على الله في تجرده لا على تجرده كذلك المتسبب يتوكل على الله في تسببه لا عَلَى تسببه . وإنما جعل السبب في يده إقامةً لِحِكْمَةَ الله تعالى . لا اعتماداً عليه وإنما يعتمد على الأسباب أبناء الدنيا الغافلون . العُمْيُ البصائر الجاهلون . وهؤلاء متى عطّل الله عليهم السبب جزعواْ وضاقواْ لأنه عمادهم . وأما أهل البصائر فمتى عطل عليهم[2] لم يبالوا لأن الله الذي يرزقهم حيٌّ لا يموت . بل هم يستبشرون بأن الله تعالى يريد أن يغنيهم عن السبب وما أحسن حال العبد وأهنأ عيشه إذا كفاه سيده من خزائن/فضله من غير أنْ يُحْوِجَهْ إلى سبب يُتعبه . ولا اكتساب يكتسبه . فهذه — رحمكم الله — علامة من يعتمد على الله ومن يعتمد على السبب . فزنوا بها أنفسكم لتعلموا أين أنتم . فإن النفس تدّعي ما ليس لها وتتشبع بما لم تعطَ والله سميع بصير.

ص 6

ثم ينقسمون بعد إلى عارف . وزاهد . وعابد . ومن حيثية أخرى إلى : صوفي . ومتصوف . ومتَشبه (44)وَمَلاَمِتيّ[3] (45) وَقَلَنْدَرِيّ (46) ولا

---

1 — جـ « التجرد ». 2 — خم زيادة « السبب ». 3 — جـ « ملاتي ».

---

(44) يفرق صاحب « عوارف المعارف » بين الصوفي والمتصوف والمتشبه فيقول : « المتشبه بالصوفية من اختار التشبه بهم دون غيرهم . غير أن المتشبه تعوق بظلمة النفس . والصوفي تخلص من ذلك. والمتصوف متطلع إلى حال الصوفي وطريق الصوفية أوله إيمان ثم علم ثم ذوق فالمتشبه صاحب إيمان :. «أنظر الفصل الذي عقده السهروردي في كتابه عوارف المعارف الباب السابع ص 65

(45) « الملامتية » طبقة من المتصوفة لهم مزيد اختصاص بالتمسك بالإخلاص وبالسنن والآثار. يرون كتم الأحوال والأعمال ويتلذذون بكتمها حتى لو ظهرت أعمالهم وأحوالهم لأحد استوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصي من ظهور معصيته. أنظر عوارف المعارف الباب الثامن ص 71

(46) القلندرية : أقوام ملكهم سكر طيبة قلوبهم لا يترسمون بمراسم المتقشفين والمتزهدين والمتعبدين وقنعوا بطيبة قلوبهم مع الله تعالى ومع ذلك هم متمسكون بترك الادخار وترك الجمع والاستكثار. أنظر الباب التاسع في عوارف المعارف للسهروردي ص 77

حاجة بنا إلى ذكر (هذه)[1] التقاسيم وشرح أرباب هذه الأوصاف لأنه لا حاجة إليكم إليها في الوقت . ولأنا لم نتصد لفن التصوف وذكر ما فيه . وإنما أردنا أن ننبهكم على أوائل الطريق عسى أن ترتقواْ من ذلك إلى ما بعده . ولأن ذكر ذلك في حقنا فضول . وإنما يذكره أهله . بل كثير مما مرّ فضول نستغفر الله منه ونعوذ بوجهه الكريم أن يحرمنا منه . فإن من تكلم بحالة لم يبلغها . يُخْشَى عليه أن لا يبلغها . ونحن لم نبلغ ما ذكرنا . ولم نتصف بما وصفنا . بل نحن أضيق الناس فيه ذراعاً وأقصر الناس باعاً وأحوج إلى من يعظنا وينبهنا . ولولا أن بعضكم استدعى[2] منا الوصية . مع ثبوت حقكم علينا في النصح جملة . وأنكم محتلجون إلى الوصية بمقتضى الأخوة التي بيننا. وظننا وعلمنا أنه مطلوب ممن بلغه شيْ من الدين أن يعلمه لقوله تعالى : « وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ » (47) ولقوله ﷺ « بَلِّغُواْ عَنِّي وَلَوْ آيَةً » (48) لَمْ نَصِف لَكُم ما وصفنا . ولا تعدَّينا طورنا . ولكن رجونا الانتفاع لنا ولكم . فإنا داخلون معكم في خطابنا بالتصريح . إذ نحن محتاجون كما تحتاجون . وطالبون كما تطلبون . نسأل الله تعالى أن يعامل جميعنا بفضله إنه وليّ حميد . وإنما ترقينا فيما ذكرنا شيئاً عمّا هو الظاهر من حالكم . رجاءَ أن تتشوفوا إلى مالم تصلوا إليه . وتنهضوا إليه بهمتكم . فعسى أن يفتح فيه عليكم . فإنه يفتح للرجل على قدر همته.

وقد رأينا أن نصف لكم شيئاً من كيفية الدخول في الطريق فإنه أهم الأشياء عندكم . إذ استقامة البنيان نتيجة[3] وثاقة الأساس . وثبوت الفرع على ثبوت الأصل . ولذلك قالوا إنما حُرموا الوصول لِتَضْيِيعهم الأصول (49) فنقول :

---

1 — زيادة من جميع النسخ. 2 — في الأصل « استدعنا » صوابه من سائر النسخ. 3 — جـ « نتجية ».

---

(47) الآية 187 من سورة آل عمران. مدنية.

(48) جزء من الحديث بلغواْ عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج . ومن كذب علي تعمدا فليتبوأ مقعده من النار رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمر أنظر مشكاة المصابيح ج 70/1

(49) هذا القول ينسب لابن عيينة أنظر قوت القلوب ج 203/2

إن شأن[1] المبتدئ[2] في طريق الله أن يصحح أولا عقيدته . باعتقاد الحق على طريق[3] الشيخ أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري (50) إمام أهل السنة فيعتقد يَقيناً أن الله تعالى مَوجودٌ غير معدوم . قديم غير مخلوق . بَاقٍ لاَ يَفْنى . مخالف للخلق . لا يشبهه شيء[4] غنيٌّ لاَ يَفْتَقِرْ . وَاحِدٌ في ملكه . لا شريك له ولا معين . قادر ومريد . بقدرة وإرادة يتعلقان بكل ممكن خَيْرٍ أو شر . نَفْعٍ أو ضُرّ . لا تأثير بغيره تعالى في شيء . عالم بعلم محيط بكل موجود وكل معدوم . حَيٌّ بحياة . سميع بصير . بسمع وبصر يتعلقان بكل موجود متكلم بكلام يعم كل معلوم . من غير جارحة في شيء من ذلك . ولا مشابهة لمخلوق . ويعتقد أن الله تعالى له التصرف[5] في الممكنات بكل ما شاء من إيجاد وإعدام . وإعزاز وإذلال . وتنعيم وتعذيب وغير ذلك « لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلْ وَهُمْ يُسْأَلُونَ » (51) ولا يجب عليه شيء لعبيده إلا ما جعل[6] لهم تفضُّلاً وامتناناً . فكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل . ودليل ذلك كله هذه المخلوقات . فكما أن الصنعة تدل على الصانع إذ لولا وجود الصانع لما وجدت الصنعة . كذلك المخلوقات تدل على الخالق إذ لولا وجود الخالق[7] لما وجدت المخلوقات إذ لا قدرة لمخلوق على إيجاد نفسه ولا غيره . فنقول

لولا وجود الله تعالى لما وجد شيء من الحوادث لا نحن ولا غيرنا ولو لم يكن قديماً لكان مثلنا . فلا يُوجد شيئاً . ولو لم يكن باقيّاً لكان فانياً . فلا يكون قادراً ولا خالقاً ولا إلاهاً معبُوداً.

---

1 — جـ و د « إن شاء الله ». 2 — خم « الفتح ». بل المبتدئ. 3 — « طريقة » في كل النسخ الأخرى. 4 — في النسخ الأخرى « لا يشبه شيئا » 5 — في الأصل « تصرف » صححت من د و جـ 6 — في النسخ الأخرى « جعله ». 7 — خم أسقط الجملة « إذ لولا وجود الخالق ».

---

(50) أبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري 260هـ — 324هـ إمام أهل السنة من نسل الصحابي أبي موسى الاشعري. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين ولد بالبصرة وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجهر بخلافهم. أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام جزء 2: 69

(51) الآية 23 من سورة الأنبياء. مكية.

ولو لم يكن مخالفاً لخلفه . لكان مثلهم فيكون عاجزاً مَخْلوقا مثلهم . ولو لم يكن غنياً لكان محتاجاً إلى من يخلقه . فلا يكون خالقا . ولو كان معه شريك في ملكه لتنازعا[1] فيقع الفساد والاختلال . كما يقع ذلك عند اجتماع خليفتين في الدنيا . أو واليين في البلد . أو ضرتين في البيت . ولو لم يكن قادراً ومريدا وعالماً لما خلق شيئاً إذ العاجز لا يخلق شيئاً[2] والجاهل لا يدري ما يفعل . ولو لم يكن حيّاً لم يتّصف بالعلم ولا القدرة . ولو لم يكن سميعاً وبصيراً ومتكلماً لكان ناقصاً . والنقص على الله تعالى محال . ولو وجب عليه شيء . أو تعاصى عليه فعل . لكان مقهوراً غير مختار . فكيف « وهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ » (52) « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ » (53).

ولا يلزم أن يتبع[3] تفاريع المتكلمين . (54) بل ولا ينبغي له . إن كان همه الاشتغال بما يعنيه في خاصة نفسه . فإن هذا القدر يكفيه اتفاقاً على أنّا نقول[4] إنْ صعُب عليه هذا الدليل الجمْليّ أيضاً فليحتفظ بالعقائد مجردة . ويجتهد في التقوى وذكر الله تعالى . والقوت الحلال . فإن الله تعالى يكرمه . وإحسانه ينور قلبه وَيَرْزُقه من اليقين ما يغنيه عن البرهان . وماذلك على الله بعزيز . وهذا على ما نختاره من أن اعتقاد الحق حق وأن النظر ليس داخلا في حقيقة الإيمان . وإنما هو لصيانة العقل من تسلط شيطان الإنس والجن . فإذا حصل اليقين أو ما فوقه من العين والمشاهدة فهو الصيانة التامة والله وليّ حميد.

---

1 — ك « لتنازعه ». 2 — اسقاط « شيئا » من جميع النسخ . 3 — د . ج « ولا يلزمه أن يتبع جميع ». 4 — في الأصل « قول » صوابه في جميع النسخ

---

(52) من الآية 18 سورة الأنعام أو الآية 61 من نفس السورة

(53) من الآية 68 سورة القصص.

(54) المتكلمون يذهبون إلى نفي الصفات ويذكر أبو الحسن الأشعري أن المعتزلة تذهب إلى نفي صفات الله وأن الله لا صفات له. فالعلم والقدرة أهم الصفات عند المتكلمين يجعلونها والذات شيئا واحداً. ويقرر أبو الحسن الأشعري — وقد عرف المعتزلة وخباياها — مصدر هذا القول أنهم أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً أزلياً. أنظر « نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ص 535 — 553 »

ويعتقد (مع ذلك)[1] أن الله تعالى يراه المومنون في الآخرة من غير جهة ولا مقابلة . لأن الله تعالى أخبر بذلك (55) وأخبر به رسول الله ﷺ وأن الله تعالى يرحم المومنين بدخول الجنة ويعذب الكافرين ومن شاء من العصاة بالنار .

ص 7 وأن الله تعالى خلق الملائكة وجعلهم عباداً مكرمين « لاَ يَعْصُونَ اللهَ/مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُومَرُونَ » (56) وأوحى إلى الأنبياء من البشر وجعلهم معصومين من العيوب والذنوب وجعل منهم مرسلين إلى العباد . ونزَّههم عن كتمان الشريعة . وأن آخر الأنبياء والرسل وأفضلهم نبينا ومولانا محمد بن عبد الله ﷺ بعثه إلينا بشيراً بالجنة لمن أطاعه . ونذيراً بالنار لمن عصاه . فآمنّا به وصدقناه وكل من لم يؤمن به فهو كافر مخلّد في النار . وأن كلما جاء به القرآن والشريعة حق وما أخبر به من قيام الساعة وسؤال الملكين في القبر . والحشر والنشر . والميزان والصراط . والحوض والشفاعة . وخلود المومنين في الجنة . والكافرين في النار . حق.

ويشتغل بالتوبة (57) فيصححها بأركانها وهي أربعة : **الأول** الإقلاع ومعناه ترك المَنْهِيِّ عنه . والاشتغال بالمأمور به . **الثاني** : الندم على ما فات من المخالفات (**الثالث** : العزم على عدم العود إلى المخالفة)[2] **الرابع** ردّ المظالم وهي ما لزمه[3] من الحقوق وهي قسمان : قسم لله تعالى ليس فيه تعلق لآدمي كالصلاة الفائتة والصيام ، وكفارة اليمين . والنذر ونحو ذلك فلا بد من قضاء الجميع . وقسم ممّا يتعلق[4] بالناس ، كما إذا أصاب شيئاً من أحوال الناس أو دمائهم أو أعراضهم فعليه أن يتخلص من ذلك بغرم ما يمكن غرمه أو الاستحلال فيه وفيما لا يمكن ، وقد لا يوجد صاحب الحق فليتصدق عليه

---

1 — زيادة في جـ 2 — زيادة في جميع النسخ اسقاط في الأصل. 3 — جـ « لزم ». 4 — في الأصل « به الناس » صوابه في جميع النسخ.

---

(55) يشير إلى الآية الكريمة « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » الآية 23 من سورة القيامة.

(56) من الآية 6 سورة التحريم. مكية.

(57) أهم مقامات البدايات مقام التوبة وهي الرجوع من المخالفة إلى الموافقة ومن الطبع إلى الشرع ومن الظاهر إلى الباطن ومن الخلق إلى الحق . وحجة جعل التوبة سببا من أسباب المحبة قوله تعالى : « إن الله يحب التوابين ... » أنظر روضة التعريف بالحب الشريف ج الأول 268 — 272

بمقدار حقه . وقد لا يجد ما يعطي فينوى أن يعطي[1] متى وجد . وقد يتعذر ذكره أصلا . فليس الآ الالتجاء[2] إلى الله تعالى . والإحسان إلى المظلوم بالتصدق عليه . والدعاء والاستغفار له . والاستكثار من الحسنات . ليجد ما يعطي . والاجتهاد في التحبب إلى الله تعالى . باتباع محابه وتجنب مساخطه . فإن المرجو من المولى إذا أحب عبده أن يفتكّه من أيدي خصومه ولا يسلمه . فإذا صحح توبته فليجتهد في طاعة الله مع التزام التقوى والتبري من الحول والقوة . ولينو أنه واقف بباب مولاه خاضعاً ذليلاً فقيراً محتاجاً . منتظراً لفضله وإحسانه . فإن كانت همته إنما هي في العبادة وطلب الجنة فله فيما يسمع من كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ وفتاوى أهل الدين ومواعظهم الكفاية فيما يفعل ويترك.

وإن نزعت به الهمة إلى طلب معرفة الله تعالى . والوصول إليه فهو محتاج غالباً إلى التربية (58) على يد شيخ صالح (59) أو أخ ناصح . ولهم في التربية واستصلاح القلب طرق : **منهم من يعتبر القلوب** كأنها معادن مراعاة لما ورد من حديث : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة » (60) ولا شك أن المعدن يحتاج إلى التخليص[3] والتصفية حتى يذهب الجوهر الفاسد والرديئ كالتراب والحجر والرصاص والنحاس ويبقى الجوهر الشريف النفيس وهو الذهب

---

1 — خم اسقاط « أن يعطي ». 2 — جـ خم. كـ « اللجأ ». 3 — خم « التخلص ».

---

(58) التربية : المقصود من التربية صوفيًا هو تصفية الذات وتطهيرها من رعونتها بمختلف الرياضات والمجاهدات حتى تُطيق حمل السر الإلهي. وليس ذلك الآ بإزالة الظلام منها وقطع علائق الباطل عن وجهتها وتارة يكون بصفائها من أصل خلقتها بأن يطهرها الله بلا واسطة . وتارة يكون بواسطة شيخ تربية. أنظر كتاب الإبريز عن عبد العزيز الدباغ ص 196 — 197 المطبعة الأزهرية

(59) الشيخ : يعني شيخ التربية الصوفية وله علامات ظاهرة وهي العلم . والإعراض عن الدنيا . وسلامة الصدر . والكرم والتسامح. الخ أنظر المرجع السابق ص 244.

(60) جزء من حديث أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة بأسانيد مختلفة وألفاظ مختلفة أيضا. ولا وجود لعبارة «كمعادن الذهب والفضة» فيما وقفت عليه من المتون. ولفظه عند مسلم : تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا وتجدون من خير الناس في هذا الأمر أكرههم له قبل أن يقع فيه وتجدون من شرار الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه. أنظر شرح الامام النووي على صحيح مسلم بهامش ارشاد الساري ج 9/412 ومشكاة المصابيح ج 1/70 وارشاد الساري ج 6/4

والفضة ، فكذا القلب يحتاج إلى التصفية حتى تذهب الأخلاق المذمومة ويتصف بالأخلاق المحمودة وهو ما يذكرون من : التَّخْلِيَّة والتحْلية.

ومنهم من يعتبرها كالأواني مراعاة للحديث الوارد (61) في ذلك ولا شك أن الإناء محتاج إلى أن يُفرغ مما ليس بمطلوب إن كان فيه . فيغسل فيعمر[1] بالمطلوب والقلب كذلك كما مرّ.

ومنهم من يعتبرها كالأرض مراعاة للحديث الصحيح : « مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللّهُ بِهِ كَمَثَلِ غَيْثٍ[2] أَصَابَ أَرْضاً » (62) الحديث. ولاشك أن الأرض تحتاج إلى الغيث . وهي مختلفة بحسب القابلية . فأرض جيدة يصيبها الغيث فتنتفع بالشرب وتنبت ما ينفع الناس من العشب . وأرض أخرى تمسك الماء للناس ولا تشرب ولا تنبت شيئا . وأرض أخرى لا تمسك ماء ولا تنبت شيئاً . فكذلك الناس منهم من يسمع الحكمة فينتفع بها في نفسه ويؤديها لغيره فينتفع وينفع[3] وهو خير الناس . وذلك مقام الأنبياء ومن تبع آثارهم[4] من أئمة الهُدَى في كل قرن . ومنهم من يسمعها ويؤديها للناس فيكون من أوعية العلم . ومنهم من لا يسمع ولا يعقل ، ولا ينتفع ولا ينفع.

فإن ظفر المريد بشيخ يربيه فهو تابع (له)[5] على طريقته . وأدبه (معه

---

1 — خم « فليغمر». 2 — خم محو مكان « غيث ». 3 — جـ « وينتفع ». 4 — جـ « أثرهم »
5 — زيادة في خم . ك . جـ.

---

(61) لم أصل إلى تحديد هذا الحديث

(62) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في كتاب « العلم » ومسلم في فضائل النبي ﷺ والنسائي في « العلم » رواه أبو موسى الأشعري ونصه : « مثلُ ما بعثني الله بِهِ مِن الهُدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصابَ أرضا . فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصاب منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. فكذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به . فعلم وعلّم . ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ». أنظر إرشاد الساري ج 1 178 — 179 شروح النووي على صحيح مسلم ج 137/9 — 138 المغني بذيل الاحياء ج 1 ص 10

أن)[1] يلتزم طاعته واحترامه ، وتوقيره وإكرامه ، وتفضيله على غيره ، من أهل عصره ، وتخصيصه بالصحبة ومشاورته في كل ما يأتي وما يذرْ[2] ، والرجوع إليه في كل ما ينوبه ، وأن لا يكتم عنه شيئاً من أحواله رفيعة أو خسيسة ، وأن يصدُقَهُ ولا يظهر له من صلاح أو صدق أو اعتقاد ما ليس فيه ، وأن لا يتعدى أمره ، وأن يبادر إلى فعل ما أمره[3] من غير تراخٍ ولا توقفٍ ولا تأوُّلٍ[4] .ومن الواجب أن لا يدخل[5] في يده حتى يعلم أنه على الصراط المستقيم ، إمّا بالمخالطة[6] أو بمشاهدة أهل الحق ، وحتى يجد له في قلبه مع ذلك نيّة صالحة واعتقاداً وحرمة ، فإذا اجتمع له ذلك ودخل في يده لم يبق له معه إلاّ الإذعان والتسليم ، والاعتقاد الجميل ، والنظر إليه بعين الرضا في كل شيءْ ، واستحسان كل ما يبرز منه وإن خالف عقله هو[7] ، أو خالف[8] العادة . ومتى رأى منه ما يكره جعل له وجهاً من التأويل ، فإن عجز أحال بالقصور على نفسه ، واعتقد أن له وجهاً حسناً في نفسه ، وإذا كان هذا حقه مع سائر الإخوان وسائر المومنين ، فكيف مع الشيخ.

وليتأدب معه الأدب البالغ . فلا يطأ سجادته ، ولا يجلس في مكانه ، ولا يلبس[9] لباسه[10] ولا يتزوج زوجة/طلقها أو مات عنها ، إلى غير ذلك من كلّ ما يستحسن شرعاً أو عادة ، ما لم يأمره الشيخ بشيءْ من ذلك أمراً جائزاً[11] فيفعل ، وإلاّ قدَّم الأدب على الأمر ، ولا يتشوف إلى ذلك ولا يطلب من الشيخ شيئاً من ذلك ، وربما ساعفه الشيخ بشيءْ من ذلك ، وهو المكر الذي يهلك معه المريد[12] ، فإن أحسّ بشيء من ذلك فليبادر بالتّوبة والتّنَصُّل ، ولا يَعْتَرِض عليه بلسانه ولا بقلبه في شيء، ولا يطلب منه سَبَب[13] كلامه، ولا وجه صحته ولذلك قالواْ من قال لشيخه لم؟ لا يفلح أبداً ، وكان تلميذ قال لشيخه ياسيدي إني رأيت فيما يرى النائم أنك ذكرت لي كذا ، فقلت لك لم

ص8

1 — بياض في الأصل أثبت ما في سائر النسخ. 2 — خم «يدار». 3 — خم «أمر به».
4 — ك «تأويل». 5 — في الأصل «يأخذ» صوابه في جميع النسخ. 6 — جـ «بمخالفته به».
7 — ك إسقاط «هو». 8 — خم — إسقاط «خالف». 9 — خم — زيادة «ثوباً».
10 — ك. جـ «لبسه». 11 — د. «جازما». 12 — خم اسقط «المريد». 13 — ك «بسبب».

ذلك ؟ أو نحو هذا[1]. فقال له الشيخ : اذهب عني[2] لا تصحبني أبداً ، فلولا أنك تُجَوِّزُ ذلك في عقلك ما رأيته في نومك . بل ولا يطلب منه الجواب اذا سأله عن أمر ، بل يعرض عليه الأمر ويمسك[3] فإن أجابه فذاك[4] ، وإلاّ علم ان الجواب غير لائق . ولا يترقب منه أن يكرمه ولا أن ينزله أو يقدمه[5] في المجلس ، أو ينظر إليه أو يضحك في وجهه ، أو يسأل عنه أو يعطيه شيئاً من منافع الدنيا ، كانت ما كانت ، بل يعتبر نفسه عبداً له[6] مملوكاً خسيساً ، هو المطلوب[7] بالحقوق والآداب[8] كلها في حق سيده ، وليس له هو أن يطلب شيئا من ذلك . وكلما فعله به الشيخ من إبعاد أو إهمال أو إعراض ، فليعتقد أولا أن ذلك قدره لسقاطته في نفسه وخساسة همته ، ثم يعتقد ثانياً أن الشيخ لم يفعل به إلا ما هو الأصلح في حقه ، ولا يتهمه ، ومتى قرّبه أو أكرمه أو أثبت له مزية ، فلا يتعاظم بذلك ولا يتّهم نفسه باستحقاق ولكن يرجو ويخاف . أمّا الرجاء فلأنه عسى أن يكون الشيخ لم يقربه[9] حتى قربه الله تعالى إليه[10] فإن إقبال قلوب المشايخ على الإنسان من علامة السعادة . وأما الخوف[11] فلأنه ربما كان مكراً ، وربما كان علامة على أن الشيخ لم يَرَ له نفاذاً في الطريق ، ولذلك عامله معاملة أبناء الدنيا من المداراة والإجمال (63) نعوذ بالله من الحرمان . واعلموا أن الآداب كثيرة[12] يستوعبها المشغولون بها وفيما ذكرنا كفاية لمن تأمل.

وإن لم يظفر بالشيخ في الحال ، فليستعن بأخ صالح ناصح عارف إن وجده[13]. ويلزمه معه الإنصاف والإكرام وحسن الظن ، وإن لم يجده فليقف بباب الله بصدق التوجه وملازمة اللَّجإ والاضطرار كما تقدم ، فإن الله بفضله إذا

---

1 — في الأصل « ذلك » صححت من د . جـ. 2 — في الأصل « أعني » صوابه في جميع النسخ.
3 — خم « ويمسكه ». 4 — جـ. ك. خم « فذلك ». 5 — جـ « يقربه » 6 — جـ أسقط « به » ك : لله . 7 — « مطلوب » في سائر النسخ الأخرى . 8 — في الأصل « الأدب » صوابه في سائر النسخ . 9 — جـ « يضربه ». 10 — « إليه » ساقطة من جميع النسخ الأخرى 11 — جـ اسقاط « وأما الخوف ». 12 — في الأصل « تكثر » صححت بما في بقية النسخ. 13 — ك أسقط « أن وجد »

---

(63) أجمل في الكلام : تلطف واعتدل

علم منه صدق الطلب . وصحة التوجه إليه[1] هَادِيه وَمُرشِدُه[2] . إما على يد شيخ يُلقِّيهِ به حيٍّ أو ميتٍ . أو يُمِده من ظهر الغيب . أو على يد النبي المصطفى ﷺ . أو يمنحه بغير واسطة والله ذو الفضل العظيم.

والذي نوصي به أنفسنا وإخواننا في هذا الوقت الصعب الذي لم يظهر فيه الإخوان الناصحون فضلا على شيوخ التربية . أن نرجع إلى الله . ونرد إليه أنفسنا بالافتقار والاضطرار . ونحاكمها إليه ليحكم بيننا وبينها . ثم نقف ببابه فما أحسن العبد بباب مولاه . كائناً على أي حالة[3] كان . وهذا الذي فهمناه من طريقة أشياخنا[4] ولقد كنت (كتبت)[5] في أعوام السبعين إلى شيخنا الإمام العارف السنيّ . القدوة الجامع بين الشريعة والحقيقة أبا عبد الله بن ناصر رضي الله عنه ونفعنا به بعِلَلٍ[6] أجدها في نفسي . فكتب إليّ أن الصنعة إذا تَعَيَّبَتْ[7] رُدّت إلى صانعها لا يمكن أن يصلحها غيره . وأمرني بأعمال أعملها مع ذلك فعملتها[8] . فوجدت بركة إشارته بحمد الله.

فهذه الطريقة اليمانية[9] (64) وهي مرجع الطريقة الثالثة (65) من الطرق التي ذكرنا وهي أسهل الطُّرق وأقربها إن شاء الله . وقد قال ﷺ « الإيمان يمان[10] والحكمة يمانية » (66). فعليكم يامعشر الإخوان بالرجوع إلى الله في كل

---

1 — جـ وخم اسقاط « إليه ». 2 — ک « هاداه » « وأرشد ». 3 — « حال » في جميع النسخ.
4 — خم « شيخنا » 5 — زيادة من سائر النسخ . 6 — خم « لعلل » 7 — ک. « تعبت » جـ : « تعينت ». 8 — جـ « بفعلتها ». 9 — ک « الميامنية ». 10 — جـ إسقاط « يمان »

---

(64) لهذه النسبة إشارة إلى الحديث الذي سوف يأتي

(65) الأولى طريقة التربية عن طريق الشيخ والثانية بواسطة أخ ناصح عارف . والثالثة وهي المشار إليها بالوقوف بباب الله مع تصحيح الاعتقاد وصدق التوجه.

(66) وقفت على حديث « الإيمان يمان » أخرجه الشيخان من رواية بن مسعود. يمان أي منسوب إلى أهل اليمن لاذعانهم إلى الإيمان من غير كبير كلفة . واليمن ما على يمين الكعبة من بلاد الغور . قال أبو عبيد مكة من أرض تهامة . وتهامة من أرض اليمن ولذا سميت مكة وما يليها من أرض الحجاز تهامة . فعليه مكة يمانية ومنها ظهر الإيمان . وهو متواتر . وفي الباب عن ابن عباس بزيادة « والفقه يمان والحكمة يمانية . رواه البزار. أنظر فيض القدير ج 186/3

شيء والوقوف ببابه بصدق التوجه ، وخلوص النيَّة على الدوام ، فلا خير إلاَّ خيره ولا مانع[1] لما أعطى ، ولا معطي لما منع[2] ولا وصول إليه إلاَّ به. واحذروا أن يخدعكم الشيطان في هذه ، فيفرق بينكم وبين الله أو بينكم وبين المشايخ الذين تنتفعون بهم رحمة الله عليهم. وذلك أن تقولوا إذا كنا نرجع إلى الله، فأي فائدة للمشايخ وصحبتهم ؟. فاعلموا أن فائدة الشيخ هي الرجوع إلى الله تعالى ، فما صحبنا المشايخ إلاَّ ليُعَرِّفونا بالله ، ويردّونا إليه في كل شيء، ويقطعونا عن كل ما سواه حتى عن أنفسهم ، فإن الله تبارك وتعالى هو المعبود وحده لا شريك له وهو المرجو[3] والمطلوب. ولو قطعونا عن الله وردّونا إلى أنفسهم بشيء زائد على مجرد التوسل بهم إليه ، كانواْ أولى باسم الشياطين[4] من إسم المشايخ ، وقد قال الله تعالى لنبيه عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام « أَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلاَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ؟ قَالَ : سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ » (67) إلى قوله مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ » .. الآية (68).

فالواجب[5] أن نرجع إلى الله سبحانه نتوسل بأشياخنا حاضرين أو غائبين أحياءً أو أمواتاً بعد أن نعمل بما رسمواْ لنا جهدنا. وها هنا مكيدتان[6] أيضاً للشيطان لعنه/الله فاحذروهما . **أحدهما** الاغترار بالمشايخ وصحبتهم والانتساب إلى الطريق وأهله دون عمل ، فيقول الجاهل المَغْرور ، إنَّا دخلنا في حزب الشيخ فلان ، وأسندت إليه خشبتي (69) وهو كذا وكذا وقد قال كذا يوم كذا ، فيذكر محاسنه ودرجته وما يقع منه من بعض التبشير والتَّرجِيَّة ويكتفي

ص 9

1 — خم « منع » 2 — جـ « المانع ». 3 — في الأصل « الموجود » أثبت ما في النسخ الأخرى 4 — خم « الشيطان ». 5 — خم « بالجواب ». 6 — خم . ك. زيادة « أخريان » جـ. « أخريتان ».

(67) من الآية 116 سورة المائدة. مدنية.
(68) من الآية 117 من نفس السورة
(69) أسندت إليه خشبي : تعبير عامي يعني عولت عليه في أمور ديني ودنياي وألقيت إليه أمور نفسي قلباً وقالباً

بذلك . وهذا غلط في الطريق . فإن المريدين لم يكونواْ يصحبون المشايخ ليدخلواْ الجنة أو ليصلواْ إلى درجة بمجرد دعوى الصحبة . فإن الشيخ ليست في يده جنة ولا نار . ولا دنيا ولا آخرة . بل هُو عبد مملوك كسائر العبيد وإنما في يده الدّلالة[1] على الله والإرشاد إليه بالتربية[2] وَالهِمَّة . وإنما هو[3] بمنزلة الدليل للرفقة . والخفير[4] لها . حتى تصل. فمن عقد العُقدة مع الخفير[5] فإنما عقدها معه ليسير معه . فإن لم يسر وقعد في مكانه . فهو لاعب لا تنفعه الخفارة[6] شيئاً. وكذا المريد إنما يعرف الشيخ ليدُلّه في طريق الله ويحذره من الشيطان والنفس. وذلك في حال سلوكه . فمن عرف الشيخ ودخل في يده ثم لم يشتغل بالسلوك والعمل بما رسم له فهو لاعب[7] لا تنفعه تلك العقدة[8] (70) إلاّ أن يجعل الله للشيخ شفاعة[9] يوم القيامة فيه . أو يرحمه بمجرد محبته وملاقاته . والانتساب إليه . أما أن يبلغ في الدنيا منازل الصالحين التي يسلكون إليها . من غير سلوك ولا جذب فلا يكون. نعم . من صحب المشايخ[10] لمجرد رجاء رحمة الله بمحبتهم في الآخرة ورجاء شفاعتهم . فهذا مقصده صحيح والمرجو من فضل الله أن لا يخيب مقصده . « فَهُمْ القَوْمُ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ . » وقد قال ﷺ للرجل « أَنْتَ مَع مَنْ أَحْبَبْتَ » (71).

فالإيمان بالله ومحبة أهل الخير . والتشيُّع لهم خير كثير. وقد قال الإمام الجُنيد (72) « الإيمان بطريقتنا هذه ولاية (73) ولا سيما إن كان معه شيْ من

---

1 — ج « الولاية ». 2 — خم . « أو ». 3 — في الأصل « هي » الصواب من سائر النسخ.
4 — د . ك « الخبير » 5 — ك . د « الخبير ». 6 — خم « الخفرة ». 7 — خم « لعب »
8 — ج « العقيدة ». 9 — في الأصل « شفاعته » صوابه في سائر النسخ. 10 — ج « أصبح الشيخ »

---

(70) العقدة التي بين الشيخ والمريد هي أن الشيخ عليه التربية والإرشاد والحث على مجاهدة النفس وتطهيرها والمريد عليه الطاعة والامتثال والعمل

(71) جزء من حديث صحيح رواه الشيخان والترمذي. أنظر فتح الباري ج 461/10 وإرشاد الساري ج 103/6 و ج 103/9

(72) سبقت ترجمته في رسالة « جواب الكتاب » التعليق رقم 246 ص 190

(73) ينقل اليوسي كلام الجنيد من كتاب عوارف المعارف للسهر وردي ص 66

التشبه بالقوم في بعض الأحوال والأعمال الصالحة . والزي الصالح على طريق المحبة لهم ولطريقتهم دون قصد التلبيس والرياء والسمعة فهذا فضل من الله.

وقد ذكر الإمام السهروردي (74) رضي الله عنه المتشبه[1] فقال « المتشبه الحقيقي له إيمان بطريق القوم . وعمل بمقتضاه[2] . وسلوك واجتهاد . على ما ذكرناه[3] أنه صاحب مجاهدة[4] ومحاسبةٍ . ثم يصير متصوفاً . صاحب[5] مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة . فأما من لم يتطلع[6] إلى حال المتصوف والصوفي بالتشبه . ولا يقصد أوائل مقاصدهم . بل هُوَ عَلَى مُجَرد تشبه[7] ظَاهِرٍ من ظاهر : اللبسة والمشاركة في الزي والصورة دون السيرة والصفة . فليس بمتشبه بالصوفة . لأنه غير مُحَاكٍ لهم بالدخول في بداياتهم .[8] فإذن[9] هو متشبه بالمتشبهة . يُعْتَزَى[10] إلى قوم بمجرد لبسه . ومع ذلك هم /القوم لا يشقي (بهم). [11] جليسهم . وقد ورد : « من تشبه بقوم فهو منهم » انتهى الغرض منه. (75) غير أن من كان نيته وحاله ما ذكرنا . وإن كان يُرْجى له الخير . فليس من أهل الطريق ، فلا يناسبه إسم السّالك إذا لم يَسْلُك . ولا إسم المريد والفقير باصطلاح القوم ، وغاية الأمر أنه محب إذا كان له طرف من المحبة فإن حصل له مع ذلك الشبه فهو[12] متشبه . أو متشبه بمتشبه . وإلاّ فلا . ولعلكم

---

1 — ك. اسقاط « المتشبه ». 2 — ج اسقاط « بمقتضاه ». 3 — في الأصل « ذكرنا » صححت من خم . و . ك . د 4 — خم « صحب مجهده ». 5 — في الأصل زيادة « مشاهدة » لا توجد في بقية النسخ ولا في الكتاب الذي ينقل عنه اليوسي . 6 — في الأصل وبقية النسخ « يطلع » تصحيح من كتاب السهروردي . 7 — ج « التشبيه » ك. « تعيد ». 8 — ج. خم « بدايتهم ». 9 — في الأصل « فأبدا » التصحيح من ج. خم . ك 10 — في الأصل « يعترى » صوابه في بقية النسخ وكتاب السهروردي . 11 — زيادة من كتاب عوارف المعارف للسهروردي. 12 — في الأصل « فإنه » صوابه من . سائر النسخ.

---

(74) عبد القاهر بن عبد الله السهروردي 490هـ 563هـ فقيه شافعي واعظ من أئمة المتصوفين ولد بسهرورد وسكن بغداد وولي المدرسة النظامية وصحب الشيخ أحمد الغزالي فانقطع عن الناس توفي ببغداد له كتاب « عوارف المعارف » مطبوع . وآداب المريدين الخ. أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 174/4

(75) استشهاد منقول بأمانة من كتاب السهروردي عوارف المعارف ص 69 (نشر دار الكتاب العربي بيروت)

تسمعون ما ذكر من التشبه في الزيّ والصورة فتستسهلون أمره . وتظنون أنكم كلكم عليه وأفضل منه وهيهات لنا ولأمثالنا في زماننا الشبه الصوري . وكيف (بما)[1] وراءه. فإن المراد به أن ينتسب إليهم ويلبس لباسهم . وينقطع انقطاعهم غير أنه لم يسر في المجاهدة سيرتهم ولا تحلّى قلبه بكُلٍّ[2] ما تحلّت به قلوبهم . كما يُحكَى عن الشيخ أبي القاسم القشيري (76) أنه كان[3] إذا اجتمع إليه أرباب المرقعات (77) يقول : أما الهيئات فمعروفة وأما القلوب فمنكرة . وينشد قول المجنون :

أَمَّا الخِيَامُ فَإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ وَأَرَى نِسَاءَ الحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا

فهؤلاء منقطعون إلى جانب[4] الله . وما انقطعوا إليه إلاّ لمحبته . ومعرضون عن متعة[5] الدنيا وزيّها وأسبابها . وما ذلك إلاّ لهَوَانها عليهم في جنْبِ[6] ما يحبون . وهذه أحوال شريفة مضمونة إلى الزي[7] والصورة . فكيف بمن لم يحصل له شيئ من هذا . بل يلبس لباس الدنيا ويتمتع تمتعهم . ويسعى على الدنيا وأسبابها سعيهم . ويحرص عليها كحرصهم . فلا زي ولا صورة ولا معنى[8] .والله غفور رحيم. نعم . إن الله لا يظلم مثقال ذرة. فمن حصل له شيئ من التشبه[9] كإمساك السبحة في يده قصداً لذكر الله تعالى . ومحبّةً فيها وفي أهلها . ومجالسة أهل الخير وموالاتهم . ومنابذة[10] الشر وأهله[11] وغير ذلك من شمائل أهل الخير لا يضيعُ له عند الله. (فمن)[12] لم يُوَفَّق لفعل الخير كله لا يتركه كله.

---

1 — زيادة من خم . ك . د . 2 — ك اسقاط « بكل ». 3 — د . خم . جـ إسقاط « كان » 4 — خم . « جنب ». 5 — خم « معرفة » . 6 — ك « جانب ». 7 — في الأصل « في صورة » جوابه من سائر النسخ . 8 — د زيادة « ولا خيام ». 9 — خم « التشبيه ». 10 — منافرة في بقية النسخ . 11 — ك. اسقاط « أهله ». زيادة من سائر النسخ.

---

(76) عبد الكريم بن هوازن النيسابوري القشيري أبو القاسم 376هـ 465هـ. شيخ خراسان في عصره زهداً وعلما بالدين كانت اقامته بنيسابور وتوفي فيها. من كتبه الرسالة القشيرية. ط. « والتفسير الكبير » ولطائف الاشارات. أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 180/4

(77) المرقعة : أو خرقة الصوفية ولبسها علامة الزهد في الدنيا والسير في طريق القوم

المكيدة الثانية أن يكون الإنسان يخطر له صحبة المشايخ والانحياز إلى شمل[1] أهل الدين فيقول له الشيطان مالك ولهذا؟ إنك لستَ من أهل هذا الشأن أما ترى قلبك مشحوناً بحب الدنيا. وأنت متورط في أسبابها فمتى تستطيع صحبتهم؟ وهذه وسوسة شيطانية فإن خاطر الخير من الله وهو فضل منه وإحسان. وكما تفضل به فهو قادر أن يتفضل بإتمامه فإنه إذا قال للشيء كن كان. فحق العبد أن يبادر إلى إنفاذ خاطر الخير ويشكر الله عليه. وقد قال تعالى « لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ » (78). ولهذا كان أهل الطريق رضي الله عنهم يقبلون كل من جاءهم اتّباعاً لسنة النبي ﷺ. فإنه كان يقبل كل من/أتاه ص 10 يدخل في الإسلام. ومنهم المخلص وغيره. ولذلك يقال في الصدر الأول أسلم فلان فحسن إسلامه وربما تألفهم ﷺ بالدنيا ليتمكن الإيمان في قلوبهم. وكذلك أئمة الطريق من أهل الكمال يترفقون[2] ويتألفون وكما قال ﷺ « يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا ولاَ تُنَفِّرُوا » (79). قال الإمام السهروردي رحمه الله : « فالمتشبه تعرض لشيء من أَمْرِ القوم. وَيُوجِبُ لَهُ ذلك القُرْب منهم. والقرب منهم مقدمة كل خير. سمعت شيخنا يقول جاء بعض أبناء الدنيا إلى الشيخ أحمد الغزالي (80) ونحن بأصبهان يريد منه الخرقة. فقال له الشيخ اذهب إلى فلان يشير إلي (حتى)[3] يكلمك في معنى الخرقة، ثم احْضُر حتى أُلْبِسَكَ الخرقة. قال فجاء إِلَيَّ فذكرت له حقوق الخرقة وما يجب عليه من رعاية حقها وآداب من يلبسها واستعظم الرجل حقوق الخرقة وَجَبُنَ أَنْ يَلْبَسَهَا[4]. فَأُخْبِر الشيخ بما تجدد عند الطالب من قولي له. فاستحضرني وعاتبني على قولي له ذلك وقال

---

1 — د. « شمائل ». 2 — في الأصل « يتوفقون » صححت من د. جـ. « يتربصون ». 3 — زيادة في بقية النسخ وفي كتاب « العوارف ». 4 — إسقاط الجملة « واستعظم — يلبسها. »

---

(78) من الآية 9 سورة إبراهيم. مكية

(79) حديث أخرجه البخاري عن أنس في كتاب العلم. وفي كتاب الأدب من حديث أنس أيضا بلفظ « وسكنوا ولا تنفروا ». أنظر إرشاد الساري ج 169/1 ج 75/9 — 76

(80) أحمد مجد الدين الطوسي الغزالي أبو الفتوح 520 هـ أخو الامام محمد الغزالي واعظ متصوف درس بالنظامية نيابة عن أخيه لما ترك التدريس أنظر شذرات الذهب 60/4 طبقات السبكي 54/4 وابن خلكان 28/1

بعثته إليك حتى تكلمه بما يزيده رغبة في الخير (81) وكلمته بما فَتَّرْت عزيمته قال : ثم الذي ذكرته كله صحيح ، وهو الذي يجب من حقوق الخرقة[1] ، ولكن إذَا ألزمنا المبتدئ بذلك نفر وعجز عن القيام به ، فنحن نُلْبِسُهُ الخرقة حتى يتشبه بالقوم ويتزيَّى بزيهم ، فيقربه ذلك من مجالسهم[2] ومحافلهم ، وببركة مخالطته معهم ونظره إلى أحوال القوم وسيرهم ، يجب[3] أن يسلك مسالكهم ويصل بذلك إلى شيْ من أحوالهم. قال ويوافق هذا القول عن الشيخ الغزالي ما أخبرنا شيخنا (رحمه الله قال أخبرنا)[4] عصام الدين عمر بن أحمد الصفار ، حدثنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف ، حدثنا الشيخ عبد الرحمان السلمي سمعت الحسين بن يحيي يقول سمعت[5] جعفراً يقول سمعت أبا القاسم الجنيد يقول : إذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم ، وابْدأه بالرفق ، فإن العلم يُوحِشُه ، والرفق يؤنسه قال : وَبِرِفْقِ الصُّوفِيَّةِ بِالمُتَشَبِهِين بهم ينتفع المبتدئ الطالب . وكلٌّ من كان منهم أكمل حالاً ، وأوفر علماً كان أكثر رفقاً بالمُبْتَدِئِ الطَّالِبِ » (82) انتهى.

فعليكم ما استطعتم بالانحياز إلى جانب[6] الله وأهله وعليكم بالتحبب إليهم واستجلاب قلوبهم ومحبتهم[7] بالمحبة والموالاة والخدمة بالنفس والمال ، فإن الارتباط[8] إذا وقع بين قلب المريد وقلب الشيخ كان سبباً للفيض الرباني ، ولا تَحْسَبُوا أن قلب الشيخ يكُون بيده يرده إليكم إذا شاء ، بل هو بيد الله ، وسبب رجوعه إليكم[9] في عادة الله الاستحسان[10] ، فمتى وجد ما يستحسن رجع إليه ، وإلاَّ نَفَر قلب الشيخ . ومحبته وعنايته هو غنيمة المريد ، فكل شيْ يُسْتَجْلَبُ به ذلك[11] فليفعله ، وإن لم تظهر له فائدة (وكل شيْ ينفر ويضجر

1 — ك. « الخير » 2 — ج. « مجالستهم ». 3 — ج. « يجلب ». 4 — زيادة من كتاب « العوارف ». 5 — اسقاط « الحسن بن يحيا يقول سمعت ». 6 — د. ك. ج. « جناب ». 7 — خم « وصحبتهم ». 8 — خم « الأريب ». 9 — خم « إليهم ». 10 — ك. إسقاط « الاستحسان ». 11 — ك. إسقاط « به ذلك ».

(81) في كتاب « عوارف المعارف » بما يزيد رغبته في الحرقة.

(82) استشهاد يبدأ من الصفحة السابقة من كتاب السهروردي عوارف المعارف ص 68 — 69 طبعة دار الكتاب العربي.

فلا يقربه ولو توهم فيه فائدة)[1] ومثال ذلك أن يلح عليه أن يدعو له . وفي أن يعتني به . وينظر في حاله ويشق عليه ويثقل . ولا سيما إن لم تكن حالته تقتضي ذلك . فلا خير في ذلك وإن دعا له . وقد يخدم ويتأدب ولا يزال كذلك حتى يدخل قلب الشيخ برمته . فذلك عنوان ربحه وإن لم يتكلم . ولا قال ولا قيل له . فاعرفوا هذا القياس واجْرُوا عليه. فيمن تَلقَوْنَ من مشايخ الدين أنتم ومن يأتي بعدكم والله الموفق.

وعليكم بالتآلف[2] على الخير . والتعاون على البر والتقوى . وحسن الخلق . ففي وصية النبي ﷺ « اتَّقِ اللهَ حَيْثُ كُنْتَ وَاتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا . وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ (83) وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ[3] وَالتَّحَاسُدَ ». وقد قال مشايخ الطريقة ما وصل الواصلون[4] إلاَّ بسلامة الصدور . وسخاوة النفوس . وعليكم بمعاشرة ومجالسة من تنتفعون به في دينكم . مع السلامة من الإثم كالوقيعة[5] في الناس مثلا وهو أعز من الكبريت الأحمر (84) وإلاَّ فالفرار الفرار.

وفي الحديث : « الجليسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الوَحْدَةِ[6] وَالوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السوءِ » (85). وعليكم باحترام النسبة ومحبة المنتسبين . واعلموا أن المحبة في أهل[7] النسبة قسمان محبة تسليم ومحبة اقتداء . أمّا **الأولى** فهي أن كلّ من أظهر الانتساب إلى الله والانحياز إلى الدّين . أو ظهر عليه ما يُوهم أنه من أهل الخصوصية[8] . كبعض المجانين فنحن نحبه من جهة النسبة والرائحة . ونُسلّم له حاله . وَنَكِلُ أَمْرَهُ إِلَى الله تعالى ما لم نَرَ منكراً بيِّناً فننكر وننصح بشرط ذلك . مع إضمار الاحترام في النفوس لإشْكالِ هذا الأمر. وأما **الثانية** :

---

1 — زيادة في سائر النسخ إسقاط في الأصل . 2 — د « التلف ». 3 — خم إسقاط « التقاطع ». 4 — في الأصل « الواصل » التصحيح من بقية النسخ. 5 — خم . «كالواقع ». 6 — في الأصل « الموحدة » صوابه في سائر النسخ. 7 — خم « أصل ». 8 — خم . إسقاط « أهل الخصوصية ».

---

(83) حديث أخرجه الترمذي من رواية ابن أبي عمران عن أبي ذر ومعاذ بن جبل وقال حسن. أنظر شرح الأربعين النووية الحديث الثامن عشر.

(84) يضرب للشيئ النادر الوجود. أنظر الميداني ج 505/1

(85) حديث أخرجه الحاكم في المناقب والبيهي . من حديث ابن أبي ذر بزيادة : « واملاء الخير خير من السكوت . والسكوت خير من املاء الشر » أنظر فيض القدير ج 372/6

فكلنا لا نقلد أمر ديننا ولا نتبع إلا من عرفناه حق المعرفة . وإنه على الصراط المستقيم كما[1] تقدم . فَتَنبّهوا لهذا أيضاً . فإن الناس يغلطون فيه . فتارة يتبعون كل ناعِقٍ بغير بصيرة . وتارة يَقْدَحُونَ فِي عِبَادِ[2] الله بمجرد الفضول . وقد يرون من يُقْتَدى به يسلم لأهل النسبة ولا ينكر عليهم . فيظنون أنه راض لحالتهم . فيقتدون بهم . أو يعترضون عليه لأنه رضى بهم . وذلك من جهلهم بهذه الحقائق . وعدم تمييزهم بين مناط التسليم ومناط الرضى/فإنما[3] التسليم إنما هو من عدم القدح . وذلك مطلوب منّا حيث لم يظهر المنكرُ . فإنّا لم نُؤمَرْ أن نُنَقِّب على قلوب الناس . فمن تبع عورات الناس تبع الله عورته حتى يفضحه . ثم لا يكون ذلك منا تزكيتهم ولا رضىً بحالهم . ولا موجباً[4] للاقتداء بهم . وإنما هو الستر ؛ ومن ستر عورة أخيه ستر الله عورته . وهذا ما لم يظهر المنكر والابتداع . ويتداعى الفساد . ولا سيما في الدّاعية الذي يَتبعه الناس . فلا بد من الإنكار بنية صالحة . شفقة على الدين ونصحاً للمسلمين . ولكن إنما يكون الإنكار من العلماء أهل الظاهر في الظاهر . وأهل الباطن في الباطن . أما العامي فماله ولهذا ؟ حسبه الاشتغال بنفسه.

ص 11

ثم الابتداع يظهر في الأقوال والأفعال . وأهل العلم يعرفون ما ينكر منه وما لا يُنْكَر وقد[5] يَخْفَى فيستدل عليه بالعلامات . وقد ذكر أئمتنا من ذلك خمس علامات : **الأولى** : بغض العلم **الثانية** بغض أهله **الثالثة** عدم التحفظ على الصلوات الخمس في الجماعة . **الرابعة** : مخالطة النساء **الخامسة** : ادِّعاء[6] الكرامات بغير الكرامات[7] وبغير استقامة نية.

وكل من رأيتموه لا يحب العلم ولا يطلبه . ولا يسأل عن دينه . ولا يحب العلماء ولا يحترمهم[8] فاهربوا منه . فإن أقواماً ممن أصابهم الخذلان . لم يُحَلَّوْا بطائل من الحقيقة في قلوبهم فنفرهم الله عن العلم أيضاً لئلا يُحَلَّوْا بظاهر من

1 — ك. «لما». 2 — في الأصل «عبادة» صوابه في ك. خم. د. 3 — ك. «وإن» خم. «فإن». 4 — ج. خم. «موجب». 5 — خم. إسقاط «وقد». 6 — خم «الدعاء» 7 — ج. خم اسقاط «بغير الكرامات» 8 — خم «يحترماهم».

الشريعة نعوذ بالله من الحرمان. فتارة يُوهِمُهُم الشيطان أنهم أصحاب حقيقة (86) وأنها كافية عن الشريعة وأنها تُنَافيها وهذا كفر وزندقة، ممّن اعتقده عياذاً بالله، إذْ لا شريعة بدون حقيقة ولا حقيقة بدون شريعة. وقد يمنعهم عن التعلم الكِبْر أو غير ذلك من الحظوظ. وأن أقواماً يتصدرون لِلْقُدْوَةِ بغير علمٍ ولا هدى، فيهربون عن العلم ويمنعون أصحابهم من التعلم، إما جرياً على ما مر من الكفر، وإما كبراً بسبب الرياسة. ولذلك قيل: تفقهوا[1] قبل أن تسوّدُوا على أحد التفسيرين. ويمنعون أصحابهم لئلا يكونوا قد اختلفوا إلى غيرهم. وإمَّا خَوْفَ أن يفتضحوا بالعلم وتبدو جهالتهم وظلالهم[2] فَيُرْفَضُوا. ومثلهم في ذلك مثل من قعد في بيت مظلم وهو عُرْيَانٌ، وحوله أصحابُه وهم يظنُّونَه لاَبِساً، وإنَّمَا تَسَتَّرَ بالظلاَمِ. فمتى همُّوا بطلب مصباح منعهم وأوهمهم أن ضوءه يضر أبصارهم، أو يشتت أفكارهم، وهو إنما خاف الافتضاح.

وكذلك هؤلاء يُوهمون أصحابهم أن العلم الظاهر حجاب. ولم يدروا أنه لا يصح شيئ من الباطن إلا بعد تصحيح الظاهر بالعلم. فالطريق كله مبني على العلم، ثم العمل، ثم الفتوحات والمواهب من الله تعالى. فمن لا علم له لا عمل له. ومن لا عمل له لا موهبة له قال النبي ﷺ «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، أَوْرَثَهُ اللهُ عِلْمَ مَالَمْ يَعْلَمْ» (87) وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله: شيوخ هذه الطريقة مُجْمِعُونَ على تعظيم الشريعة، متَّصفون بسلوك طريق الرياضة، مقيمون على متابعة السنة، غير مُخلِّين بشيئ من آداب الدّيانة[3]. متفقون على أن كل من خلا من المعاملات والمجاهدات، لم يَبْنِ أمره على أساس

---

1 — ك. «تنبهوا». 2 — خم. ك. «ضلالتهم». 3 — خم. «الديانية».

---

(86) الحقيقة عند الصوفية هي ثمرة الطريق. لأن الشريعة تأتي لاصلاح الجوارح الظاهرة وهي تدفع إلى اصلاح السرائر الباطنة وهذه هي الطريقة. والطريقة تؤدى إلى الحقيقة التي هي كشف الحجاب: فالشريعة أن تعبده. والطريقة أن تقصده. والحقيقة أن تشهده.

(87) حديث رواه أبو النعيم في الحلية من حديث أنس. أنظر المغني بحاشية الاحياء ج 71/1 ج 13/3 وفيه رواية «ورّثه» بدل «أورثه».

الورع والتقوى ـ كان مفترياً على الله سبحانه فيما يدَّعيه ـ مفتوناً ـ هلك نفسه وأهلك مَن اغتر به ممَّن ركن إلى أباطيله . وقال أبو يزيد البسطامي (88) رضي الله عنه : لو نظرتم إلى الرجل أُعْطي من الكرامات حتى يرتقي إلى الهواء[1] ـ فلا تغتروا به حتى تنظْروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ـ وحفظ الحدود ـ وآداب الشريعة . وقال النووي (89) رضي الله عنه من رأيته يدعى مع الله حالة تُخرجه عن حد العلم الشرعي ـ فلا تقربن منه . وسئل أبو علي الرُوذْبَاري[2] عمن يسمع الملاهي ويقول هي لي حلال لأني[3] وصلت إلى درجة لاَ يُؤَثّر فِيَّ اختلاف الأحوال ـ فقال : نعم لقد وصل ولكن إلى سقر ـ وقيل للنَّصر بَادِي : إنَّ بعض الناس يجالس النسوان ـ ويقول أنا معصوم في رُؤْيتهن فقال : ما دامت الأشباح (90) باقية ـ فالأمر والنهي باق ـ والتحليل والتحريم مخاطب[4] به . ولن يجترئَ على الشُّبهَات إلاّ من هو مغرض[5] بالمحرمات . وقال أبو حفص الحداد : من لَمْ يَزِنْ أحواله وأفعاله في كل وقت بالكتاب والسنة ـ ولم يتَّهم خواطره ـ فلا تَعْدُّوه في ديوان الرجال. انتهى

فانتبهوا لما قاله أئمة الدين ـ واحذروا صحبة هؤلاء المُشار إليهم من الشاطحين (91) المترخصين ـ المتلاعبين الذين لا يرجعون إلى أصل صحيح ـ ولا ظاهر مستقيم ـ يرفضون المعاملات الشرعية ـ ويدَّعون منازل الخصوصية . فصحبة هؤلاء بل وملاقاتهم سمّ قاتل ـ فإن الطباع تسرق الطباع . ولاَ يَغْرنكم

---

1 ـ جـ . « في الهواء » 2 ـ جـ . « الرذباري » خم. « الردبادي ». 3 ـ خم . ك. زيادة « قد »
4 ـ خم . « يخاطب ». 5 ـ خم « معترض ».

---

(88) سبقت ترجمته في هذه الرسالة أنظر ص 332 رقم 36
(89) يحي بن شرف النووي أبو زكريا محي الدين 631 ـ 676هـ علامة بالفقه والحديث مولده ووفاته في « نوا » من قرى حوران بسورية تعلم بدمشق له مصنفات كثيرة. أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 183/9
(90) المقصود بالأشباح هنا الأجسام المادية
(91) الشطح في اللغة الحركة. وصوفيا حركة أسرار الواجدين إذا قوي وجْدهم. وللشطح ظاهر مستشنع وباطن مستقيم. والمقصود هنا المستشنع

ما يظهر منهم[1] من شبه الكرامات. كأخبار الغيب[2] أو صدور كلمة يوافقها القدر فتصدق. ونحو ذلك. فإن ذلك يقع من الصادق ومن الكاذب فلا دلالة فيه. على أن ذلك لو كان كرامة لرجع إلى صاحبه ولم تنتفعوا به. وإنما تنتفعون بحالة مرضية تقتدون بها. وعلم صحيح تعملون به. ومن لم يكن له ذلك ففارقوه. وإلاَّ فإنكم متلاعبون مثله والله المستعان.

وعليكم بالتسليم والرضى بحكم الله تعالى في كل شيْ. والتأدب مع الله في مملكته. والفهم عنه في حكمته. فمن رفعه الله منكم أو من غيركم بعلم. أو حال. أو أظهره للناس. فسلِّمْوا له ولا تحسدوه. ولا تستبعدوا فضل (الله)[3] عليه إن سبقتموه إلى الطريق واجتهدتم. أو لقيتم الناس أكثر منه. فإن فضل الله لا يحد بزمان ولا يتقيد بشخص. فإن ظهر مُوجب الإنكار فقد ذكرناه قبل. وكذا من رفعه الله في الدنيا بمُلك أو وزارة. أو ولاية أو حِسبَة. أو شرطة أو قضاء. أو مال أو جاه. أو نحو ذلك. فلا تُنازعوه ولا تبغضوه لذلك. فإن الله تعالى هو المتصرف في ملكه وفي عباده. يرفع من يشاء ويذل من يشاء. فمن نازع في شيْ من ذلك فقد نازع الله تعالى. ومن نازع الله تعالى يوشك أن يأخذه.

وهاهنا مكيدة أيضا وهي أن الفقير المتزهد. قد يبغض الملوك وأبناء الدنيا ويمقتهم ويطلق فيهم لسانه بالذَّم. توهماً منه أنه أبغضهم لله. على ما هُم عليه من سوء الحال. أو أنه أبغض الدنيا. فأبغض كل من يتلوث بها وهو كذاب. وإنما أبغضهم لاقتناصهم الدنيا عنه واختصاصهم بها دونه. يحاربهم بقلبه لذهابهم بمحبوبته. ودليل ذلك منه أنه متى أكرمه الواحد منهم وأعطاه الدنيا أحبه[4] وأثْنَى عليه والتمس له المعاذير[5] في سوآته. ولم يقتصر على مجرد المكافأة بالدُّعاء. وهذا أمر مجبولة عليه النفوس ولذلك استعاذ منه ﷺ حيثْ قال :

---

1 — د. «لهم». 2 — ك. جـ. «بمغيب» خم. «بغيب» 3 — زيادة في جميع النسخ.
4 — خم. إسقاط «أحبه». 5 — خم. «المعاذر».

« وَلاَ تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ مِنَّةً عَلَيَّ فَيُحِبَّهُ قَلْبِي » (92) والمحققون (93) من أهل الطريق كانوا يدعون الخلق وما دفعوا إليه ، لأن مراد الحق ما هم عليه ، ويشتغلون بأنفسهم عملا بقوله ﷺ : مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ » (94) وقوله ﷺ « إِذَا رَأَيْتَ شُحّاً مُطَاعاً ، وَهَوىً مُتَّبَعاً وَإِعْجَاب كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِكَ » (95). وحكم النصح والإنكار عند وجود شرطه معلوم . فعليكم بمحبة أهل التحقيق ، والانحياز إليهم ما استطعتم . وإياكم أن تَعُدُّوا أنفسكم منهم ، فمن عدّ نفسه من خاصة أولياء الله ، وهو لم يشتغل بعملهم[1] وَلاَ تَحَلَّى بِحِلْيَتِهِمْ فقد تعرَّض لِلْمَقْتِ.

وها أنا أشهد الله وأشهد ملائكته والمومنين من عباده أني لا أَجْعَلُ لنفسي مدخلا في هذه الطريقة الفاضلة المشار إليها في هذه الوصية ، اللهم إلاّ بمحبتها والإيمان بها . وإنما أنا من عوام المسلمين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ ، فإن تفضل الله بإلحاقي بهم بمحبتي فيهم فضلاً منه وإحساناً ، فكما قال ﷺ « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » (96) فمن أولى منه بالفضل والكرم ، وإلا فإن توفانا الله على/ملة الإسلام فذلك خير كثير لا نقدر قدره ولا نحصي شكره. ص12

وعليكم بتصحيح القصد وإخلاص النية فقد قال ﷺ : «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهِجْرَتُهُ

1 — ج « بعلمهم ».

(92) الحديث أخرجه ابن مردويه في التفسير من رواية كثير بن عطية رواه الديلمي في مسنده . أنظر المغني بذيل الإحياء ج 149/2

(93) المحققون أي أهل التحقيق الذين بلغوا درجة العارفين

(94) حديث أخرجه الترمذي وابن ماجة من رواية أبي هريرة . أنظر المغني بحاشية الاحياء ج 369/3

(95) حديث أخرجه أبو داود والترمذي وحسّنه ابن ماجة . انظر المغني بحاشية الأحياء ج 377/369/3

(96) سبق تخريج هذا الحديث في هذه الرسالة

إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » (97) فكذا الفقير إن أراد بتوبته وصحبته الصالحين . اللهَ والدَّارَ الآخرة . فهجرته إلى الله ورسوله وهي مقبولة . وإن أراد حظّاً آخر من الدنيا . كتربية الجاه عند الناس . أو اتخاذ زاوية . أو استجلاب هدية . أو تَعَزُّزٍ بالطريق . أو ظهور بكرامة . أو قهر عدو ببرهان . أو كفاية معاش . أو نجاة من مِحنِ الدنيا أو تكاليفها . أو نحو ذلك . فقد ضاع سعيه . فإن هذه كلها شهوات[1] تعوق عن المراد وتنافي الإخلاص الذي هو المطلوب من العباد[2] قال تعالى : « وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدينَ حُنَفَاءَ »[3] (98) وهو معنى لا إله إلا الله . أي لا معبود بالحق إلاّ الله . فكل من توجه إلى غيره . فقد عبدَه وَصيَّرهُ إلاَهاً من دون الله . قال تعالى : « أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلاَهَهُ هَوَاهُ » (99) فسمي الهوى إلاَهاً حيث كان متبوعاً لأنه في معنى العبادة . والعبادة خاصية الْإِلاَهِ[4] .

وكذا كل من تَشوَّف إلى حال . أو مقام . ولذا قال أئمة الطريق : لا يصل حتى تنقطع عنه شهوة الوصول . أي انقطاع أدب[5] لا انقطاع مَلَل . ويتجه لنا فيه كلامٌ ليس هذا محل بيانه. فالمطلوب للعبد أن يعمل لله خالصاً . إِقَامَةً لِرسم العبودية . وقياماً بحق الربوبية . وعسي أن يرفعه الله عن ذلك إلى أن يعمل بالله فَانِيّاً عن نفسه واحتيالها[6] . وهو الإخلاص الكامل . رزقنا الله وإياكم الحظ الوافر بمنه وكرمه.

وعليكم بالمحافظة على سنة النبي ﷺ في كل قول وفعل . واتباع شمائله وسيرته . فإنها سلسلة[7] النجاة ومنهاج الوصول . قال الله تعالى : « وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُواْ » (100) وقال إمام الطريقة الشيخ ابو

---

1 — خم « شهوة ». 2 — جـ. « العبد ». 3 — جـ . خم . ك لم تثبت لفظ « حنفاء » 4 — جـ لم تثبت كلمة « الالاه ». 5 — خم . « الأدب ». 6 — جـ. « واختيالها » 7 — د « سفينة » بدل « سلسلة ».

---

(97) حديث رواه الشيخان عن عمر بن الخطاب كما أورده أبو داود والترمذي. أنظر إرشاد الساري ج 150/1 شرح النووي على صحيح مسلم بهامش الإرشاد ج 111/8

(98) من الآية 5 سورة البينة. مدنية.

(99) من الآية 22 سورة الجاثية. مكية

(100) من الآية 7 من سورة الحشر. مدنية.

القاسم الجنيد رضي الله عنه : الطرق كلها مسدودة عن الخلْق . إلاّ مِنْ اقْتِفَاءِ أَثَرِهِ ﷺ :[1] باب الله الأعظم والوسيلة العظمى في الدنيا والآخرة . فلا يُنال من الله خير إلاًّ على يده . ولا يوصل إليه (إلاّ)[2] من بابه كما قيل :

وَأَنْتَ بَابُ اللهِ أَيُّ امْرِئٍ وَافَاهُ مِنْ غَيْرِكَ لاَ يَدْخُلِ

جعلنا الله وإياكم تحت لوائه . وحشرنا في زمرته آمين وقد رأيت أن أختم هذه الوصية بما يزيد رغبة في طاعة الله . ونفرة من معصيته بما ذكره بعض أئمة الدين رضي الله عنهم[3] قال : تأملت فيما يعطيه الله تعالى عبده إذا أَطَاعَهْ ولزم خدمته . فوجدته على الجملة أربعين كرامة : عشرين منها في دار[4] الدنيا وعشرين في العقبي . أما التي في الدنيا :

فالأولى : أن يذكره الله . وناهيك بعبد يذكره رب العالمين **الثانية** أن يشكره ويعظمه ولو شكرك مخلوق لشَرُفت فكيف بالرب العظيم **والثالثة** : أن يحبه . ولو أحبك رئيس بلدك[5] لعَظُمْتَ بذلك وانتفعت فكيف بمحبة رب العالمين **والرابعة** : أن يكون لك وكيلا **الخامسة** أن يكون برزقك كفيلا يوصله لك[6] بلا تعب . **السادسة** أن يكون لك نصيراً **السابعة** : أن يكون لك أنيساً. **الثامنة** : عِزُّ النفس فلا يَلْحقُك ذُلُّ خدمة الدنيا وأهلها. **التاسعة** : رفع الهمة[7] عن أقذار الدنيا وزخرفها. **العاشرة** : أن لا تزال طيب النفس غنيًّا. **الحادية عشرة** : أَنْ يُنَوِّرَ الله قلبك فتهتدي إلى الأسرار والحِكَم. **الثانية عشرة** : أن يشرح الله صدرك فلا يضيق بمحن الدنيا **الثالثة عشرة** : أَن يجْعَلَ اللهُ في قلوب الخلائق مهابتك فتخدمك الأَخيَار والاشرار ويرتاع[8] منك كل جبار **الرابعة عشرة** : أن يجعل محبَّتَك في قلوب العباد **الخامسة عشرة** البركة العامة في جميع أحوالك حتى يتبرك بتراب لمسته وبمكان جلست فيه **السادسة عشرة** : تسخير الأرض في بحر وبر . حتى تمشى على الماء أو الهواء أو تقطع في لحظة

---

1 — في الأصل زيادة « وهو قوله ﷺ » لا توجد في النسخ الأخرى ولا يتطلبها السياق. 2 — زيادة في سائر النسخ اسقاط في الأصل. 3 — في الأصل « عنه » صوابه في بقية النسخ. 4 — ك. خم. جـ إسقاط « دار ». 5 — خم « بلادك ». 6 — في الأصل « يوصلك له » صوابه في سائر النسخ. 7 — جـ « المهمة ». 8 — ك « ويرتع ».

الأرض **السابعة عشرة** : تسخير الحيوان المؤذي من الوحوش[1] والهوام حتى يبصْبص (لك)[2] الأسد . **الثامنة عشرة** : ملك مفاتيح الأرض بحيث لو ضربت بيدك خرج لك كنز إن أردت ، وعين ماء تنبع ومائدة تحضر إن أردت . **التاسعة عشرة** : الوجاهة[3] على الله فيتوسل الخلق بك إليه **العشرون** : إجابة الدعوة فلا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ، ولو أقسم على الله لأبره (101) حتى إن منهم من لو أشار إلى جبل لزال من غير نُطق ، ومتى خطر شيءٌ بباله حضر.

وأما التي في العقبى **الحادية والعشرون** : يهون عليه سكرات[4] الموت وهي التي وَجلت القلوب منها. قال تعالى : « اللَّذينَ تَتَوَفَّاهُمْ المَلاَئِكَةُ طَيِّبينَ » (102). **الثانية والعشرون** : التثبت[5] على المعرفة والإيمان ومنها خاف المتقون ، قال الله تعالى : «يُثَبِّتُ اللهُ الذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ » (103). **الثالثة والعشرون** : البشرى بالروح والريحان قال تعالى : « أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » (104) **الرابعة والعشرون** : الخلود في الجنان . **الخامسة والعشرون** التحية لروحه في السرّ من ملائكة السماء بالإكرام ولبدنه[6] في العلانية بتعظيم جنازته والمزاحمة على الصلاة عليه. **السادسة والعشرون** : (الأمن من فتن القبر)[7] وتلقين الحجة

---

1 — جـ . ك . « الوحش ». 2 — زيادة في سائر النسخ . 3 — جـ « الوجاهية ». 4 — خم « سكرة ». 5 — خم « التثبت ». 6 — في الأصل « وبين » صوابه من جـ . ك . خم « وبيديه ».
7 — محو في الأصل أثبت ما في سائر النسخ.

---

(101) إشارة إلى حديث نبوي طويل من رواية أنس يقول النبي ﷺ في آخره : « إنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ » رواه البخاري والخمسة إلا الترمذي أنظر نيل الأوطار للشوكاني ج 7

(102) تمام الآية : « الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » سورة النحل الآية 32. مكية.

(103) « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » سورة ابراهيم الآية 29. مكية.

(104) الآية : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون » سورة فصلت الآية 29. مكية.

السابعة والعشرون توسيع القبر وتنويره فيكون روضة من رياض الجنة إلى يوم الحشر. **الثامنة والعشرون** : إيناس روحه وإكرامها فيكون في أجواف طير خُضْرٍ مع الصالحين فرحين مستبشرين. **التاسعة والعشرون** : الحشر في العز والكرامة بالحلل والتاج والبُراق. **الثلاثون** : بياض الوجه ونوره قال تعالى : «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ» (105) **الحادية والثلاثون** : الأمن من الأهوال قال تعالى : «أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ القِيَامَةِ» (106)

الثانية والثلاثون : إعطاء الكتاب باليمين وقد لا يعطاه أصلا ، **الثالثة والثلاثون** : تيسير الحساب وقَدْ لا يحاسب أصلا **الرابعة والثلاثون** : تثقيل الميزان وقد لا يوزن أصلا **الخامسة والثلاثون** وُرُود الحوض فيشرب منه شربة لا يظمأ بعدها **السادسة والثلاثون** : الشفاعة في عرصات القيامة نحواً من شفاعة الأنبياء. **السابعة والثلاثون** ملك الأبد في الجنة[1] **التاسعة والثلاثون** : الرضوان الأكبر. **الأربعون** : لقاء رب العالمين والنظر إلى وجهه الكريم الذي لا يعادِلُه نعيم. وما ذكر ﷺ «بعضٌ»[2] مما يكرم الله به أولياءه ، وإلا فلا تنحصر الكرامات ولا يُحْصى ما يتحفهم به من الفتوح والتجليات والملاطفات ، وأنواع القرب والحظوات التي لا تنقطع كما قالوا في عمر الآخرة الأبدي فكيف بعمر الدنيا القصير[3]. وكذلك أنواع النعيم في دار الخلد[4] وقد قال الله تعالى فيما يرويه نبيه ﷺ «أعددت[5] لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر» (107) وقال في كتابه العزيز «فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ

---

1 — في الأصل وفي كل النسخ الأخرى اسقاط رقم الثامنة والثلاثون. 2 — زيادة في جميع النسخ اسقاط في الأصل. 3 — خم . جـ . ك «القاصر». 4 — ك «الخلود». 5 — خم . ك «أعدت».

---

(105) الآيتان 38 — 39 سورة عبس. مكية

(106) تمام الآية «إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يخْفَوْنَ عَلَيْنَا. أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ القِيَامَةِ. اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير» الآية 39 سورة فصلت. مكية.

(107) قال عليه السلام حاكيا عن الله تعالى : «أعددت لعبادي...» الحديث. رواه الشيخان وأحمد والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة والطبراني عن أنس. وابن جرير عن أبي سعيد وعن قتادة مرسلا. المغني بهامش الاحياء ج 311/4

لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »(108)

جعلنا الله وإياكم من حزبه الصالحين[1] وخاصة أوليائه المتقين الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون آمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتَم النبيئين وإمام المرسلين وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

« نجزت النصيحة الغياثية بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وجميع الرسل ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين على يد أحوج عبيد ربه لمغفرته وعفوه محمد فال بن محمد بن النجار التنْدغتي ثاني عشر ذي الحجة بحضرة مراكش نفعنا الله برجالها عام 1222هـ.

استغفر الله لي ولوالدي ولجميع المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات الأحياء منهم والأموات وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه »[2]

1 — د « المفلحين ». 2 — تعليق من قول الناسخ انفردت به النسخة المعتمدة التي تحمل رمز « م ».

(108) الآية 17 سورة السجدة. مكية.

الرسالة الوصية

يُحذرُ اليوسي في هذه الرسالة أبناءه من الانزلاق إلى بعض الأفعال التي يقوم بها بعض أبناء المتصوفة والتي تخرجهم عن « الطريق » الحق ، وتحط من كرامتهم ، ثم يعرفهم « بالسلوك » حسب الكتاب والسنة.

نسخ الرسالة :

لهذه الرسالة نسخ مخطوطة ثلاث

1 — مخطوطة مكتبة الزاوية الناصرية بتمكَروت عليها طابعها وهي بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 950ق وهي مجموع ، الرسالة فيه من ص 248 — 262 ورمزها « ق »

2 — مخطوطة مكتبة الكَلاوي وهي بالخزانة العامة تحت رقم جـ 612 الرسالة فيها من ورقة 57 إلى ورقة 64. ورمزها « جـ »

3 — مخطوطة مكتبة الأستاذ حماد الصقلي الرسالة في مجموع من ص 58 — 86 ورمزها « ص ».

وصف المخطوطات :

تتميز المخطوطتان « ق » و « ص » بجودتهما وسلامتهما من الأخطاء وأمانتها في نقل النص.

وتنفرد « ق » ببعض الزيادات. وقد اعتمدت على هذه المخطوطة للاعتبارات التالية :

1 — لأنها نسخة الزاوية الناصرية ومعروف حرص هذه الزاوية على جمع تراث اليوسي في حياته وبعد موته ـ من اليوسي نفسه ومن أبنائه بعده ـ فهي أحرى أن تتوفر على أوثق النسخ لهذه الوصية

2 — يظهر أنها منقولة من النسخة الأصلية التي بخط اليوسي ـ يقول الناسخ في آخر الوصية : « ... من خط شيخنا القدوة الإمام ـ نبراس الهدى ـ أقر الله طرفه برضاه في دار السلام ـ وآوانا وإياه بجوار خير الأنام ـ في دار الهنا والإكرام. انتهت بحمد الله »

لذلك اعتبرت « ق »النسخة الأصل في اثبات نص الوصية.
أما نسخة « جـ » فكما تعودنا من الرسائل المنقولة من هذا المجموع ـ وكما سبق أن نبهت على ذلك فإن ناسخها لا يقدر حق الأمانة فيما ينقل ـ والأخطاء التي يرتكبها فاحشة وكثيرة جداً.

الرسالة السابعة

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيئين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد.

فيقول العبد الفقير المسئ إلى نفسه المرتجي عفو الله تعالى بفضله وكرمه. الحسن بن مسعود[1]شاهداً لله تعالى بالربوبية وحده. لا شريك له. ولنبيه محمد ﷺ بالرسالة والاصطفائية. إني أوصي أولادي خصوصاً وجميع الإخوان (عموماً)[2] بتقوى الله والتسليم لأمر الله[3]. والاقتداء بكتاب الله على ما فسر[4] العلماء بالله. وأهل الفهم عن الله. والفقهاء بأحكام الله. أن يحافظوا على سنة رسول الله ﷺ[5] ويعتقدوا كما قال إمام الطائفة الجنيد (1) رحمه الله تعالى: «إن الطرق كلها مسدودة عن الخلق إلاّ من اقْتِفَاءِ آثار رسول الله ﷺ»[5] وَأُوصِيهِمْ أن يتبعوا الحقّ حيث كان ويجانبوا الهوى. وأن لا يتبعوا كل ناعق. وأن لا يجعلواْ سوء الظّنّ بعباد الله بضاعتهم[6]. بل يُحسِنوا الظن بعباد الله[6]. ولا يصحبوا إلاّ من أطاع الله تعالى. ولا يقلدواْ دينهم إلاّ من ثبتت استقامتُه. وظهر أدبه مع الله تعالى. وليعلموا أن حكمة الله تعالى وفضله غير مختص بشخص ولا طائفة. ولا نسبة. ولا بلاد[7]. بل يختص برحمته من يشاء. ومملكته واسعة. وفضله مبذول. والعبيد كلهم على بابه. متعرضون لمائدته. وهي ألوان لا نُحصيها[8] وكل قد أصاب منها بقدر القسمة. والسعيد من صادف لوناً[9] ينتفع به في الآجال. والتسليم (2) جُنّة. والنصيحة

1 — جـ. أسقط «الحسن بن مسعود». 2 — زيادة من جـ. 3 — جـ. «لقضاء الله». 4 — «فصل» 5 — جـ. اسقاط الجملة «ويعتقد كما قال الجنيد — «صلعم». 6 — جـ أسقط «بضاعتهم» — «بعباد الله». 7 — جـ «ولا ولد» عوض «بلد» 8 — في الأصل «تحصيها» بالتاء التصحيح في بقية النسخ. 9 — في الأصل «أوانا» التصحيح من جـ و ص.

(1) سبقت ترجمة الجنيد في التعليق رقم 246 ص 190.

(2) سبق لليوسي أن ناقش موقف التسليم وموقف الرضا في الرسالة النصيحة.

بآدابها[1] عمود الدّين. وأوصيهم أن يتراحموا ويتعاونوا على البرّ والتقوى ؛ وأن لا يتدابروا ولا يتباغضوا ، ولا يتحاسدوا . وأن يكونوا عباد الله إخواناً كما أمرهم . وأوصي الإخوان خصوصاً أن يُراعواْ في أولادي عهود الأخوة والمحبة . فإن « حُسْنَ العَهْدِ مِنْ الْإِيمَانِ » (3) وأن لا يواطئوهم على الهوى . « فَإِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ » (4) ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وأوصي أولادي أن يقدموا في أمورهم الأكبر فالأكبر ، إقامة لأدب الشرع ، ما لم تظهر خصوصية من الله تعالى . وفضيلة في الأصغر/توجب تقديمه فعند ظهور الفضيلة لا يبقى للسّنّ[2] اعتبار ، إلاّ مجرد التوقير والاحترام فلا بد منه ؛ وليجتهدوا في طاعة الله تعالى والإحسان إلى عباد الله وإطعام الطّعام ، وإفشاء السلام وغض الأبصار عن عيوب النّاس ، والصّبر على جفاء الجفاة ، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق التي يجدونها في الكتاب[3] والسُّنّة وأقوال الحكماء . ثم لينظروا بعقولهم في صنع الله تعالى بهم ، فإن رأوا أن الله تعالى قد أقام الزّاوية (5) على أيديهم جملة بوجود انْجلاب الأرزاق ، وتيَسُّر إطعام الطّعام ، ووجود التصرف . فليحمدوا الله تعالى كثيراً في تيسر ذلك ، وجعله سبباً للخير لا مكراً ، ولْيَبْرَأُوا من الحول والقوة ، وليعتقدوا أنفسهم عبيد الله تعالى ، مسخرين في خدمة الفقراء والمساكين[4] وأهل النسبة ، ليس لهم حول ولا قوة ولا مِلك ، وإنما الله تعالى يجمع أرزاقاً في ذلك المكان ، ويطعمهم إياها ، وليشكروا الله تعالى إن كان ذلك على أيديهم ، وليأكلوا من ذلك بقدر الحاجة معتقدين أنهم في ذلك

ص 249

1 — في الأصل « بآدانها » صححت من جـ و 2 — جـ « للحسن » 3 — في الأصل « الكتب » التصحيح من جـ و ص. 4 — في الأصل « والمسكين » التصحيح من جـ

(3) جزء من حديث طويل أخرجه الحاكم والبيهي من رواية عائشة. أنظر شروح القسطلاني على صحيح البخاري في ارشاد الساري ج 9 ص 21

(4) تضمين لحديث نبوي عن تميم الداري قال ﷺ « الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامهم » رواه البخاري ومسلم والترمذي

(5) الزاوية التي كانت لليوسي « بخلفون » على وادي أم الربيع. أنظر مقدمة هذه الرسالة في الجزء الخاص بترجمة الأديب

والواردين سواء، فهم عبيد يطعمهم مولاهم. ولا مَزِية لأحد على التحقيق. بل يعتقدون أنهم في بركة الواردين (يعيشون).[1] ولْيَتَحَرَّوا الحلال جهدهم. ويجتهدوا في إصلاح النيات في الأخذ والعطاء مكتفين بالله تعالى مستغنين به عمّا سواه[2]، معتقدين أن أحداً من الخلائق لا ينفعهم بذرة إلاّ ما نفعهم الله به. فهم يأخذون عن الله ويدفعون لله تعالى. وإذا نظروا بالحقيقة وجدوا أنفسهم معزولين عن الأمر، لا مدخل لهم إلاّ بحسب المظاهر الاكتسابية[3] التي هي مناط الأحكام الشرعية. وإلاّ فالله هو المتصرف قبضاً ودفعاً «لَآإِلَاهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (6). وإن رأوا أن الله تعالى قد أقام ذلك على يد واحد منهم بخُصوصِهِ كبيراً أو صغيراً، فعلى الآخرين أن يُسلِّمُوا له ولا ينازعوه بظواهرهم ولا ببواطنهم. وليشكروا الله تعالى أن جعل الأمر فيهم ولم يُخْرِجِ الخير عنهم.

وعليهم أن يجتهدوا في خدمته وإعانته قولا وفعلا. وعلى من جرى ذلك في يده أن يعرف نفسه، ولا يغتر بما ظهر من المصلحة على[4] يده، ويعتقد أن ذلك دَلِيلٌ على ولايته وقربه من الله تعالى. كلا فإن ذلك قد يظهر على يد المرء[5] إكراماً من الله تعالى وامتناناً/وتخصيصاً[6] وقد يظهر على يد الفاجر عياذاً بالله تعالى، إهانةً له واستدراجاً، فليس إلاّ الخوف والرجا. ولينظر[7] إلى حاله في قلبه وقالبه، فإن وجد نفسه معمور الظاهر بطاعة الله على الاستقامة، وباطنه معموراً بالتسليم والتفويض لله والتبري[8] من الحول والقوة. وصدق الافتقار، واللّجإ إلى الله تعالى مع عزوف[9] القلب عن حطام الدنيا والرغبة[10] فيما عند الله، فليشكر الله تعالى وليرْجُ فضله. ولا يَأمَنْ من مكره على كل حال.

ص 250

---

1 — زيادة من جـ و ص. 2 — جـ زيادة «من الخلق». 3 — في الأصل «الظاهر المكتسابية» صححت بما في جـ. و ص. 4 — في الأصل «في يده» صححت من جـ و ص. 5 — في الأصل «على يد الخلق المرء» صححت من ص و جـ. 6 — جـ «واختصاصا». 7 — الأصل «ولينظهر» التصحيح من ص و جـ 8 — جـ «والتبدي». 9 — في الأصل «عزوب» التصحيح من جـ و ص. 10 — في الأصل «الرعبة» تصحيح من جـ و ص.

---

(6) من الآية 31 سورة التوبة. مدنية.

وحينئذ فليستعن بالله تعالى وليتوكل عليه . وليفوض أمره إليه . وليحافظ على الشريعة والحقيقة والبحث عن العلم وليجتهد في العمل . فإن الله لا يعبد بالجهل . « وَمَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِم . أَوْرَثَهُ اللهُ عِلْم مَا لَمْ يَعْلَمْ » (7) وليتخلق في باطنه عند الأخذ[1] والترك والدفع بالحقائق التي ذكرنا قبل.

وليتحر في تصرفه القصد من غير إسراف ولا إقتار[2] . وليجتهد في تطييب لقمته . وليعلم أن الأرزاق المنجلبة[3] لا تكون سواء . بل يكون منها الطيب وقليل ما هو . ويكون المُشتبهُ الضعيفَ الشُّبْهَةِ[4] وقويَّها . والحرام البيِّن . فأما الأخير فلا سبيل إلى إمساكه وأما الأول (8) فليجعله لنفسه في مطعمه وملبسه ومرافقه كلها إن وسع ذلك . وإلاّ فليجعله لبطنه وهو أولى فيما نرى . وإن كان في ذلك اختلاف بين الصوفية.

وأما الباقي فليختر منه لعياله وما يلزمه وليجعل الباقي في سبيل الله . فإن قويت الشبهة[5] فلا يخالطها إلاّ[6] إن اضطر[7] إلى إمساكها لعارض ما . فليدفعها من خارج فيما يليق به . ولا يدخلها زاويته كأن يضطر مثلا إلى الأخذ من أرباب الدولة لوجود مقتض .[8] فليدفع ذلك في أهل البيت أو العلماء فإن لهم حظاً وافراً في ذلك . ما لم يكن ذلك عَرَضاً (9) مُعَيَّناً لشخص[9] فلا يقربه بوجه . وإن أخذه فليرده لربه لا غير. وأحكام الشرع معلومة في هذا[10] وغيره . وقلما[11] يوجد القسم الأول (10) إلاّ في شخص بعينه أو أشخاص يعرف مكسبهم ويعرف نيّاتهم في معاملة الله لوجهه لا غير . وقليل مثل هؤلاء.

---

1 — جـ « الآخر ». 2 — في الأصل « والاقتار » التصحيح من جـ و ص . 3 — جـ « بياض مكان المنجلبة » 4 — جـ « الشهب ». 5 — جـ « بأن تقوت أشبه ». 6 — في الأصل « إلى » التصحيح من ص و جـ 7 — جـ « يظهر ». 8 — جـ « منتظر ». 9 — في الأصل « الشخص » صححت من ص و جـ. 10 — في الأصل « هذه » صححت من ص و جـ. 11 — في الأصل « كلما » صححت من ص و جـ.

---

(7) م تخريج هذا الحديث في رسالة النصيحة ص 355 . التعليق رقم 87
(8) الرزق الطيب الحلال .
(9) المتاع المال الغنيمة .
(10) أي الرزق الحلال وطيب اللقمة وبعدها عن الشبهات

وأما ما يجعله القبائل والعشّار (11) فهو غالبا مشتبه لاختلاف المكاسب . واختلاف النيات . ولولا خوف انسداد أبواب المصالح على الناس[1] لما كان ينبغي/قبوله أصلا وأحكام هذا الباب لا يسع هذه الوصية استيفاؤها . فإن أوسع[2] الله في العمر رجونا أن نفرد لذلك مصنَّفاً ينتفع به إن شاء الله تعالى.

ص 251

وإن وجد حاله على خلاف ذلك . من الركون إلى متاع الدنيا وقلة الاستقامة . فليبك على نفسه وليعلم أن حاله حال مستدرج ممكور به[3] ولكن لا ييأس من رحمة الله . بل يرجع إلى الله تعالى بغاية التضرع والالتجاء أن يتوب عليه ويجبر كسره . ويصلح[4] حاله ولا يختر في ذلك العزل عن تلك المصلحة ولا بقاءها في يده . فإن الله تعالى قادر أن يصلح حاله[5] ويبدل سيئه[6] حسناً مع بقائه فيها . وهو على كل شيْ قدير لاَ إلاَهَ إلاّ هو. اللهم إلاّ أن يتبين له ببصيرته أن فساد حاله بمجرى عادة الله إنما هو بتلك الخلطة . فليهرب عنها قياماً بالأسباب الشرعية.

ومتى استقامت الزاوية فليصرف فيها جميع ما كان من الصدقات في أيدينا من[7] اليوم . ومالم يزل في أيدي الناس فكل ذلك في سبيل الله . لا يحل لأحد أن يأخذه إرثاً بتملكه[8] لنفسه . ولا يذخره لنفسه ولا لعياله . وإنما ذلك مرصد للإنفاق في سبيل الله وما خزن[9] منه إلى وقت ما فإنما يخزن لذلك . وليس لنا منه ولا لعيالنا وأولادنا إلاّ أن نصيب منه حاجتنا (من غير)[10] تمول ولا تكاثر . فليس لنا مال وإنما نحن فقراء نعيش في فضل الله تعالى . ولولا النظر إلى ظاهر الشرع لما أخرجنا زكاة حب ولا ماشية ولا غير ذلك — إن كان — لأن الكلّ ملك لله تعالى ولا ملك لنا . ولكنا خوطبنا بحكم الحوز والله المستعان.

---

1 — جـ أسقطت « على الناس ». 2 — جـ « مد » 3 — جـ أسقط « ممكور به ». 4 — جـ أسقط « ويصلح » 5 — في الأصل « ولا يبدل » التصحيح من ص و جـ. 7 — ص و جـ أسقطت « من ». 8 — جـ و ص « يتملكه ». 9 — في الأصل « أخرى » صححت من ص جـ 10 — زيادة من جـ. ص.

---

(11) العشار قابض العشر أو العشور أي الزكاة

وإن رأوا (أن)[1] الزاوية لم تستقم لهم ولا لأحد . فليسلموا الأمر لله تعالى . وليعلموا أن الخير فيما اختار الله لهم . فإن العبد غداً مسؤول عن كل مال ممّ اكتسبه وفيم أنفقه . ومسؤول عن كل متعلق ووارد ماذا قضى في حقه ؛ ومن أنجاه الله تعالى من كثير من ذلك فقد خفّف عنه الحساب . فليشكر الله تعالى وليثق بحسن اختيار الله تعالى.

وليعلموا أن الزاوية لا حقيقة لها شرعاً ولا ذِكْرَ لها . وإنما لفظة محدثة[2] . ومعناها مركب من أمرين أحدهما : التفرغ لعبادة الله . ويكون ذلك بالهرب من التشاغل بالدنيا وأسباب المعاش . والانكماش[3] في خلوة أو في ركن بيت أو في مسجد للاشتغال بذكر الله والإقبال عليه . وبهذا — والله أعلم — سميت زاوية لأن الركن يسمى زاوية . الثاني : إطعام الطعام وهو في عادة المتأخرين ويرجع/معناه إلى إكرام الضيف . ففي الحديث : «مَنْ كَانَ يُومِنْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» (12) وإلى الصدقة ففي الحديث : «تَصَدَّقُوا وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَة» (13) وإذا كانت راجعة إلى هذه الأمور . فالعبد مأمور بعبادة الله . فليعبد ربه حيث كان . ومأمور بالإحسان والصدقات[4] . وإكرام الضيف متى تصدق بما وجد . ولو بشق تمرة . وإكرام ضيفه مما وجد ولو واحداً . مع تفرغه لعبادة الله جهد الاستطاعة . فهو ذو زاوية أي زاوية . ومن أقامه[5] الله في مثل ذلك ولم يكتف[6] به في قلبه وجعل يتحسر على فوات غير ذلك من

ص 252

---

1 — زيادة من جـ ص . 2 — في الأصل «محدوثة» صححت من جـ. ص. 3 — في الأصل «الانكاش» صححت من جـ. ص 4 — جـ «التصدقات». 5 — في الأصل «أقام» صححت من جـ. ص 6 — في الأصل «ولم يكتب» صححت من جـ. ص.

---

(12) من حديث طويل رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة . وروي أيضا عن أبي شريح الخزاعي. أنظر إرشاد الساري ج 9/25 — 26 وشرح النووي على صحيح مسلم بهامش الإرشاد ج 1/332

(13) حديث أخرجه البخاري عن عدي بن حاتم في كتاب الزكاة ولفظه : «اتقوا النار ولو بشق تمرة» إرشاد الساري ج 3/19 كما أخرجه مسلم أنظر شروح النووي على صحيح مسلم بهامش الإرشاد ج 4/388 مشكاة المصابيح ج 1/72 — 73

كثرة الأرزاق . وكثرة[1] الواردين . فنفسه إنما تتطلب السمعة والمباهاة والتوسع في الدنيا فليستعذ بالله من شرها.

فإن زعمت نفسه أنه إنما تحسَّر لما يفوته من كثرة الأجور . فليعلم أنه قد أنجاه الله تعالى من كثرة الحقوق وما يلزمه[2] من الحساب في تلك التخاليط فهذه بهذه . فنحن أناس بالسلامة نفرح (14) . وليرجع إلى الرضَى بحسن اختيار الله تعالى كما قلنا أولا . يعش حميداً ويمُت سعيداً إن شاء الله تعالى . ثم لينظروا عند ذلك ، فإن جاءهم[3] الله تعالى بأرزاقهم متيسرة بلا سبب من وجه طيب[4] فليحمدوا الله تعالى وليشكروه كثيراً . وليعبدوه بكرة وأصيلا . وإن لم تتيسر لهم الأرزاق . فليشتغلوا بالأسباب الشرعية التي لا يتدنسون[5] فيها بعارٍ شرعاً ولا عادة من أسباب الناس.

وأحذرهم غاية التحذير من السبب الذي يتعاطاه أكثر أبناء المتنسبين من[6] تكبد (15)الناس والطمع في أموالهم ، فإنه العار والفقر الحاضر . ولا سيما مع الطّوفان على المحلات والقبائل فنعوذ بالله من هذه الحرفة.

وليعلموا أن العبيد في كدحهم[7] وطلبهم أربعة : **طالب لله تعالى** (و)[8] **ذلك** بالاجتهاد في طاعته . امتثالا لأمره . وقياماً بالأدب بين يديه ، والتزاماً لأحكام[9] العبودية مع المحبة له والاشتياق إليه ، راجيًا مع ذلك محبته ورضاه وقربه فهذا خير العبيد عند الله تعالى وهم في هذا المعنى/درجات منهم من يغيب عن الأكوان بمشاهدة المكوّن فيبقى مدَلّهاً . ومنهم من لا يغيب

ص 253

---

1 — في الأصل «كثير» صححت من جـ ص .2 — جـ «يلزم». 3 — في الأصل «جاء» تصحيح من جـ. 4 — في الأصل «موطيب» تصحيح من ص و جـ 5 — جـ «يتأنسون». 6 — جـ «تكفف». 7 — جـ «كدرهم». 8 — زيادة من جـ و ص. 9 — في الأصل «للأحكام» التصحيح من ص و جـ

---

(14) هذه إشارة لقول الشاعر :

وقائلة مالي أراك مجانبا ... أمورا وفيها للتجارة مربح

فقلت لها مالي بربحك حاجة ... ونحن أناس بالسلامة نفرح

(15) تكبّد الناسَ التضييق عليهم . وتحميلهم ما لا يريدون ولا يطيقون

لمشاهدة الأمرين مع القيام بأحكام الحالين (16) والمحافظة على آداب الجانبين وهم أقوى ، وهو مقام النبوّة . وقد يطلبون الجنة وما أعدَّ الله فيها ويتعوذون من النار وما فيها إما امتناناً وإمّا تأدباً مع الله تعالى في الاتصاف بأوصاف العبيد[1] من الفقر والحاجة إلى مولاهم ، مع التأدب بقبول ما مَنَّ به عليهم ، وتعظيم نعمته تعالى وغير ذلك . **وطالب للآخرة** وذلك بالاجتهاد في طاعته تعالى امتثالا لأمره تعالى . وطلباً لما أعده الله تعالى لعباده المطيعين من التنعيم في الدار الكريمة . وطلباً للنجاة ممّا أعدّ للعصاة من الجحيم فهذا أوسط الناس . لم يصل إلى درجات المقربين . ولم ينحط إلى درك[2] المجرمين . « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ » (17) أَلَا إن لم تكن إِبِلٌ فمعْزى.

وطالب للدنيا من أبوابها كالحرث والتجارة فهذا في وسط أهل الدنيا لا عار عليه عندهم . وإنّما العار عليه عند أهل البصائر ، حيث باع النفيس الباقي بالخسيس الفاني . وقد يقيم حدود الله فيكون من القسم الذي قبله . وقد يخوض فيها بيده فقط . وقلبه[3] مع الله قائماً بالآداب الشرعية والحقيقية[4] . فيكون من قبيل الفريق الأول . **وطالب للدنيا من غير أبوابها** ، فإن كان ذلك بنحو الاشتغال بالتدبير والتقصيص (18) والبحث . فهو حمق منشؤه شدّة الرغبة في الدنيا والحرص عليها . والتّشوّف إلى كثرتها . والطمع[5] في استعجالها مع الفوز بالرّاحة عن الكدّ في أسبابها . والاغترار بما يسمع من نوادر من ظفر بشيءٍ من

---

1 — جـ « العبد » 2 — في الأصل « دار » صححت من «ص» «جـ» 3 — في الأصل « وقبله » تصحيح من ص و جـ. 4 — في الأصل « والحقيقة » تصحيح من ص و جـ . 5 — في الأصل زيادة « والطمع حروفه كلها بدت مجوفة كجوف ذي طمع في التشبه والمثل » ويظهر لي أنها من زيادة الناسخ لعدم ورودها في ص و جـ.

---

(16) حال العبودية وحال المحبة والقرب

(17) تضمين جزء من الآية 265 سورة البقرة. مدنية.

(18) التقصيص تتبع الأثر

ذلك في الدّهور الماضية ، مع ولوع[1] النفس بالأمور الغرائب . وهي حرفة خسيسة صاحبها لا يفلح ولا يموت غالباً إلاّ مملقاً فقيراً من الدّين والدنيا ، إلاّ أن يتداركه الله تعالى برحمته.

وإن كان ذلك بالسؤال والتّكفف فهو مهانة وسخافة وسقوط همّة ، وصاحبها مع ما يعاني من التكلف واقتحام الشبهات وغير ذلك من القبائح الدينية والدّنيوية ، مُسْقِطٌ لمرؤته مُهين[2] لنفسه وهو يظن أنه يكرمها . قيل : مرّ الأصمعي برجل يخدُم في الزَّبَل وهو ينشد :

وَأُكْرِمُ نَفْسِي إِنَّنِي إِنْ أَهَنْتُهَا وَحَقِّكَ لَمْ تُكْرَمْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي

فقال له الأصمعي بأي شيءٍ أكرمت نفسك ؟ أبمثل هذا العمل ؟ فقال الرجل : نعم ، أكرمها بصونها عن سؤال السفلة أمثالك . فمرّ الأصمعي يُهرول . وكان من حكمة الله تعالى وابتلائه لأبناء المتدينين[3] أن الرجل يكون زاهداً في الدنيا فتتبعه راغمة ، وتخدمه كما وقع في الخبر : « اخْدُمي مَنْ خَدَمَني » أو يقضي الله على يده مصلحة إنفاقها مُحِقّاً[4] كان أو مبطلا ، وعلى كل حال ، فيجلبها الله إليه عفواً بلا سبب ولا تعب ، فيقوم أولاده فيجدون ذلك ، ويعيشون في اتّساع الحال ويَسْتَحْلون إقبال الدنيا وأهلها ، وقد يسمعون ذلك إنْ لم يُدْرِكوهُ ، فإذا مات والدهم ، ولم يصلح الله قلوبهم كما أصلح الله قلب أبيهم ، ولا أجرى مصلحة الإنفاق على أيديهم ، كما أجراها على يد أبيهم ، قطع تلك الأرزاق ، وذهب بتلك الأرْفاق[5] (19) ، وصرف قلوب الناس عنهم ، حكمة منه تعالى ، فحينئذ يغتمون ، إذ لا صبر ولا زهد لهم فيما انصرف ، ولا وجود له ، إذ نقله الله إلى باب آخر بحكمته . فلم يبق لهم إلاّ التشوف له ، وتَحَلّيهم[6] بالشرّه[7] والرغبة ، وتذكر ما كان قبل من النعيم ، والأسف[8] على انقطاع ذلك ، ومنافسة من لم ينقطع على التعرض له ، وتتبع آثاره ، حتى

---

1 — جـ « ولع » 2 — جـ « فهي » 3 — جـ « المذنبين » 4 — في الأصل « محققا » 5 — جـ « الأوفاق » 6 — جـ « تحملهم » 7 — جـ « الشدة » 8 — جـ « الأنفة »

---

(19) الأرْفاق : ما استعين وانتفع به

يرتحلوا إلى تلك الأبواب التي كان يخرج منها الرّزق فيقفوا فيها بعدما كان أهل تلك الأبواب يقفون بأبوابهم. نعوذ بالله من انقلاب الحال. فحاوَلوا استنزال ذلك بأنواع من الحيل والشبهات بِصُور ما كان[1] لآبائهم من الدّين وصورة الفعل والدعاوى، وهذا فيمن بقيت فيه بقية فكر وحياء. وأمّا غيره فلا تسأل عنه.

ومما يوقعهم في هذه الورطات، أتْباع آبائهم. فإنهم أولاً يتبسطون[2] إليهم بألسنة حِدَادٍ (20) من الخير ويقولون نحن خدّامكم/ونحن عبيدكم وليس عندنا إلاّ متاعكم ويظن المساكين أن ذلك حقيقة. ويقبلون أيديهم وأرجلهم ويتمسحون بهم[3] فيظن المساكين أنهم ورثوا حالة آبائهم صلاحاً وبركة واحتراماً. ولم ينظروا إلى أنفسهم فيعرفوا ما هم عليه. وربما رَشَحَتْ إليهم صُفاة أولئك الأتْباع بشيء من الرزق والإحسان مرة أو مرتين. فيظن المساكين أنهم كذلك، ويطمعون في المزيد. حتى إذا ذاقوا تلك الحلاوة مات أولئك المراعون (21) أو بردت قرائحهم. واستولى عليهم حب الدنيا والشحّ فيها. فحينئذ يتجافون عن ذلك الإحسان فيبقى أولئك المساكين هداجين[4] (22) على أبوابهم، ولا يخرجون إليهم إلاّ قليلا، على أنهم لو بقوا على الإحسان لم يكن ذلك الاّ سخافة[5] لا يرضاها لنفسه ذو همة، إذ لا يأتون بما لهم عفواً إلى أبوابهم، ويسألونهم أن يقبلوه كما كانوا يصنعون بآبائهم. بل يبقون في بيوتهم حتى يقدمون عليهم سائلين متملقين./والناس اليوم نفوسهم خسيسة وهممهم ساقطة، وحب الدنيا مستول على قلوبهم. وحطام الدنيا كبير في أعينهم لو

ص 255

---

1 — في الأصل «كانت» 2 — في الأصل «ينبسطون» صححت من ص. جـ: يستبسطون.
3 — جـ «فيهم». 4 — في الأصل «هذا جبين» صححت من جـ و ص. 5 — «ستخافة» في الأصل.

---

(20) في منتهى الفصاحة والغلبة في الجدال والكلام والنقاش
(21) المحسنون بحكم الصداقة التي تربطهم بالآباء
(22) أي يمشون مشية الشيوخ في انحناء وعجز واستكانة

جاءوا به إلى الرجل وسألوه قبوله لتمنوه عليه . فكيف إذا جاءهم . وهذا أمر مشاهد منهم معروف . وقد وقع لأبناء الفقراء في توريطهم بهذه الورطة شبه ما وقع لأهل[1] الكُدية مرجع هذه الحرفة . وذلك أن بني ساسان (23) لمّا ثُلَّ[2] عرشهم (24) وتضعضع ملكهم . وسُلِبُواْ الدنيا . خرج من بقيتهم من خرج في بلاد المسلمين . فكانوا إذا رأوهم رحِموهم وأحسنوا إليهم كما قال ﷺ : ارْحَمُواْ عَزِيزَ قَوْمٍ ذَلَّ » (25)فكانوا يتسببون . وربما تشبه بهم من يريد مثل[3] ذلك . ويقولون نحن من بني ساسان ويذكرون ما وقع عليهم من البلاء وما هم فيه من سوء الحال . مع ما مضى لهم[4] من العزة والنعمة . فترق لهم القلوب . فجرى الناس على ذلك حتى قيل للسائل مطلقاً ساسان . وربما أسقطوا النون فقالوا ساس كما هو اليوم . وجرى أهل الكدية — وهي مأخوذة من قولهم حفر الحفار فأكْدى إذا انتهى في حفره[5] إلى كُدية[6] تصعُب — فقيل للسائل/مكد لأنه يلح في السؤال ولا محالة ينتهي إلى التكلف[7] إما البخل

256

والمنع وإما المشقة . واشتهرت الكدية حتى صارت حرفة لأقوام يعيشون بها ويتألفون عليها ويتحزبون . ويتعاطون فيها آداباً وحيلاً ويتوارثونها حتى إنه من غرائب الأمر ما ذكر حجة الإسلام الغزالي أنه رب قوم منهم يكونون عُمياً فيعيشون فيها . فإذا ولدت لهم الأولاد أعموهم لتتفق لهم تلك الحرفة نعوذ بالله تعالى من البلاء. وقد مثل العلامة الهمداني وأبو محمد (26) بكثير من حيلهم ووقائعهم على وجه التقدير . وهي كذلك تقع . ووقع أبناء الفقراء في نحو من ذلك نسأل الله تعالى العصمة.

---

1 — جـ « الأصل » 2 — جـ « تدل » 3 — جـ . أسقطت « مثل ». 4 — في الأصل « بهم » صححت من جـ و ص . 5 — في الأصل « حفدة » صححت من ص . جـ . 6 — في الأصل « الكدبة ». 7 — في الأصل « تكلف »

---

(23) بنو ساسان ملوك الفرس وهو اسم يطلق أيضا على جماعة من المتسولين المشعوذين

(24) ثل عرشهم ذهب عزهم ومجدهم.

(25) جزء من حديث أخرجه العسكري في الأمثال والسلماني في الضعفاء من حديث زيد بن أبي الزرقاء عن أنس مرفوعا ذكره ابن الجوزي في الموضوعات. أنظر المقاصد الحسنة للسخاوي ص 49.

(26) يعني القاسم بن علي الحريري أبو محمد 446هـ 516هـ صاحب المقامات الحريرية

فأوصي أولادي أن يتجافوا عن تلك الطرقات (غاية التجافي)[1] ويتعوذوا بالله سبحانه منها . وقد كان أسلافنا وهم عامة . يعيشون بما رزقهم الله تعالى . قانعين به . ويخوضون في الأسباب الشرعية غير متصنعين لأحد . ولا متشوفين له . ولا طامعين إلاّ في الله حتى ماتوا ذوي عزّ[2] . وخلوص من دنس الطمع ومن حِرْفَةِ مِنَنِ الناس . وخفت ظهورهم من التبعات[3] . وكثيراً ما نتمنّى أحوالهم لولا ما منّ الله تعالى علينا به[4] من تلاوة كتابه ومزيد التفقه في دينه . نسأل الله تعالى أن يكمل لنا[5] هذه المنة بالتوفيق إلى العمل الصالح . والخَتْم بالحُسْنَى[6] إنه ذو الفضل العظيم . ومن رزقه الله تعالى من أولادنا رزقاً صالحاً متيسراً من تَسبيه[7] بسبب من علم صالح . فضلا منه تعالى وإحساناً فليقبله كما قال ﷺ « مَا أَتَاكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُتَشَوِّفٍ ولاَ سَائِلٍ فَخُذْهُ وَتَمَوَّلْهُ . وَمَالاَ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ » (27). ومن لم يرزقه الله ذلك . فلا يقحم نفسه في المهالك والمصائب . ويرجع[8] إلى ما كان عليه أسلافه ولا عيب عليه في ذلك. والغازي إذا لم يغنم لا عيب عليه . وإنما العيب إذا تلف[9] ما عنده . ورجع بخفي حنين . نسأل الله تعالى العافية .

وأما الدار الخلفونية فإن أبقاهم الله تعالى فيها ورزقهم العافية وما يحتاجون/فليقيموا وليشكروا الله تعالى ففي الخبر : « مَنْ رُزِقَ مِنْ بَابٍ فَلْيَلْزَمْهُ » (28) وإلاّ فأرض الله واسعة « والبلادُ بلادُ الله والعِبَادُ عباد اللهِ فأَيْنَمَا وَجَدَ

ص 257

---

1 — زيادة من ص . 2 — جـ . أسقطت الجملة « ولا متشوفين ذوي العز ». 3 — جـ « التبعات » 4 — جـ . أسقطت « به ». 5 — جـ . أسقطت « لنا ». 6 — « بالإحسان ».
7 — ص . جـ أسقطتا « من تسبيه ». 8 — جـ « وليرجع ». 9 — جـ . « سلب ».

---

(27) هذا الحديث رواه مسلم عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قد كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول أعطه أفقر إليه مني حتى أعطاني مرة مالا فقلت أعطه أفقر إليه مني فقال رسول الله ﷺ : « خذ . وما جاءك من هذا المال وأنت غير متشوف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك ». أنظر شرح النووي على صحيح مسلم بهامش إرشاد الساري ج 435/4 بلوغ المرام 130. رواه البخاري أيضا والنسائي وغيرهما عن عمر. أنظر المغني بهامش الأحياء ج 207/2

(28) أخرجه البيهقي عن أنس وأخرجه ابن ماجة والديلمي وغيره. أنظر فيض القدير ج 136/6

الإِنْسَانُ دِينَهُ وَرِزْقَهُ فَلْيُقِم » (29) ثم المتولّي يسكن في الدار وعليه أن يأوي من معه من الإخوة إن وسعتهم[1] وإلاّ فليبن لهم حوله كسائر التعلقات. والبساتين تنفق في سبيل الله كذلك ويُؤكَلُ منها بقدر الحاجة.

وأما الكتب فما كان منها عَارِيَّةٌ (30) أو وديعةٌ فيُرَدُّ إلى ربه إلاّ أن يأذن في الانتفاع به في المستقبل فينتفع به . وإن لم يُوجد ربُّه ، حُفِظَ له حتى يوجد . وما كان منها ملكاً لنا بشراء أو عطية . والغالب أن ذلك مكتوب عليه ، فهو كله حُبُسٌ (31) على أولادي لا يباع ولا يورث مِلكاً ولا يُتَصرف فيه بشيء من التصرفات غير الانتفاع به بالمطالعة والقراءة[2] وغير ذلك فينتفع الأولاد ما تناسلوا . وينتفع معهم من كان معهم من رحبتهم من طلبة العلم بإعارة من الأولاد وتُردُّ . ولا تخرج الكتب عن موضعها خوف التلف والضياع . بل ولا تعار أصلاً لمن لا يصونها . كمن ليس بمأمون على الهروب بها . أو فسادها[3] كمن يفتح الكتاب كثيراً عند النظر ويأخذه ويده غير نظيفة . أو ينعس عند النظر فيقع الكتاب من يده أو يقع عليه الزيت من المصباح ، أو يطرحه في محل يناله فيه الندى ، أو القَطْر . أو الفار . أو الغبرة الكثيرة . أو نحو ذلك وكثير من الناس قليل التحفظ . ولذلك يقال : آفة الكتب[4] العارية . وما يقال من أن منع الكتب غُلُولٌ (32) فإنما يصح عند وجود من هو أهل لأن يعطى ، وإلاّ فهو تضييع للكتب.

---

1 — ج « وسعهم ». 2 — ج « في القراءة ». 3 — ج « أو من فسدها ». 4 — في الأصل « الكتاب » صححت من ص و ج.

---

(29) حديث : « البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأي موضع رأيت فيه رفقاً فأقم » أخرجه أحمد والطبراني من حديث الزبير وسنده ضعيف. أنظر تمييز الطيب من الخبيث مما يدور على ألسنة الناس من حديث للشيباني ص 66

(30) عارية « المُعارَة » أي اباحة المالك منافع ملكه لغيره بلا عوض

(31) يحضرني في هذا الصدد أن محقق كتاب « شفاء السائل » لابن خلدون الاستاذ محمد ابن تاويت الطنجي قد ذكر في مقدمة التحقيق أنه اعتمد على نسخة مخطوط « شفاء السائل » عليها تمليك بخط العلامة اليوسي ثم تمليك آخر بخط ابنه عبد الكريم بن الحسن اليوسي فيه أن الكتاب انتقل الى ملكه سنة1126هـ. أنظر « شفاء السائل » تحقيق الأستاذ محمد ابن تاويت الطنجي. طبعة اسطانبول 1958

(32) الغُلولُ : الخيانة في المغنم مُطلقاً وهنا الإخلال بواجب الإفادة في العلم

وأما النساء الحرائر فيوخذ من كل واحدة ما فضل من صداقها ممَّا[1] في يدها ويجعل من مال الله ويترك لكل واحدة صداقها محسوباً بما فات منه عندها . ثم من أحبت أن تصبر في الدار فهي من جملة الأولاد تأكل من مال الله وتلبس ما عاشت . ومن أحبت أن تتزوج فلا يُتعرض لها[2].

وأما إن توفي الله فكفني هو إزار الشيخ (33) ورداؤه مع قطعة أخرى من كفنه وذلك في المخزن مُعَدٌّ (لذلك)[3] ولا بأس أن يضاف إلى ذلك على وجه التبرك خرقة من لباس الشيخ سيدي عبد الله بن حسين (34) وأخرى من لباس سيدي أحمد بن أبي القاسم الصومعي (35) وغير ذلك مما هو عندنا مخزون للبركة والله تعالى ينفعنا بالصالحين في الدارين آمين (وأعود)[4] فأوصي[5] أيضاً أولادي وسائر الإخوان بمجانبة خلطاء السوء فإن الطباع تسرق من الطباع . والمعاشرة لها أثر[6] ظاهر في كل شيءٍ ولذلك قيل :

عَنِ المَرْءِ لاَ تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارِنِ مُقْتَدِي (36)

وفي الخبر : « الجَلِيسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الوَحْدَةِ . وَالوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ

---

1 — في الأصل « بما » صححت من ص و جـ. 2 — في الأصل « يعرض » صححت من ص و جـ. 3 — زيادة من ص و جـ. 4 — زيادة من ص و جـ. 5 — في الأصل « فأصيكم » صححت بما جاء في ج و ص. 6 — ص « أصل » بدل أثر

---

(33) يعني الشيخ محمد بن ناصر الدرعي شيخ الزاوية الناصرية بتمكروت سبقت ترجمته ص 329 تعليق رقم 27

(34) عبد الله بن حسين الرقي ثم الدرعي شيخ محمد بن ناصر. سبقت ترجمته ص 329 تعليق رقم 28

(35) أحمد بن أبي القاسم الهروي الزمراني دفين الصومعة... — 1013هـ من بلاد تادلا من مشاهر الأولياء. أنظر ترجمته في « صفوة من انتشر » . « ونشر المثاني » . « والأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام » ج 2/ ص 72 رقم الترجمة 74

(36) البيت الثاني من بيتين ينسبان لطرفة وينسبان لعدي بن زيد أيضاً وهما

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردَى فتردَى من الرّدَى

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن مقتدِي

أنظر شرح المقامات للشريشي ص 193

السُّوءِ (37) ويرجع جليس السوء إلى ثلاثة فاسد الطبع، وفاسد الحس[1] وفاسد العمل. **أما الأول** فنعني به كل من له[2] خلق مذموم سواء جبل عليه أو اكتسبه، فمن ذلك حب الدنيا فصاحبه[3] يعتني بالدنيا طلباً وذكراً، ويهتم بها فمن صاحبه يُخْشَى عليه أن يجره إلى ذلك أو شيء منه. وحيث الدنيا رأس كل خطيئة، وهذا البلاء عام فاشٍ في الناس إلاّ من أخلصه الله تعالى وقليل ما هم، فلا تكاد تلقى (إلاّ)[4] مهتماً بها عطشان إليها لهفان عليها. فليحذر أولادنا من مصاحبة العوام الذين عميت بصائرهم بحبها فلا مشهود لهم ولا محبوب ولا مطلوب غيرها.

وليحذروا كذلك من عوام الطلبة والفقراء المتعطشين إليها الذين يزينون لهم الملابس والمفارش والمآكل، المراكب والمساكن والمناكح، وطلب الجاه والرياسة، وربما جعلوا لذلك تأويلات فاسدة، ونصبوا لهم شُبَهاً واهية، وأدلة فاسدة. فصحبة هؤلاء، والإصغاء إلى تُرَّهاتهم وأباطيلهم، سمّ قاتل، وهم شرّ من إبليس بكثير[5].

ومن ذلك الكبر والتجبر، وصاحبه هالك في[6] الهالكين إلاّ أن يتداركه الله تعالى برحمة منه، ومن صاحَبَهُ مع ما يعانيه من خشونة أخلاقه. دائر بين أن يسرق من طبعه فيكون مثله أو قريباً منه، وبين أن يعيش معه في ذلّ ومهانة، ويألف التَّذَلُّل للمتجبرين[7] ولا خير في شيء من ذلك.

ومن ذلك الحسد والحقد والبخل وسائر أخلاق السوء وآفاتها مشروحة في كتب الأئمة فلا حاجة إلى التطويل[8] بها في هذه العجالة

---

1 — جـ «الحسن». 2 — جـ «فيه». 3 — جـ. «فصاحبها». 4 — زيادة من جـ و ص.
5 — في الأصل «كثير» صححت من جـ و ص. 6 — جـ «من» 7 — جـ «للمتجرين».
8 — جـ أسقط «التطويل».

---

(37) حديث أخرجه الحاكم في المناقب والبيهي من حديث ابن أبي عمران عن أبي ذر. ورواه أيضا أبو الشيخ والديلمي وابن عساكر في تاريخه. أنظر فيض القدير ج 372/6

ص 259 وأما **الثاني** فالمراد/به الضعيف العقل القليل التَّمْييز ولا خير في صحبته ، بل فيها غاية المضرة لأنه يريد أن ينفع فيضر ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويقرب البعيد ، ويبعد القريب ، فيقع في مهاوي[1] الغرر والهلاك ويجر إلى حمقه ، ولذلك قال صالح بن عبد القدوس (38)

وَلأَنْ يُعَادِيَ عَاقِلاً خَيْرٌ لَهُ   مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقْ

وأما **الثالث** : فنريد به من لا يتقي الله تعالى في أفعاله وأقواله كافراً ، أو مسلماً فاسقاً بارتكاب المنهيات ، والتقصير في المامورات . وصحبته شر ومعصية ، لأنا[2] أُمِرْنَا بمجانبة[3] أعداء الله وبغضهم لله ، ونُهِينَا[4] عن[5] فعل الفواحش ، وعن تقريرها وذلك بمشاهدتها من غير نكر ، وهو حاصل الصحبة[6]. ومن أضراب هؤلاء شخصان **أحدهما** المبتدع في الدّين ظاهراً وباطناً ، فإن البدع تستند إلى تأويلات ، فيوشك أن يسْرق عقلَ المُصَاحِبِ بها ، ويرتكبُها أو أمثالها ، نسأل الله تعالى العافية فالحذر الحذر ممن لا يحافظ على سنة النبي ﷺ وما كانت عليه الجماعة ، ولا سيما الأمر في هذا الزمان الذي[7] قلّ فيه الخير وتُنوسِيَتْ المعالم الشرعية ، والآثار النبوية وصارت السُّنَّةُ بين البدع كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود . وقد ابتدعت أمور فلما طال بها العهد وشاع العمل ، صارت سنة[8] ثم أُلْحِقت بتلك الأمور أمور ، فلما طال العهد بها أيضا صارت سنة وهكذا . وقد غلبت العادات[9] على العبادات حتى كادت تقضي عليها لولا أن الله تعالى يحفظ دينه في أيدي[10] خواص عباده ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا وأولادنا وسائر أحبتنا منهم إنه ذو فضل عظيم . **الثاني**

---

1 — جـ « مهاويل ». 2 — في الأصل « لأن » بدون مد . التصحيح من ص و جـ. 3 — في الأصل « بمجانية ». 4 — في الأصل « ونهيا » صححت من ص و جـ. 5 — جـ « من ». 6 — جـ « المحبة » . 7 — في الأصل « ألذ ». 8 — في الأصل « ألسنة » التصحيح من ص و جـ. 9 — في الأصل « العادت » التصحيح من ص و جـ 10 — جـ « في يد ».

---

(38) صالح بن عبد القدوس الأزدي الجذامي.... 160 هـ كان متكلما له مناظرات مع علماء عصره. شعره كله أمثال وحكم وآداب. اتهم عند المهدي العباسي بالزندقة فقتله ببغداد. أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام للزركلي ج 277/3.

من لا يضبط لسانه من الوقيعة في الناس وهذا بلاء عظيم . ومع عظمه هو عام في الناس . لا يكاد ينجو منه إلاّ قليل ممن ورعه الله تعالى وحفظه . وقد ابْتُلي بها كثير ممن اتّسم بالدين وصَلَحَت أحواله في غير ذلك . لنزوع[1] النفس طبعاً إلى أكل لحوم الناس . والتفكه بأعراضهم . واستلذاذ ذلك وخفته على اللّسان . فإن النفس مجبولة على حبّ الرفعة والشرف والفضيلة فتجرى لاستنقاص الغير توهُّماً منها أنه يحصل[2] بذلك غرضها بالنسبة ؛ والنفس الدّنية مجبولة على الاستنقاص . والناقص يقيس الناس بذراعه . وهذه إشارة إلى أسباب في الحكمة الإلاهية/لن[3] يسع الوقت تفصيلها . والحذر الحذر ممن يقع في الناس بكلمة أو رمز أو تلويح ولا يحجزه عنهم دين ولا مروءة . ويكون[4] إما بإسكاته إن كان يقبل النصح وإما بالبعد عنه ؛ ولا بد في ذلك من تلطف وحسن تخلص . وإلا فمن هكذا حاله[5] إن زُمت كَفَّه عن الناس تركهم وأخذ فيك والله تعالى المستعان.

ص 260

ومن ابْتُلي بصحبة واحد من هؤلاء في وقت لضرورة . فليتحفظ على دينه جهده كما قيل : خَالطْ الناس وَدِينَك لاَ تُسَلِّمه . وليَدْرَأْ[6] عن نفسه وعن دينه . وليلجأ إلى الله تعالى في التخلص من الورطة.

وقد لا يمكن التخلص عادة أو لا يليق . كالزوجات . والسراري مع « أن النساء ناقصات عقل ودين » (39) والعبيد وسائر الخدام . وكل من يعين على

---

1 — في الأصل « نزوع » التصحيح من ص و جـ. 2 — في الأصل « يحمل » التصحيح من ص و جـ. 3 — في الأصل « أن » التصحيح من ص جـ « لم ». 4 — جـ زيادة « ذلك ». 5 — جـ « طبعه ». 6 — في الأصل « وليدر » صححت من ص. جـ وليذار.

---

(39) حديث رواه أبو سعيد الخدري قال : خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى . فمر على النساء فقال : يا معشر النساء . تصدقن فإني أُرِيتُكُنَّ أكثر أهل النار . فقلن وبم يارسول الله ؟ تُكثرن اللعن وتكفرن العشير . ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب لِلُبِّ الحازم من إحداكُنَّ. قلن ما نقصان ديننا وعقلنا يارسول الله ؟ قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن بلى . قال : فذلك من نقصان عقلها . قال : أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ قلن بلى . قال فذلك من نقصان دينها ، حديث متفق عليه. أنظر مشكاة المصابيح ج 1 ص 13 — 14 تحقيق محمد ناصر الألباني

معاش أو شيئ من المنافع الدنيوية ، فليس إلاّ التحفظ والمجانبة ما أمكن. ولذلك قيل صاحبٌ لدينك[1] . وصاحب لدنياك . وصاحبٌ لآخرتك . وصاحب للتأنس . وهي مشروحة في كلام الشيخ زروق (40) وغيره.
(و)[2]أوصيهم بمعاشرة أهل الخير ومجالسة أهل الفقه والحكمة من العلماء العاملين الصالحين . والاقتباس من أنوارهم مع غاية المحبة لهم والإكرام إليهم[3] والتأدب بين أيديهم ، وإن لم يوجد إلاّ من عنده علم ولا تُرْضِي حَالَتُه . فليؤخذ منه العلم . وتترك حالته[4] ولابد أيضاً من توقيره وإكرامه ومحبته باعتبار العلم . إذ أدني أحواله[5] أن يكون كصندوق محشو بكتب العلم . ومعلوم أن هذا الصندوق لا يُنبذ في المزبلة . ولا يُمْشَى بالنعال عليه . ولا يمتهن . بل يحترم غاية . ويحب بما فيه . فكيف بمن جمع الاحتواء على العلم بالإيمان والإسلام مع ما وفقه الله إليه من الدّين والاعتراف بالتقصير فيما بقي . وهذا خير كثير . بل كل من اتسم باسم عالم أو فقيه ينبغي أن يُراعى له من الاحترام والإكرام[6] ما يليق بحق النسبة والإسم . ومن كثَّر سَوَادَ قوم فهو منهم . والنسبة لها حق

رَأَى المَجْنُونُ فِي البَيْدَاءِ كَلْباً   فَجَرَّ لَهُ مِنَ الإِحْسَانِ ذَيْلاً
فَلاَمُوهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ   وَقَالُوا لِم أَنَلْتَ[7] الكَلْبَ نَيْلاً
فَقَالَ دَعُوا المَلاَمَةَ إِنَّ عَيْنِي   رَأَتْهُ مَرَّةً فِي حيٍّ لَيْلَى

ص 261 وكذا كل[8]/من اتسم بالفقر والانتساب إلى الجانب[9] الرباني . تُراعى له[10] حُرمة الإسم والانتساب . فيحترم ويكرم ويظن به الخير . ثم إن صحت استقامته أو ظهرت مع ذلك كرامته فهو كنز مظفور به . وإن ستره الله . فهو إلى

---

1 — في الأصل « لديك » الصواب ما أثبتت من جـ و ص . 2 — زيادة من « جـ » و « ص ». 3 — جـ « وإكرامهم ». 4 — جـ « حالة أيضا ». 5 — جـ تسقط « أحواله » 6 — جـ « على ما ». 7 — في الأصل « نلت » صححت من جـ و ص . 8 — في الأصل « وكل ذلك » صححت من ص و جـ 9 — جـ « الجناب » . 10 — في الأصل « به »

---

(40) أحمد بن أحمد البرنسي الفاسي أبو العباس زروق 846هـ ـ 899هـ فقيه محدث صوفي من أهل فاس بالمغرب قرأ بمصر والمدينة وغلب عليه التصوف فتجرد وساح . توفي في تكرين من طرابلس الغرب . له تصانيف كثيرة وانفرد بجودة التصنيف في التصوف من كتبه « القواعد » في التصوف « وشرح مختصر خليل » و« شرح رسالة أبي زيد القيرواني » أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 87/1 .

الله والحمد لله على الستر. وإن ظهر منه ما يُنكر فهو بحال[1] التماس المعاذير. والإنكار بمُقْتَضى الشريعة على وجه النصيحة مع قيام حسن الظن والاحترام بالقلب[2]. وحذار حذار من الاحتقار والوقيعة بالشهوات. فإنَّ الله تعالى يَغَارْ للمنتسبين لجانبه وإن كانواْ[3] على سوء. يُعَاقب من تعرض لهم بمجرد الهوى. ولذلك أسباب وأسرار يطول تفصيلها «فَلْيَحْذَرِ اللَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (41)

وحب الجناب[4] على الجملة. وتعظيمه والميل إليه. لا بد مِنْهْ لكل موفق. وكل قلب ليس فيه تعظيم جناب الله. ومن انتسب إليه على الجملة. ومحبة ذلك فهو خرب. فإن ابْتُلِيَ مع ذلك بالغموس (42) فيه أو الوقيعة فهو الهالك.

وحذار حذار من صحبة[5] الناقصي[6] الهِمم منهم. والجوالين على بطونهم والساقطين على الحظوظ النفسانية كائنة ما كانت. ومن أظفره الله تعالى بأهل الهمم العلية المتخلين على الفاني. المقيمين على ما يُعينهم. فليصحب وليقِرَّ عيناً بهم. ويحمد الله تعالى على الكنز والعلق النفيس. فصحبة هؤلاء نعيم عاجل وفلاح آجل وفي حقهم يقول القطب الجامع الغوث أبو مدين (43) رضي الله عنه:

مَا لَذَّةُ العَيْشِ إلاَّ صُحْبَةُ الفُقَرَا   هُمُ السَّلاَطِينُ وَالسَّادَاتُ وَالأُمَرَا

---

1 — في الأصل «محال» 2 — في الأصل «والقلب» 3 — في الأصل «كان» 4 — في الأصل «الجانب» تصحيح من ص و جـ. 5 — جـ «صحة». 6 — في الأصل «الناقص». التصحيح من ص و جـ.

---

(41) الآية 63 سورة النور. مدنية.

(42) الطعن فيه

(43) أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي الإشبيلي الشهير بالغوث دفين عباد تلمسان... 549هـ قال المناوي في طبقات الصوفية ولد ببجاية ونشأ بها واشتهر حتى ملأ ذكره الآفاق. شيخ المشايخ وإمام الزهاد. رحل إلى المشرق وأخذ عن عبد القادر الجيلالي وغيره بعد دراسة طويلة بفاس. أنظر أخباره وترجمته في السلوة ج 364/1 ونيل الابتهاج 127 وجمهرة الأولياء ج 208/2 وطبقات الشعراني ج 153/1.

وقال آخر في وصفه :

لله تحت قباب العز طائفة أخفاهم[1] في رداء الفقر إجلالا
هم السلاطين في أطمار مسكنة استعبدوا[2] من ملوك الأرض أقيالا
شعث مفارقهم (44) غبر ملابسهم
جروا[3] على فلك الخضراء (45) أذيالا
(هذي المكارم لاقعبان(46) من لبن
شيبا[4] بماء فعادا بعد[5] أبوالا)
(هذي المناقب لا ثوبان من عدن
خيطا قميصا فعادا بعد أسمالا)[6]

وقال آخر :

عباد الله سادات كرام لهم في الخير إن لاح انبعاث
علامتهم نحول واصفرار وإخفاء وأطمار رثاث
فهم للناس في الدنيا أمان من الأمر المخوف وهم غياث
أبادوا صحبة الدنيا وقالوا طلاقك في شريعتنا ثلاث

وقال آخر

رجال الله قد سعدوا وجازوا ونالوا رحمة المولى وفازوا
رجال طلقوا الدنيا ثلاثا[7] ولو جاز الرجوع لما استجازوا[8]

---

1 — في الأصل «أخفافهم» صححت من ص. و جـ. 2 — في الأصل وفي «جـ» «استبعدوا» صححت من ص. 3 — في الأصل «جبروا». 4 — في الأصل «شيب» تصحيح من ص و جـ. 5 — زيادة من ص و جـ. 6 — زيادة من ص و جـ. 7 — جـ «بتاتا». 8 — في الأصل «استحازوا» صححت من جـ.

---

(44) في الأصل وفي جميع النسخ «مرافقهم» وهذا لا يناسب المعنى والراجح أن الناسخ أخطأ في نقل «مفارق» مفرده مفرق وهو وسط الرأس الذي يفرق فيه الشعر.

(45) الخضراء : السماء

(46) القعب القدح الضخم

بَـدَا عَـلَـمُ الـنَّـجَـاةِ فَـمَـيَّـزُوهُ ... يُـحَـرِّكُـهُـم بِـدَارٍ وَانْـحِـفَـازُ[1]

فَـبَـعْـضٌ تُـشْـرِقُ[2] الأَمْـصَـارُ[3] مِـنْـهُ ... وَبَـعْـضٌ يُـسْـتَـنَـارُ[4] بِـهِ الـمَـفَـازُ

تَـمَـيَّـزَ كُـلُّ ذِي دِيـنٍ بِـدُنْـيَـا ... وَهُـمْ لَـهُـمْ بِـدِيـنِـهِـمُ امْـتِـيَـازُ

وَمَـا عَـزُّوا بِـمَـخْـلُـوقٍ وَلَـكِـنْ ... لَـهُـمْ بِـالـخَـالِـقِ[5] الأَحَـدِ اعْـتِـزَازُ

أَرَدْتُ لِحَاقَهُمْ فَعَجَزْتُ عَنْهُمْ ... وَحِدْتُ عَنِ الإِجَازَةِ إِذْ أَجَازُوا[6]

أَتَـطْـمَـعُ بِـاللِّحَاقِ وَلاَ نُـهُـوضٌ ... وَتَـفْـرَحُ بِـالـرَّحِـيـلِ وَلاَ جَـوَازُ

وَأَنْـتَ أَخُـوهُـمْ نَـسَـبـاً وَلَـكِـنْ ... طِـرَازٌ فَـوْقَ ذَاكَ وَلاَ طِـرَازُ

دَعِ الـدُّنْـيَـا فَـلَـسْـتَ لَـهَـا بِـنِـدٍّ ... وَهَـلْ تَـخْـفَـى الحَـقِـيـقَـةُ وَالْـمَـجَـازُ

(انتهى إلى ربك المنتهى ، والحمد لله تعالى وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، من خط شيخنا القدوة الإمام نبراس الهدى أقر الله طرفه برضاه في دار السلام وآوانا وإياه بجوار خير الأنام ، في دار الهنا والإكرام. تمت بحمد الله)[7]

---

1 — في لأصل «والحفار» 2 — في الأصل «تنشر» صححت من «جـ». 3 — في الأصل «الأنهار». 4 — في الأصل «يستتر». 5 — في الأصل «الخالق» 6 — جـ «جازوا».
7 — خاتمة من كلام الناسخ انفردت بها النسخة المعتمدة مخطوطة تمكروت ق 950.

الرسالة الثامنة

الرسالة إلى المقدمين

جواب لليوسي يضم كلاما كثيرا عن الزيارة للزاوية والشيخ ثم يتطرق لموضوع الصدقة والعطاء من المريد والمحب للشيخ.

مخطوطات الرسالة :

لهذه الرسالة ست نسخ مخطوطة منها واحدة مبتورة.

الأولى : مخطوطة مكتبة الزاوية الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 من ص 270/259 ورمزها « ق »

الثانية : مخطوطة المكتبة الكتانية كـ 1138 بالخزانة العامة من ص 32 — 39 رمزها « ك »

الثالثة : مخطوطة مكتبة الكَلاوي جـ 612 بالخزانة العامة بالرباط ورقة 52 — 56 رمزها « جـ »

الرابعة : مخطوطة الأوقاف د 2010 بالخزانة العامة بالرباط من ص 41 — 51 رمزها « د »

الخامسة : مخطوطة من مكتبة الفقيه محمد التطواني بسلا من مجموع غير مرقم رمزها « م »

---

(1) المقدم في اصطلاح الصوفية في المغرب هو في رتبة أقل من رتبة الشيخ يكون خاصة في الزوايا لإرشاد المريدين والقيام بحاجيات الزاوية المادية والمعنوية.

السادسة : مخطوطة الأوقاف ق 950 بالخزانة العامة من ص 262 — 267 وهي نسخة غير تامة. نصفها الأول ملخص . ونصفها الأخير بالنص . ولم اعتبرها في المقارنة لهذا السبب . ولكنني استأنست بها.

وصف المخطوطات :

سبق وصف مخطوطة الزاوية الناصرية « ق » ونص الرسالة فيها أكثر أمانة وأقل أخطاء وعليه اعتمدت كأصل ونقلت منها المتن.

أما مخطوطات « م » و « د » و « ك » فهي سليمة أيضاً نسبياً وخطها مغربي لا بأس به وإسقاطاتها قليلة وهي خالية من كل توثيق أو تعليق.

أما مخطوطة « جـ » فقد سبق وصفها هي أيضاً وهي كما نعلم مشحونة بالأخطاء والإسقاطات والتحريفات .

أما مخطوطة «ق» فخطها رديئ ولكني استفدت منها مع ذلك .

من الحسن بن مسعود[1] اليوسي إلى أخينا في الله المقدم الفاضل الحاج علي . وأخينا الفاضل[2] النبيه سيدي أبي القاسم بن معمر أصلحكما الله بمنه سلام[3] عليكما وعلى من تعلق بكما ورحمة الله وبركاته . وعلى سائر الإخوان ممن اشتملت عليه الحضرة (المراكشية)[4] وعما انضاف إليها فإني أحمد إليكم الله الذي لا إلاه إلا هو . أما بعد.

فكيف أنتم مع الوقت الصعب . نسأل الله تعالى أن يشغل بواطنكم بذكره وشكره . وظواهركم بخدمته والسعي في مرضاته[5] . ويعصمكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن آمين.

أما أنا فقد عافاني[6] الله تعالى له الحمد وله الشكر . غير أن الضعف قد طال بي . وأنا الآن بحمد الله في راحة . وطرق أذني مُنْذُ نقهت من مرضي كلام في ناحيتكم تعين تنبيهكم[7] عليه فلم يطلق الله تعالى لساني به[8] إلاّ اليوم. وذلك أني قد سمعت أنكم تفعلون في زيارتكم فعلاً لا يرضي . وكنت نهتكم عليه قبل اليوم . وأنكم لم تكفوا عنه . بل سرتم مع عادة أبناء[9] الزمان « ولا خير[10] في/العادات ما[11] لم توافق حال السادات » ص 262

وصورة ذلك الفعل أنكم إذا نهضتم إلى الزيارة تتقدمون إلى كل من ينتسب نسبتكم فتقولون له اعطنا[12] حقك من الزيارة . وتدقون عليه باب داره ليخرج . أو تطرقونه[13] في حانوته . وربما رأى منكم شدة . فاستسلف ما يعطيكم . أو استخفى عنكم كما[14] لو نزل مَغْرم (1) . ثم قد[15] يريد الواحد

---

1 — في الأصل « المسعود » صححت من بقية النسخ . 2 — ك « الفضيل ». 3 — ج « وسلام »
4 — زيادة من « م » 5 — ج « وأسعد مرضاته ». 6 — ج « عفاني ». 7 — ج « تبهكم »
8 — ك « به لساني ». 9 — ج . إسقاط « أبناء ». 10 — ج « لا غير ». 11 — ج أسقط « ما » 12 — في الأصل « اعطني ». 13 — ج « تطرقون » 14 — ج « كم » 15 — ك. أسقط « قد »

---

(1) المَغْرَمْ والغُرْمْ ما يعطى من المال على كره . الضرر والمشقة

منهم أن يستصحب صدقته[1] حتى يدفعها بيده فتمنعونه[2] من ذلك وتقبضونها منه وتقولون : إنَّا نريد ما نُزين به وجوهنا ، أو ما يُرَى ، ونحو هذا. فهذا كله قبيح ، إن وقع منكم فاتركوه ، ولا تعودوا إليه . فإني أبرأ من كل من يشتغل بذلك أو مثله ، فإن ذلك يَدخل حرجاً في قلوب الفقراء ويضيق صدورهم ، ويكرِّه لهم طريق الله تعالى ، وربما نبذوها ، وربما دفع الواحد منهم ما دفع عن غير رضى منه فيكون حراماً ، ويكون قد غش الزاوية بإدخال الحرام فيها ، وأنتم السبب في ذلك ، فاتركوا هذه الطرقات ، ولا تظنواْ أن المقدم يكون بمنزلة الوالي على بلد يأخذ جبايته ويجمعها إلى من وَلاَّه ، معاذ الله أن تكون طريقة الصالحين هكذا.

فليس مقدم الفقراء متقدماً لقبض الصدقات ، وجمع حُطام الدنيا ، بل لإرشاد الإخوان ، والسعي في مصالحهم ، في دينهم ، فمن[3] دفع له صدقة قبضها على أنه قد تسخر (2) له في إيصالها إلى محلها وإن لم يدفعوا[4] له ذلك فكرامة. فإذا بلغ المحل أدخلهم[5] فدفعوا صدقاتهم ، وإن جاء بشيْ من عنده دفعه كالواحد منهم . وليس عليه[6] جباية يطلب بها . (و)[7] وجهه يتزين بتقوى الله والدؤوب[8] على طاعته مع صدق التوجه/وصفاء السريرة . ولو قدم على الناس رجل على هذه الصفة لتنعموا برؤية وجهه ، ولم يكن[9] شيْ عندهم في الدنيا أزين من وجهه ، ولا يتشوفون إلى أن يأتيهم بدنيا[10] بل هم يطلبون مِنْهُ قبولها . جعلنا الله وإياكم منهم ، وحشرنا معهم آمين.

ص 261

ثم الصدقة لاشك أنها من جملة مصالح الفقراء (3) في دينهم كما سنُنَبِّهُ[11] عليه إن شاء الله . فإن كان ولا بد من تعرض المقدم لها كسائر المصالح

---

1 — جـ « صدقة ». 2 — كـ « تمنوه » 3 — كـ « فقد » جـ « لو ». 4 — كـ « يرجعوا ».
5 — جـ زيادة « فيه ». 6 — جـ « عليهم ». 7 — زيادة ليست في الأصل موجودة في سائر النسخ ويتطلبها السياق . 8 — كـ « الرؤوف » 9 — جـ « عندهم شيْ » 10 — جـ « أيدينا »
11 — « د ». « م » « منتبهم ».

---

(2) سخره : كلفه عملاً بلا أجرة
(3) يعني المريدين أهل الطريق

فعلى وجه جَمْليٍّ (4) لا يقع فيه محذور . وذلك أن لا يزال يُدخلها فيما يعظهم به من الخير . ويحرضهم عليه من البر. فإذا عزم على التوجه للزيارة فليجمعهم في الزاوية . أو حيث يتفق اجتماعهم . فيعلمهم بالسفر أولاً ويقول : إنَّا متوجهون إن شاء الله للزيارة ، فمن استطاع منكم أن يزور فليتهيأ ليوم كذا أو شهر كذا . ثم يقول : ومن كانت عنده صدقة فليهيئها . فمن أراد أن يدفعها إلينا كفيناه أمرها إن شاء الله . ومن أراد أن يمسكها بيده حتى يدفعها . فبها[1] ونعمت . وأنتم بالخيار. ومن لم يستطع أو لم يجد شيئاً فليزر بنيته مع الاخوان . فإن الصدقة[2] ليست بفرض ولا شرط . وإنما هي أجر ومنفعة لمن فعلها . فهذا غاية ما يقع به تنبيه الفقراء عندما يحتاجون إلى التنبيه . ويكون ذلك على وجه التيسير وغاية الرفق . وهو الوجه الجملي على ما ذكرنا . أحسن وأسلم . من مخاطبة كل واحد . حتى يقع له الخجل أحياناً والغضب أحياناً. وكذا هو أسلم من ضَرْبٍ ذلك بينهم . على أن كل واحد يدفع كذا . فإن هذا قبيح لاختلاف نيات الناس/واختلاف أحوالهم في القوة والضعف . وقد يقول القائل : إنهم إذا لم يفعلوا ذلك ولم يتعاقدوه[3] بينهم[4] . فكثير منهم لا يعطي شيئا فنقول :

ص 262

من لم يعط فإنما حرم نفسه من الخير . وما ضَرَّنا. والزاوية بالله قامت من حيث شاء لا بعطاء[5] فلان مخصوص ، وإنما علينا حقه في أن نُنَبِّهَهُ لئلا يفوته الخير . رجاء أن يَتَصَفَّى[6] من صفة البخل . ويكفينا في تنبيهه والخروج عن عهدة[7] حقه . تعليمه ما وقع في حكم الصدقة وفضلها ، ووعظه بذلك . إما وحده أو في جملة الناس . وحيث انتهى بنا الكلام إلى هذا المعنى فلا بد أن ننبهكم على أمر الصدقة لئلا تقع الغفلة عنها جهلاً أو اغتراراً بالكلام السابق . فإن شح النفس الطَّبْعِيَّ (5) يتقاضى لها المبادرة إلى التعلل ويكون الكلام في مقامين : الأول : في فضلها. الثاني : في نية المتصدق.

---

1 — ك. جـ. د « فيه ». 2 — في الأصل « الطرقة » 3 — في الأصل « يتعاقدوهم » صححت من بقية النسخ. 4 — جـ أسقطت « بينهم »

---

(4) جَمَل جملا الشئ جمعه وقام به من غير تفصيل
(5) الطبعي الذي يرجع إلى الطبع البشري أي السجية التي جبل عليها الإنسان

أما الأول :

فلا يخفى أن فضل الصدقة عظيم . وذلك معلوم من الدين بالضرورة ودل عليه الكتاب والسنة وإجماع المسلمين . وقد وعد الله تعالى عليها بمضاعفة الأجر . قال تعالى : « مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ في سبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سنابِلَ ؛ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ » (6). ووعد أيضاً بالخلف في الدنيا. قال تعالى : « ومَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ » (7). وقال تعالى : « ومَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ » (8) فمن ابْتُلِي بالشح فلا فلاح معه . ولو اشتغلنا بجلب النصوص طال علينا الكلام . مع أن ذلك واضح معلوم . فالشح هو باب الخيبة والخسران . وسمة الرذالة والنقصان . ولا سيما الفقير/كما قال ص 263 الشيخ أبو مدين (9) نفعنا الله (به)[1]أقبح من كل قبيح صوفي[2]شحيح. فبذل الفقير للدنيا دليل سعادته ووصوله الى الخير . وشحه بها[3] دليل على ضد ذلك نسأل الله العافية . فلا يكون أبداً[4] الممسك كالمنفق عند الله تعالى، بل المنفق أفضل[5]لما قررنا. وكذا لا يستويان عند الناس خاصتهم وعامتهم . فكل من أتى بصدقة أو هدية إلى شيخه أو إلى أخ[6]من إخوانه فلا بد أن يكون عنده أفضل ممن لم يأت بذلك من وجوه **الأول** أنه أفضل شرعاً كما مر. **الثاني** أنه فعل طاعة **الثالث** أنه وافق على خير **الرابع** أنه تشبه بأهل الخير **الخامس** أنه أعان على الخير **السادس** أنه تطهر من بعض النجاسة . فإن الدنيا كلها نجاسة **السابع** أنه حصل بعض الزهد في الدنيا ولو بالقدر الذي أعطى . فإنه لو لم

---

1 — زيادة من بقية النسخ 2 — ک « وفي »° 3 — ک « به » 4 — جـ أسقطت « أبداً ».
5 — جـ أيضاً « بدل » أفضل 6 — في الأصل « آخر »

---

(6) من الآية 261 سورة البقرة . مدنية
(7) من الآية 39 سورة سبأ . مكية
(8) من الآية 16 سورة التغابن. مدنية
(9) سبقت ترجمة أبي مدين أنظر ترجمته ص 384 . التعليق رقم 43 .

يزهد فيه لم يعطه. **الثامن** : إن دفعه للدنيا دليل على أن جناب الله تعالى وما يطلب من[1] الدين أحب إليه منها . بخلاف الممسك[2] **التاسع** إن ذلك أيضاً دليل على أنه يحب شيخه أو أخاه وما جزاء المحب[3] إلاّ يُحَب **العاشر** أنه أتى البيوت من أبوابها فإن هذا هو باب الفتح والنجح إلى غير هذا من الوجوه وفيما ذكرنا كفاية.

ثم إن المبذول له المال[4] يقوم بحق الباذل في الدعاء وغيره . أكثر ممن لم يبذل . ولا إنكار عليه في[5] ذلك . بل هو حق عليه وذلك من أوجه : الأول : أن يراه أفضل كما مر[6] فيقوم به أكثر. الثاني أن قيامه به حق لازم بخلاف غيره فإنه تطوع . وذلك أن المكافأة مطلوبة . ففي الحديث « مَنْ أَسْدَى إِلَيْكُمْ/مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ » الحديث (10) فكل من خدم شيخاً أو أخاً ص 264 بنفسه أو ماله فقد ثبت له حق عليه يقضيه . ومن لم يصنع شيئاً فلا حق له إلا ما يكون من الإحسان . وقال ﷺ . يوم غضب لأبي بكر « إِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَذَبْتَ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ وَوَاسَانِي[7] بِنَفْسِهِ (11) وَمَالِهِ » فذكر له ﷺ خصلتين شريفتين . استحق بهما الرِّضَى والفوز : تصديقه . بمعنى أنه بادر إلى ذلك ولم تكن له نَبْوَة[8] عنه . ولا صدرت منه جفوة . ثم صدق فِعْلُه قولَه

---

1 — جـ « بين ». 2 — في الأصل ونسخة « م » المسيك . الصواب من بقية النسخ. 3 — في الأصل « من المحب » 4 — جـ . م أسقطت « المال ». 5 — جـ « فإن ذلك ». 6 — ك أسقط « كما مر » 7 — جـ « ورساني » 8 — جـ « نصرة » « م » « نفرة ».

---

(10) جزء من حديث أخرجه البيهقي عن ابن عمر . كما أخرجه ابن داود والنسائي وأحمد عن أبي سعيد الخدري أنظر الترغيب والترهيب ج 199/2.

(11) حديث أخرجه البخاري في المناقب وهو من افراده. ولفظه عن أبي الدرداء قال « كنت جالسا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه فقال النبي ﷺ أما صاحبكم فقد غامر (خاصم) فسلم وقال : يارسول الله إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شئ فأسرعت إليه ثم ندمت . فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك. فقال : يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاث . ثم ان عمر ندمَ فأتى منزل أبي بكر فسأل : أثم أبو بكر ؟ فقالوا لا. فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعَّر (أي تذهب نضارته من الغضب) حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال يارسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين فقال النبي ﷺ إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركولي صاحبي مرتين . فما أوذي بعدها ». انظر إرشاد الساري ج 88/6

وهو أنه صحبه وأنفق ماله ، فخدمه بالنفس ، والمال وهو الخصلة الثانية . فهاتان الخصلتان : التصديق وإنفاق المال أصل عظيم في هذا الباب . وقد عبرت عن أول الحديث المذكور بالمعنى ، بناء على جوازه ، والحديث وقصته (مشهور)[1]. الثالث أنه يجد من طبعه ميلا إليه ، فقد « جُبِلَتِ[2] القُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا » (12) وهذا[3] غير مستغرب في الصالحين ما دامت بشريتهم باقية . وكثير من العوام يعتقدون خلاف[4] ذلك في من يعتقدون صلاحه ، تارة من جهة اعتقادهم أنه زاهد في الدنيا فلا يلتفت إليها ، وحينئذ يستوي من جاء بها ومن لم يجيْ بها ، وتارة من توهمهم أنه لم تبق له شهوة أصلا ، فإنه رباني وكلاهما غلط. أما الأول : فمن أوجه : الأول : أن مطلق[5] الصلاح العرفي لا يقتضي[6] البلوغ إلى مقام الزهد (13) . والتحقيق فيه كما هو صلاح كثير من العباد . الثاني : أن الزهد لا يَقْتَضي لصاحبه أن لا يأخذ الضروري منها : بل ولا أن يطلبه إن احتاج إليه ، أو يفرح بمن جاء به. الثالث : أن الطبع البشري لا يناقض ما طلب من الزهد ، وغيره كما أشارت[7] إليه/الآية الكريمة : « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ » الآية (14). وقال سيدنا[8] عمر رضي الله عنه يوم وضع بساط كسرى بين يديه : اللهم إنك زينت[9] لنا الدنيا أو الشهوات. اللهم إنا لا نستطيع[10] إلا أن نحب ما زينت لنا ، فأعنا على صرفها في حقها. ولا يكاد يخرج العبد عن هذا إلا بالفناء والغيبة . الرابع أن الزاهد يفرح بإقبال الدنيا لا لنفسه بل لانتفاع الغير من دافع وحاضر[11] ولمشاهدة الخير من التعاون على البر وغير ذلك وأما **الثاني** :

ص 265

1 — زيادة من بقية النسخ . 2 — جـ « حملت » 3 — جـ أسقط « هذا » 4 — جـ أسقطت الجملة : « خلاف ذلك — صلاحه » . 5 — ك « أنه يطلق » . 6 — جـ « فيقتني » . 7 — في الأصل « أشرت » التصحيح من النسخ الأخرى 8 — ك « سيده » . 9 — ك « وفيت » . 10 — ك « يستطيع » جـ : « إنا نستطيع » باسقاط « لا » 11 — جـ « خاص » .

(12) حديث أخرجه بن عدي في «الكامل» والبيهقي وأبو النعيم في الحلية : فيض القدير ج 344/3
(13) أنظر مقام الزهد في قوت القلوب ج 491/1 شرحه أبو طالب المكي بكثير من التفصيل.
(14) من الآية 14 سورة آل عمران. مدنية

(15) فوهم باطل . فإن الصالح لو ذهبت شهواته ، فبأي شيء يأكل ويشرب وينكح النساء إلى غير ذلك. وإنما الشهوة التي يرجو الصالح أن تذهب عنه غلبتُها (16) حتى يقع في المحرَّم ، أو يسرف في المباح . فإذا كان غالباً لشهوته قاهراً لها بإذن الله ، لا يصرفها إلا فيما أذن الله[1] له . فلا بأس عليه وهو من أكابر الصالحين ؛ وشاع في ألسنة عوام الفقراء أن بعض المشايخ القرباء[2] العهد كان يقول : كنت أريد أن أسوي[3] بين من جاء بالشيء ، ومن لم يجئ به ، فلم أقدر . ويتأولون له ذلك على وهمهم ، بأن المراد من جاء بالنية[4] ومن لم يأت بها أو نحو ذلك . ولا حاجة إلى التأويل بل هو على ظاهره[5] فإن المحسن لا يساويه غير المحسن لا شرعاً ولا طبعاً . فكيف يقدر أحد أن يبدل طبعه حتى يسوى بينهما . وكيف يجوز له أن يخالف الشرع فيسوي[6] بينهما ؟ نعم . هذا كله فيمن لم يبذل شحاً بالمال وحباً للدنيا . أما من بذلها مثلا في جهة أخرى ، كيتيم . أو أرملة أو جار ، أو محتاج مطلقاً وأن ذلك هو الذي فوت عليه/الإتيان بها إلى شيخه مثلا فلا بأس عليه ، بل قد يكون ما فعله أفضل . ومتى علم شيخه بذلك وجب عليه أن يحمده على [7] فعله ، ولا يفضل عليه من جاء بها إليه. اللهم إلاّ في المكافأة الشرعية كما مر . وكذا الفقير الذي لا يجد ما يأتي به أو لا يَتَيَسَّر له في الوقت ذلك لا بأس عليه في[8] نفسه، ولا في زيارته . وقد يتمنى أن لو كان له مال فيفعل كما فعل المتصدقون فيحصل له ذلك فضلا من الله كما يدل عليه حديث : « لاَ حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ » (17) وحديث : « مَنْ

ص 266

1 — في الأصل « إليه » الصواب من بقية النسخ . 2 — جـ « القربة ». 3 — جـ « نسوى » 4 — جـ « البينة » 5 — جـ « ظاهرة »: 6 — جـ « فنسوا ». 7 — ك زيادة « ما ». 8 — جـ « من » بدل « في »

(15) هو القول أن الزاهد رباني لم تبق له شهوة

(16) في هذا المعنى يقول أبو يزيد البسطامي : ليس الزاهد من لا يملك شيئاً إنما الزاهد من لا يملكه شيء.

(17) حديث : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق . ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » حديث أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود. أنظر إرشاد الساري ج 471/7 وروي بروايات مختلفة عند مسلم. أنظر شرح النووي بهامش الإرشاد ج 96/4

هَمَّ بِحَسَنَةٍ » الحديث (18)

وقد يكون الذي لا مال له راضياً بحاله[1] زاهداً في الدنيا . فيكون رفيع القدر . فإن الباذل للمال قد يكون راغباً[2] في الدنيا أو غير مخلص . والزاهد أشرف منه قدراً . ولا يقوم بذل الدنيا كلها . مع الرغبة فيها . بالزهد فيها . كما أن الراغب فيها مع البذل أشرف من الراغب الممسك . فتنبهوا لهذا لئلا تحتقروا من لا يتصدق قبل أن تعلموا حاله . وباطنه . ثم كل ما ذكرنا من عدم استواء الفقراء في البذل وعدمه عند الشيوخ . إنما هو فيما يرجع إلى الطبع وما يستتبعه من مزيد الاعتناء ولا[3] ينحصر هذا في المال ، بل يكون بالخدمة بالنفس . وظهور المحبة القوية ، ويكون بغير ذلك من مزيد العلم ومزيد الطاعة وسائر الفضائل . فإن كل من يحب الله تعالى يحب من يراه أقرب إليه . بعلم أو عمل ، أو حال . واما كل ما يطلب به الشيخ من مطلق التربية أو التعليم أو النصيحة ، فالناس عنده فيه سواء ، يعطي كل ذي حق حقه ، وهكذا الإخوان بينهم والله المستعان/. ص 267

وأما المقام الثاني (19)

وَهُوَ أَمرُ[4] النِّيَّة ، فاعلموا أن صحة النية لا بد منها وفي الحديث الصحيح :

---

1 — جـ « حالة ». 2 — ك « رضيا ». 3 — جـ زيادة « من لا ينحصر ». 4 — جـ « مر »

---

(18) حديث : « إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك . فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة . وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة . وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة . وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » . رواه البخاري عن ابن عباس ورواه مسلم عن أبي هريرة . أنظر إرشاد الساري ج 280/9 وشرح النووي على صحيح مسلم بهامش الإرشاد ج 391/1 .

(19) كان المقام الأول في فضل الصدقة . وهذا المقام الثاني هو في نية المتصدق .

«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» (20) غير أن نية[1] الصدقة بين سائر المسلمين واضحة إذ ليس فيها إلاّ الإنفاق من الكسب الطيب . والإخلاص . وإنما أردنا أن ننبه على نية الفقير إذا جاء بصدقة إلى شيخه كما مر . أو إلى أخ من إخوانه يعتقد فيه الخير . فلا تخلو من أوجه **الأول** . أن يقصد بها الله تعالى لا غير . إما امتثالا لأمره بالتصدق[2] . واما لأنه رأى أن الله تعالى مقت[3] الدنيا فيمقتها هو أيضاً . من غير أن يلتفت إلى ثواب ذلك . ولا إلى حاجة[4] دنيوية ولا أخروية . ولا أن[5] يبالي من أَخَذَها ولا من أَكَلَها . وهو أشرف الناس . **الثاني** . أن يقصد بها معاملة الله تعالى رجاء الثواب مع العلم بأن الثواب من عند الله . والقبول بحكمه[6] . ولا مدخل للشيخ في شيء من ذلك وهذا أيضا لا بأس به . وهو دون الأول وكلاهما تقبل[7] صدقته . ويقال إنها لله تعالى. **الثالث** . أن يقصد بها أيضاً معاملة الله تعالى . ولكن يطلب حاجة إما دينية كصلاح[8] باطنه أو ظاهره . أو علم أو غير ذلك . وأما دنيوية كامرأة أو دار . وهو[9] في كل ذلك يعتقد أن المعاملة إنما هي بينه وبين الله تعالى . ومنه يرجو الحاجة . فإن قضيت له حمد الله تعالى . وإن لم تقض له علم أن القسمة لم تسبق بها . أو أن الله تعالى اذخر له غيرها . ولا مدخل للشيخ في شيء من ذلك . وهو أيضا لا بأس/به وعلامته ما ذكرنا من رجوعه إلى الله تعالى في كل حال . وألاّ يجد في نفسه منة[10] على الشيخ . ولا يسند إليه[11] فيها أمراً أكثر[12] من الدعاء إن تمكن. **الرابع** . أن يقصد معاملة الشيخ لينال منه شيئاً مما تقدم أو غير ذلك . من مزية أو جاه . فهذا جاهل لا خير فيه ولا في صدقته . فإن كان يعتقد الشيخ أنه هو الذي يعطي وينفع . وقطع النظر عن الله تعالى . فهو مشرك يجب عليه أن يسلم . وإن كان لا يعتقد ذلك ولكن يعتقد أنه وسيلة إلى الله تعالى فالواجب عليه أن يقصد معاملة الله تعالى . ويتوسل بالشيخ .

ص 268

---

1 — جـ أسقط «نية». 2 — ك «التصديق». 3 — «بياض مكان «مقت». 4 — جـ «حالة» 5 — ك أسقط «أن». 6 — ك «حكمة». 7 — جـ بياض مكان «تقبل». 8 — في الأصل «اصلاح» الصواب من بقية النسخ. 9 — جـ بياض مكان «وهو» 10 — في الأصل «منه» 11 — جـ أسقط «إليه» 12 — جـ «أو أكثر»

---

(20) حديث سبق تخريجه أنظر ص 359 التعليق رقم 97

ويعتقد أنه عبد من عباد الله تعالى إن شاء الله قبل توسله ، وإن شاء لم يقبله.

وبالجملة فأقل ما يجب على الفقير إذا جاء بصدقة[1] إلى شيخه أن يكون بمنزلة رجل كان في بيته بالليل ، ثم خطر له أن يتصدق بصدقة لله تعالى ، إما لوجهه خالصاً ، وإما لدرجة ، أو حاجة منه فخرج بها فلقي مسكيناً في ظلمة لا يعرفه فوضعها في يده ، ورجع إلى بيته[2] ، فهذا لا يعتقد في المسكين حولاً ولا قوة ، ولا صلاحاً ، ولا يُتْبعه بمنة ، ولا يرجو منه حاجة أبداً وإنما دفع ماله لله تعالى ، وكل ما يطلبه يرجوه من الله . فهكذا يفعل الفقير إذا وضع الشيءَ في يد[3]شيخه ، فإن لم يكن كذلك فقد غشه ، ولا يحل لمسلم أن يغش أخاه المسلم فكيف أن يغش شيخه ويطعمه الحرام . فتنبهوا لهذا الأمر فكل من يدفع المال لمن يعتقد فيه الصلاح/أو يخدمه معتقداً أن كل[4]ما يطلب من أمور الدنيا[5]والآخرة بيد[6] ذلك الصالح ، غافلاً عن الله تعالى ، فهو جاهل وَمَالُه حرام . وكذا من لا يعتقد فيه ذلك بل يعلم أن الأمر من الله تعالى (ولكن يتوهم أن كل ما يطلبه ذلك الصالح من الله تعالى)[7]يقضيه له ، أو أنه يبلغ على يده إلى الله تعالى سريعاً ، أو يقع له فتح أو تظهر عليه بركة في دينه ، أو في دنياه ، أو عز أو قبول أو نحو ذلك ، وأنه لولا ما يرجو من ذلك لم يخدمه بماله ولا نفسه ، فهذا كله ماله وخدمته حرام ، وسعيه باطل . وكذا قاصد الرياء والسمعة ، بل الواجب عليه أن يعامل[8]الله تعالى لا غير . ولا بأس بعد ذلك أن يرجو من[9]الله تعالى الانتفاع على يد الشيخ وببركته . ومن علامات إخلاصه ومعاملته[10]لله تعالى كما ذكرنا أن لا يتشوف إلى إطلاع الشيخ على ما فعل من إنفاق أو خدمة ، ولا إطلاع من يبلغ إليه ذلك ، اكتفاءً بعلم الله تعالى لأن المعاملة معه ، ولا أن يتشوف إلى إقبال من الشيخ ، ولا اعتناء ، ولا دعاء أكثر مما وقع لسائر الناس بل يغيب في[11] شُكْرِ الله تعالى والاعتراف بمنته حيث قبل

ص 269

---

1 — جـ أسقط « بصدقة ». 2 — ك أسقط « ورجع إلى بيته ». 3 — في الأصل « يده » الصواب من بقية النسخ. 4 — جـ « كان ». 5 — م أسقط « الدنيا ». 6 — جـ « ليد ». 7 — في الأصل أسقط الناسخ هذه الجملة. 8 — ك « وكذلك ». 9 — جـ « أمن ». 10 — جـ أسقط « معاملته ». 11 — جـ « بشكر ».

منه ذلك ، واستَعْمَلَهُ فيه ، فإن كانت له نية مع الإخلاص بأن يرجو مثلا أن يقع من الشيخ عند نظره إلى حاجته دعاء أو انفتاح ينتفع به ، أو أن يلبس حاجته مثلا أو يركبها ليذكره بذلك فيدعو له فلا بأس.

وقد زار الشيخ أبو محمد يسكر (21) الشيخ أبا يَعزى (22) رضي الله عنهما ، فدفع له أبو محمد نعليه[1] وقال له : أريد أن تقبلها مني لتذكرني إذا لبستها[2] ، فتدعو لي والله الموفق.

(إذا قرأتم هذا الكتاب ، فأشيعوه في الإخوان واكتبوا منه نسخة إلى آسفي وأخرى إلى أزمور وغير ذلك والله الموفق والمعين ، وكتب الحسن بن مسعود كان الله له آمين)[3]

---

1 — ك « بلغة ». 2 — ك « ألبسها ». 3 — انفردت النسخة « م » بهذه الزيادة التي لا توجد في الأصل.

---

(21) الشيخ الزاهد سيدي يسكر بن موسى الجوراني — 598هـ أبو محمد الغفجومي نسبته إلى بني غفجوم وهم بربر بتادلا. نشأ بتاجنيت من بلاد تادلا ثم نزل بفاس واستوطنها وتفقه بها وسمع من أبي الربيع التلمساني وصاحب أبا الحسن علي بن حرزهم ، ولقي الشيخ أبا يعزى وأكثر من زيارته وكان اماما عالما في الفقه المالكي وله حواشي على المدونة ، وكان مع غزارة علمه ورعًا فاضلا صالحا ذا جد واجتهاد في العبادة. أنظر أخباره في سلوة الأنفاس ج 164/3 — 165 — 166.

(22) الشيخ الزاهد أبو يعَزّى : بفتح العين وتشديد الزاي ، وبسكون العين وتخفيف الزاي يلنّور بتشديد النون المضمونة أي صاحب النور بالعربية.. قيل أنه من بني صبيح من هسكورة وقيل غير ذلك. كان منقطعا عن الخلق . أسود اللون نحيف البدن. عمّر طويلا . كان قطب عصره . ترجمته واسعة جدا حتى أن الناس أفردوه بالتآليف العديدة كـ : « المُعْزَى في أخبار ابي يعزى » للشيخ أبي العباس أحمد بن القاسم الهروي التادلي. توفي بالطاعون شهيداً في أول شوال سنة اثنين وسبعين وقيل احدى وستين وخمسمائة. ودفن بقرية تاغيا. انظر ترجمته طويلة سلوة الأنفاس ج 172/1 .

الرسالة التاسعة

الرسالة إلى أهل بلد كَارت

هذه الرسالة بعث بها اليوسي إلى فقراء كَارت بعد زيارتهم له في غيابه يرشدهم في السلوك والطريق والعقائد والمعاملات.

مخطوطات الرسالة :

لا توجد لهذه الرسالة فيما وصلت إليه إلاّ نسختان مخطوطتان

الأولى

ضمن مجموع مخطوط مكتبة الزاوية الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم قـ 302 من ص 341 — 347 رمزت إليها بحرف « ق ».

الثانية ضمن مجموع مخطوطة مكتبة الكَلاوي بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم جـ 612 من ورقة 42 ظ — 45 و رمزت إليها بحرف « جـ »

وسبق أن وصفت المخطوطتين « جـ » و « ق » في معرض التقديم لهذا البحث. و « ج » في هذه الرسالة أيضا إسقاطاتها وتحريفاتها لا تحصى لذلك اعتبرت « ق » نسخة معتمدة ومنها نقلت النص.

وأشير إلى أن أستاذي المشرف نبهني على نسخة مخطوطة أخرى من هذه الرسالة في معرض المخطوطات المغربية لسنة 1977/1976 تحت رقم 6 تطوان في ملك السيد محمد الأمين بوخبزة . ولم أتمكن من تصويرها ولكنني قارنتها مع نص « ق » فلم أقف على اختلاف يذكر بين النصين.

(وردت جماعة من أهل بلد «كَارت» على الدار فوجدوه غائباً فكتب لهم هذا الكتاب تسلية لهم وأيضاً بما يجب)[1]

(بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه)[2]

من عبد الله تعالى الفقير إليه الحسن بن مسعود اليوسي كان الله له[3] إلى جماعة الاخوان أهل «كارت» ومن انضاف إليهم خصوصا الجماعة الذين وردوا على الدار في غيبتنا . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فنسأل الله تعالى أن يصلح أحوالكم ويبلغ /آمالكم **ص 342** فإن زيارتكم للدار هي عين الزيارة . إذ المراد الخطوات نسأل الله تعالى أن يتقبلها منكم ويعطيكم بها أفضل الدرجات . وأما قلوبنا فهي إن شاء الله مجتمعة[4] نسأل الله تعالى أن يجمعنا على السّنة والاستقامة . وأوصي الجميع من أني ومن لم يأت بتقوى الله تعالى والجد في طاعته مع الاتباع لسنّة نبيه ﷺ والتسليم لأمره والدوام على ذكره . ومجمع الخير حسن النية . والاجتهاد في أداء الحقوق . وهي **أربعة : حق الله تعالى** باعتقاد الكمال له سبحانه . وتنزيهه عن كل نقص . وأن كل نفع منه تعالى فضل لا وجوب . وكل ضر منه عدل لا ظلم . والعمل بأمره . والتسليم لقهره والرجوع إليه في كل حال.

وحق النبي ﷺ باعتقاد عصمته . وصدقه في كل ما أخبر به . وتعظيم جنابه غاية التعظيم . واعتقاد أنه هو باب الله من لم يدخل منه لا يدخل . واتباع سنته قولاً وفعلاً واعتقاداً وذلك هو سبب الفلاح والنجاة لا غير . كما قال شيخ الطائفة أبو القاسم الجنيد — رضي الله عنه — الطرق كلها[5] مسدودة عن الخلق إلاّ من اقتفاء[6] آثارد ﷺ. ولا بد من اعتقاد عصمة (جميع)[7] الأنبياء وتعظيمهم وكذا الملائكة على جميعهم السلام.

وحق الشيخ بالتزام اتباعه في طريقته واعتقاد طاعته في ما يشير به وموالاته .

---

1 — تقديم انفردت به «ق» وهو من قول الناسخ 2 — زيادة في «جـ». 3 جـ أسقط «كان الله له» 4 — جـ «محتمة». 5 — جـ «كله». 6 — جـ «اقتدى أثره». 7 — زيادة من «جـ»

والتأدب معه في الحضور والغيبة . وخدمته بالنفس والمال وتعظيمه. وبقدر ذلك يحصل الانتفاع. **وحق سائر المسلمين** : أما خاصهم كمشايخ الإسلام وعلماء الملّة
ص 343 وسائر الصالحين/فبالاسماع[1] والتوقير والإكرام. وكالوُلاة ومن في معناهم فبالتسليم لهم وإنزالهم منازلهم . وكالوالدين ومن في معناهما[2] من عمّ وأخ كبير ووصي فبالبر والاحترام والاسماع. وأما عامة المسلمين[3] فبالنصيحة والشفقة . والرحمة والإحسان . وترك الإذاية وتفاصيل الحقوق كثيرة مبسوطة في الشريعة . وعلى كل من أراد نجاة نفسه أن يسأل ويتعلم . فالله لا يعبد بالجهل.

وأُوصي[4] المقدم خصوصا بالتواضع فلا يرى لنفسه قيمة بل يرى نفسه خديماً للفقراء . ويرى لهم الإحسان في قبوله ويرى لله المنة في جعله أهلاً لخدمتهم . وعليه أن ينصحهم بالرفق ويخاصمهم بالتي هي أحسن . ويبشر ولا ينفر . ويصدع بالحق ولا يداهن . وعلى جميع الإخوان الاسماع والطاعة له[5] واحترامه وتوقيره وإنزاله منزلة الشيخ في السمع والطاعة . ومن رد قوله فقد ردّ قول الشيخ . ومن خرج عن أمره فقد خرج عن أمر الشيخ . وإنما يصلح الأمر بالاتفاق على الخير والتعاون على البر والتقوى . وأوصي الجميع بالإنصاف والرجوع إلى الحق[6] وبالتراحم والتعاون وحسن المعاشرة . فيوقر الصغير الكبير . ويرحم الكبير[7] الصغير .\ ويعود (1) الغني على المحتاج . والقوي على الضعيف . ومن زاد بدرجة من علم أو حفظ كتاب الله أو عبادة فعظموه عليها . وأنزلوا كل واحد منزلته . وعليكم بحسن الخلق . وقد قال النبي ﷺ في وصية[8] « اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق
ص 344 حسن » (2) وحقيقة حسن الخلق عند العلماء احتمال الأذى/وكف الأذى.

---

1 — في الأصل « الاستمتاع » الصواب من « جـ ». 2 — جـ « ومن معهم ». 3 — جـ « وما علامتهم » بدل « وأما عامة المسلمين ». 4 — جـ « وأصى » 5 — جـ إسقاط « له ». 6 — في الأصل « الخير ». 7 — جـ زيادة « على ». 8 — جـ « وثية ».

---

(1) عاد يعود عوْداً فلاناً بالمعروف صنعه معه .
(2) سبق تخريج هذا الحديث ص 353 التعليق رقم 83

فحق الفقير أن يحتمل ما يناله من الأذى[1] فلا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح . فلا يخاصم[2] ولا يساب ولا يقاتل ولذلك قيل أين تنبتُ الحبة ؟ فقال[3] في الأرض فقيل وكذلك الحكمة إنما تنبث في قلب مثل الأرض. وقيل : إنما سلكت هذه الطريق بأقوام كنست بأرواحهم المزابل . فالفقير يكون مثل الأرض يصرح عليها الزبل . ويخرج منها النوار والثمار. وحقه أن يكف أذاه عن الناس بل وعن كل موجود إلا بإذن الشرع . فلا يؤذى أحداً في نفسه بالقتل ولا بالضرب ولا بالشتم ولا بالغيبة . ولا بالنميمة . ولا بغير ذلك[4] . ولا في ماله بالسرقة ولا بالغصب ولا بالغش . ولا في غير ذلك . ولا في حريمه بالفاحشة ولا بالنظر ولا بالكلام ولا غير ذلك . ولا في قريبه ولا في عبده . ولا في جاره ولا غير ذلك . ولا يؤذى دابة بالضرب الزائد على الحاجة . ولا بالتجويع ولا بالتعصيش ولا غير ذلك . ولا نملة فما فوقها أو تحتها ولا يقصع نباتا ينتفع الناس به أو دوابهم بغير حاجة . ولا يكسر حجرا ينتفعون[5] به لغير حاجة . فإن ذلك كله إذاية للناس . وسعي في الأرض فسادا[6] « واللهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِين » وهذا الباب لا ينحصر . وما ذكرناه مثالا فقص يقاس[7] عليه ما أشبهه . وحق الفقير أن يقضي الحقوق ولا يقتضيها فكل ما عليه من حقوق الله وحقوق الناس يجهد في قضائها كما ذكرنا أولاً . ومالهُ من الحقوق يتركه لله تعالى للدار الآخرة . مع أن الفقير الصادق لا يرى لنفسه حقاً إذ هو عبد مملوك فالحق لسيده لا له . وعليكم بصون نسائكم وبناتكم وجميع ما تحت أيديكم من أخت وربيبة وغيرهما عن التكشف للرجال لا بالبدن ولا بالكلام. وعليكم باتباع الشرع والسنة في عقود النكاح وغيره . وعليكم بحسن معاشرة النساء وأداء حقوقهن وعدم ظلمهن والصبر على جفائهن وأخلاقهن فإنَّهُنَّ ناقصات عقل ودين » (3)

---

1 — جـ حذف الجملة « وكف الأذى — ما يناله من الأذى ». 2 — جـ « يخاصب ». 3 — جـ « فقيل ». 4 — جـ « ولا غير » 5 — في الأصل « ينتفع ». 6 — جـ « بالفساد ». 7 — في الأصل « يقام ».

---

(3) سبق تخريج هذا الحديث انظر ص 382 التعليق رقم 39

وقال ﷺ « إِنَّ المرْأَة خلِقتْ مِنْ ضِلَعٍ وإِنَّ أَعْوج الشَّيْءِ في الضِّلَعِ أعْلاهُ فإِنْ ذهبْت تقِيمها كسرْتها . وإِنْ استَمْتَعْت بِها على عِوجٍ وكسْرُها طلاقُها » (4).

وأوصي النساء المومنات بالتقوى والتَّستُّر وملازمة البيوت إلا لحاجة مؤكدة فتخرج متنقبة هاربة عن الرجال . وبحفظ المال وطاعة الأزواج وتوقيرهم . فقد قال النبي ﷺ لوْ أمرْتُ أحدا أنْ يسْجُد لِأحدٍ لأمرْتُ المرْأةَ[1] أنْ تسْجُد لِزوْجها » (5) وفي الحديث أيضا « إِذا دعى الرَّجُلُ المرْأة إِلى فِراشِها فأَبتْ فبات عليها غضبانْ[2] لعنتْها الملائِكةُ حتَى تُصْبح » (6) وأوصيهن بإقامة الصلاة في أوقاتها وحفظ ألسنهن عن القيل والقال وحفظ الزوج في غيبته وعدم تكليفه ما لا يطيق.[3]

وعليكم بإكرام الضيف . وملاقاته بالبشاشة والانبساط ولا سيما الإخوان . وإنزال الناس منازلهم . وعليكم بالسخاء والجود . وإياكم والشح . فقد قيل « أقبح كل قبيح صوفي شحيح ». ولا تتكلفوا[4] . فقد قال ﷺ أَنَا وأَتْقِياءُ أُمَّتِي براءٌ مِن التَّكلُّفِ » (7) وكان شيخنا وأستاذنا ومفيدنا أبو عبد الله بن ناصر — رضي الله عنه — يقول نحن لا نبخل بمَوْجود ولا نتكلف بمفقود .

---

1 — جـ « الزوجة » 2 — في الأصل « غضبانا عليها » تصحيح من نص الحديث و جـ. 3 — في الأصل « لا يطاق ». 4 — في الأصل « تكلفوا ».

---

(4) من حديث رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وفيه زيادة واختلاف عند لفظ البخاري وكذا لفظ مسلم أنظر إرشاد الساري ج 8/78 — 79 وشرح النووي على مسلم بهامش الإرشاد ج 6/243 والمغني بذيل الإحياء ج 2/46

(5) أخرجه الترمذي بزيادة « من عظم حقه عليها » وابن حبان من حديث أبي هريرة وأبو داود من حديث قيس بن سعد . وابن ماجة من حديث عائشة . أنظر المغني ج 2/57

(6) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة أنظر إرشاد الساري ج 8/96 وشرح النووي على مسلم بهامش الإرشاد ج 6/189

(7) أخرجه الدار قطني في الأفراد من حديث الزبير بن العوام وإسناده ضعيف أنظر المغني بذيل الاحياء ج 2/189

ص 346 وقد أفادت/عبارة الشيخ — رضي الله عنه — أن التكالف[1] في هذه المسألة إنما هو تكالف الإنسان ما ليس عنده بالتداين . أو المسألة . او نحو ذلك على وجه التصنع والتظاهر بما لم يكن عنده. فأما من أعطى كثيرا من الخير الذي عنده بصيب نفس أو بمجاهدتها لتتصفى من الشح . فلا يدخل في التكالف . وإن فعل[2] من الخير ما عسى أن يفعل ولذلك لما قيل لبعض السادات وقد أكثر الخير : لا خير في السرف . قال لا سرف في الخير. وكذلك من كانت له حالة مع الله تعالى في التوكل وقوة الرجاء . ويتداين على الله تعالى . فلا يدخل في التكالف لأن مثل هذا[3] يقضي الله عنه فهو ينفق من خزائن الغيب . وهو مليْ بربه تعالى.

وعليكم بتعظيم أهل البيت . وتعظيم العلماء والصالحين . وتحسين الظن بعباد الله . ولا سيما المتنسبين إلى الله تعالى . فأحبوا الجميع بحب الله . ولا تتبعوا إلا من صح علمه ودينه . وإن رأيتم بدعة فاجتنبوه . ولا تجادلوه. فإنه قلما يرجع عنها فتقعون في الفتنة.

واتركوا الناس وما أقامهم الله فيه . فمراد الحق منهم ما هم[4] عليه . ولا تنكروا . بل ولا تعظوا إلاّ من التزم طريقتكم أو رجوتم منه الاستماع[5] وقبول النصح ودعوا أبناء الطوائف[5] فلا تماروا وسلموا[6] لكل واحد عِلْمه إلاّ من يرضى بعلمكم . وعمَلَه[7] إلاّ من يرضى بعملكم . وإن رأيتم ذا طريقة صحيحة مرضية من غيركم فسلموا له واحترموه ولا تتبعوه . وإن خالفت طريقته ص 347 طريقتكم فإن الطرق إلى الله شتَّى وإنما ينفع التزام/طريقة واحدة ، ومن يتردد في الطرق لا يصل إلى شيْ . ولذا قالوا الفقير كالنحلة . يرعى من كل نَوْرٍ ويروح إلى جبحه . وهو شيخه . وإلاّ لم ينتفع بعسله. وهذه كمسألة الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام —. فإنَّا نومن بجميعهم ونصدقهم ونعظمهم . ونعلم أنهم على الحق . ولكن لا نتبع إلاّ واحداً وهو نبينا ومولانا محمد ﷺ لأنه هو نبينا ونحن أمته.

---

1 — جـ « تكليف ». 2 — جـ أسقطت « وإن فعل » 3 — جـ أسقطت « هذا » 4 — جـ « لا » بدل « هم ». 5 — جـ أسقطت الجملة « الاستماع وقبول — الطوائف ». 6 — جـ أسقطت « وسلموا ». 7 — جـ « وعلمه ».

ونؤكد على حملة القرآن وأهل الفقه من إخواننا أن يجتهدوا بالتأدب[1] بهذه الآداب . والاستماع للنصح . وعدم الخلاف أكثر من غيرهم فهم أولى الناس بها . وقد قال النبي ﷺ « مَنْ ازْدادَ عِلْما ولَمْ يَزْدَدْ زُهْدا[2] لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إلاَّ بُعْداً » (8). « وَأَشَدُّ النَّاسِ عذاباً يَوْم القِيامةِ عالِمٌ لَمْ يَنْفَع ِ النَّاس بِعِلْمِهِ » (9) نسأل الله تعالى لنا ولكم[3] التوفيق.

وعليكم بالتعلم والسؤال عما لا تعلمون ولا تكتفوا بعقولكم . وقلدوا الفقهاء في الأحكام الشرعية من الديانات والحلال والحرام . والمتكلمين من أهل السنة في العقائد الدينية . ولا تقلدوا في الآداب وصلاح القلب إلا أرباب القلوب. وعليكم بالصدق والمحبة فيهم فقد قالوا : شروط الفقير ثلاثة : الصدق . والأدب . والتعطش . وقالوا اجعل عملك ملحاً وأدبك دقيقاً . وقالوا : التصوف كله أدب . لكل وقت أدب . ولكل حال أدب[4] فمن لزم الأدب بلغ مبلغ الرجال . ومن ضيع الأدب فهو مردود من حيث يظن القبول . إلى غير ذلك.

وفي هذا القدر كفاية والله تعالى يجعلنا وإيّاكم من المتأدبين المنتفعين . والواصلين غير الراجعين[5] . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم (تسليماً وما توفيقي إلا بالله . عليه توكلت . وإليه أنيب . وأفوض أمري إلى الله . إن الله بصير بالعباد . ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العظيم. حسبي الله لا

---

1 — جـ « بالتأذيب ». 2 — الأصل « هدى » صححت من جـ ومن نص الحديث. 3 — في الأصل « ولهم ». 4 — جـ أسقط الجملة : « لكل حال أدب ». 5 — في الأصل « المراجعين ».

---

(8) أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي باسناد ضعيف وروى ابن حبان في روضة العقلاء موقوفا على الحسن « من ازداد علما ثم ازداد على الدنيا حرصاً لم يزدد من الله إلا بعداً » أنظر المغني بهامش الإحياء ج 59/1

(9) رواه الطبراني في الصغير والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف. أنظر المغني بذيل الإحياء.

إلاه إلاّ هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. حسبي الله ونعم الوكيل.
— وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما —. اللهم وفقنا
للخير واعنا عليه بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه)[1]

---

1 — زيادة في نسخة «جـ»



رسالة في التربية الصوفية

هذه الرسالة عبارة عن جواب على كتاب بعثه بعض الصلبة . وهي تتناول دور الشيخ وسلوك المريد . والكرامات وغير ذلك من المواضيع التي تناولتها رسالة السائل.

مخطوطات الرسالة :

لها نسخة فريدة في مخطوطة مكتبة الكلاوي بالخزانة العامة تحت رقم جـ 612 من ورقة 49 ظــ 52 و. وهي التي أرمز إليها بحرف « جـ »

وهذه المخطوطة كما هو معلوم مشحونة بالأخطاء الفادحة التي تجعل النص في بعض الأحيان لغزا لا يحل . فالتحريفات كثيرة جدا والإسقاطات كذلك مما يخل بالمعنى في أغلب الأحيان.

وقد استأنست بنسخة جزء من هذه الرسالة من مجموعة الرسائل الصوفية التي في ملك السيد محمد الأمين بوخبزة بتصوان وقد أثْبتتُ هذا الجزء من مقدمة الرسالة من قوله : « أما الشيخ المذكور .... » حتى قوله « .. بكل شيْ محيط ».

ثم الجزء الخاص بالسماع ونداء الشيخ من قوله : « وأما تحرك المريد عند السماع ... » إلى قوله « مخافة زوال الحيا » وقد رمزت إليها بحرف « ب »

فأجابه — رضي الله عنه — وبرد ضريحه . وأسكنه من الجنان فسيحه بما نصه بعد البسملة والصلاة على النبي ﷺ بقوله :[1]

أما حكم الشيخ فاعلم أن كل مكلف . جهل مسألة في دينه . فلا بد أن يطلبها ويسأل عنها وكل من علمه إياها فهو شيخه فيها مباشرة أو بواسطة[2] وهذا واجب. وأما الشيخ(1) المذكور في طريق التصوف فهذا لابد منه في حق المريد السالك إن لم يكتف عنه بأخ[3] صالح. وقد اختلف المتأخرون (2) في الاكتفاء عنه بالكتب فقيل نعم إن كان ذكيا . وإن كان غبيا فلا بد له من شيخ وهو أكمل على كل حال . وقيل : . يختلف ذلك باختلاف المجاهدات (3) في مجاهدة التقوى لا يجب . ولكن وجوده أحسن . وفي مجاهدة الاستقامة كذلك . وهو فيها أوكد . وفي مجاهدة الكشف/أعني طريق تجريد النفس عن رذائلها ورعوناتها لتتمكن فيها الحقيقة . واجب . اللهم إلا أن يغني الله تعالى عنه بالجذب . والتراخي (في طلب الشيخ)[4] لا يذكر في الدين . والتوسط عند الضرورة لا غنى عنه.

ص 51 و

وأما الزيارة فليست من ذاتها واجبة . وإنما المراد ملاقاة الشيخ ومشاهدته[5] للإستفادة منه . وكان من حق المريد إذا صحب شيخا ألا يفارقه طرفة عين . لأنه يستفيد من قوله ومن فعله . ويستمد من مشاهدته . فلا ينبغي له أن يفارقه لو أمكنه ليلا ونهاراً . حتى يكمل ويأذن له في الفراق . كما أن الرضيع لا يفارق

---

1 — تقديم من قول الناسخ . 2 — في الأصل « مباسطة » صححت بما يناسب السياق . 3 — في الأصل « باع » 4 — زيادة من النسخة المختصرة « ب » 5 — في الأصل « ومنها هدية » التصحيح من « ب ».

---

(1) **سلوك الطريق رياضة للروح والنفس والبدن وبحسب علم المرتاض أو جهله يكون احتياجه إلى الشيخ ويشترط في هذا الأخير العلم والتحقيق والسلوك.**

(2) **أثير هذا الموضوع في أواخر القرن الثامن الهجري بالأندلس وكان ممن أدلى بالرأي فيه العلامة ابن خلدون. أنظر كتاب « شفاء السائل لتهذيب المسائل » تحقيق الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي**

(3) **المجاهدات هي الرياضات التي يلجأ إليها السالك لإزالة الحجب والاستار والعوائق وهي بدنية ونفسانية منها ضبط شهوات النفس . حمل الأذى . الصفح . الخلوة . الصمت . الجوع . ترك الاسباب الخ وهي تتدرج حسب تقدم السالك في الطريق.**

أمه حتى ينفطم . ولكن ضرورات المعاش تُلْجِئُ المريد إلى الفراق . فمتى أمكنه الاجتماع فلا يفلته طلباً للمعاش الروحاني الذي يبقى له . ولا يعد ذلك بمنزلة فاضل من المسلمين . أو أخ . أو قبر . مما يقول هل زيارته واجبة أو مستحبة كما قررنا لكم . فافهموه.

نعم لو كمل وانفصل عن شيخه ولم يبق له إلا التبرك والمكافاة وقضاء الحقوق . كانت الزيارة إذ ذاك متأكدة لذلك . وتختلف باختلاف الناس قوة وضعفاً . قرباً وبعداً . وبعد الموت إن قام في نفسه بيان أنه باق على التربي والاستمداد منه كحال الحياة فهو كالأول وإلا فكالثاني.

وأما صحبة المريد شيخاً آخر بعد موت الأول . لتكميل ما بقي عليه فهو على أصل الجواز كما يُتخذ للرضيع ضِئر[1] إن ماتت أمه ولكن من المشايخ (من لا يقبل)[2] ذلك . حماية (لقلب)[3] المريد أن يتزلزل أو يضعف . فمن علم من شيخه ذلك فليُمْسك . وحينئذ إن كان شيخه متصرفاً[4] بعد الموت أو ناب عنه قطب الوقت فلا بأس . وإلا فيرجى له ببركة الصدق والوفاء بالعهد . وحسن الأدب . أن يجعل الله له من أمره فرجاً والله بكل شيء محيط.

وأما الورد (4) هل له وقت معلوم إلى آخر المسألة . فذلك أمر موكول إلى الشيخ الذي يعطيه وعلى المريد تقليده . وأما التحدث بالورد إذا كان سراً . وهو ما يكون في طريق الأسماء . أو في طريق الذكر . فلا ينبغي مخافة أن يسمعه من لا يريده فيكون ذلك ابتذال له.

---

1 — في الأصل «ضر» صححت من ب. 2 — بياض في الأصل نقلت ما في «ب».
3 — زيادة من «ب». 4 — في الأصل «منصرفا» صححت من «ب».

---

(4) الورد في مصطلح الصوفية هو عمل يقوم به المريد في وقت من ليل أو نهار ويداوم عليه . والورد يكون صلاة . أو قراءة قرآن . أو ذكراً . أنظر تفصيل ذلك «في قوت القلوب» لأبي طالب المكي ج 168/1

وأما الاجتماع على ذكر واحد فليس من السنة . ولكن إن جرى[1] العمل

ص 51 ظهر بشيء/من ذلك من غير أن يقع معه منكر ولا تغيير سنة متقررة فيُغْتَفر . إبْقاءَ روائح الدين ما أمكن . وأما تحرك المريد عند السماع فلا يكون على اختياره حتَّى ينظر (أيقوم به أم لا .)[2] بل يجب عليه أن يجلس متأدباً مع الحق مجاهداً قلبه في الحضور . فإن نزل عليه وارد بغير اختياره بقي في حكمه حتَّى يرتفع . والمعصوم من عصمه الله . وفي هذا كلام لا يَسَعُهُ المحل .

وأما نداء الشيخ عند الشدة فلا بأس به وليتوسل بجاهه إلى الله تعالى وكيف ما أمكنه التعبير فلا بأس (به)[3] وليحافظ على الأدب.

وأما النظر إلى وجه الشيخ فحسن . ولكن كرهواْ الإكثار منه مخافة زوال الحياء . وأما حضور الشيخ عند موت الفقير أو عند السؤال . أو عند الميزان . فهو من الأمور الجائزة الفضيلة . ولا ينبغي إطلاق القول بامتناعه ولا لزومه . وقد وقع للشيخ زروق في كتبه انكار على من يلزم ذلك . وسألت شيخنا الامام أبا[4] عبد الله بن ناصر — رضي الله عنه — أيحضر الشيخ وفاة المريد فقال الشيخ الكاهل(5) يحضره هو أَوْ رُوحَاني على صورته .

وأما الشفاعة فلا تضبط بل هي فضل من الله تعالى . فجائز أن يُمْنحها وحده . أو له ولغيره . بخصوص أو عموم.

وأما السبحة فهي عمدة الفقير وآلته وشغله[5] . فلا ينبغي له أن يفارقها. وأما[6] إخفاؤها وإظهارها . فعلى حسب نيته[7] فإن خشي رياءً فالإخفاء[8]

---

1 — في الأصل « أجرى » السياق يتطلب « جرى ». 2 — في الأصل « القوم » نقلت ما في « ب ».
3 — زيادة من « ب » 4 — في الأصل « أبو » 5 — في الأصل « وشعلوا » صححت بما يناسب السياق. 6 — في الأصل « وأما وأما » صححت بما يناسب 7 — في الأصل « نيانه ». 8 — في الأصل « فالاخيار » صححت بما يناسب.

---

(5) كاهل القوم سندهم ومعتمدهم.

أولى . وإلا فإن قصد تنبيه غافل أو اقتداء مقتد به[1] فالإظهار[2] أولى . وإلا فسواء الإخفاء والإظهار . ولا بأس أن يظهرها قصد الإظهار الذي دفعا للضرر . كالخوف في الطريق ولا يجوز ذلك لاستجلاب دنيا.

وإما إحضار المعنى عند الهيللة فذلك هو المراد . وهو الأدب الكامل إن أمكنه فإن تعذر فلا يقطع الذكر بل يشتغل . فإن الغفلة في الذكر خير من الغفلة عنه . وأما إفشاء الأوراد[3] [4] جانب فلا ينبغي وقد تقدم.

وأما إفشاء[5] الكرامات فلا بأس به . ولكن للمصدقين السالمين من الحسد . وأما الورد هل يفعل قبل الصبح . فذلك موكول للشيخ الذي يعصيه كما قلنا قبلْ . وأما ما ذكر أنه يفعل[6] تسمية[7] المولود من إحضار الحضرا . وفعل القرعة فلا أصل له ولا عمل عليه . وإنما السنة أن يتخير من الأسماء[8] ما اعجبه فيسمى/به.

52 و

وأما زارع أرض المخزن فينظر في جل ماله . فإن كان حلالا (فليتنزه عنه فضل ليس بواجب)[9] ولينظر[10] في أصل[11] الأرض التي زرعها هل مغصوبة لمالك[12] معين . أم هي من أصل بيت المال على المعلوم . فتكون أخف وفي المسألة تفصيل لا يكفي فيه هذا . ولا يليق ذكره هنا.

وأما الإخوان «بردانة» فأوصيهم أولا بالاجتماع على طاعة الله تعالى والتعاون على البر والتقوى وأن لا تفوتهم مكتوبة في الجامع الأعظم إلا لعذر مانع . ثم بعد أداء المكتوبة فيجتمعون في أي مكان يجدون فيه قلوبهم . ولا يرون فيه مانعا شرعيًا ولا طبعياً ومن رأوا فيه نتيجة علمية أو حكمة[13] فليجتمعوا عليه وتعيينه متعذر إذا لم يظهر.

وأما الأذكار فوردهم جميعا[14] تلاوة القرآن . والصلاة على النبي المصطفى

---

1 — في الأصل أسقط « به » 2 — في الأصل « لإظهار » صححت بما يناسب 3 — في الأصل « الأورا ». 4 — بياض في الاصل . 5 — في الأصل « فشاء ». 6 — بياض في الأصل.
7 — في الأصل « أسمية » صححت بما يناسب. 8 — بياض في الأصل 9 — جملة لم أفلح في حل ألغازها. 10 — في الأصل « ولينصر » 11 — في الأصل « أهل » والسياق يتطلب أصل.
12 — في الأصل « المالك »13 — بياض في الأصل . 14 — في الأصل « جمع » صححت بما يناسب السياق.

عليه الصلاة والسلام فيه الكفاية . والكتب كلها صالحة . ولكن بحسب قوة الفقراء . فالمبتدئون تصلح لهم في عقائدهم « بداية الهداية » للإمام الغزالي.

وفي تصرفاتهم في الظاهر (6) «كتاب المدخل» لابن الحاج (7) وفي الوعظ كتاب ابن الجوزى (8) وبعد ذلك كما قال شيخ المشايخ أبو العباس المرسي[1] (9) كتاب « القوت » (10) يورثك النور وكتاب « الإحياء » (11) يورثك العلم . وكتاب ابن عطاء الله (12) مع شرح الشيخ ابن عباد عليه[2] (12) مشهود النفع . ولكن لا يكون ذلك في الابتداء.

وأما الأيام فبحسب التيسير ويوم الجمعة يوم مبارك

وأما الولد[3] والشيخ . فالكل منهما حق لا ينكر . ولا يجوز أن يضيع . فإن الفقير هو الذي يقوم بالحقوق . ولا شك أن الشيخ أعظم نفعا .[4] وأما الزكاة فتعرف بالوزن الشرعي إجمالا وهو أن الدرهم خمس وخمسون[5] حبة من وسط

---

1 — في الأصل « المربي » بدل « المرسي ». 2 — في الأصل الشيخ بن عباد الله. 3 — في رسالة السائل « الوالد » 4 — في الأصل « نفع ». 5 — في الأصل « خمسون وخمسا حبة ».

---

(6) الظاهر ينقسم إلى أقسام الكلام في الأخلاق ومنشئها وطباعها بحسب القوى النفسانية وإفراطها وتفريطها واعتدالها وعلاجها وفيه المجاهدات.

(7) محمد بن محمد ابن الحاج 737هـ أبو عبد الله العبدري المالكي الفاسي نزيل مصر فاضل تفقه في بلاده وقدم مصر له تصانيف كثيرة منها الكتاب المشار إليه في النص « مدخل الشرع الشريف مطبوع في ثلاثة أجزاء. قال فيه ابن حجر كثير الفوائد كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها الناس. أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 264/7

(8) عبد الرحمان بن علي الجوزي 507 — 597هـ علامة عصره في التاريخ والحديث كثير التصانيف منها «كتاب المدهش» في المواعظ الذي أشير إليه في النص. أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 89/4

(9) سبقت ترجمته انظر ص 207 رقم 311 .

(10) هو كتاب « قوت القلوب معاملة المحبوب » تأليف أبي طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي (386هـ) .

(11) هو كتاب « إحياء علوم الدين » لأبي حامد محمد الغزالي.

(12) هو كتاب « الحكم العطائية » في التصوف لابن عطاء الله الأسكندري. 709هـ شرحه محمد بن ابراهيم الحميري ابن عباد

الشعير. والنّصاب مالنا درهم[1] فمن أراد أن يعرف ذلك في كل درهم فليزنه بما ذكر ليعلم إن ربع درهم شرعي أو نصف[2] أو أكثر أو أقل. فإن كان نصفه مثلا علم أن النصاب منه أربعمائة درهم وذلك عشرة مثاقيل في الصرف. وهكذا. والدنانير اثنان وسبعون حبة من بُر. فليزن به ذلك.

وأما من له دار أو جنان. فيعطى من الزكاة إن لم تقم به على أصله[3] ومن ادعى الحاجة صدق إلا لريبة.

وأما الأفيون: فما لا يسكر ولا يفسد فهو مباح على ما فيه من تغير الطبع. فإن الحازم لا يقْربه. وأما تَبغا فهي حادثة. فلم يوجد فيها نص للمتقدمين. غير ما وقع للمتأخرين/ والأقرب[4] عدم الحرمة. وأنا أقول هي تزرى بالمروءة. فشاربها بين الناس لا تقبل شهادته. وبلغني أن سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي (13) رحمه الله سئل عنها فقال

ص 52 ظ

لا أقول لكم إلا ما قال الشيخ البكري (14) لأصحابه في القهوة: «وقل لأصحابي عن القهوة انتهوا ولا تجلسوا بمجلس هي فيه. فليست بمكروه ولا بمحرم ولكن عدت[5] شراً فكل...[6] وكل من رأينا من أهل الطريق والمنتسبين إليهم يكرهونها ويمقتونها ويمقتون شاربها. ويبالغون في ذلك حتى أنهم يحكمون بأنه من أهل الشمال (15) وإن هذه العشبة هي شعار أهل الشمال عياذاً بالله.

---

1 — «جملة غير مفهومة» 2 — في الأصل «نصفا». 3 — جملة غير مفهومة. 4 — كتب الناسخ هذه الكلمة في أسفل الورقة للتذكير بأول كلمة في الصفحة الثانية ولكنه أغفل نسخها عندما بدأ الصفحة. 5 — في الأصل «عدة شراف كل» 6 — بياض في الأصل.

---

(13) محمد بن أبي بكر الدلائي 967 — 1046هـ عالم حافظ متوسع في التفسير والحديث والكلام. مرسي أركان الزاوية الدلائية. أنظر أخباره في مرآة المحاسن لأبي حامد الفاسي ص 225 — 227 والصفوة 67 — 68 ونشر المثاني ج 1/170 وفي البدور الضاوية لسليمان الحوات.

(14) محمد بن محمد البكري 971 — 1007هـ: أبو المكارم البكري مفتي السلطنة بمصر كان آية في علم التصوف. أنظر ترجمته في الأعلام ج 7/290

(15) ربما عنى النصارى.

وربما حكَوْا عن بعض مشايخهم ممن تقدم عصره قريباً أنه ذكرها وذمها قبل ظهورها . وسمعت من[1] يدعى أن له مع الله حالاً وأنه من العارفين أنها أفسد للقلوب[2] من الخمر . وحكى لي في ذلك حكاية وقعت له مع بعض من يشربها عجيبة ، والله المستعان وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

1 — لعلّها « ممّن » 2 — في الأصل « القلوب »

الرسالة الحادية عشرة

الدّلالة الوافية في الرسالة الأسفية

رسالة إلى أهل ثغر آسفي يرشدهم فيها إلى ما يصلح عقيدتهم وسلوكهم في الطريق.

مخطوطات الرسالة :

لهذه الرسالة ثلاث نسخ حسبما وقفت عليه وهي

الأولى : مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 من ص 333 — 338 رمزت إليها بحرف « ق ».

الثانية مخطوطة مكتبة الكَلاوي بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم جـ 612 من ورقة 50 — 58 رمزت إليها بحرف « جـ »

الثالثة مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 7704 من ورقة 4 ظ إلى 6 و رمزت إليها بحرف « م ».

وصف المخطوطات

سبق أن وصفت مخطوطة الخزانة الناصرية « ق ». وكذلك «جـ» التي أصبحت معروفة لدينا بكثرة أخطائها وتحريفاتها وإسقاطاتها . أما « م » فخطها لا بأس به ولكنها لا تخلو من أخطاء. وقد اعتمدت في نقل المتن على نسخة « ق ».

وتضم مخطوطة الخزانة الملكية ما يلي :

— رسالة لليوسي إلى أحمد بن مسعود البوعمري
— الدلالة الوافية في الرسالة الأسفية لليوسي أيضا
— جواب عن سؤال من لا يتقن النحو هل له أن يفسر القرآن : لليوسي
— براءة اليوسي للمولى إسماعيل

(الدلالة الوافية في الرسالة الأسفية للشيخ الإمام العالم الهمام سيدنا الحسن بن مسعود اليوسي تغمده الله برحمته)[1]

وكتب لأهل ثغر آسفي كتاباً ونصه :[2]

من الحسن بن مسعود اليوسي عفا الله عنه (آمين)[3] إلى جملة من بثغر آسفي[4] حرسه الله ومن[5] حوله من الإخوان والمحبين وسائر المومنين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فإني[6] أحمد اليكم الله الذي لا إلاه إلا هو أما بعد . فإني أوصيكم وإياي بتقوى الله (العظيم)[7] والاجتهاد في طاعة الله واعلموا أن المطلوب من العبد عبادة الله تعالى وهي مجموعة من علم وعمل . والعلم علمان : علم بالمعبود[8] وعلم بما به يعبد فهذه ثلاثة أقسام.

أما القسم الأول : وهو العلم بالمعبود فهو التوحيد . وهو معرفة الله تعالى . فإن الله تعالى هو المعبود ولا معبود/بالحق سواه تعالى . فاعلموا أن الله تعالى موجود غير معدوم . وقديم غير حادث . وباقي لا يفنَى . ومخالف للخلق لا مثل له ولا شبيه . وكلما يتوهم الإنسان في خاطره مما رأى[9] وما لم ير فالله تعالى بخلاف[10] ذلك وقائم بنفسه . أي (غني)[11] غير محتاج إلى شيء[12] والخلق هم المحتاجون إليه تعالى . وواحد في مُلكه لا شريك له ولا معين . ولا خالق . ولا رازق . ولا مُحيي . ولا مميت . ولا نافع . ولا ضار . سواه تعالى . وله تعالى الصفات[13] العلية وهو متصف بها[14] وهي سبع القدرة . والإرادة . والعلم والحياة . والسمع . والبصر . والكلام.

ص 334

أما القدرة فبها[15] يخلق فيخرج الممكن من العدم إلى الوجود . وهي متعلقة بكل ممكن . وأما الإرادة فبها[15] يخصص[16] الممكن ببعض ما يجوز عليه في

---

1 — عنوان من جـ و م لم تثبته النسخة المعتمدة. 2 — جملة من قول الناسخ مثبتة في النسخة المعتمدة فقط أسقطتها م و جـ. 3 — زيادة من م. 4 — جـ « أسف ». 5 — جـ « وما » 6 — جـ « فأنا ». 7 — زيادة من جـ. 8 — جـ « بالعبود ». 9 — م. « يرى ». 10 — م « مخالف » « لذلك ». 11 — الزيادة من م و جـ. 12 — م أسقط « إلى شيْ ». 13 — في الأصل « الصفة » الصواب من بقية النسخ . 14 — جـ أضاف « هي متصف ». 15 — في الأصل « فيها ». 16 — جـ « مخصص ».

الأزل . وهو معنى القدر . فكل ممكن في السماوات والأرض وما بينهما . فقد قدّر الله تعالى عليه كل ما يكون به . وما يقع عليه بإرادته ولا يتبدل ذلك ولا يتغير.

وأما العلم فيه[1] يطلع تعالى على كل شيء . فلا يغيب عن علمه[2] تعالى موجود ولا معدوم . يعلم تعالى ما كان وما لم يكن . وما سيكون . وما لا يكون . وأما الحياة فيها صح اتصافه تعالى بالعلم . والقدرة . والإرادة وغير ذلك.

وأما السمع والبصر فبهما[3] يطلع تعالى على كل موجود . فلا يغيب موجود عن سمعه تعالى وبصره.

وأما الكلام فبه[4] يخبر عما كان وما يكون وما لا يكون . وبه يأمر وينهى فالقرآن كلامه تعالى. وهذه الصفات[5] كلها قديمة باقية كقدم ذاته تعالى وبقائها. واعلموا أن الله تعالى له الملك على عباده . فهو[6] غالب غير مغلوب . آمر غير مأمور . فلا يَتَعَاصى[7] /عليه شيء[8] من الممكنات أن يفعله[9] أو يتركه . ولا يجب[10] عليه لعباده حق . ولا تثبت لهم[11] عليه حجة . إلا ما جعل[12] لهم تعالى تفضلاً وإحساناً[13] . وقد وعد سبحانه عباده بأن يروه في الجنة كما يليق بكرمه وجلاله وجعل الجنة للمومنين خالدين فيها . كما جعل النار للكافرين خالدين . وتفضل تعالى بإرسال الرسل إلى العباد ليرشدوهم . وآخرهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ ؛ ودلّ على صدقه بالمعجزات الخارقة للعادة : كإنشقاق القمر . وتسليم الحجر والشجر[14] فوجب صدقه في كل ما أخبر به عَنِ الله تعالى . ووجبت عصمته من الوقوع[15] فيما نهى الله عنه . وكذلك سائر الرسل . وكلما جاء به نبينا ﷺ عن الله فهو حق ومن ذلك السؤال في القبر . ويوم القيامة وما فيه من البعث والحشر . والموقف والعرض والميزان . والصراط والحوض

ص 335

---

1 — في الأصل « فيه » الصواب من بقية النسخ. 2 — م « عمله » بدل « عن علمه » بتقديم الميم.
3 في الأصل « فيهما » الصواب من م و جـ. 4 — في الأصل « فيه » الصواب من م. جـ.
5 — جـ « الصفة ». 6 — جـ أسقط « فهو ». 7 — جـ « يتعاصم ». 8 — جـ « بشيء ».
9 — م « ينفعله ». 10 — م « يجوز ». 11 م أسقط « لهم ». 12 — م « فعل ».
13 — جـ « إحسانا ». 14 — جـ أسقط « والشجر ». 15 جـ أسقط « الوقوع ».

والشفاعة . وغير ذلك من كل ما ثبت في الكتاب . أو ثبت بدليل العقل . فيجب اعتقاد جميع ذلك . فهذه جملة ما يجب عليكم من علم التوحيد أن تعتقدوه اعتقاداً جازماً[1] لا تردد فيه. ومن كانت له قابلية في الفهم والنظر . فحسن منه أن ينظر لكل عقيدة في دليل إجمالي تطمئن به النفس . ومن لا طاقة له بذلك فلا[2] يطلب به. وإنما لم أذكر لكم الأدلة في هذه الرسالة مخافة أن أهول بها على من لا يقدر عليها.

وأما القسم الثاني : وهو العلم بما يعبد الله تعالى به . فهو معرفة (أحكام)[3] الفقه . وأولها[4] الصلاة . فلا بد من معرفتها بفرائضها وسننها وآدابها[5] وما يفسدها وما/يجبرها . ومعرفة مقدماتها من وضوء وتيمم وغسل . وستر عورة ودخول وقت . واستقبال . وهكذا الزكاة في حق من له ما يزكّي إن لم يتوله العامل[6]. والصيام والحج في حق من يفعله وغير ذلك . قال تعالى « فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ » (1) الآية

ص 336

وقال ﷺ : « اطْلُبوا العِلْم وَلَوْ بِالصِّينِ » (2). وقال ﷺ « طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » (3). وقال ﷺ « إِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ » (4). وكما

---

1 — الأصل « جزماً » صححت من م و جـ. 2 — جـ « فيطلب به » بالاثبات. 3 — زيادة من جـ و م. 4 — في الأصل « أوله » صححت من جـ و م. 5 — في الأصل « أدبها » صححت من «م» « أداها » في « جـ ». 6 — جـ « الحامل ».

---

(1) تمام الآية « وما كان المؤمنون لينفروا كافّة . فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدّين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون » الآية 122 سورة التوبة

(2) حديث أخرجه ابن عدي والبيهي في «المدخل» «والشعب» من حديث أنس وقال البيهي متنه مشهور وأسانيده ضعيفة. أنظر المغني بذيل الإحياء ج 9/1

(3) رواه ابن ماجة من حديث أنس وضعفه أحمد والبيهي وغيرهما وقال البيهي حديث متنه مشهور وإسناده ضعيف. وأما زيادة « ومسلمة » التي اشتهرت على الألسنة فلا أصل لها البتة . أنظر المغني بذيل الإحياء ج 2/1 ومشكاة المصابيح ج 76/1

(4) من حديث رواه ابن أبي عاصم والطبراني من حديث معاوية مرفوعاً وأبو النعيم الإصفهاني «في رياض المتعلمين» من حديث أبي الدرداء أنظر إرشاد الساري ج 168/1 والمغني بحاشية الإحياء ج 176/3

يجب عليكم أن تتعلموا ما أُمِرْتم[1] به لتفعلوه . كذلك يجب عليكم أن تتعلموا ما نهيتم عنه . كالسرقة والغصب . والزنا والرياء . والكذب والزور . وغير ذلك لتتركوه .ومجموع ذلك هو الفقه المطلوب.

وأما القسم الثالث : هو العمل[2] فهو الامتثال بفعل ما أمر به . وترك ما نهى عنه والدوام على ذلك حتى يأتيه اليقين . ويجب على كل من وقعت[3] منه مخالفة للشرع . بفعل ما نهى عنه . وتَرْكِ ما[3] أمر به . أن يتوب لله تعالى على الفور.

وتصح التوبة بثلاثة أشياء : الإقلاع : أي ترك المذموم .[4] والاشتغال بالمحمود . والندم على ما فات . والعزم على ألاّ يعود إليه . ولا بد من رابع . وهو جبر ما فات وذلك بقضاء ما بقي عليه من حقوق الله تعالى مما يُطلب قضاءه ويمكن : كالصلاة والصوم. والتخلص من مظالم العباد بالأداء والاستحلال فيما يمكن .[5] والرجوع إلى الله تعالى بعد فعل ما أمكنه . في غفران ما فوت من الأوقات . وما فوت على المظلوم من المنفعة . وأن يرضي عنه الخصم[6]

وعليكم يا معشر الإخوان بالتناصح[7] والتآلف على الخير . والتعاون على البر . والتقوى/وإياكم والتدابر . والتقاطع . والتحاسد . والتعصب على الباطل وإياكم واتباع كل ناعق . فقد اتسع الخرق في الدين بكثرة المعتدين . والمبتدعين[8] والمدّعين . وعليكم بالاجتهاد فيما يثقل به الميزان يوم القيامة من الأعمال الصالحات . فرائض ونوافل . ولا تركنوا إلى البطالة والغرور . كما وقع لأكثر من يتسمى[9] بالفقر في هذا الزمان نسأل الله العافية والتوفيق . فإنهم سمعوا بذكر النية والمحبة في طريق القوم فاكتفوا بهاذين الإسمين عن المجاهدة التي هي طريق القوم . ولم يعلموا أن النية إنما سرها في العمل . فإذا لم يكن العمل فلا نية . والمحبة إنما امتدحت لاجتذابها المحب إلى اتباع المحبوب والتشبه به والانخراط

ص 337

---

1 — جـ « ما أمركم ». 2 — جـ « العقل ». 3 .— م أسقط الجملة « وقعت منه مخالفة — أو ترك ما ». 4 — جـ كتب « المذ » وأسقط الأسطر التي بعد هذه الكلمة وكتب مكانها : « اعادة ». 5 — م أسقط « يمكن » 6 — م « الخصوم ». 7 — جـ بهذه الكلمة « التناصح ». يعود الناسخ إلى نقل النص بعد إسقاط سبعة أسطر. 8 — جـ « المنترعين » 9 — في الأصل « يتسم » الصواب من م و جـ.

في سلكه . فإذا لم يكن منه شيء من هذا فمحبته ليس لها كبير فائدة لأنها ناقصة قد غلب عليها محبات[1] أخرى من الشهوات[2] والكسل لم يبق لها حكم.

وعليكم مع ذلك بحفظ حرمة المسلمين . وخصوصاً[3] أهل الدين وسائر المنتسبين . فلا تبغضوا أحداً لذاته . ولا تروه بعين الاحتقار[4] وعليكم بحسن الخلق وحسن الظن وفي الحديث الكريم : « خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير[5] حسن الظن بالله وحسن الظن بالناس . وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر : سوء الظن بالله . وسوء الظن بالناس » (5). وفي وصية النبي ﷺ « اتَّقِ اللهَ حَيْثُ كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا . وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حسنٍ » (6).

وهذه الأبيات اقرؤوها . فإني قد جمعت فيها ما يكفيكم إن شاء الله . إن تفهمتموه وتحققتم به/ ص 338

عليكم بتقوى الله في السر والجهر	واخلاص ما تأتون من عمل البر
وذالكم من بعد تقديم توبة	مصححة الأَركانِ مِنْ كُلِّ مَاوِزْرِ
بعزم[6] على ألا تعود لمثل ما	تقدم واستدراك ما فات بالجَبْرِ
مع الندم المذْكي على القلب جَمرةً[7]	
تظل وتمسي العينْ من نارها تجري	
وبالجِدّ فيما تومَرون بفعله	من الخير . ولْتنْووا موافقة الأمر
ولا تبتغوا الدنيا بدينكم ولا	تْراؤوا به في الجهر يوماً ولا السر
وبالصدق والتفويض لله والرضا	بأحكامه في اليسر يوماً وفي العسر

---

1 — في الأصل « محبة » الصواب من جـ و م 2 — في الأصل « شهوة » الصواب من ج و م.
3 — جـ « وخصوص ». 4 — جـ « الاحتراق ». 5 — جـ أسقط فقرة من الحديث « من الخير حسن الظن بالله فوقهما شيْ ». 6 — جـ « بغير » 7 — جـ « على القبر جملة ».

---

(5) ذكره صاحب الفردوس من حديث علي . وروى في جزئه الثاني بلفظ « وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر . الشك بالله والضر بعباده » انظر المغني بذيل الاحياء ج 208/2 .
(6) سبق تخريج هذا الحديث ص 353 التعليق رقم 83

وبالبعد والإعراض عن كل شاغل عن الله فيها والعكوف على الذكر
وإن نابكم أمر فلا ترتجْوا[1] له سوى الله في نفع يُرَجَّى ولا ضُرِّ
ولا تركنوا للخلق في نيل حاجة فإن جميع الخلق في العجز والفقر
وبالجود والإحسان . فالجود مَلْبَس جميل[2] وكسب للثّواب وللِطُّهْر
وإياكم والشُّحَّ فَهْو دناءَةٌ ولا سيما في المدّعي حِلْيَةَ الفَقْرِ
ودينوا بحُسْن الخُلق تستوجبوا[3] الثنا هنا وتفوزْوا في القيامة بالأَجر
ومجمع حسن الخلق أن تحملوا الأذى من الناس من عبد يكون ومن حر
وَتَكُفُوهُم منكم أذاكم[4] وَتُحْسِنْوا ولاَ تُلْزِمُوهُم بالجزاء ولا الشكر
ولا تعبدوا بالجهل إن عبادة على الجهل مثل الشيْ يُوضع في الحِجْرِ
متى يَنْتَهِضْ مولاهْ يسْقُطْ ويَنْطَلِقْ خَلِيّاً بلا نفع يُعَدّ ولا ذُخْر
وإنّ أَسَاس الدّينِ للْعِلْمْ فاعلموا وجُولُوا عليه في البْدَاةِ وفي الحضر
وبالله فاستهدوا وإياه فاسألوا ومن عونه فارجوا الهداية باليسر[5]
وبالمصطفى المختار فارجوا توسلا إليه بجاه المصطفى راية[6] النصر
وذلكم من بعد تحكيم هَدْيه وسنته الغراء في السر والجهر
عليه صلاة الله ما درّ شارق وعترته والأصحاب طرّا مدى الدهر

1 — جـ « ترجوا ». 2 — جـ « جهال » 3 — في الأصل « تستوجب » « وتفوز » الصواب من م و جـ. 4 — في الأصل « أذاهم » الصواب من م و جـ 5 — جـ « بالسر ». 6 — في الأصل و جـ « رأيه » الصواب من م.

الرسالة إلى قبيلة المزامز

هي رسالة إلى جماعة من المريدين بقبيلة المزامز يشرح فيها خلق وسلوك المريد ويعاتبهم على إخلالهم ببعض أخلاق أصحاب الطريق

مخطوطات الرسالة :

لهذه الرسالة نسختان مخطوطتان :

الأولى من مجموع فيه رسائل صوفية لليوسي في ملك السيد محمد الأمين بوخبرة من تطوان . شارك به في معرض المخطوطات تحت رقم تـ 6 من ص 11/10 رمزت إليه بحرف « ب ».

الثانية من مخطوطة مكتبة الكَلاوي بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم جـ 612 ورقة 15 وجه وظهر رمزت إليها بحرف « جـ »

وصف المخطوطات :

نسخة مخطوطة « جـ » معروفة.
أما النسخة « ب »فهي من مجموع مخطوط لبعض رسائل اليوسي بعضها تام وبعضها مبتور أو ملخص وتضم :

1 — الرسالة إلى جماعة الإخوان (الى أهل كَارت) من ص 1 — 7
2 — الرسالة في دور الشيخ ومسائل أخرى (مبتورة) من ص 8 — 11
3 — الرسالة إلى قبيلة (المزامر) من ص 10 — 11

4 — الرسالة إلى المقدمين (ملخصة في بعض أجزاءها) من ص 12 — 22

وقد اعتمدت على المخطوطة « ب » لجودة خطها نسبياً وقلة أخطائها إذا ما قارناها بمخطوطة « جـ ».

(بسم الله الرحمان الرحيم)[1]

من عبيد الله تعالى[2] الحسن بن مسعود اليوسي إلى جماعة الإخوان من قبيلة المزامز[3] وغيرهم سلام عليكم ورحمة الله تعالى[4] وبركاته وبعد فإني أحمد إليكم الله لا إله إلا هو . فعليكم بتقوى الله العظيم والتطهر[5] مما فات[6] بقضاء الحوائج . والتحرج من حقوق الناس بالقضاء . أو السماحة[7] إن عُرفوا . والتصدق عليهم إن لم يعرفوا أو لم يُوجدوا. ومن لم يجد ما يعطي فيلطلب السماحة .[8] وإن لم يجد صاحب الحق فليدع له . وليكثر الحسنات ليجد ما يعطي يوم القيامة. وعليكم بالإحسان مع الناس وفيما بينكم أكثر . وعليكم بالتواد والتّراحم . والتعاون والتزاور . والتشاور والتناصح والتآلف[9] وعليكم بالصبر والاحتمال . وقد بلغني أنكم تتشاجرون وتضاربون وبئس ما تفعلون . فإن ذلك ليس من طريقة الفقراء ولا قريباً[10] . أما تعلمون أنه لا يكون الفقير فقيراً حتى يكون مثل الأرض . يُطرح عليها كل قبيح . ولا يخرج منها إلا كل مليح.

وبلغني أن المقدم ربما يأخذ شيئاً ممن فعل ذلك يأكله الفقراء . فيغضب المأخوذ منه ويقول هذا غصب . وبيس هذا الوصف . أما تعلمون أن ذلك كفارة لمن أعطاه . طيب النفس . فإن الفقير إذا فعل قبيحاً فقد سقط في طريقه[11] وانكسر . فيحق له أن يطلب من الإخوان أن يؤذبوه إمَّا بمال يعطيه . أو ضرب في بدنه . فإذا فعلوا ذلك . فحقه أن يفرح . ويرجو أن يكون جبراً[12] له وتطهيراً . وبعد ذلك صدقة يستدفع بها البلاء . في ماله ودينه . وحق الفقراء أن ينُووا ذلك عند أخذها منه لا شهوة منهم (وإنما يتم ذلك ممن كان همه الزيادة في دينه ويخاف النقصان) .[13] وهذا هو شأن الفقير الصادق ومن لا يكون كذلك فهو كذاب . إنما هو من أبناء الدنيا وهو يدعى الفقر[14] والدّين . فليتب إلى الله تعالى قبل أن يكون ملعوناً . فإن لعنة الله على

---

1 — زيادة في « جـ ». 2 — جـ أسقط « من عبيد الله تعالى ». 3 — جـ « رامز ». 4 — جـ لم يثبت « تعالى ». 5 — جـ « التظهر ». 6 — جـ « الوفات ». 7 — جـ « المسامحة ». 8 — جـ « المسامحة ». 9 — بياض في جـ. 10 — جـ « خربياً ». 11 — جـ « طريقته ». 12 — جـ « خيرا ». 13 — زيادة من جـ. 14 — جـ « الفقير ».

الكاذبين . وأصل كل بلاء ومصيبة حب الدنيا . وهو رأس كل خطيئة (وأصل ذلك ضعف اليقين وهو من ضعف الإيمان . فمن قوى إيمانه)[1] أيقن أن الرزق على الله تعالى . فلا يبالي[2] بما في يده . فإيّاكم وحب الدنيا وهَمّ الرزق . والشح . فإن ذلك هو البعد للإنسان عن كل خير نسأل الله لنا ولكم التوفيق آمين.

---

1 — الزيادة من جـ. 2 — جـ « يبال »

الرسالة الثالثة عشرة

رسالة في السماع

هذه الرسالة عبارة عن جواب في حكم تفسير القرآن الكريم لغير المتقن لعلوم اللغة من نحو وصرف وغيرها . ثم كلام في السماع . ما ينكر منه وما يسمح به من آراء الفقهاء والمتصوفة

وأترك الرسالة مع التصوف لأهمية جواب اليوسي في السماع وتوسعه فيه

مخطوطات الرسالة

لهذه الرسالة نسختان مخطوطتان

الأولى مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 من ص 197/191 رمزت إليها بحرف « ق »

الثانية : مخطوطة مكتبة الكلاوي بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم جـ 612 من ورقة 46 و/ 49 ظ رمزت إليها بحرف « جـ »

وصف المخطوطات :

سبق وصف مخطوطتي « ق » و « جـ ». وقد اعتمدت على نسخة « ق » لسلامتها من الأخطاء بالنسبة لـ « جـ ».

(الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه)[1]

الجواب والله الموفق (للصواب)[2] إن تفسير القرآن العظيم موقوف على معرفة اثني عشر فنًا (1). أحدها النحو. فمن لا يحسن النحو لا يجوز له التعرض للتفسير لانتفاء شرطه[3]. وإنما يجوز تفسير القرآن لمن سمعه من النبي ﷺ وذلك مخصوص بالصحابة[4] أو لمن كان راسخاً في العلم. محيطاً بما يحتاج إليه عقلا ونقلا. ومن لا يكون كذلك. فتفسيره هو تفسير الرأي المذموم شرعاً. وفي الحديث: « مَنْ فَسَّرَ القُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ. وَإِنْ أَخْطَأَ فَقَدْ كَفَرَ » (2) أو كما قال ﷺ. والأحاديث فيه كثيرة. والوعيد مشهور نسأل الله السلامة. وأما أخذ الأدلة من القرآن والحديث. فلا يجوز إلا للمجتهد العارف بطرق الاستدلال وكيفية الاستنباط. وأما قراءة الحديث. مع اللحن فلا يجوز. فهو عندهم معدود من الكذب. لأن النبي ﷺ لم ينطق به كذلك ملحوناً. وحينئذ المتعمد[5] لذلك كاذب عمداً داخل في الوعيد (3) والمُقْدِمُ

---

1 — الزيادة من جـ. 2 — الزيادة من جـ. 3 — جـ « شروطه » 4 — في الأصل من الصحابة صححت من جـ 5 — جـ « المعتمد ».

---

(1) لتفسير القرآن الكريم لا بد أولا من معرفة علوم اللغة: من لغة ونحو وصرف وبلاغة وأخبار العرب وأيامها وقد حد الغزالي القدر الذي يجب معرفته من العربية فقال: « إنه القدر الذي يفهم به خطاب العرب وعادتهم في الاستعمال حتى يميز بين صريح الكلام وظاهره ومجمله. وحقيقته ومجازه. وعامه وخاصه. ومحكمه ومتشابهه. ومطلقه ومقيده. ونصه وفحواه. ولحنه ومفهومه. وهذا لا يحصل إلا لِمن بلغ في اللغة درجة الاجتهاد. » ثم معرفة كتاب الله حفظاً. ومعرفة الناسخ والمنسوخ من الآيات ومعرفة أسباب النزول ومعرفة السنة النبوية قولاً وفعلاً وتقريراً وسنداً ومتناً. ثم علم التوحيد وعلم الكلام وعلم الأصول الخ. أنظر اصول الفقه لأبي زهرة/380. وأصول الفقه للعربي اللوه/389.

(2) حديث أخرجه الرمذي وأبو داود من رواية جنذب بلفظ: « من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » دون « وإن أخطأ فقد كفر » وسنده ضعيف. مشكاة المصابيح ج 79/1. وجاء أيضا بلفظ: « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » أخرجه الرمذي من حديث ابن عباس وحسنه. أنظر المغني بذيل الاحياء ج 37/1.

(3) يشير إلى مضمون الحديث « من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » متفق عليه من طرق من حديث علي وأنس وأبي هريرة. أنظر المغني بذيل الاحياء ج 139/3

على ذلك (مع)[1] معرفته أنه جاهل باللسان يلتحق به. بخلاف العارف إذا زل لسانه مرة فإنه لم يتعمد ولا أقدم على مظنة والله الموفق.

وأما السماع (4) المذكور عند الصوفية المسمى اليوم بالحضرة (5) ففيه اختلاف مشهور. أكثر الفقهاء يُنْكِرُه. وأكثر الصوفية يترخص فيه والاتفاق على أنه ليس من فروض الدين ولا من سننه. وإنما هو رخصة لأهله عند توفر شرائطه. بحسب الزمان. والمكان. والإخوان؛ وبحسب المُتَعَاطِيه[2] في نفسه. فقد يكون مغلوباً. وقد يكون متمكناً يريد تدريج[3] غيره. وقد يكون مساعداً للغير حيث تنبغي المساعدة عندهم. وشرح جميع ذلك لا تفي به هذه البطاقة. وحاصل الأمر أن السماع منهل مورود قديماً وحديثاً. ولكنه قد يصفو. وذلك لأهله. فيستريحون به[4] من الأثقال ويستفيدون به نفائس الأحوال.

والحال عندهم إذا نزلت فقد تقتضي صياحاً. وقد تقتضي بكاءً. وقد تقتضي ضحكاً وطرباً وقد تقتضي حركات للجسد[5] إما دوراناً. وإما رقصاً[6] وإما تصفيقاً وإما غَشْياً (6) إلى غير ذلك مما هو مفصل عندهم. وواقع يعرفه من نزل به. وذو البصيرة من غيره. وقد يخبث وذلك لغير أهله وهو الغالب. ولا سيما في هذه الأزمنة. نسأل الله العافية فيقع كل ذلك. إما عن

---

1 — زيادة من جـ. 2 — جـ «المتعاطية». 3 — في الأصل «فدريج» صححت من جـ.
4 — جـ «فيه» 5 — جـ «للسجد» 6 — جـ «رقاصا».

---

(4) أخذ الصوفية مصطلح السماع من الآية الكريمة «فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب» ومن الآية: «إذا سمِعُوا ما نزل إلى الرَّسُولِ ترى أعْيُنَهُمْ تفِيضُ مِن الدَّمْعِ مِمَّا عرفُوا مِن الْحقِّ» هذا السماع هو السماع الحق... فإذا ألم السماع بالقلب تارة يخف إلمامه فيظهر أثره في الجسد فيقشعر منه. وتارة يعظم وقعه فتدفق منه العين بالدمع وتارة يتصوب أثره الروح فتموج منه الروح موجا يكاد يضيق عنه نطاق القالب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب. وهذه كلها أحوال يجدها أربابها». عن عوارف المعارف ص 173 وما بعدها

(5) يطلق هذا المصطلح على السماع عندما تستعمل الآلات تصاحب إنشاد القصائد والموشحات والأزجال.

(6) الغشي عند الصوفية غيبة القلب بما يَرِدُ عليه.

وارد شيطاني (7) وإما اختياراً كذباً ودعوى . والأمر[1] في ذلك مشتبه . وحاصل الفتوى فيه على الاختصار :

أما بحسب الفاعل في نفسه . فإن نزل به[2] أمر غالب لم يبق له معه تمييز أو اختيار فلا كلام عليه حتى يفيق . وحتى يرجع إلى اختياره . وهو مدفوع لما قضي عليه من محمود أو مذموم . وحقه بعد الإفاقة أن يخاف من المكر وتلاعب الشيطان/ويتعوذ بالله من شر الشيطان ويهرب عن مظانه[3] ومتى أعجب به . أو افتخر به أو عدَّه درجة[4] وقرباً . فهو دليل خسرانه عِياذاً بالله. وإن هو تعاطى ذلك باختياره واشتغل بأسبابه . فإن كان يرى ذلك ديناً فرضاً أو سنةً . أو شرطاً من شروط السلوك فهو جاهل مبتدع إذ[5] قد زاد في الدين ما ليس فيه . وقد استبعد[6] الناس قول البناء (8) في « المباحث[7] الأصلية » إذ جعلوه للطريق ركناً . وإن كان يقبل تأويلا من جهة أنه مفيد كما أشرنا إليه أولا. وإن كان اشتغاله في وقت[8] يضيع فيه فريضة كالصلاة أو يؤدى إلى تضييعها في المستقبل . أو مع كيفيات لا تحل شرعاً . ككشف العورة أو كاجتماع الرجال والنساء . أو قصداً في باطنه إلى التظاهر بالصلاح والأحوال الشريفة مع الخلو عن ذلك . أو استجلاب حظوظ الدنيا من مال أو[9] جاه وغيرهما . وإيهام العوام أن ذلك هو طريق الناس وشأن الصالحين . أو داخله لذلك اغترار في نفسه . أو تكبر على أبناء جنسه . أو وقيعة فيمن لا يفعل كذلك أو وسمه[10] بالجمود إلى غير ذلك من العوارض المذمومة . فكل ذلك حرام . فاعله

ص 193

---

1 — جـ « وهو » بدل « والأمر ». 2 — جـ « فيه » بدل « به ». 3 — في الأصل « مكانه ».
4 — في الأصل « رحمة » التصحيح من جـ. 5 — في الأصل زيادة « و » « وإذ » 6 — جـ « أسعد ». 7 — جـ « الباحث ». 8 — جـ زيادة « الصلاة ».

---

(7) الوارد ما يرد على قلوب السالكين من الخواطر من غير تكلف ولا تعمل

(8) لم أقف له على ترجمة

مخدوع تجب عليه التوبة من[1] ذلك والإقلاع والإنابة إلى الله . والاشتغال بما يعني . وإن كان عارفاً بهذه الأحكام ناجياً من هذه الورطات . وإنما يقصد بذلك مباسطة الإخوان أحياناً من غير إكثار . أو يطمع في استجلاب حال رباني . أو يساعد من هو من أهله أدباً معه . فهذا كله لا بأس به .[2] وإن كان دعاه إلى ذلك حال رباني وباعث من الله تعالى يعرفه . فهو متعين عليه ولا يتعرض لأمثال هؤلاء . فهو[3] أعرف بأحوالهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم./ ص 194

وأما بحسب المنْكِرِ . فهو إن كان من العوام فحسبه الاشتغال بنفسه وتعلم دينه وترك الفضول : « فَمِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ » (9) وإن كان من العلماء فإن رأى منكراً مُجْمعاً عليه كتضييع الفرائض . أو مخالطة النساء أو نحو ذلك من المناكر الظاهرة . فلينكر بمقتضى ظاهر الشريعة . وليُضْمِر[4] مع ذلك التفويض وحسن الظن . ولا يجزم بما يقوله بلسانه فقد يكون الفاعل في الوقت مغلوباً عليه . فلا يكون عليه لوم . بِوجه ولا بحال . ولكن الشريعة تجرى مجراها . ومن له عذر عند الله فهو إلى الله. فالواجب الإنكار ظاهراً قياماً بالشريعة . وحسن الظن والاحترام[5] باطناً . قياماً بحق النسبة . وعملا بحسن الظن . ومراعاة الحقيقة[6] . ومن ضيع أحد الجانبين فقد زل. مع أن إنكار المنكَر له شروط في الشرع مقررة . وإضمار حسن الظن لا ينافي البغض في الله الذي هو الإيمان . لأن محط البغض الفعل القبيح وهو المنكَر بعينه لا صاحبه بحسب ذاته . كما قال تعالى إخباراً عن نبيه لوط عليه السلام : « إِنِي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ » (10) ولم يقل إني لكم من القالين[7]. فبعد أن يُنْكِرِ الفعل ويبغض صاحبه بالنسبة إليه . يَبْقَى المجال الواسع بعد ذلك فيحسن[8] الظن به. بل وفي حبه بحسب جهات أخرى كالإسلام والانتساب

---

1 — جـ « عن ». 2 — جـ اسقاط « به ». 3 — جـ « فهُم ». 4 — جـ اسقاط « الواو ». 5 — جـ أسقط « والاحترام ». 6 — في الأصل « للحقيقة ». 7 — جـ حذف الجملة « ولم يقل — القالين » 8 — في الأصل « في حسن ».

---

(9) رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة أنظر المغني ج 3: 112.
(10) من الآية 168 سورة الشعراء

إلى الطريق مثلا . فإنه لم ينتسب إليه إلا لمحبة فيه . ولم يتظاهر به إلا لعظمته في عينه . وذلك كله خير[1] من هذه الدقيقة التي أوجبت حفظ حرمته باطناً . يغار الله تعالى للمنتسب إليه فيمن تعرض له بالهوى . وقد نص مشايخنا رضي الله تعالى عنهم على أن الله تعالى وجل اسمه . يغار للمنتسبين وإن لم يكونوا/على شيْ إذا تعرض لهم بالشهوة ومُقْتَضَى الهوى فيخشى على المتعرض لذلك[2] الانتقام . نسأل الله السلامة.

ص 195

أما من تعرض بحق وتحقيق . نصيحةً للدين مع القيام بالواجب كما أشرنا إليه أولا . فلا مضرة عليه . ولا مخافة تتطرق إليه . ولكن القيام بذلك على ما ينبغي صعب . وفي اشتغال الإنسان بما يعنيه في خاصة نفسه . وإغضائه عن الناس وتركهم لما دُفعوا إليه مجال رحب وفي الحديث « إذا رأيت شحّاً[3] مطاعاً . وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك » (11) وإن رأى[4] أمراً مباحاً أو أمراً مختلفاً فيه[5] بين العلماء فليُمْسك وهذا بحسب الإنكار والحِسْبة . وأما التعليم وتبيين القبيح من الحسن . والحسن من الأحسن . علىْ طريق الإرشاد والنصح . فأمر لا بد منه لأن « الدين النصيحة » (12)ولكن ذلك مشروط بفقه الناصح والمعلم فيما ينصح فيه ويعلم . وبقبول المنصوح والمتعلم واستماعه . وتفصيل ذلك أنه إن كان المعلم[6] قدوة للمتعلم في الظاهر أو في الباطن . فقد تعين عليه إرشاده ونهيه عن الشيْ القبيح . تحريماً أو كراهةً لوجود[7] الحسن وجوباً أو ندباً . وعن الحسن لوجود ما هو أحسن منه ولا سيما في الطريقة لأبنائها على اتباع الأحسن أبداً وإن لم يكن قدوة فإن كان ممن[8] تؤدى إليه الطاعة أو مقبولا عند السامع . لصحة علمه[9] عنده . أو صلاحه . فليعلم ولينصح وإلا فلا ولذا ورد في

---

1 — في الأصل كلمة غير واضحة صححت من جـ 2 — جـ « بذلك » 3 — جـ « شخصا ».
4 — في الأصل « أرى » صححت من جـ. 5 — جـ أسقط « فيه » 6 — جـ « جـ « العلم »
7 — جـ « لورود ». 8 — جـ « لورود ». 8 — جـ « مما » 9 — جـ « عمله ».

---

(11) أخرجه أبو داود . والترمذي وحسنه . وابن ماجة. أنظر المغني ج 3 369
(12) من حديث رواه مسلم في كتاب الإيمان كما أورده البخاري أنظر إرشاد الساري ج 1 151 وشرح النووي على صحيح مسلم بهامش الإرشاد ج 1 355

الخبر : « لا يتكلم على الناس إلاّ أمير أو مأمور أو متكلف » (13) وقال المشايخ رضي الله عنهم لا تنكر على أحد علمه[1] إلا من يُسَلم علمك . ولا دينه إلا من يسلم دينك . وإلاّ فليس إلا اللجاج والضجاج/والفتن والمجن (14)[2] وهذا كله كلام في السماع على الاختصار من غير تفصيل كيفياته . وأما ما وقع في السؤال من الرقص والغناء الخ . فأما الرقص فقد قلنا أنه يمكن أن يكون عن حال واردة . فلا يُذَم وقد حكى الصوفية رضي الله عنهم[3] في أصل ذلك ما وقع في قصة (15) بنت سيدنا حمزة رضي الله عنه حين اختصم فيها علي وجعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم جميعهم بين يدي النبي ﷺ فقال ﷺ لمولانا علي : « أنت مني وأنا منك فحجّل وقال لجعفر أشبهت خَلْقِي وخُلُقِي فحجَّل أكثر من الأولى . وقال لزيد أنت أخونا ومولانا فحجَّل(16) أكثر من الأولى .

ص 198

فهذه حركة من هؤلاء السادات بين يدي النبي ﷺ لوارد طرب . ولم ينكر عليهم وَكَفَى به[4] حجة . وقد يكون كذباً وتشبعاً بما لم يكن . فإذا اشتبه الأمر فالتسليم أولى. « مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ » الآية(17)

وأما الغناء المجرد عن الآلات فهو على الجواز في أصله . لأنه يرجع إلى الإنشاد . ولم يزل الشعر يُنشد بين يديه ﷺ مديحاً وهجاءً للمشركين . وافتخاراً ونسيباً[5] وحِكَماً وَوَصَايا وكذا[6] الخطباء بين يديه ﷺ . وإنما التفصيل فيه

---

1 — جـ « عمله ». 2 — جـ « والمنح ». 3 — جـ اسقاط « رضي الله عنه ». 4 — جـ « بهم »
5 — في الأصل « وتنسيبا ». 6 — جـ « وكذلك ».

---

(13) أخرجه ابن ماجة من رواية عمر بن شعيب بلفظ لا يَقُص على الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف
(14) المجن : المزاح وقلة الحياء
(15) أشار إليها أيضا صاحب عوارف المعارف. وهي كما وردت في صحيح البخاري « كتاب المغازي » باب عمرة القضاء من رواية أنس عن البراء أنه أثناء عمرة القضاء خرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي ياعم ياعم فتناولها عليّ فأخذ بيدها وقال لفاطمة عليها السلام دونكِ ابنة عمك . حملتْها . فاختصم فيها علي . وزيد . وجعفر . فقال علي أنا أخذتها وهي بنت عمي . وقال جعفر : هي ابنة عمي وخالتها تحتي . وقال زيد ابنة أخي فقضى بها الرسول ص لخالتها وقال : الخالة بمنزلة الأم. وقال لعلي أنت مني وأنا منك ... » الحديث أنظر في إرشاد الساري ج 6/115 — 8/118
(16) حجّل قفز على الرجلين معاً .
(17) من الآية 45 سورة فصلت

بحسب مورده. فما كان وعظياً في الترغيب والترهيب فجائز مطلقاً وينتفع به العباد والزهاد وأهل البدايات في الطريق. وما كان رقيقاً بذكر الفراق والمحبة والشوق ونحو ذلك مما يصلح في الغائب والشاهد. فهو يصلح لأهل الذوق من المريدين المتخلصين عن أسر أنفسهم[1] والعارفين الكُمَّل دون مَن[2] سواهم. وما كان نَسيباً صريحاً. يذكر القدود والخدود. فلا ينبغي أن يتعاطى. وإن/كان[3] أهل الذوق الكاملون لاحرج عليهم فيه. ثم هذا كله مُخْتَلَف فيه[4] بحسب المقصد كما مر. فمن تحقق بما يقوله أو يسمعه فهو محق. ومن لا فهو كذاب. [5] وسامعه[6] مثله.

ص 197

وأما بالآلات كالدف والشبابة فقد حُكِيَ فيه عن بعض السلف (الصالح)[7] التوسعة. والجمهور يكرهونه وهو الحق. وذلك أن أكثر السماع ولا سيما في زماننا هذا لهو ولعب. ولذا قال بعض المشايخ: إن السماع في زماننا لا يقول به مسلم. ولا يُقْتَدى بشيخ[8] يقول به انتهى.

فمتى[9] كان أشبه بصورة سماع السلف المجرد. كان أقرب إلى الجواز. ومتى أُخْرِج[10] إلى الآلات كان لهواً محضاً وباطلاً واضحاً. ثم إن كانت تحت سياسة قدوة سني تقي. خفّ أمره وصار في معنى المباسطة أحياناً كما قال الشيخ أبو الحسن: اجعل وطنك التقوى. ثم لا يضرك مرح[11] النفس. وإلاّ فظلمات بعضها فوق بعض. وقد ضاقت البطاقة عن استيفاء الكلام (والسلام)[12] وكتب عبيد الله ربه[13] الحسن بن مسعود اليوسي كان الله له (آمين انتهى ولله المنة)[14]

---

1 — جـ «نفوسهم» 2 — جـ أسقط «من» 3 — زيادة «من». 4 — جـ أسقط «فيه».
5 — جـ «كاذب». 6 — في الأصل زيادة «فهو». 7 — زيادة من جـ. 8 — بياض مكان «يقول». 9 — جـ «فمن». 10 — في الأصل «خرج» تصحيح من جـ. 11 — جـ «مرج».
12 — زيادة من جـ. 13 — جـ أسقط وكتب عبيد الله ربه. 14 — زيادة من جـ.

الرسالة الرابعة عشرة

رسالة في التربية الصوفية
إلى محمد الصالح بن المعطي

هي رسالة جوابية تناولت مجاهدة النفس . وصعوبة ردها عن رعوناتها وشهواتها ثم واجب الشكر والحمد لله تعالى على حالة التنبه لهذه الآفات الخ

مخطوطات الرسالة

لهذه الرسالة أربع نسخ مخطوطة هي

الأولى : في مخطوطة كتاب فهرست العميري بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك 1361 من ص 200/198 رمزت إليها بحرف « ك »

الثانية : في الكناشة العلمية لمحمد بن علي الدكالي مخطوطة الخزانة العامة بالرباط جـ 91 من ص 209/207 رمزت إليها بحرف « جـ »

الثالثة من مجموع غير مرقم في ملك المرحوم العابد الفاسي رمزت إليها بحرف « ع »

الرابعة في مخطوطة « الفتح الوهبي في مناقب الشيخ أبي المواهب مولانا العربي » لمحمد العربي بن داوود . والرسالة منقولة باختصار . ملخصة في بعض الأحيان بلغة المؤلف. وقد استأنست بها فقط.

وصف المخطوطات

مخطوطة « ع » خطها مغربي واضح جميل أخطاؤها قليلة جدا . وقد اعتمدت عليها كأصل نقلت منه المتن لسلامتها . رغم خلوها من كل تمليك أو تعليق

أما « جـ » و « ك » فلا تخلوا من بعض الأخطاء والإسقاطات رغم وضوحهما وسلامة خطها و « جـ » منقولة أيضا كما يقول جامع الكناشة العلمية عن « فهرست العميري »

من **الحسن بن مسعود اليوسي** إلى أخينا في الله الفاضل. النبيه. الوجيه. النزيه. الديِّن. الخيِّر. سيدي محمد الصالح بن المعطي (1) أصلح الله سعيه وأدام رعيه. سلام على سيادتكم ورحمة الله وبركاته. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إلاه إلا هو أما بعد.

فقد أتاني كتابك تشتكي فيه ما هو مشترك بيننا وبينك أو نحن أعظم. وهي طريقة للعُبّاد منشأها غلبة الخوف. وطلب مجاهدة النفس ومراغمتها. وهي عند غيرهم ناقصة لوجهين: **أحدهما** أن فيها فوات الشكر الذي هو الصراط[1] المستقيم. وحق العبد أن ينظر إلى ما أُعطي فيشكر عليه. ويعلم أنه لا يستحقه لولا فضل الله. لا إلى ما لم يُعطَ. فإن ذلك كفر لما أُعْطي. **الثاني**: أن تشتكي القصور. فيه رؤيةُ النفس وأفعالِها. وإثباتٌ لها في الجملة وذلك شرك مناف لخالص التوحيد.

فاشكر الله يا أخي. واعلم أنه لو كنت ساعتك في الماخور[2]. أو في قطع الطريق. أو في أخذ أموال الناس ورقابهم. أو في البيعة كافراً ذليلا. تعطي الجزية ماذا يلزم[3] في الوجود. فانظر لما أعطاك الله واشكره على أن صليت. فكم من مثلك لم يعط صورتها أصلا. وحينئذ ترجو المزيد بوعده الصادق (2) وكذا في سائر النقائص التي تشتكيها. وفي حديث[4] «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكُمْ

---

1 — جـ «الصرط» 2 — جـ «بياض مكان الماخور». 3 — جـ «يلزمه». 4 — جـ و ك وفي «الحديث».

---

(1) هو الشيخ محمد المدعو بالصالح. ابن الشيخ أبي عبد الله محمد المدعو المعطي بن المرابط عبد الخالق بن عبد القادر بن القطب الشهير صاحب زاوية أبي الجعد من تادلا سيدي محمد المدعو الشرقي التادلي. أخذ محمد الصالح بن المعطي عن اليوسي وأحمد العطار ومحمد بن عبد القادر الفاسي. توفي سنة 1139هـ ألفت في مناقبه كتب كثيرة منها «الزهر الفائح في مناقب الشيخ الصالح» أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 41/5 وسلوة الأنفاس ج 193/1

(2) اشارة إلى الآية الكريمة: «وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» من الآية 9 سورة ابراهيم مكية

فَذَلِكَ أَجْدَرُ أَلاَّ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ.» (3) جعله المحققون شاملا للديني أيضاً كما قلنا

ولا يلزم من هذا انقطاع الخوف كما لا يَخْفَى . ولا الفتور في العمل. وقد كان أخونا أحمد بن عبد القادر (4)[1] أرسل إليَّ أبياتاً بنحو ما في أبياتك فأجبت بهذه الأبيات :

حنينُك إن أنصفت عيبٌ وغفلةٌ	وحسبك غُنماً أن تكون له عبدا
وإن قلت ما استغنَى عن الرب عبده	أقول نعم لاكن به يغتني[2] جدا
وإن قلت أرجو رفعة بعد رفعة	فمن أنت حتى تطلب الرفع والمجدا
وذكرك أيضا إنْ أقمت على الجفا	شعورٌ بفعل منك مستوجب بُعْدا
فكن عبده في بابه متذللا	لعزته والزم له الشكر والحمدا
وحسبك أن أصبحت بين عبيده	على بابه فارقص وطب وامتلئ وَجْدا

وحاصله أن نقول لمن يشتكي أنه في قطيعة أو في جانحة أو بُعْدٍ . أو جفاء . من أين لك بهذا ؟ من ظاهر فعلك أم من سابق القضاء ؟ فإن قال الأول. فقد ادعى لنفسه فعلا . وإن قال الثاني : فقد ساء بربه ظناً ؛ نعم . الصورة الشرعية تلاحظ شرعاً . والخوف والرجاء على بابهما ؛ وما ذكر مما لا يحصل باستدلال ولا جدال . وإنما هو موهبة من الله تعالى . ومن أسبابها تذكر[3] النعم . وأن لا حول ولا قوة إلا بالله[4] هو كنز من كنوز الجنة والسلام.

---

1 — جـ : طرة في الهامش : « يعني التاستاوتي ». 2 — جـ « بقتني » 3 — جـ « ترك ».
4 — جـ اسقاط « إلا بالله ».

---

(3) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة. أنظر بلوغ المرام ص 296
(4) أحمد بن عبد القادر بن عبد الوهاب التاستاوتي .../1127هـ أديب من أتباع محمد بن ناصر له نظم ونثر أخذ العلم بفاس واستقر بها من كتبه « نزهة الناظر وبهجة الخاطر » وهي مجموعة من رسائل له وأسئلة وأجوبة ومستملحات من الأشعار والملحونات في جزئين وديوان شعره في ثلاثة أجزاء . وشى به بعض أقاربه للسلطان إسماعيل فحبسه بفاس ثم أطلقه فاستوطن مكناس إلى أن توفي. أنظر ترجمته في اتحاف أعلام الناس ج 329/1 الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ج 155/2 وما بعدها. شجرة النور الزكية : ص 331 الاعلام للزركلي ج 147/1.

الرسالة الخامسة عشرة

رسالة في دور شيخ التربية

رسالة في الرد على ما يدعى أن من اختصاص الشيخ وفضائله أن يوصل المريد إلى أرفع الأحوال الصوفية بفضل همته وقوة تأثيره ـ وليس للمريد أن يتعاطى الأسباب لذلك.

وللرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل. وهذه الرسالة فيه من ص 222 إلى/ص 224 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

(**وكتب إليه بعضهم بكلام محصله**: إني هممت بالانحياز إليك حتَّى سمعت أنك تزجر[1] الناس فنكصت على عقبي . وأنك تأمرهم بالتَّوبة وشروطها . وأنا لو قدرت على ذلك لوجدته في كتاب الله . وإنما أريد أن أجد نشاطاً ولذة بوجودك . كما هو شأن أهل الهمم الذين يسوقون بالنَّظرة . فأجابه على مُقْتضَى فحوى كلامه من التعنت والخروج على الحق . والاشتغال بالجهل والخرق. بما نصه بعد الحمدلة والتصلية)[2]

أما بعد . فإني لست بشيخ تربية . ولا صاحب همة (1) ولا حال . وإنما أصاحب الناس على التعاون على البر والتناصح والتعليم . فمن كان جاهلا وسبق له من الله الهدى . وأتاني فعلمته ما أمر الله ورسوله به فرجوت لنفسي وله الخير إذا امتثل أمر الله باسترشادي . وامتثلت أمر الله بإرشادي. والعبد إذا امتثل أمر مولاه يرجو منه الخير. ثم إن كان له حسن اعتقاده . فعسى الله أن ينفعه به فيهديه ويصلحه.

وكما أني لست بشيخ . فكذا ما رأيت بعيني مريداً على التحقيق . ولو صادفت مريداً لكنت أنا أصحبه . لا هو يصحبني . لأنتفع به لا لينتفع بي. واعلم أيها المتكلم بمِحْوِلِه أنَّ أول الهداية/في قلب المريد . ووجود الباعث لصحبة المشايخ . والإذعان لهم . ليس للمشايخ فيه كسب ولا عمل . وإنما هي من الله خالصاً . فمن سبق له ذلك ألقى بيده إليهم فانتفع . ومن لم يرزقه الله ذلك فلا دواء له . وقد نصب الله الأنبياء على نبينا وعلى سائرهم صلواته وسلامه عليهم . لهداية العباد . ولم يهتدوا كلهم : بل من سبق له الهدى أتاهم فأسلم . فقبل وعَملَ . ومن لم يسبق له بقي على كفره . وقد ينظر إليهم الواحد . أو ينظرون إليه . فينشرح صدره . وقد يعتنون بالواحد فيكمل الله رغبتهم فيه .

ص 223

1 — في الأصل « تجزر ». ربما وقع سهو من الناسخ وقدم الجيم على الزاي لأن السياق يتطلب تزجر
2 - مقدمة من قول الناسخ.

(1) الهِمّة : عند الصوفية تتلخص في صون القلب عن خسة الرغبة في الفاني وتورث أنفة من المبالاة بالعلل . والثقة بالأمل . وهي تنحو بالنعوت نحو الذات. أنظر روضة التعريف ج 2 380.

وهذا كله للخصوص لا للعموم وإلاّ فكم من ناظر إليهم ولا يومن . وكم ممّن أرادوه ولم يرده الله فلم يقع ، كما قال تعالى لأشرف خلقه : « إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ » الآية (2)

ومشايخ الطريق وأئمة الدين ، ورثة الأنبياء(3) وخلفائهم في هذا كله ، فهم دعاة الخلق إلى الله ، فمن سبقت له العناية أتاهم وأذعن لأمرهم ونهيهم ، وصبر لعلاجهم ، ومن لم تسبق له العناية لم يفعل .

وقد ينظر إليهم الواحد أو ينظرون إليه أو يُحيلون عليه هممهم فيصل إلى الله فوره ، كما قال الشيخ أبو العباس المرسي : لو أتاني أعرابي يبول على ساقيه لوصلته إلى الله من ليلته أو من ساعته . وهذا أيضاً ليس للعموم . فكم من واحد يلقى ولياً بالغاً فلا ينتفع به ، بل قد يضحك به أو يؤذيه . وإنما هو للخصوص.

وليست همة الشيخ بيده . وإنما هي بيد مولاه ، فمن سبق له الانتفاع أنهض الله همته إليه ، ومن لا فلا. وإنما هو كأس يسقي به من شاء من عباده ، والأمر للساقي لا للكأس. نعم قد يكون لذلك أسباب كالملاقاة ، كما ذكرنا وكالخدمة وكالدعاء/والعبد مأمور بتعاطي الأسباب ، والسعي فيما نصب من الحكمة وشرع للجمهور ، فمن تعاطى الأسباب وتكلف قرع الباب ، فعسى أن ينال . ومن أخلد إلى البطالة ، وتَمَنَّى الظفر بما ظفر به الخواص . فهو أحمق مغرور ، كمن يترك أسباب الناس . من تجارة وزراعة وحرفة ، منتظراً لأن يظفر بكنز في خربة كما ظفر به فلان وفلان . ومن أحال على الحقائق (4) وترك الشريعة المعلومة ص 224

---

(2) تمام الآية « إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ . وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» الآية 56 من سورة القصص.

(3) يشير إلى مضمون الحديث عن أبي الدرداء : « ... والعلماء هم ورثة الأنبياء . لم يرثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر. » أنظر مسند ابن حنبل ج 320/4

(4) الحقائق عند الصوفية هي ما يصل إليه السالك بعد المجاهدات . والرياضات لإماتة حظوظ النفس وكشف الحجاب

والأسباب المرسومة . فهو مخذول كما أخبر الله عن الكفار حيث قال : « وَقَالَ الذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا » (5) الآية نسأل الله التوفيق .. وسلوك الطريق . ونعوذ به من الخذلان واستحواذ الشيطان آمين.

(5) تمام الآية : « وَقَالَ الذِين أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا من دونه من شَيْءٍ . كذلِكَ فَعَلَ الذين مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ البَلاَغُ المُبِينُ » الآية 35 من سورة النحل. مكية.

الرسالة السادسة عشرة

رسالة في التربية الصوفية

رسالة في علاج بعض أدواء النفس لتصفيتها من الشوائب وإعدادها لسلوك الطريق.

وللرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل. وهذه الرسالة فيه من ص 202 إلى ص 207 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وسلم. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أما بعد. فنسأل الله تعالى أن يبلغ أملك. ويصلح عملك. وأن يرزقنا وإياك الحفظ والفهم. ويطهر نفوسنا من كل وصم. وعليك بكثرة تجديد التوبة ولا سيما في الأسحار. وعند استحضار الاضطرار/والانكسار. ص 204 وبزيارة الصالحين. فإنها نافعة بإذن الله تعالى في كل شيء. ويتجنب ما يورث قلة الحفظ من الأطعمة البلغمية. (1) ذوات الرطوبة والبرودة وكثرة الأكل والنوم. وكثرة الهذر والبطالة «واتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللهُ» (2)

وأما الكبر والعُجب فهو الداء العضال الذي نشكوه كلنا. ودواؤه الرجوع إلى الله وزيارة الصالحين كما ذكرنا. واتخاذ ورد من بعض كتب القوم. مطالعة في خلوة التفكر، فإن التكبر والإعجاب إن كان بنسب. إنما هو العِصَامي لا العظامي (3) ولو كان نافعاً لنفع اليهود فإن لهم نسباً في غاية الشرف. وقد ذَلّوا وهَانوا حيث لم يطيعواْ الله تعالى ولم يتّقوه. فلا حسب ولا نسب إلاّ التقوى. وإن كان بجمال الصورة أو اللباس فذلك شأن النساء لا الرجال. وإن كان بدين فإن الدين لا يصح بالكبر[1] فالمتكبر بالدين متكبر بلا شيء فهو أضحوكة. وإن كان بعلم فلا شك أن العلم درجة رفيعة. ولكن من شأنه أنه لا يتكبر به إلا من لم يحصل منه على طائل. ومن هو هكذا لو كان له تمييز لعلم أنه من أخس الناس وأرذلهم. حيث تسمى بما ليس إسما له. وادعى ما لم

---

1 — في الأصل «الكبر» ولا يستقيم المعنى إلا بزيادة باء الجر

---

(1) البلغم : خلط من أخلاط البدن الأربعة في عرف الأقدمين. وهي المُرّةُ السَّوْداء. والمرة الصفراء. والدم. والبلغم. وجعلوا مسكن اليبوسة في المرة السوداء. ومسكن الرطوبة في المرة الصفراء. ومسكن الحرارة في الدم. ومسكن البرودة في البلغم. والاطعمة البلغمية هي كالخل وجميع البرودات. عن قوت القلوب ج 344/2

(2) من الآية 281 سورة البقرة

(3) النسب العصامي : ما اكتسبه الفرد من فضائل بمجهود شخصي. والعظامي ما يورث من مجد عن الأسلاف. راجع هذا الموضوع عند اليوسي بإسهاب في كتابه «المحاضرات» ص 15 الطبعة الحجرية

يكن له . في الحديث الكريم : « المُتَشَبِّعُ بما لم يُعْطَ كَلاَبِس ثَوْبَيْ زُورٍ » (4) فهو كذاب مُدّع مُلَبِّس . ولو كانت للناس بصائر لضحكوا منه. بل لطردوه وأهانوه فكيف يتكبر من هذا شأنه ؟ وإنما حقه الخجل والحياء والبكاء على نفسه.

وأمّا من حصل على قدر من العلم . فلابد أن يطّلع على بحاره الزاخرة . وأمواجه المتلاطمة . ويشهد عجز نفسه على الخوض في تلك البحار . وركوب ذلك التيار . وحينئذ يعلم أنه في غاية القصور والنقصان . فلا يرى لنفسه قيمة . فضلاً عن التكبر. ويعلم أنه لو/بلغ ما عسى أن يبلغ لم يوت من العلم إلا قليلا. ص 205

وقد قال الخضر لموسى عليهما السلام : « ما نقص علمي وعلمك من علم الله . إلا ما نقص هذا العصفور من البحر » (5) ولاشك أن من حصلت له قطرة ماء من البحار العظيمة . فكيف يرى أنه حصل له شيء يرى لنفسه به قيمة ؟ وهذا في علم الأنبياء الرسل . أُولى العزم . كموسى عليه السلام . فكيف بعلم مَنْ دونهم من الرسل . فكيف بعلم مَنْ دُونهم من العلماء الراسخين . فكيف بعلم من دونهم من العلماء المتبحرين . فكيف بعلم من دونهم من الفحول المحصلين . فكيف بعلم من دونهم من المتفنين المشاركين . فكيف بعلم أمثالنا من المبتدئين القاصرين ؟ وقد قيل : العلم ثلاث درجات من بلغ الأولى ظن أنه أنه . أي ظن أنه من أهل العلم وهو الأحمق الذي يتكبر . ومن بلغ الثانية علم أنه أنه أي علم أنه قاصر لم يحصل على طائل. وأما الثالثة فلا سبيل إليها. ثم إذا نظر هذا المشرف على بحار العلم إلى ما فوقه فرأى الفحول الذين خاضوا فيها وبلغوا ما لم يبلغ . استصغر نفسه . بل انقطع نياط قلبه . وشغلته

---

(4) حديث أخرجه البخاري ومسلم من حديث أسماء بنت أبي بكر ومن حديث عائشة. أنظر إرشاد الساري ج 108/8 وشرح النووى على صحيح مسلم بهامش الإرشاد ج 830/8

(5) حديث طويل عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال : « قام موسى خطيبا في بني اسرائيل فسئل أي الناس أعلم... » إلى أن قال : « فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر فقال الخضر : ياموسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في هذا البحر. » رواه البخاري وغيره. أنظر الترغيب والترهيب ج 194/4

حسرة السبق عن أن يلتفت إلى نفسه . وأيقن أنه لا مثل له بمطاولة أولئك الأقران . ومجاراتهم في ذلك الميدان ؛ فعلم يقيناً أنه ليس من القوم في العير ولا في النفير . وأنه لا ناقة له في باب العلم ولا جمل . وأنه متى ادعى شيئاً منه فهو كالحادي (6) وليس له بعير . وكمن ينبض بلا توتير (7)

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفـــــرس تحتك أم حمار

هذا . ولكن كل مجد (8) في الخلاء يُسرّ . وربما صاحبت من هو أسوأ منك حالاً فأوهمك أنك محسن . وكذا من صحِب الحمير ، فهو يرى نفسه أعقل العقلاء . وأعلم العلماء . كما تقول العامة : « الأعمش في دار العميان يسمى أكحل العين » « إنْ هو مستولياً على أحد إلا على أضعف المجانين. »(9)

والحازم من يلتفت في العلم وسائر الصالحات إلى من فوقه . فذلك أجدر أن لا يرى لنفسه قدراً ولا يجد فيها عُجباً ولا كبراً . ويكفي في ردع النفس العلم بأن العجب والكبر هو أول ما عُصِيَ الله تعالى به . وأول شيءٌ كان سبب اللعن والطرد والتأييس من رحمته تعالى . نسأل الله تعالى العافية.

فيخشى المتكبر أبداً أن يأخذ بنصيب من الطرد كما أشارت[1] إليه (الآية)[2] الكريمة « سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الذِينَ يَتَكَبَّرُونَ »الآية (10) وإن كان بمال فمتاع الدنيا قليل وهي جيفة خسيسة ممقوتة ، ولا يتكبر بها إلا من عظمها في عينه فكانت همته أحط منها كما قيل من زهى بولاية فقد أبان أن همته أصغر منها . وهذا أرذل الأرذلين . فكيف يتكبر؟ وكل من كانت له همة فلو أُعْطِيَ الكون كله لاستصغره ولضاق صدره من فوات ما يرجوه فوق ذلك .

---

1 — في الأصل « أشرت » وأظنه سهو من طرف الناسخ. 2 — اسقاط الآية في الأصل ولا يستقيم السياق بدونها.

---

(6) حَدَا يحدُو . حَدْواً . وهو حَادِي ساق الإبل وغنَّى لها
(7) أَنْبَض الوتر يُنْبِضُهُ : جذبه ليرنَّ. وتَّر القوس شد وترها
(8) المَجْدُ الأرض المرتفعة كالنجد
(9) كذا في الأصل
(10) من الآية 146 سورة الاعراف. مكية.

وقد اشتريت لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قبل أن يكون خليفة حلة بسبعين ألف فلما لبسها قال ما أحسنها لولا خشونة فيها .. فلما استخلف اشتريت له حلة بأربعة دوانق . فقال ما أحسنها لولا لينها فقيل ياأمير المؤمنين ما هذا ؟ فقال إن نفسي ذواقة تواقة . كلما ذاقت شيئاً تاقت إلى ما فوقه فلما ذاقت الخلافة لم يبق لها إلا طلب ما عند الله تعالى . والكلام في هذا يطول بنا فلنقتصر.

وصفة غسل اليدين مفترقتين . أن نغسل اليمني باليسرى ثلاثا . ثم نغسل اليسرى باليمني كذلك . وينوى بالغسل (11)السنة. وغسل أعضاء الوضوء في الغسل عام في جميعها. وفي مسح الرأس والأذنين كلام لم يتسع المحل لذكره/وأما الرجلان فمن يرى أن المطلوب فيهما الإنقاء فلا إشكال. ومن يرى التثليث فهو لا يعد ـــ الواحدة (12) إلا مع التعميم . فإن الغرفة غير معتبرة . بل تعميم العضو كما ينبغي . وبذلك يكون ما بعد الواحدة مستحب فافهم.

ص 207

ونية الاقتداء واجبة شرط . ولا أظنها تخفى عليك . ولعلك تسأل عن شيْ آخر ولم تؤده عبارتك. وهو أنه هل يطلب من الناس النية تصريحاً في كل صلاة فأقول المراد أنه لا بد من حضور القصد إلى الاقتداء بالإمام في الصلاة ليمتاز عن الفذ . وهذا في الغالب حاصل لكل من دخل في المسجد ليصلي مع الناس . ثم انتظر الإمام فأحرم حين إحرامه. وأكثر العوام لا يفهمون المراد بالنية . بل يتوهمون أن النية تُنْوَى وهو تسلسل باطل . والأكمل نية الأداء في الوقت . ونية القضاء خارجة .و من فاته شيْ من ذلك فلا بأس عليه إذا لم يخل بشرط.

وغسل الجمعة والعيدين كغسل الجنابة في الصورة . وإنما الاختلاف في الحكم . وجوب . وسنة . واستحباب . والنية تابعة للحكم . فينوى في الجنابة الوجوب . وفي الجمعة السنة . وفي العيدين الاستحباب . ومحل النية في الجميع سواء . والله الموفق والمعين وكتب الحسن ابن مسعود اليوسي وفقه الله

---

(11) غسل اليدين

(12) الغرفة الواحدة من الماء بالكف

الرسالة السابعة عشرة

رسالة في التربية الصوفية

هي رسالة تناولت موهبة الغيبة في حال التمكين والوصول والمعرفة وما يتصل بذلك من القبض والبسط والحجب

وللرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل. وهذه الرسالة فيه من ص 225 إلى ص 228 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

(فأجاب بما نصه بعد الحمدلة له والتصلية)[1]

الغيبة عن النفس أو عن جميع الكون موهبة من الله تعالى لعبده . ثم ذلك قد يكون من غير سبب ظاهر كما هو حالة المجذوبين (1) وقد يكون بتعاطي أسبابه الشرعية من الانحياش إلى الله تعالى بالقلب والقالب . وترك العلائق . والنوازع . والشواغل . وزم النفس عن مألوفاتها جميعاً . وتجرع مرارة الصبر على ذلك مدة مديدة بحسب القضاء في الفتح . قرباً وبعداً . مع اشتغال القلب بالتفكر في عظمة الله تعالى وجلاله على ضرب من الضروب المتفكر بها . المقررة في محالها . حتَّى تألف النفس التجرد والتفرد عن الأغيار . وتحدث عنها عادة بالتخلي عنها . والاستغناء عنها والزهد فيها . عوض ما كان فيها قبل . من الاشتغال بها . والركون إليها . والميل إلى جانبها . فعند ذلك يجد العبد فناء في نفسه وعن جميع الأغيار ؛ إما من حيث أنها لا تضر ولا تنفع . ولا فائدة فيها . لا في جلب ولا دفع . وذلك عند تجلي الحق تعالى لعبده باسمه الواحد الأحد . العالم القدير . النافع الضار . ونحوها من الأسماء . وإما من حيث أنها عدم في الحقيقة متلاشية لا حاصل لها . وذلك عند تجلي الحق سبحانه لعبده باسمه تعالى . الحي القيوم . البارئ المصور . الأول الآخر . ونحو ذلك من الأسماء . ويجمع الأمرين مضمون لا إلاه إلا الله . ثم هو تعالى قد يغيّب عبده عنها (2) بحيث لا يشعر بها حسّا . ومن لازم ذلك خروجه عن/ التكليف ولا حديث عنه . وقد يرده إليها فإن ردّه إليها بعد التمكين (3) كان خليفة فيها . قائماً بالله في الله لله . يأخذ منها ولا تأخذ منه . وهو حال الكبراء من النبيئين والصوفيين وهذا كله إذا صارت الغيبة مقاماً بأن تكون حالة راسخة في النفس .

ص 226

1 — مقدمة من قول الناسخ

(1) الجذب في اصطلاح الصوفية انجذاب من العبد نحو الحق وهو مقام شهود الحق سبحانه متجليا في كل شيء. أنظر شفاء السائل لابن خلدون ص 107

(2) الضمير يعود على الدنيا . الأكوان

(3) التمكين مقام يكشف الحق سبحانه فيه عن أتم وجهه ويشاهد الصوفي عالماً قد زينه الله بالمعارف القدسية. أنظر شفاء السائل لابن خلدون وروضة التعريف ج 484/2 وما بعدها

والجوارح جارية على مقتضاها كما هو حال الواصلين ، وأما إذا كانت حالاً يعرض ويزول كما هو غالب السائرين السالكين . فهو يتقوى ويضعف ، ويكثر ويقل ، بحسب قوة الموهبة والأسباب وضعفها ويتقوى البسط والقبض(4) المذكوران . ويضعفان بحسب ذلك . ولا سبب للموهبة إلا الالتجاء إلى الله تعالى بصدق الافتقار والاضطرار . ولا سبب لتعاطي الأسباب إلا تكلفها أولا . مع تقديم التوكل على الله تعالى في الإعانة ، مع إسقاط الحول والقوة عن النفس .

والعبد السالك متلون بين الأمرين بحسب القوة والضعف . وبحسب ما يقع بين الروح وأجناده . وبين الهوى وأجناده . من التدافع والتقاتل حتى يغلب عليه أحدهما . بحسب السابقة . وليس له في حال السلوك إلا طلب الغيبة عن الأكوان بوجود مكونها . والالتجاء إلى الله تعالى في ذلك ، وتعاطي الأسباب المؤدية إليه جهد الاستطاعة. وأما في النهاية وبعد الوصول/فليس له اختيار . لأن الطرفين في حقه محمودان . مع أن الرجوع إلى الأكوان أقوى وأفضل . وإن وجد معه الكدر والتعب والقبض أحياناً اللازم لذلك . لأن ذلك مقام الأقوياء . فالعبد إذ ذاك مطروح في يد القدرة تصيره إلى ما سبق له . وهو راض متوكل على الله تعالى في القيام فيما أقيم فيه.

ص 227

وقد يعرض له حالة شهود للحقيقة . وحال غيبة عنها . وحال الجمع (5) والفرق . وقد يقوى عليه الشهود . فربما طلب الغيبة ليستروح في الحال . كحال من ينتف لحيته . ويُحْمل على أنه في ذلك الوجه مغلوب برجوعه إلى أصل ضعفه وأرضيته . وفي هذا الباب أعني باب التمكين . والقيام في الأشياء بإقامة الحق تعالى . تجد النفس راحتها وشهواتها . مع السلامة بحول الله تعالى . ولا يخفى أن ذلك غير مطلوب للعارف أولاً ولا آخراً من حيث شهوات النفس

---

(4) القبض في مصطلح الصوفية وارد أو حال يشعر به السالك فيتقبض له ويحدث له غماً وهماً وخوفاً ؛ ويخالفه وارد البسط عندما يفتح له باب من الأنس والرجاء. وعند ذلك يلزمه الأدب

(5) حال الجمع   أن يرى الصوفي الأشياء قائمة بربها لا بنفسها . أو شهود الخلق قائماً بالحق . حال الفرق : عودة الصوفي من حال الجمع إلى مشاهدة العبودية ورؤية الخلق بدون الحق سبحانه

لذاتها ، ولو طلبه كان ساقطاً محجوباً. كما أن السالك إذا طلب الغيبة عن الأكوان بغير أدب ، كأن يطلبه لحلاوة البسط ، أو لحلاوة الوصول ، كان سيره معلولا وعلمه مدخولا ، وكان بتلك الشهوات محجوباً . ولذلك يقال لا يكون الوصول حتى تنقطع شهوة الوصول ، انقطاع أدب.

وبالجملة فكل ما سوى الله تعالى حجاب عنه ، وبالله تعالى العصمة والتوفيق . يقول كاتب هذه الحروف أجهل الخلق وأكثرهم لوثاً وجرماً الحسن بن مسعود اليوسي : إنا أشرنا إلى هذه المسألة بحسب ما تصورنا في الفهم ، وما وقع في الوهم ، مما يُذْكر من حال الرجال ومقاماتهم/مع احتياجها إلى بسط كثير يضيق عنه المقام . وقد عُلِمَ أن المقام يعبر عنه من وصل إليه ومن لم يصل ، وأنا والله قد عبرت عنه ولم أصل إليه ، وقد علم ما في ذلك من التجاسر وسوء الأدب . وأنا أستغفر الله منه ، ولولا إسعاف السائل ، مع النظر إلى كون الكلام وقع على طريق العِلْم وإبانة الأشياء ، لا طريق المعرفة ، ولا حرج إن شاء الله في الأول ، إلا ما يقع من الثاني ، ما تكلمت منه بحرف واحد انتهى.

ص 228

الرسالة الثامنة عشرة

رسالة في التربية الصوفية

رسالة في إصلاح اعوجاج النفس والوصول إلى الفتح الرباني بين القيام بالحق والاستسلام لله تعالى . وبين نيل الوصول بالركون إلى العلوم والمعارف وطلب الحظ اعتماداً على الحول والقوة والعمل.

وللرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم قـ 302 الذي توجد فيه جل الرسائل . وهذه الرسالة فيه من ص 216 إلى ص 219 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وعلى من بك وإليك أما بعد. فقد فهمت مضمون خطابك. والذي تشكوه من اعوجاج النفس نشكوه كلنا وقد شكاه أمثالنا قبلنا. وسيشكونه بعدنا. ولكن المعول عليه هو فضل الله تعالى. لاطهارة النفس ولاصلاحها. وأي طهارة تكون لها/والخبث طينتها؟ فلو لم تصل إلى الله إلا بعد ذهاب مساويك. ومحو دعاويك. لم تصل إليه أبداً. ولكن إذا أراد أن يعطيك. غطى أوصافك بأوصافه. فالعبد إن واجهه فضل الله تعالى. كان كل شيئ. وإلاّ لم يكن شيئا مذكوراً. فوجب إذاً الرجوع إلى الله تعالى في كل شيئ. ص 217

واعلم ياأخي أن الركون إلى العلوم أو المعارف في نيل الوصول غلط. وكذا حديث الوصول لا يخلو من فضول. وشهوة تمنع من الوصول، وسوء أدب لا يبقى معه محصول. وذلك أن أدب العبد الذي يرجو معه الفلاح. هو قيامه بالحق لا طلبه للحظ وحق الله تعالى إنما هو التعبد بامتثال أمره بعد معرفته. قال تعالى: «فاعْلَمْ أَنَّهُ...» الآية (1) وقال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ...» الآية (2) وقال تعالى: «وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللهَ...»الآية (3) فحق العبد أن يكون همه في القيام بهذا الأمر. امتثالا لأمر سيده ومولاه. وطاعة له. وقياماً بواجب حق ربوبيته. وسيادته. لا لشيئ آخر. ثم لا عليه أن يتشوف إلى غيره بطريق الفضل منه لا لشيئ آخر. ولكن ليكن همه واغتناؤه. القيام بالحق لا نيل الحظ. والله تعالى أكرم من أن يقوم العبد بخدمته ولا يقوم له هو تعالى بقسمته في الدارين. حساً ومعنىً.

وقد ذكرت في كلامك أن العبد — تعني نفسك — قد صفت منه الحيل سوى الاستسلام لله عز وجل. فإن صدقت نفسك في هذا. فابشر بأنك قد

(1) تمام الآية فَاعْلَم أَنَّهُ لا إلاه إلاَّ هُو واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ولِلْمُومِنِين والْمُومِنَاتِ. والله يعْلَمْ مُتَقَلَّبَكُمْ ومَثْواكُمْ» الآية رقم 20 سورة محمد. مدنية.

(2) «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» الآية 56 سورة الذاريات. مكية.

(3) تمام الآية: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة وذلك دين القيمة» سورة البينة الآية 5. مدنية.

ظفرت بالكنز والمفتاح الذي أضله كثير من العباد . وأهل النسك والاجتهاد. فشدّ يدك على الاستسلام والتفويض . والتبري من الحول والقوة . وتعليق الهمة بمولاك . مع القيام بأمره جهد الاستطاعة تنل إن شاء الله . وقد قال شيخ مشايخنا . الشيخ أبو العباس زروق (4) في كلام له ما نصه « طفت المشارق والمغارب في طلب/الحق واستعملت جميع الأسباب المذكورة في معالجة النفس . وتحيلت بقدر الإمكان في مرضاة الخلق . فما طلبت قرب الحق بشئ إلا كان مبعدي عنه . ولا عملت في معالجة النفس بشئ إلا كان لها معيناً . ولا توجهت لأرضي الخلق بشئ إلا كان غير موف بالمقصود . ففزعت إلى الله باللجإ في الجميع . فخرجت...[1] ذلك علة رؤية الأسباب . ففررت إلى الاستسلام . فخرج لي منه رؤية وجودي هو رأس العلل . فطرحت نفسي بين يدي الحق سبحانه طرحا لا يصحبه الحول والقوة . فصح عندي أن السلامة من كل شيء. » انتهى الغرض من كلامه . وهو في سبيل طلب التحقيق(5) . فمن لم يصل إليه من المبتدئين . لا ينبغي له التطاول إليه . بل يشتغل مما يقتضي حاله في الوقت .

ص 218

فمن طلب النهايات في البدايات فاتته النهايات . وإنما حرموا الوصول بتضييعهم الأصول (6) فعليك ياأخي بتحقيق الأصل . وهو القيام بالأدب على ما أشرنا إليه . ولا يخفى عليك مبذول . وبابه محلول . وأنا أقول إن العبد ليس بينه وبين ربه مسافة تقطعها رحلة . وليس بغائب عن ربه لحظة ولا يبعد عنه . بل هو تعالى : « أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ » (7). « وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا

---

1 — بياض في الأصل

---

(4) سبقت ترجمته أنظر ص 383 رقم 40

(5) التحقيق : إفراد السالك نحو الله مطلوبه وفناؤه في معرفته وشهوده أنظر ذلك مفصلا في روضة التعريف ج 486/2

(6) « إنما حرموا الوصول بتضييعهم الأصول » هذا كلام يعزى لسفيان الثوري. أنظر الفصل الذي عقده السهروردي في ذكر شئ من البدايات والنهايات وصحتها : عوارف المعارف 531

(7) تمام الآية « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ » الآية 16 سورة « ق ». مكية.

كُنْتُمْ » (8) فالعبد إذن بين يد مولاه في كل حين وكل حالة . ثم هو لا مطمع له في أن يَتَرَقّى إلى ربه بأزيد من كونه عبداً . إذ لا مخرج له عن هذا الوصف ولو بلغ ما بلغ . فإذا علم العبد هذا من نفسه . وعلم ما بينه وبين ربه . علم أنه واصل إلى ربه بطريق الحقيقة . ولم يبق له إلا أن ينظر فماذا استعمله . فإن استعمله في خدمته التي ارتضاها لعباده على لسان رسوله ﷺ على أنه من عبيد الحضرة (9) المخصوصين . فليشكر الله تعالى . ويعترف بالمنة ويغتبط/بالقسمة . 21 ثم لا مطمع له في الكمال والعصمة التامة . لأنها قسمة الأنبياء وحدهم . فليعرف قدره . ويعلم أنه معرض للخطأ والنقصان والاعوجاج . فمتى أحسن قال : يارب بفضلك والمنة لك . ومتى أساء قال : يارب بجهلي . ولك المعذرة . فسامحني وخذ بيدي إليك . ودلني عليك . فافهم هذا المعنى واعمل عليه . وادع لي أن أعمل عليه أنا أيضا . فإنما تكلمت لك بلسان العلم لا التحقق . نسأل الله أن يتولانا . وإياك وسائر الاخوان . بفضله إنه ذو الفضل العظيم. واَعْلَم بعد هذا أن استعمال الأسباب أمر شرعي وهو أدب في حق من دفع إليه . ومن ذلك أسباب رقة القلب . وانطفاء جمرة النفس التي نبّه الشارع ﷺ على كثير منها . كزيارة القبور بالاعتبار . ومطالعة أخبار الصالحين وحكاياتهم وكلامهم وقراءة القرآن بالتدبر . وسماع المواعظ . وحضور مجالس الذكر . ومجالسة الزهاد وأهل المراقبة والحضور . ومناجاة الله تعالى بالثناء عليه بنعمه الجزيلة وذكر أوصافه الجليلة . والمسح على رؤوس اليتامى والإحسان إليهم . وسائر الإحسان والتصوف والعزلة عن خلاط السوء . والصمت بذكر الله . ونحو ذلك. ولا بد من قزع النفس حيناً بعد حين . بتذكيرها عيوبها . ثم المعول عليه فضل الله . وما أحسن العبد في باب مولاه . نسأل الله تعالى لنا ولك التوفيق آمين. وكتب الحسن بن مسعود كان الله له

(8) الآية 4 سورة الحديد. مدنية.
(9) يعني الحضرة الالهية

الرسالة التاسعة عشرة

رسالة في التربية الصوفية إلى أحمد الشيظمي
وسيدي مسعود

رسالة في آداب الاستشارة وأحوالها والإذن والتأدب مع الشيخ

وللرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل. وهذه الرسالة فيه من ص 256 إلى ص 259 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

من الحسن بن مسعود اليوسي إلى الأخ الفاضل أبي العباس سيدي أحمد الشيظمي سلام عليكم ، وعلى الأخ الفاضل سيدي مسعود ورحمة الله تعالى وبركاته ، وعلى من تعلق بكما . وعلى سائر الإخوان أصلح الله الجميع آمين . وقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت من شكوى الإخوان الضيق . فليصبروا وليحتسبوا/وعسى « أَنْ يَجْعَلَ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً » (1). وكلما أصاب المرء خارجاً عن دينه فهو نعمة في[1] الحقيقة ، وإن كان بلاء في الصورة . فالواجب عليه الحمد والشكر ، والثقة بالخلف إن شاء الله . وما ذكرت من الاستشارة على الخروج إلى أولاد سعيد (2) بالاتفاق على الاستقرار فيما ذكرت . ولا شك أن ذلك أمر تستلذه النفس ويرتاح إليه الطبع ، ولكن لا تغفل عن الاستخارة (3) مع عقد التفويض بذلك الأدب ، فإذا وقع الانشراح بعد التفويض وحصل التيسير . فافعل ونحن ندعو الله بالخير . وقولك : نريد أن تقول افعل أولا تفعل ليس من الأدب . واسمع مني معنىً أقرره لك في هذا ، فإنه فائدة مهمة ، وهو أن تعلم أن الاستشارة في الأمور تكون على **أحوال أربعة** ما يسند إلى أرباب الأحكام . وما يسند إلى أهل الرأي والتجربة في الدنيا . وما يسند إلى مشايخ التربية . وما يسند إلى الكهان .

ص 257

فأما الأول فهو ما يرجع إلى حكم الشيء شرعاً من وجوب وندب مثلا ، وحلية وحرمة ، وصحة وفساد ، فالمسؤول عنه الفقيه ، وهو يخبر بما فيه جزماً إن أدركه ، وفي معنى هذا كل ذي علم في علمه ، أو صانع في صنعته المتقررة.

وأما الثاني فهو يرجع إلى وجه محاولة الشيء وتعاطيه بحسب ما يصلح

---

1 – في الأصل « فالحقيقة » صوابه « في الحقيقة » مقابل « في الصورة » التي جاءت بعد ذلك في السياق

---

(1) الآية 7 سورة الطلاق. مدنية

(2) « أولاد سعيد » قبيلة من قبائل الشاوية الغربية

(3) الاستخارة طلب الخيرة أو الخير. فعند أحمد بن حنبل عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال « من سعادة ابن آدم استخارة الله » وهي من السنن النبوية. وصفة الاستخارة صلاة ركعتين في أي وقت من الليل والنهار ثم يدعو بالدعاء الذي رواه البخاري من حديث جابر وهو مشهور.

ويستتب (4). ويكون صواباً عند الجمهور . فالمسؤول عنه أهل التجاريب فيه وهم يقضون بما يرون.

وأما الثالث وهو في المريد السالك . فهو ما يرجع إلى الأدب اللائق به في الوقت . مما يناسب حاله في سلوكه ، فالمسؤول عنه شيخه أو أخ صالح ناصح يقوم مقامه . فيحمله في الأحوال العارضة له . كمخالطة الناس أو اعتزالهم/أو السفر أو الإقامة أو التزوج أو التجرد ، أو الاشتغال بسبب أو تركه . على ما يراه لإبقائه في صلاح قلبه ووفور حاله عليه في الوقت

ص 258

وأما الرابع فقد كان في الجاهلية حيث يسألون الكهان . وأهل الزجر (5) والعيافة (5) وأرباب النجوم ونحوهم عن الأمر ماذا يلقون في عاقبته أخَيراً أو شرّا.

إذا علم هذا فنقول : المريد متى سأل شيخاً له أو أخاً عن أمر لسُكنى بلد . أو ارتحال إلى آخر . فيقال له ما تريد بسؤالك ؟ فإن أردت حكم ذلك شرعاً فلا بأس ولكن اسأل عنه كل فقيه . ولا تتوقف على شيخ ولا أخ . وإن أردت أن تعرف ما يليق في ذلك في رأي أهل العقول فقد أخطأت ونقضت عقدك . فإن هذا هو التدبير والاختيار ، الذي ألزمك شيخك أو أخوك أن تتركه . وأنت الآن تلزمه أن يشتغل لك به . فقد حذرك من أكل الميتة . وأنت تطالبه أن يأكلها . فتب إلى الله تعالى وفوض الأمر إليه . في الخبر : « التدبير نصف العيش » وقال العارفون : والتفويض هو العيش كله . وإن أردت أن تعرف ما يليق بك في حال سلوكك ، مما يستقيم به أمرك في إرادتك . فهذا لا بأس فيه وهو الشأن ، غير أن الأدب فيه ، أن يعرض الأمر على الشيخ ، من غير أن يميل إلى جانب ، ثم يمسك ولا يطلب جواباً ؛ إذ قد لا يقضي الوقت للشيخ بالجواب ، فيكون طلبه سوء أدب. فإن أجابه فذلك ، وإلا توقف . وإن أردت أن تعرف ما هو عاقبة ذلك ، فقد أخطأت أيضا غاية ، فإن هذا ليس بلازم أن

---

(4) استتب الأمر : استقام واطَّرد وتبين.

(5) الزجر والعيافة بمعنًى واحد : عاف الطير . زجرها : وهو أن يعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فيتسعد أو يتشاءم . والعائف : المتكهن بالطير.

يطلع عليه الشيوخ والإخوان. ثم لو اطلع عليه بعضهم، قد لا يؤذن له في إفشائه. وأنت ليس من/الأدب بك أن تتشوف إلى ذلك رأساً، ولا أن تسأل عنه، بل تسلم الأمر لله، وتعمل على ما ظهر. فاذا لم تخالف الأدب والشرع فقد نجحت. والسابق لاحق لا مرد له، ولا عيب فيه. نعم قد يكون من أولياء الله من يطلع على شيء ويؤذن له فيبرز منه اتفاقاً، وقد يكون فيهم من لا يتماسك من أرباب الأحوال، وسؤال هؤلاء في الصورة، كسؤال الكهان. والاستقامة بالتحفظ على آداب الوقت هي الغنيمة والتجارة التي لا تبور. نسأل الله التوفيق لنا ولكم آمين.

ص 259

الرسالة العشرون

رسالة في التربية الصوفية

رسالة حول شفاء النفس من الشعور بالذنب بدوام التوبة والتفاؤل وحسن الظن بالله

وللرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم قـ 302 الذي توجد فيه جل الرسائل . وهذه الرسالة فيه من ص 286 إلى ص 287 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

(**وكتب إليه بعضهم بكتاب مضمنه.** إنني حدث على ألم في نفسي من قلة التوبة وكثرة الذنوب ، ولم أجد لذلك فسحة لنفسي ولا طبيبا/استغيث به سوى مولاي العظيم ، وتذكيركم علينا لعله سبحانه يصلح ديننا ويصحح توبتنا . فأجابه بما نصه)[1]

ص 287

وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، أما بعد ،

فاشكر الله تعالى على ما أعطاك من الإيمان والإسلام ، وفضلك بهما على كثير ممن حرمه من خلقه ، ثم أعطاك حب التوبة والتألم من الذنوب ، وفضلك بذلك على كثير ممن يفرح بالمعاصي . فإن وفقك الله لشكر هذه النعم العظيمة ، استرحت واشتفيت ، واستبشرت بالمزيد من الله تعالى وتكميل ما بقي ، فإن قول الله تعالى : « لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ » (1) وعد حق . فانظر إلى ما أعطاك الله أبداً من الخير ، واشكر عليه ، ولا تَنْسُبه إلى نفسك فيزيدك ما بقي ، ولا تنظر إلى ما لم يعطك ، وتنسى ما أعطاك فيخشى عليك أن يسلبك ما أعطاك فلا تجد حيلة. نسأل الله لنا ولكم التوفيق والهداية إلى سواء الطريق آمين.

---

1 — مقدمة من قول الناسخ

---

(1) الآية 9 سورة ابراهيم. مكية.

الرسالة الواحدة والعشرون

رسالة إلى أبي العباس أحمد
ابن مسعود البوعمري

الرسالة بتمامها شعراً ونثراً ، لها نسخة فريدة في مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 7704 وهي عبارة عن مجموع يضم بعض رسائل اليوسي وهي :

— الدلالة الوافية في الرسالة الأسفية
— رسالة إلى أبي العباس أحمد بن مسعود البوعمري
— جواب عن سؤال من لا يتقن النحو هل له أن يفسر القرآن
— براءة اليوسي للمولى إسماعيل

والرسالة فيه من ص 14 إلى ص 15

والمخطوطة خطها ردئ جداً وأخطاؤها كثيرة ، والمحو فيها كثير أيضاً. وقد صححت الشعر من الديوان مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم جـ 157 ورقة 114 وجه وظهر.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

رب اهدني وأخي أبا العباس (1) سُبُل النجاح بغير ما إِلْباس
وتولّنا بعناية وحماية وكفاية كل الأذى والباس
وتجمل(1) من حلية الإيمان والإيـ ـقان والتقوى بخير لباس
ووقاية من شر أنفسنا ومن شر الهوى والهامس(1) الخناس
وسلامة من كل ما لا يُرْتَضى وطهارة من جملة الأدناس
وأَمِدَّنا من فضلك المبذول بالـ ـأصناف والأنواع والأجناس
وارفع مناصبنا وأكرمنا بما أكرمت مَن صافيت بين الناس
وافتح علينا ما فتحت على الأُولى واجهتهم(2) بالبر والايناس
واصقل بصائرنا وأَسْرِج دائماً فيها بفضلك نَيِّر النبراس
واملأ بأنوار اليقين قلوبنا واجعله كالطود المنيف الراسي
وافجر بها ينبوع علم فائضاً ما ليس يدركه ذَوُوا الأطراس
علما لَدُنْياً مَنِ استَهْدى به لم يَفْتَقِر لدراسة الدُّرَّاس
وأدر علينا من شراب(3) رُوَّقَتْ للواصلين الصفوة الأَكْياس
صهباء من عين الصفاء فأرونا من صرفها(4) أبداً بأرْوَى كاس
وَتَلَافِنا بتعلُّق وتخلُّق وتحقق في كل ذات نِفاسِ (2)
وتثبُّتٍ وتحفظٍ وتبصُّر وتشمر لحراسة الأنفاس
وتتبُّعٍ لخلال أرباب النُّهَى وتنزُّهٍ عن شيمة الأَجْفاس (3)

---

1 — في الديوان الهامز. 2 — في الأصل «وأجملتهم» صححت من الديوان». 3 — في الديوان «سلاف» 4 — في الديوان «صفوها».

---

(1) جاء في الديوان: «وقال وقد طلب منه الأجل أبو العباس أحمد بن مسعود البوعمري المراكشي وصية فكتب له وذلك سنة 1094 أيام سكناه بمراكش.» وقد ترجم لأبي العباس أحمد بن مسعود البوعمري هذا كتاب الإعلام بقوله: «لقي الشيخ اليوسي بمراكش فطلب منه وصية في عام 1094 أيام سكناه بها فكتب..» وأثبت هذه القصيدة. ولم يذكر له تاريخاً للوفاة. أنظر الاعلام ج 122/2 ترجمة رقم 96

(2) أي في كل خصلة ذات تنافس أي يتنافس فيها

(3) الجفس. والجفيس: اللئيم

وابسُطْ علينا الرزق واجعله لنا زاداً ولا تجعله فتنة ناس
وانشر علينا رحمة واختم لنا بالفوز إذْ يُدعَى بكل أُناس
واضمم إلينا نسلنا في كل ما نرجو وكل أخ ، لنا وَمُواس
يارب واخصصنا[1] جميعاً بالهدى والصون عن ريب وعن وسواس
واغفر لمن قد زل واقْبل مَنْ دَعَا وارزق خشوعاً كل قلب قاس
ثم الصلاة على النبي المصطفى من جاءنا بالدين والقسطاس
وعلى الأكارم آله وصحابه ما فاح غِبَّ الغيث روضُ الآس

هذا وأوصيك أيها الأخ الحبيب ، والصفي اللبيب ، بتقوى الله، والاجتهاد في طاعة الله ، والإنحياش إلى الله ، والتوكل في الأمور كلها على الله ، وتعلق القلب بالله ، والرجوع في كلٍّ شيءٌ إلى الله ، والشكر لأنْعُم الله ، والرضى بقضاء الله ، والصبر على أحكام الله ، ومراقبة الله، والحذر أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك ، وتحقيق الأصول ، وتجنيب الفضول ، ومتابعة الرسول ﷺ ، وتعظيم حرمات الله وشريعته ودينه ، وشرائعه وكتابه ونبيه ﷺ ، وسنته وآله وصحبه وسائر أمته خاصة وعامة.

فعليك باحترام مشايخ الدين ، والصالحين من سائر المسلمين ، وحسن الظن بعباد الله ، فلا تحقر أحداً ، ولا تجعل لنفسك شفوفاً على الغير أبداً. وعليك بالحب في الله والبغض ، فإنهما من الإيمان ، وجامل الناس وعاشرهم بحسن الخلق ، ولا تسئ الظن بأحد ، ولا تغتر بأحد ، ولاتركن إلى أحد ، ولا تصحب إلا من يُنهضك حاله ، ويدلك على الله مقاله ، وقليل مَاهُم . وإن نابتك نائبة فأنزلها بالله وحده ، عالماً أنه إن لم يفكها لا تنفك ، ولو اجتمعت عليها أهل السماوات والأرض . وإن وقعتَ في خطيئة أو سوء أدب مع الله ، فبادر بالاعتذار والتوبة عالماً أنك عبد ، وما للعبد إلاَّ مولاه في كل حال. إن جاع قال رب اطعمني ، وإن عطش قال رب اسقني ، وإن عرى قال رب اكسني ، وإن احتاج قال رب أعطني ، وإن عمل قال رب تقبل مني ، وإن قصر قال رب اغفر لي ، وإن أساء لم يقنط من رحمة الله ، وإن أحسن لم يَأْمَن

1 — في الأصل «وخصصنا» ولا يستقيم به البيت

من مكر الله ، وعليك بخلاص العبودية ، وإفراد الله تعالى بالربوبية ، فلا تنسب لنفسك ولا لأحد غير الله شيئاً ، وما جاءك من الخلق فانسبه لله تعالى ، فإن كان خيراً فاحمد الله تعالى عليه... [1]وهذا حق الحقيقة ، ثم اشكر الواسطة بالمكافأة على قدر ما ينبغي شرعاً وعرفاً... [2]الشريعة . وإن كان شرا فارض به من الله تعالى ، واصبر وفوض ، وهذا أحق الحقيقة... [3]لعجزه إلا ان ينظر الشرع مكافأة بلوم أو عقوبة قياما بحق الشرع... [4]بنفسك ، وهذا هو الشريعة ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياك وأولادنا ، وسائر أحبتنا ممن أخلص لله ، وأقام بالحقيقة والشريعة ، مع التبري من الحول والقوة ، والاعتراف لله تعالى بالمنة ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما . وكتب عبد الله تعالى الحسن بن مسعود اليوسي كان الله له

---

1 — في الأصل محو في هذه الفقرات الأخيرة تميز فيها الحروف بصعوبة كبيرة ، وهذه الجملة ممحاة محوا تاما . 2 — محو في الأصل . 3 — محو في الأصل . 4 — محو في الأصل .

الرسالة الثانية والعشرون

رسالة في استخلاف الشيخ

رسالة مقتضبة في موضوع استخلاف شيخ التربية بعد موته. يُجيب ء
اليوسي باختصار على سؤال من مريد.

وللرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العا
بالرباط تحت رقم قـ 302 الذي توجد فيه جل الرسائل. وهذه الرسالة فيه ،
ص 207 إلى ص 208 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصه
المخطوطة.

(وسئل **أيضا أدام الله بقاءه** عمن دخل في يد شيخ من شيوخ التربية وصحبه ثم مات الشيخ ولم يكمل المريد هل يستخلف شيخا آخر أو يقتصر على الأول ؟)[1]

نص الجواب : الاستخلاف جائز ، ويتعين في حق من لم يكمل سلوكه كما وقع/ في السؤال . نعم ، قد يكون لبعض المشايخ خصوصية التصرف بعد الموت كالحياة أو أكثر ، فتكون له اليد على المريد بالتوصيل والتكميل على طريقة الترقية ، وقد يكون على طريق التربية نوماً أو يقظة ، تخصيصاً من الله تعالى . فمثل هذا يكتفي به المريد ، وإلا فلا يضيع نفسه ، بل يطلب ويصحب حتّى يبلغ والله الموفق . وكتب الحسن بن مسعود البوسي وفقه الله .

ص 208

1 — مقدمة من قول الناسخ

الرسالة الثالثة والعشرون

رسالة في موضوع زيارة
للشيخ محمد ابن ناصر

نسخة فريدة من كتاب «طلعة المشتري في النسب الجعفري»: أحمد الناصري

طبعة حجرية بفاس الجزء 1 ص 273

(**ولما رجع سيدي الحسن اليوسي** من عند الشيخ رضي الله عنه كتب إليه سيدي أحمد بن عبد القادر (1) يسأله عما دار بينه وبين الشيخ في شأنه وهل سمع منه في جانبه مقالة ينشده بها . فأجابه سيدي الحسن اليوسي بما نصه)[1]

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وعليك أيها الأخ الصفي الوفي السلام الكريم . والرحمة التي لا تبرح ولا تريم . أما بعد . فقد قلق عليَّ حامل الكتاب . والجواب هو ما رجوته أن يكون جواباً إن شاء الله تعالى. فكن واثقاً من الله تعالى بعميم الفضل . وعظيم البذل . ولقد رجعت من عند الشيخ رضي الله عنه . مستبشراً عظيم الرجاء في كل خير لي ولك. ولقد عجبت من قولك هل ذكرتني للشيخ ؟ وكيف لا أذكرك وما نسيت البعيد ؟ فكيف بالقريب . فكيف بأقرب القرباء ؟ بل من ليس بيني وبينه إثْنَينِيَّة ولا تعديد أصلا . وقد ذكرت حوائجي وحوائجك الخاصة والعامة فما رأيت إلا خيراً لي ولك . وقال لي في بعض كلامه : قل له كل ما كان عنده من الرجاء فليزد فيه ما شاء أن يزيد أو نحو هذا من الكلام . وبالجملة فابسط أَملَك . وأشكر الله كثيراً وتضرع إلى الله في التوفيق والعصمة لنا ولك والسلام.

---

1 — مقدمة من « طلعة المشتري » ص 273

---

(1) احمد بن عبد القادر التاستاوتي سبقت ترجمته انظر صـ 439 التعليق رقم 4

الرسائل في التوحيد

رسالة في «حوادث لا أول لها»

موضوع هذه الرسالة مفصل في كتاب «عمدة التوفيق في شرح عقيدة أهل التوحيد» للإمام السنوسي، وتناوله اليوسي بالشرح المستفيض في حاشيته على هذا الكتاب المعروفة باسم «الحاشية على كبرى السنوسي» أنظر مخطوطة الخزانة الملكية ك 2648 ص 39 وما بعدها

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل. وهذه الرسالة فيه من ص 232 إلى ص 234 ورمزها كما هو معلوم حرف «ق» وقد سبق وصف المخطوطة

المسألة الرابعة والعشرون

(وسئل عن قول الشيخ السنوسي في كبراه في حوادث لا أول لها (1)
« وأنه يصح عند كل حادث ثبوت حكم بفراغ ما لا نهاية له ألخ... وأنه أشكل على السائل وصعب عليه غاية. ولم يتخلص إلى إبطال هذا الحكم اللازم عن حوادث لا أول لها حيث يفْرضُ توالي الأحكام إلى الألف والواحد ينقطع ويكون ما قبل ذلك متناهياً . وأي مانع من اتّحاد الحكم ووقوعه على أشياء لا تتناهى. فقال بعد كلام »[1]

وأما ما ذكرت من الإشكال ، وأن الحكم لا يصح أن يكون متناهيا مع وقوعه على ما لا يتناهى ، فجوابه أن هذا الاستدلال قد بُنِيَ على أن كل حادث من الحوادث المتسلسلة لا بد أن يقع عليه حكم بفراغ ما لا نهاية له قبله ، لأن صحة الحكم تتبع صحة المحكوم ، كما في صدر كلام المصنف (2) في الشرح . فإذا كانت كل حركة (3) قد صدق الحكمُ عليها بأنها قد فرغ قبلها ما لا نهاية من عدة الحركات الغير المتناهية ملزومة للأحكام عليها غير متناهية ، وهذه الاحكام لازمة . وكما أن وجود الملزوم يستدعي وجود اللازم ، كذلك انتفاء اللازم يستدعي انتفاء الملزوم ضرورة . فكلما انتفت الأحكام بأن فُرِضَ تناهيها ، لزم أن تنتفي الحركات ، فتنتهي إذا وُجِدت حركة أخرى ، مثلا بعد الحركة التي انتهى عنها الحكم لزم أن يوجد حكم آخر ، فإن وجدت أخرى بعدها لزمها آخر ، وهكذا . فكيف يقول الخصم إن الأحكام قد انتهت والحركات لم تنته ؟

---

1 — مقدمة بقول الناسخ.

---

(1) يقول محمد بن يوسف السنوسي في « عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد » ص 39 : «فعني لا نهاية لها بحسب المبدأ أي حوادث لا أول لها وبمعنى لا نهاية لها بحسب الآخر أي حوادث لا آخر لها.» أنظر المبحث من أوله ص 36 مخطوطة ك 2648

(2) المصنف : يعني الإمام السنوسي. انظر ترجمته ص 496 التعليق رقم 15

(3) حقيقة الحركة عند السنوسي هي انتقال جوهر من حيز إلى حيز (ص 35) بواسطة حكم فهي إذن حادثة ويقول ص 39 : فالحوادث إذن لها أول ولا وجود لجنسها ولا لشيء منها في الأزل وهو المطلوب .

ص 233 هذا محال لأنه إثبات للملزوم مع نفي لازمه/وهو باطل . أما ما اعتبرته أنت من اتحاد الحكم مع تعدد المحكوم عليه ، فإما جاءك من كونك رأيت الحركة الواحدة بعد الألف مثلا يقع عليها الحكم بانصف[1] قد فرغ قبلها ما لا نهاية له. وهذا الحكم مُنْصَبٌّ عليها وعلى جميع ما قبلها ، وهو صحيح فإنه متسلط على الجميع ، وليس كلامنا في هذا بل في قول الخصم ، إنه لا حكم بعد هذا الحكم الواقع على هذه الحركة مثلا ، فإنا نقول له إن كل حركة تقدرها بعد هذه الحركة ، فلابد أن يُحْكَم عليها بحكم مثل الحكم الذي حُكِمَ به على هذه ، وكلما لم ينته المحكوم عليه فلا ينتهي الحكم ، لأنا نطلب على كل حركة حكمًا ، إذ هو لازم لها كما ذكرنا. فكيف ساغ لك أيها الخصم أن تقول أحْكُم على الواحدة التي تلي الألف ولا أزيد. وفعلت ذلك أيها الخصم لئلا يلزمك توالي الأحكام ، مع توالي المحكوم عليه ؛ وَسَبْقُ الأزليّ على الأزلي فوقعت في انتفاء اللازم مع عدم انتفاء الملزوم وهو محال بضرورة العقول لأنك قلت لا حكم بعد هذا الحكم ، والحركة موجودة بعد هذه الحركة ، ومن لَازِمِها حكم عليها ، وقد انتفى عندك هذا اللازم ، فكيف لم تنتف تلك الحركة الملزومة حتى تَقِر بأن لا حركة، ولا سلسلة ، فافهم. ولعلك إذا فهمت هذا الذي قررنا ، اتضح لك استدلال المصنف بأنه يقول في المعنى لو كانت الحركة لا تتناهى ، لزم أن تكون الأحكام لا تتناهى ؛ وبيان الملازمة أن وجود الملزوم مقتض لوجود اللاّزم ، كما

ص 234 مرّ لكنّ الأحكام متناهيّة. ونقول أيضا كلما/انتهت الأحكام تناهت الحركات ، وبيان الملازمة أن ارتفاع اللازم مُلْزِم لارتفاع الملزوم . وكلما تناهت الحركات لم يصح أن يحكم عند الواحد والألف بفراغ ما لا نهاية له قبله. وبيانه أن تناهيها يُبْطِلُ الحُكْم عليها بعدم التناهي وهو واضح. وفي هذا الدليل وجوه من التقريرات . وأنت إذا فهمت المقصد على ما قررناه لم يَخْفَ عليك كلامُه على ما في الحاشية عليه من المناقشات ، وإن بقي لك شيءٌ فراجعنا به والله الموفق. وصلى الله على سيدنا محمد وآله

---

1 — كلمة غامضة

رسالة حول الأزمنة هل متناهية أم لا ؟
وحول الأسباب وتعاطيها

موضوع هذه الرسالة مفصل في كتاب « عمدة التوفيق في شرح عقيدة أهل التوحيد » للإمام السنوسي ، وتناوله اليوسي بالشرح المستفيض في حاشيته على هذا الكتاب المعروفة باسم « الحاشية على كبرى السنوسي » أنظر مخطوطة الخزانة الملكية كـ 2648 ص 35 وما بعدها.

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم قـ 302 الذي توجد فيه جل الرسائل. وهذه الرسالة فيه من ص 245 إلى ص 247 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

أما المدد المذكورة ، فإن عني بها الأزمنة المحققة — على ما في الزمان من الاختلاف أهو جوهر مجرد أم هو عرض ، هو حركة الفلك أو مقدارها أو غير ذلك — فلا شك أنها من جملة العالم فهي حادثة ، مسبوقة بعدم ، كسائر العالم . فقد كان الله تعالى لا شيئ معه ، ثم أوجد هذا العالم بأسره ، فهو كله متناه ، مسبوقٌ بعدم . ودليله ما تقرر في بطلان حوادث لا أول لها من الدلائل (1).

وإن أريد بها الموهومة قبل وجود العالم وصحة وجوده فهي الأول . كما قال بعض المشايخ :

أزمنة توهمت لا تنتهي[1] إلى زمان حقق الأزل هي[2] وهذه ليست بشيئ موجود ولا بشيئ يوجد فيه شيءٌ ، حتى يتوهم فيها أو فيما يقع فيها التسلسل . وإنما ذلك عبارة عن عدم الأولية/لا زمانٍ محققٍ. ص 246

وأما الأسباب فقد أظهرها الله تعالى وجعلها بباهر حكمته مظاهر نفحاته ، وأبواب رحماته ، والله تعالى قادر أن يوصل ثمراتها إلى عباده (كفاحا بلا هي)[3] لكن اختار توسيطها (2) في الغالب صوناً للأسرار ، وإخفاء للاقتدار ، وابتلاءً للأفكار لِيُضِلَّ من يشاء ، فَيَعْمى بها عن الواحد القهار ويغفل بتعاطيها عن الآداب والأذكار ، ويهدي من يشاء فيخرق الأسوار ، ويكتب في أهل البصائر والأبصار ، المومنين بالغيب من الأبرار ، إلى غير ذلك من الحِكم والأسرار ، التي تستبين للنظار.

ولما كانت أبوابِ رحمته تخرج منها أمداده ، تعاطاها الناس جاهلهم وعارفهم ، الجاهل لما ألف وتعود عندها ، والعارف تأدباً مع الله بالوقوف على

---

1 — في الأصل «لا تنهى» 2 — في الأصل «حققنا لازل هي». 3 — كذا في الأصل.

---

(1) انظر ذلك مفصلا في شرح الكبرى للسنوسي . ص 35 — 39 مخطوطة الخزانة العامة بالرباط كـ 2648 .

(2) توسيطها أي جعلها بواسطة . ذات دوافع

الباب ، وانتظار رب البيت. وما أُمِر به منها يفعل تعبداً مع ذلك أيضاً كسائر العبادات الشاقة ، ولله في أمره بها حكمة بالغة كما أشرنا إلى شيْ منها. على أنا لا نشترط المصالح ، ولا ظهور الحكم فإن الله تعالى له الحجة البالغة «لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ» (3)

فالمطلوب منّا إقامة الأسباب شرْعة (4) والفناء (5)عنها حقيقة «وَلِلّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ» (6)، وهذا الباب واسع جداً لا تُحصى لطائفه ، ودقائقه وفيما ذكرناه كفاية : «لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» (7) وإنما لم أتتبع فصول السؤال بالبحث لأنها أوهام محضة ناشئة عن الغفلة عن الشريعة والحقيقة والله يهدي السبيل ونعم الوكيل./ ص 247

---

(3) الآية 23 سورة الأنبياء
(4) الشرعة : الشريعة
(5) الفناء صفة للنفس. فناء العبد في أفعاله احتسابا لله
(6) الآية 3 من سورة الروم
(7) الآية 37 سورة «ق»

الرسالة السادسة والعشرون

رسالة في موضوع ذات الله
هل هي حسية أو معنوية

موضوع هذه الرسالة تناوله اليوسي في جوابين . مما يدل على أن السؤال كان مطروحاً للمناقشة بين الطلبة.

وتناقش الرسالة المقصود بصفة « المعنوية » لذات الله . والمقصود بصفة « الحسية ». والرسالتان متكاملتان وأثبتها الواحدة تلو الأخرى

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل . وهذه الرسالة فيه من ص 199 إلى ص 202 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

الحمد لله وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما .

هذا سؤال شيطاني . أوحاه الشيطان لعنه الله إلى أوليائه ليجادلوا به . وليصُدهم عن ذكر الله . ويشغلهم بالفضول . ويوقعهم في الجسارة عن الجناب العظيم . وسوء الأدب مع الله الكريم . والخوض فيما لا ينبغي لهم أن يخوضوا فيه . فقد أمر الشرع بالتفكر في ملكوت السماوات والأرض . وعظيم ملك الله تعالى . وما يدل على صفته الكاملة . ونعوته الفاضلة . ونهَى عن/التفكر في الذات العلية (1). وغاية ما يُطْلَب من العبد امتثال الأمر . واجتناب النهي . بعد الاعتراف بوجود الله تعالى . واعتقاد التنزيه والاتصاف بغاية الكمال . كما قال بعض السادات رضي الله عنه التوحيد إثبات ذات غير مشبهة بالذوات . ولا معطلة عن الصفات . وسئل الآخر عن التوحيد فقال : آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل وعجزت عن الإدراك . وأمسكت عن الخوض كل الإمساك (2).

ص 200

فهكذا كان الناس يعرفون الله تعالى وصدورهم[1] مَلْأَى من عظمته وجلاله لا يستطيعون أن يخوضوا فيما لم يوذن لهم في الخوض فيه . ولو رأى بعض السلف الصالحين من يسأل مثل هذا السؤال . ويخوض مثل هذا الخوض . لأدبه إلاّ ألاّ تكون له يد عليه فيبرأ منه . وقد شاهدنا وقائع جرت لهم بذلك في أدنى من هذا ما يتعلق بالقَدَر ونحوه لولا الضِّيق لبسطناها.

وإني والله لو علمت أنه ينقطع هذا السؤال بالإمساك عنه لقطعت هذه البطاقة ولم أكتب عليها حرفاً واحداً . ولكنه شاع في ألسنة الطلبة الخائضة[2] في أودية الأوهام . الباحثين على حتفهم بظلفهم . حتى يقع بهم العشاء على

---

1 — في الأصل « صدوهم » صححت بما يناسب السياق . 2 — في الأصل « الخاضة » وأظنه سهو من الناسخ.

---

(1) هذا تضمين لما جاء في الخبر : « تفكروا في آلاء الله . ولا تفكروا في ذات الله فإن التفكر في ذات الله يقدح الشك في القلب » رواه أبو النعيم في الحلية عن ابن عباس وسنده ضعيف ولكن معناه صحيح أنظر المغني بحاشية الاحياء ج 261/4

(2) ورد هذا شعراً منسوبا لأبي بكر الصديق :

العجز عن إدراكه إدراك ... والخوض في ذات الله إشراك

سرحان. نسأل الله تعالى العصمة. والوقاية من كل وصمة.[1] فلابد إذن من التعرض له لئلا يزداد الفساد. فنقول لهذا السائل هذا الحسّيّ والمعنويّ الذي تسأل عنه في أحكام الذات هل تعرف معناه؟ فإن الحكم على الشيء وبالشيء فرع تصوره. فماذا تريد بالحسّيّ؟ فإن أردت به العُرفي وهو المدْرَك بإحدى الحواس الخمس في العادة من جسم. وَلَوْنٍ وَكَوْنٍ. أو صوت أو طعم أو رائحة. أو كيفٍ. فلا خفاء أن ذات الله تعالى بخلاف ذلك فليست بحسية بهذا

ص 201 المعنى لاستحالة الجرمية (3)/وخواصها على الله تعالى. فإن جميع الأجرام والأعراض (4) حادثة. والله تعالى ليس بحادث.

وإن أردت بالحسي ما هو موجود في الخارج تمكن رؤيته. فإن أردت ما هو من قبيل الأعراض كالألوان والأكوان. فقد قدمنا أن ذلك مستحيل على الله تعالى. ويستحيل أيضاً أن يكون الله تعالى صفة مطلقاً لا حادثة ولا قديمة؛ إذ لو كان صفة لم يتصف بالصفات. ولاحتاج[2] إلى ما يقوم به. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وإن أردت ما هو من قبيل الذوات. فهذا صحيح بأن الله تعالى موجود قائم بنفسه. ورؤيته عند أهل الحق ممكنة وواقعة (5). فكون الذات العلية من هذا الوجه حسية لا إشكال فيه. وإطلاق ذلك عليها بطريق الإخبار والحكم صحيح. وأما بطريق الوصف والتسمية فلا ينبغي لعدم وروده مع إيهامه المعنى الأول (6). كذا إن أريد بالحسيّ المدرك بالحواس[3] الباطنة فهذا أيضا مستحيل على الله تعالى فإن المدرك بذلك إنما هو الكيفيات النفسانية.

وأما المعنوى فلا يعرف من معناه إلاّ أنه المعقول في الأذهان. أو ما هو

---

1 — في الأصل «وصمه» باهمال نقط التاء 2 — في الأصل «ولا احتاج» صححت بما يناسب السياق. 3 — في الأصل «الحسي» صححت بما يناسب السياق.

---

(3) الجرمية: الجسمية أي أن يكون له جسم أو كيان معين. ولا يعقل جسم بالبديهة إلا ساكنا أو متحركا. والحركة والسكون حادثان.

(4) العَرَض: ج أعراض اسم لما لا دوام له.

(5) بدليل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في هذا الشأن

(6) المعنى الأول أي الحسية بالمعنى العرفي أي القابل للجرمية والأعراض

خلاف الذوات من الأعراض . وسائر الصفات . بحسب النسبة إلى شيءٍ من ذلك وهذا أيضا باطل . فإن الله تعالى ذات ليس بمعنى ولا معنوى. ومن أراد بالمعنوى ذا المعنى أي ذاتاً لها معان أي موصوفة . فهذا صحيح في الذات العلية . فإنها ذات موصوفة بالمعاني.

ولكن هذا تعجرف وتكلف لا حاجة إليه فالإعراض عن هذا . والاشتغال بما يعني متعيِّن والحق أبلج والباطل لجلج . والله المعين. وكتب عبد الله الحسن بن مسعود كان/الله له . آخر ربيع الأول عام أربع وتسعين وألف بمراكش والسلام. ص 202

الرسالة السابعة والعشرون

رسالة في موضوع : ذات الله
هل هي حسية أو معنوية

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل . وهذه الرسالة فيه من ص 234 إلى ص 236 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق ».

وقد سبق وصف المخطوطة

الحمد لله وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وذريته.

الجواب والله الموفق للصواب أن يقال لمن قال إن ذات الله تعالى معنوية ما تعني بقولك معنوية ؟ إن عنيت أنها معنى كالعلم والقدرة . والوجود . وكالبياض والسواد . والحركة . ونحو ذلك من المعاني من كل ما لا يقوم بنفسه . و (لا)[1] يقوم بذات سواء كان وجوديا . أو عدميا قديما أو حادثا . فهذا محال لأن ذات الله تعالى لو كانت معنى لاحتاج إلى ذات يقوم به . إذ لا يقوم المعنى بنفسه ضرورة . ويلزم من يقول بهذا ما لزم النصارى حيث قالوا إن الله تعالى صفة قديمة . وذلك أنهم قالوا إن معبودهم مركب من الأقانيم (1)الثلاثة وهي العلم . والحياة/والوجود . ثم حكموا بأن هذه الثلاثة اتحدت فصار الإلاه ص 235 واحدا أو هو مركب مع ذلك (من)[2] ثلاثة . فجمعوا بين الوحدة والكثرة . وحكموا بأن الإلاه مركب من احوال ووجود . واعتبارات لا تقوم بنفسها فكل من ذهب إلى أن ذات الله تعالى معنى من المعاني . فمذهبه كمذهب النصارى . وللنصارى مذهب آخر ليس هذا محل تفصيله . وإن أراد من يقول إنها معنوية غير ما ذكرنا فليفسره ليحكم عليه بالبطلان أو الصحة.

وأما من قال إنها حسية فيقال له إن أردت أنها متحيزة في جهة . ويمكن الإشارة إليها كما هو المحسوسات عندنا فهو محال . لأن الله تعالى مخالف لخلقه . ليس بجرم ولا عرض ولا له شيء من خواص الجرم أو العرض. وإن أراد بكونها حسية أنها موجودة في الخارج . وليست من المعقولات التي توجد إلا في الأذهان . وهي بحيث يدركها الحواس فهذا صحيح لا شك فيه . فنقول إن ذات الله تعالى من جهة المعنى هي حسية . لأنه تعالى موجود متشخص في الخارج قائم بنفسه . والحس في اللغة والعرف هو ما يتعلق به الحواس ولا شك أن ذات الله تعالى يصح أن ترى . ويقع ذلك عندنا في الآخرة (2) ولا يلزم

---

1 — زيادة يتطلبها السياق . 2 — زيادة يتطلبها السياق .

---

(1) الأقانيم ج أقنوم لفظة سريانية بمعنى الأصل

(2) إشارة إلى الآية الكريمة «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» الآية 23/22 سورة القيامة

من كونها حسية أن تكون متحيزة. ولا أن تكون في جهة. كما أن الله تعالى يرى من غير جهة ولا مقابلة. وكون الرؤية لا تستدعي جهة ولا مقابلة معلوم في علم الكلام مقرر في مسألة الرؤية. فإذا قال أحد إن ذات الله تعالى حسية على معنى أنها موجودة في الخارج. يمكن أن تتعلق بها الحواس. فكلامه صحيح لا يرد عليه وهذا من جهة المعنى كما قلنا/وأما من جهة إطلاق اللفظ ص 236 أعني لفظ الحسية عليه تعالى. فنقول إن كان فيه إيهام للعوام فلا ينبغي أن يطلق. بل يقال إن ذات الله تعالى موجودة وهو قائم بنفسه ويترك لفظ الحسية وإن صح معناها. كما يترك لفظ المعنوية لعدم صحتها هي معنى والله الموفق.

الرسالة الثامنة والعشرون

الرسالة لأبي العباس أحمد بن ابراهيم العطار في مسألة التسلسل

في موضوع هذه الرسالة يحاول اليوسي أن يبطل مبدأ التسلسل الذي يقول به بعض الفلاسفة باعتبار أنه يتنافى مع العقيدة الإسلامية ، وذلك أن هذا المبدأ في مجال مشكلة الوجود الفلسفية يؤدى إلى ضرورة التعدد اللامتناهي في الآلهة وهذا التعدد في نهاية الأمر لا يقر بالصانع المختار.

يعرض الحسن اليوسي في رسالته لأربعة براهين : برهان الجملة ، وبرهان القطع والتطبيق ثم برهان التكافؤ ، وأخيراً برهان زيادة مراتب العلل . وهو يستند في هذه البراهين إما إلى أقوال الأئمة ، وإما إلى بعض المبادئ المنطقية ، محاولا نفي فكرة التسلسل ومؤكداً أن الوجود صادر عن الإلاه الواحد المختار

مخطوطات الرسالة :

لهذه الرسالة فيما وقفت عليه ثلاث نسخ هي كالتالي :

الأولى : في مخطوطة الزاوية الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق302 من ص 313 إلى 324 ورمزها حرف « ق »

الثانية في مجموع مخطوط من مكتبة المرحوم الأستاذ العابد الفاسي من ص 122 إلى 143 ورمزها حرف « ع »

الثالثة : مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع تحت رقم د 1755 من ص 286 إلى 293 ورمزها حرف « د »

وصف المخطوطات :

سبق وصف مخطوطة « ق ». أما مخطوطة « عـ »فلم أتمكن من وصف المجموع لأن الأستاذ المرحوم العابد الفاسي مكنني من أوراق«الرسالة فقط وخطها مغربي ردئ وإسقاطاتها وتحريفاتها قليلة وقد قدمتْ للرسالة بنص سؤال أبي العباس أحمد العطار. أما نسخة « د » فقد أثبتت هي الأخرى رسالة العطار وخطها مغربي لا بأس به. وفي آخر الرسالة طرة لأحمد بن يعقوب الولالي على بعض ما جاء في كلام اليوسي ص 293. وهذا المجموع يضم تسعة وثلاثين مؤلفا. ورسالة اليوسي تأتي في الترتيب الواحد والثلاثين.

وقد اعتمدت كما هي العادة على مخطوطة الزاوية الناصرية « ق » ومنها نقلت المتن.

ص 313 **من الحسن بن مسعود اليوسي**. إلى الزلال الصافي. الخَلاحِلِ(1) المُصافي.. الفقيه النبيه. أبي العباس سيدي أحمد بن إبراهيم العطار (2) (أمدّكم الله بالمعونة. وكفاكم كل مؤونة).[1] سلام عليكم (ورحمة الله وبركاته. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إلاه إلا هو)[2] أما بعد. فقد جاءني[3] مكتوبك الكريم أولا. فوقع مني موقع البُرء من السقيم. والولد[4] البَرّ من العقيم. وأحللته بالمحل الرفيع. من الإجلال والترفيع. وكنت عزمت أن أضع في جوابه. مع قِصر باعي. وامّحال رباعي. موضوعاً أبرد فيه الغليل. وأشفي العليل. فحالت الشواغل دون المطلوب. والمرءُ بحكمة القدر محكوم ومغلوب. وعادت عوادٍ وخطوب. بما أبداه وجه الدهر من القطوب[5]. مع يسارة المدْرَك. ودمائة[6] ذلك المسْلَك. ولم أزل أرجو[7] غيثاً من بوارق الآمال. ورَيْثاً (3) من عوائق الأهوال. إلى أن جاءنا هذه الأيام. مكتوبك المجدّد.[8] يُعيدُ الطَّلب والعود أحمد. (فقلت

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيّاً   وَلَكِنْ لاَ حَيَاةَ لِمنْ تُنَادِي)[9]

فكاد القلب من خجل يذوب. وحَاكَى المُزْنَ دمعي إذ يصوب. وبادرتك بهذه الأحرف. لتعلم (أيها الحبيب).[10] أن لستُ أسومك تهاوناً ولا إغفالا. ولا آلوك احتفاءً واحتفالاً وما كنت أنحو إلا منحى الرفق والإمهال. وإن تبدَّى في قالب الإعراض والإهمال. فان نفَّس الله في العمر. وشغْل الشواغل عن هذا الأمر. فسألبي إن شاء الله دعوتك. وأعمر ندوتك

---

1 — زيادة من ع. د 2 — زيادة من ع و.د. 3 — ع. د «أتاني». 4 — ع. د «الإبن»
5 — د «خطوب». 6 — د ع «دعاته». 7 — ع د «أترجى» 8 — ع د «المجود».
9 — زيادة من ع. د. 10 — زيادة من ع. د.

---

(1) الخَلاحِلُ ج حلاحِل. والمُحلْحل. والملحْلح: السيد في عشيرته الشجاع التام
(2) أحمد بن ابراهيم العطار الأندلسي أبو العباس... 1105هـ أحد أعلام مراكش. أخذ عن أبي مهدي السكتاني وأبي عبد الله المزوار ورحل إلى فاس فأخذ من عبد القادر الفاسي وأجازه. له طرر كثيرة وتقايد في مسائل شتى. أنظر ترجمته في الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام ج 124/2 الترجمة رقم 97. ترجم له أيضاً صاحب الصفوة وصاحب التقاط الدرر وغيرهما.
(3) الريث: مقدار المهلة من الزمن

(وأستقصي المسألة دليلا دليلا . وأقتدى مسالكها سبيلا سبيلا)[1] بتقريرات تذلل منها القِنَن والنجود . ومباحث تُزْرى (بأزهار)[2] الروض المجود . ورأيت أن أرسم لك أيها الأخ في الله كلمة في هذه البطاقة إجمالية . ولعلها تكون إن شاء الله فيما نروم نافعة . على اختصارها كافية. فأقول :

ص 314 أما إبطال التسلسل[3] فيتقرر/بالبراهين التي ذكر الأئمة

الأول : برهان الجملة . وما ورد عليه من الاعتراضات[4] قد أجاب عنها السيد (4) والسعد (5) كما ترى . غير أن المنع الذي أورد عليه السعد آخراً قوى . فليجعل هذا الدليل دعامة لغيره . وإن كان هو الذي صدر به الأئمة . وعليه اقتصر الإمام (6) في المحصل (7).

الثاني برهان القطع والتطبيق على حسب ما قدره السعد وغيره . وجوابه عن المنع بالضرورة صحيح . وهي عبارة السيد أيضاً . وإنكار الخصم مكابرة . واستناده إلى نحو المقدورات والمعلومات[5] لا يفيد . لأن التفاوت فيها إنما هو تفاوت في الأجناس . أو ما يشبه الأجناس . لا بحسب جملة الأفراد . بمعنى

---

1 — زيادة من ع. د 2 — زيادة من ع. د 3 — ع. د : أما التسلسل فيتقرر بطلانه ».
4 — ع. د « الممنوع ». 5 — ع المعدومات

---

(4) لعله يعني علي بن محمد بن علي السيد أبو الحسن الجرجاني الاسترابادي 740 — 816هـ المشتهر بالسيد الشريف. فليسوف متكلم من كبار العلماء بالعربية له كتب كثيرة منها : «التعريفات» مطبوع . « والكبرى والصغرى في المنطق » مطبوع . « والحواشي على المطول للتفتازاني » وغيرها كثير أنظر روضات الجنان . طبعة إيران ص 497 الضوء اللامع ج 328/5 الاعلام ج 159/5

(5) مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني سعد الدين 712 — 793هـ من أئمة العربية والبيان والمنطق ولد بتفتازان من بلاد خرسان . له مصنفات كثيرة منها « تهذيب المنطق » مطبوع « المطول » مطبوع. « ومقاصد الطالبين في علم الكلام ». وشرح « مقاصد الطالبين » مطبوع. أنظر بغية الوعاة 391 الاعلام ج 113/8 .

(6) يعني بالإمام محمد بن عمر فخر الدين الرازي الإمام المفسر العلامة . (544 — 606هـ) أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 203/7 له مصنفات كثيرة منها :

(7) الكتاب المذكور في النص « محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين » مطبوع .

أن المقدورات من حيث أنها الممكنات فقط ، إذا قيست إلى المعلومات ، من حيث أنها الممكنات والواجبات والمستحيلات تكون أقل ، ولا يمتنع مع ذلك أن تكون أفراد هذا الجنس القليل ، أعني الممكنات ، لا تتناهى كما لا تتناهى أفراد الجنس الكثير ، أعني المعلومات ؛ إذ لم تعتبر أن أفراد الممكنات أي جميع أفرادها على الإحاطة ، أنقص من أفراد المعلومات بكذا ، فإنه لو ثبت ذلك لوجب تَنَاهي القسمين معاً. وهذا كما لو قيل مثلا إن الإنسان والفرس لا يتناهيان ، ومعلوم أن أفراد الفرس[1] أقل من أفراد الإنسان ، بمعنى أن هذا النوع أضيق دائرة في الوجود من هذا لا بمعنى أن الأفراد بنفسها أقل ، (وكذا في دورات الأفلاك)[2]. وأما ما نحن فيه من التطبيق ، فالمعتبر فيه جملة الأفراد كلها ، ومعلوم أن كل عدد كان[3] أنقص من عدد آخر بشيء متناه ، فهو متناه ، ومستلزم تَنَاهي صاحبه. وهذا كله إذا تنزلنا إلى التفصيل ، وسلمنا تخصيص الدليل بكل ما قيل ؛ وإلاّ فنحن نقول إن جميع ما ذكر متناه/ ص 315

أما دورات الأفلاك فهي عندنا متناهية على القطع ، وما تدعى الفلاسفة من كونها حوادث لا أول لها باطل بالبراهين المقررة.

وأما المعلومات والمقدورات ، فما وجد منها متناه ، وما لم يوجد فهو فرض استقباليٌّ خارج عن محل النزاع كما خرجت الأعداد.

وإلى هذا نحا حجة الإسلام الغزالي رحمه الله. قال في كتاب « الاقتصاد »[4] (8) (ما نصه)[5] « الثالث — أي المُحال الثالث اللازم على عدم التناهي — أنه يلزم عليه أن يكون عددان ، كل واحد لا يتناهى. ثم أحدهما أقل من الآخر. ومحال أن يكون ما لا يتناهى (أقل مما لا يتناهى)[6] ، لأن الأقل هو الذي يعوزه شيء ، لو أضيف إليه لصار مساوياً ، وما لا يتناهى كيف يعوزه شيء ، وبيانه أن زُحلاً عندهم يدور في كل ثلاثين سنة دورة واحدة ، والشمس تدور في ثلاثين سنة ثلاثين[7] دورة وزحل يدور دورة

---

1 — ع « الجنس ». 2 — زيادة من ع. د. 3 — ع أسقط « كان » 4 — ع. د « الاقتضاب ». 5 — زيادة من ع. د. 6 — زيادة من د. ع. 7 — ع أسقط « ثلاثين ».

---

(8) هو كتاب « الاقتصاد في الاعتقاد » مطبوع

واحدة . والواحد من الثلاثين ثُلُثُ عُشْرٍ . ثم دورات زحل لا نهاية لها وهي أقل من دورات الشمس . إذ يُعلم ضرورة أن ثلث عشر الشيء أقل من الشيء ؛ والقمر يدور في السنة اثنتي عشرة مرة . فتكون دورات الشمس مثل نصف سدس دورات القمر . وكل واحد لا نهاية له . وبعضه أقل من بعض وذلك من المحال البيّن

فإن قيل مقدورات الله عندكم لا نهاية لها . وكذلك معلوماته . والمعلومات أكثر من المقدورات ، اذ ذات القديم وصفاته علوم[1] له . وكذلك الموجود المستمر الوجود ، وليس شيء من ذلك مقدوراً . قلنا نحن إذا قلنا لا نهاية لمقدوراته ، لم نرد به ما نريد بقولنا لا نهاية لمعلوماته ، بل نريد أن لله صفة يعبر عنها بالقدرة ، يَتَأَتَّى بها الإيجاد ، وهذا التأتي/لا ينعدم أصلا وليس تحت قولنا هذا التأتي لا ينعدم قط ، إثبات أشياء . فضلا عن أن توصف بأنها متناهية أو غير متناهية ، وإنما يقع هذا الغلط لمن ينظر في المعاني من الألفاظ . فيرى توازن المعلومات والمقدورات ، من حيث التصريف في اللغة . فيظن أن المراد بها واحد . وهيهات ، فلا مناسبة بينهما البتة . ثم تحت قولنا المعلومات لا نهاية لها أيضاً ، سر يخالف السابق منه إلى الفهم ، إذ السابق إلى الفهم إثبات أشياء تسمى معلومات لا نهاية لها . وهو محال ، بل الأشياء هي الموجودات . وهي متناهية ، ولكن بيان ذلك يستدعي تطويلا . وقد اندفع الإشكال بالكشف عن معنى نفي النهاية عن المقدورات ، فالنظر في الطرف الثاني وهو المعلومات يُسْتَغْنَى عنه في دفع هذا الإلزام .» انتهى الغرض منه.

ص 316

وإنما جلبناه تبييناً[2] لمذهبه لا اعتماداً على دليله . فإن حركات[3] الأفلاك عندنا[4] متناهية بالأدلة القاطعة . وقد أفرط فيما قرر[5] في المقدورات والمعلومات دفعاً لعدم النهاية ، مع أن كلامه في الثاني يوهم القول بالاسترسال ، أو العلم بالمبدأ أو الجملة[6]. وقد اشرأبت النفس إلى أن تحمل عليه بالاعتراض سيل

1 — عـ. د «معلوم. 2 — عـ «تنبيها». 3 — د. عـ «حركة». 4 — عـ «عنده».
5 — في الأصل «قدر» التصحيح من د و عـ. 6 — في د. عـ «وبالجملة فقد».

العرِم (9). وتصول صولة القَرْمِ[1] (10). ولكن ليس هذا المطلب من غرضنا الآن. وكلامه لابد أن يؤوّل.

وما ذكره السعد من الترديد آخراً. الظاهر أنه لم يكن تشكيكاً على الدليل. وإنما هو احتجاج وإلزام للفلاسفة. فإنهم خصصوا الدليل بالأشياء المجتمعة المترتبة وضعاً كالأبعاد. (أو طبعاً)[2] كالعلل والمعلولات[3]. دون المتعاقبة كالحركات. /فأراد السعد أن يَطَّرِد الدليل ليعم الحركات. كما هو عندنا فيقول لا فرق بين ما أثبتّموه وما أنكرتموه. فإن التطبيق فيهما واحد. والكل قد ضبطه الوجود؛ ولأجل قصد المبالغة في التعميم والإلزام. أدخل ذكر الأعداد في هذا الكلام. ويصح أن يكون أراد بهذا الكلام تعميم الدليل في جميع (هذه)[4] الأقسام. حتى تدخل الأعداد في الانتهاء والتمام. وله وجه يضيق عن بيانه هذا المقام — وعلى تقدير أن يقصد التشكيك على الدليل. بمعنى أن الجملتين إنما[5] تحققتا. نظراً إلى اعتبار الذهن لا إلى الخارج. والاعتبار يجري في الأعداد كما يجرى في غيرها. فإن لم يُفِد في الأعداد ونحوها. لم يفد في غيرها؛ فجوابه إنا[6] نسلم أن مفهوم التطبيق واحد في الجميع فلا[7] فرق. وإنما الفرق في المُطبَّق الذي هو محل الحديث والمقصود بالذكر. فإنه في الحركات والعلل والأبعاد عدد[8] قد ضبطه وجود. فجرى[9] فيه التقسيم وتم الدليل. ولا كذلك (في)[10] الاعداد. فلا دخل لها. وكذا المقدورات والمعلومات. وحينئذ نختار القسم الأول من شقي الترديد. وهو أن المراد حكم العقل. ونقول إنه إنما يجرى في الوجود دون الموهوم والمعدوم. كما قُرر في صدر الدليل؛ على أنا نحن إنما نحافظ على ألا يخرج شيءٌ من الموجودات عن الدليل. أما خروج غيرها فليس بضار.

ص 317

---

1 — د. ع «الضرم». 2 — زيادة في د. 3 — ع «المعلومات» 4 — زيادة من د. ع
5 — في الأصل «إذا» التصحيح من د. ع. 6 — زيادة «لا» في د. ع: «لا نسلم».
7 — د.ع «بلا». 8 — د. ع أسقطت «عدد» 9 — د. ع «يجري». 10 — زيادة من ع. د.

---

(9) العَرِمْ: المطر الشديد. أو الوادي

(10) القَرْمْ الفحل. إذا ترك عن الركوب والعمل أو ما لم يمسه حبل

الثالث والرابع برهان التكافؤ . وبرهان زيادة مراتب العلل . هما مسلمان لا بحث عليهما وما بعد هذه الثلاثة في كلام السعد . من برهان الانقسام . وبرهان الحصر بين حاصرين . وبرهان الألوف إقناعية . وفي الثلاثة الكفاية.

ص 318 وقد قلتَ/إنه كرّ على براهين التكافؤ والانقسام بالمنع . ولم نر فيه منعاً على برهان التكافؤ . ولا على الذي بعده . وإنما فيه المنع على برهان الانقسام . ولذا جعلناه مع الذين بعده من الإقناعيّات. وأما أنه لم ينفصل في برهان الانقسام بدعوى الضرورة . فوجهه أنه لما وقع[1] هنا ذِكْرُ الزوجية والفردية والمساواة . أمكن أن يتوجه للخصم المنع بادعاء أن كلّ ذلكِ من خواص العدد المنقسم لا مطلق العدد. وهذا موجب اطراح المحققين ذلك في برهان القطع والتطبيق . حتى عدلوا إلى المقابلة فقط . بأن يجعل بإزاء كل جزء من التامة جزء من الناقصة ليلزم[2] الإنقطاع . أو تَسَاوي الجزء والكل المستحيل . وما وقع هنالك من ذكر النقصان لم يذكر من حيث أنه وصف للعدد . ولا أنه دليل حتى يتوجه عليه المنع المذكور . بل ذكر من حيث أنه لازم القطع في المعنى : فإن السلسلتين المقدرتين . إذا انقطعت[3] من إحداهما جملة كانت بالضرورة أنقص من الأخرى . لأن الشيْ بدون زيادة أنقص من نفسه مع الزيادة . سواء اعتبر هذا المعنى في العدد أو في غيره . كما لو قلنا مثلا أن بدن زيد دون يد أنقص منه مجموعاً برْمته . وهذا كله واضح فلم يتحد[4] الممنوع به ولا مناط العلم[5] في الموضعين . ولم يلزم من صنيعه إيماء ولا اعتراف . وأما ما وقع من أدلة إبطال حوادث لا أول لها فليس بجار في إبطال التسلسل في العلل . على طريق الفلاسفة جْميعه . إذ ليس فيها سبق زماني. ويجرى في الصانع عند فرضه[6] حادثاً مسبوقاً بالعدم سبقاً زمانياً . إلاّ أن تلك الأدلة منها ما هو

ص 319 قَطْعي/كلزوم اقتران الوجود الأزلي بعدمه . وتقريره[6] أن الجنس لا يتحقق

1 — عـ . د « وضع ». 2 — عـ د . « فليلزم ». 3 — عـ د « اقتطعت ». 4 — د « ينحد »
5 — د. عـ « المنع ». 6 — إسقاط في د . عـ . من « حادث مسبوقاً وتقريره »

خارجاً إلا في فرد من أفراده كما علم . وإذا كان الجنس أزلياً[1] كما تدعى الفلاسفة فلا بد من فرد فأكثر منه . يكون موجوداً في الأزل ليتحقق به الجنس[1] فيكون أزلياً. وإلاّ لكان لجميعه أول . كيف وقد فرضت لا أول لها ؟ هذا خُلفٌ . فإذا علم أن لابد من فرد[2] يحصل في الأزل فذلك الفرد الحاصل بعينه حادث مسبوق بعدم . لأن الفرض حدوث جميع الأشخاص وهو منها . فإن كان هذا الفرض[3] متأخراً عن عدمه على ما هو حقيقة الحادث فليس . بأزلي إذ لا يعني بالأزلي إلاّ القديمَ الذي لم يسبق .

فبخروج هذا الفرد عن الأزلية يخرج الجنس كله عن الأزلية . إذ لا فرد أزلي منه . فكان للجميع أول . وإن لم يكن متأخراً عن عدمه . بل قارنه ليتحقق كونه أزلياً . لزم اجتماع وجود الشيئ وعدمه . وانقلاب الحقائق . لأن الحادث ما سبقه عدم . والكل محال . وما أدى إليه من عدم تناهي الحوادث المقْتَضي أزلية الجنس محال . وعند فهم هذا التقرير لا حاجة إلى اعتبار وُجُودات وعدمات . تجتمع في الأزل حتى يرد عليه أن الأزل ليس بظرف أو شبهه . على أنه لو اعتبر هذا أيضاً . فجواب الاعتراض أن الأزل وإن لم يكن ظرفاً . لكن تلك العدمات والوجودات اجتمعت كلها في كونها لا أول لها . وهذا يكفي في التقارن المستحيل . إذ ليس القصد إلى اجتماع أطرافها حتى يطلب لها ظرف أو شبيه (به)[4] وقد بينا هذا المعنى في حواشي الكبرى (11) فطالعه ثمة .

وأما إثبات وجوب[5] الوجود للصانع من غير إبطال التسلسل فقد ظهر من/كلام السعد رحمه الله تعالى كما ترى أنه لا سبيل (إليه)[6] . وقد بيَّنَ ذلك بما لديه . وعندي أن هذا المطلب ليس على ذلك بمقصور وأن توهم التوقف

ص 320

---

1 — إسقاط في د . ع 2 — د « فرض ». 3 — في الأصل « الفرد » التصحيح من د . ع.
4 — زيادة من د. ع. 5 — ع. د « وجود ». 6 — الزيادة من د . ع.

---

(11) موضوع هذه الرسالة مفصل في كتاب « عمدة التوفيق » في شرح عقيدة أهل التوحيد لمحمد بن يوسف السنوسي. ومعلوم أن لليوسي حاشية عليها هي ما يسمى « بالحاشية على كبرى السنوسي ». أنظر مخطوطة الخزانة العامة رقم ك 2648 وتوجد نسخة أخرى منها في د 1771

ضربة (لازب)[1] قصور. وبيان هذه الدعوى ربما يطول. ويستدعي تقرير فصول. ولكن عليّ أن أشير إلى بيانها باختصار. وبالله تعالى الإنتصار فأقول

إن وجود الصانع من حيث أنه وجود الصانع. لا يتوقف عندنا على إبطال التسلسل بلا إشكال، وإنما يبقى النظر في وجوبه وقدمه.* وحينئذ نقول إنا إذا رأينا موجوداً ما. حادثا عَرَضاً أو جِرْماً. تبين حدوثه بالضرورة أو بالنظر. فإنا نعلم أن له صانعاً لاستحالة أن يُوجِد نفسه. أو يُوجَد من غير موجد. ثم ننظر في ذلك الحادث أيضاً، فنعلم أنه وقع فيه التخصيص بجائز عن جائز. فنعلم أن لصانعه اختياراً في فعله. وأنه ليس بعلة ولا طبيعة. ثم نعلم أن من لازِم الاختيار القدرة، والمشيئة. والعلم. والحياة. ونبين ذلك بالأدلة المقررة فيه. ثم ننظر في مصحح تعلق قدرة هذا الصانع ومشيئته بهذا الحادث الذي أوجده. فنعلم أنه الإمكان. وأن هذا الإمكان استوت فيه جميع الحوادث المسلم حدوثها. ونبين ذلك كله بدليله. ثم نقول: يجب أن يعم[2] التعليق. وبالجملة فنثبت عموم الصفات بطرقه المعروفة في محلها

فنثبت بذلك وحدة هذا الصانع. ونبينها بأدلتها المقررة في فصل الوحدانية بحيث لا يكون لهذا الصانع شريك في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. وأن كل ما سوى هذا الصانع وصفاته القائمة بذاته من الموجودات. فهو/مخلوق له. ص 321 وأثر من آثاره لعموم قدرته، وليس بإلاه لثبوت وحدانيته. وحينئذ نعلم أن ليس إلاَهَان. فضلا عن أكثر. فضلا عن آلهة لا تتناهى، لمنافاة جميع ذلك برهان الوحدانية، وفي ذلك تحقيق لقدم الصانع. إذ لو كان معدوماً ثم وجد لاحتاج إلى مؤثر ضرورة. لما تقدم. ثم لا يكون ذلك المؤثر إلا إلاهاً لانحصار التأثير في الإلاه المستقل. وعند ذلك تلزم كثرة الآلهة. وهو باطل بأدلة الوحدانية، واستحالة الشريك مع الله تعالى. فقد انحسمت هذه الشبهة من أصلها. وعند ذلك نقول للمشتغل بالتسلسل. إما أن تشتغل بتسلسل الآلهة أو بتسلسل الحوادث.

---

1 — زيادة في ع. د «لازم» 2 — ع. «يعمم».

وعلى الأول إما أن تجعل الإلاه علّة وما في معناها . أو مختاراً. فإن قلت علة . فنحن لا نعترف بعلة واحدة أصلا في الوجود . فضلا عن العلل المتسلسلة . وذلك أن من له الفعل عندنا . يجب بقواطع البراهين أن يكون مختاراً. وإذا كان مختارا لم يكن مفعوله معلولا . بل حادثاً مسبوقاً بعدم . فإن أثر المختار لا يكون إلا حادثاً . ثم كل ما صدر عن هذا المختار لا يصح أيضاً أن يكون علة لشيء . وإلاّ أوجدت تلك العلة شيئاً . فثبتت الشركة وبطلت الوحدانية في التأثير . فإذا كنا لا نثبت علة واحدة فضلا عن علتين فضلا عن علل . فكيف نشتغل بما لا يتناهى منها . ونقطع أعمارنا في الاشتغال بإبطاله . هذه سخافة . ثم انا قد كُفينا أمر هذه المسألة — والحمد لله — من قبل خصومنا وهم الفلاسفة القائلون بالعلة . إذ هم معترفون ببطلان/التسلسل في العلل قاطبة . ولأجل ذلك وقع الاتفاق من العقلاء على ثبوت الصانع الحق . إما مختاراً أو غير مختار . ولم يشذ[1] عن هذه العقيدة إلا شرذمة من المعطّلة يتضاحك منها الفريقان . ويعجب من سفاهة أحلامها وضلالة أوهامها المحقون[2] والمبطلون.

ص 322

وقد احتج الشيخ تقي الدين (12) المقترحْ على الفلاسفة في حوادث لا أوّل لها بأن ألزمهم من القول بها . القول بعلل ومعلولات لا تتناهى من حيث أن كل حادث[3] يحتاج إلى علة على أصلهم حادثة . وهكذا يعني . وهم يقولون به . وهو إلزام قوي.

وما ذلك إلاّ لشناعة القول بتسلسل العلل والمعلولات عندهم . فقد وافقونا في هذا المطلب . غير أنهم يبطلون التسلسل فيها بالطرق السابقة . ونحن إنْ شئنا[4] أبطلنا التعليل من أصله . بالتخصيص في الحوادث . للاختيار الموجب

1 — د. ع « يشك . 2 — د. ع « المحققون ». 3 — د. ع زيادة « على أصلهم » بعد « حادث » 4 — ع « إن شاء الله ».

(12) علي بن عبد الكافي السبكي المشهور بالشيخ تقي الدين 683 — 756هـ عالم شافعي مشارك في الفقه والتفسير والمنطق والقراءات والحديث والنحو واللغة. ولد بسبك بمصر ودرس بالقاهرة وولى قضاء الشام. له تصانيف كثيرة. أنظر ترجمته في طبقات الشافعية ج 124/2 معجم المؤلفين ج 127/7

للوحدانية . الموجبة لانفراد الصانع بالإيجاد . وبطلان أن يكون لغيره تأثير ما أياً كان فإذا استحال أن يكون في الوجود علّة أصلا . فكيف يوجد منها كثير لا يتناهى . هذا خُلْفٌ . وحينئذ نستغني عن تتبع تلك (المسالك)[1] . واقتحام هاتيك المعارك . حتى أنّا . إذا[2] قررناها . فكأننا نشايع الفلاسفة في تلك التقريرات . ونحكي[3] بعض ما أسسوه في الإلاهيات . ونقول إنها في علمنا مدرجة[4] كما أدرج كثير من مباحث الجواهر والأعراض . لمقاصد وأغراض . وإن قلتَ مُخْتارٌ فنحن نقول أنه ليس عندنا إلاّ إلاه واحد . لا ثاني له . ببراهين الوحدانية . فلا يمكن أن يوجد عندنا إلاه آخر . فضلا على أن/تتسلسل إلى ما لا يتناهى . كما قلنا في العلل . وإن اشتغلت بالتسلسل في الحوادث . فلا شك أن هذا يحتاج[5] إلى إبطاله . غير أن الخَطْب فيه سهل غاية. وذلك أن حاجتنا إلى إبطاله. ليس لِيُثْبِتَ الصانع كلاًّ ! فإن الصانع يثبت عندنا بحدوث حادث جوهر فرد . أو عرض . بلا التفات إلى ما سوى ذلك من العالم كما قال تعالى : « وفي أَنْفُسِكُمْ » الآية (13) وقال ﷺ « مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهْ » (14) فالاستدلال على الصانع يكون ببعض العالم . كما يكون بمجموعه . فإذا ثبت الصانع بالبعض صح ثبوت النبوّة . فصح الاستدلال على حدوث ما بقي من العالم بالسمع لعدم التوقف حينئذ . ومن جملته الحوادث المدعى لا تناهيها . فلم يحتج إبطال حوادث لا أول لها . وتصحيح حدوث الأجناس . كحدوث[6] الأشخاص إلى دليل العقل أصلا . فضلا على أن يكون مستصعباً . ومع الاستدلال عليه بالعقل[7] تمسكاً[8] بطريق الاستدلال بجملة العالم

ص 323

---

1 — زيادة من م و ع. 2 — ع « قد ». 3 — ع ونهدم ». 4 — ع « مندرجة » 5 — ع « محتاج ». 6 — ع. « بحدوث ». 7 — ع. أسقط « بالعقل ». 8 — ع « تمسك ».

---

(13) الآية 21 من سورة الذاريات. مكية

(14) هذا حديث منسوب إلى الرسول ﷺ وذكر السيوطي أن الحديث غير صحيح وأنه من كلام يحي بن معاذ الرازي الصوفي . أنظر المقاصد الحسنة للسخاوي ص 198 وذيل الموضوعات للسيوطي ص 203 والأحاديث الضعيفة للالباني ج 83/1

على وجود الصانع ، وإن لم يحتج إليه . فقد تبين بالأدلة المقررة فيه . ولو لم يكن فيه بعد الاعتراف ، بإسناد[1] جميعها إلى الفاعل المختار . إلاّ المثال الذي ذكره الشيخ أبو عبد الله السنوسي (15) في شرح كبراه بالدرهم (16) الموعود بإعطائه لكان كافيا في إبطال حوادث لا أول لها . غاسلا من قلب كل مومن كل لطخ فيه والله الموفق.

وأما ما يكون من الأئمة من الإحالة على الأدلة المبحوث فيها . فقد يكون ذلك لكون المنع الوارد على المحال عليه ساقطاً عنده . مندفعاً/وإن لم يصرح بدفعه ، بل قد يكون لأجل قوة ضعفه سكت عن الجواب عنه أولا : وقد تكون الإحالة إنما هي على مقدمة منه فقط . صادقة بلَا اعتبار[2] الأخرى . ولا مجموع الدليل فيما يصح فيه ذلك . وقد يريد بالإحالة مجرد تبيين اِنْبناء الثاني على الأول أو[3] على أصله ليبقى الثاني معرضاً للنظر كالأول . وملزوماً بلازم الأول . وقد يكون جارياً في الإحالة على الحكاية وتقرير ما قال الناس أولا وآخراً . إلى غير هذا من الاعتبارات والوجوه . وما خرج عن ذلك كله مما يقصد به البناء على أساس منهار[4] . والاستدلال بما لم يزل بعد في شَرَك المنع والإنكار . فهو لا محالة ساقط . ولكن لكل ساقطة لاقط.

ص 324

نسأل الله الكريم . رب العرش العظيم . أن يحمينا وإياك من سهام الأوهام ويهدينا بنوره إلى دار السلام بلا ملام ، ويكشف غلاف الغفلة عن قلوبنا ويظفرنا من خير الدنيا والآخرة بغاية مطلوبنا بمنه والسلام.

---

1 — ع . « باستناد » . 2 — في الأصل « بالاعتبار » صححت من ع . 3 — ع . « وعلى » .
4 — ع . « منا » .

---

(15) محمد بن يوسف السنوسي أبو عبد الله 832 — 895هـ عالم تلمسان في عصره . له تصانيف كثيرة في المنطق والتفسير والحديث منها : « عقيدة أهل التوحيد » ويسمى العقيدة الكبرى «وأم البراهين» ويسمى العقيدة الصغرى ومختصر في علم المنطق وغيرها (أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 29/8

(16) أنظر تحليل هذا المثال في شرح الكبرى في ص 37 وما بعدها مخطوطة الخزانة الملكية ك 2648

الرسالة التاسعة والعشرون

رسالة في موضوع جواز عروض الكفر على الأنبياء

تثير الرسالة موضوعا شائكا تعرض له اليوسي بما عهد فيه من الحصافة والرصانة العلمية.

للرسالة نسخة فريدة من مجموع. مخصوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق302 الذي توجد فيه جل الرسائل. وهذه الرسالة فيه من ص 236 إلى 244 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق ».

وقد سبق وصف المخطوطة.

ص 236 / (وسئل من مدينة فاس . عن إنسان صدرت منه كلمة بشيعة . والعياذ بالله في جانب النبوة وهي جواز عروض الكفر عليهم . عليهم الصلاة والسلام)[1]

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام التامان على أنبيائه المكرمين المصهرين . خصوصا سيدنا ونبينا ومولانا محمد المصطفى الطاهر الأمين . وعلى آله وصحبه الكرام المختارين . أما بعد . فقد بلغني ما سألتم عنه من أن بعض الطلبة تكلم في جواز عروض الكفر — عياذا بالله تعالى — للأنبياء وأن الناس أنكروا ذلك وامتعضوا منه . وحقيق لهم الإنكار . فإنها كلمة بشيعة . وهنة (1) شنيعة.

والجواب على وجه الإيجاز يستدعى مقامين : **الأول** في بيان حكم المسألة نفسها والبحث عن الجواز المذكور . **الثاني** في حكم ذاكرها . وما يتنزل عليه من حكم مُراعى.

أما الأول (2) فسنذكره . وأما الثاني فنقول

إن الكفر وإن كان جائزا على البشر كلهم من حيث الجملة كما سنقرره في المقام الآخر . لكنه غير جائز على الأنبياء شرعاً . ولا واقع لهم قطعا فإن الأنبياء ثبتت لهم العصمة (3) من الله تعالى في عقائدهم . وفي أقوالهم وأفعالهم . كما تقرر ذلك في محله . فالكفر في حقهم نقيصة قد عصمهم الله

ص 237 منها . بل لا نقيصة أعظم منه/وذاكر ذلك في حقهم لا يخلو من أحوال **الأول** أن يقول بوقوعه لهم وهذا كافر يباح دمه **الثاني** أن يقول بجوازه ولكن يريد بالجواز ما قد يراد به في عرف الناس من احتمال الوقوع . فكثير ما يقال في

---

1 — مقدمة من قول الناسخ

---

(1) الهَنَة ج هَنَّاتٌ خصلة الشر
(2) أخر الكلام عن المقام الأول لآخر الرسالة نظراً لدقة البحث وخطورة فهمه على غير وجهه . وبدأ بما يَهُمُّ السائل لأن المقام الثاني هو الجواب عن السؤال المطروح.
(3) أنظر البحث الذي عقده القاضي عياض في هذا الموضوع في كتاب « الشفا في التعريف بحقوق المصطفى » ص 41 — 60. المجلد الرابع شرح الخفاجي.

العرف : ذكر أن فلانا فعل كذا . أو قال كذا . فيقول القائل ذلك جائز أن يكون. يريد أنه ليس ببعيد صدوره من فلان المذكور . ولا يريد الجواز العقلي المحض المعروف . فهذا أيضا ملتحق بالأول . **الثالث** أن يقول بالجواز العقلي لا غير . ولكن مع التنقيص والاستخفاف بمنصب النبوّة . إما بقصد ذكر الكلمة البشيعة لينال من مناصبهم العلية . وإما القصد بطريق جوازها ليثبت التساوي بينهم وبين غيرهم من البشر . قصدا إلى الغض منهم أو غير ذلك . ويظهر ذلك من قرائن حاله . ولحن خطابه . وسياق كلامه. فهذا أيضاً يباح دمه . ولا خلاف في هذه الأوجه الثلاثة بين علماء الملة رضوان الله عليهم.

غير أن الجهة مختلفة . ففي الأوّلَيْن . القائل كافر . وبيانه أن الأدلة النظرية . والنصوص[1] الشرعية قد اتضحت في عصمة الأنبياء مما دون الكفر من المخالفات . فكيف بالكفر ! وقد انعقد إجماع المسلمين كما في الشفا (4) على عقود الأنبياء (5) وأنهم في غاية المعرفة بالله تعالى . والبراءة من الجهل والشك . وكل ما يضاد المعرفة واليقين. فمن قال بوقوع الكفر عليهم أو جعله محتمل الوقوع . فقد أنكر الشريعة وهو كافر. ولا يحتاج هذا إلى عارض من النصوص الفقهية لوضوح أمره في علم الكلام . فإنما يبقى النظر في الاستتابة بناء على أنه ردة . نَظَرٌ إلى التكذيب أولا . نَظَرٌ إلى ما ينال الأنبياء من ذلك النقص. وفي **الثالث** القائل ساب . وحكمُهُ القتل . والخلاف/في تكفيره وعدمه . واستتابته وعدمها . مبسوط في « الشفا » وغيره فلا نطيل به **الرابع** أن لا يقصد التنقيص والذم . ولكن يريد الاحتجاج لنفسه وَتَرَفُّهِهَا (6) بكون ما جاز عليه من ذلك جائز على الأنبياء . أو يريد إطراف الجلساء أو الإغراب

ص 238

---

1 — في الأصل « ونصوص » صححت بما يناسب السياق

---

(4) كتاب « الشفا في التعريف بحقوق المصطفى » للقاضي عياض وقد سبقت الإشارة إليه . واليوسي يحيل عليه في هذا الباب . أنظر كتاب الشفاء بشرح أحمد شهاب الدين الخفاجي المعروف « بنسيم الرياض » المجلد الرابع « فصل في حكم عقد قلب النبي ﷺ »

(5) أي عقائدهم التي ارتبطت عليها قلوبهم

(6) ترفهها تعظيمها والرفع من قدرها

عليهم أو نحو ذلك من الحظوظ الخسيسة. فهذا كما قال في «الشفا» حقه إن دُرِئَ عنه القتل. الأدب (7) والسجن. ويختلف التعزير في حقه قوة وضعفاً بحسب حاله. ومألوف عادته. والإكثار من ذلك والإقلال منه. وإجهاره به والإسرار. والتمادي عليه والإقلاع. وإنما استحق التعزير في هذا الوجه لأنه لم يعظم منصب النبوّة. ولم يوقر شريف قدرها. وجليل خطرها. وهذه حالة وُسْطَى بين الهضم والتعظيم. فأُعطِيَت أمراً بين أمرين. **الخامس** أن يكون أمره محتملا فيما صدر منه وما أراد به. أو لم يثبت عليه ما هو من الأحوال السابقة ثبوتاً يُقتضي به. فهو في هذين الأمرين يجب استبراء أمره. حتى يظهر من حاله ما يصدق سر فكره. فإما أن يلتحق بالأحوال الأولى فيسفك دمه ويهدر. وإما إن يقع الالتباس المستحكم فيؤدب ويعزر. على ما أفتى به أئمتنا من أنه متى عاق عن القتل في هذا الوجه عائق وجب الأدب. حسماً للباب. وصوناً على مظان التسور إلى عظيم ذلك الجناب **السادس** أن يعلم أنه لم يرد سبّاً وازدراء. ولا شيئاً من الأعراض السابقة. وإنما أراد مذاكرة العلم. والبحث عما يجوز ويستحيل عقلاً وشرعاً. فهذا فلا بأس به ولكن لابد له من ثلاثة أشياء الأول وبه يتحقق هذا القسم أن يكون الذاكر إما في مقام النفع للغير جواباً أو تدريساً أو تصنيفاً أو نحو ذلك. واما في مقام المذاكرة أو المناظرة لتصحيح الحق وإبطال الباطل ونحو ذلك من وجوه تعاطى العلم. ص 239

الثاني وبه يكمل. أن يذكر ذلك بين أهله من خاصة أهل العلم الذين يضعونه موضعه. ويفهمون الأمر على وجهه. ولا يذكره بين العوام فيثير به فتنة على القلوب. الثالث: أن يحافظ عند الخوض في ذلك على غاية الأدب والاحترام للجناب النبوي. ويلتزم الوقار والتعظيم في كلامه وفي ألفاظه التي يوردها وقد فصل الأئمة ذلك فيما دون الكفر فقالوا ينبغي إذا تكلم في العصمة أن يقول هل يجوز أن تقع منه مخالفة في شيئ من الأوامر والنواهي؟ وهل يجوز أن يواقع بعض الصغائر؟ ولا يقول هل يعصي أو يذنب؟ وإذا تكلم في العلم أن يقول هل يجوز أن لا يطلع إلا على ما أطلعه الله تعالى عليه؟ ونحو

(7) أي التأديب والتعزير: العقاب الجسماني

ذلك ولا يقول هل يجوز أن يكون جاهلا بكذا ؟ إلى غير هذا . فما بالك بالكفر ؟ فمتى تحققت هذه الأشياء الثلاثة لم يكن حرج على الباحث في العلم . وإن لم تتحقق انتقض هذا القسم . والتحق بما يوجب القتل . أو الأدب وفي « الشفا » أفتى فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم الفقيه الطليطلي (8) وصلبه بما شهد عليه من استخفافه بحق النبي ﷺ وأفتى فقهاء القيروان أصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري (9) وكان شاعراً متفنناً في كثير من العلم . وكان ممن يحضر مجلس القاضي أبي العباس بن طالب (10) للمناظرة . فرفعت عنه أمور منكرة من هذا الباب . في الاستهزاء بالله وأنبيائه . ونبينا عليهم السلام فقتل وصلب/ثم أنزل وأحرق بالنار . ولابد في هذا من الاجتهاد . والنظر في قرائن الحال الحاصلة لمن حضر « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ . وَيَحْيَا مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ » (11) نسأل الله تعالى العصمة . وحفظ الحرمة (12)

ص 240

---

(8) لم أقف له على ترجمة وذلك ما ذكره أيضاً الشهاب الخفاجي شارح « الشفا ».

(9) ابراهيم الفزاري . نسبة إلى قبيلة فزارة . شاعر جيد الشعر . فصيح له نصيب من العلوم العقلية أنظر شرح الشهاب الخفاجي على كتاب الشفا ج 380/5

(10) عبد الله بن طالب بن سفيان أبو العباس (.../275هـ) من كبار أصحاب سحنون ولي قضاء القيروان مرتين . كان جميل الصورة لقناً فطناً جيد النظر يتكلم في الفقه . حريصاً على المناظرة يجمع في مجلسه المختلفين في الفقه ويغري بينهم لتظهر الفائدة . له مؤلفات كثيرة . امتحن رحمه الله وسجن وسُقي سما . أنظر كتاب « الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب » للإمام ابراهيم بن علي بن فرحون اليعمري

(11) الآية 43 من سورة الأنفال

(12) في هذا المكان من النسخة المعتمدة وقبل « المقام الثاني » زيادة « وكتب الحسن بن مسعود اليوسي كان الله له ». وهذا يقبل احتمالين : إما أن يكون ذلك سهو من الناسخ . وإما أن يكون اليوسي قد أرسل فقط الجزء الأول من الرسالة قصداً . والجزء الثاني خاف عليه من الذيوع والانتشار لما تناوله من افتراضات وتحليلات في جانب النبوة لا يليق أن تداع بين العامة كما أشار هو لذلك في آخر المقام الأول . وألح على ضرورة مناقشتها بين « خاصة أهل العلم الذين يضعونها موضعها ويفهمونها على وجهها ». ولا يريد بعثها إلى عامة الطلبة خوفاً مما يمكن أن يجره عليه ذلك من ويلات سوء التأويل . والجهل بالدقائق التي تعرض لها.

المقام الآخر في حكم الجواز المذكور (13) فنقول

أما عقلا ومن حيث الذات البشرية ، فصحيح وأما شرعا ومن حيث وصف النبوءة فباطل . وبيان الأول أن النبي من حيث ذاته بشر تجوز عليه الأعراض الحادثة كالكفر والإيمان ، والطاعة والمعصية ، وغير ذلك ، والنتيجة معروفة وهذا بيّن بنفسه ، ولكن حيث وقع البحث عنه فلابد من إيضاحه . وذلك بأن نرسم مقدمات ينبني عليها الكلام ويتضح بها المرام . **الأولى** : النبي غير خارج عن النوع بماهيته بل بخواصه . **الثانية** النبوءة ليست بصفة ذاتية للنبي ، بل اختصاصاً من الله تعالى . **الثالثة** : أفراد الماهية متساوية فيما يجب لها ويجوز ويستحيل . ولا بأس بتفاوتها في وقوع الجائز أوْلَا وقوعه . **الرابع** الوجوب والاستحالة العارضان ، لا ينفيان الجواز الذاتي . وهذه مقدمة مبيّنة في محلها ولو اشتغلنا ببيانها لخرجنا عن الغرض ، مع أنها واضحة عند المتعاطين . فمن كان منهم فهو غني عن بيانها ، ومن لم يكن منهم فحظه التقليد .

وفي معنى الأخيرة ما نقول أن الضرورة المعتبرة في القضايا هي الذاتية ، أي اللاحقة من جهة الموضوع بذاته أو وصفه ، لا اللاحقة أي من جهة المحمول . فإذا تقرر هذا فنقول إن النبي من جهة ذاته أي من غير النظر إلى وصفه الذي هو النبوءة ، هو بشر بحقيقة . وكل ما جاز على البشر جائز عليه بذلك الاعتبار/فهو معرض للأعراض البشرية كلها ، ومن جملتها الإيمان . فيجوز عقلا خلقه له ، وإذا كان جائزا كان مقابله وهو الكفر جائزاً أيضاً ، وإذا كان كل منهما جائز الوجود كان جائز العدم أيضا بالضرورة ، قبل وجوده وبعد وجوده أيضا ، فيجوز أن ينعدم الإيمان بعد وجوده ، ويخلفه الكفر . كما يجوز العكس . ثم إن النبوة أيضا هي من جملة هذه الأعراض الجائزة لأنا قلنا إنها ليست ذاتية . فيجوز أن يتصف بها كل فرد من أفراد النوع لوجوب تساوي الأفراد .

ص 241

---

(13) الجواز المذكور : جواز عروض الكفر على الأنبياء . وقد ذكر اليوسي في مقدمة الرسالة أنه سيفصل الموضوع في مقامين . ابتدأ بالمقام الثاني . وهذا هو المقام الأول الذي أشار أنه سيؤخر الكلام فيه

ويجوز أن لا يتصف بها واحد أصلا . ويجوز أن يتصف بها البعض دون البعض . بما قلنا من صحة تخالف الأفراد في وقوع الجائز . ثم بعد اتصاف المتصف بها . فيجوز أن تنعدم كسائر الأعراض . وإذا انعدمت جاز أن يتصف بعدها بكل من الإيمان والكفر . لأن انتفاء الأخص . لا يوجب انتفاء الأعم فإن قلت حينئذ النبي متساو بغيره . قلت نعم في الجواز العقلي : هو وغيره سواء . فإن قلت وما مزيته إذاً ؟ قلت هي تعلق علم الله تعالى ومشيئته فيه بما لم يكن لغيره . ففارق غيره بوقوع أشرف الجائزات وأعظمها . له دون غيره لا بمجرد الجواز . وبوجوب ذلك شرعا له دون غيره وناهيك بهذا مزية .

فإن قلت النبوءة والكفر يستحيل اجتماعها . لأن النبوءة ملزومة للإيمان المنافي للكفر . ولو اجتمع[1] المتنافيان . قلنا لا يراد اجتماعها بل تعاقبها على الذات كتعاقب المرض/والصحة . والفرح والحزن . فإن قلت حينئذ لا يصح أن تقول **ص 242** النبي يصح عليه الكفر لأنه هو عين اجتماعها قلنا كلا ليس الأمر كما تظن . فإن المحكوم عليه هو الموضوع (14) لا الوصف العنواني (15) فالمراد أن الذات المعروضة للنبوءة هي التي يصح عليها ما ذكر . غير أن الوصف في مثل هذا قد يكون شرطاً في الحكم كقولنا : كل كاتب متحرك الأصابع . فإن التحرك محمول على ذات الكاتب بقيد الوصف . وقد لا يكون كقولنا كل مستيقظ نائم . فإن النائم محمول على ذات المستيقظ لا بقيد الاستيقاظ بل بقيد عدمه . وكذا ما نحن فيه . على أن كون النبوّة ملزومة للإيمان عقلا في محل المنع . وإنما ذلك شرعاً . فإن قيل حقيقتها الشرعية بدون الإيمان غير متصورة . وهذا هو الاستلزام . وإن فسرت بمعنى آخر غير المعروف شرعاً فليس مما الحديث فيه . قلنا لا نسلم أنها غير متصورة بدونه فإن حقيقتها شرعاً اختصاص بسماع وحي بواسطة مَلَك أو دونه . وهذا لا يقتضي الإيمان بشيء من الدلالات الثلاث . ولا يلزم في وجوده بدونه محال عقلا .

---

1 — في الأصل « اجتمعا » صححت بما يناسب السياق.

---

(14) أي الذات

(15) الوصف العنواني الذي هو النبوة هنا

وأما الأمر الثاني : وهو أنه يستحيل عروض الكفر شرعاً للأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهو بَيِّنٌ بأدلة العصمة التي امتلأت بها الدواوين . ثم إن وجوب العصمة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام . واستحالة ما سوى الإيمان والمعرفة عليهم . لا يوهمها الجواز العقلي ولا ينافيها . أما أنه لا يوهمها فلأن المحذور إنما هو في وقوع شيء من ذلك أو احتمال وقوعه . إما بمجرد الجواز من القطع بأنه لم يقع/ولا يقع ولا يصح شرعاً وقوعه بحال فلا محذور . وأما أنه لا ينافيها فَلِما مرّ من أن الضرورة اللاحقة لا تعارض الإمكان الذاتي . وإنما يعارضه الضرورة الذاتية . ولنضرب لِلَّاحقة مثالين يكون بهما بيانها : **الأول** أن يكون الشيء ممكناً في ذاته يصح وجوده وعدمه . ثم تعلق علم الله تعالى بوجوده كإيمان أبي بكر . أو بعدمه كإيمان أبي جهل . فالإيمان في هذا جائز لذاته لكنه قد وجب في المثال الثاني وهو أيضا ضرورة في جانب السلب . وليس من وجوبه من ذاته . بل لخارج وهو تعلق علم الله تعالى بوقوعه فهو لم يزل على إمكانه مع القطع بوقوعه . وأنه لا محالة يقع وإلا تبدل العلم القديم جهلاً . تعالى عن ذلك علواً كبيراً . ومن ثم ذهب بعض الناس إلى أن هذا خارج عن الإمكان . داخل في قسم الواجب وجودا أو المستحيل عدما نظرا إلى علم الله تعالى . والحق ما قدمناه . إذ النظر إلى علم الله هو معنى كونه لخارج لا لذاته.

ص 223

ومن هذا النحو النبوّة والرسالة للمتَّصِف بها . والإيمان له ونحو ذلك من الكمالات فكل ذلك بالنظر إلى علم الله تعالى واجب الوجود . مستحيل العدم سابقا ولاحقاً . وإذا وجب . استحال ما يضاده سابقا ولاحقاً أيضا . وبالنظر إلى ذات المتصف وذات الوصف الكل ممكن . ومقابله أيضا ممكن . **الثاني** أن يكون الشيء ممكناً في نفسه . ثم وجد ما ينافيه . فاستحال وجوده معه كما نقول زيد يصح عليه العدم لذاته . لكن في حالة الوجود لا يصح اتصافه بالعدم لتنافيهما . وإنما معنى الصحة . أنه يجوز اتصافه بكل منهما بدل الآخر لا معه . فكل منهما جائز بحسب الذات . وتعرض له الاستحالة/وهي وجوب الإنتفاء لخارج وهو وجود منافيه . ومن هذا المعنى عروض ما ينافي النبوة للنبي .

ص 244

فإنه جائز بحسب الذات ولكن لا مع وجود النبوءة بل بدلا منها . إمنا سابقاً بأن لا توجد ويوجد هو . كما وقع لسائر البشر الكافرين . وإما لاحقاً بأن تعدم ويوجد هو . كما يقع للمرتدين . وهذا كله تصرف عقلي . وأما وجوب العصمة شرعا سابقاً ولاحقاً فمعلوم . وكتب الحسن بن مسعود كان الله له.

الرسالة الثلاثون

جواب إلى عبد المالك التجمعتي في مسألة علم النبي ﷺ

ذكر أحمد الهشتوكي في كتابه « هداية الملك العلام » ورقة 34 أن المباحثة في موضوع علم النبي وقعت في مجلس البخاري في الجامع الكبير بفاس الجديد بين يدي الشريف محمد بن السلطان إسماعيل بين علماء فاس وغيرهم ممن حضر المجلس. وذلك حول الغيب هل يعلمه النبي ﷺ فذكر أبو عبد الله محمد بن محمد الدلائي أنه يعلمه وأنكر عليه ذلك بعضهم منهم أبو العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي. فسأل محمد بن السلطان إسماعيل أستاذه عبد المالك التجمعتي. فأجابه بأنه لم يمت ﷺ حتى أطلعه الله تعالى على الغيب. وشاع ذلك بفاس فكتب الحلبي المذكور للتجمعتي فأجابه هذا الأخير بكتاب طويل يعرف ب « ملاك الطلب في جواب أستاذ حلب » (1) وعلى أفكار هذا الكتاب يجيب اليوسي بالرسالة التي بين أيدينا. أما عن تاريخ هذه المباحثة والذي يحدده اليوسي بغزوة السلطان للسوس فيذكر كتاب الاستقصا ج 57/7 أنها كانت سنة 1089هـ فيكون تاريخ هذه الرسالة سنة 1091هـ. لأن اليوسي يذكر في رسالته أنه كتب رده هذا بعد عامين.

وسيجيب الشيخ عبد المالك التجمعتي على هذه الرسالة برد طويل حاد يثير الاستغراب بعنف لهجته وما احتوى عليه من استنقاص وهمز لليوسي. وهذا الرد يعرف بعنوان « الأسطار البوسية في خلع الأطمار اليوسية » (1)

---

(1) انظر مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم حـ 115

مخطوطات الرسالة

لهذه الرسالة فيما وقفت عليه نسختان

الأولى من مكتبة محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم حـ 115 من ورقة 195 إلى ورقة 199 ورمزها حرف « حـ »

الثانية من مكتبة الأستاذ المرحوم العابد الفاسي من مجموع غير مرقم وهي في ورقتين رمزها حرف « عـ »

وصف المخطوطات

اعتمدت في نقل المتن على مخطوطة « عـ » لجودة خطها وقلة اسقاطاتها أما مخطوطة « حـ » فهي ضمن مجموع فيه تآليف لمحمد الحجوي . ورسالة « ملاك الطلب في جواب أستاذ حلب » ثم جواب اليوسي . ورد التجمعتي عليه المعروف ب « الأسطار البوسية » مع حواشي للحجوي . وخط المخطوطة لا بأس به وتحريفاتها قليلة.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

الحمد لله على ما ألهم وعلم . مما لولا فضله لم نكن نعلم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه الأكرم . وعلى آله وصحبه بدور الظلم . أما بعد . فيقول العبد الفقير إلى مولاه . الغني به عمن سواه . الحسن بن مسعود اليوسي أنه قد بلغني منذ نحو عامين أنه وقعت في حضرة فاس حرسها الله مباحثة بين طلبة العلم في علم النبي ﷺ هل هو عام بحيث يعلم كل شيء أم لا ؟ (1) وأعلمني بها سلطان الوقت المظفر المؤيد أبو الوفاء مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف أصلح الله له سعيه وسدد رأيه . في كتاب له إليَّ من السوس الأقصى . فأجبته عن فصول الكتاب إلا عن هذه فأضربت عنها صفحاً لأمرين : **أحدهما** أنه لم يقصدني بالسؤال عنها . وإنما استطردها في ضمن كلامه لغرض له آخر . **الثاني** أني رأيت الكلام والبحث عنها من الفضول الذي ينبغي اتقاؤه . والإمساك عن أمثالها بعد عقد التعظيم هو سبيل النجاة إن شاء الله فإنا كما أُمِرْنا بالإمساك عن القرآن العظيم عند الاختلاف اتقاء ما ينجر إليه الكلام . وفي الحديث : « اقْرَأُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ . فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ » (2) وأَمَرُونَا بالتفكر في آيات الله تعالى . وَنُهينا عن التفكر في الكُنْهِ (3) فكذلك ينبغي أن نعتقد في تعظيم نبينا ﷺ ونعتقد أنه أعطي من العلم والنور وسائر مراتب الكمالات اللائقة به ما لم يعطَ أحد من العالمين . لأنه خير الخلق أجمعين . ثم نكتفي بهذا وما أشبهه . ولا نطالب بالبحث عن إحصاء ما علم . فإنه لا تبلغه عقولنا وليس مطلوباً منا فالاشتغال به فضول من ثلاثة أوجه : **الأول** : أنه غير مطلوب منا « ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » (4) **الثاني** : أنَّا لا نبلغ إلى تحقيقه . ولو اجتهد أحد أن يُحْصِي ما في قلب عشيره

---

(1) أنظر هذا الموضوع مفصلا في كتاب « الشفا » للقاضي عياض شرح أحمد الشهاب الخفاجي المجلد الرابع ص 60 وما بعدها

(2) حديث متفق عليه من رواية جندب بن عبد الله أنظر المغني بهامش الإحياء ج 294/1 وإرشاد الساري في شرح البخاري ج 487/7

(3) إشارة لكلام لأبي بكر سبقت الإشارة إليه والتعليق عليه .

(4) سبق تخريج هذا الحديث أنظر ص : 358 التعليق رقم 94 .

وجليسه من العلم لعجز . فكيف بما في قلب سيد البشر . ومنْ هو نور الوجود وسائر الكائنات . وطلبُ ما لا يحصل عبث . وتكلف المحال ساقط « لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسا إِلاَّ وُسْعَهَا » (5). **الثالث** أن البحث والخلاف[1] فيه ملزوم[2] لإحدى عثرتين عظيمتين إلا من عصم الله . فإن الباحث فيه إما أن يقع في استنزال صفوة الله من خلقه عن مكانته الرفيعة . وإما في سوء الأدب مع الله تعالى المولى العظيم في تشبيه خلقه به وفي ذلك سوء أدب مع النبي ﷺ إذ لا يحب ذلك ولا يرضاه لنفسه فيكون على كل حال باحثاً على حتفه بظلفه . فرأيت الإمساك عن ذلك أولى . ثم إني عثرت على كراسة منسوبة لأخينا الفقيه النبيه قاضي سجلماسة وأعمالها في الوقت أبي مروان سيدي عبد المالك بن محمد (6) هداناالله وإياه سواء السبيل . وجنبنا وإياه كل مرعى وبيل . فرأيته قد تكلم على المسألة وصحح أنه ﷺ : لم يفارق الدنيا حتى علم كل شيْ . وذكر الخلاف في الخَمْس (7) التي استأثر الله بها . ثم صحح أيضاً أنه قد علمها (فقد علم كل شيْ)[3] هذا حاصل كلامه . فإذا هو كلام غير محرر . وقد عضده بأدلة لا يقوم منها شيءٌ على ساق . وبنصوص لا تسمن ولا تغني من جوع . وإذا هو قد وقع في ورطة لا مخلص له عنها . أو في جهالة يتضاحك منها فرأيت حينئذ الكلام يتعين . ليتخلص الحق ويتبين . فأتيت بهذه الأحرف على غاية الاختصار . من غير تعرض لما في الكراسة . لأن الحق إذا تبيَّن فما سواه بالضرورة باطل . وجيده من التحقيق عاطل . فأقول وبالله القوة والحول إن القائل بتعميم علم النبي ﷺ لا بد أن يقال له ما تريد بهذا التعميم ؟ الحقيقي بحيث يكون علم النبي ﷺ على حد علم الله تعالى فلا فرق . من الإحاطة بجميع الواجبات . والجائزات والمستحيلات . والموجودات . والمعدومات . الحاضرة والماضية والآتية جملة وتفصيلا ؟ أم تعميماً إضافياً دون ذلك ؟.

---

1 — حـ أسقط « والخلاف ». 2 — حـ « ملزم » 3 — زيادة من حـ.

---

(5) من الآية 285 سورة البقرة مدنية

(6) عبد المالك بن محمد التجمعتي سبقت ترجمته ص 219 التعليق رقم 359 .

(7) إشارة إلى الآية 34 سورة لقمان « إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ... » الآية .

فإن أردت الأول فقد وقعت في الورطة العظمى . وأشركت مع الله غيره . وذهبت تبني دارً فهدمت أمصارا . ووقعت في نحو ما وقع فيه القائلون باتحاد اللاهوت بالناسوت (8) فإن الله تعالى كما أنه لا تشبه ذاته الذوات . لا تشبه صفاته الصفات . وكما أنه لا شريك له في ذاته كذلك لا شريك له في صفاته . والوحدانية نفي الكم المتصل والمنفصل . في الذات والصفات ومعلوم أن الكم في الصفات هو أن يكون لغير الله تعالى علم كعلمه وقدرة كقدرته وهذا واضح فإن أجاب بأنه يندفع التماثل المحذور بأن العلم هنا حادث وهناك قديم . والعموم هنا جائز . وهناك واجب قلنا بعد تسليم ذلك . فليس كل جائز واقعا . ومن ادعى وقوعه فعليه الدليل . فهاتنا دليلا على وقوع هذا العموم على ما فسرنا[1] نصاً فيه[2] . وما نجد في حديث أو أثر . من علم كل شيء على هذا . والإجمال لا يفيد شيئاً لأن العمومات تقع حقيقية وإضافية بحسب صنفٍ أو نوعٍ أو جنسٍ متوسطٍ او سافلٍ . وقد قال الله تعالى في حق نبيه موسى عليه الصلاة والسلام « وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ » (9) ثم قال له بعد ذلك « عَبْدٌ لَنَا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ » (10) ولما لقي الخضر قال له « يَامُوسى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ لا تَعْلَمُهُ» وقال له «مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلاَّ مَا نَقَص هذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ » (11) وقال في كتاب نبينا ﷺ « مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » (12) وقال : تِبْيَانا لِكُلِّ شَيْءٍ » (13) ثم قال له « وقُلْ ربِّ زِدْنِي عِلْماً » (14) ومن الدليل عقلا على ما ذكرنا أن يقال علم الحادث

---

1 — حـ « فسر به ». 2 — حـ أسقط « فيه ».

---

(8) الناسوت الطبيعة الإنسانية . وهو (الناس) زيد في آخره واو وتاء كملكوت

(9) من الآية 145 سورة الاعراف

(10) إشارة إلى الآيات 63 — 64 — 65 سورة الكهف

(11) إشارة إلى حديث شريف سبق تخريجه ص 149 التعليق رقم 91

(12) الآية 38 سورة الأنعام مكية

(13) الآية 89 سورة النحل مكية

(14) من الآية 114 سورة طه

حادث متعلق للقدرة الأزلية . ومعلوم أن المقدورات لا تتناهى . لاستحالة المتخصص لا بالأعداد ولا بالأزمان . فالعلوم الحادثة لا تتناهى . ولو عَلِم كُلَّ شيْ على ما فسرنا لتناهت بحيث لا يمكن خلق علم آخر وراء ما[1] علم ضرورة بطلانِ تحصيل الحاصل . فيلزم التخصيص والعجز وهو باطل . وأما النقل فكثير كقوله تعالى : « ولا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ » (15) أي لا يعلمون من المعلومات إلا ما شاء أن يعلموه . وهذا عام ومن أراد التخصيص . فعليه الدليل وقوله تعالى « فلا تَعْلَمْ نفْس ما أُخْفِي لهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ » (16) فهذا القدر من النعيم حكمت الآية أنه لم تَطَّلِعْ عليه نفس من النفوس على العموم وقوله تعالى « وقلْ رِبَّ زِدْنِي عِلْماً » فالزيادة ممكنة أبدا وما يزاد لم يعلم قبل . وقال ﷺ في نفسه يوم الناقة (17) : « لا أَعْلَمُ إِلاَّ ما عَلَّمنِي رَبِّي » (17) وهو وإن احتمل العموم نظرا إلى العبارة مع التعامي عن الفحوى والسياق . فمع الاحتمال يصار إلى الأصل وهو عدم الحصول وذلك ما قلنا وفي حديث آخر : « كُلُّ يَوْمٍ لاَ أَزْدَادُ فِيهِ عِلْماً لاَ بُورِكَ لِي فِي شَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ » (18) إلى غير ذلك من الأدلة. وقد سمعتَ ما وقع في حق نبيه موسى عليه السلام . والأنبياء كلهم في عين الكمال يخوضون في بحار العلم التي لا تنزفها (19) الدلاء . وتفاوت الدرجات لا يقضي بالتمايز الحقيقي . والزائد على القدر المتناهي بقدر متناهي مُتناه[2]

وإن أردت الثاني (20) فنقول ما تريد بهذا البعض الذي عممته ؟ فإن

---

1 — حـ « وراءها » بدل « وراء ما ». 2 — في الأصل « ماتناه ». والسياق يتطلب « متناهٍ » حـ أسقط الكلمة.

---

(15) من الآية 255 سورة البقرة
(16) من الآية 17 سورة السجدة
(17) سبق تخريج هذا الحديث
(18) حديث أخرجه الطبراني في « الأوسط » وأبو النعيم في « الحلية » من رواية عائشة بإسناد ضعيف أنظر المغني بديل الاحياء ج 1 6
(19) نزف ينزف ماء البئر نزحه أي استخرجه
(20) الثاني هو التعميم الإضافي وهو المحصور في إطار محصوص من العلم

أردت بعضاً مبهماً فقد قلبت الجزئية كلية . وناهيك بذلك غلطاً وأضحوكة. وإن أردت بعضاً مخصوصاً فَبَيِّنْهُ ليستفاد الحكم على الكلية بحسبه . وقل مثلا يعلم كل شيْ من الشرعيات . أو من العقليات . أو من العاديات . أو من الحُكْمِيات . أو علم كل شيْ يطلب علمه من الكمالات الإلاهية . أو نحو هذا من التقديرات . ليعلم الحكم وتجعل له فائدة . وإلا فكلام مجهول لا تحصل منه فائدة . ومن العجيب أن تقع المباحثات والاستدلالات . والأسئلة والأجوبة . في حكم لم يُتَصور بَعدُ . حتى لا يحصل من شيْ منها فائدة يحسن السكوت . عليها فإنا لله على فقد العقول بعد فقد العلم . وذهاب العقل هو المتكفل بكل ضلال إذ لا طاعية في المشروط عند عدم شرطه نسأل الله تعالى العصمة . فإن قيل : فأي شيْ المعول عليه في هذه النازلة حيث وقع التعرض لها ؟ قلنا ما صدرنا به في ما سطرنا هو المعول عليه . غير أنا اختصرناه . وسنبسطه الآن إن شاء الله بعض البسط فنقول : من الواجبات أن يعلم أن وصف صفوة الخلق من الأنبياء والمرسلين فيما يتحلون به من العلوم والمعارف . وسائر الكمالات . يكون على ثلاثة أضرب : **الأول** أن يسلك بهم مسلك العامة من الخلق . وأن ليس لهم من العلم والمعرفة والنور ونحو ذلك إلا ما لسائر الناس . فهذا استنقاص لهم[1] وهضم من خصوصيتهم[2] التي امتن الله تعالى بها عليهم وحطهم[3] عن المرتبة الشريفة التي أحلهم الله تعالى فيها . وهذا لا يجوز . **الثاني** أن يُخرجوا عن البشر ويُشَبَّهوا بالإلاه الحق . شبه ما وقع للنصارى أهلكهم الله وهذا لا يجوز : « دع ما ادعته النصارى في نبيهم » (21)

الثالث التوسط وخير الأمور أوسطها بأن يعلم أنهم بشر ولكن ليسوا

---

1 — حـ « استخفاف بهم ». 2 — في الأصل وهضمهم عن خصوصيتهم « صوابه من حـ.
3 — « وحط لهم ».

---

(21) شطر من بيت قصيدة البردة للإمام البوصيري :

دع ما ادَّعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

أنظر حاشية الباجوري على متن البردة ص 26

كالبشر . بما خصهم الله تعالى به من المنح والمنن من غير أن يكونوا بذلك آلهة ولا أمثال الآلهة . وهذا هو الحق في نفس الأمر . فإن الرب سبحانه منفرد بملكه وعظمته . وأوصافه وأسمائه . لا شبيه له ولا مثيل ولا عون ولا وزير . وله تعالى أن يفاوت[1] بين عباده ويفضل بعضهم على بعض عموماً وخصوصا قال تعالى في الأول « يخْتَصُّ بِرحْمَتِهِ منْ يَشَاءُ » (22) وقال في الثاني « تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » (23) فإذا اعتقدنا في الأنبياء والرسل أن الله تعالى فضلهم على سائر البشر وأعلى مقاماتهم على كل مقام . وقرب منازلهم على كل منزلة . فقد تأدبنا معهم إذ رفعنا شبههم عن عوام الخلق قياما بحق الاختصاص

ولابد أن نتأدب مع الله فلا نثبت لهم شبهاً به قياماً بحق التوحيد وكذا إذا اعتقدنا في بعضهم ارتفاعاً عمن سواه منهم فلا بأس به قياما بحق الاختصاص الخاص[2] كما أثبته المولى سبحانه . إذا عُلِم هذا فنقول : نبينا ومولانا محمد ﷺ قد فضله الله تعالى على سائر الرسل وقيل إنه المعني بقوله : « ورفع بَعْضَهُم دَرَجَاتٍ » (24) والرسل في الجملة أفضل من غيرهم . فنبينا ﷺ هو أفضل الخلق قاطبة . فنعتقد بمقتضى التفضيل العام أن الله أعطى نبينا ﷺ من شفوف المنزلة . وقرب المكانة . وشريف الحظوة . ما لم يُعْطِ أَحَداً من خلقه . وكذلك نعتقد أنه أعطاه من العلوم الشرعية والإشهادية . والمعارف الربانية . ما لم يعط أحداً غيره وذلك كما نقله صاحب هذه الكراسة عن الإمام القرطبي من أن الله سبحانه أطلعه من العلم بصفاته وأحكامه وأحوال العالم كله . ما لم يطلع عليه غيره . فهذا كلام حق ليس في الكراسة أنصع منه وقد جاء به صاحبها[3] استدلالا لإثبات الخصوصية عن الخلق . والشفوف عنهم ليثبت له بذلك ما يزعمه من الإحاطة . وما أبْعَد ما بين الدليل والمدلول ؟ فإن الخصوصية تثبت بمقدار يزداد وإن لم يحصل عموم . فلو قيل زيد يعرف رجال

---

1 — حـ « يفوت » 2 — حـ أسقط « الخاص » 3 — حـ « صاحب »

---

(22) من الآية 104 سورة البقرة.
(23) من الآية 253 سورة البقرة
(24) من الآية 253 سورة البقرة . مدنية.

بني زهرة كلهم . وعمرو إنما يعرف عشرة منهم . ثم قيل وخالد يعرف منهم أكثر من عمرو فلا يقضي ذلك أن يكون كزيد . فلا إشكال في كون نبينا ﷺ قد فضله الله على الخلق بالعلم عملا بمقتضى تفضيله في الدرجات . مع أن التفضيل بالحكم وفي هذا من البحث ما لا يليق أن يقع إلا بين أهله فلنمسك العنان عنه . وأما الكلية فإن شئنا عبرنا بها مع إرادة التقييد بجنس أو نوع أو صنف كما مر فنقول إنه يعلم جميع ما ينبغي بمثله . أو كل ما تبلغه عقول البشر أو كل ما لم يستأثر الله تعالى بعلمه . أو نحو هذا وهو كله صحيح . ونعتقد أن كل علم في فواته نقص غير لائق به في حاله . فهو حاصل له ﷺ . لأنه ﷺ في عين الكمال . وإنما قيدنا بالوصف لأن النقص المعتبر بالقياس إلى الألوهية غير نقص في العبد ولا يمكن جبره فإنه كذلك فافهم . وهذا بحسب الإجمال . وأما بحسب التفصيل فلنا أن نقول إن العلوم الشرعية أصلا وفرعا . ظاهرا وباطنا . كلها حاصلة له . ولا يصح أن لا تحصل له ﷺ لأنه مرجع الخلق فيها وهذا أيضا لا يخلو من إجمال لأن ما كان منها ضروريا للفطرة وللقوام الديني ولصلاح الحالة فهو حاصل دفعة وما وراءه كان بقدر الحاجة والسؤال . ولم يمت حتى علم ما نزل بالفعل . وأما ما سينزل إلى قيام الساعة فيمكن أن يقال أنه علمه أيضا . أما بعلم أصوله من كتاب الله تعالى . كما هو إشارة قوله تعالى : « اليَوْم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ » (25)

أو بالوحي بذلك . والاحمال الواقع في الكتْبِ الذي استدعى ﷺ أن يكتب لهم في مرضه . وأن المراد بها نوازل الأحكام . يصح على كل من الاعتبارين . ويمكن أن يتوقف في ذلك لأن عدم الاطلاع على النازلة حتى يسأل عنها ويوحى إليه فيها ليس فيه غضاضة عليه « إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يوحى » (26)

وهذا كله لا يخلو من فضول . واشتغال بما لا يعني . وتصلب لما لا يدرك

---

(25) من الآية 4 سورة المائدة

(26) الآية 4 سورة النجم مكية.

وما لا يلزم وما لا يوقف[1] بالتحقيق عليه . فرحم الله امرأً عرف قدره . وكذا النظر في تفاصيل ما سوى هذا من الحكم والمصالح الدنيوية . وأنه لا نقص في عدم عِلْمِ بعض ذلك . كما قال ﷺ في قصة تأبير النخل « أنتم أعلم بدنياكم » (27) وكذا في عظمته تعالى وجلاله . وملكوت أرضه وسمائه بالاشتغال بهذا كله إثباتا ونفيا . فضول يسقط للمشتغل به العشاء على سرحان (28) ويحين فيمن حان (29) وكذا البحث في خصوص[2] الخمْس . فعليك بالتعظيم جملة . واعتقاد أن الله تعالى أعطى نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم من العلوم الشرعية والمعارف اللدنية[3] والحكم النظرية والمصالح الدينية والدنيوية والمحاسن الأدبية واللطائف الملكوتية . ما يغرق في أدنى بحاره علوم الأولين والآخرين . ويلتمس منه كل حبر في علمه . وذي فكر في نظره . وذي صنعة في صنعته :

وكلهم من رسول الله مُلْتَمِس
غرفاً من البحر أو رشفا من الدِّيَم(30)

وقف هاهنا وراجع كلام « الشفا » . ففيه الغنيمة والشفا . ودع عنك الجدال والمراء . لعلك تتنور بصيرتك . وتسلم عقيدتك والله الموفق آمين.

1 — حـ « لا يدرك ». 2 — حـ « عموم ». 3 — حـ « الدينية ».

(27) يشير إلى الحديث « قدم النبي ﷺ وهم يؤبرون النخل (أي يلقحونه) فقال : ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال : لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيراً فتركوه فنقصت . قال : فذكروا ذلك له فقال : إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء في أمر دينكم فخذوه . وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر » رواه مسلم من حديث رافع بن خديج أنظر مشكاة المصابيح ج 53/32/1

(28) يقال سقط العشاء به على سرحان يضرب في طلب الحاجة تؤدى صاحبها إلى التلف . مجمع الأمثال ج 241/1

(29) حان يحين : هلك أو وقع في المحنة.

(30) من بردة الإمام البوصيري : حاشية الباجوري على متن البردة ص 24 طبعة عبد السلام بنشقرون

الرسالة الواحدة والثلاثون

رسالة العقيدة الصغرى لليوسي

هذا الجواب شرح للعقائد العامة معرفة الله وأحكامه وحكمته . ثم يتعرض اليوسي في الأخير لمسألة قديم القرآن وحديثه . ويناقش رأي القرافي في ذلك

مخطوطات الرسالة

لهذه الرسالة نسختان مخطوطتان :

الأولى من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 من ص 287 إلى ص 294 ورمزها حرف « ق »

الثانية من مخطوطتي الخاصة من ص 167 إلى 169 ورمزها حرف « خ »

وصف المخطوطات

سبق وصف المخطوطة « ق » . والمخطوطة « خ » أيضا . وأشير إلى أن هذه الأخيرة هي التي أثبتت العنوان الذي عنونت به الرسالة . وهي تنتهي عند الأبيات المنظومة ولم تورد كلام اليوسي على رأي القرافي في قديم القرآن وحديثه.

وقد اعتمدت كما هي العادة على مخطوطة « ق » لكمالها وأمانتها وقلة إسقاطاتها.

(والتمَسَ **منه بعض الإخوان** مقدمة تشتمل على بعض ما تمس إليه الحاجة فكتب له هذه الورقة)[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد . فإن صلاح العبد وكماله بثلاثة أشياء وهي معرفة الله تعالى ومعرفة حكمه . ومعرفة حكمته .

ص 288 **أما معرفة الله تعالى** فباعتقاد ما يجب لله تعالى/وما يتنزه عنه وما يجوز في حقه . ويحصل ذلك بالنظر في المخلوقات . فبالمخلوقات يعرف الخالق . كما أن بالمصنوعات يعرف الصانع فيعلم أن الله موجود . قديم ليس بمخلوق . باق لا يفنى . مخالف لخلقه غني لا يحتاج إلى شيئ . واحد في ملكه لا شريك له ولا معين . قادر على كل فعل من خير وشر . نفع أو ضر . مريد لكل فعل . لا يحدث كائن إلا بمشيئته . ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . عالم[2] بكل موجود ومعدوم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض . ولا يغيب عن علمه إجمال ولا تفصيل . حي[3] لا يطرأ عليه موت ولا نوم ولا نسيان . سميع بصير لكل موجود . من غير أذن ولا أجفان . متكلم بكلام معلوم[4] من غير حرف ولا صوت ولا لسان . وأنه تعالى متنزه عن أضداد[5] هذه الأوصاف . فهذه الأوصاف كمال وأضدادها نقص . والنقص مستحيل على الله تعالى . وأنه تعالى يجوز في حقه أن يخلق الخلق وألّا يخلقهم . وأن يفعل بهم ما يصلح بهم وأن لا يفعل . وأن يرحمهم وأن يعذبهم . وأن يكلفهم بشرع وأن لا يكلفهم . لا يجب عليه شيئ من ذلك ولا غيره ولا يمتنع . لأنه مختار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

فهذا ما يجب الإيمان به . ولا يتم الإيمان المطلوب منا إلا به . مع الإيمان بالملائكة . وأنهم معصمون . والإيمان بالكتب السماوية المنزلة على الأنبياء . وأنها حق من عند الله . والإيمان بالأنبياء جملة . وأنهم معصومون من كل قبيح شرعاً . في أفعالهم وأقوالهم . والإيمان بالرسل منهم خصوصاً . وأنهم/ مبعوثون إلى ص 289

---

1 — مقدمة من قول الناسخ. 2 — في الأصل « علم » صواب من م. 3 — في الأصل « حتي » صححت من م 4 — في الأصل « بكل معلوم » الصواب من م. 5 — م أسقط « أضداد »

العباد من الله . مبلغون ما أمروا به صادقون في كل ما بلغوا . لا يقع لهم كتمان ولا كذب . وجائز عليهم من العوارض البشرية ما يجوز على غيرهم . مما ليس فيه نقص ولا يعوق عن التبليغ .[1] والإيمان بنبينا ورسولنا محمد ﷺ خصوصاً . وأنه جاءنا[2] بشيراً ونذيرا . والإيمان بالقرآن المنزل عليه . وكل حكم جاء به . وأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق . والإيمان بما جاء به من البعث والحشر . والعرض والميزان والصراط . ودخول الجنة والنار . وغير ذلك من العقائد الثابتة بالعقل أو السمع.[3]

وأما معرفة حكم الله . فمعرفة ما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة واستنباط العلماء من واجب ومندوب ومحرم ومكروه ومباح . ويحصل ذلك بالتعلم وسؤال أهل العلم . قال تعالى : « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ » الآية (1) وقال النبي ﷺ « إنما العلم بالتعلم » (2) والمطلوب من ذلك صنفان : مأمورات ومنهيات . **فالمأمورات** : الإيمان بالله وبرسله واليوم الآخر كما تقدم . والصلوات الخمس لوقتها . وطهارتها من وضوء أو غسل أو تيمم . وزكاة الإبل والبقر والغنم . والذهب والفضة . والتمر والعنب والبر والشعير وسائر الحبوب المعشرة المعلومة[4] على تفصيل ذلك كله[5] المعلوم في الشرع . وصوم شهر رمضان وحج بيت الله بشرط الاستطاعة . وبر الوالدين . وجهاد العدو . والأمر/بالمعروف والنهي عن المنكر . بشرط القدوة والسلامة من فتنة أعظم (منه).[6] والنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وخاصتهم وعامتهم وهي جامعة لكل مطلوب . **والمنهيات** : الشرك بالله ومخالفة الشرع بالفعل كقتل النفس ظلما . والزنى . والسرقة . والغصب . وترك الصلوات الخمس[7] وغيرها من الواجبات . والكبر والحسد والرياء والعجب وغير ذلك . أو بالقول :

ص 290

---

1 — م أسقط الجملة « ولا يعوق عن التبليغ ». 2 — م أسقط « جاءنا ». 3 — م أسقط « الثابتة بالعقل أو السمع ». 4 — خ إسقاط « المعقولة ». 5 — إسقاط « ذلك كله ». 6 — الزيادة من خ. 7 — في الأصل « الصلاة الخمس ».

---

(1) من الآية 43 سورة النحل
(2) جزء من حديث : « إنما العِلْمُ بالتعَلُّمِ وإنما الحلم بالتحلم ومَنْ يتحَرَّ الخَيْرَ يُعْطَه » رواه ابن أبي عاصم والطبراني من حديث معاوية مرفوعا أنظر إرشاد الساري ج 168/1

كشهادة الزور . وسائر الكذب والغيبة والنميمة وغير ذلك . ونجب التوبة من جميع ذلك على الفور ومن لم يتب فقد عصى الله تعالى . ومن المامورات غير الواجبات نوافل الصلاة والصيام والحج والصدقات . والإكثار من ذكر الله تعالى . وغير ذلك من أعمال الخير. ولا تنفع المعرفة إلا بالعمل . « ومن عمل بما علم . أورثه الله علم ما لم يعلم » (3)

وأما معرفة حكمة الله . فمعرفة أن الله تعالى خلق[1] العالم كله ليعرف به . وليظهر فيه قدرته وحكمته . وخلق العباد ليعرفوه ويوحدوه ويعبدوه . وأمر ونهى ليظهر ملكه . وحكم بالطاعة والمعصية ليظهر فضله وعدله . بتنعيم المطيع وتعذيب العاصي والعفو عنه . وخلق الجنة والنار لتنفذ حكمته وتتم كلمته . وكل نعمة منه فضل . وكل نقمة عدل . فحقيق أن يرجى فضله . ويخشى عدله/وأنه تعالى « كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ » (4) يُوجِد ويُعْدِم . ويرحم وينتقم . وَيُعِزُّ وَيُذِل . ويوفق ويخذل . ويرفع ويضع . ويعطي ويمنع . « لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ » (5)لتعرف صفاته الجمالية والجلالية . وملكه وعظمته . وقدرته ومشيئته .

ص 291

فحقيق للعبد أن ينيب إلى مولاه . ويسعى بقلبه وقالبه فيما يرضاه . وأن يرضى بقضائه . ويشكر على نعمائه . ويتوكل في أموره عليه . ويرجع في كل ما ينوبه إليه . فإنه لا معطي لما منع . ولا مانع لما أعطى . ولا دافع لما قضى . وأن يخضع لجلاله ويخشى لعظمته . وأن لا يأمن من مكره . ولا يقنط من رحمته . وأن يراقبه أبداً . وأن لا يجده حيث نهاه . أو يفقده حيث أمره .

---

1 — خ « خالق ».

---

(3) حديث رواه أبو نعيم « في الحلية » من رواية أنس أنظر المغني بحاشية الاحياء ج 13/3
(4) من الآية 127 سورة الرحمان
(5) سبق تخريج الآية

وأن يكون عَبْدا لله تعالى على الدوام في كل حال .[1] كما كان له تعالى رباً على الدوام وفي كل حال . والله المستعان[1] فهذه مشارب العارفين نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم منهم آمين

فهذه مشارب العُرَّاف ... وهذه مذاهب الأشراف
يارب يارب وأين منها ... بلوغنا وقد بعدنا عنها
قد أبعدتنا الشهوات والهوى ... وقد هوينا بهما فيمن هوى
نسأله سبحانه أن يصلا ... بجزبهم جميعنا ويُكْمِلا
فإنه البر الكريم الوهاب ... وهو الغفور والمنيب والتواب
وصلوات الله والسلام ... على النبي ما انجلى الظلام
وآله وصحبه الأبرار ... وسائر الصلاح والاخيار[2]

ص 292 **فائدة** ذكر القرافي (6) في شرح الأربعين (7)قاعدة/يعرف بها ما هو القديم من القرآن وما هو محدث . وهي عبارة شنيعة وطريقة منحرفة عن الصواب . والحق أن القرآن كله قديم . نعم . القرآن يطلق بالاشتراك على معنيين : **إحداهما** : العبارة الدّالة . **والآخر** المعنى المدلول وهو بالمعنى الأول حادث لأن الألفاظ حادثة ولكن لا سبيل إلى إطلاق هذا اللفظ بأن يقال القرآن حادث لما فيه من الإيهام .

وأما بالمعنى الثاني فهو قديم ولا تفصيل أصلا لأن الكلام هو النسبة الحُكْمِيَة التامة وهي كلها قديمة. وبيان ذلك أنه إما خبر وإما إنشاء . فأما (الإنشاء)[3] فهو كله من الله تعالى . لأنه الآمر الناهي . وأما الخبر فكذلك . لأنه المخبر بالأشياء في الأزل فكانت كما أخبر بها . نعم متعلق الكلام — أعني

---

1 — خ‍ اسقاط الجملة «كما كان له تعالى — والله المستعان». 2 — هنا تنتهي رسالة العقيدة الصغرى في نسخة خ‍ وتنفرد نسخة الزاوية الناصرية بهذه التكملة. 3 — عبارة سقطت من المتن يستوجبها السياق.

---

(6) **أحمد بن ادريس شهاب الدين القرافي .../684هـ من علماء المالكية الكبار . أصله مغربي ومولده ونشأته بمصر له تصانيف كثيرة في الفقه والأصول أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 90/1**

(7) **للقرافي مؤلف في الأصول بعنوان : « شرح تنقيح الفصول » مطبوع ومختصر « تنقيح الفصول » مطبوع أيضا . ولم أقف في الكتب التي عددت تصانيفه على كتاب شرح الأربعين. ولعله يعني « شرح الأربعين النووية » .**

طرفي النسبة وهما المحكوم به والمحكوم عليه وما يكون لهما أو لأحدهما من المتعلقات — يكون للكلام بحسبه تقسيم وهو أنه : إما مفرد . وإما مركب . **فالمفرد** إما راجع إلى الله تعالى أو صفة من صفاته الذاتية كالله . وكالغني . وكالعلي . فهذا الدال فيه والمدلول قديم واللفظ حادث . وإما راجع إلى غير ذلك كالأرض . والسماء . والخلق . والرزق . على مذهب الأشعري (8) فهذا الدّال فيه والمدلول حادثان معاً...

والمركب إما إنشاء أو إخبار . والإنشاء إما من الله تعالى نحو : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ » (9) فهذا قديم واللفظ حادث . وإما من غيره نحو « ابْنِ لِي صَرْحاً » (10) فهذا حادث . والإخبار كذلك إما من الله تعالى نحو « إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ » (11) فهذا قديم واللفظ حادث . وإما من غيره تعالى نحو : « وَإِذْ قَالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا » (12) فهذا حادث.

ص 293

وهذا التقسيم هو الذي ذهب بالقرافي رحمه الله تعالى إلى أن قال إن في كلام الله تعالى ما هو قديم وما هو حادث.. وهو وهم باطل . فإن الكلام كما ذكرنا هو النسبة التامة . وهذه الأقسام كلها بالنظر إلى متعلق الكلام . لا في نفس الكلام ولا تَلَازُمَ بينهما . أما المفردات فظاهر أنها خارجة عن الكلام فلا يلزم حدوثها في نفسها . أو حدوث شيْ منها . حدوث في الكلام . إذ ليس بين النسبة الحُكْمِيَة الذهنية وبين وقوع الانتساب في نفس الأمر . تقارن بالزمان فضلا عن ذوات الأطراف المنتسبة . ألا ترى أنك تقول اليوم دخول الجنة بفضل الله ونفخة البعث حق . ونحو ذلك . فالحكم موجود اليوم والمحكوم عليه

---

(8) سبقت ترجمته أنظر ص 339 تعليق رقم 50 .

(9) هذه العبارة وردت في أول سورتين : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم منْ نفس واحده ... » الآية 1 من سورة النساء . وفي أول سورة الحج « يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيْ عظيم » الآية 1

(10) من الآية 36 سورة غافر مكية

(11) من الآية 34 سورة لقمان

(12) تمام الآية « وإذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لَمْ يُوتِ أَحَداً من العالمين » الآية 22 سورة المائدة

الذي هو دخول الجنة والنفخة لم يوجد ولا يلزم من تأخره تأخر الحكم . فكذا لا يلزم من حدوث السماء والأرض . وفرعون وهامان أن يكون إخبار الله عنها حادثاً . بل إخبار الله أزلي . والمخبر عنه وبه قد يكون أزلياً . وقد يكون غير أزلي : كالسماء . والأرض ولا إشكال فيه . وأما المركبات التي ذكرنا . فما كان منها إنشاء من الله تعالى أو إخبار منه . فلا إشكال أنه كلام تام وهو قديم . وأما ما كان من غيره تعالى فليس بكلام بل من متعلقات الكلام . فهو في قوة مفرد واحد فنحو : « وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً » الخ . الكلام فيه هو قوله تعالى وقال فرعون كذا والإخبار عن فرعون بأنه قال/ذلك هو كلام الله تعالى وهو قديم أزلي . وما وقع من فرعون من الأمر بالبناء . وترجى بلوغ الأسباب . إنما هو متعلق المحكوم به . فهو من تمات الكلام . وليس بكلام حتى يقال فيه حادث أو قديم . وكذا نحو « وإذ قال موسى لقومه » الخ الكلام فيه هو مضمون : اذكر المقدر قبل « إذ » . وكل ما سوى ذلك من « إذ » وما أضيف إليه إلى آخر القصة كله في معنى مفرد واحد متعلق بالفعل المحكوم به وليس بكلام حتى يقال فيه حادث أو قديم.

ص 294

وبالجملة كلام الله تعالى كله نسبة تامة خبرية أو إنشائية . وهي كلها أزلية قديمة وإنما يختلف المخبر به والمخبر عنه . والمأمور والمنهي . فقد يكون في ذاته حادثاً . ولا يلزم من حدوثه حدوث النسبة كما لا يلزم شيْ من تعدد العبارات وتنوعها إلى مضي واستقبال[1] مع عروض الزمان لكلام الله تعالى القديم . لأن ذلك إنما هو بحسب النزول . فالله تعالى قد أخبر عن الأشياء في الأزل من غير زمان . ثم إذا نزل ذلك بعد وقوع الشيْ عبر عنه بعبارة تفيد المضيّ ليعلم أنه ماض نحو : « وقال فرعون » الآية . وإن نزل قبل الوقوع عبر عنه بعبارة تفيد الاستقبال ليعلم أنه كذلك نحو « وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ » (13) فافهم ذلك والله المستعان

---

1 — في الأصل « استقبالي » الصواب ما أثبت

---

(13) من الآية 89 سورة النمل

الرسائل في الفقه

رسالة في وصل الشعر

تناول اليوسي في هذه الرسالة تحليل حديث نبوي على ضوء العادات الجارية في المغرب من وصل الشعر بالخيوط أو غيرها مما نسميه باللغة العامية « الضَّفيرة ». وتظهر في هذه الرسالة سعة أفق اليوسي ونظرته العميقة إلى غاية الشارع من بعض المحرمات.

الرسالة في نسخة فريدة من مخطوطة من خزانتي الخاصة وهي عبارة عن مجموع يحتوي على بعض رسائل عبد القادر الفاسي ، والمسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي . وتسع رسائل لليوسي وهي كما يلي :

1 — رسالة في وصل الشعر ص 155
2 — رسالة في مسألة نحوية في التمثيل للعَلَم الشخصي بقَرْن ص‌ص 157
3 — التعليق على قوله « أو واقع موقع ما قد ذكر » (مبتور)ص 159
4 — جواب عن مسألة شداد بن عاد والخيل ص 161
5 — جواب اسماعيل عن الأمة التي واقعها وأراد أن ينتقل إلى ابنتهاص 161
6 — رسالة تحليل قول البوصيري في بردته : « إلا استلمت الندى ».. ص 165
7 — الرسالة في السماع (مبتورة) ص 166
8 — مقدمة في العقائد ص 167
9 — الرسالة إلى الفقيه العطار في موضوع التسلسل ص 168

وخطها مغربي لا بأس به لا يخلو من أخطاء وإسقاطات يترك في مكانها بياضاً غالباً.

الرسالة الثانية والثلاثون

ص 155 / الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه

اَعْلَمْ أنه قد ثبت في الصحيح ، النهي عن وصل الشعر ، ولعن الواصلة . ففي البخاري « عن حميد بن عبد الرحمان بن عوف أنه سمع معاوية عام حج وهو على المنبر وهو يقول : وتناول قصة من شعر كان بيد حَرَسيٍّ يَا أهل المدينة أين علماؤكم ؟ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذه ويقول : إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتَّخذ هذا نساؤهم ». (1) وفيه عن أبي هريرة أنه ﷺ قال « لعن الله الواصلة والمستوصلة » الحديث . (2) وقد عمت البلوى في بلادنا هذه بوصل الشعر بالخيوط في النساء على الإطلاق إلا القليل ، فكان من لقيناه ممن يُنْسَبُ للعلم والدين يختلفون . فمنهم من يقول : الوصل كله منكر يجب على الإنسان تغييره بإزالته على من قدر عليه ومنعهم منه . ومنهم من يرى أن النهي منصب على وصل الشعر بالشعر ، وَيُجَهِّل من يتكلم في أمر الخيوط . قلت والحق أن الخلاف في الكل . وملخص ما تقرر عندنا من النقول فيه ثلاثة مذاهب : **الأول** أن الوصل مَنْهِيٌّ عنه مطلقا بالشعر وبغيره وهو مذهب الأكثرين . وهو المنسوب إلى إمامنا مالك رضي الله عنه ، واحتجوا بظواهر الحديث (3) **الثاني** : التفصيل بين الشعر وغيره فمحل النهي هو الأول دون الثاني ، ونسب إلى جمهور الفقهاء ويشهد له قصة معاوية (4) **الثالث** : التفصيل بين أن يقع فيه توهيم وتدليس ، وبين أن يسلم من ذلك ، كأن يكون بإذن الزوج أو السيد ، فمحل النهي أيضا الأول دون الثاني.

---

(1) حديث أخرجه البخاري في كتاب اللباس في رواية عن معاوية بن أبي سفيان باللفظ الذي ذكره اليوسي أنظر إرشاد الساري ج 475/8. وهذا الحديث أخرجه أيضا مسلم والنسائي والترمذي وأبو داود

(2) حديث : « لعن الله الواصلة والمستوصلة... » أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة . ومن حديث عائشة أيضا . كما أخرجه مسلم من حديث اسماء بنت أبي بكر وعائشة أنظر إرشاد الساري ج 476/475/8 وشرح النووي على صحيح مسلم بهامش الإرشاد ج 428/8 وما بعدها وبلوغ المرام 214

(3) يعني حديث « لعن الله الواصلة والمستوصلة الحديث

(4) ويشهد له أيضا حديث عائشة « أن جارية من الأنصار زوجت وأنها مرضت فتمعّط (تساقط) شعرها فأرادوا أن يصلوها فسألوا النبي ﷺ فقال لعن الله الواصلة والمستوصلة الحديث

وقالت الشافعية إن وَصَلته بشعر آدمي فحرام . وإلا فثلاثة أوجه أصحها إن فعلته بإذن السيد أو الزوج جاز.

وينبغي أن يعلم أن تحقيق المسألة إنما يثبت بالنظر إلى أمرين : الأول ألفاظ الأحاديث وما تدل عليه مطابقة أو التزاماً . الثاني توجيه الحكم وما يقتضي من اطِّراد وانعكاس . **أما الأول** : فزعم قوم كالنووى أن الأحاديث صريحة في كون النهي على الإطلاق بالشعر وغيره . وليس ببيّن . فإن حديث معاوية واقع في القُصة وهي من الشعر يصل بها النساء شعورهن . فكيف يدل بالصراحة على غيره ؟

وأما حديث : «لعن الله الواصلة... » فقد وقع في الصحيح مرتين أنه سيق في جواب الجارية التي تمزق شعرها فأراد أهلها أن يَصِلوها . والظاهر أن مرادهم بشعر آخر . وبذلك يفسره شارحوه . فيحتمل أن يتقيد الجواب بما في السؤال وهو المطابق . وأما التوجيه فيحتمل أن يكون هو تغيير الخلقة ./وهو المأخوذ من حديث : « لعن الله الواصلات والمستوصلات والواشمات والمستوشمات إلى قوله المغيرات خلق الله » (5) . إذ رد الوصف إلى الجميع بمعنى أن الشعرة يجعلها الله تعالى في الخلقة الأولى أو عند سبب من الأسباب قصيرة قليلة . فإذا زيد فيها عادت طويلة كثيرة . فقد تغيرت خلقتها من وصف إلى وصف . كما في التفلج تكون الأسنان متلاصقة . فإذا بُردت (6) تجافى بعضها عن بعض . ويحتمل أن يكون هذا هو التدليس على الخاطب والمشتري . وفي حديث معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ سماه الزور يعني الوصل في الشعر (7) فنقول :

ص 156

(5) حديث : « لعن الله الواصلات والمستوصلات الواشمات والمستوشمات والنامصات (النامصة التي تَنْمِصُ الحاجب كي تَرِقَّهُ) والمتنمصات والمتفلجات للحسن . المغيرات خلق الله . » أخرجه مسلم من حديث عائشة في الشطر الأول إلى « المستوصلات » ومن حديث عبد الله بن عمر في الشطر الثاني أنظر شرح النووي على صحيح مسلم ج 422/8

(6) برد يبرد أخذ منه بالمِبْرد

(7) يشير إلى الرواية الثانية للحديث عن معاوية قدم معاوية المدينة آخر قدمة قدمها فخطبنا . فأخرج كبة من شعر قال : ما كنت أرى أحدا يفعل هذا غير اليهود . إن النبي ﷺ سماه الزور ». متفق عليه من حديث عيسى ابن المسيب أنظر إرشاد الساري ج 476/8/477.

أما تغيير الخلقة فيتطرق إليه من البحث أن يقال ينبغي أن يجعل في التفلّج والنَّمص (8) والوشم . وأما الوصل فأمر عارض زائد . وقد علمتَ إباحة هذا الجنس كما في تصفير الفم واللسان بالسواك . وتسويد المقلتين بالكحل وتحمير الوجنتين بما يطليان به . وتطريف الأصابع (9) وغير ذلك طلباً للزينة في حق النساء . بل قد أبيح من هذا ما لا يزول كعلاج الشعر الأحمر حتى يسود . والأسنان الصفر حتى تَبْيَضّ ونحو ذلك . ويلتحق به الاشتغال بالتسمين والتصقيل . ونحو ذلك . فَلِم لا يكون تكثير الشعر وتطويه من هذا القبيل أي طلب التزيين . ولا سيما بغير شعر (وهو)[1] أبين في كونه عارضاً زائلا . وأما التفريق بين شعر الآدمي وغيره فلا يظهر له وجه في باب التغيير وإنما يظهر في التدليس.

وأما التدليس فوجه ظاهر . فإن التدليس على الناس محرم مقطوعاً . ولا يختص بالشعر ولا بما في الخِلقة . فلو لفت ثوباً أو نحوه على وركيها لتُوهِم أنها عظيمة العجيزة . أو وقفت على شربيل (10) أو قبقاب في الليل المظلم لتوهم أنها طويلة القامة أو أحكمت تغطية شعرها أو سودته بعد الشيب لتوهم أنها شابة . أو تلثمت مع سقوط أسنانها لتوهم خلاف ذلك كان ذلك غشاً محرماً . فكذا وصل الشعر سواء كان بالشعر أو غيره من الخيوط أو الخِرَق متى فعلته للتجمل للخطاب أو عندما تعرض للنظر أو للبيع . لتوهم أنها ذات شعر كان محرما لأنه غش.

ولو أنها فعلته لزوجها أو سيدها من غير علم منه لتوهمه ذلك فكذلك أيضاً . ولو كان بعلمه فأي شيء فيه ؟ وإنما هو حينئذ تزيين يحْسُن به منظرها عند صاحبها . كالاكتحال والتسوك وربما كان تركه تشويهاً وتقبيحاً يكون سبباً

---

1 — بياض في الأصل لعل الصواب ما أثبت « وهو ».

---

(8) نمص يَنْمِصُ الشعر نتفه وذلك للحاجبين كما سبق في الحديث.
(9) طرف تطريفاً البنان خضبه بالحناء.
(10) الشربيل نعال مغربية مطرزة خاصة بالنساء

للبغضاء والجفاء . ولا سيما في كثير من الإماء في بلادنا ممن لا شعر لهن إذا أردن للفراش ولم يفعلنه . يكون ذلك في رؤوسهن مُثلة منفرة . وقد يغني العرف باستعماله في بلادنا عن الإعلام في حق كثير من الناس والله الملهم للصواب.

فالظاهر أنه متى تطرق التدليس فلا يجوز بحال . ومتى لم يكن تدليس . فمن كثر شعرها وزَيَّنَهَا الله بلا وصل . فلا ينبغي أن تفعله . بل تقف على ظاهر الحديث . ولأنها تتعرض بذلك لكلام آخر في المسح والوضوء وفي الغسل (11) بلا حاجة داعية . وإلاّ فإن لم يتعلق لها غرض زوج ولا سيد ولا هتك في عرض فكذلك . وإلا فالوصل بالشعر لا ينبغي لقربه من الخلقة وظهور التدليس فيه . وما سوى ذلك فعسى أن يكون عموم البلوى به خفيفاً . ومن أراد أن يسلك فيه ظاهر اللفظ ويعمم النهي ويحتسب فيه فليحتسب على نفسه ولا يحتسب على غيره بحال . إلاّ عند التدليس كما قررنا . ويبقى كون النظر في نسائه هل هي من قبيل نفسه أو من قبيل غيره ؟ فإن قيل إن لم يكن من قبيل نفسه فما تريد لنفسه ؟ فإن الأمر إنما هو في النساء قلت حينئذ إليها المرأة في نفسها فإنها إذا كانت من أهل العلم والحسبة في الدين فلتفعل ذلك في نفسها ولا تتعرض لغيرها إلا بإرشاد أو تعليم . والله الموفق للصواب . وإليه المرجع والمآب . وكتب الحسن بن مسعود كان الله له (انتهى من خط من نقل من خطه)[1]

ص 157

1 — جملة من قول الناسخ

(11) حل الضفائر أو عدمه . الإصابة بالبلل أو الاكتفاء بالمسح الخ

الرسالة الثالثة والثلاثون

رسالة في موضوع الأمة التي أعطيت بدون شراء

هي عبارة عن رد على استفسار للسلطان المولى إسماعيل في موضوع فقهي. أجاب عليه اليوسي برد قصير لاستعجال الحامل كما يذكر ذلك في رسالته.

وللرسالة نسخة واحدة في كتاب «المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف». وقد اعتمدت على النسخة المخطوطة للكتاب بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم جـ 595 وقد أورد المؤلف الجواب في الباب الرابع المعقود لمحبة المولى إسماعيل لأهل العلم واستنصاحهم وإلقاء الأسئلة عليهم وهي في هذا الباب من ص 88 إلى ص 89

وخط المخطوطة مغربي جميل واضح يستعمل الألوان. ولم أقف على نسخة أخرى للرسالة حتى الآن.

ص 88 وعلى سيادة سيدنا الإمام. الأعظم الهمام. ظل الله على الأنام. ومحل التبجيل والإكرام . مولانا إسماعيل أزكى السلام . ورحمة الله وبركاته على الدوام . أما بعد . وفق مولانا وأصلح أمره . وأعز نظره . ونور به عصره . فقد أتاني كتاب سيدنا الكريم . فحمدت الله على عافيته . وتَوَالي نعم الله عليه . ومنته لديه . وفيه أنه استوحش من الأمة المذكورة لما انتهى إليه من أنها أعطيت . وأنها من قوم لم يعاملهم بالشراء . فحمدت الله لمولانا على ما منحه من النزاهة وطهارة الساحة وَتَوَقّي الشبهات . وقمع الشهوات . وقد قال مولانا رسول الله ﷺ في الشبهات «من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه . ومن أخذها كان كالراتع حول الحمى يوشك أن يواقعه» (1) بل حمدت الله لنفسي ولسائر الرعية . فبصلاح الرأس يصلح الجسد . وأن الرعية على دين الملك . فمتي صلح الملك صلحت الرعية . ومتي وقع وقعوا . وقد وُضع بساط كسرى بين يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فنظر إليه فقال إن الذي ص 89 أدّى هَذا لأمين/يريد أن أصحابه لم يخونوا فيكتموه . فقال بعض الجلساء يا أمير المؤمنين . منك جاءت الأمانة لو رَتَعْتَ (2) لَرَتَعُواْ نسأل الله تعالى أن يُلهم مولانا رشده ويصلح به وعلى يديه . ويجعل الأعمال الصالحة وسائر الخيرات منثالة عليه آمين.

وقد أرهقنا مولانا الفتوى ولم تكن من شأننا قط . ولا كُنَّا أهلاً لها في أدنى شيْ . فكيف في هذا الجناب الأعظم . وحيث لم يكن لنا بد من إسعاف السلطان فنقول : إنه حيث اشتهر في هذه الأمة من الشك ما ذكر . فحق السلطان أيده الله أن يقف عنها حتى يستقصي أمرها بما يذكر من التفصيل . وذلك أن أباها الذي ذكر أنه أعطاها . إما أن يكون حين إعطائها مملوكاً للسلطان بشراء صحيح أو نحوه . أو مملوك للغير . أوْ لا مِلْك عليه أصلا وإنما

---

(1) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم عن النعمان ابن بشير . ونص الحديث «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما شبهات . فمن اتّقى الشبهات فقد استبرأ لدينه ...» أنظر إرشاد الساري ج 142/1 وبلوغ المرام ص 300

(2) رتع في المكان : أقام وتنعم وأخذ ما شاء فهو راتع.

هو حرطاني (3). ثم بنته المذكورة أيضاً حينئد ـ إما أن تكون مملوكة للسلطان بما ذكر ـ أو مملوكة للغير ـ أو غير مملوكة أصلا وإنما هي حرطانية . فإن كانت هذه البنت مملوكة للسلطان يوم العطية ـ فالعطية باطلة والفرض أنها لم يبن بها الذي أعطيت له حتى تحتاج إلى استبراء فهي حلال للسلطان بالمِلْكِ ، وإن كانت مملوكة للغير فالعطية أيضاً باطلة إلا أن يأذن مالكها . وإن كانت حرطانية غير مملوكة نظرنا إلى أبيها المذكور ـ فإن كان مملوكاً للسلطان أو لغيره فلا عطية له إلا بإذن السيد

وإن كان حرطانياً لا ملك عليه ـ وهي كذلك ـ أو أذن سيدُه وسيدُها ـ فالعطية تصح بشروطها الباقية (4) ولا بد أن ينظر إلى الزوج وهو حر إن كانت أمة ـ هل توفرت شروط إباحة نكاح الأمة ؟ ثم متى صحت العطية فلابد أن يبحث عن الزوج ـ فإن كان قد مات وخرجت من عدة وفاته فهي تحل بالملك إن كانت أمة ـ وبالتزوج إن كانت حرطانية . وإن كان حيّاً فلا تحل إلا بالطلاق والخروج من العدة إن بنى بها ـ وإلا فلا عدة عليها . وقد حصل من هذا التقسيم أنه لا بد أن يسأل عنها وعن أبيها ـ وعن العطية هل وقعت أم لا ؟ ثم إن كانت مملوكة هل دخلت في ملك السلطان أم لا ؟ أما الأم فلا مدخل لها في العطية ـ ولابد في كل ذلك من البينة الشرعية ـ فما ثبت عمل عليه كما فصلنا.

وأما ما وقع بالتقييدة من خبر الرجلين ـ فإن كانا من الأحرار العدول قبلت شهادتهما وإلاّ لم يلتفت إليها ـ ثم إن جُهِلَ الأمرُ بعد البحث الصحيح ـ ولم يوقف على أنها أعطيت أم لا ـ ولا على أنها دخلت في ملك السلطان أم لا ـ فالجاري على القواعد أن يُقال إن الأصل عدم العقد ـ فتُحْمَلُ على أنها خلو من الزوج . ثم الأصل أنها لم تدخل في ملك السلطان فلابد حينئد من البحث عنها حتى يظهر مالكها ـ وأنه أخذ ثمنها عن رضاه ـ فتحل بالملك ـ أو يأخذه الآن فتحل أيضاً بعد استبرائها من الوطء الواقع . أو يظهر أنها حرطانية غير مملوكة .

---

(3) من الحراطين وهم من سكان جنوب المغرب سمرهم داكنة

(4) العطية أو الهبة تقتضي واهباً ـ وموهوباً ـ وموهوباً له ولكل شروط أنظرها مفصلة في كتب الفقه . ومختصرة في كتاب فقه السنة المجلد الثالث ص 391/390

فتحل بعدُ بالتزوج بعد الاستبراء أيضاً . ولابد من الرجوع إلى وليها . وإن لم يكن لها ولي خاص . أو تعذر . فالقاضي يعقد عليها أو جماعة المسلمين إن لم يكن قاض والله الموفق. ومتى كانت أمها يوم ولادتها أمة فهي تبعاً لها. ولا التفات إلى أبيها . ما لم يحدث لها عتق بعد ذلك والله المستعان.

وهذا ما كتبنا على حسب ما رأينا في السؤال على غاية الاستعجال . لاستعجال الحامل لنا . بلا مراجعة المذهب ولا كبير تأمل . فإن بقي شيء من الأحوال التي يتعرض له فنحن نستدركه بعد إن شاء الله . وكتب غبار نعال أهل البيت الطاهرين الحسن بن مسعود كان الله له آمين

جواب للمولى إسماعيل في موضوع نشر الحِرْمة بين الأمة وبنتها

هذه الرسالة جواب عن سؤال طرحه السلطان المولى إسماعيل على بعض علماء عصره. والسؤال كما أورده ناسخ المخطوطة المعتمدة « ق » مختصرا كما يلي: « رجل وقعت بيده أمة في إنصاف من قبيلة أهلها. فأصابها الرجل المذكور. هل وطئه إياها ينشر الحرمة بينها وبين أقاربها كبنتها مثلا ؟

وقد أجاب عن هذا السؤال القاضي أبو مروان عبد المالك التجمعتي في بضعة أسطر نافياً نشر الحرمة معتبراً تلك الإصابة ملغاة في نشر الحرمة في الأصول والفصول، ولا يترتب عليها شيْ من لوازم الوطء الشرعي. وصحح جوبه القاضي أبو مدين السوسي، والقاضي محمد بن الحسن المجاصي (1) وبعد وصول البطاقة إلى أبي علي اليوسي واطلاعه على رأي العلماء قبله، تصدى للإحاطة بالموضوع وإلقاء الضوء على جميع الاحتمالات والأحوال.

مخطوطات الرسالة :

لهذه الرسالة فيما وقفت عليه لحد الآن أربع نسخ هي كما يلي :

الأولى : من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 من ص 211 إلى ص 215 رمزت إليها بحرف « ق »

---

(1) سبقت ترجمتهم جميعاً. أنظر ص 258 التعليق رقم 3 و ص: 243 التعليق 22

الثانية : في كتاب «المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر مولانا اسماعيل الشريف» لعبد الرحمان بن زيدان مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم جـ 595 في الباب الرابع المعقود لمحبة المولى اسماعيل لأهل العلم واستنصاحهم وإلقاء الأسئلة عليهم. وهي من ص 84 إلى 87 رمزت إليها بحرف « جـ »

الثالثة : في مخطوطة كتاب « نوازل الشريف علي بن عيسى بن أحمد العلمي الحسني » مخطوطة الخزانة العامة بالرباط كـ 832 الفصل الأول : مسائل الأنكحة وهي من ص 13 إلى 17 رمزت إليها بحرف « كـ »

الرابعة : نسخة مخطوطتي الخاصة التي تضم مجموعة من رسائل اليوسي وهذه الرسالة فيها من ص 161 إلى 165 رمزت إليها بحرف « خ »

وصف المخطوطات :

سبق وصف المخطوطة « ق » وكذلك « خـ » أما « جـ » فخطها مغربي جميل يستعمل الألوان. وأما« كـ » فخطها لا بأس به.

وجميع هذه المخطوطات أثبتت سؤال المولى إسماعيل ثم جواب عبد المالك التجمعتي وتعليق القاضي المجاصي وأبي مدين عليه. ثم أوردت في الأخير جواب اليوسي.

ولكل نسخة تقديم لموضوع الرسالة حسب سياق التأليف. وتبدأ المقارنة من قولهم جميعاً : «ونص السؤال». وقد اعتمدت في نقل المتن على مخطوطة « ق » لأمانتها.

(**فأجاب بعد ذلك الشيخ الإمام** أبو علي اليوسي أدام الله بقاءه ونص الجواب بعد الحمد لله والصلاة)[1]

ينبغي أن يُنظر إلى حال السائل عند مواقعته الأمة المذكورة . فإنه لا يخلو سَاعَتَئِذٍ من ثلاث حالات : **الأولى** : أن يطأها معتقداً لحرمتها[2] مقتحماً لذلك . فلا وجه ولا شبهة . وهو/الزنى المحض الذي يترتب فيه الحد وينتفي **213** الولد . **الثانية** : أن يطأها معتقداً للحلية . مستمسكاً بوجه شرعي عنده بأن يرى لنفسه صحة الملكية على الأمة المذكورة . بسبب يعتبره : إما كون المال المأخوذ مثلا في الحقيقة خراجاً . وإن سماه إسماً آخر . أو[3]كون ذلك من المصالح العامة المرسلة (1)التي ينضبط أمر الناس بها . أو من العقوبات بالمال لأجل ذلك . ويدين بمذهب من يرى شيئاً من ذلك . في المذهب أو خارجه[4] . أو أن المأخوذ غصباً إنما هو النقد مثلا[5]والأمة مشتراة اشتراءاً صحيحاً لا يتعلق الغصب بعينها . بل يترتب ثمنها فقط أو نحو هذا من التأويلات . ثم يرى أنها إذا حصلت بذلك الوجه وصارت في عداد[6]المال . كان له حق في المال فلتكن هي ذلك النصيب أو بعضاً منه . ويكون في هذا كله قد نظر لنفسه في المسئلة إن كانت له مشاركة . أو قد أفتاه مفت يرضاه فقلده . **الثالثة** : أن يطأها معتقداً للحلية لا بوجه . ولكن جهلا منه بتلك الصورة . وظناً منه أنها من جملة المباح له.

---

1 — مقدمة من قول الناسخ في « ق » المعتمدة وفي « جـ ». 2 — جـ « لحريتها ». 3 — جـ . خـ « وكون ». 4 — في الأصل « خارجة » تصحيح من « جـ ». « خـ »— . 5 — جـ . خـ . أسقط « مثلا ». 6 — « جـ » « خـ » : « عدد ».

---

(1) مصادر التشريع الإسلامي هي الكتاب والسنة والاجتهاد . ومن مصادر الأحكام الاجتهادية : القياس والمصالح المرسلة . والعمل بالمصلحة المرسلة معناه تعليل الأحكام — في الأفعال التي لم ينص على حكمها — بالمصالح المشروعة المترتبة عليها . أنظر أصول التشريع الإسلامي للاستاذ علي حسب الله ص 164 طبعة دار المعارف.

فأما الحالة الأولى فالمسألة هي مسألة «الموطأ» المشار إليها في الأجوبة فوقه (2) لأنها إنما فرضت عند الإمام مالك أو غيره في الزنى. وهو وطء من لا ملك له على الاتفاق فلا شبهةٌ. ولا غلطٌ. ولا جهلٌ للحكم ولا للعين كما لا تخفى حقيقته. وما أجاب به فيها السادة[1] فوقه أصلحهم الله وأبقى وجودهم للإسلام صحيح يعمل به. ولا مزيد عليه.

وأما في الحالة الثانية : فالحرمة تنتشر بين الموطوءة وفصلها[2] وأصولها. ولا سبيل للواطئ[3] إلى بنتها. لأنه يرى أنه وطئ أمها بملك اليمين. وذلك ينشر الحرمة. وكون/تلك الشبهة[4] (3) لا يُلْتَفَتُ إليها في نفسها ولا تجوز الفتوى ولا العمل بمقتضاها في المذهب. لا يقدح في هذا لأن المطلوب فيه مجرد الوجه المخرج عن الزنى الموجب للحد. دليلاً كان أو شبهةً وقد حصل. وهذا أمر واضح لا نزاع فيه حيث يقع الوطء كمسألتنا. وإنما التفصيل في غيره.

ص 214

أما في الحالة الثالثة : فلم[5] يقبل منه ادعاء الجهل فيها خلافاً. إلاّ ما كان من قول سحنون(4) فيمن مد يده إلى زوجته فوقعت على ابنتها. وفي «التوضيح» (5)، عن بن عبد السلام (6) بعد حكاية هذا القول. أنه إنما هو على أن الزنى لا يحرم الحلال. وأما على أنه يُحَرِّم فلا إشكال أن وطء الاشتباه ينشر

---

1 — في الأصل «السادات» صححت من «جـ» 2 — خـ أسقط «وفصولها». 3 — جـ و خـ «للوطأ». 4 — في الأصل «المشبه» التصحيح من جـ و خـ. 5 — في الأصل «فإن لم» صححت من «جـ»

---

(2) جاء في جواب التجمعتي «... فلا يترتب عليها شيء من لوازم الوطء الشرعي فيحل وطء ابنتها مثلاً بالملك أو النكاح وعليه درج الإمام مالك في الموطإ وكفى به قدوة وحجة...»
(3) يعني ترجيح حلية الوطء بوجه من الوجوه التي استعرضها آنفا
(4) أنظر ترجمته في رسالة إقامة الجمعة في مدشر الصومعة ص 549 رقم 3
(5) هل يعني كتاب التوضيح للشيخ خليل الذي شرح به مختصر الحاجب؟
(6) أنظر ترجمته في رسالة إقامة الجمعة في مدشر الصومعة ص 551 التعليق رقم 11

الحرمة انتهى . وهو واضح لأن كل من يعتبر الزنى فهو يعتبر الشبهة بالوجه الأحرى . وقد بنوا الخلاف في [1]المكره على كونه زانياً أو معذوراً لأنه حصل منه انتشار/عمداً كما تقرر في أمر كفارته فكأنه ذو وجهين (7)[2] وعُلم أن الزنى هو الضابط . وكل ما قَصُر عنه فمعتبر ويدخل في ذلك الغلط والسهو . والجهل بالعين [3]وبالحكم كما قررنا وقيّد[4]بعض المتأخرين مسألة ابن التبان (8) بأن يلتذّ ولا يطأ فلو[5]وطىء فهو شبهة. قال ووطء الشبهة ينشر الحرمة على المشهور وهو اعتباراً بالغالب . أو بأن ذلك من الحرام الواضح الذي لا يقبل فيه الجهل مطلقاً . فالحكم حكم الحالة الأولى ولا إشكال في ذلك[6] . وإن قبل ادعاء الجهل اعتباراً بأنه الأصل في كل صورة حتى يقع الخروج عنه فيها ببيان . وبأن الأمر المذكور ليس مسلماً وضوحه . ولا سيما فيمن علم منه الاعتداد بالاستيلاء وبالجور[7] والملك الحسّيّ . والاقتداء بما جرت به عادة من قبله في نحو[8]ذلك مع أن في العذر[9]في الواضح قولين في المذهب.

ص 215

فالحرمة أيضاً تنتشر في الأمة المذكورة . لأن الوطء حينئذ شبهة . وأنه لا فرق في المسألة بين جهل الحكم إذا قُبِل وبين جهل العين . والنصوص في جهل العين معلومة . وأنه إذا وطئ امرأة يظنها زوجته أو أمته تحرم عليه بناتها وأمهاتها

---

1 — جـ و خـ « على ». 2 — جـ. خـ إسقاط من «كما تقرر — ذو وجهين ». 3 — « أو ». 4 — جـ خـ « قرر ». 5 — جـ. خـ « فإن ». 6 — اسقاط في « ذلك ». 7 — في الأصل « الجوز ». 8 — جـ. خـ اسقطت « نحو ». 9 — جـ « القدر ».

---

(7) وجه الزنى ووجه الشبهة التي تعلل بالغلط أو السهو أو القسر أو الجهل بالعين أو بالحكم
(8) عبد الله بن محمد اسحاق المعروف بابن التبان 371 هـ من أئمة المالكية . برّز في الأصول له تصانيف . أنظر ترجمته في كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون ص 138

على المشهور . كما قال ابن عبد السلام . وقال أبو عمران[1] (9) أنه لا يعلم . وهو كلام شامل لجانبي[2] العين والحكم والله الموفق.

وإذا علم السائل حكم كل حالة[3] فهو بصير[4] على نفسه فيما أقدم عليه أولا . فيبني عليه والله المستعان . وهذا ما حضر في الوقت بلا كبير روية لاستعجال الحامل ، ولا مراجعة المظان لخلو يدي[5] في الوقت من الكتب . فمن طالع من السادات بعدُ فأصاب علما آخر موافقاً أو مخالفاً فليضفه[6] إلى ما سطِّر إفادةً ، ونصحاً ، فإن الدين النصيحة (10) والمومن للمومن[7] كالبنيان[8] يشد بعضه بعضاً (10). وكتب مسلماً على السائل[9] وعلى من يقف عليه لخمس بقين من شعبان أو ست[10] ثاني يوم من وصول السلام[11]. عبد الله تعالى الحسن بن مسعود كان الله له ، (سنة خمس وتسعين وألف . بخط من نقل من خط العلامة الترنباطي)[12]

---

1 — جـ و خـ إسقاط : « وقال أبو عمران » 2 — جـ « لجانبيها ». 3 — جـ. خـ « حكم حالته » باسقاط « كل » وإضافة الحالة للضمير. 4 — في الأصل « بصيرة ». 5 — جـ في الأصل « اليد » 6 — جـ « فليضمه ». 7 — خـ إسقاط « للمومن ». 8 — جـ « كالبناء ». 9 — جـ. خـ« السادات ». 10 — خـ.جـ أسقطت « أو ست ». 11 — جـ. خـ « السائل ». 12 — زيادة في جـ.

---

(9) موسى بن عيسى أبو عمران الفاسي.... 430هـ أصله من فاس أخذ عن أبي الحسن القابسي ورحل إلى قرطبة وتفقه بها ورحل إلى المشرق . له كتاب « التعاليق على المدونة » أنظر أزهار البستان ص 47

(10) تضمين لحديثين شريفين سبق تخريجها

الرسالة الخامسة والثلاثون

رسالة حول حكم الذكر في المسجد

مخطوطات الرسالة

لهذه الرسالة نسختان :

الأولى من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 من ص 278 إلى ص 286 رمزها « ق »

الثانية من مخطوطة لي خاصة أخرى من ص 10 إلى ص 14 رمزها « م »

وصف المخطوطات :

سبق وصف مخطوطة « ق » وهي التي اعتمدت عليها ونقلت منها النص لأمانتها نسبيًّا.

أما مخطوطة « م » فهي عبارة عن كناشة صغيرة يظهر لي أنها لأحد مقدمي ضريح المولى إدريس وهو المحدث محمد الفضيل الشبيهي الإدريسي ، نقل فيها هذه الرسالة لليوسي مع بعض القصائد لليوسي أيضاً.

وقياسها 10 × 14 وقد سجل فيها صاحبها بعض أحداث عصره وتاريخ ازدياد أولاده . وقصائد ومنظومات في المديح النبوي وأشعار وأقوال مختارة . خطها دقيق جدًّا . وغلافها الخارجي وبعض أوراقها أكلتها الأرضة . وهي غير مرقمة وقد رقمتها بنفسي من رقم 1 إلى 130

(**وأتاه من حاضرة مكناسة سؤال وهو**: سيدي رضي الله عنكم جوابكم عن إمام بمسجد كان يذكر بعد الفراغ من صلاتي المغرب والعشاء قبل الباقيات الصالحات الذكر المشهور: لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له. له الملك...الخ يسمع بذلك القاضي وبعث إليه فأنكر عليه ذلك وسبه في المسجد. وقال له بدلت الدين وغيرت وأمر به إلى السجن. فهل هذا تبديل وبدعة أو لا؟ والسب في المسجد ما حكمه؟ جواباً شافيّاً والله يديم علاكم. والسلام مُعادٌ عليكم. والرحمة والبركة فأجاب بما صورته)[1]/ **ص 279**

الذكر في الجملة جائز مرغب فيه، بدليل الكتاب والسنة والإجماع. والذكر المذكور في السؤال وهو: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له...الخ» (11) عشرا وكذا «اللهم أجرنا من النار سبعاً» وقد ورد الترغيب فيه بعد صلاة الصبح والمغرب في أحاديث كثيرة لا يسع أحد إنكارها. فهو مطلوب الفعل في ذلك لا[2] الترك. وألفاظ الحديث «حيث ينصرف» «وبإثر كذا» «وعقب كذا»، وهي تقتضي الاتصال. وأن ذلك قبل الباقيات الصالحات (12) ووقع التصريح بذلك فيما نقل عن النسائي والترمذي ولفظه «من قال في (إثر)[3] صلاة الفجر، وهو ثاني رجليه قبل أن يتكلم: لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد، يحي ويميت. وهو على كل شئ قدير

---

1 — مقدمة من قول الناسخ انفردت بها النسخة المعتمدة «ق». 2 — في الأصل «إلا الترك» التصحيح من «م» 3 — زيادة من م.

---

(11) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ من قال لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير في اليوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب» ورواه الامام أحمد عن ابن أبي أيوب: «من قال إذا صلى الصبح لا إلاه إلا الله... الخ» كما أخرجه النسائي والترمذي في اللفظ الذي ذكره اليوسي. أنظر إرشاد الساري ج 226/9. وأخرجه مسلم في باب الذكر بعد الصلاة بلفظ كان الرسول ﷺ يقول إذ سلم دُبر الصلاة...» الحديث. أنظر شرح النووي على صحيح مسلم بهامش الإرشاد ج 268/3

(12) الباقيات الصالحات أو المعقبات معناه التسبيحات تفعل أعقاب الصلوات. وقد وردت في حديث عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ «قال: الباقيات الصالحات هن: لا إلاه إلا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله...» المرجع السابق ص 269

عشر مرات كتب الله بكل واحدة...» الحديث. وهذا كله واضح. غير أنه إن كان ذلك فرادي بحيث يذكر كل واحد لنفسه فلا كلام عليه. وسواء كان سراً أو جهراً. لأن الذكر مطلوب من العبد على كل حال.

وفي الصحيح عن المغيرة بن شعبة (13) رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول في دبر الصلوات المكتوبة: «لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيْ قدير. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت. ولا ينفع ذا الجد (14) منك الجد» (15). ومعلوم أنه لم يسمعه إلا لكونه جهر به. وفي حديث ابن عباس: «ما كنت أعرف انصراف الناس من المكتوبة على عهد رسول الله ﷺ إلا بالتكبير» (16)

ص 280 وإن كان ذلك على صورة الاجتماع/ بلسان (واحد)[1] فهو محل[2] الكلام (عند)[3] العلماء في هذه وفي أمثالها كحزب الادارة (17) والذكر على الجنازة ونحو ذلك. فكرهه قوم كالإمام مالك حيث لم يرد أثر في عينه. وأباحه آخرون كالإمام الشافعي (18) رضي الله عنهما اكتفاء بورود جنسه على قاعدتهما في السنة والبدعة في ذلك. والقول فيه باختصار أن الابتداع كما رسمه الشيخ أبو العباس زروق (19) رضي الله عنه، هو احداث أمر في الدين، يشبه أن

---

1 — زيادة من م. 2 — في الأصل «كلام» الصواب من م. 3 — زيادة من م.

---

(13) المغيرة بن شعبة 20 قبل الهجرة. 50هـ الثقفي أبو عبد الله أحد دهاة العرب وقاداتهم صحابي شهد أهم الغزوات ولاه عمر بن الخطاب الكوفة. له 136 حديثاً...

(14) أي لا ينفع ذا الغنى والحظ منك غناه وحظه. الجد بفتح الجيم: الحظ والغنى

(15) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث المغيرة ابن شعبة في باب الذكر بعد الصلاة أنظر شرح النووي بهامش الإرشاد ج 266/3

(16) أخرجه مسلم في صحيحه في باب الذكر بعد الصلاة من حديث ابن عباس. وعن الزبير أيضا أنظر المرجع السابق ج 260/3

(17) الحزب في الاصطلاح الصوفي مجموع أذكار وأدعية وضعت للمريدين. وحزب الإدارة هذا للإمام الشاذلي وهو ورد معمول به عند الطائفة الشاذلية

(18) سبقت ترجمته أنظر ص 159 رقم 131

(19) سبقت ترجمته أنظر ص 383 رقم 40

يكون منه وليس منه. فليس كل إحداث منكراً، ولا كل محدث بدعة محذورة. وعموم الحديث مخصوص. بل[1] البدعة المحذورة كما قال الإمام أبو حامد وغيره: ما نقض سنة ثابتة أو أدّى إلى نقضها. لقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ» (20). وإلا فالمُحْدَثُ قد تتناوله الشريعة بأصولها فيكون منها أو بفروعها فيكون مَقيساً عليها. وقد قال ﷺ «من سنّ سنة حسنة» الحديث (21) وقال أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نعمت البدعة هذه (22) وقال عمر بن عبد العزيز: «تحدث للناس أقضية الخ» وإن لم يكن من ذلك فمن قبيل المباحات.

إذا علم هذا فالذكر المذكور في السؤال. إن انسحب عليه حكم السنة فلا بأس على فاعله بل هو مشكور. وإن لم يكن من السنة فهو بدعة مكروهة لا ممنوعة. وفاعلها لا يستحق عقوبة ولا تعنيفاً، بل النصيحة والتعليم والإرشاد/وكما أن المكروه لا يستحق فاعله في الشرع عقاباً. [2]كذلك لا يستحق في الحكم عقوبة، اللهم إلاّ أن يعرض عارض، كالتظاهر بالبدع واعتقادها ديناً. والدعوة إليها فلذلك[3] حكم آخر. ص 281

فما فعله القاضي المذكور للإمام المذكور، من السب على رؤوس الاشهاد، والدفع إلى السجن، إن كان على وقوعه في ذلك الذكر على الوصف المذكور، فهو خطأ فاحش، وذلك من وجهين: **أحدهما** أن الحسبة في مثل هذا، إنما تقع (في الشيء)[4] المحرم[5]، وإلا فتكون سعياً في إزالة المكروه بممنوع ولا يجوز. **الثاني**: أن ذلك إنما يكون في الأمر المتفق عليه بين الخصمين أو المجمع عليه، وإلا فالفاعل إذا انتهج لنفسه منهجاً، إما مجتهدًا يتبع نظره أو مقلداً يتبع

---

1 — م أسقطت «بل» 2 — في الأصل «عقليا» الصواب من. م. 3 — «فذلك».
4 — زيادة من «م». 5 — في الأصل «المحروم» الصواب من م.

---

(20) حديث متفق عليه من رواية عائشة. أنظر نيل الأوطار ج 88/2
(21) حديث أورده مالك في الموطأ من حديث يزيد بن رومان
(22) قالها عمر عندما جمع الناس لصلاة التراويح على إمام واحد أنظر مناقب عمر «إرشاد الساري». أنظر مشكاة المصابيح ج 3 ص 60

مقلده . فلا سبيل إلى الحسبة عليه . وقد وقع في نصوص أئمتنا رضي الله عنهم . أنه لو كان الأمر متفقاً على منعه في مذهبنا . وعند غيرنا خلافه . لوجب أن لا يكون فيه حسبة . وقالوا ما اختلفت المالكية والشافعية في منعه لا حسبة فيه . وخارج عن السنة من يقول عن ذلك أنه ضلال[1] بدعة . وإذا كان هذا في المنع عند وجود الخلاف الخارج عن المذهب . فما بالك بما نحن فيه مما ليس فيه منع ولا اتفاق؟ ويقال للمحتسب المذكور على الإمام المذكور . هلا احتسبت على قراء[2] الحزب في المسجد (23) بمرأى منك؟ وهو من هذا الوادي . والذكر المذكور أخف لوروده بعينه في الجملة . والحزب لم يرد بحال ؛ مع ما في الحزب من أمور كريهة كارتفاع الأصوات الشديدة في المسجد . وشغل المصلين/إذ ذاك . وما يقع في القرآن فيه من تقطيع . إلى غير ذلك من المناكر الخفية . كالدخول بالجنابة ولا سيا عندما يربط (24) عليهم[3] (في)[4] حضوره . وذلك معروف مشاهد . وتفويت وقت الصبح عند من ينتبه حينئذ . فلا يصلي حتى يفرغ . إلى غير ذلك . وهلاّ احتسبت على المؤذنين في الصبح[5] (25) والتنذير (26) وغير ذلك مما هو محدث محض[6] بالإعلان والإشهار وغير ذلك .

ص 282

ولو قام يحتسب لم يوافقه العامة ولا الخاصة . فإن الأمر قد شاع وذاع في أقطار الإسلام حاضرة وبادية . مع ثبوت الخلاف فيه . وإنه إلى أي القسمين[7] يرجع فتعذر إنكاره والسعي في حسمه . وقال الشيخ أبو اسحاق

---

1 — م « لضلال ». 2 — م « قراءة ». 3 — م « عليه ». 4 — زيادة من « م » 5 — في الأصل « التصحيح ». 6 — م أسقطت « محض ». 7 — م « أي قسم ».

---

(23) يعني بذلك الحزب من القرآن الذي يقرأ جماعياً من طرف الفقهاء في جميع مساجد المغرب بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب.

(24) يشدد عليهم في حضوره لأنهم من « الحزابة » الذين يتقاضون على ذلك مرتباً

(25) أظنه يعني الزيادة في اذان الصبح الشائعة في مغربنا وهي الجملة الأخيرة التي يقول أصبح ولله الحمد الخ

(26) أظنه يشير الى ما نسميه « بالتهليل » وهي الأذكار التي يرتلها المؤذن قبل أذان الصبح

الشاطبي (27) الأَوْلَى عندي في كل نازلة وقع فيها للعلماء قولان . وجرى العمل عند الناس بواحد منهما . وإن كان مرجوعاً (28) في النظر . أن لا يعرض لهم . وأن يجروا عليه . ويحملوا على أنهم قلدوه في الزمن الأول فجرى الأمر على ذلك . فإن العمل على خلاف ذلك فتح أبواب الخصام والتشويش على الناس . وحكى أبو عبد الله المواق (29) أن شيخه ابن سراج (30) كان لا يرضى هذا المأخذ في الحلال والحرام . ويأخذ به في فضائل الشريعة . عكس الشاطبي انتهى .

وما نحن فيه بحمد الله من الفضائل . وهي (المسائل)[1] التي يقال فيها ان الصوفي لا مذهب له . وإنما قال عكس الشاطبي لما علم من تشديد الشاطبي في أبواب البدع وفي الفضائل التي نحن فيها . وذلك معروف في كتابه في « البدع » وفي « الموافقات » . وفي « إنكار السماع » . ثم كأنه رام الترفق في الحلال والحرام الذي هو أهم . ولم/يتابع على ذلك حتَّى حكى في « سنن المهتدين » (31) عن الشيخ ابن عرفة (32) والبرزلي (33) وابن لب (34) وابن سراج

ص 283

1 — زيادة من « م »

(27) الشيخ أبو اسحاق الشاطبي ابراهيم بن موسى الغرناطي...790هـ. أصولي حافظ . من أئمة المالكية . من كتبه المشهورة « الموافقات » في أصول الفقه مطبوع في أربعة مجلدات ومؤلفات أخرى كثيرة . أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام للزركلي ج 71/1

(28) ضعيفا يغلبه غيره

(29) محمد بن يوسف أبو عبد الله المواق 897هـ فقيه مالكي عالم غرناطة وإمامها له مؤلفات كثيرة أنظر ترجمته في نيل الابهاج ص 324 شجرة النور 262 الاعلام ج 30/8

(30) هل هو عبد المالك بن سراج (400هـ — 489هـ) عالم أندلسي. حقق كتبا قيمة . أنظر أخباره في الذخيرة ص 307 « والمغرب في حلى المغرب » ج 115/1. الأعلام ج 304/4

(31) كتاب « سنن المهتدين في مقامات الدين » لأبي عبد الله المواق

(32) محمد بن محمد بن عرفة الورغمي 716هـ — 803 هـ إمام تونس وعالمها له مصنفات كثيرة منها « المختصر الكبير » في فقه المالكية . « والمختصر الشامل » في الفقه الخ أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 272/7

(33) أبو القاسم بن أحمد بن محمد القيرواني المعروف بالبرزلي 741 — 844هـ أحد أئمة المالكية بالمغرب استقر بتونس وانتهت إليه الفتوى فيها كان ينعت بشيخ الإسلام من كتبه « جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام » وكتاب « الفتاوى » وله الديوان الكبير في الفقه أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 6/6

(34) فرج بن قاسم بن أحمد بن لب الأندلسي الغرناطي 701 — 782هـ إمام غرناطة ومفتيها وعالمها ذكره ابن فرحون في « الأصل » وابن الخطيب في « الاحاطة » . أخذ عن القيطاجي أنظر نيل الابهاج ص 211

والمنتورى (35) وأشياخها القيجاطي (36) والحفار (37) أنهم يستخفون ما استقله الشاطبي ، ويستثقلون ما استخفه.

وقد بالغ في الرد عليه صاحب كتاب «حجة المستنصر في الرد على الطاعن والمنكر» (38)

وغاية ما ينبغي للمتدين[1] في زماننا إذا رام انتقاء مشرب السنة الصافي المشهور ، وتحرى الاقتداء بعلمها المرفوع للجمهور[2] ، أن يترك ذلك في خاصة نفسه لنفسه إن كان غامضاً ، ورجاء أن يُقْتَدَى به مع ذلك ، إن كان قدوة . ولا[3] أن يشتغل بتعنيف الناس والاحتساب عليهم . وهذا كما يقال في مسائل الورع ، إن الإنسان يتورع في نفسه ، ويدع الناس، ولعلهم في سعة . اللهم الاّ من استهدى واسترشد واستنصح . وقد كنت في أيام الحداثة صليت مع نفر من قومي صلاة مكتوبة ، واشتغلنا بعدها بالذكر المذكور على العادة . وكان معنا رجل ممن له بعض الخبرة بأمور الدين ، فلما بلغنا : اللهم أجرنا من النار سبعاً ، اقتصر بنا ذلك الرجل ولم نزد ما جرت (به)[4] العادة عند أكثر العامة من قولهم ومن عذاب النار ، ومن كل عمل يقربنا إلى النار وقولهم اللهم اَرْزقنا دار النعيم الخ . ثم قال : هكذا رأيتهم يفعلون في الزاوية ، يريد زاوية سيدي محمد بن أبي بكر (39) الدلائية ، واتخذ فعلهم حجة ، لأنهم كانوا اذ ذاك أهل خبرة بالدين وتحفظ . وبقي ذلك في حفظي حتى وردت على أستاذنا الإمام العارف أبي/عبد الله سيدي محمد بن ناصر (40) في زاويته ، فوجدتهم يقولونه ص 284

---

1 — م «للمنذر». 2 — م «بالجمهور». 3 — في الأصل «إلا» 4 — زيادة من «م».

---

(35) محمد بن عبد المالك أبو عبد الله المنتوري ...834هـ من فقهاء المغرب غرناطي الأصل من كتبه «الفهرست» «الأمالي» «الأحاديث العوالي» الخ انظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 129/7.

(36) علي بن عمر الكناني القيجاطي 650هـ — 730هـ ولي خطابة غرناطة من العلماء له تصانيف أنظر ترجمته وأخباره في بغية الوعاة 344 غاية النهاية ج 557/1.

(37) هلال بن محمد أبو الفتح الحفار (322هـ — 414هـ) من رجال الحديث فارسي الأصل . سمع من أبي بكر البيبي وآخرون له مصنفات كثيرة أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 94/9.

(38) لم أقف على مؤلف الكتاب

(39) سبقت ترجمته أنظر صفحة 414 رقم 13

(40) سبقت ترجمته أنظر صفحة 329 رقم 27

على تلك الصفة فقلت له[1] كالمؤيد له على ما رأيت : هكذا يفعل أهل الزاوية فقال لي : أقبل الكلام وتغيير الجلسة يذكرونه ؟ فقلت لا أدري فقال لي : كنت وقفت على ذلك قبل اليوم ثم لما قدمت على هؤلاء السادات — يعني أشياخه — وجدتهم[2] يفعلون كذلك ففعلته . أو قال فعلمت أنه حق . وإنما قال ذلك لما عرف لهم رضي الله عنهم في غير هذه الجزئية من السيرة القويمة والطريقة المستقيمة . ثم إن الشيخ رحمه الله آخراً قرب وفاته قطع ذلك . وترك الدعاء أدبار الصلوات المشهور في هذه الأقطار أيضاً . جنوحاً إلى المشهور في الصدر الأول . وقد اقتدى به في ترك ذلك خلائق ، فهو اليوم متروك في كثير من المواضع : « فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً. » (41)

وقد قال الأئمة إنه لا يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها وقالوا أيضاً ، كقول عمر بن عبد العزيز : تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور[3]. إنه يحدث للناس تعبد بقدر ما أحدثوا من الفتور.

ولكل (واحد)[4] من المقالتين محل تنبت فيه وشيجتها . وتصدق نتيجتها والبصير أعرف بوسم قدحه ، وأخبر بدلائل صبحه . وعلى كل حال دين الله يسر. وقد رجح الشيخ زروق في كلامه على السماع . أن الذكر بصورة[5] الاجتماع هو مَحْمَل الأحاديث . يعني حديث : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يذكرون الله الخ » (42) ، ونحوه قال : إن حَمْلَ الذكر فيه على الأخذ في العلم/والتفقه في الدين بعيد لا يفهم ؛ وحمله على أن يذكر ص 285

---

1 — م أسقطت « له » 2 — م « فوجدتهم ». 3 — إسقاط « بقدر ما أحدثوا من الفجور »
4 — زيادة من « م ». 5 — م بصوت.

---

(41) من الآية 84 سورة الإسراء

(42) حديث : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم . إلا نزلت عليهم السكينة . وغشيتهم الرحمة . وحفتهم الملائكة . وذكرهم الله فيمن عنده ». رواه مسلم عن أبي هريرة والبخاري عن أبي هريرة أيضاً . أنظر فيض القدير.

كل واحد وحده فيه من سوء الأدب . والتخليط[1] والتشويش ما لا يخفى . فلم يبق إلا بقاؤه على ظاهر من الذكر بلسان واحد . وما علل به من الاختلاط . لازم في الذكر أدبار الصلوات إن جهر به. وإن ذكر سرًّا ذهب الجاهل به محروماً . ففي الذكر بصوت واحد فضيلة التعاون وتعليم الجاهل . وتنبيه الغافل والمكث في المسجد . مع ما يرجى من بركة الجمع و[2]إيقاظ الوسنان ونحو ذلك . وبنحو هذا وجه رأي المرجاني (43) في اتخاذ الوظائف والأحزاب بعد الصبح . وخالفه محمد بن أبي جمرة (44) في إيثار الذكر الخفيّ . وقد ذكر ذلك تلميذه ابن الحاج (45). وفي الجهر أيضاً إظهار ما هو من جنس شعائر الإسلام . وإبقاء رواسم[3] الدين ولا سيما في هذا الزمان الرذل . وقد قال الإمام أبو حامد رضي الله عنه في التكلم على السماع والسياحة للمتفرج في البلدان . إن الفتوى تقتضي جواز[4] تسبب العامة فيما لا نفع فيه ولا ضرر إذا كان إن تركوه وقعوا في محظور . وهذه المآخذ وإن كانت خسيسة فنفوس الآخذين بها أخس . فالرقص للغوغاء خير من الوقيعة في الناس . فهم كالبهائم في الصحراء . فلا بأس بما يفعلون . ما كفوا الناس شرهم . وذلك حيث لم يضيعوا به فريضة . ولا حسبوه عبادة. وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عباد (46) حيث تكلم على حزب الإدارة . وأفصح عما ذكرنا . إن الذي (وقع)[5] فيه من البحث والإنكار/كان في الصدر الأول حيث كانت السنة قائمة بينة[6] أما اليوم وقد ذهبت مراسم الدين . وانطفأت مصابيحه . فالأولى الاشتغال به . لأن فيه إبقاء

ص 286

---

1 — في الأصل : الاختلاط. 2 — م زيادة « من ». 3 — في الأصل « روائح » الصواب من « م ». 4 — في الأصل زيادة « ان » ولا يقبلها السياق . 5 — زيادة من م . 6 — في الأصل « نيرة ».

---

(43) محمد بن أبي بكر نجم الدين المرجاني 760هـ — 827هـ أديب فقيه نحوي مكة في عصره. له مصنفات. أنظر ترجمته في الأعلام ج 282/6

(44) محمد بن أحمد بن أبي جمرة 518هـ — 599هـ فقيه مالكي من أعيان الأندلس له مصنفات كثيرة أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 213/6

(45) سبقت ترجمته أنظر ص 413 التعليق رقم 7

(46) محمد بن إبراهيم الحميري الرندي أبو عبد الله 733هـ — 792هـ المشهور بابن عباد متصوف باحث من أهل رندة بالأندلس تنقل بين فاس وتلمسان ومراكش استقر خطيباً للقرويين بفاس أنظر ترجمته ومصادرها ج 190/6 أنظر ترجمته مطولة ص 177 رقم 199 في هذا الكتاب

رائحة من روائح الدين . ومثل ما ذكر رحمه الله جارٍ في الذكر الذي نحن فيه وفي السماع ونحو ذلك.

فشأن المحقق اليوم أن يتحرّى الجادّة في نفسه ، ومن اتبعه ، ويترك الناس مالم يَرَ منكراً بَوَاحاً (47) ويُسْأَل عن حكم فيجيب. وحدثني المحب الخير أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشريف المصمودي (48) قال حدَّثني فلان من الثقات عن الولي الصالح سيدي أحمد بن علي الهشتوكي (49) ساكن المدرسة المصباحية قال قال لي[1] يابني إياك وأن تنكر على الفقراء إذا اشتغلوا بالسماع قال : فقلت نعم ياسيدي ثم[2] قال وإياك أن تحضر معهم انتهى . فهذا قول فصل في بابه . والأحوال تختلف ، والكلام يطول في هذا ، وفيما ذكرناه كفاية . وأما السبّ فلا يجوز في المسجد ولا في غيره ، وإن كان التعزير قد يكون بالكلام ، ولكن بالوجه اللائق مع حفظ المروءة والوقار والله الموفق[3]

---

1 — اسقاط « لي » في « م ». 2 — اسقاط « ثم » في م . 3 — « م » اسقاط جملة « والله الموفق » وإضافة انتهى ما وجد . ونقلته وإن كان فيه بعض التصحيف رجاء أن أجد ما أصلحه به بحول الله.

---

(47) بواحاً ظاهراً مكشوفاً. فعله بواحاً أي جهارا

(48) أبو محمد عبد الله بن الشريف المصمودي . نزيل وزان من بلاد مصمودة . كان من أهل الخير والصلاح . توفي في حدود التسعين وألف . أنظر الصفوة د 54 ص 256

(49) أحمد بن علي البوسعيدي أبو العباس الصنهاجي الهشتوكي . عالم الحديث وتاريخ رجاله . من قبيلة هشتوكة من بلاد السوس قرأ بها وبمراكش ونزل بفاس وبها توفي . أنظر فهرس الفهارس الجزء الأول ص 199 « وصفوة من انتشر ».

الرسالة السادسة والثلاثون

رسالة في موضوع اقامة الجمعة في مدشر الصومعة

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل ، وهذه الرسالة فيه من ص 326 إلى ص 328 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

ص 326 (**الجواب والله الموفق**: إن الذي تلخص من فتاوى المحققين أن الجمعة تقام في الأمصار وفي القرى الكبار التي تشبهها . ولهم الاضطراب فيما سوى ذلك . فروى عن الإمام مالك : تقام في القرية المجتمعة التي اتصلت دورها وفيها الأسواق . ومرة لم يذكر الأسواق . وفي « سماع » أشهب (1) إذا كانت بيوتها متلاصقة وطرقها في وسطها . ولها أسواق ومسجد يجمعون فيه الصلاة . فإنهم يجمعون الجمعة. قال اللّخمي (2) وكل هذا جنوح إلى ما يشبه المدن لأنها أصل ما أقيمت فيه . وإليه ذهب سحنون (3) أنها تقام في المدن . وما شابهها من القرى . وسئل محمد بن سحنون عن القرى التي أحدث فيها المنار فقال لا أرى ذلك . لأنه أمر اختلف فيه . ولو كان ذلك واجباً على أهل القرى لأقامها سحنون حين ولي . وقد أنكر علي بن أبي طالب إقامتها ببعض القرى قال اللخمي : وأخبرني بعض أهل تلك القرية أن لها عشرة مساجد . وعن ابن رشد (4) : الأصل الظهر فلا ينتقل عنه إلا بيقين وهو المصر . لأنه المتفق عليه ولأنه أصل ما أقيمت فيه . يريد أن شروط الجمعة ليست منصوصة في السنة وإنما أخذت بالمقايسة للمدينة الشريفة على مشرفها الصلاة والسلام . قال : فوجب أن لا يجمع إلا في المصر. وفيما يشبهه من القرى التي فيها الأسواق

ص 227 والمساجد . إذ قد اشترط ذلك مالك في بعض الروايات/عنه . وعن اللخمي أيضاً : الجمعة مخالفة لسائر الصلوات . فإن لها حداً تطلب عنده . فمتى عدم لم تُقَم بِمُخْتَلَفٍ فيه . إذ الأصل الظهر . فلا يُنْتَقَلُ عنه بمشكوك فيه . وفي رواية

---

(1) أشهب القيسي 145 — 204هـ صاحب الإمام مالك . علامة الديار المصرية . أنظر ترجمته ومصادرها في تهذيب التهذيب ج 359/1 ووفيات الأعيان ج 78/1 والأعلام ج 335/1

(2) سبقت ترجمته أنظر صفحة 262 الرقم 11

(3) محمد بن عبد السلام سحنون 202 — 256هـ فقيه مالكي . مناظر. كثير التصانيف من أهل القيروان من كتبه «آداب المعلمين» رسالة في فقه المالكية الخ أنظر ترجمته في معالم الإيمان ج 79/3 الوافي بالوفيات ج 86/3

(4) محمد بن أحمد ابن رشد (450هـ 520هـ) قاض الجماعة بقرطبة. من أعيان المالكية وهو جد ابن رشد الفيلسوف له تآليف منها:
«البيان والتحصيل» في الفقه والفتاوى وغيرها مولده ووفاته بقرطبة

مطرف (5) : إن الجمعة تقام في كل قرية ذات ثلاثين بيتاً وهو الذي جرى عليه عياض (6) في قواعده . وَيَرْوي حديثاً.

قال بعض الشيوخ فمن أخذ بهذه الرواية وأقامها في قرية ذات ثلاثين بيتا فأكثر متصلة البيوت أجزأته إن شاء الله . وإن كانت خلاف المشهور . ومنهم من ذهب إلى خمسين رجلا . ويُروى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كتب بذلك . ووقع في رواية ابن شعبان (7) اشتراط خمسين رجلا من الكسوف . فقال اللخمي فعلى هذا لا يصلون الجمعة إلا أن يكونوا هذا القدر لأن الجمعة أولى أن يطلب فيها ذلك. وللقاضي عبد الوهاب(8): حدّ ذلك أن يكونوا عدداً . يمكنهم الثواء أي الإقامة . وتتقرى بهم القرية . وهو الذي في كتب المتأخرين . وقد أنكر القابسي (9) أيضاً تحديد الجماعة وقال ما علمت أحداً ذكر عن مالك حدّاً في ذلك غير ابن حبيب (10) وإنكار ذلك هو مذهب العراقيين.

---

(5) مطرف بن عيسى بن لبيب الغساني الغرناطي... 356هـ من قضاة الأندلس وأدبائها ومؤرخيها ولي قضاء غرناطة له مصنفات أنظر ترجمته وأخباره في بغية الوعاة 392 الأعلام ج 154/8

(6) عياض بن موسى بن عياض 476هـ — 544هـ اليحصبي السبتي أبو الفضل . عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته ولي قضاء سبتة ومولده فيها . ثم قضاء غرناطة وتوفي بمراكش من تصانيفه « الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى » وترتيب المدارك» ومشارق الأنوار » وغيرها كثير. جمع المقري سيرته وأخباره في كتاب « أزهار الرياض . في أخبار القاضي عياض » ط في مجلدات . أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 282/5

(7) محمد أبو اسحاق بن القاسم بن شعبان ... 355هـ رأس فقهاء المالكية بمصر في وقته وأحفظهم لمذهب الإمام مالك . له تصانيف أنظر ترجمته في الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون ص 248

(8) عبد الوهاب بن نصر الثعلبي البغدادي 362هـ — 422هـ قاضي من فقهاء المالكية ببغداد له مصنفات كثيرة . أنظر أخباره وترجمته في فوات الوفيات ج 21/2 البداية والنهاية 12 الأعلام ج 335/4

(9) علي بن محمد بن خلف القيرواني ابن القابسي 324هـ — 403هـ عالم المالكية بافريقية في عصره من أكبر الفقهاء الأصوليين له تصانيف كثيرة . أنظر ترجمته وأخباره في معالم الإيمان ج 168/3 نكث الهميان 217 وفيات الأعيان ج 339/1

(10) عبد المالك بن حبيب الألبيري القرطبي 174هـ — 238هـ عالم الأندلس وفقيهها في عصره . رأس في فقه المالكية له تصانيف كثيرة . أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 302/4

إذا علم هذا فنقول : إن القرى المذكورة في السؤال لو كان حديثها في القصد إلى ابتداء الجمعة لكانت النفس أميل إلى الفتوى بتركها اتباعاً لطلب المدن. و ما أشبهها من القرى العظام على ما مرّ . ورجوعاً إلى الأصل عند الاشتباه . أما حين تقررت فيها . لأجل ما مضي فيها من العمارة الكثيرة . والحرمة الشهيرة . فلا بأس إن شاء الله في استصحابها حيث/وقعت . ولم يتبين موجب قطعي في إسقاطها . وقد تكون للأشياء أحكام بعد الوقوع لا تكون لها أولا. ولذا قال ابن عبد السلام (11) وتبعه خليل (12) إن الجماعة يشترط وجودها حين الوجوب ولا يشترط دوامها بل يكفي إثنا عشر رجلا وهو مقتضي قول عياض بأن الجماعة شرط في الوجوب لا في الإجزاء . وكان ابن عرفة ينكر ذلك ثم رجع إليه، على ما حكى البرزلي وأفتى به . وإن الجمعة إذا سبقت في قرية أقيمت فيها على وضعها . فإنه لا يشترط العدد الذي يطلب في كل جمعة . بل الابتداء فقط

ص 328

ونزلت ببعض قرى افريقية في إمام صلاها بها ثم عد الجماعة فوجدهم خمسة عشر فوقعت الفتوى[1] بأنهم إن كانوا تتقرى بهم القرية صحت ولا يجوز الدخول على ذلك ابتداء يعني على رأي من يحدد . وأما من لا يحدد . ولا يطلب الأمصار وما أشبهها . فأي شئ فيه . وقد حكى لابن القصار (13) : لسنا نعتبر عدداً ولكننا[2] نقول : كل قوم لهم مسجد وسوق ينطلق عليهم إسم جماعة . فالجمعة واجبة عليهم سواء العشرة أو الأربعون لأن المقادير والتحديدات في الشرع لا تثبت إلا بطريق صحيح انتهى . والله أعلم بمن هو أهدى سبيلا .

---

1 — في الأصل « الفتى » والسياق يتطلب ما أثبت . 2 — في الأصل « ولكنها » والسياق يتطلب ما أثبت.

---

(11) محمد بن عبد السلام الهواري المنستيري أبو عبد الله 676هـ ـ749هـ فقيه مالكي قاضي الجماعة بتونس له مصنفات كثيرة منها شرح « جامع الأمهات » للحاجب الجزء الرابع منه في فقه المالكية وديوان « فتاوى » أنظر ترجمته ومصادرها. في الأعلام ج 7/77

(12) سبقت ترجمته

(13) حمدون بن أحمد القصار النيسابوري.../271هـ كان عالما فقيها يذهب مذهب الثوري وله طريقة اختص بها. أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 2/305

أما ما ذكر من قدر الدفاع ، فالظاهر أن المراد به المتعارف في غالب الأحوال . وإلاّ فأهل الأمصار قد يعجزون عنه أحياناً . وهذا كما يقال في الرفقة المأمونة . ومن الجائز أن يتسلط عليهم من لا طاقة لهم به ، ولكن النادر لا يعتبر ، والاحترام الثابت والطعام والمداراة لا ينبغي أن تلغى ، بل قد تكون أبلغ في الدفع ، وورد كون الدعاء سلاح المومن ، فكيف بهذا ؟ والله الموفق لا رب غيره . وكتب الحسن بن مسعود كان الله له.

الرسالة السابعة والثلاثون

رسالة في موضوع إقامة الجمعة في فشتالة

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل. وهذه الرسالة فيه من ص 250 إلى ص 253 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

أما بعد . فلابد أن ينظر في الجمعة التي أقيمت في الحصن المذكور هل توفرت شروط وجوبها باعتبار تَحَقُّقِ الجماعة الذين تتقرى بهم تلك القرية . وتحقق الاستيطان . فإن الذين ينُوونَ الخروج إلى ديارهم وهم غير مستوطنين في الحصن والآخرون لعلهم إنما ينووه/في هذا الوقت لتعذر الأمر . أو لكون الحصن أصلح بهم في الوقت . وهم مع ذلك يتربصون وقتاً للخروج إلى ديارهم . فإن كانوا هكذا . فلا استيطان لهم أيضاً . لأن الاِستيطان عند الناس هو السكنَى بنية التأبيد . ومن المستغرب في مثل تلك البلدة في مثل هذا الوقت لكل ذي بصيرة في أمور دنياه مهتم بعواقب الدهر . وهو وصف جل الناس . أن يقع لهم اطمئنان أو استيطان . وهو يعلم أنه دائر بين تحكمات أرباب الوقت . وبين محاربة أهل الدعارة عند عدم الدولة . وهو يعلم أنه لا قبل له بهم وهو على ما هو عليه من القلة والذلة . وقد جرب قبل اليوم أنه ما كان يدافعهم إلا بعد وعدة(1) والله المستعان .

ص 251

فلابد أن ينظر في هذا . ومتى التبس الحال وأشكل الأمر . فالأصل هو الظهر لا ينتقل عنه إلا بيقين . هذا مذهب المحققين مع أنه يلاحظ في الجماعة أن يمكنهم الثواء . وذلك بأن يقووا على الدفع غالباً عن أنفسهم . ويستغنوا في حل المآرب عن غيرهم.

وأما السقف فلا بد فيه من القدر المعتاد في المساجد وبقاء الصحن ونحوه لا بأس به ومسألة ابن رشد (2) والباجي (3) وقعت في مسجد مسقوف ثم انهار سقفه . لا في السقف ابتداء . ولهذا قرر اللقاني (4) وغيره قول خليل

---

(1) أظن أنه يعني وعد بعطاء

(2) سبقت ترجمته أنظر ص 549 الرقم 4

(3) سليمان بن خلف القرطبي أبو الوليد الباجي 403هـ — 474هـ من كبار فقهاء المالكية مولده في باجة بالأندلس رحل إلى المشرق . توفي بألميرية بعدما تولى القضاء في مختلف نواحي الأندلس له مصنفات كثيرة منها شرح المدونة وغيره . أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 186/3

(4) عبد السلام بن ابراهيم اللقاني 971 — 1078هـ شيخ المالكية في وقته بالقاهرة له مؤلفات كثيرة في الفقه والتوحيد والأصول . أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 127/4

وفي اشتراط سقفه . بتقدير مضاف أي دوام سقفه . قال الزرقاني (5) في حواشيه : وعليه لو بُنيَ من غير سقف لم تُصَلَّ فيه فلا نزاع أنظر السنهوري (6) انتهى

ص 252 وقول ابن العربي (7)./ اشتراط المسجد المسقوف أنه لم يدرك له وجهاً في الشريعة إلى الآن . يقال عليه : إن وجهه أنه لا يسمى مسجداً في عرف الشرع إلا بذلك . وإن أمكن أن يسماه لغة . وذلك كالرحبة والفضاء . والتعلق بمثل هذا حسن ولا سيما في هذا الباب . فإن جل أموره مأخوذة بالمقايسة وملاحظة المدينة المشرفة . والمسجد النبوي . ومقيمه عليه الصلاة والسلام . وجماعة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

وأما حديث التعدد والإتحاد فأمر مشهور . فمتى صحت في مسجد الحصن المذكور اليوم صُلِّيت فيه . فإن خرجوا إلى البلد وأرادوا إحياء جامعه وتعطيل مسجد الحصن لمصلحة فلا بأس . وإن احتاجوا إليهما معاً فلا بأس . على ما جرى به العمل من التعدد عند الحاجة . وإن وقعت الكفاية بلا واحد فلا تجوز الصلاة فيهما معاً . وإن صليت فيهما معا على هذا الفرض . بطلت صلاة من صلى في الحادث . وإن أريد تعطيل واحد منهما صحت في الآخر أيّا كان كما قلنا أولا فقول الفقهاء الجمعة للعتيق معناه إذا أريد الصلاة فيهما معا . وأما لو صليت في المسجد الجديد فقط . وترك العتيق فلا بأس . وذلك أنه لم تبطل صلاة الجديد لكونه جديداً . وإلاّ امتنع إحداث المساجد . ولا صحت في العتيق لكونه عتيقاً . بل لمحذور هو التعدد المنافي لجملة الجماعة . فمتى أسقط

---

(5) عبد الباقي بن يوسف الزرقاني فقيه مالكي ولد ومات بمصر من كتبه شرح مختصر خليل في أربعة أجزاء وكتب أخرى. أنظر ترجمته في خلاصة الأثر ج 287/2

(6) علي بن عبد الله السنهوري 815هـ — 889هـ فقيه مالكي مصري اشتهر بالفقه والعربية والقراآت له مصنفات منها شرح على مختصر خليل . وشرحان للأجرومية في النحو . أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 122/5

(7) هو أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري المعروف بأبي بكر بن العربي . أنظر ترجمته في رسالة جواب الكتاب صفحة : 180 الرقم 112 .

التعدد بتعطيل أحد المسجدين انتهى المحذور. ومتى حصل التعدد بالفعل ،وقع النهي فتفسد إحدى الصلاتين /والأولى بالفساد صلاة الجديد ، لأنه الزائد على القدر المشروع ، فيمنع ، كما يفسخ نكاح الخامسة ، ونكاح الزوج الثاني في ذات الوليين ، ونحو ذلك . والله الموفق والمعين.

ص 253

الرسالة الثامنة والثلاثون

رسالة في موضوع إقامة الجمعة في تامسنا (1)

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل. وهذه الرسالة فيه من ص 253 الى ص 254 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

(1) ما يعرف ببسيط تامسنا هو ما يلي آسفي نحو الجنوب الغربي ونحو مراكش

يشترط للجمعة استيطان بلد تمكن فيه مداومة السكنى. واختلف إذا وقع بناء المسجد بنفقة غير طيبة . أو استخدم فيه الناس . أو داوبهم قهراً فإن سلم هذا المسجد من هذا أو جرينا على أن ذلك لا يمنع صحة/الجمعة وبه وقعت الفتوى . فحينئذ ينظر إلى صاحب القصبة المذكورة وإلى جيرانه هل سكناهم على نية الإقامة أم لا . فإن سكنوا بقصد التوطن من غير توقف على شيء فاعتقدوا الإقامة سواء كان الحكم أم لا . فليصلوا الجمعة حينئذ بعد استئذان الإمام وإن كان الوالي (2) موقوفا على صاحب الوقت . وغيره من السكان[1] إنما صحبوه لهذه الحالة قضاء للحاجة . فلا استيطان ولا جمعة . فافهموا ذلك . وتحققوه . والله الموفق . وكتب الحسن بن مسعود كان الله له .

ص 254

---

1 — في الأصل « إمكان » صححت بما يناسب السياق

---

(2) الوالي في رسالة السائل هو مالك المسجد في نفس الوقت

الرسالة التاسعة والثلاثون

رسالة إلى محمد الصالح بن المعطي في موضوع الحلف والاستبراء

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل. وهذه الرسالة فيه من ص 275 إلى ص 277 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

وعليك أيها الأخ الفاضل السلام ورحمة الله وبركاته أما بعد. فأما الوعيد بإخلاء الخيمة على وجه الحلف كما ذكرت . فالمراد به في عرف الناس إيقاع الشر كالضرب الوجيع . أو النهب . أو نحو ذلك : والمتبادر في حق الزوجة هو
ص 276 الأول . ولا مدخل للطلاق في ذلك ولا دلالة له عليه لغة ولا عرفا . وكذا يقال في حق كل أحد من رجل وامرأة وصبي . اللهم إلا أن تقيده النية بذلك . فإذا لم تكن نية ، فالفرض الأول هو الظاهر ولا يعدل عنه ، وما وقع من الوسواس فاعرض عنه ولا تلتفت إليه . وقد عرفت حالك وأنك ذو وساويس وشكوك . وقد نص أئمتنا كلهم على أن الموسوس لا يترتب عليه في أمثال هذه الأشياء من هذا الباب حكم ، كما لا يترتب عليه في أبواب الطهارة والصلوات . وأن حقه أن يلهَى عنه ولا يكترث به ، فبذلك يندفع إن شاء الله . ثم إذا سقط اعتبار الوسواس بالمرة[1] في الحلف المذكور ، فكلما انبنى على ذلك من الاعتبارات والأوهام في مسطورك ساقط فلا نعرج عليه . فإن اتفق بعدُ أن اكْتَسَبَتْ الدجاج فكفِّر عن يمينك ، فإن معاقبتها اللائقة بيمينك لعلها لا تليق بك معها والله الموفق

وأما مسألة الاستبراء فلا ينبغي لك فيها التشدد بالسبابة والإبهام الذي ذكرت بل اسلُك ما شُرع وهو السلت والنثر الخفيفان . فما خرج فذلك ، وإن خِيفَ بَقَاءُ شيْ آخر فلا حكم له . ثم إن كان بطء ذلك عليك إنما هو محض وسواس فلا تلتفت إليه كما سمعت ، وإن كان بولا متحققاً ، فإن كان لازما أو غالبا فهو سلس فلا تعتبره . وقد يقع ذلك كما قال بعض الأئمة من كثرة السلت . وقالوا إن المحل مثل الضرع يدر بالحلب . وقد سئل الامام مالك رضي الله عنه عما
ص 277 يفعله الناس عند البول من القيام والقعود ، وكثير السلت/ليس ذلك بصواب ، وإن لم يكن مستنقحاً (1) فإنه ينتظر مَا لَمْ يخف فوات الوقت . فيحنئذ يتوضأ على تلك الحالة ويصلي . وهل المُراعَى الوقت كله أو المختار ، تردد فيه بعض المشايخ المتأخرين جرياً على الخلاف في الراعف إذا تمادى به الدم والله الموفق.

---

1 — في الأصل « بالمرأة » والصواب ما أثبت كما يتطلب السياق

---

(1) نقح العظم أخرج مخه

وأما النظر في المرأة أو سماع كلامها . فإن لم يخرج معه شيء فلا شيء فيه ولو التذ أو انتشر (2) على المشهور فيهما ، وإن أمدى توضّأ ، لكن إن دام ذلك بمقتضى القواعد أنه إن أمكن اتقاء هذا السبب بالبعد عن النساء فلا بد منه . فإن وقع شيء من ذلك أحياناً فالوضوء ، وإن تعذر ذلك فله حكم السلس والله الموفق.

---

(2) انتشر الرجل : أنعظ

رسالة في مصرف زكاة الفطر

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل . وهذه الرسالة فيه من ص 277 إلى ص 278 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

(**واستُفْتِيَ غير مرة فيما يفعله أهل البادية** من إعطاء زكاة فطرهم للطلبة المشارطين (1) عندهم فكتب ذات يوم بطاقة نصها)[1] أما بعد . فقد وقع في هذه البوادي عند إخراج زكاة الفطر أمران منكران يجب على من انبسطت يده حسمها **أحدهما** أن الحي يدفعون فطرتهم بينهم بعضهم للبعض . من غير توقف على الفقر والحاجة وذلك لا يجوز . فالواجب إن كان في الحي فقراء أن تدفع لهم وإلاّ نقلت إليهم في محل آخر ولا تدفع لمن لا يستحقها شرعاً **الثاني** : أن الطلبة المشارطين عندهم لتعليم الولدان أو للإمامة أَوْلَهُمَا معاً . يدفعون إليهم الثلث منها . من غير نظر أيضاً إلى شرط مصرفها وهو الفقر . وهذا/أيضاً لا يجوز . فإن للطالب فيها وغيره سواء . فإن كان فقيراً دفع إليه منها . كما يدفع لغيره من غير تقيد بالثلث ولا غيره . وإن لم يكن فقيراً فلا يجوز دفعها له . كما لا يجوز أن تشترط له في أجرته بحال.

ص 278

وبيان هذا كله من جهة الفقه . أن مصرف الفطرة (2) . الفقير من أحرار المسلمين . وهو أمر معلوم واضح . فلا تدفع لغني . ولا أجرة على تعليم ولا صلاة ولا غير ذلك . فأحوال الطالب ثلاثة : **الأول** أن يدخلها في الشرط (3) ولا يجوز بحال . وكذا أخذها بمقتضى العادة . فإن العادة كالشرط . **الثاني** أن تدفع له من غير شرط ولا عادة . إلاّ أنه غير فقير ولا يجوز أيضا . **الثالث** أن يدفع له شيئ منها بوصف الفقر كغيره من الفقراء . ولا بأس به .

ثم متى فعل من ذلك ما لا يجوز . فإن كان لجهله بالحكم . فليعلم وليتبت من ذلك . وإن كان تعمداً فذلك فسق فيه . وقدح في إمامته . والله الموفق

---

1 — مقدمة من قول الناسخ.

---

(1) أي المعلمون الذين تشارطوا معهم لتعليم الصبيان المبادئ الأولى للقراءة والكتابة . وتحفيظهم القرآن الكريم وامامة الصلاة في المسجد في بعض الأحيان أيضاً.

(2) الفطرة ما يطلق في المغرب على ما يخرج كزكاة فطر من حبوب أو غيره

(3) الشرط الذي اتفق عليه مع أهل القرية والذي يحدد به مقابلا لأتعابه لتعليم أبنائهم وإمامة الصلاة

رسالة حول صرف الزكاة للعلماء ومن لا يعرف معنى الشهادتين

مخطوطات الرسالة

لهذه الرسالة نسختان

الأولى في مجموع مخطوطة الزاوية الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم قـ 302 من ص 330 إلى ص 332 رمزها « ق »

الثانية في مجموع مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 1241 وهي من ورقة 8 و إلى 9 ظ وقد رمزت إليها بحرف « د »

وصف المخطوطات

سبق وصف المخطوطة « ق »

أما المخطوطة « د » فهي عبارة عن وريقات في غلاف كرطوني. كتب في الصفحة الأولى :

— الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف : للسيوطي من ورقة 1 الى ورقة 7

— أجوبة للإمام اليوسي من ورقة 8 و إلى 9 ظ

وهذه الأجوبة هي

— الجواب حول مصرف الزكاة من ورقة 8 وإلى 9 و

— الجواب حول الاذكار في ورقة 9 ظ

— الجواب حول الاذكار في ورقة 9 ظ أيضا

وخطها لا بأس به وإسقاطها قليلة. وقد اعتمدت كما هي العادة على نسخة مخطوطة الزاوية الناصرية لأمانتها

(**الحمد لله**)[1] أما ما ذكره المجيب بِمِحْوَلِهِ، من كون التوحيد لابد منه (في نفسه)[2] وأن من لا يعرف معنى الشهادتين لا نصيب له في الإسلام كما أجاب به أهل بجاية فصحيح . ولكن معناه أن مضمون الشهادتين . من الشهادة (والاعتراف والإقرار)[3] لله تعالى بالوحدانية (في ذاته وصفاته وأفعاله)[4] ولرسوله ﷺ بالرسالة . لابد منه في نفسه . فكل من اعتقد أن الله تعالى واحد في ملكه لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله فهو معتقد لمعنى الشهادتين .. سواء فهم ذلك من لفظ الشهادتين . أو عرفه من خارج/. فلا **ص 331** يجب على الناس فهم دلالة الشهادتين . وقد غلط في هذا جهال[5] الطلبة والمتفقرة[6] ، فيظنون أن كل من لا يحسن تفسير لا إلاه إلا الله ، ولا أحاط بما فيها من نفي وإثبات ، واستغراق[7] واستثناء فليس بمؤمن (1). وهذا غلط فاحش وجهل واضح . فإن معرفة هذه المعاني علم آخر[8] . يختص بالعرب أهل اللسان ، وبالعلماء به . ولم يكلف الله تعالى عباده به فمنهم الأعجمي[9] الذي لا يدري دلالة تلك الألفاظ أصلا . فالواجب[10] عليه أن يترجم[11] له مضمونها كما قلنا أولا . فإذا اعتقده[12] كفاه . فكل من يسأل العامة عن معنى لا إلاه إلا الله ويطلب منهم معرفة ذلك من لفظها فهو جاهل . ولم يجعل الله في الدين من حرج ، فقد قال تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » (2) وذلك فضل منه تعالى ورفق بعباده ، كما قال نبينا ﷺ : (خاطبوا الناس

---

1 — زيادة من د. 2 — زيادة من د. 3 — زيادة من د. 4 — زيادة من د. 5 — د « جهالة ». 6 — د « المتفقهة ». 7 — د « واستقرار ». 8 — د أسقط « علم آخر ». 9 — د « الأعمى ». 10 — د « فالجواب ». 11 — د « يترجى ». 12 — د « اعتقادا ».

---

(1) **أشار اليوسي في كتابه « المحاضرات » للضجة التي قامت بسجلماسة حول هذا الموضوع إبان تجواله في أعوام السبعين وذلك ما حذا به إلى تأليف « مناهج الخلاص من كلمة الإخلاص ». أنظر ذلك في المحاضرات ص 76 — 79 الطبعة الحجرية.**

(2) **من الآية 5 سورة ابراهيم**

بما يفهمون » (3) ونبينا أيضا ﷺ . بعثه الله بلسان قومه . وبه تكلم وبه جاءت كلمة لا إلاه إلا الله . فقومه يعرفونها . ويعرفون المراد بها[1]. ولما عمت شرعته العرب والعجم . وجب أن يترجم للعجم[2] معناها بلغتهم ليعتقدوه . ولا يطلبون بلفظها كما لا يطلبون[3] بألفاظ القرآن والحديث أن يفهموها بل بمضمونها والله الموفق[4].

وأما ما ذكره من دفع الزكاة للعلماء . ولو كانوا أغنياء على ما وقع في كتاب الحفيد (4) . ونقله الجنان (5) على لفظ المختصر فليس هو المذهب/ولا تجوز الفتوى به . فإن مصرف الزكاة هو الأصناف الثمانية . وآياتها محكمة بإجماع . والعلماء والقضاة ونحوهم يعطون من بيت المال كفايتهم ولا حاجة بهم إلى الزكاة . فإن لم يكن بيت مال أو تعذَّر . فمن احتاج منهم أعطي منها . وهو أولى الناس بها حينئذ . والله حسيب لمن يتصدى للفتوى في دين الله في الأوراق . ولا يأخذ العلم عن أهله فيكون من الضالين المضلين كما وقع في الحديث نسأل الله العافية والسلام.

ص 332

---

1 — د « ما يراد ». 2 — في الأصل « العجمي ». 3 — د أسقط « لا ». 4 — د : هنا تتوقف الرسالة وأسقطت التكلة المتعلقة بالزكاة . وأضاف « وكتب عبيد ربه الحسن بن مسعود اليوسي ».

---

(3) جاء في البخاري في كتاب العلم أن عليًا قال : حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله. إرشاد الساري ج 220/1 وأنظر كذلك المغني بذيل الاحياء ج 36/1 قال رواه البخاري موقوفاً على علي ورفعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم . وفي رواية « كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون . أتريدون أن يكذب الله ورسوله »

(4) الحفيد ابن مرزوق 766هـ — 842هـ محمد بن أحمد ابن مرزوق التلمساني أبو عبد الله المعروف « بالحفيد » أو حفيد ابن مرزوق . عالم بالفقه والأصول والحديث والأدب ولد ومات بتلمسان . له كتب وشروح كثيرة منها شرح مختصر خليل أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 228/7

(5) أبو عبد الله محمد بن أحمد الجنان الأندلسي الفاسي 1055هـ إمام في الفقه معتنيا بقراءة المختصر أنظر ترجمته في صفوة من انتشر ص 71

الرسالة الثانية والاربعون

رسالة في الأذكار

مخطوطات الرسالة :

هذه الرسالة نسختان :

الأولى : في مجموع مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 1241 من ورقة 9 ظ رمزها حرف « د »

الثانية : في مجموع مخطوطة من خزانة الأستاذ المرحوم السيد العابد الفاسي غير مرقم رمزها حرف « ف »

وصف المخطوطات :

سبق وصف مخطوطة « د » في الرسالة قبل هذه ، أما مخطوطة « ف » فلم أتمكن من وصفها لأن المرحوم العابد الفاسي مكنني من ورقة الرسالة فقط

وخطها لا بأس به ولكنني اعتمدت على مخطوطة « د » كأصل

الحمد لله وعليكم[1] السلام[2] تصحبه التحية والإكرام. أما الهيللة وذكر رسول الله ﷺ معها خير كله ونور . ولكن يكفيك — إن شاء الله — أن تذكرها على رأس كل مائة فتقول عند رأس المائة : لا إلاه إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، ثم هكذا مع كل مائة إلى تمام الورد . أما الفدية فهي سبعون ألفاً بلا زائد . والصلاة على النبي ﷺ فيها . فلم يتعرض لها الذين حكوها فيما رأينا ، ولكن رأيت فيما نقل من خط شيخنا ابن ناصر رحمه الله تعالى وأكرمه أنه لا بد أن يقرنها بالصلاة على النبي ﷺ في كل مائة . وأنها لا تكون فدية إلا بذلك فيقول أبداً لا إلاه إلا الله محمد رسول الله إلى تمام السبعين ألفاً ، ويقول ﷺ إذا ابتدأ مرة أو مرتين ليخرج من وعيد البخل . وأما الصنعة فأنت على تيسير دينك ومعاشك ، واجعل دينك رأس مالك ، والموت نصب عينيك والسلام .

(من خطه بواسطتين أدام الله على العباد نفعه وأسقانا من كأسه في الدارين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما)[3]

---

1 — ف « وعليك ». 2 — ف « ورحمة الله وبركاته ». 3 — زيادة من ف

الرسالة الثالثة والاربعون

رسالة في الأذكار

لهذه الرسالة نسخة فريدة من مجموع الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 1241 ، ورقة 9 ظ

وقد سبق وصف المخطوطة.

الحمد لله الجواب: أما أفضل الذكر فهو لا إلاه إلا الله بحديث: « أفضل الذكر لا إلاه إلا الله . وأفضل الدعاء الحمد لله. » وحديث[1] « ... ما قلت أنا والنبيئون من قبلي لا إلاه إلا الله........ » (1). وغير ذلك من الأحاديث.

وأما تلاوة القرآن فمن أفضل القربات أيضاً . ولا إلاه إلا الله من جملة القرآن . فليس تفضيلها عليه تفضيلا لغير القرآن على القرآن . وإنما هو تفضيل لبعض كلمات القرآن عن بعض . وسيد الاستغفار هو « اللهم لا إلاه إلا أنت ربي الخ... » (2) كما ذكرت أولا وكما في الحديث الصحيح.

أما الذي يستأجر على قراءة الفدية فيقرأ ما عين له من ذلك . وأما الصلاة المذكورة فلم يثبت فيها شيئ من ذلك . والإجارة على الفدية جائزة . والصلاة على النبي يوم الجمعة غير معينة . وقد ورد في ذلك كيفيات . ونصوا على أنه كيف ما صلى عليه ﷺ أجزأه . ومن جملة الكيفيات ابن ثابت[2] وهو المعمول عليه : اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم وزيادة لفظ السيادة حسن . ولم يرد أيضا في الصلاة على القبر كيفيات مخصوصة . ولا عدد معين .

وكيفية التوسل عند قبر الولي . فقيل يتوسل به . وقيل بجاه الولي . وقيل لا يتوسل إنما يطلب الله عند قبره فقط لأنه موطن رحمة الله والسلام.

---

1 — كذا الأصل بدون « خير » 2 — لعلها « حديث بن ثابت ».

---

(1) أخرجه الترمذي من رواية عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال النبي ﷺ « خير الدعاء على يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيئون من قبلي لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيئ قدير »
وأخرجه البخاري من حديث المغيرة ابن شعبة بلفظ : « كان رسول الله ﷺ يقول في دبر كل صلاة مكتوبة إذا سلم : لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له له ملك وله الحمد وهو على كل شيئ قدير الخ.. » أنظر إرشاد الساري ج 193/9

(2) حديث أورده البخاري من رواية شداد ابن أويس الأنصاري في باب أفضل الاستغفار أنظر ارشاد الساري ج 175/9. كما أخرجه النسائي أيضا في باب الاستعاذة

الرسالة الرابعة والاربعون

رسالة في نقط مختلفة : الدعاء . الذكر الخ

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل . وهذه الرسالة فيه من ص 273 إلى ص 274 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

وعلى سيدنا النبيه الوجيه النزيه مولانا هاشم(1) السلام ورحمة الله وبركاته وعلى أهله، وجميع موالينا وعلى أخينا الفاضل سيدي أحمد بن سعيد (2). أما بعد، فنحن ندعو لكم، ونحن أحوج منكم إلى الدعاء فلا تنسونا.

ص 274 والشرح لم تذكر أنه شرح ماذا حتى يعرف. والصلاة على النبي ﷺ/تكون من الملائكة عبادة والدعاء فيما يرجع نفعه للداعي بزيادة الخير. والخلق كله مفتقر إلى فضل الله، وإن لم يكن ذنب. وزيادة الخير صحيحة في حق النبي ﷺ أيضا فالله يزيده تعظيماً على تعظيم والكافر يلعن على الإطلاق من حيث هو كافر، لأن اللعنة الإبعاد، وهو مبعد من الرحمة.

والأذان سنة، لأن النبي ﷺ أمر به وأقره والأرض جماد فلا تزيد، وقد تنتفخ بالماء فتصلع أو تنزل لشيء من الأسباب، فيتوهم الزيادة فيما أو في مجاورها إذا نزلت عنه. والبحث عن مثل هذا فضول. والله تعالى يسمع ذاته لأن سمعه متعلق بكل موجود، وذاته تعالى موجودة. ولا يقال كيف، لأنا محجوبون عن كُنه ذاته وصفاته، وتعلقاتها. والإحسان ما يتعدى إلى الغير كالإعطاء، والإنعام، والعفو، وهو كمال أيضاً. والكمال فقط ما لا يجاوز الذوات أو يتعدى بغير بما ذكر كالعلم والقدرة والسلام.

---

(1) لم أقف له على ترجمة ولعله من المريدين من أتباع اليوسي وأصدقائه

(2) لم أقف له على ترجمة ولعله من المريدين من أتباع اليوسي وأصدقائه

الرسالة الخامسة والاربعون

رسالة في موضوع الأذكار عقب الصلاة

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل. وهذه الرسالة فيه من ص 340 إلى ص 341 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

أما الأذكار المذكورة بعد الصلاة فلم يرد فيها فيما رأينا ترتيب ولا اشتراط اتصال بالسلام. وإنما المقصود كونها بعد الصلاة. والبعدية صادقة مع الاتصال وعدمه. وإن كان الاتصال هو الأصل. فلا بأس بالتقديم والتأخير. وتعيين ما لم يعينه الشرع ابتداع في الدين. وأما الجواز[1] فمستحب في الذكر كله. ويختار منه ما هو قرآن أو مأثور من السنة أو من كلام أهل الخير. وأما الوتر فالأفضل فيه على المشهور أن يكون بسورة الاخلاص والمعوذتين فلا زائد. والخير كله في الاتباع. وأما السجدة بعد الوتر فلا عمل عليها فلتترك. وأما الفاتحة فلم تصاحب في شيء من أدبار الصلوات. وإنما المقصود بها الدعاء. فمن شاء فليدع عقب الصلوات. ومن شاء فليترك. ومن زعم أنها يصاحب فعلها عقب شيء من الصلوات. أو يصاحب تركها شرعا فهو يدّعي. إذ أثبت في الشرع ما ليس فيه. نعم في فعلها على صورة الاجماع كما هو شأن الإمام والجماعة خلاف (1) ليس هذا محل تقريره.

وأما المهاليل فإنما ورد فيه لا إلاه إلا الله محمد رسول الله ولم يرد فيه سيدنا ولكن من أراد أن يزيده تعظيما فلا بأس عليه إن شاء الله. ثم هذه المهاليل لم يرد عقب شيء من الصلوات فيما رأينا فمن شاء/أن يقوله في نفسه فليقله. وأما 341 قوله بالإجماع فعلى الخلاف (1)الذي قلنا وقاعدة مالك فيه الكراهة. وكذا في نظائره من كل ما لم يرد بعينه شرعا وقاعدة الشافعي الجواز اكتفاء بورود الجنس. فالعمل الجاري عند الناس جار على مذهب الشافعي. وكذا التصلية المذكورة لا أصل لها وأما الفجر فسنته على المشهور الفاتحة فقط بلا زيادة. فبه يكون العمل. وأما اتخاذ الأوراد من القرآن ومن الأحاديث المأثورة بلا-

---

1 — في الأصل «الجوار» والسياق يتطلب ما أثبت.

---

(1) موضوع تطرق له اليوسي باسهاب في رسالة «حكم الذكر في المسجد» وقد مرت في بداية مجموعة رسائل الفقه.

شيخ . فلا بأس به ممن يطلب الأجر . وأما طلب السلوك . فشأنه أن يعتمد على شيخ يربيه بالهمة والحال . ويخرجه عن اختيارات عقله . ورعونات نفسه إن ظفر به وإلاَّ فليصحح قصده إلى الله تعالى وتوبته . وليقف بباب الله تعالى ويكثر الصلاة على حبيبه محمد ﷺ فإنه الوسيلة العظمى في الدنيا والآخرة والله المستعان.

الرسالة السادسة والاربعون

رسالة في كيفية قضاء الصلاة الفائتة

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل . وهذه الرسالة فيه من ص 247 إلى ص 248 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة

(وسئل **أيضاً أدام الله وجوده** عن قول خليل: فيمن نسي ثلاث صلوات: « وثلاثا كذلك سبعا » (1) ، وعن الوجوهِ المتصورة في ذلك فكتب رضي الله عنه للسائل ما صورته)[1]صبح ظهر عصر. فغاية ما يتحصل فيه من الأوجة ستة وهي هكذا . صبح ظهر عصر. صبح عصر ظهر. ظهر صبح عصر. ظهر عصر صبح. عصر صبح ظهر. عصر ظهر صبح . فهذه ستة أحوال وصورة الفعل ، وهي أن تصلي مرتين وتعاد الأولى هكذا

صبح ظهر عصر
صبح ظهر عصر
صبح

ووجه حصول الأوجه الستة ، فهذا الفعل أن نقول إذا صليت أولا حصل الوجه الأول من الستة ولا إشكال فيه ، فإذا أعيدت ثانيا حصل وجه ثان وهو : ظهر عصر صبح وذلك من ثلثي السطر الأول الأخيرين مع ثلث السطر الثاني الأول ، وحصل أيضاً وجه ثالث وهو : عصر صبح ظهر. وذلك من ثلث السطر الأول الأخير مع ثلثي الثاني الأولين . فهذه ثلاثة أوجه كلها مع مراعاة توالي الصلوات الثلاث . وحصل وجه رابع بلا مراعاة التوالي وهو. صبح عصر ظهر. وذلك من طرفي السطر الأول ووسط الثاني ولا شك أن توسط شيْ بين شيئين متتابعين لا يبطل التتابع بينهما ووجه خامس كذلك وهو/ظهر صبح عصر ، وذلك من وسط السطر الأول مع طرفي الثاني . وحصل من إعادة الصبح في السطر الثالث الوجه الباقي وهو السادس ، وذلك . عصر ظهر صبح . وذلك من طرف الأول الأخير ووسط الثاني انتهى.

ص 248

---

1 — مقدمة من قول النسخ

---

(1) أنظر المتن في كتاب مختصر خليل في فقه إمام دار الهجرة تصحيح وتعليق الشيخ طاهر أحمد الزاوي ص 31 — 32 فصل « صلاة الفائتة »

رسالة في موضوع نقل أحباس مسجد قديم إلى آخر جديد ومسائل أخرى

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل . وهذه الرسالة فيه من ص 209 إلى ص 211 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

الجواب والله الموفق. إن المسجد القديم ما دامت فيه العمارة ولو قلّت. لابد أن يؤخذ له من غلة أحباسه (1) ما يحتاج. فإن فَضَلْت فضلة مما يعلم أنه لم يحتج إليها حالا ومآلا. أخذت للمسجد الجديد. ولو أن القديم تعطل ولا ترجى له عمارة لنقل ذلك كله للجديد. والمسألة مختلف فيها. ولاشك أن الأصل في الأحباس أن لا تغير وأن تبقى على قصد المحبِّس. ولكن المستحسن المعمول به عند الكثير هو ما صدرنا به. فقد سئل الإمام أبو محمد العبدوسي (2) عن منزلين متجاورين خرب أحدهما وفيه مسجد له أحباس. وللمنزل العامر مسجد لا حبس له فهل تنقل غلة حبس المسجد الخرب إلى المسجد الآخر أم لا؟ فأجاب بأنه جائز على قول بعض أهل العلم. قال: وبه مضى العمل انتهى.

ص 209

وسئل أيضا عن مسجد قديم تعطلت منفعته. وخرب ما حوله من الدور لمن يصرف وقفه. وهو لا ترجى له عمارة؟ هل للجامع الأعظم أو لأقرب المساجد أو يبقى موقوفاً؟. فأجاب بأن المسجد المذكور ان احتاج إلى بناء يقام به رسمه. وتبقى/عليه حرمة المسجد. بني من غلة حبسه. وما فضل عن ذلك. فقيل يصرف إلى أقرب المساجد. وقيل إلى أحوجها وان بعد وبه أفتي انتهى.

ص 210

وأجوبتهم في مثل هذا كثيرة لا نطيل بها. وسئل الإمام بن دحون (3) عمّن حبس حُبُساً لينفق على حصن من حصون المسلمين، ثم تغلب العدو عليه. فأجاب: تنقل الغلة في حصن غيره في مثل تلك الوجوه المشترطة انتهى.

ومسألة السؤال أجدى في هذا كله. لأن عمار الجديد فيها هم عمار القديم بأنفسهم. وغرض المحبس في انتفاع المسجد القديم. إنما هو بالحقيقة انتفاع أهله. فانتقال النفع بانتقالهم على الشرط السابق ليس فيه كبير مخالفة لغرضه

(1) أَحْبَس وَحَبَّس المال: وقفه في سبيل الله فهو حَبُوسٌ وَحَبِيسٌ ج حُبُسٌ وأحباس.

(2) عبد الله بن محمد العبدوسي (بفتح العين وضمها) أبو محمد/...849هـ مفتي فاس كان عالما بارعا مشهورا ولي الفتوى بفاس والمغرب والإمامة والخطابة بالقرويين. له فتاوى كثيرة مشهورة. أنظر ترجمته وأخباره في سلوة الأنفاس ج 302/3

(3) عبد الله أبو محمد بن يحيى بن دحون.../431هـ أحد الشيوخ المفتين بقرطبة من أكبر أصحاب ابن المكوى. بارع في الفتوى ضابط للرواية مع نصيب وافر في الأدب. أنظر ترجمته وأخباره في كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابراهيم بن علي بن فرحون ص 140

والله الموفق وهذا القدر يكفي — إن شاء الله — في المسألة فلا حاجة إلى التطويل .

وأما الخيل فذكر في بعض الأخبار ، أنها كانت متوحشة حتى سخرت لنبي الله اسماعيل ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام .

والذي ذكر المتكلمون في خلقها أنها خلقت من الريح الجنوبي ، وأنها عرضت على آدم وقيل له ياآدم اختر من خلقي ما أحببت فاختار الفرس فقال الله عز وجل له : اخترت عزك وعز ولدك باقيًا ما بقوا تنتج لأولاد أولادك فيركبون عليها أبدا . وظاهر هذا أن الخيل لم تزل تركب من قديم الزمان . وأما ملوك الدنيا فهم شداد بن عاد (4) ونمرود بن كنعان (5) وآخرون وأما بُخْتنصر فهو من ملوك بابل وهكذا يكتب ويقرأ كما كتبناه ، لا كما هو مكتوب في السؤال تصحيفا . ونصر اسم صنم وبخت/بمعنى ولد ، وكان قد وجد صغيرا عند هذا الصنم ، فنسب له بالإضافة كأنه ابنه . ثم هذا كله علم لا ينفع وجهالة لا تضر . والبحث عنه من أمثالكم فضول ، واشتغال بما لا يعني مع ترك ما يعني : « ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » (6) وأهم ما يعتني به العبد ما هو مطلوب بعلمه من أمر دينه أصلاً وفرعاً ، ثم ما يتحلى به من الآداب المكملة عادة وشرعا ، وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى ، ولا جعل بصائرنا عُمْيا وقلوبنا مرضَى آمين . وكتب الحسن بن مسعود كان الله له.

ص 211

---

(4) شداد بن عاد من ملوك الدولة الحميرية التي ملكت اليمن في القديم . كان حازماً مغواراً غزا البلاد إلى أن وصل إلى أرمينية وعاد إلى الشام فصار يبني المدن ويتخذ المصانع أنظر الأعلام ج 232/3

(5) نمرود ملك الكلدانيين هو ابن كوش بن حام جاء ذكره في كتب العرب قالوا إنه كان خصما لابراهيم اشتهر بولوعه بالصيد .

(6) حديث أخرجه الترمذي في جامعه وابن ماجة في سننه وغيره من أصحاب السنن من رواية أبي هريرة أنظر المغني بهامش الاحياء ج 112/3 و398 . أنظر شرح الأربعين حديثا النووية ص 78 121

الرسالة الثامنة والاربعون

رسالة في شروط الرجل العدل

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل ، وهذه الرسالة فيه من ص 270 إلى 272 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

من الحسن بن مسعود اليوسي إلى الأخ في الله الفاضل النبيه سيدي المرجاني بن المواق (1) أصلح الله حاله وبلغه آماله . سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته فإني أحمد إليكم الله الذي لا إلاه إلا هو . أما بعد ، فقد بلغني كتابك أما مسألة عقد النكاح على ما وصفت فإنه إذا حضر مع العَدْل (2) المنصوب رجل آخر من الحي صالح للشهادة أو جماعتهم فذلك يكفي في النكاح . فإن الأحكام لم ترتبط بالمنصوبين للعدالة ، إلا رعيا لمصلحة النظام ، وسدّاً لاتساع الخرق وكثرة الخصام . وإلا فكل عادل يقضي بشهادته ، ولكل قوم عدولهم بحسب حالهم . فإذا صح النكاح بشهادة من حضر منهم ، فالوثيقة تكتب ولو بعد حين . فإن لم يكن في الحي من هو معروف بالعدالة عند القاضي ، ولا يوجد من يزكيه فليختر خيارهم مثل إمام لهم ، ومؤذن ، ومتدين ، ومن هو الأمثل عندهم . وهذا نحو ما نقل عن أبي بكر بن خُوَيْزِ مِنْدَادَ (3) أن عدول كل بلد أمَاثلُه ، وإن كانوا بالإضافة إلى غيرهم أنقص أحوالا/وما يحكى عن طرر ابن عات (4) أن أهل البادية إذا شهدوا في حق لامرأة أو غيرها ، ولم يكن فيهم عدل أنه يستكثر منهم ويقضي بشهادتهم . وعنه سئل بعض المفتين من شيوخ المتأخرين الثقاة في القرى البعيدة من المدن على الثلاثين ميلا والأربعين ميلا ، وفيها ثلاثون رجلا وأربعون أو أقل[1] وأكثر وليس فيهم عدل مشهور بالعدالة ، ولا يجدون من يعرفهم ، يجتمعون على الشهادة عندهم في الأملاك والمهور والنكاح وغير ذلك ولا يخالف منهم أحد ، هل تجوز شهادتهم ويقضي

ص 271

---

1 — في الأصل «أو قال» والصواب ما أثبت

---

(1) لم أقف على ترجمته ولعله من أتباع اليوسي

(2) العَدْلُ من الناس المرضي قوله وحكمه . وقال الباهلي رجل عدل جائز الشهادة . وُصِف بالمصدر ومعناه ذو عدل . أنظر تاج العروس ج 9/8

(3) هذا العلم كتب مُشَوَّهاً في الأصل هكذا «حوير مداد» وقد أجهدني البحث عليه بسبب هذا التحريف هو : محمد بن أحمد ابن عبد الله بن خُويز منداد من كبار المالكية ... 390هـ له تصانيف وله اختيارات في الفقه خالف فيها المذاهب . أنظر ترجمته وأخباره في تاريخ بغداد ج 323/1

(4) هو كتاب الطرر لمؤلفه ابن عات : هارون بن أحمد بن جعفر بن عات 510هـ — 582هـ من أهل شاطبة كان فقيهاً مشتغلاً بالفتاوى مَهَرَ في الرأي له تنبيهات مفيدة على المدونة . أنظر كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار المجلد الثاني ص 715

بهم ؟ فكتب : لكل قوم عدولهم ، ولابد من معرفة القاضي لهم بنفسه. ونحوه لأبي ابراهيم (5) وقال غيره إن شهادة الأماثل منهم جائزة ويستكثر منهم ما استطاع ويقضي لهم في ذلك . وحكى نحوه عن أبي صالح (6) قال غيره . ولولا ذلك لما جاز لهم بيع ولاتم لهم نكاح . ولا عقد في شيئ انتهى.

ونحوه في كلام اللخمي (7) وغيره أنه لا ينبغي أن يطلق العنان في هذه التوسعة حتى يقال من حضر يكفي. فإنه يتسع الخرق وربما يحتاج إلى الشهادة والتودية (8) عند إنكار يقع فلا يعرف من حضر ، ولا من يؤدي . بل ينبغي للقاضي أن يأمر العدول أن من حضر منهم نكاحا في حي من أحياء العرب فليحضر منهم من يصلح كما قلنا ، أو الأماثل ويكثر منهم ثم يسجل من حضر ليعطف عليه عند الكتب أو/يؤدي على أن يعطف إن لم يحسن الكتب . وهذا **ص 272** استحسان منا لما ذكرنا من المصلحة . وينبغي للقاضي أن يبحث عن الناس حتى يعرف في كل حين حي من يصلح للحضور فيأمر به . وهذا مع الإمكان وإلا فالحكم ما مرّ. وأما التحكيم فلا بأس به بشروطه فيما يجوز فيه . وهو معروف عندك . ولكن أقول لا ينبغي الإكثار منه حتى يؤدى إلى اكتفاء الناس عن القاضي . فقد وقع اليوم في البادية فساد عظيم من كثرة النواب الجهال ، وفي الصدر من هذا كلام ضاقت عنه البطاقة ، وضاق الوقت والله المستعان

---

(5) هل يعني أبا ابراهيم الاعرج اسحاق بن يحيى الورياغلي ..683هـ صاحب الطرر على المدونة ؟ قال الونشريسي في المعيار هو من رسوخ القدم في الفقهيات حفظاً ونظراً توفي بفاس . مخطوطة خاصة في الطبقات مجهولة المؤلف

(6) لا أعرف من يعنيه اليوسي بهذه الكنية.

(7) سبقت ترجمته أنظر صفحة 262 الرقم 11

(8) التودية أو التأدية من أدّى أي قضى قضاء الدين

رسالة في صحة الصلاة خلف الفاسق

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل. وهذه الرسالة فيه من ص 255 إلى ص 256 ورمزها كما هو معلوم حرف «ق» وقد سبق وصف المخطوطة.

وعليكم أيها الأخ الأحب السلام ورحمة الله تعالى وبركاته. أما بعد، فإن ثبت عن الرجل المذكور ما ذكر بموجبه (1) فالجواب (2) صحيح لكن ينبغي للمفتي الاستفصال (3) في تسطير الفتوى وإظهارها للناس فإن كان الرجل مثلا ، أريد تقديمه ابتداء ، وقد وجد من هو أمثل منه ، فالإفتاء بما ذكر صواب (4) وإن كان قد تصدر من قبل وتعذر عزله أو لم يوجد من هو أفضل منه فلا ينبغي أن يسامح المستفتي في الخلاف عليه ، أو التخلف عن الجماعة خلفه ، لئلا يتهاون الناس بأمر الدين والجماعة . مع أنه قد علم ما ذهب إليه المحققون من صحة الصلاة خلف الفاسق/ إذا لم يَسْرِ فسقه إلى الإخلال بها . وما ذهب إليه كثير ممن منعها خلف الفاسق من أنه إذا وقعت فلا إعادة إذ لا يكون أسوأ حالا من المبتدع المختلف فيها معه . نعم ، لا ينبغي أيضاً أن يشاع في آذان العوام أنه تجوز الصلاة خلف كل بذيء[1]وفاجر لئلا يتهاون الناس بأمر الأئمة ، ولكن أمر بين أمرين فيمنع العامي من الإقدام على الصلاة خلف الفاسق إن كان يجد جماعة أخرى ، وإن وقعت (5) منه وكانت قليلة لا يشق عليه إعادتها فالإعادة . وإن كثرت وكان من أهل البصيرة واليقين في الدين والاجتهاد ، فليومر بذلك أيضاً ، وإن كان من أهل البطالة والكسل فلا ، لئلا يسرى ذلك إلى أن يفر العامي من الجماعة في المستقبل مخافة أن يبدو في الإمام قادح فيعيد ما صلى خلفه.

ص 256

وبالجملة فتفاضل[2]الاعتبارات في تنزيل الأحكام الشرعية الجزئية ، في نحو هذه المسألة لا تفي بها هذه البطاقة . وعلى المفتي ملاحظتها واعتبارها متبصراً فيها مستعيناً بالله تعالى وهو خير معين . وكتب الحسن بن مسعود اليوسي وفقه الله بمنه.

---

1 — في الأصل «بد» وصححت بما يناسب السياق. 2 — في الأصل «تفاصل» صححت بما يناسب السياق

---

(1) موجبه : موجب الثبوت وهو ما ورد في السؤال من أن أفعاله ذميمة ظاهرة للناس جميعاً يشهدون بها
(2) جواب الفقيه الذي أدلَى في آخر السؤال بفتواه ووقَّعَ : محمد بن عبد العزيز
(3) الاستفصال طلب التفصيل
(4) هو إفتاء الفقيه محمد بن عبد العزيز بمنع إمامة الرجل
(5) وقعت منه الصلاة

الرسالة الخمسون

رسالة للمولى إسماعيل حول مغنم عثمان (ض)

لهذه الرسالة نسخة فريدة من كتاب « المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف » مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم جـ 595 من ص 87 إلى ص 88 في الباب الرابع المعقود لمحبة المولى إسمعيل لأهل العلم واستنصاحهم وإلقاء الأسئلة عليهم.

وقد سبق وصف المخطوطة . ورمزها حرف « جـ »

ص 87 (**سؤال له أيضاً وإليك لفظه**: جوابكم فإنا أردنا منكم الإعلام لنا بما عمل سيدنا عثمان رضي الله عنه في ذلك المغنم الذي أعطى مروان ابن الحكم بافريقية هل كان الخمس فقط أو واجب الغنيمة كلها وما قصد بذلك في إعطائه له ؟ وما وجهه من الاجتهادات ؟ وما أراد بذلك ؟ هل على مصلحة أو صلة رحم ؟ وما قال له الصحابة في ذلك ؟ وما اتفق عليه رأيهم وما صح في هذه المسألة ؟ بينوا لنا ذلك بياناً شافياً تعريفاً وكتباً وإيضاحاً والسلام . فأجابه بقوله) [1]

الحمد لله ، هذه الوقعة معروفة عندنا ولم يحضر عندنا تواريخها في الوقت لتذكر توجيهاتها وتفصيلاتها وغاية المحفوظ منها وهو ثمرتها أن الناس أنكروا على سيدنا عثمان فيها ، وقالوا إن هذه المسألة هي مبدأ الفتنة على عثمان رضي الله عنه . ولابد أن يعتقد أنه لم يتعمد فيها بل اجتهد في مصلحة ، وهو غير معصوم من الخطأ ، فلا إثم عليه ولا تبيع ، بل قول الجمهور أولى . ثم إنا اليوم على مذهب الإمام مالك ، مقلدون له في قواعده ومتبعون له في مذهبه ، فليس لنا أن نتعلق من أقوال السلف وأفعالهم إلا بما وافق مذهبنا . ومذهبنا والحمد لله متقرر في هذه وغيرها . ولا يجوز لنا الفتوى إلا بالمشهور أو الراجح منه . وَتَتَبُّعُ الرخص لا يجوز لنا قولاً ولا عملاً ، والله تعالى يعصمنا من الزلل ويوفقنا لصالح القول والعمل . وكتب العبد الضعيف الحسن بن مسعود اليوسي وفقه الله تعالى

1 — مقدمة لمؤلف كتاب المنزع اللطيف.

رسالة في موضوع المراد لا يدفع الإيراد

يذكر مؤلف كتاب « هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام » (1) أحمد بن محمد الهشتوكي ، أنه عند خروجه إلى الحج عام 1096هـ مر بسجلماسة ، وذكر أن عبد المالك التجمعتي أطلعه على بعض مراسلاته ومنها رسالة لليوسي يعلق على جواب التجمعتي في مسألة العكاكزة وفيها ذكر المراد لا يدفع الإيراد فرد عليه التجمعتي، وبقيت المناقشة بينهما عند هذا الحد . ثم ذكر الهشتوكي بعد ذلك مراجعة التجمعتي للشيخ اليوسي فقال له : « سبحان الله ، أصحابنا هؤلاء لا يفهمون معنى قول الأئمة المراد لا يدفع الإيراد ، فقلت له ياسيدي ما معناه ؟ فإننا نحمله على ظاهره . فقال ناولني القرطاس ، فناولته إياه فكتب فيه ما نصه » وأورد الهشتوكي رسالة المراد لا يدفع الإيراد.

مخطوطات الرسالة :

لهذه الرسالة فيما وقفت عليه خمس نسخ مخطوطة :

الأولى : مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم قـ 302 من ص 228 إلى ص 232 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق »

---

(1) مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم جـ 120

الثانية : في كتاب « هداية الملك العلام » مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 190 من ص 80 إلى 86 ورمزها حرف « هـ »

الثالثة : في مجموع مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك 910 من ص 247 إلى ص 250 ورمزها حرف « ك »

الرابعة : في مجموع مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 1755 من ص 262 إلى ص 264 ورمزها حرف « د »

الخامسة : في مجموع من خزانة الاستاذ المرحوم العابد الفاسي الخاصة ورمزها حرف « ع »

وصف المخطوطات :

سبق وصف مخطوطة « ق » وهي المعتمدة في هذه الرسالة أيضاً رغم بعض أخطائها لقلة إسقاطاتها . ونسخة « هـ » خطها ردئ جداً وكتابتها مكدسة ولكنها مع ذلك قليلة الإسقاطات والتحريفات . أما « ك » و « د » فخطها مغربي دقيق جميل ولكن إسقاطاتهما كثيرة نسبياً . ومخطوطة « ع » جيدة الخط وأخطاؤها أيضاً قليلة.

الرسالة الواحدة والخمسون

ص 228 (وسأله بعض الأصحاب أيضاً عن قول العلماء المراد لا يدفع الإيراد . وذلك أن من الناس من يعبر بالكلام الموهم ، واللفظ القاصر ، فإذا اعترض عليه قال مرادي كذا . ومن الناس من يجرى اللفظ الصحيح الظاهر في معناه الواقع موقعه ، فيعترضه بسوء فهمه وخضَم جهله ، ويفسر بغير معناه أو يخرجه من وجهه . فإذا قيل له المراد هو كذا لا ما تظن ، اعترض هو بأن المراد لا يدفع الإيراد ، وهذا كله خطأ وجهل ، فلابد من تحرير هذا اللفظ وبيان موقعه)[1]

إن اللفظ الذي يعبّر به عن المعني إفرداً أو تركيباً لا يخلو من أقسام ، لأنه **إما أن يكون نصاً**[2] فيما أريد به عند المعبّر لغةً أو عرفاً . عاماً أو خاصاً ، لا يحتمل غيره أصلا . **وإما أن يكون** ظاهراً فيه بشيء من ذلك محتملا لغيره احتمالا ضعيفاً ، **وإما أن يكون** محتملا له ولغيره احتمالاً مساوياً[3] ، **وإما أن يكون** ظاهراً في غيره محتملا له احتمالا ضعيفاً . **وإما أن يكون** نصا في غيره غير محتمل للمراد أصلا.

فأما القسم الأول وهو أن يكون اللفظ نصًّا في المراد به ، فواضح سواء ص 229 كان ذلك وهو حقيقة نحو : السماء/والأرض والشجر والحجر في مدلولاتها[4] للعلومات ، ونحو ذلك . وهو أكثر ما يكون[5] هذا القسم . أو هو مجاز هجرت حقيقته فصارت نسياً[6] منسياً نحو : أكل فلان من نخل فلان أو زيتونه إذا أكل من ثمره مثلا ، فإن حقيقته أن يأكل من خشبه وهي مهجورة . وكذا أكل داره ورباعه . إذا أكل أثمانها كما قال الراجز :

---

1 — مقدمة من قول الناسخ في النسخة المعتمدة « ق ». 2 — في الأصل « قط » التصحيح من بقية النسخ 3 — هـ « متساويا » 4 — ك. د. ع « مدلولات » 5 — ع زيادة « في » 6 — في الأصل « شيئا » صححت من بقية النسخ.

إن لنا أحمرة عجافا يأكلن كل ليلة أُكّافا(1)

فهذا القسم كله ، أعني ما يكون اللفظ فيه نصّاً في مدلوله، لا يتصور[1] اعتراض على من أطلقه على معناه الذي هو نص فيه أصلا . فلو جاء جاهل بالألفاظ ومدلولاتها ووجد اللفظ في معناه، فتوهم أن اللفظ موضوع لغير ذلك المعنى ، فاعترض على المعبر كان اعتراضه ساقطا . فإذا قيل له المراد هو كذا وهو معناه الصحيح فليس لهذا المعترض أن يقول[2] المراد لا يدفع الإيراد لأن هذا المراد هو الصحيح . والإيراد باطل نشأ من الجهل . وعدم العلم بالمراد . وحق هذا المقام أن يقال فيه ، الإيراد لا يصح ما لم يُفْهِم المراد . ولو فهم المراد تبين أن لا إيراد . وبالجملة فالمعترض في هذا المقام جاهل . حقه السؤال لا الاعتراض[3]

وأما القسم الثاني وهو أن يكون اللفظ ظاهراً في المراد محتمِلاً لغيره . احتمالا ضعيفا فهو أيضا واضح لا اعتراض على المطلق فيه ، لأن الحمل[4] على الظاهر متعين ، ولا يصار إلى التأويل ، وهو حمل اللفظ على المحتمل المرجوح إلاّ لموجب . والفرض في المقام ألاّ مُوجِب . فمن اعترض أيضاً[5] في هذا المقام كان اعتراضه ساقطاً كالأول .

ص 230 **وأما القسم الثالث** /وهو أن يكون اللفظ محتملا للمراد ولغيره سواء[6] . بأن يكون مشتركاً ، أو ذا مجاز شهير كأصله ، ولا قرينة (2) تُبَيِّن شيئاً من الحامل[7] (3) . فهذا أيضاً لا يتوجه فيه اعتراض على المطلق من حيث وقوع اللفظ على المعني المراد لأنه دال عليه بلا مرية . نعم ، يعترض من جهة إبهام[8] الأمر. حيث لم ينصب قرينة تدل على المراد ، فإن كان لذلك وجه صحيح ، وعذر مقبول كأن يقتضي[9] المقام تعمية وإبهاماً[10] كما في الألغاز ،

---

1 — د « لا يصح » 2 — « هـ » أسقط « أن يقول ». 3 — في الأصل « اعتراض » صححت من النسخ الأخرى . 4 — في الأصل « المحمل » صححت من بقية النسخ. 5 — ع أسقط « أيضاً ». 6 — ک أسقط « سواء ». 7 — ک. د. ع. « المحامل ». 8 — ک « إيهام ». 9 — في الأصل « يتقاضي » صححت من ع. ک. 10 — د. ع. ک. « أيهاما ».

---

(1) أُكَافاً ج أُكُفٌ . وآكفة البرذعة

(2) قرينة الكلام : ما يصاحبه ويدل على المراد به

(3) حَمَلَ الشئ على الآخر : ألحقه به في حكمه

والتوجيه لغرض ونحو ذلك . فلا بأس ـ وإلا فالاعتراض واقع بعدم تبين الدلالة لانحرافها[1] وهذا ليس مما نحن فيه .

وأما القسم الرابع هو أن يكون اللفظ ظاهراً في غير المراد كإطلاق اللفظ على معناه المجازي مثلا ، فهو أيضاً إن نَصَب المتكلم قرينة تدل على أن المراد هو ذاك المحتمل الضعيف ، أو كان المقام يقتضي إبهاماً وتعمية كما يقع[2] في التورية والإلغازات ، فلا اعتراض[3] أيضاً لوضوح المراد بواسطة القرينة في الأول ، ووضوح صحة المقصد في الثاني . فمن اعترض في شيئ من هذا كله ، فاعتراضه ساقط . وإن[4] لم ينصب المتكلم قرينة عدل على المراد ، ولا قصدت التعمية[4] فالاِعْتِراضُ وراد عليه ، ولا تنفعه النية ولا يندفع عنه الإيراذ بقوله : المراد كذا . لأن الاعتراض إنما هو على اللفظ ، وهو لا يدل على ما أراد ، ولا يوفي له بما قصد لظهوره في غيره ومثال ذلك أن يقول القائل : خرجت من بلد كذا فلقيت في الطريق أسداً . يعني رجلا شجاعاً كالأسد . فإذا قيل له : إنك لم تلق أسداً أصلا ، إنما لقيت فلاناً من بني فلان/فقال : مرادي بالأسد الرجل الشجاع ، لا الأسد الحقيقي . فلابد أن يقال له : لمراد لا يدفع الإيراد ، أي نيتك وقولك المراد كذا ـ لا يدفع عنه ما ورد على لفظك ، لأن لفظك يفهم منه المعنى الباطل ، الذي ليس بمراد ، وهو الأسد الحقيقي . وليس (لك)[5] أن تصحح كلامك بنيتك لعدم ظهورها.

ص 231

وأما القسم الخامس : وهو أن يكون اللفظ[6] نصًّا في عير المراد، غير محتمل للمراد أصلا ، للتباين بين موضوعه وما أُريد به ، مع عدم مُصَحِّحٍ للإطلاق يُتَجَوَّزُ، لا مرسلا ولا استعارة ، فهذا أيضاً اعتراض[7] واقع على مطلقه ، لأنه إطلاق فاسد كقولك : لقيت فرساً ، تريد عبداً من غير قصد تشبيه . فهذا لا يقع إلا غلطاً ، أو جهلاً ، بأن يظن أن اللفظ موضوع لذلك ، أو قصد[8] التعمية. وليست بمقبولة هاهنا إذ لا مسوغ فيها ، إلا أن يكون

---

1 — هـ. ع. د « لا بانحرافها ». 2 — ك « تقدم » 3 — د « فالإعتراض ». 4 — ك أسقط الجملة . « وإن لم بنصب — التعمية » 5 — زيدة من جميع النسخ. 6 — ع. أسقط « اللفظ ».
7 — في الأصل « الاعتراض » صححت من بقية النسخ. 8 — هـ « قصده للتعمية ».

كذباً[1] محتاجاً إليه في محله

وبالجملة ، فلابد أن ينظر في لفظ المتكلم بعد معرفة معناه الحقيقي والمجازي ، والإحاطة بما يحتمله راجحاً أو مرجوحاً ، أو ظاهراً فيه بنفسه أو بمعونة قرينة لفظية أو حالية ، أو محتملا منهما حيث صح قصد الإبهام ، فلا اعتراض عليه في شيء من ذلك . وإن أطلقه على ما ليس من شأنه أن يدل عليه ، لكونه غير موضوع له لا حقيقة ولا مجازاً ، أو محتملا له احتمالا ضعيفاً ولا قرينة ، أو ظاهراً فيه ومعه قرينة دافعة صارفة إلى غيره ، فالاعتراض في هذه واقع ، والإيراد صحيح ، ولا تنفع المتكلم نية لا دليل عليها ، ولا تفسير لا مستند له/. ص 232
وهذا هو الذي يقال فيه المراد لا يدفع الإيراد والله المستعان ، (وعليه التكلان ، وكتبه الحسن بن مسعود اليوسي كان الله له ولياً ونصيراً بمنه)[2]

1 — هـ أسقطت «كذبا». 2 — زيادة في جميع النسخ

الرسالة الثانية والخمسون

رسالة في موضوع تبرئة الصحابيين من النفاق

هذه الرسالة هي تعليق على استشهاد في جواب عبد المالك التجمعتي في مسألة العكاكزة والذي جاء فيه : « ألا ترى المنافقين في عهده ﷺ كثيراً ما تصدر عنهم مقالات وتبلغه ﷺ تارة بإخبار الله تعالى ، وتارة بإخبار المومنين وهم عدول ، ولم يسلب عنهم ذلك الإعلان بسريرتهم في بعض الأحيان وصف النفاق . وكان ﷺ يعرض عنهم ويدعهم في غمرة الاشتباه مخافة أن يتحدث عنه أنه يقتل أصحابه ، وحاشا السادة الصحابة كمالك ابن الدُّخْشُم الذي قيل فيه ، فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين ، وسعد ابن عبادة رضي الله عنه المقول فيه : فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، من النفاق الذي نحن بصدده.....» أنظر الجواب كاملا في كتاب « هداية الملك العلام » لأحمد الهشتوكي.

هذه الرسالة نسخة فريدة في كتاب « هداية الملك العلام » لأحمد الهشتوكي مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 190 ص 75 — 76 وقد سبق وصف المخطوطة.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه.

ص 38 ظ ما وقع في كلام المجيب (1) من تبرئة الصحابيين المذكورين من النفاق تعريضاً بمن وقع في جوابه الاستدلال بقضيتهما على ظهور النفاق في ذلك الزمن ، وأنهما تُوُهِّمَ النفاق فيهما ، ذهول وفهم لكلام المستَدِل على غير وجهه. فإن مراد المستدل بيان أن المنافق لا يخفى أمره عن جيرانه وأقربائه ، فاستدل على ذلك بنحو قول الصحابي في مالك (2) رضي الله عنه : فإنا لا نرى نصيحته وَوَجْهَه إلا إلى المنافقين. ووجه الاستدلال أن هذا القائل أخبر أنه رأى مالكاً يناصح المنافقين ويواجههم ، وهذا تصريح بأنه رأى المنافقين وعرفهم ، ولولا ظهور أمرهم لقيل لهذا القائل من أين عرفت المنافقين حتى تعرف أن الذين نصيحة مالك إليهم منافقون ، حتى تحكم بأن نصيحته كانت إلى المنافقين؟ فَمَحلُّ الشاهد عند المستدل إنما هو المنافقون الذين زعم القائل أن نصيحة مالك كانت إليهم ، لا مالك. فإنه لم يتعرض المستدل للنفاق في حقه لا بإثبات ولا نفي.

وأما قصة سعد (3) رضي الله عنه فإن المراد منها أيضاً هو أن القائل (4) حكم بأن سعداً يجادل عن المنافقين ، وهم الآفكون ، استدل القائل على نفاقهم بِإِفكهم ، وإفاظَتِهم وإشاعتهم السوء كعبد الله بن أُبَيٍّ ، مع أن نفاقه ظاهر بدون هذا الدليل ، وليس الشاهد هنا أيضاً قوله تجادل عن المنافقين ، بل هو ما ذكرنا ، فسعد رضي الله عنه بمعزل عن هذا أيضاً ، وكيف يظن مسلم في سعد رضي الله عنه النفاق وهو سيد أنصار الله أو في مالك رضي الله عنه وقد

---

(1) المجيب هو عبد المالك التجمعتي في جوابه للسلطان المولى إسماعيل في موضوع طائفة العكاكزة
(2) هو مالك بن الدُّخشُم من بني مرضخة. صحابي شهد بدراً وكان من الثلاثة الذين أرسلهم النبي ﷺ لإحراق مسجد الضرار. أنظر أخباره في سيرة ابن هشام ج 2 ص 292 و 342 و ج 185/4
(3) يعني سعد بن عبادة بن ديلم أبو ثابت.../ 14هـ صحابي كان سيد الخزرج. والقصة المشار إليها هي في حادثة الإفك عندما دافع سعد بن عباده عن بعض الأفراد من الخزرج الذين أفاضوا في الإفك. أنظر ذلك مفصلا في سيرة بن هشام ج 345/3 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
(4) القائل هو أسيد بن حضير صحابي من الأوس. أنظر المرجع أعلاه

ص 39 و شهد له الصادق المَصْدوق/ ﷺ أنه قالها يريد بها وجه الله . على أنه لو بقي كلام المستدل على ما قد يفهم منه من أنه حُكْمٌ بأن الأول استدل على نفاق الرجل بمناصحته للمنافقين ، والثاني عليه بجداله عنهم لَمَا كان في هذا بأس ينسب إليه ، ولا موجب للتحامل عليه ، لأن المراد بيان وجود الاستدلال على النفاق وبإماراته ، والحكم به من الناس بعضهم على بعض ، لا وجود النفاق وعدمه ، ولا تَعَرُّضٌ لصحة الدليل ولا فساده ، ولا مطابقة الدعوى لما في نفس الأمر ولا عدم ذلك.

غاية ما في الباب لزوم غلط الحاكم بالنفاق على السيدين المذكورين ، للعلم بأنهما بريئان منه . وأي شيْ في الغلط ؟ ، فإن الصحابي محفوظ بمقتضى عدالته من المعصية واقتحام السوء ، وتعمد الكذب والشر ، وليس معصوماً من الغلط في الأحكام الشرعية الظاهرة فضلاً عن الحكم على البواطن . وبهذا يعلم أنه لا يلزمنا أن نتأول أن ما يَحْكُم به من النفاق بعضُهم على بعض في نحو هذا إنما هو نفاق معصية لانفاق كُفر (5) لأن الظاهر عند الإطلاق هو الثاني ولا يترك الظاهر إلا لمانع ولا مانع .

وكون النفاق إذ ذاك كثيراً لمفاجأة الإسلام وكسبه الناس ، مع أن الأصل هو الكفر والشك والارتياب ، أَوْجَبَ للصحابة رضي الله عنهم ما عُلِم من تشديدهم في الدِّين ، أن يَتَوَقَّوْا ويحترزوا من النفاق غاية الاحتراز ، وأن يُنْكِروا على من ظهرت عليه آية من آياته . ولكثرة تَرَشُّحِه (6) ممن حولهم ، أمكن لهم أن يحكموا به على من ظهر عليه ما يدل عليه إلْحاقاً للفرد بالأغلب ، والغلط غير مرفوع . وقول عمر رضي الله عنه في حاطب (7) حجَّةٌ في هذا للمستدل لا عليه ، فإن عمر لولا أنه يرى النفاق الكفر ، لما استباح دمه ولا طلب ضرب

---

(5) يقول عبد المالك التجمعتي في جوابه « وإطلاق الصحابة بعضهم على بعض ذلك اللفظ ليس على حقيقته ، لأن النفاق عندهم نفاقان : نفاق كفر حاشاهم منه ، ونفاق معصية ... »

(6) ترشح الماء : تحلب من خلال الحجارة ، وهنا تسرب النفاق من السر إلى العلانية بما يصدر عن المنافقين من أفعال

(7) هو حاطب بن أبي بلتعة من الصحابة . أنظر خبر بعثه برسالة لمشركي مكة يخبرهم بتحرك رسول الله ﷺ إليهم : سيرة ابن هشام ج 16/4

عنقه . لا يقال لعله يرى المعصية وهي الافساد في الأرض مثلا . ويرى أن يقتل فاعل ذلك . لأنَّا نقول : الظاهر هو النفاق الكفري كما قلنا ولا يترك . ثم تعليق الحكم به . وهو وصف مناسب يفيد علته . ولا تطلب علة أخرى لأنها لا حاجة إليها . وذلك أيضاً خلافُ الظاهر مع أن تقدم مثل عمر بين يدي الشارع ﷺ على استباحة دم المسلم . لِمَعْصِيَّةٍ لم يتقرر الحكم بالقتل فيها بعدُ. بعيد غاية البعد . وقد كانوا يقفون في الحدود المنصوبة ولا يتقدمون بين يديه ﷺ في إنفاذها ، حتى يكون ﷺ هو الذي ينفذها والله أعلم . وكتب الحسن ابن مسعود اليوسي كان الله له.

الرسالة الثالثة والخمسون

رسالة في موضوع كتب تفسير القرآن

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم قـ 302 الذي توجد فيه جل الرسائل. وهذه الرسالة فيه من ص 389 إلى ص 373 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

ص 370 الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وعليكم أيها الأخ اللبيب والصفي الحبيب السلام ورحمة الله وبركاته عن خير وعافية لله الحمد وله المنة. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إلاه إلا هو وأسأله تعالى أن يديم رعيكم، ويصلح سعيكم.

وما ذكرت من كلام ابن عرفة (1) في شأن تفسير ابن عطية (2) هو تنبيه لطيف (3)، ولكنه ضعيف من وجهين:

الأول: أن تفسير ابن عطية لم يزل الناس مكبين ومستحسنين له

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا من غير أن يجدوا آثار إحسان

ص 371 **الثاني** أن الأمر الواضح/المصرح به مما يرجع إلى الاعتقاد الفاسد لا يقع في كلامه، إذ لو وقع لعيب عليه، ونسب إليه. اللهم إلا ما لا يكاد يسلم منه بشر من هفوة نادرة. ولا يزال يقع مثل ذلك لغيره من أئمة الدين. وإنما يمكن أن يقع — إن وقع — الأمر الخفي المرموز كما قالوا على قول الزمخشرى (4) في قوله تعالى: «فمن زُحْزِحَ عن النار» الآية (5) أي فوز أعظم من دخول

(1) سبقت ترجمته في رسالة الذكر في المسجد

(2) عبد الله بن عطية أبو محمد ... — 383 هـ عالم بالتفسير مقرئ من أهل دمشق له: «تفسير ابن عطية» ويميزه عن ابن عطية الأندلسي عبد الحق ابن غالب (481هـ 54هـ) المفسر أيضاً بأن يقال لصاحب هذه الترجمة المتقدم. ولعبد الحق المتأخر

(3) يقول ابن عرفة: «يخاف على المبتدئ من تفسير ابن عطية أشد من الزمخشري. لأنه عرفت بدعته. وابن عطية سني. لا زال يدخل من كلام الدماني ما هو من مذهبه من الاعتزال في التفسير. ولا ينبه عليه فيعتقد أنه من أهل السنة. وأن الكلام جار على أصولهم. وليس الأمر كذلك. انتهى كلامه «من رسالة السائل» ق 302 ص 369

(4) محمود بن عمر الزمخشري أبو القاسم 467هـ — 538هـ من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور فيها ثم عاد إلى الجرجانية من قرى خوارزم وتوفي فيها. أشهر كتبه «الكشاف» في تفسير القرآن «أساس البلاغة» «المفصل» وكل هذه الكتب مطبوع. كان معتزلي المذهب مجاهرا. شديد الإنكار على المتصوفة أكثر من التشنيع عليهم في «الكشاف». أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 55/8

(5) تمام الآية: «كل نفس ذائقة الموت. وإنما توفون أجوركم يوم القيامة. فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز. وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» الآية 185 سورة آل عمران

الجنة ، أن فيه إنكار الرؤية ، وحينئذ نقول : إن أدخل ابن عطية شيئاً من نحو هذه الإشارات إلى أمور فاسدة من كلام غيره ، فإما وهو فاهم له أَوْلاَ وعلى الأول (6) لابد أن ينبه عليه لأنه سني ناصح ، فلا يُخْشَى منه على مبتدئ ولا منتَهٍ . وعلى الثاني فلا يقتصر عنه إلا لدقته وغموضه ، وهذا لا يدركه المبتدئ عادة ، وإذا لم يدركه لم يعتقده فلم يقع عليه فساد ولا عيب يُخْشَى ، إذ صار الجهل البسيط الذي لا بأس عليه منه ، حجاباً له عن الجهل المركب المحذور.

وقد استوى في حقه حينئذ كلام من عرف بالبدعة كالزمخشري ، وكلام من عُرِفَ بالسنة كابن عطية . وما لم يدركه الإمام ابن عطية بعيد أن يدركه المبتدئون . وقد شوهد ذلك في كلام « الكشاف » أنه لا يكاد يدرك ما خفي من خبائثه إلا أولوا الألباب من العلماء (7) وهؤلاء لا يخشى عليهم بإذن الله تعالى . فالصواب أن يقال إن كلام أهل البدعة يُحَذَّر منه المبتدئ لما عسى أن يقع من التصريح أو ما يقرب منه ، وكذا المنتهى الضعيف الإيمان ، لما عسى أن يميل اعتقاده.

وأما كلام أهل السنة كابن عطية فإنما يُحذر منه الضعيف العقل لما عسى أن يعثر على شيء ظاهر على وجه الهفوة أو منبه عليه أو شيء خفي فيميل إليه . وأما غيره فلا يخشى عليه لأنه وقع على ظاهر أو خفي مدرك ، فهو/ينكره ، وإلا فهو سالم لقصوره عنه ولظنه الجميل بصاحبه . فإن قيل قد يعثر المبتدئ في كلام السني على باطل ظاهر وقع هفوة ، لما قدرتم ، فيعتقده لقصوره عن رده ، فيجب الحذر ، قلنا : هذا لا عبرة به لندوره ، ولعموم البلوى به ، فأي كلام يسلم غير كلام المعصوم . ولو روعي مثل هذا لتركت كتب الناس ، فإنه لا يخلو

ص 372

(6) أي على فرض أنه فاهم لما أدخل في تفسيره من آراء غيره

(7) من ذلك قول الشافعي : « ...وما وقع من صاحب « الكشاف » في سورة التكوير من تفضيل جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام ، فهو خرق لإجماع من يُعْتَدُّ بإجماعه . وقد تصدى للرد عليه فيه ابن خليل السكوني وغير واحد . فليحذر كلامه ، اعني الكشاف ، كم له من أمثال هذا بما يخالف السنن القويم انتهى » عن « نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض » شهاب الدين الخفاجي ج 238/1

كتاب بحكم العادة من اشتمال على غلط أو وهم يعتقده القاصر عن بطلانه. وأي مصلحة في الدنيا لم تَشُبْها مفسدة والمُراعى الغالب والأكثر.

وما طلبت من ذكر أمثلة في ابن عطية لم يتأت لأنه غير موجود بأيدينا في الوقت، وما ذكرت في مطالعة «الكشاف» معلوم مما قررنا في وثاقة الاعتقاد وضعفه.

وإعراب الصفاقسي (8) وتفسير أبي حيان (9) وغيرهما من كتب أهل السنة محمولة على السلامة، فإن وقع شيء نادر سُلّ سَلّ الشعرة من العجين. ولا تعاب الكتب ولا تهجر بمحض الأوهام، والأغاليط النادرة، فإنه لا تعدم الحسناء ذَامّاً.

وأما ذلك الاعراب هل هو سلخ من أبي حيان، ففي علمك ما قال أبو حيان: «وإن فتى يقال له إبراهيم الصفاقسي وليس ممن يحسن العربية. وإنما يحسن نوازل من الفقه، وإنه أخذ كتابنا المسمى «بالبحر» (10) فسلخ منه إعراباً وقوّلنا فيه ما لم نقل» وقد نقله ابن غازي في «المطلب الكلي» ثم قال والناس مطبقون على إعراب الصفاقسي. والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا (البيت)

وهو كذلك، فإنه لا يحسن السلخ من كتاب إلا من يحسن السلخ من غيره، ومن خاض في العلم. فمواهب الله غادية عليه/رائحة ص 373

---

(8) ابراهيم بن محمد الصفاقسي أبو اسحاق 697 — 742هـ فقيه مالكي تفقه في بجاية وحج فأخذ من علماء مصر والشام وأفتى ودرس سنين. له مصنفات منها «المجيد في اعراب القرآن المجيد» وسمي «اعراب القرآن» وشرح ابن الحاجب في الفقه أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 61/1

(9) محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي أبو حيان، نحوي من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد بغرناطة ورحل الى مالقة وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة وتوفي فيها اشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه.من كتبه «البحر المحيط» في تفسير القرآن مطبوع 8 مجلدات «طبقات نحاة الأندلس» «منهج السالك على ألفية ابن مالك» وغيرها أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 26/8

(10) كتاب «البحر المحيط» في تفسير القرآن

وأما موضع شق الصدر (11) فلم نر من سماه . ولا يتعلق به غرض مهم . والله الموفق .

استدراك وأما أفضل تفاسير (القرآن)[1] فالمتقدمون يفضلون تفسير الإمام ابن جرير (12) ويقولون لم يؤلف في الباب مثله . وأما ما بعده فالناس أميل إلى ابن عطية ولابد أن يعلم أن ليس منا تفسير يستقل بالحاجة ولا جميعها . ولابد للمعاني الرائم التحقيق والتحصيل . من استحضار جملة وافرة منها فيستعين بها ، ويأخذ من كل لبابه . وما اختص به كأقوال السلف والأحكام والاحاديث من ابن عطية . وتشقيق الكلام وتحقيق المعاني من « الكشاف » وتباعه البيضاوي (13) وأبي السَّعود (14) . وما يحتاج من القصص والأقوال من التّعْلبي (15)[2] وتحقيق العلوم المشار إليها من الفخر الرازي(16)

---

1 — زيادة ساقطة يتطلبها السياق 2 — التغلبي في الأصل ولا وجود له بين المفسرين

---

(11) شق صدر النبي ﷺ وهو رضيع في بني سعد

(12) محمد بن جرير الطبري 224 — 310هـ المؤرخ المفسر الإمام ولد بطبرستان واستوطن بغداد وتوفي بها له تآليف منها « أخبار الرسل والملوك » يعرف بتاريخ الطبري مشهور . مطبوع في أحد عشر جزءا « وجامع البيان في تفسير القرآن » يعرف بتفسير الطبري في ثلاثين جزءا « واختلاف الفقهاء » وغير ذلك . من ثقاة المؤرخين كان مجتهدا في أحكام الدين لا يقلد أحداً . ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 294/6

(13) عبد الله بن عمر الشيرازي أبو الخير البيضاوي .. — 685هـ. قاض مفسر علامة ولد في المدينة البيضاء بفارس قرب شيراز له تصانيف مثيرة منها : « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » يعرف بتفسير البيضاوي « وطوالع الأنوار » في التوحيد « ومنهاج الوصول إلى علم الأصول » وغيرها أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 248/4

(14) محمد بن محمد أبو السعود 898 — 982هـ. مفسر شاعر من علماء الترك المستعربين ولد بقرب القسطنطينية ودرّس في بلاد متعددة وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وعنوانه « إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم » وهو مطبوع . له تآليف أخرى عديدة أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 288/7

(15) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثّعْلبي : (... 427هـ) أبو إسحاق مفسر . من أهل نيسابور . له اشتغال بالتاريخ . له تفسير « الكشف والبيان في تفسير القرآن » يعرف بتفسير الثّعلبي أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 1 ص 206 .

(16) سبقت ترجمة فخر الدين الرازي في رسالة « إبطال التسلسل » وتفسيره يعرف « بمفاتيح الغيب » مطبوع في 8 مجلدات أنظر ص 487 رقم 6

والفقهيات من القرطبي(17) ونحوه ولطائف المتشابهات من البكري(18).
ووجوه الاعراب من أبي حيان وهكذا. وصلّى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين
وإمام المرسلين، ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله أجمعين وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين.

---

(17) محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي أبو عبد الله القرطبي ... — 671هـ صالح متعبد من كبار المفسرين رحل إلى المشرق واستقر بقرب أسيوط وتوفي بها من كتبه «الجامع لأحكام القرآن» مطبوع في عشرين جزءا يعرف بتفسير القرطبي. أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 217/6

(18) محمد بن محمد أبو السرور بن أبي المكارم البكرى 971 — 1007هـ مفتي السلطنة بمصر كان عالماً متصوفاً من تآليفه «تفسير القرآن» في أربع مجلدات وغيرها أنظر ترجمته في الأعلام ج 290/7

الرسالة الرابعة والخمسون

رسالة حول بيت من قصيدة البردة للبوصيري

مخطوطات الرسالة

لهذه الرسالة نسختان مخطوطتان :

الأولى في مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 من ص 219 إلى ص 220 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق ».

الثانية في مخطوطتي الخاصة التي تضم بعض رسائل البوسي في ص 165 ورمزها كما هو معلوم حرف « خـ »

وصف المخطوطات

سبق وصف المخطوطتين وقد اعتمدت كما هي العادة على مخصوطة لمكتبة الناصرية

ص 220 (وسئل أيضا أدام الله بقاءه عن قول الإمام البوصيري في بردته

إلا اسْتَلَمْتُ النَّدَا من خيْرِ مستلَمِ * هل هو بفتح اللام أو كسرها ، وإن بعضهم قال بكسر اللام ، فأجاب بعد السلام والرحمة)[1] وأما قول البوصيري (1) « من خير مستلم » (2) ، فلم[2] يحضرنا من شروحه[3] من حرره (3) ، والبين فيه أنه بفتح اللام[4] ، أما اسم مفعول صفة لمقدر : أي من خير عضو مستلم ، وأما اسم مكان أي من خير محل للإستلام ، والمعنى واحد ، والمراد به يد النبي ﷺ ، كما دل عليه السياق ، ويجوز أن يكون إسم فاعل من أوجه لا تخلو من تكلف . **فالأول** : أن يكون المجرور يعني من خير مستلم راجعاً إلى الفاعل تمييزاً أو حالا أي : استلمت الندا وأنا خير مستلم ، وهو صحيح المعنى حسنه ولكن في كل من لفظي[5] التمييز والحال في مثل هذا التركيب ، ضعف تضيق البطاقة عن بيانه . **الثاني** أن يرجع إلى النبي ﷺ لأنه خير من حج واعتمر ، وفيه لطافة الجمع بين معنى الاستلام المجازي والحقيقي . ووجه التكلف أنه بعيد الخطور بالبال في المقام (4) ، فلا تحسن الكناية كل الحسن . **الثالث** أن يرجع إليه أيضاً ﷺ ، ويكون المراد بالمبتلم ، مستلم الندا من الله تعالى ، فإنه ﷺ ، خير من نال الفضل من الله تعالى وفيه أيضاً بُعْد . واللفظ قابل لأكثر من هذا احتمالا وتحريراً[6] ويكفيك ما سمعته والسلام.

---

1 — مقدمة من قول الناسخ في المخطوطة المعتمدة. 2 — في خ « فإنه لم ». 3 — خ زيادة « الآن » 4 — خ « الفتح » بدل بفتح اللام » 5 — في الأصل « لفظ » التصحيح من خ. 6 — خ اسقاط « احتمالا وتحريرا. »

---

(1) محمد بن سعيد البوصيري 608 هـ — 696 هـ مصري أصله من المغرب . له ديوان شعر مطبوع وأشهر شعره البردة شرحها وعارضها كثيرون ومطلعها :

أمن تذكر جيران بذي سلم ... مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

أنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام ج 11/7

(2) البيت هو كالتالي مع سابقه :

مَا سَامَني الدهر ضَيْماً واستجرت به ... إلاَّ ونلت جواراً منه لم يُضَمِ

ولاَ التمستُ غِنَى الدّارين من يده ... إلا استلمت الندى من خير مُسْتَلَم

حاشيةُ الباجوري على متن البردة ص 44

(3) حرر المعنى . استخلصه وهنا : من ناقش وبرر كسر لام « مستلم » أو فتحها

(4) أي أن فهم هذه الكناية يكلف الذهن إخطار المقام : مقام الحج والعمرة بالبال . عند ذكر خير مستلم وهو بعيد . ويكلف السامع جهدا يضعف من قيمة الكناية ولا يبلغ بها المراد منها من البيان

الرسالة الخامسة والخمسون

رسالة في تحليل أدبي لبيتين
أحدهما لأبي نواس والثاني للبوصيري

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل. وهذه الرسالة فيه من ص 197 إلى 199 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة.

(ونص السؤال من بعض الكتاب ، سيدي رضي الله عنكم جوابكم في قوله

مَالِي إليك وَسيلَةٌ إلاّ الرجا وَجميلُ ظني ثم أني مسلم

كيف صحت عندكم روايته ؟ هل كما رسم أو : وجميل ظني فيك أني مسلم وعلى ما صح عندكم من رواية البيت ، بين لنا إعرابه ، وارسمه بخط يدك المباركة ، وكذلك قوله : « شَاكِي السِّلاَحِ » في كلام البوصيري وغيره ما معناه ؟ وما إعرابه ؟ والله يديم وجودكم والسلام)[1]

ص 198 الجواب والحمد لله ، أما البيت الأول (1) فالمكتوب فيه أولا/هو المحفوظ عندنا ، وهو الأولى ، فإن قصده أن يتوسل بثلاثة أشياء : **الأول** : الرجاء في غفرانه تعالى ورحمته . **الثاني** : الظن الجميل أنه تعالى فاعل ذلك . **الثالث** : الإسلام ، وإنما خص أبو نواس هذه الثلاثة بالذكر لأمرين : **أحدهما** أنه لم ير لنفسه في الوقت غيرها **الثاني** : أنه رجل من أهل....[2]وأنه غلب عليه المجون ، فعلم أن هذه الثلاثة هي أَوْلى ما يقدم بين يدي الموت وأجدر بكل خير بعد التوبة . وهو (لم)[3]يقل الأبيات إلا وقد تاب إلى الله تعالى كما أخبر بذلك عن نفسه بعد الموت في قصته المشهورة. وبيان كونها أولى باختصار : أما **أولا** فهو أَنّ الرجاء أحد جناحي المومن ، ومطلوب منه أن يغلبه عند الاحتضار ، فلذلك خصه ، لأن هذا وقع منه عند الموت كما قلنا وأيضاً هو اللائق بالاستعطاف ، وفي الحديث : « ما اجتمع الخوف والرجاء في قلب عبد في هذا الموطن ، إلا أعطاه الله ما يرجو ، وأَمَّنهُ مما يخاف » (2). وأما **ثانيا** : فهو أن الله تعالى يقول : « أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء ». (3) **وأما**

---

1 — مقدمة من قول الناسخ . 2 — إسقاط في الأصل. 3 — زيادة ليست في الأصل يتطلبها السياق.

---

(1) هذا البيت هو الثاني من بيتين مشهورين للشاعر أبي نواس أولها :
* يارب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
(2) حديث رواه الترمذي وقال غريب والنسائي في الكبرى . وبن ماجة من حديث أنس . وقال النووي اسناد جيد أنظر المغني بذيل الإحياء ج 145/5
(3) حديث قدسي ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة أنظر المغني ج 125/4

ثالثا : فهو أن الإسلام هو مركز الخير ومجمع البر ، وفي ضمنه الاعتراف والإذعان والتوحيد ، وشهادة الحق وقد ورد : « من كان آخر كلامه لا إلاه إلا الله دخل الجنة » (4) وفي كل من الأوجه من التقديرات والتدقيقات والاحتمالات ما لا يسع الوقت ذكره ولا تحمله البطاقة.

وقد ظهر إعراب البيت ، وهو أن الرجاء بدل من وسيلة ، وجميل الظن معطوف عليه ، ويصح أن يقول جميل ظنٍّ والمعنى واحد . وقوله ثم أني مسلم بفتح الهمزة معطوف عليه كذلك ، والله الموفق

وأما « شاكي السلاح » (5) فعناه مادة السلاح ، من الشوكة وهي الشدة والحدة . وأصله شائك السلاح وشوكه وشاكيه : حديده . وقد شاك/يشاك شوكاً : إذا ظهرت شوكته وحدته . وأما إعرابه في بيت البردة فيصح أن يكون جمعاً حالا مما قبله وهو « الأبطال » (6) أو شيْ من ضمائره أي حال كونهم شاكين السلاح ، فحذفت النون للإضافة وقوله : « لهم سيما تميزهم » وصف آخر لهم بذلك أو بغيره من الركوع والسجود (7) ، أو نحو ذلك علامة يمتازون بها . ويصح أن يكون مفرداً وهو مبتدأ في شاكي السلاح هو سيما تميزهم ، أي موصوفيتهم بهذا الوصف علامة لهم ، إذ كل واحد منهم يقال فيه إنه شاكي السلاح . ويصح على هذا أن يجعل الشاكي الشوكة أي الشوكة علامتهم ، كما

ص 199

---

(4) لم أقف على هذا الحديث وإنما عثرت على حديث : من قال لا إلاه إلا الله مخلصاً دخل الجنة رواه الطبراني من حديث زيد بن أرقم

(5) تمام البيت :

شَاكي السِّلاَحِ لهم سيما تُميزهم ... والوردُ يمتاز بالسيما من السلم

(6) الأبيات قبله التي تشرحه هي :

يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فوق سابحة ... يرمي بموج من الأبطال ملتطم

من كل منتدب لله محتسب ... يسطو بمستأصل للكفر مُصْطَلِم

حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم ... من بعد غربتها موصولة الرحم

حاشية الباجوري على متن البردة ص 66 ـــ 70

(7) شرح « سيما » بهذا المعنى مستوحى من الآية « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركّعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا . سيماهم في وجوههم من أثر السجود » سورة الحجرات الآيات 29 وما بعدها

يكون القائم بمعني القيام يقال : أقائماً وقد قعد. الناس . وقال :

أَتَـارِكَـةً تـدَلُّـلَـهَـا قَـطَـامٍ وَضَنّاً بالتحية والسلام (8)

وكتب عبد الله الحسن بن مسعود كان الله له

(8) البيت للنابغة أنظر الديوان ص 158 تحقيق الدكتور شكري فيصل . وقد كتب في الأصل مشوها وعلى هذا الشكل في شطره الأخير : وصنابا بالتحية والسلام

رسالة اعتذار الى السلطان اسماعيل

للرسالة نسخة فريدة في مخطوطة مكتبة الأستاذ المرحوم العابد الفاسي الخاصة. وقد مكنني رحمة الله عليه من أوراق الرسالة دون المجموع. وخط الرسالة مغربي لا بأس به.

(الحمد لله ومما كتب به العلامة سيدي الحسن اليوسي مجاوباً لأمير الوقت السلطان المظفر مولانا إسماعيل نصره الله ، حين كان محاصراً لمدينة العرائش أواخر الحجة متمم المائة بعد ألف ، وجاء الشيخ من زيارة مولانا عبد السلام ابن مشيش نفعنا الله به ، مجاوباً عن كتاب ورد عليه من عند الأمير المذكور)[1]

وعلى السيادة التي اعتلى منارها واستبان نهارها سيادة السلطان الأفخم الأعظم ، الأسعد الأصعد، مثابة المجد ، وقرارة الحمد ، مولانا إسماعيل ابن مولانا الشريف ، السلام الكريم العميم ، ورحمة الله وبركاته . هذا وقد بلغنا كتاب سيدنا الكريم ، وخطابه البليغ ، فأدخل علينا من السرور ما يعلمه الله جزى الله سيدنا خيراً ، وجعل ذلك في ميزان حسناته ، فمن أعظم الحسنات إدخال السرور على المومن ، وقد ذكر سيدنا ما يعتقد في هذا العبد السوء من العلم والصلاح ، ومن لي بذلك ؟ فإني بعيد عنه ، وإنما أنا عبد جهول مذنب أطمع في مغفرة الله ورحمته . ولكن ظن سيدنا جميل كما قال وكيف يكون إلا كذلك ، وهو فرع النبوّة وإنما ينفق كل أحد بما في صدره ، وكيف تكون صدور أبناء النبوءة إلا صافية منورة لا ينتقش فيها إلا جميل . وفي الحديث : « خصلتان ليس فوقهما شيءً من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بالناس » (1) وذكر أن أهل هذا الزمن كذا ، وذلك سبب تكلمهم وهم كذلك ، والجهل والشهوة يحملان على ذلك أكثر ، ولذلك قال تعالى : «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا» (2) وكل من يغتاب الناس ويقع في أعراضهم فهو فاسق ونسأل الله العصمة لمولانا من كل شيءً ذميم.

وأما خاطري فهو والحمد لله سالم ، فإنا أُمِرْنا بمحبة أهل بيت نبينا فنحن نحبهم على الدوام والاستمرار ، ولا سيما سلطان المسلمين الذي هو ظل الله في الأرض. فتى لقينا منهم خيراً حمدنا الله تعالى وشكرنا ومتى كان غير ذلك صبرنا

---

1 — مقدمة من قول الناسخ

---

(1) حديث سبق تخريجه

(2) الآية 6 سورة الحجرات . مدنية.

ورضينا بحكم الله تعالى . ونعد الواقع بمنزلة حجر ساقط من السماء بلا فعل أحد غير الله تعالى فلا سخط ولا مكافأة بسوء ، وبهذا وصى علماؤنا في حق أهل البيت في كتبهم ، ونحن على ذلك إن شاء الله . واسترضاء مولانا جزاه الله أفضل الجزاء لعبده . فهذا الكلام يربي على كل صنيعة تملأ القلب حباً وتصبغه وداً ، فكيف بأن يكون فيه شيء غير ذلك ؟ فقد جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها(3) وأي إحسان أعظم من هذا الخطاب في هذا الكتاب من أوله إلى آخره فلا جزاء له إلا من الله العظيم المنان .

وزرنا قبر الشيخ عبد السلام (4) كما قال سيدنا لما علم من فضله وقد اشتهر في تلك البلاد أنه لا يقف على قبره شقي . فنحن نرجو ذلك ونسأل الله مثله لسيدنا . وعنده عيَّدنا وذلك هو الذي عوقنا عن أن نعيد عند سيدنا . وزرنا العسكر الجهادي كما قال سيدنا نسأل الله تعالى أن يكمل مرغوبه ، ويجعل جميل المآثر ، وحميد المساعي ، منثالة عليه ، ويجعل الدائرة على القوم الكافرين . وقد وددت أن أقيم معهم ، ولكن ضعفت وأدركني ما قال سيدنا وكأنه ينظر إليَّ ، زاده الله بصيرة وجزاه عن الحنانة والشفقة خيراً ، ومن يشفق علينا إذا لم يشفق سلطاننا ونحن عبيده وأولاده : إنما أنت والد ، والأب القاطع أحن من واصل الأولاد. (1)

وحاصل الأمر أني لم أطق المقام ، وتحرك في ما يعلم الله ، والشكوى له ففررت فراراً ، ولقيني كتاب سيدنا في الطريق وأنا سائر ، ومما أقاضني ، تعذر المرور بسيدنا مع كون ذلك أحب إلَيَّ من مفروح به ، فكتبت هذه الأحرف رجاء أن أقبل بها راحة سيدنا عن قلق وضعف ، وقد علمت أني لم أبلغ عُشُر الحقِّ ولا عشر عشره ، والرجاء من سيدنا أن يسعني فضله وسماحته وإغضاؤه ، في تقصيري وعجزي والسلام . وكتب غبار نِعالكم عبيد ربه الحسن بن مسعود اليوسي كان الله له

---

(3) تضمين لحديث سبق تخريجه

(4) الشيخ عبد السلام بن مشيش 625هـ من الصوفية المعتدلين المتمسكين بالسنة أصله من مدشر الحصن من بني عروس اعتزل في جبل « العلم ». قال ابن خلدون قتله « بالعلم » قوم بعثهم لقتله ابن أبي الطواجن الكتامي الساحر المدعي للنبوة . وضريحه هنالك معروف اشتهر بصلاته المنسوبة إليه . قاوم السحر والخرافة ودعا إلى اتباع الحق والسنة.

الرسالة السابعة والخمسون

رسالة في تقريظ تأليف

اللمعة الخطيرة والنبذة اليسيرة في مسألة فخلق أفعال العباد الشهيرة

للفقيه محمد المهدي بن أحمد الفاسي

رسالة اليوسي هذه في تقريظ كتاب « اللمعة الخطيرة » تثير مسألة كثر فيها الجدل في عصر اليوسي (حوالي عام 1084هـ) كما اتُّهِم فيها فقيه من فقهاء الشافعية بمصر وهو إبراهيم الكوراني (1025 — 1101هـ) من طرف العلماء المغاربة بالزندقة والبدعة «أنظر رسالة اليوسي إلى الأخوين القادريين». يقول المهدي الفاسي في مقدمة كتاب « اللمعة »... وبعد فقد ورد في العام الماضي من البلاد المشرقية تأليف لبعض العصريين ينصر فيه قولة إمام الحرمين المنسوبة له في العقيدة النظامية في خلق أفعال العباد. وقد كان في السنين السالفة أتى من المؤلف المذكور أيضا تأليف في مسألة « الغرانيق » التي تذكر في سورة « النجم » و « الحج » يُصَحِّحُ وقوعها. وسمعت أنه له تأليف أيضاً في إثبات إيمان فرعون، وكذا سمعت أن له تآليف متعددة في احياء أمور أمثال هذه ونصرتها، في هذا الزمن الذي رق فيه الدين وعم الجهل والتقليد، وعجمة الصدور وقلة اليقين، واتباع كل ناعق وتلقي أموره بالقبول، لا سيما من بعدت بلاده، ووسم بالانتساب للعلم والتنسك، وأوتي لسانا وجدلا... »

مخطوطات الرسالة :

الرسالة في نسخة واحدة من مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك 1234 من ص 100 إلى ص 101 وهي عبارة عن مجموع يضم :

— سلسلة الأنوار
— نظم لسيدي يوسف الفاسي
— أجوبة سيدي أحمد بن عبد الله
— تأليف : اللمعة الخطيرة لمحمد المهدي الفاسي 37 — 100
— تقريظ اليوسي ص 100 — 101
— فهرست اليوسي

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

ص 101 /الحمد لله المنفرد بالإيجاد والإبداع ، والخلق والاختراع ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد محجة الاتِّبَاعِ ، والعصمة عن الزيغ والابْتِدَاع ، وعلى آله وصحبه الحارسين بيضة الدين بالدفاع والقراع ، وبعد ، فقد وقفت على هذه الكراسة المجموعة ، والنبذة (1) الموضوعة فَأَلْفَيْتُها محتوية في مسألة الجبر والقدر ، على الجملة المقنعة لأهل البصيرة ، بل الخلاصة الممتعة لكل طيب السريرة ، فجزى الله جامعها خيراً لقد صدع الخبر اليقين ، وأطلع الصبح المبين لِذِي عينين ، وحرر ما يجب اعتقاده ، وقدر ما يضمحل به انتقاده ، مع لطائف لأهل الإشارات ، تُهَوِّنُ على النفس الجَمُوح ما عسى أن يصرفها من الاستبعادات ، بما في هذه الكراسة هو الأمر المعول عليه ، والحق المرجوع إليه ، ولعلنا إن كانت لنا فسحة في الزمان سنشفعها بإيضاح وبيان ، مع تتبع شُبَه صاحب تلك القولة (2) بالجواب شبهة شبهة ، وتحري ما لكل رأي من وجه ووجهه ، والله ولي التوفيق ، وهو الهادي إلى سواء الطريق . وكتب لاثنين وعشرين ليلة خلت من صفر ثمان وثمانين وألف الحسن بن مسعود اليوسي كان الله له.

---

(1) هو كتاب « اللمعة الخطيرة والنبذة اليسيرة في مسألة خلق أفعال العباد الشهيرة » وهي للفقيه المهدي بن أحمد الفاسي 1033 — 1109 ازداد بمدينة القصر الكبير وارتحل لفاس فأخذ العلم عن أجلاء العلماء . له تآليف مشهورة منها شروحه الثلاثة على دلائل الخيرات » وممتع الاسماع في أخبار الجزولي والتباع » وكتاب « اللمعة » الذي يُقرظه اليوسي . أنظر ترجمته وأخباره في السلوة ج 316/2

(2) القولة هي إثباته خلق الأفعال وهي من أقوال المعتزلة التي نادى بها الجبائي وأتباعه

الرسالة الثامنة والخمسون

رسالة إلى الأخوين القادريين
وإلى الفقيه المهدي الفاسي
في موضوع بدعة إبراهيم الكوراني

سبق أن أشرت لموضوع هذه الرسالة في مقدمة الرسالة السابقة : تقريظ اللمعة الخطيرة .

وللرسالة نسخة فريدة في كتاب « نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني » لمحمد بن الطيب القادري مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم كـ 2253 ج 2 ورقة 23 وجه.

ص و 23 و بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

من الحسن بن مسعود اليوسي إلى السادات الفضلاء ، القادة النبلاء ، الفقهين النبيهين ، الأريبين الحسنين ، الشريفين المنيفين ، أبي محمد سيدي العربي (1) وأبي محمد سيدي عبد السلام (2)ابني الطيب القادري الحسني ، والفقيه النبيه سيدي المهدي بن أحمد الفاسي (3) سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . هذا وقد بلغنا كتابكم الكريم ، وما ذكرتم فيه من نزول تلك النازلة الغريبة ، واستنجادكم إياي في الكلام عليها جزاكم الله تعالى خيراً في النصح لأنفسكم ولعباد الله تعالى . وقد كنت قبل اليوم رأيت شيئاً من تآليف ذلك الرجل (4) في درعة ، أوقفني على ذلك أبو عبد الله بن ناصر (5) واستنهضني للكلام عليها ، فهَمَمْتُ ثم وهيت في عوائق . واليوم إن شاء الله اشتغل بها، ونقرر ما هو الحق من الطريقة ، ونتعرض له بكل ما احتج به عَلَى نحلته (6) جملة وتفصيلا . وقد انتحل لإحياء بدعة قد أميتت منذ زمان ، وتصدى لإثبات شريك الأفعال ثم لإثبات شريك الوسائط جملة ، نعوذ بالله منه ومن هفوته وهي نزغة (7) لم يجد الشيطان لإبدائها أحسن من لسان هذا الرجل المنسوب إلى العلم والإمامة، فتنحل إلى البدع ، واشتهر إلى السنة رجال ذلك (8)نسأل الله السلامة من مثل ذلك ويجنبنا من كل بدعة.

---

(1) العربي بن الطيب القادري ...ــ 1104هـ له معرفة بالعلم والنحو والبيان والفقه والحديث . وله ذوق في التصوف ونصيب في طريق القوم . أخذ عن جماعة كأبي محمد عبد القادر الفاسي والحسن بن مسعود اليوسي . ألف « الطرفة في اختصار التحفة » وله تآليف صغيرة . وتقاييد كثيرة . أنظر ترجمته في «التقاط الدرر» مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم د 676 ص 53

(2) عبد السلام بن الطيب القادري الحسني أبو محمد 1058 ــ 1110هـ نسابة المغرب في عصره . مولده ووفاته بفاس له نحو ثلاثين كتابا منها : « الدر السني » و « العرف العاطر » وغيرها . ولأبي عبد الله محمد بن أحمد الفاسي كتاب « المورد الهني . بأخبار مولاي عبد السلام القادري الحسني » أنظر ترجمته ومصادر في الاعلام ج 129/4

(3) سبقت ترجمته في الرسالة السابقة أنظر ص 615 رقم 1

(4) هو ابراهيم بن حسن الشهرزوري الكوراني 1025هـ ــ 1101هـ من جبال الكرد . سمع الحديث بالشام ومصر والحجاز وسكن المدينة . مجتهد من فقهاء الشافعية له مؤلفات عديدة أنظر ترجمته وأخباره في التقاط الدرر مخطوطة الخزانة العامة بالرباط د 676 ص 63 الاعلام ج 28/1

(5) سبقت ترجمته انظر صفحة 329 الرقم 27

(6) النحلة : الدعوَى والمذهب

(7) مفسدة : الكلام الذي يُغري بالمعاصي

(8) جملة غير مفهومة

رسالة تعزية في عبد القادر الفاسي إلى ولديه

للرسالة نسخة فريدة في كتاب « نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك 2253 الجزء 2 ورقة 6 ظهر، في ترجمة أبي زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي.

ص 6ظ إلى البدرين النيرين. والبحرين الزاخرين. والدرتين الفاخرتين. والهضبتين الشامختين، الإمامين المحترمين الفاضلين، أبي زيد عبد الرحمان (1) وأبي عبد الله سيدي محمد (2) إبني الإمام الهمام، تحفة الليالي والأيام شيخنا أبي عمر سيدي عبد القادر بن علي الفاسي (3) سقى الله ثراه. سلام على سادتنا ورحمة الله وبركاته، وعلى كل من احتوت عليه الأندية العاطرة الرائقة، من فروع شجرتكم المباركة الفائقة، وسائر من احتوت عليه تلك الزاوية الكريمة، من الإخوان الملازمين، والمحبين الزائرين، قدس الله الجميع، وحشرنا كلنا في زمرة الرفيق الرفيع، بمنه وفضله أما بعد،

فنسأل الله تعالى أن يؤجرنا ويؤجركم وسائر المسلمين في المصاب بوالدكم شيخ الجماعة وسراج الملة، وقدوة الوقت، وبركة الوجود، فإنه مصاب عمَّ فجْعُه، وعظُم وقعه:

مصاب لو أن الأرض فلَّ أديمَها لما أنبعت نهراً ولا أنبتت زهرا
ولو أن آفاق السماء أصابها لما أطلعت شمساً ولا أنزلت قَطْرا

وكيف وهو عماد أمن تَخَضَّمَ (4)، وبنيان قوم تهدم، وسراج أطفئ عند إطباق الرجاء، وحُسام غمد عند قيام الهيجاء، نسأله سبحانه أن يحشرنا في الرعيل الأول من زمرة المقربين، ويلحقنا وإياكم آمين، ونسأله سبحانه أن يَجبُر بوجودكم ثُلْمَه، ويخلف بعلومكم علمه، ويفتح أبواب الهداية لمستقيم

---

(1) عبد الرحمان بن الشيخ عبد القادر الفاسي أبو زيد 1040 ــ 1096هـ. أحد أعلام فاس. عالم مشارك كان يلقب بسيوطي زمانه لكثرة حفظه وانتشار مقيداته. صنف نيفاً وسبعين كتاباً منها «مفتاح الشفا» ذيل به «كتاب الشفا» في مجلدين. «وأزهار البساتين» ترجم فيه بعض شيوخ عصره «والأقنوم في مبادئ العلوم» الخ أنظر ترجمته في نشر المثاني ج 2 ورقة 6 أزهار البستان ص 141 التقاط الدرر ص 56 الاعلام ج 82/4

(2) محمد بن عبد القادر الفاسي أبو عبد الله 1042هـ ــ 1116هـ أحد أعلام فاس. عالم مشارك اشتغل أول أمره بعلوم العربية ثم اقتصر على التفسير والحديث من كتبه شرح شواهد ابن هشام وغيرها. أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 81/7

(3) سبقت ترجمته في رسالة جواب الكتاب انظر ص 169 رقم 170

(4) تخضم تقطع وتقوض

منهاجكم ، وينور أرجاء الديانة بمضيء سراجكم ، فما ضل بعون الله من كان له مثل ذلك الشيخ سلفاً ، ولا هلك بحمد الله من كان مثلكم خلفا ، فقد زاحمتم بحمد الله أنجماً بعدد، واستنزلتم الخيرات بمطر جود ، نسأله لنا ولكم التوفيق وتوسط الطريق .

وقد كنت وافاني هذا المصاب ، عند أوبتي من غيبتي ، فأحببت اذ تعذر منا ما هو الأحق من إعمال الأقدام ، أن أكتب بما عسى أن يقوم بشيء نَزْرٍ لما ينبغي لذلك المقام ، فوقع ما لا يستغرب في هذا الدار، من عوارض أكدار، شغلت غيلان (5) عمن مر في هذا الأوان ، وحالت بين النير (6) والنزَوَان (7) فاكتفينا بهذه الأحرف عن شَغْلِ اسْتِعْمَالٍ أقامَهُ لرسم التعزية في الحال . والمطلوب من سيادتكم أن تتحفوا هذا العبد الظلوم لنفسه بدعوة في ذلك المجمع صالحة من قلوب حاضرة.

---

(5) أنظر قصة غيلان في القاموس ج 27/4
(6) النير : الخشبة التي على عنق الثور
(7) النزوان : الحدة والتقلب

الرسالة الستون

رسالة حول عوائد بعض القبائل في الأعراس

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل . وهذه الرسالة فيه من ص 332 إلى ص 333 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق » وقد سبق وصف المخطوطة .

ص 333 أما الصداق فإن سامحت فيه/المرأة فلا بأس. وإلاّ فهو دين لابد أن يؤدَّى. وأما دخول الرجال إلى دار الوليمة فإن كان في ناحية بحيث لا يرون النساء فلا بأس، وإلاّ فلا يجوز. وأما الجحفة (1) فهو ستر لا بأس به، ودورانها على القرية ليس من السنة، وكأن مرادهم به النهاية في الإشهار فلا حاجة إلى فعله، وإن فعله غيركم فلا تعيروه فإنه ليس بحرام. وما ذكر بعد هذا فلا بأس به (2) إلاّ خروجها عن القرية فهو قبيح لا ينبغي فعله إذ هو مظنة التكشف. وإن كان الصبيان كباراً فلا يجوز أن يروها، فضلاً عن أن يحزموها، والتحزم بسعفة الدوم ليس بحرام وليس من السنة. ومن اعتقده سنة فهو مبتدع. وتركه خير من فعله والله الموفق.

(1) الجحفة شكل من أشكال الهودج

(2) ذكر السائل «أنهم يعملون جحفة للعروس ويركبونها. وتدور بالقرية ثلاث مرات. ويتبعها المتلاعبون. وتدخل ويرفعها بعض الخدم. وعند الدخول. يدخل بالطلبة ويقرأون «طه» ويطعمهم ما استطاع واليوم الثالث تخرج العروسة في طرق القرية ومعها الصبيان الذكور والإناث وتسقيهم في يدها ويحزمونها بسعفة الدوم. ويتسابقون ويلعبون ساعة ويرجعون إلى مكانهم».

رسالة في مسألة نحوية التمثيل
للعلم الشخصي «بقرن»
وإضافة الإسم إلى مرادفه

للرسالة نسخة فريدة في مخطوطتي الخاصة التي رمزها حرف «خـ» من ص 157 إلى ص 159.

وقد سبق وصف هذه المخطوطة

الجواب عن الأولى: إن أسماء القبائل قد يقرر كونَ علميتها شخصيةٍ بكون العلم الشخصي يتحقق وضعه بملاحظة التعبير الخارجي، ولا يلزم من اشتراط/ملاحظة الخارج للوضع، تَحَقُّقُ الموضوع له في الخارج وقت الوضع. 158 ب
أو يقال إن الموضوع له الإسم، هو جماعة مشخصة موجودة خارجاً من صفتها كيت وكيت، ككونها من أبناء فلان ومن العرب ونحو ذلك. ثم هذه الجماعة قد يقع فيها نقص وزيادة شيئاً فشيئاً إلى أن يأتي ذلك على آخر الأفراد التي كانت موجودة حين التسمية. لاكن تلك الأوصاف الملحوظة عند التسمية، لم تزل مستمرة في الوجود الخارجي حتي كأنها في الصورة لم تتغير. ولم يطرأ عليها عدم، فنزّلوها منزلة الشيء الواحد المشخص. كما أنهم أيضاً فعلوا ذلك في أسماء البقاع والبلدان، ألا ترى أن الكعبة مثلا قد غُيِّرت مراراً وَبُدِّلَ بناؤها ولم يزل هذا الإسم العلم جاريًّا عليها. وكذا بغداد مثلا لم يزل هذا العلم جاريًّا عليها وإن زِيدَ في أبنيتها أو نقص منها. بل ربما يجري ذلك حتى في بعض الأعلام الأناسي كما قيل في أساف ونائلة العلمان على الصنمين إنهما كانا إنسانين فَمُسِخا واستمر إطلاق هذين الإسمين عليهما.

وبالجملة فالمسألة مشابهة لمسألة أسماء الكتب أو هي هي. وقد اختلف فيها هل هي من الأعلام الجنسية أو الشخصية، واختار الكافيجي (1) أنها أعلام شخصية حيث قال: التحقيق أنه لا يعتبر في شخص الكتاب خصوصية المحل. فالجمع يكون المسمى به واحداً، في الواقع معنى، وهو الكلام المؤلف المنظوم الذي صدر عن مؤلفه على الترتيب الذي وضعه، وهو شيء واحد في الواقع، وإن تعددت محاله المكتوب فيها. قال: وقد يجاب بأنه وضع الإسم لعين ما نسخه المؤلف، ثم وضع لما نسخه منه وضعاً لاتحاد بينهما اتحاد تأكيد كقولك: جاء زيد زيد. انتهى بنقل الحافظ السيوطي عنه. وعلى قياسه تقول هنا إن قرْناً مثلا موضوع للجماعة التي هي موجودة في الخارج متصفة بالبُنُوَّة لفلان مثلا، ثم

---

(1) محمد بن سليمان أبو عبد الله الكافيجي 788 — 869هـ من كبار العلماء بالمعقولات. عرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو له تصانيف أكثرها رسائل منها «نزهة المعرب» في النحو. لازمه السيوطي مدة طويلة وروى عنه. أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 22/7

لا يعتبر في هذه الجماعة المتصفة بهذا الوصف خصوصية أفراد مَعْنيين ، فيفارق العلمَ الجنسيَّ من جهةِ ملاحظةِ الخارجِ في الوضع ، أو تقول هو موضوع لجماعة معينة خارجة ، ثم وضع لما يماثل تلك الجماعة في ذلك الوصف الخاص بوضع ثان . إلا أن هذا الوجه ما أظن له صحة هنا لأنه يقتضي رجوع ذلك إلى الاعلام العارضة الاشتراك ، وذلك مناف لإطلاق الإسم الواحد على مجموع القبيلة ، بحيث يشمل كل جماعة جماعة على اختلاف أزمتها ، وإن كان قد يطلق أيضا على البعض بقرينة والله أعلم.

وقولكم في السؤال : ولا يزال يطلق على كل مولود منهم الخ

إن أريد إطلاقه على ذلك الواحد المولود بحيث يطلق « قَرْن » ويراد به رجل منهم مثلا ، فمنعه ظاهر ، إذ لم يقع ذلك ، وإن أريد أن ذلك مما يشمله الإطلاق ويدخل في الجماعة المسماة ، فصحيح ولا شيْ فيه بمقتضى ما قررناه . ومما يزيده وضوحاً أن ذلك الواحد هو جزء أو كالجزء من المسمى ، ولا يلزم ذهاب الإسم بزيادة جزء أو نقصه في المسمى . إذ يلزم عليه أن من سمي عند ولادته لا يبقى له ذلك الإسم عند كبره لأنه قد زيد فيه أضعاف ما كان فيه من الأجزاء حين التسمية ، وكذا من قطع منه عضو قد نقص منه جزء مما كان موجودا وقت التسمية . وأما قولكم وأيضا الذهن إنما/هو محل لتشخيص الحقائق لا الأفراد فهو مما يتعجب منه ولعله سَبْقُ قلم ، أو مراد بِه غير ظاهره . ولا نطيل بالكلام عليه ، إذ هو واضح جدّاً والله اعلم .

ص 159

والجواب عن المسألة الثانية أن إضافة الإسم إلى اللقب جارية على قاعدتهم من تقدير التنكير في الأعلام عند إضافتها . وبيانه إما عند من يجيز إضافة الشيْ إلى نفسه ، فكل من الإسمين مراد به المسمى . إلا أن الأول قدر تنكيره دون الثاني . ونظيره : غلامُ زيدٌ . حيث يراد بالغلام نفس زيد ، أي غلام هو زيد . والاختلاف بالتعريف والتنكير لا يخرجه عن إضافة الشيْ إلى نفسه ، لأن المراد الاتحاد في المصدوق ، لأنه متعلق الأحكام في الغالب . فغلام وزيد متساويان مصدوقاً وإن تباينّا مفهوماً . وكذا سعيد كُرْزٍ عند تنكير سعيد متساويان مصدوقاً لا مفهوماً . وأما على مذهب البصريين ، فإنك إذا قلت جاء سعيد كرز

مثلا فكأنك قلت جاء مسمى هذا الإسم فيكون المراد بالمضاف الذات . وبالمضاف إليه : اللفظ الدّالّ . وذلك لأن اللفظ تارة يقصد به المدلول . وتارة يراد به نفس اللفظ بحسب القرائن . تقول جاءني زيد فيكون الجائي هو مسمى زيد وتقول كتبت زيدا فيكون المكتوب إسم زيد فقولك سعيد قُدر تنكره ، وأضيف إلى كرز ، مراد بكرز لفظه فهو حينئذ علم للكلمة . وليس هو الآن معرفا بكونه علماً للذات ، وإن كان دالا عليها بالإلتزام في خصوص هذا التركيب ونحوه . فهما بهذا الاعتبار إسمان متباينان مصدوقاً . وأحرى مفهوماً . ونظيره من الأمثلة قولك : دال زيد منونة . وميم عمر مسكنة ونحو ذلك . وإذا قلت كتبت سعيد كرز قُدِّرَ على العكس . وهو أن الأول يراد به الإسم والثاني المسمى إن كان المكتوب لفظ سعيد فقط . وإلاّ فالمجموع محكي بمنزلة قلت سعيدٌ كرز أي هذا اللفظ يقدر تنكير الأول على حسب ما قررنا.

هذا والقاعدة المذكورة وهي أن الإسم لا يضاف حتى ينكر غير متفق عليها فقد قال المحقق الرضي (2) : وعندي أنه يجوز إضافة العلم مع بقاء تعريفه ، إذ لا مانع من اجتماع التعريفين إذا اختلفا ، إلى آخر كلامه . وما استدل به في السؤال على منع تقدير التنكير غير ظاهر. لأنه إن أريد أن لفظ سعيد مثلا مؤول بنفس الذات الخارجية بحيث أنه جُعِلَ في موضعها فهذ غير معقول ، وضروري الاستحالة . وإن أريد ما قدمناه من أن لفظ سعيد ما أول بكون مدلول الذات الخارجية غير المُعَيَّنَةِ ، ولفظ كرز أُريد به اللفظ لا المدلول الوضعي . فصحة تقدير التنكير بما تقدم من التقرير أوضح من شمس النهار فما وجه الإنكار ؟ والله الموافق للصواب بمنه.

---

(2) محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي ... — 686هـ عالم بالعربية من طبرستان اشتهر بكتابيه « شرح الكافية » لابن الحاجب مطبوع في النحو جزآن « وشرح مقدمة ابن الحاجب » مطبوع وهي المسماة بالشافية في علم الصرف.
أنظر ترجمته ومصادرها في الاعلام ج 317/6

الرسالة الثانية والستون

رسالة قصيرة في إعراب « لو »
وتعريف الضوء والظل

للرسالة نسخة فريدة من مجموع مخطوطة المكتبة الناصرية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 302 الذي توجد فيه جل الرسائل. وهذه الرسالة فيه من ص 220 إلى ص 221 ورمزها كما هو معلوم حرف « ق »

وقد سبق وصف المخطوطة.

ص 220 (فأجاب بعد الحمدلة والتصلية فقال)[1]

ليس لِلَوْ يا سائلي أقسامُ	خلاف ما قدر ذا النظامُ
لكنها حرف امتناع لامتناعِ	بكل حال في مشاهير السماعِ
وإنما يختلف المدخول فِي	نفي واثبات وكل ينتفِى
وكون نفي النفي كالوجودِ	أمر تبيع ليس بالمقصودِ
وهي لدا التحقيق حرف يقْتَضِي	أمرين دائما وذا أمر قُضِي
فيقتضي امتناع ما يوالِي	ويقتضي استلزام ذا للتّالي
ففي مثال : « لو أتاني الساعي	أكرمته » الإتيان ذو امتناعِ
لكنه السبب في الإكرامِ	لو كان كان فافهما مَرَامي
وهذه اشارة وشرح مَا	يطلب فيها في صدور العُلَمَا

وأما الضوء والظل فالأول منهما جرم والثاني عرض ، وهذا على الجملة ، وفي الضوء تفصيل فإن ما يرجع إلى الأشعة كأشعة الشمس أجرام ، وما يتصل بأجرام أخرى من ضوء الشمس أو غيرها أعراض . وفي هذا كله كلام لا يتسع له الوقت ، وربما لا تسعه عقولكما إلا أن يقدر مشافهة وما أشرتما إليه من الإشكال بعدم العَرَض على تقدير الجرمية ، وَهْمٌ لا حاصل له ، فإن الجرم لا تنحصر أعراضه في الألوان المشاهدة . ألا ترى الماء جرم ولا لون له أصلا . والاعراض غير ذلك كالأكوان والأوضاع ونحو ذلك كثيرة . وقد يوجد اللّون بنفسه ولا يتحقق لضعفه أو مزاحمة عوارض والله الموفق . وكتب عن عجل عبد الله تعالى الخ.

---

1 — مقدمة من قول الناسخ

ملحق

الرسالة المشكوك في صحة نسبتها
لأبي علي اليوسي (1)

توجد ضمن مجموع مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم جـ 647 من صفحة 1 إلى صفحة 21 في أوراق صغيرة من حجم 5،16×11 وعدد سطور الصفحة 13 سطرا باطراد ومعدل عدد كلمات السطر الواحد تسع كلمات.

---

(1) انظر المقدمة ص 24 — 25

ص 1 بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

رسالة سيدي الحسن اليوسي للسلطان سيدي مولاي[1] إسماعيل نفع الله بها المسلمين آمين.

(فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته عز وجل ، ومزايلة سخطه ، واحفظ رعيتك في الليل والنهار ، والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومسؤول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل ، وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه.

ص 2 فإن الله سبحانه قد أحسن اليك وأوجب الرأفة/عليك بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل فيهم ، والقيام بحقه وحدوده عيهم ، والذب عنهم والدفع عن حريمهم ومنصبهم ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسربهم ، وإدخال الراحة عليهم . ومواخذك بما فرض عليك ، وموقفك عليه ، وسائلك عنه ، ومثيبك عليه ، بما قدمت وأخرت ، فافرغ لذلك فهمك وعقلك وبصرك ، ولا يشغلك عنه شاغل ، وأنه رأس أمرك وملاك شأنك ، وأول ما يوقفك الله عز وجل عليه ، وليكن أول ما تلزم به نفسك ، وتنسب إليه فعلك ، المواظبة على ما فرض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قِبَلَك ، وتوابعها على سننها من إسباغ الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها ، ورتِّل في قرائتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ، ولتصرف فيه رأيك ونيتك ، واحضض/عليه جماعة ممن معك وتحت يدك ، وادأب عليها ، ص 3 فإنها كما قال الله عز وجل : « تنهى عن الفحشاء والمنكر».

ثم أتبع ذلك بالأخذ من سنن رسول ﷺ ، والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء أثر السلف الصالح من بعده ، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه ، وبلزوم ما أنزل الله عز وجل في كتابه من مره ، ومن نهيه ، وحلاله وحرامه ، وائتمام ما جاءت به الآثار ، عن رسول ﷺ ثم قم فيه بالحق لله عز وجل.

1 — كذا في الأصل.

ولا تميلن عن العدل فيما أحببت أو كرهت ، لقريب من الناس أو لبعيد . وآثر الفقه وأهله ، والدين وحملته ، وكتاب الله عز وجل . والعاملين به فإن أفضل ما يتزين به المرء الفقه في الدين والطلب له ، والحث عليه ، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله عز وجل/فإنه الدليل على الخير كله والقائد عليه والآمر به ، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها ومع توفيق الله عز وجل يزداد المرء معرفة وإجلالا له ، ودركاً للدرجات العلا في المعاد، ومع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرك ، والهيبة لسلطانك والأنسة بك والثقة بعدلك.

ص 4

وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها ، فليس شيْ أبين نفعاً ، ولا أخص أمناً ولا أجمع فضلاً منهُ . والقصد داعية إلى الرشد ، والرشد دليل على التوفيق ، والتوفيق قائد على السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد . وكذا في دنياك كلها . ولا تُقَصِّر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة ، ومعالم الرشد والإعانة ، والاستكثار من البر والسعي له إذا كان يطلب به وجه الله تعالى ومرضاته ، ومرافقة أولياء الله في /دار كرامته . أما تعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ويمحص من الذنوب ؟ وإنك لن تحوط نفسك من قائل ، ولا تنصلح أمورك بأفضل منه فأْتِهِ واهْتَدِ به تتم أمورك، وتزيد مقدرتك ، ويصلح عامتك وخاصتك .

ص 5

وأحسن ظنك بالله عز وجل ، تستقم لك رعيتك . والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها ، تستدم به النعمة عليك . ولا تتهمن أحداً من الناس فيما توليه من عملك ، قبل أن تكشف أمره ، فإن إيقاع التهم بالبرآء والظنون السيئة بهم إثم ، فاجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم ، وارفضه فيهم ، يُعنك ذلك على استطاعتهم ورياضتهم . ولا تتخذن عدو الله الشيطان في أمرك معمداً ، فإنه إنما يكتفي بالقليل من وهنك ، ويدخل عليك من الغم/بسوء الظن بهم ما ينغص لذاذة عيشك.

ص 6

واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة ، وتكتفي به ما أحببت كفايته من أمورك ، وتدعو به الناس إلى محبتك والاستقامة في الأمور كلها . ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسئلة والبحث عن أمورك ،

والمباشرة لأمور الأولياء ، وحياطة الرعية والنظر في حوائجهم ، وحمل مؤوناتهم أيسر عندك مما سوى ذلك ، فإنه أقوى للدين وأحيى للسنة.

وأخلص نيتك في جميع هذا ، وتفرد بتقويم نفسك ، تَفَرُّدَ من يعلم أنه مسؤول عما صنع ، ومجزى بما أحسن ، ومؤاخذ بما أساء . فإن الله عز وجل جعل الدنيا حرزاً وعزاً ، ورفع من اتبعه وعززه.

واسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقه الأهدى ، وأقم حدود الله تعالى في أصحاب الجرائم ، على قدر منازلهم/وما استحقوه ، ولا تعطل ذلك ولا تتهاون به ، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة ، فإن في تفريطك في ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك ، واعتزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة ، وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك. وتتم لك مروءتك. وإذا عاهدت عهداً فاوف به. وإذا وعدت الخير فانجزه ، وأقبل الحسنة وادفع بها ، واغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وابغض أهل النميمة ، فإن أول فساد أمورك في عاجلها وآجلها ، تقريب الكذب ، والجرأة على الكذب لأن الكذب رأس المأثم ، والزور والنميمة خاتمتها . لأن النميمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا يستقيم له أمر ، وأحبب أهل الصلاح والصدق ، وأعن الأشراف بالحق وأعن الضعفاء . وصل الرحم وابتغ/بذلك وجه الله تعالى وإعزاز أمره ، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة.

ص 7

ص 8

واجتنب سوء الأهواء والجور ، واصرف عنهما رأيك ، واظْهِر براءتك من ذلك لرعيتك ، وأنعم بالعدل سياستهم ، وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التي تنتهى بك إلى سبيل الهدى ، واملك نفسك عند الغضب ، وآثر الحلم والوقار . وإياك والحدة والطيش والغرور ، فيما أنت بسبيله . وإياك أن تقول أنا مسلم أفعل ما أشاء ، فإن ذلك سريع إلى نقض الرأي وقلة اليقين لله عز وجل . واخلص لله وحده النية فيه واليقين

وأعلم أن الملك لله سبحانه وتعالى ، يوتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ، ولن تجد تغيّر النعمة وحلول النقمة إلى أحد أسرع منه إلى جهلة النعمة من أصحاب

ص 9 السلطان ، والمبسوط لهم في الدولة ، إذا كفروا نِعَمَ الله وإحسانه/واستطالوا بما أعطاهم الله عز وجل من فضلك ، ودع عنك شر نفسك ، ولتكن دخائرك وكنوزك التي تذخر وتكتنز البر والتقوى ، واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم ، والتفقد لأمورهم والحفظ لدمائهم والإغاثة لملهوفهم ، واعلم أن الأموال إذا اكتنزت واذخرت في الخزائن لا تنمو ، وإذا كانت في صلاح الرعية وإعطاء حقوقهم ، وكف الإذاية عنهم ، نمت وزكت وصلحت به العامة ، وترتبت به الولاية ، وطاب به الزمان ، واعتقد فيه العز والمنفعة . فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله ، ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأوف من ذلك حِصَصَهم ، وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم ، فإنك إذا فعلت قرت النعمة لك ، واستوجبت المزيد من الله تعالى ، وكنت
ص 10 بذلك على جباية/أموال رعيتك وخراجك أقدر ، وكان الجمع لما شملهم من عدلك وإحسانك أساس لطاعتك ، وطب نفساً بكل ما أردت . واجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب ، وليعظم حقك فيه . وإنما يبقَى من المال ما أنفق في سبيل الله ، وفي سبيل حقه ، واعرف للشاكرين حقهم ، وأثبهم عليه.

وإياك أن ينسيك الدنيا وغرورها ، هول الآخرة ، فتتهاون بما يحق عليك . فإن التهاون يورث التفريط والتفريط يورث البوار . وليكن عملك لله عز وجل ، وفيه ، وارج الثواب فإن الله سبحانه قد أسبغ عليك فضله ، واعتصم بالشكر ، وعليه فاعتمد يزدك الله خيراً وإحساناً ، فإن الله عز وجل يثيب بقدر شكر الشاكرين ، وإحسان المحسنين . ولاتحقرن ذنباً ، ولا تماثلن حاسداً ، ولا ترحمن
ص 11 فاجراً ، ولا تطع كفوراً ، ولا تداهن عدواً ، ولا تصدق نماماً/ولا تَأْمَنَنَّ عدوّاً ، ولا توالين فاسقاً ولا تتبعن غاوِيّاً ، ولا تحمدن مُرائياً ، ولا تحقرن إنساناً ، ولا تردَّنَّ سائلاً فقيراً ، ولا تُحسِّنن باطلاً ، ولا تلاحظن مضحكاً ، ولا تخلفن وعداً ، ولا تذهبن فخراً ، ولا تظهرن غضباً ، ولا تباينن رجاء ، ولا تمشين مرحاً ، ولا تُزَكِّين سفيهاً ، ولا تفرطن في طلب الآخرة ، ولا ترفع للنمام عيناً ، ولا تغمض عن ظالم رهبة منه أو محاباة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا ، وأكثر مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم ، وخد عن أهل وذوي العقل

والرأي والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل الذمة والبخل ، ولا تسمعن لهم قولا ، فإن ضررهم أكثر من نفعهم ، وليس شيئ أسرع فساداً لما استقبلت فيه أمر رعيتك من الشح.

واعلم أنك إذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ قليل العطية ، وإذا كنت

ص 12 كذلك لم يتسقم أمرك إلا قليلا ، فإن رعيتك إنما تعتقد على محتك/بالكف عن أموالهم ، وترك الجور عليهم . ووالِ من صفا لك من أوليائك بالاتصال إليهم ، وحسن العطية لهم ، واجتنب الشح واعلم أنه أول ما عصى به الإنسان ربه ، وأن العاصي بمنزلة الخزْي ، وهو قول الله عز وجل « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ». فسهل طريق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم في بيتك حظاً ونصيباً ، وأيقن أن الجود أفضل أعمال العباد ، فأعده لنفسك خلقاً ، وارض به عملا ومذهباً ، وتفقد الجند في دواوينهم ومكاتبهم ، وأدر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم في معاشهم ، يذهب الله عز وجل بذلك فاقَتَهم ، فيقوى لك أمرهم وتزيد قلوبهم في طاعتك وأمرك، خلوصاً وانشراحاً ، وحسب ذي السلطان من السعادة ، أن يكون على جنده ورعيته ، في عدله وعطيته وإنصافه

ص 13 وعنايته ، وشفقته وبره/وتوسعه ، فدلل مكروه أحد البابين باستشعار فضل الباب الآخر ، ولزوم العمل به ، تلق إن شاء الله تعالى به نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً.

واعلم أن القضاء من الله تعالى ، بالمكان الذي ليس به شيئ من الأمور ، لأنه ميزان الله الذي يعدل عليه أحوال الناس في الأرض . وبإقامة العدل في القضاء والعمل ، تصلح أحوال الرعية ، وتأمن السبل ، وينتصف المظلوم ، وتأخذ الناس حقوقهم ، وتحسن المعيشة ، ويؤدى حق الطاعة ، ويرزق من الله العافية والسلامة ، ويقيم الدين ويُجرِي السنن والشرائع في مجاريها . واشتد في أمر الله عز وجل ، وتورع عن الظن ، وامض لإقامة الحدود ، واقلل العجلة ، وابعد عن الضجر والقلق ، واقتنع بالقسم ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه في صحتك ،

ص 14 وسدد في منطقك ، وأنصف الخصم ، وقف عند/الشبهة ، وأبلغ في الحجة ولا تأخذك في أحد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ولا لومة لائم ، وتثبت وتأن ، وراقب وأنظر ، وتفكر وتدبر واعتبر ، وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية ، وسلط الحق على نفسك ، ولا تسرعن إلى سفك الدماء من الله عز وجل بمكان

عظيم انتهاكا لها بغير حقها. (1)

وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية ـ وجعله الله للإسلام عزاً ورفعه ، ولأهله توسعة ومنعة ، ولعدوه كبتاً وغيظاً ـ ولأهل الكفر من مُعادِيهم ذلا وصغاراً ، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم ـ ولا تدفعن شيئاً منه عن شريف لشرفه ، ولا عن غني لغناه ، ولا عن كاتب لك ـ ولا لأحد من خاصتك ولا حاشيتك ، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ـ ولا تُكَلِّف أمراً فيه شطط ، واحمل الناس كلهم على مُرِّ الحق/ ، فإن ذلك أجمع لألفتهم ، والزم إرضاء العامة. ص 15

واعلم أنك إذا جعلتَ بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً وإنما سمي أهل عملك رعيتك ، لأنك راعيهم وقيمهم ، فخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ـ ونفذه في قوام أمرهم وصلاحهم ، وتقويم أودهم ، واستعمل عليهم أولي الرأي والتدبير ـ والتجربة ، والخبرة بالعلم ، والعدل بالسياسة والعفاف ، ووسع عليهم في الرزق ـ فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلَّدت وأُسنِد إليك. فلا يشغلك عنه شاغل ولا يصرفك عنه صارف ، فإنك متى آثرته وقمت فيه بالواجب ـ استدعيت به زيادة النعمة من ربك ، وحسن الأحدوثة في عملك ـ واستجررت به المحبة من رعيتك ، وأعنت على الصلاح. فدرتِ الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر الخصب في كورك وكثر/خراجك ـ وتوفرت أموالك ، وقويت بذلك على ارتباط جندك ، وإرضاء العامة بإضافة العطاء فيهم من نفسك ، وكنت محمود السياسة ، مرضي العدل في ذلك عند عدوك ، وكنت في أمورك كلها ذا عدل وآلة ، وقوة وعدة ، فتنافس فيها ولا تقدم عليها شيئاً ، تحمد عاقبة أمرك إن شاء الله تعالى. ص 16

واجعل في كل كورة من عملك أميناً يخبرك خبر عمالك ويكتب إليك بسيرهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل في عمله ـ معايناً لأموره كلها وإذا

(1) معنى هذه الجملة لا يستقيم ـ وربما هناك إسقاط من طرف الناسخ

أردت أن تأمرهم بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك ، فإن رأيت السلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فامضه . وإلا فتوقف عنه وراجع أهل البصر والعلم به . ثم خذ فيه عدته . فإنه ربما نظر الرجل في أمره
ص 17 وقد أتاه على ما يهوى فأغواه ذلك/وأعجبه ، فإن لم ينظر في عواقبه أهلكه . ونغص عليه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت ، وباشره بعد عون الله عز وجل بالقوة ، وأكثر من استخارة ربك في جميع أمورك ، وأفرغ من عمل يومك ولا تؤخره ، وأكثر مباشرته بنفسك ، فإن لغدٍ أموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت . واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، فإذا أخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيشغلك ذلك حتى ترضى منه . وإذا أمضيت لكل يوم عمله ، أرحت بدنك ونفسك ، وجمعت أمر سلطانك.

وانظر أحرار الناس وذوي الفضل منهم ، ممن بلوت صفاء طويتهم ، وشهدت مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على أمرك ، فاستخلصهم وأحسن إليهم . وتعاهد أهل البيوتات ، ممن قد دخلت عليهم الحاجة . واحتمل مؤونتهم ، وأصلح حالهم ، حتى لا يجدوا لخلتهم منافراً . وأفرد نفسك بالنظر في
ص 18 أمور/الفقراء والمساكين من لا يقدر على رفع مظلمته إليك ، والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه ، فسل عنه أخفى مسئلة ، وكلف بأمثاله أهل الصلاح في رعيتك ، ومُرْهُم برفع حوائجهم وخلالهم ، لتنظر فيما يصلح الله به أمرهم ، وتعاهد ذوي البأساء ويتاماهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال اقتداء بأمير المؤمنين أعزه الله تعالى في العطف عليهم ، والصلة لهم ، ليصلح الله بذلك عيشهم ، ويرزقك به بركة وزيادة . وأجْرِ للأمراء من بيت المال ، وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجرائد على غيرهم . وأنصب لمرضى المسلمين دُوراً تأويهم ، وقوماً يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسعفهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك إلى سرف في بيت المال ، واعلم أن الناس إذا أعطوا
ص 19 حقوقهم ، وفضل أماناتهم لم تبرمهم . وربما تبرم/المتصفح لأمور الناس ، لكثرة ما يرد عليه ويشغل ذكره وفكره منها ما ينال به مؤونة ومشقة وليس من يرغب في العدل يعرف محاسن أموره في العاجل ، وفضل ثواب الآجل ، كالذي يستقري ما يقربه إلى الله تعالى ويلتمس رحمته.

وأكثر الإذن للناس عليك ، وأرِهُم وجهكَ ، وسكن حراسك واخفض لهم جناحك ، وأظهر لهم بشرك ، وَلِنْ لهم في المسألة والنطق ، واعطف عليهم بجودك وفضلك . وإذا أعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس ، والتمس للصنيعة والأجر من غير تكريم ولا امتنان . فإن العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله . واعتبر بما ترى من أمور الدنيا . ومن مضى من قبلك من أهل السلطان والرياسة ، في القرون الخالية والأمم البائدة ، ثم اعتصم في أحوالك كلها بالله سبحانه وتعالى ، والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته ، وبإقامة/دينه وكتابه ، واجتنب ما فارق ذلك وما خالفه ودعا إلى سخط الله عز وجل. ص 20

واعرف ما تجمع عمالك من الأموال . وما ينفقون منها ، ولا تجمع حراماً ولا تنفق إسرافاً . وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم . وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها ، وإيثار مكارم الأخلاق ومقالتها ، وليكن أَكْرَمُ دُخَلاَئِك وخاصَّتك عليك ، من إذا رأى عيباً لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في ستر ، وإعلامك بما فيه من النقص . فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهر بذلك . وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتاً ، يدخل فيه بكتبه ومؤامرته وما عنده من حوائج عمالك ، وأمور الدولة ورعيتك . ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك ، سمعك وبصرك ، وفهمك وعقلك . وكرر النظر فيه والتدبر له ، فما كان موافقاً للحق والحزم فامضه/. واستخر الله عز وجل فيه . وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى المسئلة عنه والتثبت. ص 21

ولا تمنن على رعيتك ولا غيرهم بمعروف توتيه إليهم . ولا تقبل من أحد إلا الوفاء والاستقامة ، والعون في أمور المسلمين . ولا تضعن المعروف إلا على ذلك . وتفهم كتابي إليك وأمعن النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره ، فإن الله عز وجل مع الصلاح وأهله . وليكن أعظم سيرتك وأفضل رغبتك ما كان لله عز وجل رضىً ، ولدينه نظاماً ، ولأهله عزاً وتمكيناً ، وللملة والذمة عدلاً وصلاحاً ، وأنا أسأل الله عز وجل أن يُحْيِي عونك وتوفيقك ، ورشدك وكلاءتك والسلام.

فهارس الكتاب

الفهرس العام لمواضيع الكتاب

فهرس الدراسة النقدية ج 1

فهرس الرسائل

الرسائل في التوحيد 471

الرسائل في الفقه 523

الرسائل في مواضيع مختلفة

فهرس الأحاديث النبوية الواردة في الرسائل

— أ —

— ل —

ـ ن ـ

— ي —



فهرس الأعلام

ـ أ ـ

ـ ح ـ

ـ خ ـ

— ش —

— ص —

— ظ —

— ع —

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

— ك —

— ل —

— م —

— ن —

— هـ —



فهرس مصطلحات التوحيد



فهرس مصطلحات الفقه

— ص —

— ض —

— ظ —

— ط —

— ع —

— غ —

— ف —

— ق —

— ك —

فهرس مصطلحات التصوف

— ح —

— خ —

— د —

— ذ —

— ر —

— ز —

— س —

فهرس البلدان والقبائل والطوائف

فهرس الكتب والمؤلفات الواردة في الرسائل

— أ —

— ب —

— ت —

— ح —

— ر —

— ز —

— س —

— ش —

— ع —

— ص —

— ف —

— ق —

— م —

فهرس الأمثال الواردة في الرسائل

— أ —

— ب —

— ح —

— ر —

— ش —



مراجع التحقيق والتعليق

1 ــ اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس . لعبد الرحمان بن زيدان

2 ــ احياء علوم الدين . لأبي حامد الغزالي .

3 ــ ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري . لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني وبهامشه صحيح مسلم وشرح النووي عليه .

4 ــ الاحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش . لأبي محمد عبد الله بن عمر العياشي . مخطوطة خ ع ر تحت رقم د 1433

5 ــ الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب . لمحمد الطيب العلمي مخطوط خ ع ر ك 405 طبع طبعة حجرية

6 ــ الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام لعباس بن ابراهيم التعارجي خمسة أجزاء مطبوعة .

7 ــ الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين الطبعة الثالثة . لخير الدين الزركلي .

8 ــ الأغاني . لأبي الفرج علي بن الحسن الاصبهاني . طبعة دار الكتب المصرية

9 ــ الاغتباط بتراجم أعلام الرباط لمحمد بوجندار مخطوطة الخزانة العامة بالرباط د 1287 .

10 ــ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى . للشيخ أبي العباس أحمد الناصري مطبوعة دار الكتاب 1956

11 ــ انباء الغمر بأنباء العمر . لشيخ الاسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني تحقيق الدكتور حسن حبشي

12 ــ إليغ قديما وحديثا. للمختار السوسي. المطبعة الملكية الرباط 1386هـ

13 ــ إيضاح المكنون في الذيل عن كشف الظنون عن أسماء الكتب

والفنون . لاسماعيل البغدادي باشا . المطبعة البهية اسطانبول . 1364 — 1945

14 — البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية . لسليمان الحوات مخطوط الخزائن العامة بالرباط د 261

15 — البستان الظريف في دولة مولاي الشريف . لأبي القاسم الزياني مخطوط خ ع ر د1577

16 — تاج العروس من جواهر القاموس . للشيخ مرتضي الزبيدي

17 — تاريخ الدولة السعيدة . لأبي عبد الله الضعيف الرباطي . مخطوطة الخزانة العامة بالرباط د758

18 — تاريخ العرب الأدبي لبروكلمان ج 2 ص 456/455

19 — تاريخ المغرب الأقصى . لهانري تيراس

20 — تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي . للدكتور حسن ابراهيم حسن مكتبة النهضة المصرية .

21 — تحقيق النصوص ونشرها . لمحمد عبد السلام هارون .

22 — تحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبد القادر مخطوطة خ ع ر كـ 2830

23 — تحفة الاعلام . لأبي القاسم الزياني . مخطوطة خ ع ر كـ 224

24 — الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب . لأبي القاسم الزياني مخطوطة خ ع ر د 658

25 — الترجمانة الكبرى في اخبار المعمور برا وبحرا . لأبي القاسم الزياني

26 — التكملة لكتاب الصلة للامام أبي عبد الله محمد القضاعي ابن الابار

27 — تكميل المرام بشرح شواهد بن هشام . طبع طبعة حجرية بفاس

28 — تصدير كتاب القانون . للصقلي الفاطمي الحسيني طبعة فاس 1910

29 — التفسير الكبير : مفاتيح الغيب . للامام أبي عبد الله محمد بن عمر الفخر الرازي

30 — تقديم شفاء السائل لتهذيب المسائل . لابن خلدون تحقيق محمد بن تاويت الطانجي . اسطنبول 1958

31 — التشوف إلى رجال التصوف . لأبي يعقوب يوسف بن يحي ابن الزيات

32 — الثغر الباسم في جملة من كلام أبي سالم . لمحمد بن حمزة بن عبد الله العياشي الخزانة العامة كـ 304

33 — الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي الشريف السجلماسي . لمحمد بن أحمد اكنسوس مخطوطة خ ع ر د 965

34 — حدائق الأزهار الندية في التعريف بأهل الزاوية البكرية . لليازغي . مخطوطة الخزانة العامة بالرباط د 261

35 — الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية . لمحمد بن محمد الاغريسي مخطوطة الخزانة العامة بالرباط د 1463

36 — دائرة المعارف . لبطرس البستاني

37 — الدر المنضد الفاخر فيما لأبناء مولانا على الشريف من المحاسن والمفاخر . لمحمد بن عبد القادر الكلالي الحسني المعروف بالكردودي

38 — الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة . لمحمد بن موسَى بن ناصر . مخطوطة خ ع ر كـ 265

39 — دليل مؤرخي المغرب الأقصَى . لعبد السلام بنسودة . جزآن دار الكتاب د 1960

40 — دفاع عن الشريعة لعلال الفاسي

41 — دوحة البستان ونزهة الاخوان في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمان . لمحمد بن علي الزيادي مخطوطة الخزانة العامة بالرباط د 390

42 — ديوان الحماسة . لأبي تمام . شرح التبريزي . الطبعة الازهرية جزء واحد

43 — ديوان بشار بن برد . تحقيق ابن عاشور 1950

44 — ديوان امرئ القيس . تحقيق أبو الفضل ابراهيم . دار المعارف المصرية سلسلة دخائر العرب . الطبعة الثانية 1964

45 — ديوان النابغة الدبياني . طبعة بيروت 1929

46 — ديوان أبي نواس . تحقيق ايفالد فاكنر . النشرات الاسلامية بيروت 1962

47 — ديوان المتنبي . شرح عبد الرحمان البرقوقي

48 — ديوان أبي العتاهية . للدكتور شكري فيصل جامعة دمشق

49 — ديوان الششتري. تحقيق علي سامي النشار طبعة 1960
50 — الرحلة الكبرى لأحمد بن ناصر الدرعي مخ خ ع ر ك 86
51 — الرحلة لأبي العباس بن أحمد الهشتوكي مخ خ ع ر ق 147
52 — الرعاية لحقوق الله. للحارث بن أسد المحاسبي. تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود.
53 — الرسالة القشيرية. للامام أبي القاسم القشيري. تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود الشريف مصر 1966
54 — الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقَى القريض. لمحمد بن زاكور مخ خ ع ر ك 357
55 — روضة التعريف لمفاخر مولانا اسماعيل الشريف. لمحمد الصغير اليفراني مخ خ ع ر د 58
56 — رياض الورد إلى ما انتهَى إليه هذا الجوهر لفرد. لأبي عبد الله الطالب بن حمدون بن الحاج. مخ خ ع ر د 111
57 — الزاوية الدلائية. لمحمد حجي طبعة 1964
58 — زهر الأكم. لأبي علي اليوسي. مخ خ ع رع ج 596
59 — سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس. لمحمد بن جعفر الكتاني. طبعة حجرية 3 مجلدات
60 — سوس العالمة. لمحمد المختار السوسي. مطبعة فضالة المحمدية
61 — شرح شواهد بن عقيل على الفية ابن مالك. للجرجاوي عبد المنعم دار الكتب العربية المصرية 1329هـ ج 1
62 — شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. لمخلوف محمد القاهرة 1350هـ
63 — الشفا بتعريف حقوق المصطفَى. للقاضي عياض. مخ خ ع ر حـ 425
64 — صحيح مسلم بشرح النووي. للامام الحافظ ابن زكريا يحي بن شرف النووي على هامش ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري.
65 — صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر. لمحمد الصغير اليفراني مخطوطة الخزانة العامة بالرباط د 54

66 — الطبقات المسماة بلوائح الأنوار في طبقات الأخيار. لعبد الوهاب الشعراني المطبعة العثمانية بمصر 1316
67 — الطبقات والمناقب لمحمد بن أحمد الحضيكي. مخ خ ع ر د 1123
68 — طلعة المشتري في النسب الجعفري. لأحمد بن خالد الناصري طبعة حجرية بفاس
69 — ضحَى الاسلام. لأحمد أمين
70 — عجائب الآثار في التراجم والأخبار. للجبرتي. طبعة قديمة
71 — العقد الفريد. لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي. تحقيق أحمد أمين وجماعة الطبعة الثالثة
72 — عوارف المعارف. لأبي حفص عمر بن محمد السهروردي
73 — الفتح الوهبي في مناقب الشيخ أبي المواهب مولانا المعطي بن صالح. مخطوطة خ ع ر ك 2312
74 — الفتوحات الوهبية لشرح الأربعين حديثا النووية. للشيخ ابراهيم بن مرعي بن عطية الشبرخيتي
75 — الفهرست. لأبي علي اليوسي. مخ خ ع ر ك 1234
76 — الفهرست لأبي القاسم العميري الجابري التادلي. مخ خ ع ر ك 1361
77 — فهرست الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي الكتاني. المطبعة الجديدة 1346هـ
78 — فوات الوفيات. لصلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي. بولاق 1283
79 — فيض القدير لشرح الجامع الصغير للشيخ عبد الرؤوف المناوي مصر 1938
80 — القرآن الكريم
81 — قوت القلوب للشيخ أبي طالب المكي القاهرة 1310هـ
82 — كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون. لحجي خليفة
83 — كناشة علمية. لمحمد بن علي الدكالي. مخ خ ع ر. ج 91
الكامل في اللغة والأدب. لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد. مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

84 — التقآط الدرر ومستفاد المواعض والعبر من أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر. للقادري محمد بن الطيب. مخ خ ع ر. د 676
85 ـ لسان العرب للامام جمال الدين بن منظور
86 — مؤرخو الشرفاء. ليفي بروفنسال. باريس 1922
87 — مباحث الأنوار. لأبي يعقوب الولالي. مخ خ ع ر ق 342
88 — مجمع الامثال للميداني أبو الفضل أحمد بن محمد بن ناصر النيسابوري. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة مصر 1959
89 — المحاضرات لأبي علي اليوسي. طبعة فاس
90 — مرآة المحاسن في أخبار الشيخ أبي المحاسن. لمحمد العربي الفاسي مخ خ ع ر كـ 2398
91 — مناقب الشيخ العكاري. مخ خ ع ر د 88
92 — المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر مولاي اسماعيل بن الشريف. لعبد الرحمان بن زيدان مخ خ ع ر جـ 595.
93 — معجم المؤلفين. لكحالة عمر رضا. دمشق 1957/1377
94 — مقامات الحريري. شرح أحمد الشريشي.
95 — مشكاة المصابيح. للخطيب التبريزي.
96 — المغني عن حمل الأسفار في الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الأخبار. للحافظ أبي الفضل عبد الرحيم العراقي بحاشية احياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي
97 — المقاصد الحسنة في بيان كثير من. الأحاديث المشتهرة على الألسنة للحافظ أبي الخير محمد السخاوي
89 — الموافقات: للشاطبي
99 — المورد الهني باخبار مولاي عبد السلام بن الطِيب القادري الحسني. لمحمد بن أحمد الفاسي. مخ خ ع ر كـ 1234.
100 — النبوغ المغربي في الأدب العربي. لعبد الله كنون. دار الكتاب اللبناني الطبعة الثانية.
101 — نزهة الحادي في أخبار القرن الحادي. لليفراني. خزانة البلدية بالدار البيضاء رقم 323

102 — نزهة الاخبار المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين البكريين. مخ خ ع ر. كـ 1264.

103 — نزهة الناظر. لأحمد بن عبد القادر التاستاوتي مخ خ ع ر كـ 1669

104 — نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام. للدكتور علي سامي النشار دار المعارف مصر.

105 — نشر المثاني. لمحمد بن الطيب القادري. مخ خ ع ر كـ 2253

106 — نوازل الأحكام. لعلي بنعيسَى العلمي. مخ خ ع ر. د 876

107 — نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأبي العباس أحمد بن أحمد بن أحمد التومبكتي. مطبعة السعادة مصر 1929

108 — هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام. لاحمد بن محمد الهشتوكي مخ خ ع ر جـ 190 وقـ 170

109 — وحي التراث (من) للدكتور عباس بن عبد الله الجراري

110 — وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان. لأبي العباس أحمد بن خلكان طبعة بولاق 1399 جزآن.

ترتيب الفهارس

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء